



سورة الاحزاب

9



مفتاح الخريطة

-  - أهم الطرق والمسالك
-  - سد مهم
-  - نهر
-  - حدود دولية

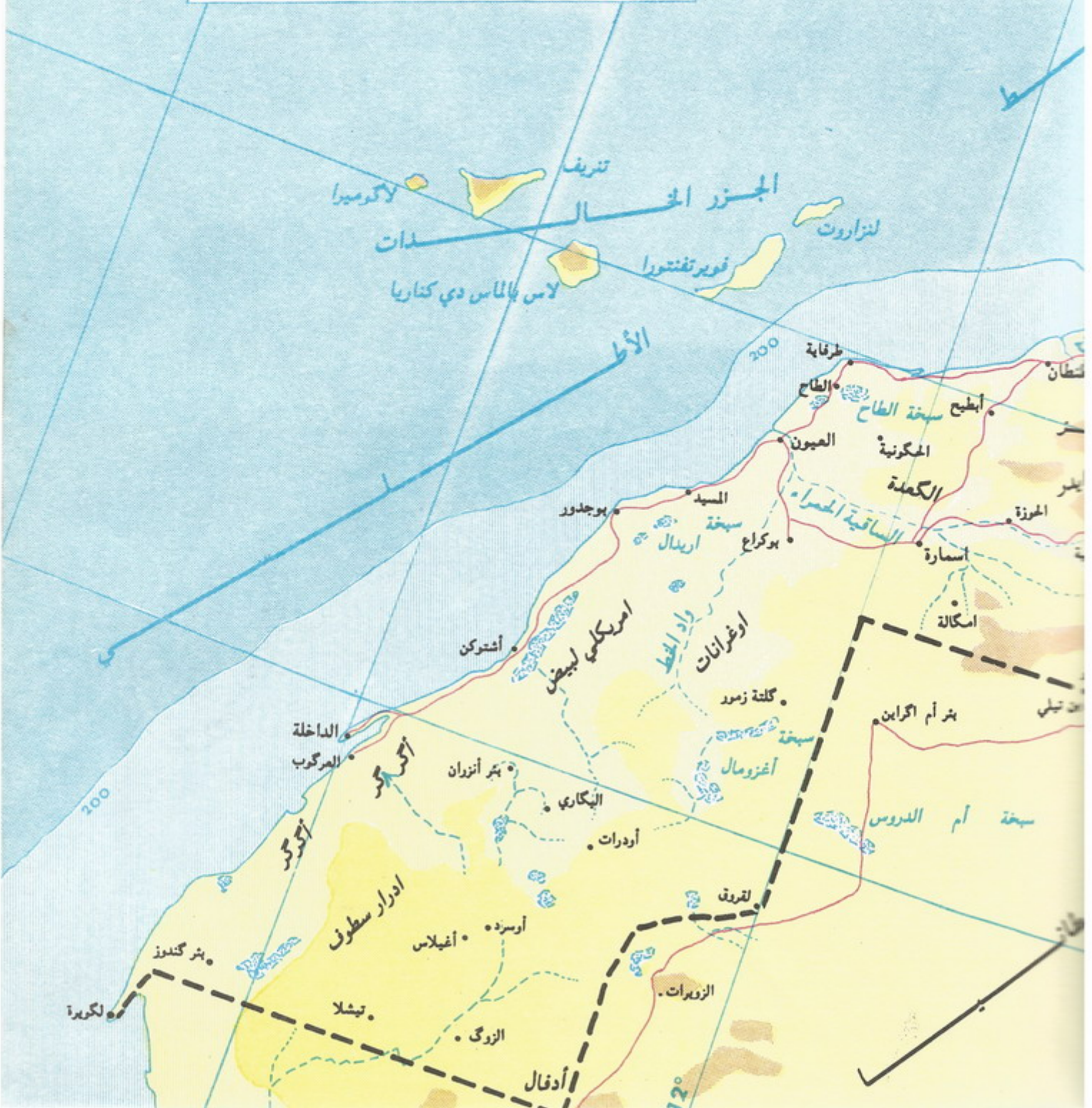


- من 0 إلى 200 متر
- من 200 إلى 500 متر
- من 500 إلى 1000 متر
- من 1000 إلى 2000
- من 2000 إلى أكثر من 3000 متر
- أكثر من 4000

المغرب خريطة عامة

مقياس : 1:5000.000

200 كلم 100 0 50 كلم

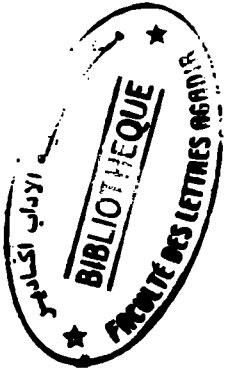


معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.



من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر



نشر
مكاتب سلا

1998 - 1419

جامعة آيسن زيمسور
مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية: آيسن زيمسور
تاريخ السجل: 05 يونيو 2011
رقم السجل:
التقيد:

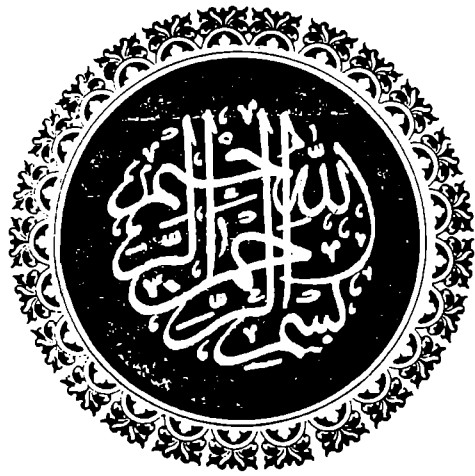


البنغري بالأفصحي

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

جميع حقوق النقل والترجمة - جزئياً أو كلياً بأي شكل كان - محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولطابع سلا

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ - 1998
ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome IX) 9981 - 03 - 009 - 0





المدير المشرف

: محمد حجي

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريفقة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي

بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،

الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي

بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العرينة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية

الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية

الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية

الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،

الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية

الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة

والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية

بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

| | |
|-------------------------------------|-----------|
| = توفي | . ت |
| = تحقيق | . نج |
| = ترجمة | . تر |
| = خزانة تطوان | . خ. ت |
| = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط | . خ. ح |
| = الخزانة الصبيحية بسلا | . خ. ص |
| = الخزانة العامة بالرباط | . خ. ع |
| = خزانة القرويين بفاس | . خ. ق |
| = خزانة ابن يوسف بمراكش | . خ. ي |
| = دون تاريخ | . د. ت |
| = دبلوم الدراسات العليا | . د. د. ع |
| = دون مكان | . د. م |
| = طبعة | . ط |
| = انظر | ← |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير هذا الجزء

- محمد أخريف، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير.
محمد الأخصاصي، باحث - الرباط.
أحمد أشعبان، باحث - تطوان.
سعيد أعراب، باحث - تطوان.
مصطفى أعشي، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
عمر أفا، كلية الآداب - الرباط.
إبراهيم ألوزاد، كلية الآداب - فاس ظهر المهراز.
حسن اميلي، كلية الآداب - المحمدية.
محنأ أيت الحاج، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
عبد الكبير باهني، وزارة السكنى والتعمير - الرباط.
الهادي بجيبجو، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
محمد البدرأوي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط.
ثرأا برأدة، كلية الآداب - القنيطرة.
عكاشة برحاب، كلية الآداب - المحمدية.
محمد الأمين البراز، كلية الآداب - الرباط.
الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - العرائش.
محمد بكرأوي، كلية الآداب - فاس.
عبد الرحمان البكريوي، كلية الحقوق - الرباط.
محمد بلعربي، باحث - الرباط.
المختار بلعربي، كلية الآداب - القنيطرة.
عائشة البلغيشي العلوي، كلية الآداب - الرباط.
عبد العزيز بلغأيدة، كلية الآداب - القنيطرة.
البضاوية بلكامل، كلية الآداب - الرباط.
رقية بلعقدم، وزارة التربية الوطنية - مكناس.
عبد الإله بلعليح، كلية الآداب - وجدة.
علي البليشي، كلية الآداب - الرباط.
أحمد بنجلون، باحث - الرباط.
عبد العزيز بن عبد الوهاب بنجلون، باحث.
لطيفة بنجلون العروي، باحثة - الرباط.
زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية.
محمد بنشريفة، كلية الآداب - الرباط.
عبد المالك بنعبيد، المدرسة الوطنية الغابوية - سلا.
عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط.
محمد بوخبة، باحث - تطوان.
عبد القادر بوراس، وزارة التربية الوطنية - القنيطرة.
- أحمد البوزيدي، كلية الآداب - فاس ظهر المهراز.
محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
أحمد بوشرب، كلية الآداب - الدار البيضاء عين الشق.
مصطفى بوشعراء، باحث - سلا.
عبد الله بوصحابة، كلية العلوم - فاس.
إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط.
أحمد بوعزيز، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط.
بوشتي بوعسرية، كلية الآداب - مكناس.
أحمد بومزكو، كلية الآداب - أكادير.
جامع بيضا، كلية الآداب - الرباط.
محمد ابن تاويت التطواني، باحث - تطوان.
عبد العزيز توري، وزارة الثقافة.
أحمد التوفيق، كلية الآداب - الرباط.
عبد العزيز تيلاني، كلية اللغة العربية - مراكش.
خليل بن أحمد جزوليت، باحث - الرباط.
حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش.
الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
أحمد جوماني، باحث - الرباط.
محمد جوماني، باحث - الرباط.
جعفر ابن الحاج السلمي، كلية الآداب - تطوان.
حسن حافظي علوي، كلية الآداب - مراكش.
محمد حجأ الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء بن مسيك.
ميمون حجوظ، المندوبية السامية لقدماء المقاومين - الرباط.
محمد حجي، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمان الحرادجي، كلية الآداب - وجدة.
فاطمة الحراق، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
إبراهيم حركات، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمان الحريشي، باحث - الرباط.
عبد الجليل حليم، كلية الآداب - فاس ظهر المهراز.
علال الحديمي، كلية الآداب - الرباط.
محمد خريوة، المعهد العلمي - الرباط.
إسماعيل خياطي، كلية الآداب - الجديدة.
نحأة الحياطي، كلية العلوم - الزباط.
مارية دادي، كلية الآداب - وجدة.
محمد بن عبد العزيز الدباغ، وزارة الثقافة - فاس.

- المهدي الدليرو، وزارة الثقافة - الرباط.
- نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة.
- محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش.
- شفيق الرفاگ، كلية الآداب - أكادير.
- علال رگوگ، كلية الآداب - بني ملال.
- محمد رمضان، كلية العلوم - الرباط.
- بوجمعة رويان، كلية الآداب - القنيطرة.
- محمد زروال، باحث.
- محمد زنيبر، كلية الآداب - الرباط.
- قاسم الزهيري، باحث - الرباط.
- عبد الفتاح الزين، البحث العلمي - الرباط.
- محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا.
- عبد السلام السعدي، وزارة التربية الوطنية - مراكش.
- رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش.
- مصطفى الشابي، كلية الآداب - الرباط.
- أحمد الشرقاوي إقبال، باحث - مراكش.
- صالح شكاك، وزارة التربية الوطنية - تمارة.
- المصطفى شويكي، كلية الآداب - الدار البيضاء عين الشق.
- محمد الشياظمي، باحث - الرباط.
- منير صالح، باحث.
- أبو بكر الصبيحي، باحث - سلا.
- محمد الصوفي، باحث.
- عبد الرحمان الطيبي، وزارة التربية الوطنية - سلا.
- عبد العزيز بن عبد الجليل، وزارة الثقافة - مكناس.
- توفيق العبقري، باحث - الرباط.
- زكية عراقى سيناصر، وزارة الثقافة - الرباط.
- أحمد عزاوي، كلية الآداب - القنيطرة.
- محمد ابن عزوز حكيم، باحث - تطوان.
- عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط.
- أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش.
- عبد الله العمراني، باحث - تطوان.
- محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة.
- الحاج موسى عوني، كلية الآداب - فاس.
- مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط.
- عبد الخالق غازي، باحث.
- حياة الغراس، باحثة - مراكش.
- إدريس الفاسي، كلية الآداب - الرباط.
- عبد الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة.
- حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة.
- بوشتي الفلاح، باحث.
- المصطفى فنيتير، كلية الآداب - مراكش.
- عبد الإله فونتير، كلية الحقوق - الرباط.
- عبد القادر القادري، كلية الحقوق - الرباط.
- محمد مصطفى القباچ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- محمد، القبلي، كلية الآداب - الرباط.
- أحمد قدور، كلية الآداب - الرباط.
- محمد كربوط، كلية الآداب - الرباط.
- محمد كلال، وزارة التربية الوطنية - أسفي.
- محمد اللبار، كلية الآداب - وجدة.
- سيمون ليفي، كلية الآداب - الرباط.
- حسن ليمان، وزارة الثقافة - ويلي - مكناس.
- محمد ماگامان، وزارة التربية الوطنية - مراكش.
- أحمد متفكر، وزارة التربية الوطنية - مراكش.
- محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية.
- المكي مرسي، وزارة التربية الوطنية - مراكش.
- محمد مرزاق، وزارة التربية الوطنية - وجدة.
- نجاة المريني، كلية الآداب - الرباط.
- أحمد مزيان، كلية الآداب - فاس.
- الرشيد المصلوت، باحث - تارودانت.
- عز المغرب معنينو، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
- محمد المقراري، كلية الآداب - الرباط.
- أحمد المكاوي، باحث.
- عبد الرحمان الملحوني، باحث - مراكش.
- محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط.
- محمد المنوني، كلية الآداب - الرباط.
- محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط.
- عبد الحي مودن.
- شاكر الميلود، باحث.
- محمد الناصري، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط.
- مططفى ناعمي، البحث العلمي - الرباط.
- عبد الله مجمي، كلية الآداب - الرباط.
- زهرة، النظام، كلية الآداب - المحمدية.
- محمد هشمي، المدرسة الوطنية للغابوية - سلا.
- أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش.
- أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة.
- مصطفى يعرف، باحث - وجدة.

الثغراوي، علي بن الفقيه الحسناوي السلاوي، وأكثر ما كان يدعى بعلال. ينتسب إلى الثواغر، أكبر فصائل أولاد سكير، الذين يُكوّنون أحد شقي قبيلة بني حسن العربية القاطنة في سهول الغرب بين مدينتي سلا والقصر الكبير.

اشتهر والد علال بين قومه بلقب الفقيه حتى عفى على اسمه، وكانت والدته أيضاً فقيهة. أخبر الشيخ علال الثغراوي والذي - رحمهما الله - أنه قرأ الأجرومية والمرشد المعين على والدته. ولا يُعرف من شيوخه غير والده، لكنه قرأ - ولاشك - على علماء عصره في فاس والعدوتين وهم متوافرون آنذاك. وقد أصره علال الثغراوي إلى آل الكدّاري الحسناويين الذين توارثوا القيادة والثروة والجاه في قبيلتهم. وكانت لهم عقارات كثيرة بمدينة سلا، سكن الشيخ علال الثغراوي في دار منها بحي رأس الشجرة. وكان ملحوظاً من طرف سكان المدينة وعاملها العالم الحاج محمد الصبيحي، وأدياً معاً فريضة الحج عام 1334 / 1916 في جماعة واقرة من أعيان السلاويين وغيرهم.

كان علال الثغراوي موسراً منقطعاً للتدريس والإفتاء، يلقي دروساً متنوعة بمختلف مساجد مدينة سلا، وبخاصة الزاوية التجانية التي يعدّ من أعيانها وفضلاتها، وأكثر دروسه في الفقه، ومختصر الشيخ خليل بصفة خاصة. كان يحفظ هذا المختصر ويستظهر ما قاله شراحه ومُحشّوه، ويضرب - كما يقولون - أوله بأخره وآخره بأوله. وكان يحضر المجالس العلمية التي تعقد بحضوره السلطان المولى

يوسف إلى جانب صديقه الشيخ شعيب الدكالي. فكان لهما - نظراً لرسوخ معلومتهما وقوة استحضارهما - الظهور البيّن في هذه المجالس التي تضمّ عليّة المحدثين والفقهاء. كانت فتاوى الشيخ علال الثغراوي في غاية الضبط والتحرير إلا أن معظمها ضاع، والفتوى التي ننشرها هنا بخطه في موضوع نزاع حول غبن في قسمة إرث بين بعض أعيان الرباط وإن كانت غير مؤرخة فإنها تحيل على رسم مثبت حولها مؤرخ في سبع عشر حجة الحرام متم عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف.

تولى علال الثغراوي قضاء مدينة سلا بعد أن أصر عنه الحاج علي عواد عام 1333 / 1915 واستمر في هذه الخطة إلى أن استعفى منها في 29 جمادى الثانية عام 1335 / 22 أبريل 1917 فخلفه القاضي عبد القادر التهامي سابق الترجمة.

ذكر لي سيدي الوالد - وكان من أخلص أصحاب الشيخ الثغراوي وأحيائه وجلسائه - أن الإقبال على دروس الشيخ الثغراوي الفقهية في الزاوية التجانية كان عظيماً لبساطة أسلوبه ووضوح تفسيره ومزجه بين الفصحي ولهجته الغامية البدوية، ولحسن تمثيله واستطراده الذي يُضفي على المجلس البهجة والانشراح. وأن أحكامه - يوم كان قاضياً - سريعة ومنصفة، فكان مجلسه في المحكمة خالياً من المتقاضين في أغلب الأحيان، وله في مخاطبة المُلدّين في الخصام من الرجال والنساء حكايات طريفة بلسانه البدوي المليح.

أقرته وحببت أدياً معاً فريضة الحج عام 1334 / 1916 في جماعة واقرة من أعيان السلاويين وغيرهم. كان علال الثغراوي موسراً منقطعاً للتدريس والإفتاء، يلقي دروساً متنوعة بمختلف مساجد مدينة سلا، وبخاصة الزاوية التجانية التي يعدّ من أعيانها وفضلاتها، وأكثر دروسه في الفقه، ومختصر الشيخ خليل بصفة خاصة. كان يحفظ هذا المختصر ويستظهر ما قاله شراحه ومُحشّوه، ويضرب - كما يقولون - أوله بأخره وآخره بأوله. وكان يحضر المجالس العلمية التي تعقد بحضوره السلطان المولى

صورة الفتوى بخط الشيخ علي الثغراوي

توفي بسلا ليلة الثلاثاء 28 شوال عام 1344 / 11 ماي 1926 وكانت جنازته حافلة شارك فيها علماء العدوتين

وعامة سكان المدينة وخاصتها. وما قاله الشيخ شعيب الدكالي في كلمة تأبينه : "إننا لا ندفن اليوم الفقيه علال الثغراوي ولكننا ندفن الشيخ خليل ومختصره".

جعفر الناصري، قضاة سلا، مخطوط خ. ص : أ. الصبيحي، الرحلة الحجازية، مخطوط خ. ص : ع. الجراري، من أعلام الفكر المعاصر، 2 : 258. 559. م. بوشعراء، التعريف، 2 : 275 : قبيلة بني حسن، مخطوط : رواية شفوية.

محمد حجي

الثغور المحتلة، استطاع الإسبان والبرتغاليون، خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) أن يحتلوا عدداً من الثغور المغربية. ولم تتداخل مكتسباتهم لخضوع الغزو لاتفاق مسبق بين الطرفين تخض عن عدة معاهدات تمت تحت إشراف البابوية بعد مفاوضات حادة وتنافس كبير. وهكذا عاد للإسبان، الذين كان اهتمامهم بالمغرب الأوسط والأدنى أكبر نصيب من المراكز الموجودة شرق مدينة بادس، وعاد للبرتغال الذي كان منهمكاً في عملياته الاستكشافية وفي البحث عن طريق بحري إلى الهند، ما بغربها.

وخضع الغزو المذكور لاعتبارات ثلاثة : موقع المدينة المهاجمة، وتاريخ الهجوم، والفئات الاجتماعية المشرفة عليه والمخططة له.

وعموماً كانت الدوافع الإستراتيجية المرتبطة بالرغبة في القضاء على الجهاد البحري الذي تقوى بوصول الأندلسيين والأتراك إلى سواحل المغرب العربي، عاملاً حاسماً في اختيار الإسبان للمواقع المهاجمة وفي التمسك بها. وهكذا احتلوا مليلة سنة 903 / 1497، ثم غساسة سنة 912 / 1506، وحجرة بادس سنة 915 / 1508. واقتصرت مكتسبات الإسبان بالمغرب على الثغور المذكورة دون أن يتمكنوا من التوسع داخل التراب المغربي، كما لم تتحقق رغبتهم في احتلال تطوان التي ضايقهم جهادها البحري، لمعارضة البرتغال لذلك.

مر الغزو البرتغالي بمرحلتين مختلفتين في الزمان والمكان، وفي الوسائل المستخدمة له، وكذا في الغايات المتوخاة منهما. وقد طغت الاعتبارات الإستراتيجية (الرغبة في القضاء على الجهاد البحري ومنع سقوط الثغور المغربية في أيدي العثمانيين) على المرحلة الشمالية التي همت سبته عام 818 / 1415 والقصر الصغير عام 862 / 1458 وأصيلا وطنجة عام 875 / 1471. وسيطرت العوامل التجارية (المرتبطة بتجارة غرب أفريقيا وبحاجة البرتغال إلى المواد الفلاحية المغربية) على تعامل البرتغاليين مع السهول الغربية. (راجع مادة البرتغال بالمعلمة).

ونتج عن احتلال الثغور المغربية إخلاؤها من لدن

سكانها الأصليين، واقتصار ساكنتها على البرتغاليين وبعض المرتزقة الإسبان، وعلى جالية يهودية كانت مهمة وذات نفوذ سياسي ومالي في بعض الثغور كأسفي وأزمور. فقد غادر كل سكان أزمور المدينة قبل دخول البرتغاليين إليها، واستقر بعضهم بسلا أو بفاس. وهكذا كان بالمدينة خلال ربيع 920 / 1514 حوالي أربعة آلاف شخص كانوا كلهم جنوداً برتغاليين. ولاشك أن هذا العدد المرتفع مرتبط بكون الاحتلال تم في خريف 912 / 1513، ويكون المدينة كانت تستعد لمواجهة تحرك الجيش الوطاسي في اتجاه الثغور الدكالية. وسرعان ما تراجع عدد السكان. فقد أصبحوا خلال صيف 937 / 1530 لا يتعدون ستمائة وثمانين شخصاً يعيشون على جريات الدولة، كان ضمنهم اثنا عشر قسيساً، وثمانية بحارة، وأربعة عشر مجرماً في حالة نفي.

وعرفت الثغور المحتلة تغييرات واضحة في معالمها. فقد اضطر الغزاة إلى التقليل من رقعة المدينة ليتمكنوا من الدفاع عنها بسهولة. ففي أزمور مثلاً، بدأ التفكير مبكراً في التخلي عن المدينة كلها والاقتصر على قصبتها. لذا توقف حفر الخندق حول السور المغربي الذي شرع فيه بعد ثلاثة أشهر من احتلال المدينة. وبعد تردد كبير، تقرر تحصين القسم المشرف على النهر، واحتفظ بالسور المغربي لحماية البساتين التي عوضت الدور.

وتم تشييد الأسوار والأبراج والأبواب والمرافق الدينية حسب الطريقة المعتمدة بالبرتغال، أي اعتماداً على النموذج الإنريلي الذي كان يمثل أرقى ما وصل إليه العمار البرتغالي. وأنجزت تلك المنشآت على يد معماريين كانوا يعتبرون من أحسن ممثلي تلك المدرسة. وكانت التحصينات المستحدثة بالثغور تختلف عما كان معمولاً به في المغرب. فقد اقتصرت على الحجر المقصوص الذي كانت بعض أجزائه المنحوتة الحاملة لشارات معينة تجلب من البرتغال. كما جلبت مواد البناء الأخرى من البرتغال : الخشب والركائز والقرميد، وحتى الجير بعد أن تبين للمشرفين على البناء سوء نوعية ما صنع منه بأسفي وأزمور. وأولى المشرفون على البناء أهمية قصوى لثلاثة اعتبارات :

- السرعة في البناء نظراً للحصار المفروض باستمرار على الثغور.

- تفادي التبذير والتقليل قدر الإمكان من المصاريف. لذا جاءت البناءات بسيطة، لا تحتوي إلا على القليل من الزخرفة.

- اعتبار ما جد في ميدان الأسلحة وإنشاء تحصينات تستطيع تحمل طلقات المدفعية التي تزايد اعتماد المغاربة عليها بعد العقد الثالث من القرن السادس عشر.

ويلاحظ اختلاف بين التحصينات المشيدة بالشمال عن تلك التي عرفتها الثغور الدكالية. فبخلاف السجوف الطويلة والعالية، والأبراج المربعة والكبيرة، التي يمكن

إلى "قائد البحر" (alcaide do mar).

واعتمد القباطنة على تلك القوات والأسلحة لخوض حروب ضد القبائل المجاورة، وتعريضها لهجمات مفاجئة قصد الحصول على الأسرى والغنائم وإكراهها على دفع الضرائب والإقبال على أسواق الثغور. وكانت حامية أصيلا أنشط حاميات الشمال، وإن اعتمدت في عدة مناسبات على مساعدة عسكري طنجة. فقد وصلت غارات تلك الحامية إلى القصر الكبير وجبل حبيب. وقد رُبِحَ بَاحُثُ عدد الأسرى الذين أسرههم البرتغاليون من منطقة بني كرفط وحدها بخمسة آلاف شخص. واستغلت حاميته أسفي وأزمور الفراغ السياسي الذي كانت تعاني منه المنطقة، وكذا تناحر الشيوخ، ووجود عملاء كبار سخروا قبائلهم لفائدة التوسع البرتغالي للهجوم على مناطق بعيدة. فقد وصل مدى الغارات المنظمة انطلاقاً من أزمور مدينة الرباط. ووصلت غارات برتغاليي أسفي منطقة زمران الحالية، ومنابع تانسيت ومنطقة حاحة. وبالطبع مكتهم تلك السطوة من غنائم هائلة ومن مآت الأسرى. فقد استطاع برتغاليو أزمور أسر ما لا يقل عن ألفي شخص من الشاوية وحدها فيما بين 1518. 1519. وأحصينا الإشارات الواردة بمصدرين برتغاليين، فألفينا أن عدد الأسرى المحصل عليهم خلال تلك الغارات بلغ 9287 شخصاً مع العلم أن المؤلفين لم يحددا عدد الأسرى إلا بالنسبة لعدد قليل من الغارات التي ذكرها. ولم تطل سطوة البرتغاليين، إذ سرعان ما جعلت التحركات الوطاسية على عهد محمد البرتغالي، والعمليات التي قادها قواد الهبط بالشمال، (إبراهيم ابن راشد، المنظري)، وتلك التي أطرها السعديون بالجنوب، حدا لتلك الوضعية.

واشتكى القباطنة باستمرار من قلة أعداد المحاربين بالثغور المحتلة، وكانوا يطالبون بتعزيزها. وللتغلب على هذا النقص، اعتاد برتغاليو أصيلا وطنجة ضم قوات الثغرين لعملياتهم ضد القبائل، في حين اعتمد قباطنة دكالة والوسوس على القبائل الحليفة المؤطرة من لدن قواد كبار، كبحي بن تاعفوت ومالك بن داود. كما غطى التفوق البرتغالي في ميدان الأسلحة النارية (المدفعية والبنادق) والتحصينات والتكتيك، النقص المذكور. واتقى برتغاليو الثغور هجمات المغاربة المفاجئة بعدد من التدابير، كإرسال عدد من الفرسان، يسمون "الطليعة" (atalaia) لمراقبة البادية، أو تكليف آخرين بتفتيش الأماكن القابلة لنصب الكمائن (cortadores). وهناك مراقب يشرف على البادية من أعلى الأبراج (ribate) يتلقى إشارات الطليعة ليخبر من كان من السكان خارج الأسوار بإشارات معينة. وانعكست هذه الوضعية على عيش سكان الثغور المحتلة، إذ جعلهم الجهاد والمقاومة المؤطرة من لدن الفقهاء والمتصوفة وبعض القواد والأنظمة القائمة آنذاك بالمغرب، (انظر مادة/الجهاد) يعيشون في حالة حصار مستمر،

مشاهدتها بأصيلا، احتوت أسوار أزمور وأسفي، وخصوصاً مازيغن (البريجة)، على الخصائص الجديدة التالية :
- أصبحت البستونات والسجوف أقل ارتفاعاً لتسمح للمدفعية بتسييد طلقات منحدر.

- أصبح التدعيم الجانبي خاضعاً بدوره لهذه الغاية الهجومية.

- ظهر بأسفي البستيون "المستدير ليوضع عليه عدد أكبر من قطع المدفعية.

- شيدت أسوار سميكة سمحت بإحداث ممرات للحراس فوقها، كما يلاحظ اليوم بالجديدة. ولكي تصمد أكثر، عزز أسفلها بمنحدر سميك مبني من الحجارة.

- أحاط البرتغاليون بعض تلك التحصينات بخنادق مائية لمنع المهاجمين من الاقتراب منها.

وبذلك يكون البرتغاليون "قد كدسوا بمساحات ضيقة كل ما كان يسمح به المعمار العسكري المعروف في زمنهم، وذلك من أجل استعمال مدفعيتهم أحسن ما يمكن، وللحصول على أحسن مردود من حاميتهم القليلة العدد".

عرفت الثغور المحتلة تنظيمات إدارية وعسكرية وتجارية. فقد كان القبطان المسؤول الأول بالثغر، وكانت بيده سلط إدارية وسياسية وعسكرية وقضائية بصفته ممثل الملك البرتغالي. وكان القباطنة يختارون من النبلاء، ومن أسهموا في الغزو البرتغالي وفي الدفاع عن مكتسباته. وخص القباطنة برواتب مغرية وبامتيازات مالية مهمة، كخمس الغنائم والأسرى، واحتكار بيع بعض السلع. وكان يساعد القبطان عدد من الموظفين المدنيين والعسكريين. فمن الفئة الأولى كان المحاسب (Contador) مسؤولاً عن أموال ومصالح الملك بالثغر، وكان إلى جانب هذا أهم موظف بعد القبطان، إذ كان ينوب عنه في حالة الوفاة أو الغياب. ومن مهامه كذلك أداء رواتب الجنود وتحديد قيمة الضرائب التي تدفعها القبائل الخاضعة، والإشراف على استخلاص الضرائب الجمركية والمكوس. وأشارت وثائق إلى إشرافه على عمليات الترميم والبناء. وكان الوكيل التجاري (Feitor) يشرف على المتجر الملكي، ويهتم بكل ما يتعلق بالتجارة : بيع السلع التي أرسلتها المصالح المختصة بلبشونة، واقتناء ما يرغب الملك في شرائه. وكان يساعده قابض الفيضورية وكاتبها. وتنحصر مهمة المشرف (almoxarife) في ما يتعلق بتموين الثغر، وبشراء كميات الحبوب التي كان الملك البرتغالي يأمر بها.

ومثل "الدليل" (adail) المساعد الأمين للقبطان ونائبه في الشؤون العسكرية. فهو الذي كان يقود الجنود في حالة غياب المسؤول الأول عن الثغر. وكانت مهمة "المقدم" (almocadem) هي الاطلاع على أوضاع المنطقة التي سيمر منها الجنود وتحديد الطريق الأكثر سلامة. وكان يساعده في ذلك عدد من الجواسيس التابعين. وكان : القائد" (alcaide) مسؤولاً عن القصبية، بينما كان الإشراف على الميناء موكولا

خصوصاً بعد اندحار حامية المعمورة (1515)، وقتل أكبر قباطنة أسفي (N.F. de Ataide) سنة 1516 واغتيال يحيى ابن تاعفوفت سنة 1518. وبذلك تغير ميزان القوة لصالح الشرفاء السعديين.

ولم يستطع البرتغال إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه لمرور امبراطوريته بعد 1520 بظرفية اقتصادية سيئة، تميزت بالركود التجاري وبتزايد التهريب والقرصنة في كل أطراف تلك الإمبراطورية. وفي هذا الوقت بالذات، ارتفعت مصاريف إدارة وحماية الثغور الثمانية. فإذا كانت تلك المصاريف قد بلغت سنة 1515 خمسين مليون ريال، فإنها تضاعفت بعد خمس عشرة سنة. ووصل ما دفع كرواتب للحمايات خلال سنة 1534 وحدها عشرة ملايين. وتطلب العون الذي توصلت به أسفي خلال حصارها من لدن السلطان أحمد الأعرج أربعة ملايين. هذا مع العلم بأن البرتغال كان مطالباً بالهند بمجهود أكبر نظراً للمقاومة الإسلامية العنيفة التي واجهته.

وسبب الحصار المضروب على الثغور، وتعذر القيام بأي نشاط زراعي، كان على البرتغال تزويدها بانتظام بالحبوب والأقوات. فقد توصلت الثغور الثمانية سنة 1436 بـ 5420 مد برتغالي من القمح. وأصبحت الثغور التي كانت تصدر الحبوب، كأسفي وأزمور ومازيغن، مستوردة لها. بل أكثر من هذا، توصلت أسفي مرة بسفينتين محملة بالماء الصالح للشرب!

واشتكى القباطنة باستمرار من قلة الأقوات بالثغور، ومن تجاهل المسؤولين لأوضاع سكانها السيئة، خصوصاً وأن الرواتب كانت تتأخر لشهور، ولم تكن تصل أحياناً إلا بعد سنة، كما أن الاستفادة من الغنائم والأسرى قلت كثيراً بعد انحصار الغزاة داخل قلاعهم. ومما أزم وضعية السكان أكثر، الطريقة المعتمدة في أداء الرواتب والجراريات، والتي كانت تتم اعتماداً على سلع معينة، يدفعها احتكاريون متعاقدون مع الملك، الأمر الذي كان يعرض العسكريين لابتزاز كبير، إذ كان عليهم قبضها بثمان مرتفع وإعادتها لنفس المحتكرين - لحاجتهم للأموال - بثمان زهيد. وتعطينا رسالة موجهة إلى الملك البرتغالي سنة 1530 فكرة عن تلك المعاناة: "إن هذه المدينة في طريق الموت من جراء المجاعة الكبرى التي احتدت منذ أربعة أشهر (...) فالقباطنة الذين يريدون اكتناز الأموال يغتنون على حساب اليهود والمسلمين، واليهود على حساب النصارى الذين يضطرون إلى رهن رواتبهم وبيع جراياتهم بعشرة أو خمسة عشر ريالاً للكبير، لأن المسؤولين عن الأداء لا يؤدون ما عليهم. لقد توقفوا عن أداء أي شيء منذ سبعة أشهر، وذلك باتفاق مع القبطان، الشيء الذي نتج عنه انعدام الأموال والحبوب. لذلك أصبح فرساننا وباقي السكان في يأس كبير. يساعد المسؤول عن الأداءات يهوديان أو ثلاثة، يشترون من السكان رواتبهم بالثمان الذي يريدونه لأنهم محاطون بالبحر ويتضورون جوعاً، ولأنهم محاصرون من لدن المسلمين. فهم

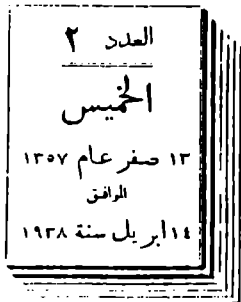
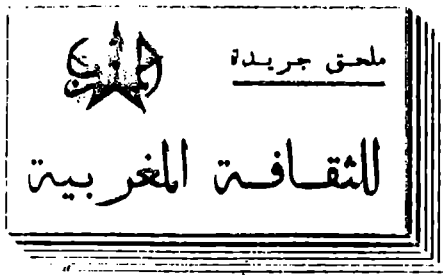
لذلك يخسرون خمسمائة ريال في كل ألف، وذلك إذا أرادوا أخذ الأموال مقابل الأتواب، الشيء الذي منعه سموكم في عقدته. كما أنهم يشترون منهم بـ "كروزادو" واحد - أي أربعمائة ريال - ما قيمته مائة وعشرون ريالاً بقشستالة، أما الثوب المصنوع من القنب، والذي يساوي ثلاثين ريالاً فيبيعونه بمازيغن بمائة وعشرين ريالاً.

لذا اضطر السكان عدة مرات إلى بيع متاعهم لشراء ما يسدون به رمقهم، ومات بعضهم بالجوع، واضطر آخرون للخروج إلى البادية والعيش من القطف، والتجأ القباطنة عدة مرات إلى مصادرة ما كان داخل البيوت من حبوب. ونظراً لما كان الجنود يعانونه من ابتزاز، احترفوا السرقة ليلاً وبواضحة النهار أحياناً. فقد تعددت الدور التي تعرضت للسرقة ليلاً بكل من أسفي وأزمور، وأضحت الأيدي تمتد إلى متاع وأموال اليهود في واضحة النهار. ويرر قبطان أزمور تلك الوضعية بتأخر أداء الرواتب وفاقة السكان، بينما أرجعها طبيب المدينة إلى السببين المذكورين وإلى مبالغة التجار في ابتزاز السكان. وأضاف أن السراق يعتبرون أن عملهم شرعي، يهدف إلى استرجاع ما ابتز منهم بدون حق. واعتادت الثغور المحتلة على أجواء الحرب الأهلية، وقلت هبة الحكام، خصوصاً بعد تأكيد تورطهم في سرقة ما كان يرسل من حبوب وبسكويت، وتواطئهم مع كبار التجار والمسؤولين عن الأداءات. فقد تعددت الشكايات المرفوعة إلى البلاط ضد تصرفات القباطنة والاحتكاريين المتحالفين معهم. إلا أن تلك الشكايات لم تجد أذناً صاغية نظراً للعجز المالي الذي كانت تتخبط فيه الخزينة البرتغالية، ولكثرة مشاكل الدولة البرتغالية. وامتناع الناس عن الخدمة بتلك الثغور، مما حتم الاعتماد على المرتزقة الذين زادوا من حدة الفتق التي كانت تعرفها بعض المدن.

وأمام هذه الأوضاع، فكر الملك البرتغالي يوحنا الثالث في إخلاء بعض الثغور. وهكذا أرسل سنة 1529 شخصاً لدراسة إمكانية إخلاء أكادير وربما أسفي، إلا أن النبلاء والعسكريين عارضوا ذلك بشدة. وبعد الحصار الذي ضربه أحمد الأعرج على أسفي سنة 1534، كاتب الملك أعيان دولته واستشارهم في إخلاء أسفي وأزمور، وأطلعهم على أوضاع البلاد المالية، إلا أنه خاب في مسعاه مرة أخرى. وبعد اندحار البرتغاليين بأكادير في ربيع سنة 1541، اضطر الملك البرتغالي إلى إخلاء أسفي وأزمور بدون حرب في أكتوبر سنة 1541. كما اضطر إلى إخلاء القصر الصغير وأصيلا سنة 1550 إثر دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس سنة قبل ذلك. وبذلك لم يبق في أيدي البرتغاليين إلا مازيغن (البريجة) التي لم تحرر إلا في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1769)، وبنجة التي حررها المولى إسماعيل سنة 1684. واحتفظت إسبانيا بسببته رغم استعادة البرتغال لاستقلاله سنة 1640. ولاتزال هذه الثغور التي اغتصبها الإسبان تعاني من الاحتلال.

أ. بورش، دكالة، الدار البيضاء، 1984.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila, cronica do século XVI*.



ملحق (المغرب)

مستقل في

خطه

تحريره

إدارته

- نحن العدد : فرنك واحد -

موضوعات العدد:

- ١٨ يجب ان تروى • بلم بطل مصري
- ١٩ المدينة المغربية • سعيد حجي
- ٢٠ جزر مطروحات للاطلاع • محمد اقباس
- مطبوعات حديثة
- ٢١ في القنة العربية • عبد الكير القاسي
- ٢١ تأثير الثورة الروحي • عبد الرحمن القاسي
- ٢٢ الانتادات والأفادات • م. ف.
- ٢٣ ابو القاسم الشريف • مبداء كنون المني
- ٢٤ بل جلالة الملك العظيم (تصديقه) • مبد القادر حسن
- الهجرة قول (تصديقه) • الحسن البونساني
- ٢٥ السل في احكام القناه • منت سلاوي
- ٢٦ القوي الرومي في البلدان • كلكرد فادر
- ٢٧ وصف مستشفى القاهرة • بلم ابي القاه الجوي
- سير الفكر والمياه
- ٢٨ من اجله الربيع • تليد
- لوس في الاخلاق قدم ولا حديث لباثة المانرة
- بين ملحق المغرب وقراه
- ٢٩ في الفن السياسي والدولة: سابق الدول في التسليح
- من ابناء الشرق العربي
- ٣٠ البوميت
- ٣١ لتسليحة

Publ. D. Lopes. Coimbra, t. 1. (1508 - 1525), 1915, LII + 498 p, t. 2, (1525 - 1535, supplemento : 1536 - 1550), 1919, XIX + 536 p ; R. Ricard. *Les Portugais au Maroc de D. de Gois. extraits de la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat, 1937, 268 p ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord. extraits des Annales de Jaen II de Luis de Sousa*, Paris, 1940, 208 p ; *Mazagan et le Maroc sous le règne du Sultan Moulay Zidane. (1608 - 1627) d'après le Discurso de Gonçalo Coutinho, gouverneur de Mazagan (1629)*, Paris, 1956, 188 p ; *Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVIIème siècle*, Paris, 1932, 72 p ; *Notes sur la tactique militaire dans les places portugaises du Maroc*, Bulletin Hispanique, XXXV, 1933, pp. 448 - 483, repris in *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1955, pp. 345 - 355 *Le problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord*, Annales. Economie. Société, 1936 ; D. Lopes. *Os Portugueses em Marrocos*, in: *Historia de Portugal*, direct. D. Pires, Barcelos, 1931, t. 3, pp. 385 - 544, t. 4, pp. 78 - 121 ; P. de Cénival. *Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué. (Agadir). texte portugais du XVIème siècle*, Paris, 1954, 170 p ; J. Figanier. *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gué. (Agadir). 1505 - 1541*, Lisboa, 1945, 403 p.

أحمد بوشرب

الثقافة المغربية، (مجلة -) هناك سلسلات من

مجلات تحمل كل منها اسم الثقافة المغربية، أولها مجلتان حرتان صدرتا في فترات متقطعة بمدينة سلا في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن بإدارة سعيد حجي، والثانية مجلات حكومية أنشأتها الوزارات المكلفة بالشؤون الثقافية بعد الاستقلال.

بدأت المجلة السلوية تصدر أسبوعية تحت عنوان ملحق جريدة المغرب للثقافة المغربية في حجم كبير (35 x 28 سم) في حلة قشبية وغللاف أزرق زاه على بساطته. صدر أول عدد منها في 6 صفر عام 1357 / 7 أبريل 1938. وكان يشارك في تحريرها ثلة من المثقفين الوطنيين الرواد في ميدان الصحافة وكتابة المقالة والقصة والشعر والأبحاث الاجتماعية والأدبية والتاريخية وغيرها. أمثال محمد الفاسي وعبد الله گنون وعبد الكبير الفاسي وعبد الله إبراهيم وأبي بكر زنيبر، وباحثة الحاضرة (مليكة الفاسي) وأحمد باحنيني، وعبد الرحمان الفاسي وعبد القادر حسن وعبد الرحمن حجي والحسن البونعماني، وعبد الكريم بن الحسن بن محمد العبدلي الكانوني وغيرهم.

كان كل عدد من هذه المجلة يتصدره مقال افتتاحي بقلم مديرها سعيد حجي لا يكاد يتخلف في موضوعات قومية متنوعة. وتشير مقالات المجلة في كثير من الأحيان نقاشاً ونقداً بناءً يزيد المسائل المطروحة توضيحاً وتقويماً، ويخلق في نفس الوقت جواً جديداً من الحوار والشجاعة الأدبية وحرية التفكير.

لم أتمكن من ضبط كل الأعداد الصادرة من هذه السلسلة الأولى، وآخر ما وقفت عليه منها العدد 18 بتاريخ 13 أكتوبر 1938 وتحمل صفحاته أرقام 327 إلى 345.

استقلت الثقافة المغربية بعد ذلك عن جريدة المغرب. وأصبحت مجلة فكرية شهرية، صدر أول عدد منها في غشت 1941 في حجم عادي (23 x 16 سم) بنفس الغلاف الأزرق الأنيق البسيط، وقد انضم إلى الكتاب الرواد المذكورين، طائفة من الشباب الحي الطموح أمثال قاسم الزهيري وأحمد بناني والصديق بن العربي والظاهر زنيبر وعبد السلام العلوي وعبد الكريم سكيرج وعبد القادر الهاشمي، وإدريس الكتاني، وحمام العراقي، وبعض العلماء الشيوخ كالقاضي عبد الحفيظ الفاسي ومحمد السايح.

كانت مجلة الثقافة المغربية السلوية في حلتها القديمة والجديدة تُعنى بالموضوعات الاجتماعية والأدبية والتاريخية والسياسية والاقتصادية المتعلقة بماضي المغرب وحاضره وتطلعاته المستقبلية، بالإضافة إلى المعلومات

الوزير محمد الفاسي : "أن هذه المجلة ستهم بكل ما يرجع لتاريخ المغرب العربي وإسبانيا وصقلية الإسلاميتين وجغرافيتها وآدابها ولغاتها وعوائدها وفنونها الشعبية في الماضي والحاضر". وقد اشتمل هذا العدد فعلاً على مقالات تتحدث عن دور المغرب الأقصى في توحيد الثقافة بين دول المغرب العربي، وعصر النهضة في هذه المنطقة. وحضارة العرب في الأندلس، ومؤلفات ابن حزم ورسائله وابن عربي. كما اشتمل العدد المزدوج الثاني والثالث والعدد الرابع على مقالات متعددة تعني بشؤون المغرب الكبير والأندلس. وابتداء من العدد الخامس الصادر في ذي القعدة عام 1391 / دجنبر 1971 أصبحت مجلة الثقافة المغربية تابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي والأصلي وتكوين الأطر وظهر بعد ذلك عدنان يحملان رقم 6 و7، فلم يقع كبير تغيير في مضمون المجلة إلا أن مجال موضوعاتها تقلص حتى كاد يقتصر على المغرب الأقصى.

الفتحة المغربية

للآداب والعلوم والفنون

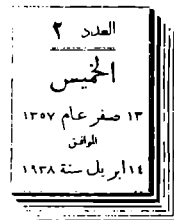
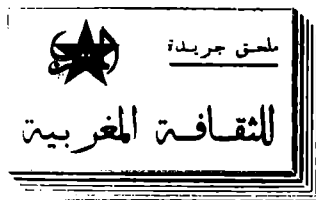
نمبر - ديسمبر - ١٩٤٢

لائحة بتحاق لادين له فان الحلق بيه يحفظ نسه اكثر بما يصله بواجبات الناس: ولا يقبلوه لمحد لأن الفلسفة تزججه بلادة أكثر مما تزججه بالانسانية، ولا يصلح بتسليح من الدين لأن إصلاحه صور من غروره، ولا بما الجند لأن علمه كهدسة الشوكه كلها من اجل آخرها.

وفي سنة 1393 / 1973 انتقلت مجلة الثقافة المغربية إلى أحضان وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة. وتحديث افتتاحية العدد الثامن عن رغبة المسؤولين عن المجلة في التجديد والتغيير فقالت : "لماذا هذا التمسك بإطار جغرافي في ميدان لا يعرف حدوداً ولا أقطاراً وهو ميدان الفكر والثقافة ؟ إنه في الواقع مجرد اصطلاح بين المجلة وقرائنها على أن ما يكتب لهم هو امرأة حقيقية لمجموع الثقافة الإنسانية التي يساهم فيها المغربي بالنصيب الأوفى والأوفر. وليس من رأينا أن تكون هذه المجلة مجرد ملف أبحاث رصينة يكتب فيها رجالات بمن

العامه والمقالات المترجمة والإفادات والإنشادات. صدر العدد السابع والأخير منها في يبرابر - مارس 1942 يعني مديرها الماسوف على شبابه سعيد حجي.

لم تمض ستة أشهر حتى استأنفت مجلة الثقافة المغربية الصدور في سلسلة جديدة تحمل عنوان : مجلة الثقافة المغربية للآداب والعلوم والفنون، في حجم كبير (26.5 x 20 سم) وبإدارة أحمد بنغبريط. صدر العدد الأول من هذه السلسلة يوم الثلاثاء 19 شعبان عام 1361 / 1-9-1942 كبدية لسنة ثانية للمجلة اعتباراً للأعداد الصادرة في حياة سعيد حجي سنة أولى. وتوالت أعداد هذه السلسلة بصفة منتظمة حتى العدد العاشر في ماي - جوان 1943، بنفس المستوى وأقلام معظم الكتاب السابقين. ثم توقفت المجلة في فترة المطالبة بالاستقلال، واعتبرها المسؤولون عنها سنة ثالثة بيضاء لتساقط الصدور في سنتها الرابعة بعدد يوليو 1944 لكنها كانت قد فقدت معظم كتابها المقتردين القدامى وبدا عليها الهزال والضحالة، ولم تنته هذه السنة بالعدد المزدوج 9-10 بتاريخ رجب - شعبان عام 1364 / جوان جوي 1945 حتى توقفت بصفة نهائية.



| موضوعات العدد: | |
|----------------|--|
| ١٨ | عجيب ان تروضي بلم بطل مصري |
| ١٩ | الدين المغربي |
| ٢٠ | عن مخطوطات الأندلس للاستاذ محمد الفاسي |
| ٢١ | مطبوعات حديثة |
| ٢٢ | عن الفقه المغربي |
| ٢٣ | تاريخ الفقه الروحي |
| ٢٤ | الإنشادات والأفادات |
| ٢٥ | عن الفقه المغربي |
| ٢٦ | عن الفقه المغربي |
| ٢٧ | عن الفقه المغربي |
| ٢٨ | عن الفقه المغربي |
| ٢٩ | عن الفقه المغربي |
| ٣٠ | عن الفقه المغربي |
| ٣١ | عن الفقه المغربي |

ملحق (المغرب)

مستقل في

خطه

تحريره

إدارته

- عن العدد الرابع وسدس -

أما مجلة الثقافة المغربية الحكومية، فصدر أول عدد منها بالرباط في يناير - فبراير سنة 1970 (حجم 23 x 15.5 سم) عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، وهي أول وزارة أسندت إليها مهمة الثقافة بعد الاستقلال. وجاء في تقديم هذا العدد بقلم

- سعيد بن البشير الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1982.

- محمد بن عيسى الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1985.

- محمد علال سيناصر الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1992.

- عبد الله أزمانى الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1995.

- عزيزة بناني كاتبة الدولة في الثقافة عينت سنة 1997.

عرفت وزارة الشؤون الثقافية تطوراً متصاعداً في اختصاصاتها وهيكلتها، واستقرت هذه الاختصاصات والهيكلة في صيغتها النهائية بمقتضى مرسوم رقم 2.94.222 (1994) نص على أن مهمة الوزارة هي : "إعداد وتنفيذ سياسة الحكومة المتعلقة بالتراث والتنمية الثقافية والفنية" وتتولى الوزارة القيام بما يلي :

- توحيد التوجهات وتنسيق الأعمال الهادفة إلى تقوية النسيج الثقافي الوطني.

- المساهمة، باتصال مع الوزارات والمصالح المعنية، في النهوض بالثقافة الوطنية والحفاظ على خاصياتها.

- استخدام جميع الوسائل الكفيلة بضمان ازدهارها وأشاعها.

- استخدام جميع الوسائل الملائمة لمتابعة ودعم كل عمل أو مبادرة ترمي إلى الحفاظ على التراث الثقافي وصيانته واستثماره.

- ابتكار وإعداد استراتيجيات محكمة للتنمية الثقافية على المستوى الجهوي والمحلي قصد الرفع من المستوى الثقافي والفني.

- المساهمة في تنشيط أعمال الإبداع والبحث في مجالات الثقافة والفن والأدب.

- إعداد مشاريع القوانين والأنظمة المطبقة في المجالين الثقافي والفني، وكذا المهن المرتبطة بهما والسهر على تطبيقها.

- إقامة علاقة تعاون مع الهيئات والمؤسسات والجمعيات الثقافية والفنية داخل المغرب وخارجه.

- المساهمة باتصال مع الوزارات المعنية في حماية البيئة ولاسيما البيئة الثقافية.

- القيام بدراسات تعريفية واستطلاعية في الميدانين الثقافي والفني على المستوى المحلي والجهوي وإعداد البرامج المتعلقة بها.

- ومقتضى نفس المرسوم (في مادته الثالثة) تتكون الإدارة المركزية من : كتابة عامة ، ومفتشية عامة، ومديرية مركزية للتراث، ومديرية مركزية للتنمية الثقافية، ومديرية للكتاب والخزانات والمحفوظات، ومديرية مركزية للفنون، وقسم للموارد البشرية والشؤون العامة.

عركتهم التجريبية وبلغوا من أفق المعرفة درجة تدخلهم في عداد الباحثين. فليس في المغرب الصغير ولا الكبير بحاثون فقط، وليس في الثقافة تراث ينقب ويصان فحسب، بل فيها خلق وفيها فكر شاب ينظر إلى الأشياء نظرة جديدة...".

هذا الطموح في أن ترتفع المجلة عن محيط الغرب الإسلامي (الضيق) إلى الصعيد الانساني (الفسيح)، وإشراك المبدعين والفنانين الشباب لم يكتب له التحقيق إلا بكيفية جزئية ومحدودة إذ لم تلبث المجلة أن توقفت بعد صدور العدد التاسع سنة 1973.

وبعد نحو عشرين سنة عادت مجلة الثقافة المغربية إلى الصدور في سلسلة جديدة بحجم كبير (31 x 23 سم)

وشعار: مجلة ثقافية جامعة تصدرها وزارة الثقافة كل شهرين. صدر العدد الأول في ماي - يونيه 1991. ولأول

مرة أصبح لمجلة الثقافة المغربية هيئة تحرير من أساتذة جامعيين وصحافيين مقتدرين بينما كان المشرفون على

السلسلات القديمة موظفين إداريين يعملون في مصالح الوزارة الوصية. وتنوعت محاور الموضوعات في هذه المجلة

من دراسات وشعر وقصة وحوار وقضايا وآراء إلى تشكيل وعمارة وفنون شعبية وسينما وقرائن في كتب

ومتابعات. غير أن عمرها لم يكن أطول من سابقاتها فكان آخر عدد صدر منها هو السابع في ماي - يونيه 1992.

مجموعات المجلات المذكورة في صلب النص.

محمد حجي

الثقافة (وزارة -)، تسمى اليوم وزارة الشؤون

الثقافية. في إبان عهد الحماية وفي السنوات الأولى من عهد الاستقلال كانت شؤون الثقافة والفنون في المغرب

موزعة على وزارة التربية الوطنية ومن اختصاص إدارة الفنون الجميلة، وقطاع الشبيبة والرياضة الذي كان

يشرف على المسرح والجمعيات الثقافية والفنية والثقافة الشعبية. وغداة الاستقلال وضع محمد الخامس حماية

الثقافة الوطنية وتطويرها ضمن أولويات اهتمامه فخصص الثقافة الشعبية بمجلس أعلى بموجب ظهير 24 ذي القعدة

عام 1378 / 1 - 6 - 59.

وفي سنة 1968 عين محمد الفاسي وزيراً مكلفاً بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ؛ من ذلك الحين تعاقب على الشؤون الثقافية الوزراء السادة :

- محمد العسكري الذي عين وزيراً للثقافة والتعليم العالي والثانوي والأصلي وتكوين الأطر سنة 1971 وعهد

بالشؤون الثقافية إلى مديرية تابعة لوزارته.

- محمد المكي الناصري الذي عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة سنة 1972.

- الحاج محمد أبا حنيني الذي عين وزيراً للدولة مكلفاً بالشؤون الثقافية سنة 1974.

استعانت وزارة الشؤون الثقافية بلجان وهيآت استشارية عقدت سلسلة من الدورات، وهي التالية :

- اللجنة الوطنية للثقافة التي أحدثت بالمرسوم رقم 549. 74. 2 (1975)، عدل وتم بمرسوم آخر رقم 81.558. 2 (1982) اجتمعت أول لجنة وطنية للثقافة يوم الثلاثاء 27 شعبان 1401 يونيو 1581 برئاسة الحاج محمد أبا حنيني. المجلس الوطني للثقافة الذي انعقدت دورته تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، الرئاسة الفعلية لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد بالرباط يومي 24 و25 رجب 1413 / 18 و19 يناير 1993.

- المجلس الأعلى للثقافة والمجالس الجهوية للثقافة بالمرسوم رقم 94.288. 2 : الذي تنص مادته الثالثة من الجزء الأول على أن المجلس الأعلى والمجالس الجهوية "هيئة استشارية تهدف إلى مناقشة السياسة الثقافية ومحتواها، واقتراح التوجيهات والمواضيع ذات الأولوية للعمل الثقافي، كما سيكون عليه تحديد الوسائل التي يتعين تسخيرها من أجل تسيير الحياة الثقافية ولاسيما في الوسط القروي وتوطيد الروابط بين الإدارة المكلفة بالشؤون الثقافية ومختلف شركائها. وفي هذا الصدد يخول إلى المجلس (الأعلى والمجالس الجهوية) تقديم اقتراحات من شأنها تنمية الثقافة الوطنية وأشكال التعبير التي تقوي هويتها وتدعم أصالتها الخاصة، والمساهمة باقتراحات دقيقة وملثمة في إعداد اختيارات ذات أولوية في شأن السياسة الثقافية والهادفة إلى تقوية البنيات وتنشيط الإنتاج الثقافي، والإخبار بالتجارب الجديدة التي من شأنها تحسين فعالية العمل الحكومي في المجال الثقافي، وتنمية التشاور بين مختلف الأطراف المعنية ولاسيما الوزارات والجماعات المحلية والجمعيات والمؤسسات العمومية وشبه العمومية والخاصة...".

عقد هذا المجلس دورته تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني والرئاسة الفعلية لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد بالرباط يومي 16 و17 رجب 1415 / 19 و20 دجنبر 1994 وتوزعت أعماله على ست لجان :

- الاستراتيجية الثقافية

- واقع الثقافة وأفاقها

- الحفاظ على التراث

- تركيز الثقافة في جميع الجهات

- قضايا التكوين

- التدبير والتمويل

بالإضافة إلى هذه الهيآت الاستشارية أشرفت الوزارة على سلسلة من المناظرات والندوات الوطنية التي تحاورت حول القضايا الثقافية والفنية انطلاقاً من رسائل ملكية سامية تضمنت توجيهات عامة. نذكر من هذه المناظرات

والندوات على الخصوص :

- المناظرة الوطنية الأولى حول الثقافة المغربية بتارودانت أيام 13. 14. 15 يونيو سنة 1986.

- الملتقى الأول للكتاب وقضاياها في المغرب أيام 29. 30. 31 يناير سنة 1988 بمدينة العيون، والثاني بالدار البيضاء سنة 1990.

- المناظرة الوطنية الثانية حول الثقافة المغربية يوم 30 نوفمبر سنة 1990 بمدينة فاس.

- المناظرة الأولى حول المسرح الاحتفالي يوم 14 ماي سنة 1992 بمدينة الدار البيضاء.

- الندوة الوطنية حول مسرح الهواة يوم 17 نوفمبر سنة 1992 بمدينة الرباط.

- الثقافة واللامركزية بتطوان يومي 25 و26 ماي سنة 1993 (بتعاون مع وزارة الداخلية والإعلام).

- اليوم الدراسي حول المقاول والثقافة يوم 3 يوليوز سنة 1993.

- اليوم الدراسي حول الثقافة والسياحة يوم 29 يوليوز سنة 1993.

- مؤتمر المجمع العربي للموسيقى الذي احتضنه المغرب سنة 1994 بمدينة الرباط.

وتشرف الوزارة على مؤسسات ومراكز للدراسات والأبحاث والتكوين وفعاليات موسمية أهمها :

- المعهد العالي لعلوم الآثار

- المعهد الوطني للمسرح

- المعهد الوطني للرقص والموسيقى

- دار المناهل للطباعة والمسرح

- الصندوق الوطني للعمل الثقافي

- المعهد الوطني للفنون الجميلة

- جامعة الشريف الإدريسي المفتوحة بالحسيمة

- جامعة مولاي علي الشريف الخريفية بالرشيدية

- مركز الدراسات والأبحاث العلوية بالريصاني

- مركز الدراسات والأبحاث الأندلسية بشفشاون

- مركز الأبحاث والدراسات الغرناطية بوجدة

- مهرجان الأندلسيات بشفشاون

- مهرجان الأغنية المغربية

- مهرجان فنون الشاوية بسطات

- مهرجان ربيع المسرح العربي

- المعرض الدولي للكتاب بالدار البيضاء

- المعارض الجهوية للكتاب

- مساهمة المغرب في عديد من المعارض الدولية على الصعيد المغاربي والعربي والأوروبي.

- الأسابيع الثقافية المغربية في الخارج.

كما تشرف الوزارة أيضاً على عدد هام من المتاحف الأركيولوجية والإثنوغرافية وهي : متحف البطحاء بفاس

(أسس سنة 1915)، متحف الآثار بالرباط (أسس سنة 1920)، متحف دار الجامعي بمكناس (أسس سنة 1920)، متحف القصبه بطنجة (أسس سنة 1920)، متحف الأودية بالرباط (أسس سنة 1925)، متحف باب العقلة بتطوان (أسس سنة 1929)، متحف دار السي سعيد بمراكش (أسس سنة 1932)، متحف تطوان الأثري (أسس سنة 1939)، متحف البرج الشمالي بفاس (أسس سنة 1963)، المتحف الأركيولوجي بالعرش (أسس سنة 1979)، متحف سيدي محمد بالصورة (أسس سنة 1980)، المتحف الوطني للخزف بأسفي (أسس سنة 1990)، متحف الفن المعاصر بطنجة (أسس سنة 1990). وهناك مشاريع لإنشاء المتحف للفنون بالرباط، والمتحف الوطني للفنون الصحراوية، ومتحف قصر الفايضة بالريصاني، ومتحف موقع شالة بالرباط، والمتحف الجهوي بورزازات.

ومن المؤسسات الهامة التي تشرف عليها الوزارة في مجال الكتاب : الخزانة العامة بالرباط والخزانة العامة بتطوان بالإضافة إلى ست وتسعين مكتبة عامة وخزانة بلدية بمختلف أقاليم المملكة، ومركز للوثائق والمخطوطات بالرباط، ومركز وطني لترميم المخطوطات بالرباط (أسس سنة 1594)، وتقوم الوزارة حالياً بدراسات تقنية لإنشاء مكتبة وطنية بالرباط.

وفي ميدان الفنون التشكيلية تشرف الوزارة على قاعات للعروض في مختلف أنحاء المملكة نذكر منها في الرباط قاعة باب الرواح وقاعة الشراوي وقاعة الأودية وقاعة محمد الفاسي.

تصدر الوزارة سلسلة من المنشورات والدوريات في مجالات التراث والأدب والتاريخ والثقافة المغربية والفنون وآداب الأطفال، وتحتل مجلة الوزارة *الناهل* (ظهر منها لحد الآن 44 عدد) مكانة وطنية وعربية ودولية مرموقة، كما تصدر مسلسلاً معجم اللسان الدارج لكولان، ومعلمة الأعراف والعادات وروائع النصوص المسرحية المغربية.

للوزارة سياسة للجوائز لتشجيع الإنتاج والنشر، ويدخل في هذا الإطار منح جائزة سنوية للكتاب في مجالات الإبداع الأدبي، والنقد الأدبي والفني والعلوم الإنسانية والاجتماعية، والعلوم الدقيقة والتكنولوجيا، والترجمة، ومنح جائزة الاستحقاق منذ سنة 1987 لتكريم رجال الثقافة المغاربة الذين أكدوا حضورهم العلمي والإبداعي من خلال عطاءاتهم، ومنح جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق.

للوزارة اتفاقيات وطنية ودولية أهمها :

- بروتوكول للتنسيق والتعاون الثقافي والسياحي مع وزارة السياحة.

- اتفاقية للتعاون مع وزارة التربية الوطنية

- اتفاقية للتعاون مع وزارة الشبيبة والرياضة

- اتفاقية تعاون مع جمعية أنجاد.

- بروتوكول اتفاق مع القرض العقاري والفندقي.
- اتفاقية تعاون مع وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية.

- وقيد التوقيع اتفاقية تعاون مع مديرية الجماعات المحلية بوزارة الدولة في الداخلية.

أحدثت الوزارة مندوبيات إقليمية بمقتضى قرار وزاري رقم 546.87، وتمّ لحد الآن تعيين أكثر من ثلاثين مندوباً موزعين على مختلف أنحاء المغرب. مفيد أن يشار إلى أن وزارة الشؤون الثقافية لا تحظى في ميزانية الدولة إلا بنسبة ضئيلة منذ تأسيسها، على سبيل المثال لم تتجاوز هذه النسبة سنة 1995 : 0.19٪ ولواجهة ضعف الموارد المالية المخصصة للثقافة يُفكر في إحداث مجلس وطني للرعاية الثقافية (الميصينا). يبلغ عدد موظفي الوزارة وطنياً وجهوياً : حوالي ثلاثة آلاف موظف.

ظهير شريف بتاريخ 24 ذي القعدة 1378 / فاتح بونيه 1959 :
الجريدة الرسمية، عدد 4277. 13 جمادى الأولى 1415 / 19 أكتوبر 1994 : مرسوم رقم 222.94. 2 صادر في 13 من ذي الحجة 1414 / 24 ماي 1954 بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الشؤون الثقافية؛
مرسوم رقم 549.74. 2 بتاريخ 22 جمادى الثانية 1395 / 3 يوليوز 1975 : مرسوم رقم 558.81. 2 بتاريخ جمادى الأولى 1402 / 22 مارس 1982 : وثائق مركز التوثيق بمديرية الكتاب والخزانات والمحفوظات بالوزارة.

محمد مصطفى القباچ

الثلاثي، بحر من بحور القصيدة الزجلية، من أنواع "المنبّيت" ويتركب البيت الواحد منه من ثلاثة أشطار ويسميه أهل الملحون، "لَمَثَلْتُ" نحو قصيدة "مينة" لشيخ أشياخ مراكش الحاج محمد بن علي الملحوني : نَصْرُو مِينَةَ أَلْمَالِكِنِي مَن صَالَتْ بِأَلْبَهَا وَزَيْنَ * لَغَزَالَا لِلْأَمِينِ * مِينَةَ، مِينَةَ اضْيَاعِيَانِي سَوْدُ النَجْلَاتِ يَامِنَّةً. وكقول النجار ربيب الجيلالي امشيرد وشيخ أشياخ فاس :

ثَلَاثَ زَهْوَا وَأَمْرَا حَا * يَهْوَاهُمْ مَانَا سَاحِي
أَرْكُوبُ الْحَيْلِ وَالْبِنَاتِ كَيْسَانَ الرَّاحِ.

مرويات شفوية عن رجال الملحون (ب) ووثائق مؤتمر رجال الملحون المنظم بمراكش في ربيع سنة 1970 : م. الفاسي، معلمة الملحون، ج 1 : ع. الجراري، القصيدة : معجم مصطلحات الملحون.

عبد الرحمن الملحوني

ثلاثاء إداگوگمار ← تيزنيت (إقليم)

ثلاثاء أزلاف ← الناظور (إقليم)

ثلاثاء أسيفان ← شفشاون (إقليم)

ثلاثاء أولاد دليم ← مراكش (إقليم)

ثلاثاء أولاد الصغير ← سطات (إقليم)

ثلاثاء أولاد فارس ← سطات (إقليم)

ثلاثاء إيغود ← أسفي (إقليم)

ثلاثاء بني زرائل ← خريبكة (إقليم)

ثلاثاء تاسريرت ← تيزنيت (إقليم)

ثلاثاء تاغموت ← تاغموت

ثلاثاء الجبل ← الناظور (إقليم)

ثلاثاء جبل الحبيب ← تطوان (إقليم)

ثلاثاء الحنشان ← الصويرة (إقليم)

ثلاثاء الخصاص ← تيزنيت (إقليم)

ثلاثاء ريسانة ← تطوان (إقليم)

ثلاثاء سيدي بوگذره ← بوگذره (سيدي.)

ثلاثاء شكران ← خريبكة (إقليم)

ثلاثاء الكناديز ← خريبكة (إقليم)

ثلاثاء مزّم ← السراغنة (إقليم)

ثلاثاء الوطا ← الناظور (إقليم)

وعن جبال الأطلس المتوسط قالت المصادر إن كثرة الثلج المتساقط على الجبل تطرد سكانه إلى المناطق الدافئة، إلى السهول الأطلنטיكية (الاستبصار، 187) (الروض المعطار، 221) جبل درن (الأطلس الكبير) لا يقل برودة عن الأطلس المتوسط (جبل فازاز)، فالثلج في بعض قممه يدوم طول السنة لشدة ارتفاعها. ومع ذلك فالمصامدة يسكنون ولا يفادرون "... وفي الجبل من المصامدة أمم لا تحصى وأكثر عيشهم من العنب والزبيب والرّب وهم لا يستغنون عن شره لشدة برد الجبل وثلجه..." (الروض المعطار، 235) وحسب أوصاف المؤرخين الجغرافيين فإن جبل درن يشمل جزءاً كبيراً من الأطلس الكبير والأطلس الصغير، ولذلك كانت الأوصاف المقدمة في المصادر عن درن تشمل ما بيّناه، ويمكن أن نقول إن الجبال المغربية كانت المكان الطبيعي والعادي لتساقط الثلوج، إلا أن ما يلاحظ من استقرائنا لمصادر عديدة وعن فترات مختلفة، أن الثلوج كانت تتجاوز بكثير الأماكن التي تعرفها اليوم، أو بعبارة مناخية أن خط الثلج الدائم وغير الدائم كان أوسع مما هو عليه الآن (القرطاس، 409) (وصف إفريقيا، 1 : 90 - 108 وما بعدها) كما أن كمياته المتساقطة كانت كبيرة، أكبر مما هي عليه الآن. بل إن مناطق جبلية كانت تعرف عواصف ثلجية شبيهة بعواصف المناطق الباردة من الكرة الأرضية (وصف إفريقيا، 1 : 285) مما كان يعوق حركة التنقل بين شطري المغرب الذي تفصل بينهما جبال درن وفازاز وتحول دون التنقل ما بين ساحل البحر الرومي (المتوسط) والداخل، لأن الممرات القليلة الموجودة فيها تقع على ارتفاع كبير فتتراكم فوقها الثلوج وتعرض للعواصف، ذكر الحسن الوزان أحدها وسماه ممر بوريش وقال سمي بذلك لكثرة ثلوجه، ونفس الاسم أطلق على ممر آخر يربط ما بين الصحراء الشرقية والداخل خنك الغريان (الذي سمي الريش) لكثرة ثلجه. أكبر مثال على هذه العراقيل يقدمه لنا التشوف (ص. 89) فقد استغرقت عودة وفد من المصامدة ذهب لزيارة أحد الأولياء في رباط ماسة أزيد من ستة شهور (بسبب الأمطار والثلوج).

فتنقل القوافل التجارية من السودان وإليه كان مرتبطاً بزوال الثلج من الممرات الجبلية، أو على الأقل توقف تساقطه، ومع ذلك كانت العواصف الثلجية تفاجئ أحياناً هؤلاء المسافرين وغيرهم فتقبرهم تحت أكوامها ؛ والحسن الوزان نفسه شهد أهوال إحدى هذه العواصف (وصف إفريقيا، 1 : 285).

شكّلت الثلوج والأمطار التي تهاطلت على شمال المغرب وبالذات شمال جبال فازاز شتاء عام 537 / 41 - 1142 حركة الجيوش الموحدية والمرابطية أزيد من خمسة عشر يوماً عانى فيها الفريقان الكثير من الأهوال. كما أن الأنهار المنحدرة من هذه الجبال أو القريبة منها كانت عائقاً آخر في وجه التنقلات خاصة في فترة تساقط الأمطار والثلوج وذوبانها.

الثلج بالمغرب - تاريخ .. لم تهتم المصادر العربية بالثلج إلا عرضاً، وحتى التي تناولته بهذا الشكل قليلة. إلا أن ذلك لا يعني أن الثلج لم يكن بصفة ملحوظة في جهات المغرب، بل قد يعود صمت هذه المصادر (كتب التاريخ)، إلى اعتبار الظاهرة عادية لا تستحق الوقوف عندها، وهذا ما لاحظناه عند كتاب الحوليات الذين يختمون مؤلفاتهم عادة بجزء لأهم الأحداث التاريخية والطبيعية مرتبة حسب السنوات ويركزون في الأحداث الطبيعية على الظواهر غير العادية. كما كان اهتمام الجغرافيين العرب بالظاهرة مقتضياً، ويتميز عنهم الحسن الوزان في الجزء الأول من وصف إفريقيا، بتقديم شبه جرد للمناطق الدائمة الثلج والجبال الباردة التي تتلقى الثلوج خلال فترة معينة من السنة.

أول إشارات المصادر كانت عن جبال الريف، فقد جاء في رسالة موحدية رسمية وأسلوب بديع أن جبال الريف دائمة الثلج "... زاحم (جبل الكواكب من جبال الريف) بمنكبه وتناول بأنفه، فلمنكبه العمم الذي لا يفرع، ولأنفه الشمم الذي لا يقرع ولا يقعد ..." (رسائل موحدية مرقونة) هذه إشارة مباشرة. وأما الإشارات غير المباشرة التي تتحدث عن فيضان الأنهار بسبب ذوبان الثلج فترجع إلى أبعد من العهد الموحد، إلى بداية العصر الوسيط،

إلى جانب هذه العوائق فإن التساقطات الثلجية تعتبر خيراً وبركة. فالأنهار والينابيع والآبار تتزود منها كما أن أساس الحصب الفلاحي الذي تحدثت عنه المصادر وأعجب به البكري وابن حوقل في سجلماسة وتامدولت - وهي مدن واقعة على نهر زيز ودرعة - (المغرب، 163 : صورة الأرض، 91) كان سببه فيضان تلك الأنهار بفعل ذوبان الثلوج المتراكمة على جبل درن، وعدم سقوطها أو قلة الكميات المتساقطة منها يحكم على تلك المناطق بالقحط والمجاعة، ويرجع خراب المدينتين الكبيرتين إلى عدة عوامل أهمها الجفاف وقلة المياه في النهرين لقلة تساقط الثلج الذي عرفه المغرب دورياً ابتداءً من العهد المريني وأواخر العهد المريني.

فالثلج إذن تغيرت وتيرة تساقطه وإيقاعه الموسمي منذ العصر الوسيط الأذني والأوسط، بل إننا وجدنا - حسب المصادر - اختلافات ما بين فترة وأخرى بل وما بين سنة وأخرى. تتبع الحسن الوزان في وصف إفريقيا بدقة مناطق التساقطات الثلجية والمناطق الشديدة البرودة في الجبال المغربية فكانت في معظمها مطابقة لأوصاف من سبقه من الكتاب، لكن خط الثلج الذي نستخلصه من وصف إفريقيا قد تراجع اليوم كثيراً، وهو تراجع حصل بعد تذبذب عرفه خلال التاريخ الحديث والمعاصر، فمدينة فاس كان نزول الثلج بها أمراً عادياً في فترات من العصر الوسيط، يغطي سطوح المنازل لفترة طويلة حتى إن أصحاب الدور كانوا مزودين بمجارف (مدرات) لإزاحته من أعلى المنازل ومن الأزقة، بل إن صلاة الجمعة كانت لا تقام في المساجد في حالة نزول الثلج وتعذر زواله (المعيار، 1 : 163) إلا أنه في التاريخ المعاصر سجل الضعيف نزول الثلج باندهاش في مدينة فاس والرباط رغم أنه وصف طريق إزاحته من أعلى البيوت والأزقة بنفس الطريقة القديمة :

12 جمادى الثانية 1107 / 12 يناير 1695 نزل ثلج عظيم وألهى الناس عن معاشهم أياماً (تاريخ الضعيف (مرقون)، 1 : 145).

9 ربيع الثاني 1167 / 3 فبراير 1754 نزل في الرباط ثلج عظيم ما رآه قط ولا ذكره أحد من المُسنين. ونزل بفاس ثلج عظيم ودام من الغداة إلى الليل واستمر إلى الصباح والزوال وملاً السطوح بارتفاع ذراع، ثم انقطع لكنه بقي ينزل بالمرات.

هذا الاندهاش من الضعيف الرباطي لم يكن من قبل خاصة في العهد المريني الأول، إذ كانت المناطق المجاورة للجبال والهضبة الوسطى التي تقع فيها الرباط وسط مناطق تدخل ضمن خط الثلج العادي. وما يمكن استنتاجه من هذه الإشارات القليلة والمتفرقة في الزمان والمكان عن الثلج، ومن الجرد الذي قدمه لنا الوزان، أن خط الثلج والثلج الدائم عرف تمدداً وتقليصاً خلال العصر الوسيط والحديث والمعاصر، إلا أن الغالب عليه هو التراجع الأفقي

والعمودي الذي ازداد حدة منذ الستينيات من هذا القرن. أسباب هذا التراجع مدروسة علمياً اليوم لكنها في حاجة إلى دراسة تاريخية أعمق.

أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، 1911. 1965 : ابن حوقل، صورة الأرض، 1938 : أ. عزراوي، رسائل موحديّة جديدة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا قدمت لكلية الآداب بالرباط (مرقون) 1986 : مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، 1958 و1985 : التادلي ابن الزيات، التشوف، 1985 : ع. الحميري، الروض المعطار، 1957 : أ. الونشريسي، المعيار : ح. الوزان، وصف إفريقيا، 1980 : الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا قدمت لكلية الآداب بالرباط، 84 / 85 (مرقون).

محمد حجاج الطويل

الثلج - جغرافيا - التساقطات الثلجية

الثَّلَيجَة، (عام -) حدث مناخي استثنائي شهده المغرب سنة 1167 / 1754 ؛ إذ عرفت العدوتان سلا والرباط وفاس برداً قارساً مع هطول ثلج عظيم ليلة السبت 9 ربيع الثاني / 3 فبراير، لم تعرف مثله قط، واستمر التهطل إلى يوم الإثنين الموالي، وبلغ ارتفاع الثلج أكثر من ذراع. ولاستثنائية وقوع هذا الحدث المناخي، أطلق المغاربة على ذلك العام، اسم "عام الثلجة".

م. القادري، نشر المثاني، 4 : 98. 99 : م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، ص 156.

حسن أميلي

ثنية الأكلوي ← تيزي-ن-تلوات

ثَنِيَّة السَّاسِي، إحدى معالم الحدود بين المغرب والجزائر بموجب اتفاقية مغنية الموقعة بين المغرب وفرنسا سنة 1845. وهي عبارة عن منخفض طويل بين جبلين، مما أضفى عليها طابعاً مميّزاً إلى حد اعتبارها إحدى معالم الحدود بين البلدين، ويشكّل الموقع المذكور نهاية القسم الأول من الحدود المتفق عليها بين الطرفين. حيث كانت الاتفاقية المذكورة قد قسمت الحدود إلى ثلاثة أقسام، يمتد القسم الأول من مصب واد كيس في البحر المتوسط إلى ثَنِيَّة السَّاسِي الواقعة على بعد 150 كلم إلى الجنوب، وتميِّز هذا القسم من الحدود بتعيين معالمه بدقة نسبية.

علي السوسي السملالي، منتهى القول ومشتهى العقول، مخطوط. خ. ع رقم 633 الرباط : أحمد العماري، مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، رسالة جامعية كلية الآداب - الرباط 1981 : ع. ابن زيدان، إتحاف، ج 5 : الوثائق، مديرية الوثائق

عليها الأجناب عدة أسماء نذكر منها : جزيرة الاويسبو Isla del Obispo (جزيرة الأسقف) وجزيرة الكورال Isla del Coral (جزيرة المرجان) وجزيرة البيرجيل Isla del Perejil (جزيرة المعدنوس) وهذا الاسم الأخير هو الذي تبناه جميع الكتاب المغاربة وكان الجزيرة ليس لها اسم مغربي تعرف به من قديم الزمن إلى يومنا هذا وهو اسم مأخوذ ولاشك من اسم الثور الذي يوجد بالقرب منها .

والاخصاصيون في الأساطير اليونانية يؤكدون أن جزيرة ثورة هي الجزيرة التي أشار إليها هوميرو Homero في ملحمة أوديسيا Odisea وسماها بجزيرة أُوخِيخِيَا Ogigia حيث كانت توجد الملكة كاليبسو Calipso بنت ملك موريطانيا الملك أطلس Atlas، والملكة المذكورة هي التي حجرت البطل اليوناني أوليسيس Ulises بالجزيرة المذكورة.



رأس الثور

ولجزيرة ثورة تاريخ حافل بالأحداث يتنافى مع ما جاء بخصوصه في معلمة المدن والقبائل.

أ. البكري، المغرب، 105 ؛ ع. بنعبد الله، معلمة المدن والقبائل، 174.

Berard, *Les phéniciens et l'Odyssee*, Paris, 1902, t. I, p. 241, 302 ; A. Garcia Perez, *Isla del Perejil*, Madrid, 1906 ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 50 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 64
محمد ابن عزوز حكيم

ثورة الدباغين بفاس ← بنيس محمد بن المدني

ثورة الملك والشعب، هو الاسم الذي أطلق جلاله الملك الراحل محمد الخامس على ذكرى يوم 20 غشت 1953

الملكية - الرباط، العددان الأول والثاني 1976 ؛ عكاشة برحاب، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي.

La Martinière et Lacroix, *Documents*, T. I ; L. Voinot, *Oujda*.

عكاشة برحاب

ثور (بنو -)، فريق كبير من الصفاقة قبيلة بني حسن إقليم القنيطرة. موطنهم بالشمال الغربي من هذا الإقليم قرب لآيَطُو. وقدر عدد خيامه (أسره) في مطلع القرن العشرين بأزيد من ستمائة 600 خيمة. وبنو ثور اليوم قسمان، قسم يمثل الجزء الشمالي الغربي من جماعة الصفاقة، بينما يمثل القسم الثاني الجزء الشرقي من الصفاقة ويحمل اسم جماعة "القصبية".

نبغ من الثورين عدد من الولاة والأمناء والشخصيات المهمة في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الحالي، منهم من عرفوا بأسماء أخرى كآل بنخدة وآل ابن الشليخ، ومنهم من احتفظ باسم الثوري.

مصطفى بوشعراء

الثور (جبل -)، رأس يقع بشاطئ قبيلة أنجرة الموالي لبوغاز جبل طارق، ويعتبر جبل الثور بداية سلسلة جبال الريف. تقول الاسطورة اليونانية إن هذا الجبل هو الملك الموريطاني "أطلس" Atlas ابن نبتونو Neptune أو جوبيتر Jupiter وقد تحول إلى جبل وحكم عليه بأن يحمل الأرض على ظهره إلى الأبد.

ولاشك أن اسم مرسى الثورة الموالي لهذا الرأس وكذلك اسم جزيرة ثورة القريبة منه مأخوذ من اسم الرأس الذي حرفه الإسبان فأطلقوا عليه اسم رأس ثيريس Punta Cires.

أبو عبيد البكري، المغرب، 106.

Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos-historicos de Marruecos*, Madrid, 1913 (*La Odisea de Homero*) ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 50 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 64 ; Comision histórica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos : protectorados y posesiones de España en Africa*, Madrid, 1936.

ثورة أو طورة (جزيرة -) تقع جزيرة ثورة بمياه بوغاز جبل طارق على الشاطئ المغربي بعيدة بثلاثمائة متر من ساحل قبيلة أنجرة شرقي رأس الثور ؛ وتقدر مساحتها بسبعين ألف متر مربع وعلوها فوق سطح البحر يصل إلى أربعة وسبعين متراً.

وقد ذكرها البكري (ص. 105) باسم ثورة وثورة، وقال إن الجغرافي محمد بن يوسف سماها "المبخة"، في حين أنها تعرف اليوم عند سكان القبيلة بجزيرة "الطورة" وقد أطلق

وهو التاريخ الذي خلعت فيه السلطات الفرنسية جلالته وفتته إلى جزيرتي كورسيكا أولاً ومدغشقر ثانياً. فلما عاد من منفاه وتبوأ العرش من جديد أعلن في الذكرى الثالثة لهذا الحدث يوم 20 غشت 1956 : "ها نحن نستقبل هذه الذكرى التي أطلقنا عليها اسم ثورة الملك والشعب والتي تقرر إحيائها كل سنة". وفعلاً لم ينقطع الاحتفال بها منذ ذلك الوقت حتى الآن. وهي مناسبة للتذكير بالنضال الذي خاضه العرش والشعب في سبيل الاستقلال والتنبيه إلى ما ينبغي القيام به للدفاع عن حوزة الوطن والتهوض به. وبهذه المناسبة يلقي العاهل المغربي خطاباً في موضوع من مواضيع الساعة.

لنذكر باختصار وقائع حادث 20 غشت 1953 في الأزمة التي شهدتها العلاقات المغربية - الفرنسية منذ المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944، وامتناع فرنسا بإصرار من تلبية هذا المطلب. اشتد النزاع بين جلالة محمد الخامس والحركة الوطنية من جهة، وسلطات الحماية المدعومة من الحكومة الفرنسية من جهة أخرى. واستفحلت الأزمة بالخصوص في عهد المقيمين العمامين المرشال جوان وخلفه الجنرال جيوم إلى أن أفضت إلى قمع الحركة الاستقلالية واعتقال ونفي قادتها ومصادرة جميع الحريات العامة يوم 8 ديسمبر 1952 تمهيداً لخلع جلالة محمد الخامس.

حاولت سلطات الحماية بعد ذلك أن تُرهب العاهل المغربي لتثنيه عن موقفه من المطالبة باستقلال بلاده. فما أفلحت بالرغم عن جميع أنواع التهديد والوعيد. فقررت - بعد الحصول على تصديق الحكومة الفرنسية - أن تخلع محمد الخامس.

في 20 غشت 1953 طوقت القوات الفرنسية كل الأحياء المحيطة بالقصر الملكي وأقفلت الأبواب وقطعت الطرق المؤدية إليه، كما وضعت المطار العسكري بسلا في حالة تأهب. وفي الساعة الثانية بعد الزوال توجه الجنرال جيوم مقيم فرنسا العام إلى القصر الملكي تحيط به جماعة من كبار الموظفين الفرنسيين يتقدمهم مدير الأمن الفرنسي بعد ما طلب مقابلة مستعجلة من محمد الخامس. خرج العاهل بلباس خفيف لمقابله محاطاً بنجليه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي عبد الله. لم يؤد الجنرال جيوم التحية المعتادة لرمز السيادة المغربية، وإنما وجه له الخطاب في نبرة متجهمة ووجه عبوس طالباً منه أن يتنازل عن سلطاته للصدر الأعظم. فرفض محمد الخامس عرض فرنسا. فما كان من هذا الأخير إلا أن أوماً برأسه لمدير الأمن فتقدم ووضع يده على كتف العاهل. ثم أشار الجنرال جيوم إلى ضابط من ضباط حرسه فجذب محمد الخامس وجذب ابنه من ورائه شاهراً رشاشة في ظهرهما. ولم يسمح الجنرال جيوم للعاهل ونجليه بتوديع أهل بيوتهم وساقهم ضباط الدرك تحت تهديد المسدسات والرشاشات. أقلتهم سيارة عسكرية مغطاة إلى

المطار العسكري حيث وُضعوا في طائرة صغيرة كانت تنتظرهم، وحطت بهم في مطار أجاكسيو بجزيرة كورسيكا. واختارت الحكومة الفرنسية قرية زونزا مقراً لنفيهم.

خلعت السلطات الفرنسية محمداً الخامس ونصبت مكانه دمية لها اسمه ابن عرفة بتأمر مع جماعة من كبار المتأمرين أمثال باشا مراکش الحاج التهامي الأكلوي وأحد كبار العلماء عبد الحي الكتاني. وأراد أصحاب هذه المؤامرة أن تكون قضاء مبرماً على كل أمل في حرية المغرب واستقلاله، فكانت بداية معلمة بطولية أدى أوارها محمد الخامس وشعبه وعُرفت بثورة الملك الشعب.

في نفس اليوم الذي خُلع فيه محمد الخامس - 20 غشت 1953 - وجه الزعيم علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال نداءً من إذاعة القاهرة ندد فيه بالمؤامرة ضد المشروعية المتمثلة في العاهل المخلوع معلناً : "إن الملك الشرعي كان وسيظل هو محمداً الخامس" وأهاب بالشعب في الختام "أن يواصل كفاحه من أجل استقلال البلاد وأن يبذل كل ما يستطيع للذب عن كرامة ملكنا الشرعي وإعادته إلى عرشه عالي الرأس موفور الكرامة". كما أكد الزعيم باسم الشعب المغربي "إننا لن نتقهقر عن موقفنا أو نعيد عن خطتنا إلى أن نحقق آمال الأمة في الحرية والاستقلال".

لقد مُس الشعب المغربي بإبعاد محمد الخامس رمز السيادة الوطنية في شرفه وأقدس ما يملك. فانتفض للثأر والدفاع. "في نفس اليوم الذي خلع فيه محمد الخامس انتظمت جماعة لمدينة القنيطرة تتألف من ثلاثة أشخاص وصمموا على الكفاح بالوسائل المباشرة. وسرعان ما انتشر "الارهاب" ضارباً لا الأشخاص وحدهم بل الممتلكات بتحطيم العمارات وإحراق المحاصيل الزراعية كذلك" على حد قول أحد المؤرخين. وقد انتشر العنف في كثير من الجهات، في المدن وفي القرى، وحفقت الصحف الاستعمارية بالتقارير والتعليقات عن تلك الأحداث.

بعد ثلاثة أسابيع من خلع محمد الخامس، وقعت أول عملية فدائية ضد ابن عرفة "رمز الخيانة" حين خرج يوم الجمعة 11 شتنبر وسط الهيئة المخزنية وتحت حراسة مشددة لأداء صلاة الجمعة في مسجد "المشور" بالساحة المجاورة للقصر الملكي بالرباط. كانت أول مرة يبدو فيها ابن عرفة لعموم السكان. اقترب الموكب الرسمي من المسجد، حين اخترق رجل الصفوف في سيارة قديمة وصدّم فرس الدعي ابن عرفة الذي سقط على الأرض، فهوى عليه الرجل بسكين يريد قتله لولا أن الضابط الفرنسي المكلف بحراسة ابن عرفة أطلق النار على الفدائي فأرداه قتيلاً. كان هذا الرجل واسمه علال بن عبد الله أول شهيد آذن بتفجير الثورة العارمة التي استمرت مدة سنتين "ولم تهدأ حتى رجع محمد الخامس".

وقع تخريب خط السكة الحديدية الدار البيضاء - الجزائر

مرتين قتل أثناءهما وجرح العشرات. أُلقيت القنابل في الرباط على موظفي الإقامة العامة. صرع الكثير من أعوان الباشا الأگلاوي. بمناسبة رأس السنة الميلادية سنة 1953. وضعت قنبلة في السوق المركزي بالدار البيضاء أسفرت عن عشرين قتيلاً وعشرات الجرحى. وبالرغم من اعتقال المآت وصدور الأحكام بالإعدام والأشغال الشاقة مدى الحياة أو لفترات طويلة، لم تهدأ عمليات الفداء.

في 20 فبراير 1954 ألقى الفدائيون بمراكش على التهامي الأگلاوي قنبلة أخطأته وأصابته مقتتل بعض حراسه. وفي يوم 5 مارس قام ابن عرفة بزيارة رسمية لمراكش واستقبل بحفاوة بالغة من لدن المقيم العام الجنرال گیوم والباشا الأگلاوي. وفي المسجد الذي ذهب لأداء صلاة الجمعة فيه أُلقيت قنبلة على ابن عرفة أصابته بجروح في وجهه. وفي أبريل من نفس السنة قُتل فدائي الدكتور إيرو مدير جديدة "لافيجي ماروكان" وأحد الاستعماريين المتطرفين. لكن أكبر عملية فدائية قامت بها جماعة في مراكش بمناسبة زيارة وداع المقيم العام الجنرال گیوم في 24 مايو 1954 أُلقيت قنبلة على الموكب الرسمي مستهدفة بذلك رأس المؤامرة ورمز الجيش الفرنسي.

هذه أمثلة فقط عن الأعمال الفدائية التي فجرتها ثورة الملك والشعب والتي لم تتع بعد فرصة تسجيلها تسجيلاً دقيقاً محكماً هي والامتحانات العسيرة والاستشهادات الرائعة التي استهدف لها مئات، بل آلاف الفدائيين من المقاومين وجيش التحرير بعد ذلك. فمسحوا العار، وأسهموا بأوفى نصيب مع التضحية الكبرى التي أقدم عليها جلاله محمد الخامس وأسرته ومن حوله الحركة الوطنية في إعادة المشروعية بروجع العاهل الكريم ومعه الحرية والاستقلال.

قد يطول ذكر جميع الفدائيين الذين استرخصوا أرواحهم أو استسلوا وضحو بسنوات عديدة من أعمارهم دفاعاً عن المشروعية والاستقلال. فلنقتصر على بعض الأعلام البارزين منهم : علال بن عبد الله، محمد الزرقطوني، أحمد الراشدي، حمان الفطواكي، محمد السلاوي، عباس المسعدي، إبراهيم الروداني، الحسن بن حموش الزكرتي، محمد الحنصالي، الحاج عمرو الريفي، فاطمة الزهراء، عبد الله الشفشاوني وغيرهم كثير ممن لا يتسع المقام لذكرهم جميعاً.

ذكرنا أن جلاله محمد الخامس قرر بعد عودته من المنفى إحياء ذكرى 20 غشت كل سنة. ولم ينقطع الاحتفال بهذه السنة إلى اليوم حيث يلقي العاهل بهذه المناسبة خطاباً في موضوع من مواضيع الساعة. لقد ذكر محمد الخامس في الخطاب التي ألقاها بهذه المناسبة قبل وفاته : "إن يوم 20 غشت الذي أريد أن يكون نهاية كنفاح كان يوم يقظة وانتباه". وقال أيضاً : "لكن كانت ثورة 20 غشت لتعطيم سيطرة الأجنبي، فمعركة اليوم للمحافظة على ما جنيناه

وتربية الجماهير تربية سياسية قومية ولاستئصال آثار التفرقة والتخاذل والتباغض" وفي ذكرى أخرى قال جلاله المرحوم : "علينا أن نتذكر ما لقينا من شدة، وقاسينا من بلاء لنواصل العمل ونضاعف الجهود لبناء استقلالنا والمحافظة على حريتنا".

وقد سار جلاله الحسن الثاني على سنن والده، فركز في بداية عهده على عدة قضايا وقتية بمناسبة ذكريات 20 غشت. من جملةها الجلاء وتوحيد البلاد، وتحديد الاختيارات في الميادين العامة، واسترجاع أراضي الاستعمار وتنظيم الحكم على أساس ملكية دستورية. وفي ذكرى 1969 نبه إلى وجوب الاهتمام بالمشاكل الوطنية الكبرى لاسيما القوات المسلحة والسيادة الخارجية وعدم النظر إليها بنظرة ضيقة بل بشمولية تتسع إلى القرن الحادي والعشرين.

أكد العاهل بمناسبة الانتخابات التشريعية في خطاب غشت 1970 على الحرية ومفاهيمها وقيمتها الخلقية وأوصى الشعب بقوله : "أنت مقبل على الانتخابات. فاستفت قلبك وضميرك. كل واحد إذا انتخب فسيقوم بواجب وطني وواجب تفرضه عليه المواطنة". وحين وقعت أحداث الصخيرات والاعتداء على الطائرة الملكية استخلص جلاله الحسن الثاني النتائج وندد بالانشقاق في صفوف المؤسسات الوطنية.

في غشت 1975 حين صح عزم جلاله الملك على تحرير الصحراء وقبيل المسيرة الخضراء، ذكر في خطابه بتلك المناسبة : "صرحت أمام الملا أجمع وأمام الضمير العالمي : نحن نريد تحرير صحرائنا بالوسائل السلمية وبالطرق القانونية. إن الحرب هي المعركة الأخيرة التي يمكن أن يركبها الإنسان إذا فشلت المعارك الدبلوماسية كلها". وفي 1981 حين قرر جلاله الملك لاستفتاء في الصحراء قال في خطابه : "سنقوم باستفتاء ولكن في ذهننا هذا الاستفتاء هو استفتاء تأكيد". كما عاد جلالته إلى الموضوع مرات عديدة في مناسبات 20 غشت مؤكداً على وجوب وضع حد لحرافة البوليساريو والجمهورية الصحراوية.

هذا، وقد تطرق جلاله الحسن الثاني بمناسبة ذكريات ثورة الملك والشعب إلى قضايا وطنية عامة في الاقتصاد والاجتماع وخاصة التعليم. وفي الذكرى الأخيرة تعرض جلالته إلى الحكم معلناً أنه سيختار رئيس الحكومة في نهاية سنة 1994 من المعارضة وأكد ذلك في افتتاح السنة التشريعية الثانية بمجلس النواب إذ أعلن جلالته أنه سيُعين الوزير الأول من صفوف المعارضة تدشيناً لمبدأ التناوب، ولأحزاب المعارضة أن تتحالف مع من تشاء من الأحزاب الأخرى في البرلمان لضمان أغلبية قارة.

هذه عجلة عن "ثورة الملك والشعب". والأمل أن يتوفر الباحثون على تحرير قصة تلك الملحمة الرائعة التي قام بها ملك بطل وشعب أبي حتى حقق الحرية والاستقلال.

الخطب الملكية السامية بمناسبة ذكرى 20 غشت المجيدة، الذكرى الأربعون لثورة الملك والشعب (1953 - 1993)، (نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير) : الحسن العراشي، انطلاق المقاومة المغربية وتطورها، الرباط، 1982 : قاسم الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، الرباط.

S. Bernard, *Le conflit franco-marocain, 1943 - 1956* : C-A Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415 - 1956*, Paris, 1978.

قاسم الزهيري

بنفسنا، ولا نتكل فيها على أحد غيرنا ... وأما ما جاد عليّ به مولانا وأنعم علينا به من العلو في الرتبة والزيادة فيها لا يقاس فضل مولانا ولا يخفى حسبما برسالته إلى السلطان سنة 1302 / 1885 لما أصبح قائداً وحيداً للصفافعة. واستمر في منصبه إلى وفاته سنة 1310 / 1893. ولما أُحصي متروكه وجد فيه 4.000 ريال و6 من الخيل، بحيث لم يتجاوز جميع ثروته 7.807 ريالات.

الثوري، محمد بن عبد الكبير بن أحمد ولي بعد وفاة أبيه مباشرة، واستمر عاملاً نحو السنتين حتى أمر المخزن بتثقيف أملاكه التي كانت بحوزته ومنها داران. ولاشك أن عزله ووضع الحجر على أمواله كانا بسبب شططه، إذ نسب إليه تسلطه على أمة على وجه الظلم والتعدي سنة 1312 / 1895. ولم يلبث أن مات في السنة الموالية.

م. بوشعرا، "علاقة المخزن بأحوال سلا"، قبيلة بني حُسن، 1860. 1912، ص. 99. 107. 113. 114. 115. 117 : التعريف ببني سعيد، ج 2 ص. 170.

مصطفى بوشعرا

الثوري، بوشعيب بن الجليلي بن قاسم من بني ثور الحسنيين. كان سنة 1311 / 1894 ضمن قواد الصفافعة متولياً على فخذات المكاثرة والشراوطة وبني گمرة والغرايين وسواهم. والمظنون أنه عزل بعد ذلك إلى أن كانت سنة 1326 / 1908 فعين قائداً على الدواغر أيضاً ثم على العباددة. ومكث كذلك إلى سنة 1330 / 1911. ولما عين قائداً على العباددة الذين كان لهم قائدهم منذ سنة 1322 / 1105 وهو الجليلي بن الحسن العبادي الملقب بوخريص، كتب بوشعيب إلى السلطان أن خصمه الجليلي المذكور وصل إلى السلطة بطريقة غير مشروعة على يد الفرنسيين.

الثوري، عبد الكبير بن أحمد أكبر وأشهر عمال الصفافعة خلال العهد الحسني. ولي على بني ثور حوالي سنة 1295 / 1878، وامتدت ولايته على كافة الفرقة. وقد أصبح ذلك ميسراً له لما عزل القائد الرازي بن الطاهر بن الرازي الخدلاوي الداغري للمرة الثانية سنة 1296 / 1879، وتوفي الحاج يحيى الحنونني قائد أولاد حنون سنة 1302 / 1885 وسجن قائد العباددة مسعود بن عبد الرحمان العبادي سنة 1297 / 1880 حتى توفي هو وولده حمو بحبس سلا سنة 1301 / 1884، وسجن قائد أولاد عبد الله والرسوم عبد السلام بن تَهوم العبدلاوي سنة 1302 / 1885. وهكذا أصبح عبد الكبير قائداً على جميع الصفافعة.

وكان حازماً ضابطاً ناصحاً قوي الشكيمة، فكان السلطان مولاي الحسن يعهد إليه بمهمات كبيرة مثل شد عضد عمال بني حسن على إخوانهم أو نصرتهم على عدوان جيرانهم زمور.

ومع أن سيرته كانت محمودة فقد سعى به بعض الأمناء الذين عينهم السلطان بالقبائل لإطلاعه على ما يجري ذاكرين أنه أهمل وظيفته بغيابه عن إيالته. فكتب إلى السلطان مبينا سبب ذهابه إلى سلا لصلة الرحم مع ولد له يقرأ بأحد كتاتيب المدينة، وعودته إلى بني ثور بعد ثلاثة أيام فقط.

وكانت له مكانة رفيعة عند السلطان لأنه كان مباشر أعماله بنفسه : "والعز كل العز بمباشرتنا لأمر المخزانية

الثوم، بالعربية وتيسرُت أو تيسكرت بالأمازيغية، نبات يسمى علمياً أَلْيُوم سَاتِيثُومُ Allium Sativum وهو من نفس جنس وفصيلة البصل وهي الزنبقيات : Liliaceae.

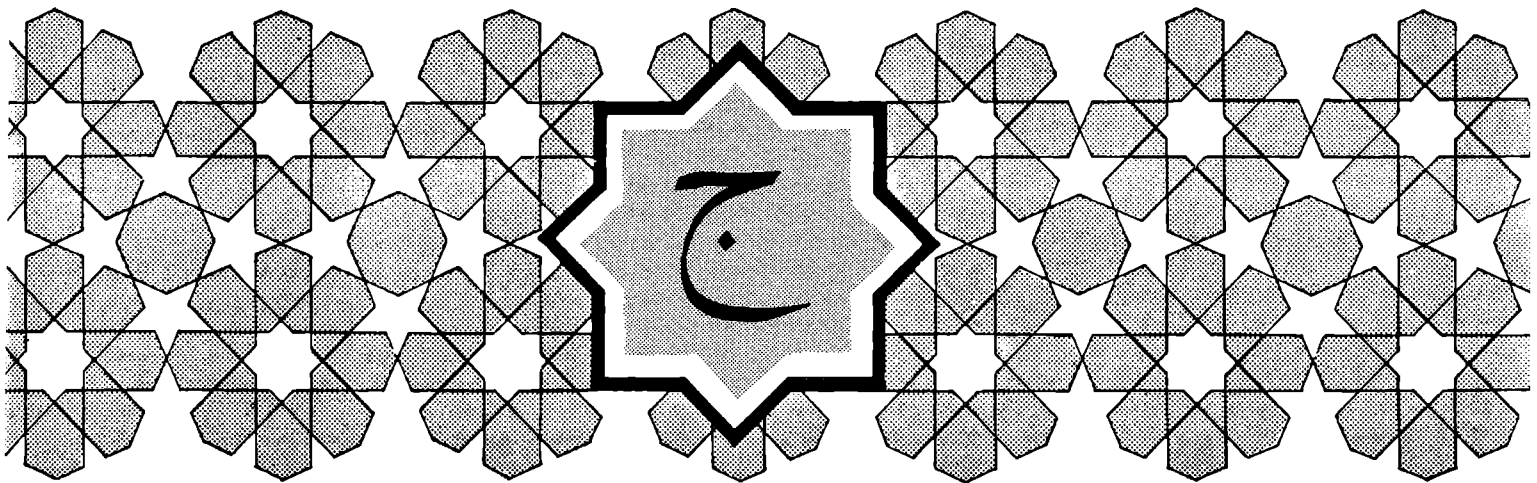
الثوم نبات من وحيدات الفلقة، معمر بصلته التي تحتوي على فصوص بيضوية أو هلالية الشكل ومغطاة بغشاء أبيض. أوراقه مبطنة ضيقة، وأزهاره ذات لون أبيض ومجمعة على رؤس يكون مغطى بغشاء قبل تفتح النورات.

يُزرع الثوم بالمغرب في الأراضي السقوية والبورية من المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة، وينتج درنات وفصوصاً عرفت منذ القدم، وخاصة في تنبيل الأطعمة المطبوخة أو الطازجة مثل السلطات.

يستهلك الثوم كثيراً بالمغرب، وخاصة في المناطق الساحلية، ويدخر في باقات معلقة تحفظه لمدة طويلة، وللثوم أهمية غذائية وطبية معروفة في الطب التقليدي والعصري، نظراً لكونه يحتوي على مواد مطهرة ومضادة للبكتيريا.

ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، تر. عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962 : دراسة ميدانية.

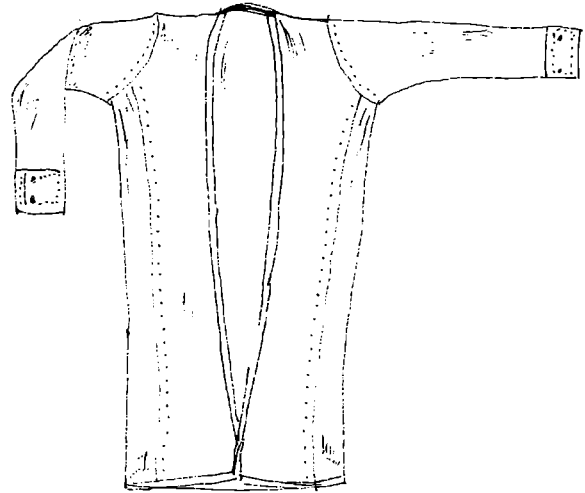
عبد الملك بنعبيد



الجَابَاضُول - بالضاد واللام وليس بالذال والراء كما شاع بين الناس - رداء خارجي حضري يوضع فوق الملابس الداخلية عند رغبة الرجل في التزين أو الخروج من منزله لقضاء مآربه الخاصة. وهو شبيه بالجلباب لكنه يختلف عنه في أنه مفتوح من الأمام ولاقُبُّ له وتنتهي أكمامه وحواشيه كلها بالسيففة والأشرطة المظفورة.

نقل رداء الجبابضول إلى المغرب من الشرق مع الأتراك العثمانيين حين بسطوا نفوذهم على معظم بلاد المشرق وشمال إفريقيا. وإن لم يتمكن الأتراك من إدراج المغرب ضمن المناطق التي كانوا يحكمونها، فإن تأثيرهم لم توقفه الحدود بين الجزائر والمغرب ابتداء من القرن العاشر (16م)، خاصة على مستوى الغذاء واللباس وبعض العادات الاجتماعية الأخرى، لاسيما في الحواضر وعند الأوساط الاجتماعية العليا حيث كانت عادات السلوك في أمور الحياة لدى الأتراك نموذجاً يقتدى به ويقتبس منه.

كان الجبابضول يلبس في تركيا كرداء خارجي فوق الملابس. استعمل في بادئ الأمر للحفاظ على دفء الجسم في المناطق الباردة من تركيا من جبال الأناضول، ثم تطور شكله وارتقى، وأصبح لباساً خارجياً يرتديه معظم سكان تركيا في جميع المناطق والفصول والمناسبات. لقد كان هذا



الجبابضول

الرداء بتعبير آخر جلابب الأتراك ثم انتشر استعماله في سائر أرجاء المشرق والمغرب كما وقع للقفطان نفسه، فانتقل من بلاد فارس إلى باقي بلدان المشرق والمغرب على يد الأتراك أيضاً.

تتكون لفظة الجبابضول في الأصل من كلمتين عربيتين هما جلابب الأناضول أدغمت الأولى في الثانية ثم خفف نطقها. حرف السواد الأعظم من الناس هذه الكلمة، مسلمين ويهوداً على السواء، من جبابضول إلى جبابضولي ثم زابادول وزابادولي وجابادور.

مازال عدد من الناس يطلقون اسم الجبابضول خطأ على كسوة المحصور التي كانت تتألف من أربع قطع يوضع الجبابضول فوقها، فسامها العامة باسمه على التغليب. وكان الكثير من أهل الحواضر المغربية يسمي كسوة المحصور بالكسوة الرباعية لأنها تتكون من أربع قطع. وإذا أضيفت إليها قطعة خامسة هي رداء الجبابضول تكون عادة من نفس لون القطع الأخرى، دعوها الكسوة الخماسية أو الخماسية مجردة لأنها تتكون من خمس قطع هي السراويل الفضفاضة وبدعيتان (صدرتان)، واحدة سفلى وثانية عليا، ومعطف لا يتعدى الخصر يسمى المنتال أو الكبوط ثم الجبابضول وهو الرداء الخارجي.

وكانت الكسوة الخماسية هي اللباس المفضل بالنسبة للتجار والحرفيين المسورين ورؤساء البحر والعديد من الطلبة والفقهاء في عدة مدن مغربية. وكان يوصف من يرتديها بالأناقة والذوق الدقيق. لكن ارتداء الجبابضول فوق القطع الأربع المذكورة بدأ يختفي بالتدريج منذ أواخر القرن الثالث عشر (19م) فظلت الكسوة الرباعية وحدها تحافظ على الاستمرار. إلا أنه في الوقت الذي تراجع فيه الجبابضول حل محله الجلابب القديم وخاصة عند المغاربة المسلمين. أما المغاربة اليهود فظلوا يحافظون على ارتدائه لمدة طويلة تحت نفس الاسم أو باسم اليلكة. ومازال الجبابضول يشاهد دالا على ماض تليد في الزي الرسمي الذي تلبسه فرقة الخمسة والخمسين الموسيقية النحاسية التابعة للحرس الملكي حتى اليوم، لكنه يتحول بشكل واضح إلى قطعة متحفية.

P. Jacquet, *Au Maroc de notre jeunesse*, Montpellier.

1987 ; A. Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1912 - 1956*, Paris, 1977 ; J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, rééd., Rabat, 1988 ; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, Paris, 1885 ; O. Lenz : *Tinbouctou : Voyage au Maroc et au Soudan*, Paris, 1886 ; R. Letourneau, *Fès avant le Protectorat*, Casablanca, 1949 ; S. Benkhalifa, *Le costume dans la tradition*, *Echanges*, n° 3, vol. 1, 1979.

محمد بوسلام

جابر، بيت قديم بفاس، لم يتحقق صاحب جنى زهر الآس هل هم بربر من أيت جابر من بني سادَن، أم عرب من بني جابر من جذام القحطانيين، والنسبة إليه "جابر". ولم يبق منهم بفاس في وقت تأليف الكتاب - منتصف القرن الرابع عشر (20 م) - سوى علال بن محمد بن الحاج عبد النبي جابر، وابن عمه إدريس بن محمد بن الحاج التاودي جابر، وكلاهما مؤذنٌ بضريح المولى إدريس، ولكل منهما أولاد ذكر المؤلف أسماءهم.

ابن جابر، محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني النجار، المكناسي الدار، لأتمدنا المصادر التي بين أيدينا بتاريخ ولادته. يذكره ابن غازي في جملة شيوخه قائلاً : "ومنهم الأستاذ المقرئ الشاعر المجيد المحسن شيخ شيوخنا أبو عبد الله محمد ... ابن جابر ذو التصانيف الحسان، والقصائد العجيبة ..."

عاش ابن جابر في العصر المريني، وتوفي في عهد آخر ملوك هذه الأسرة أي عبد الحق بن أبي سعيد عثمان المريني (824 - 869) : وعاصر فطاحل علماء المغرب والأندلس وأدبائهما، أمثال لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون.

نال ابن جابر من التعليم والعلم ما كان يناله طالب مغربي مجد في هذه الفترة من التاريخ، فقد حفظ القرآن الكريم وقرأه بروايات القراء السبعة، ودرس العلوم المختلفة الراجحة في عصره. وأسهم في تكوينه وتربيته جم غفير من أساتذته الذين ذكر بعضهم في كتبه، معترفاً بفضلهم، ومشيداً بكفاءتهم العلمية ومنهم : الإمام محمد بن علي المصمودي المراكشي الشهير بابن عليوات. ومحمد بن علي الذكواني الأندلسي. وأبو القاسم بن داود السلوي، وعبد الله بن الحسن اللخمي المعروف بابن الأصفر. والعالم العددي الفرضي علي بن يوسف التلاجدوتي المعروف بسبيدي علي بن يشو، وهو من شيوخ مكناسة المرموقين. والقاضي محمد بن قاضي الجماعة أحمد الغمّاز، فقد أخذ عنه صحيح البخاري بسنده المتصل بالإمام مؤلفه، وأحمد ابن محمد المصمودي الماجري التلمساني الذي روى بالمدينة المنورة عن الإمام جمال الدين الكازروني، وأحمد بن يحيى ابن عبد المنان.

ومن تلاميذ ابن جابر الغساني ابنه محمد الذي يصفه

ابن غازي بالشيخ المعمر، ويروي عنه بعض ما يتعلق بوالده، ويحلّيه في كتابه *الروض الهمتون* قائلاً : شيخنا الزكي الواعية، أبو عبد الله ابن الشيخ الاستاذ الحافظ، استفدت منه كثيراً. ومن أعبط ما أخذت منه المساندة المروية عن طريق أبي العباس الخضر. ومحمد بن قاسم القوري اللخمي المكناسي (804 . 872)، أستاذ ابن غازي والشيخ عبد الله الزموري شارح كتاب الشفا للقاضي عياض. وعلي بن محمد الزقاق التجيبي خطيب جامع الأندلس بفاس وناظم المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، أي مذهب الإمام مالك. والمتي وخطيب القرويين أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي. ومحمد بن عبد العزيز - المعروف بالحاج عزوز - الصنهاجي المكناسي الذي يصفه مؤلف *الروض الهمتون* بالشيخ الذكي المتفنن الحجّة.

ومن شعره :

نظرتُ إلى الوجود بعين قلبي فلم أر فيه غير الله وخدّة
فكن بالله، وارحُ الله، واعملْ لِقِيَا الله، تَأْمَنُ كُلُّ شِدَّةٍ
لابن جابر مؤلفات يعتبر بعضها مفقوداً أو شبه

مفقود : وهذه أهمها :

تأليف في رسم القرآن الكريم ؛ وشرح التلمسانية في الفرائض، ومؤلفها هو التلمساني أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني الغرناطي المالقي السبتي (609 . 690 هـ) وقد وصف لسان الدين ابن الخطيب هذه المنظومة "بالشهيرة في الفرائض، وأنها لم يصنّف في فنّها أحسن منها"، وتسميتُ البردة للإمام البوصيري ؛ ونظم رجال الحلية للأصبهاني ؛ وتقييد إصلاحات على مورد الظمان للشريشي. ونزهة الناظر في التعريف ببلده مكناسة الزيتون ؛ ومنية العابر وهي أرجوزة في تفسير الرؤى. تحتوي على ثمانية وعشرين وخمسة آلاف بيت.

م. ابن جابر، منية العابر، تح. ع. العمراني ؛ ل. ابن الخطيب، الإحاطة، مجلد أول، تح. ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، جزء 3 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهمتون* (طبعة فاس الحجرية) ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*. الترجمة رقم 1 : 289، 290.

عبد الله العمراني

بنو جابر ← جشم

الجابري، أسرة فاسية عريقة من عرب جذام القحطانيين، "كان منهم بفاس العبدول والأخبار والصالحون" منهم محمد بن أحمد الجابري الذي كان منتصباً للشهادة بسماط العبدول عام 1114، وابن عمه الفقيه العدل محمد بن محمد الجابري عام 1130، وبقيا على العدالة إلى وفاتهما. وذكر مؤلف جنى زهر الآس بعد ذلك أن أولاد الجابري مازالوا بفاس حتى ذلك الوقت (منتصف القرن الرابع عشر (20 م) وعدّ جملة وافرة منهم.

الجابري، أحمد حمدون بن عثمان الفاسي، كان صالحاً بهلولاً متجرداً ملامتياً لا يُعرف له شيخ ويدعى "عَيْشَه اختي". يذكر الناس له كرامات كثيرة ويعتقدونه ويجلونه. وكان ينتقد سلوك قومه على طريقة البهاليل : حضر يوم عيد بالمصلى، فلما نزل الخطيب صعد المنبر وجعل يأمر الناس بعكس ما أمرهم به الإمام، إشارة إلى أنهم لا يسمعون ولا يطيعون ولا يتأثرون بالمواعظ.

توفي مطعوناً سنة 1056 / 1646، ودفن وراء روضة الصالح محمد بن الحسن خارج باب عجيسة.

م. الإنراني، صفوة، 82 : م. القادري، نشر، موسوعة أعلام المغرب، 4 : 1425 : م. الكتاني، سلوة، 3 : 130 : م. ابن عيشون، الروض، مخطوط : ع. الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

الجابري، أحمد بن المجذوب (الحاج -) بن عبد

الرحمان بن عبد الكريم اللطفي، من أولاد الجابري المعروفين بفاس. عالم مشارك مطلع ذكر ابن سودة في إتحاف المطالع أنه كان ولوعاً باقتناء الكتب على اختلاف فنونها، ويعرف خطوط جل علماء فاس المتأخرين، وخطوط النساخ المحترفين بفاس، وجمع خزانة مهمة "كانت تعدّ بفاس من أغلى الخزانين" وحبسها على أحفاده في آخر عمره.

توفي بعد غروب يوم عيد الأضحى من عام 1359 / 9 يناير 1941 ودفن بزاوية سيدي المحجوب التي صارت تدعى زاوية الشيخ محمد بن علال الوزاني بحومة الزنجفور بفاس. ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 8 : 3080.

الجابري، طاهر القصري يكنى أبا البقاء، قال في

حقه في نشر المثاني "الفقيه الأديب خطيب الجامع السعيد من القصر".

توفي عام 1126 / 1714.

م. القادري، نشر، موسوعة أعلام المغرب، 5 : 1948.

الجابري، عبد الحق الفاسي، تعلم الموسيقى

الأندلسية على يد المطرب الشهير ابن نصيحة الذي كان لدى السلطان محمد بن عبد الله كالموصللي لدى الرشيد العباسي، وقد تفوق الجابري حتى أصبح آية في عزف الرباب خاصة، وإلى ذلك كان حسن الصوت في السماع وفي تقطيع نغمات الأطباع. وقد أشاد بغنائه الشيخ حمدون ابن الحاج (ت. 1232) قائلاً :

إن السماع لَمُثَّلْتُ إنسانها في الجابري

وكان مقرباً إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام (1238).

1276 هـ) إلا أنه لا يعرف تاريخ وفاته.

أ. سكيرج، كشف الحجاب. الطبعة المصرية. ص. 274. 277.

الجابري، عيد السلام الفاسي، موسيقي آخر، عاصره المؤرخ محمد الضعيف، وأتى على ذكره من بين الموسيقيين الفاسيين الذين ضمهم مجلس سمر انعقد بمدينة وزان عام ستة ومائتين وألف على العهد السليمانى، وكان عازفاً على العود.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح. أ. العماري، ص 258.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الجابري، عبد الله الرهوني، نسبة إلى قبيلة رهونة

الغمارية وأحد مشاهير الصوفية في المغرب خلال القرن العاشر (16م). وإذا كان كتاب التراجم والمناقب لم يهتموا بتفاصيل حياته الشخصية أو العلمية، فإنهم ذكروا أهم ماميز نشاطه الصوفي.

وهكذا يصنف عبد الله الجابري، ضمن مريدي الشيخ الشهير عبد الله الغزواني (دوحة، 36 : تمتع، 72)، أكبر مريدي الشيخ عبد العزيز التابع، خليفة الشيخ الأكبر محمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية الشاذلية. وهذا يعني أن عبد الله الجابري ينتمي إلى الطبقة الثالثة في الطائفة الجزولية، أخذ عن مؤسسها بواسطتين.

ويلاحظ أيضاً أن عبد الله الجابري امتاز في "جزوليته" بسلوكات وصفات وشارات خاصة أهمها :

- التقشف والزهد وما شاكلهما من ورع ومسكنة وتواضع، حتى إنه اشتهر بلباس خاص مكون من "كساء" صوف لا يلبس معها غيرها" (دوحة، 36) عكس كثير ممن انتسبوا إلى الجزولية واشتهروا بلباسهم الرفيع الأنيق، مثل الشيخ بوعبيد الشرقي دفين أبي الجعد.

- التبري من الدعاوي (دوحة، 36) ومن ثم وبالنظر إلى سنده العالي في الطريقة الجزولية وسلوكه الصوفي المتميز، بلغ عبد الله الجابري مقاماً عالياً في هذه الطريقة على غرار شيخه، كما يبدو من الصفات التي وُصف بها في كتب التراجم، والتي يُلخّصها صاحب الدوحة بقوله : "كان إذا توجه إلى أمر انفعّل بقدرة الله تعالى، وكراماته منقولة بالتواتر، وكان رحمه الله إذا هاجت الفتن بين القبائل يخرج فيدعو الناس إلى العافية (= السلم) فمن تأبى عنها أظهر الله فيه الاعتبار بقدرته في الحال ولم تقم له قائمة... وكانت إجابة دعوته كفلق الصبح... نادرة من نوادر الزمان، حدثني عنه غير واحد من الفقهاء والفقراء بعجائب وغرائب كثيرة لا تحصى رحمه الله" (دوحة، 36).

توفي عبد الله الجابري الرهوني، حوالي عام 939 / 1532، ودفن بزاويته بقبيلة رهونة في بلاد غمارة الجبلية.

م. ابن عسكرة، دوحة الناشر، تح. م. حجي، الرباط، 1396. 1976 :

م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماع، طبعة حجرية بفاس 1313. 1996 :

أ. الوارث، الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب

خلال القرن السادس عشر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، مرقونة بكلية الآداب بفاس، 1988م.

أحمد الوارث

الجابري، محمد بن عبد الرحمان الساهل، فقيه عدل، كان يعلم الصبيان بكتاب في سوقة ابن صافي بفاس. توفي في رمضان عام 1072 / 1661.
ع. الفاسي، الإعلام من غير، موسوعة أعلام المغرب، 4 : 1510.

الجابري، يوسف بن العز من أهل يادية سلا، ومنها انتقل إلى فاس، حلاه في جنى زهر الآس بـ "الولي الصالح، الشيخ المجتهد الناصح، المنور الباطن والظاهر، المتحلي بحلية الأخيار والأكابر، أبي يعقوب وأبي الحجاج..."
كانت له خاصية إبراء عدد من العاهات المزمنة، وفراسة قوية للتمييز بين الأبرار والأشرار وكأنه ينظر إلى قلوبهم ويواطنهم.

توفي بفاس عام 773 / 1371.

م. الحضرمي، السلسل العذب : م. الكتاني، سلوة، 3 : 319 : ع.
الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

الجادري، عبد الرحمان بن محمد المديوني، ولد بمكناسة الزيتون سنة 777 / 1376 م واستوطن مدينة فاس.
كان فقيهاً محدثاً وعدلاً مبرزاً ونحوياً حسيباً. تولى خطة التوقيت بجامع القرويين إلى جانب تصدره للإفتاء حيث أورد له الونشريسي في المعيار مجموعة من فتاويه.
تتلمذ الجادري على كثير من علماء عصره في المغرب وخارجه، فأخذ الفقه والحديث والنحو والقراءات عن كل من الفقيه محمد الفخار ومحمد القيسي وعبد الرحمان المكودي وإسماعيل ابن الأحمر وعلي ابن الإمام وعثمان الزرويلي وأضرابهم. ودرس علم التوقيت على شيخ الفلكيين في عصره محمد ابن عمر الموقت المشهور. وأخذ عنه كثير من طلبة مكناس وفاس، منهم علي بن هارون المكناسي وعلي بن منون المكناسي وعبد الله ابن العريف وغيرهم.

ترك الجادري مؤلفات كثيرة أدبية وعلمية وفقهية وفلكية ذكر ابن القاضي بعضها في الجذوة، منها في الفلك شرح رجز أبي مفرع، استطرد فيه بعض ما يقع في المغرب من العادات في بعض أيام السنة، وروضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، هو رجز من ثلاثمائة وستة وثلاثين بيتاً وشرحه بنفسه بكتاب اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار، فلقى إقبالاً من الدارسين من عهد المؤلف إلى أيامنا هذه، ووضعت عليه شروح كثيرة أخرى لمغاربة وغيرهم.

وله كتاب في الفلك جمع فيه بين العمل بآلة الأسطرلاب وبالصحيفة الشكازية وبربع الدائرة والعمل

بالحساب والجداول وهو في اثنين وأربعين باباً ؛ وتنبه الأنام على ما يحدث في أيام العام، عارض به تقييد ابن البناء العددي المراكشي الذي تكلم فيه عن تحديد الساعات وبداية كل فصل من الفصول الأربعة بمراكش، فحاول الجادري أن يجاري ابن البناء ويقوم بنفس العمل حول مدينة فاس. وله في القراءات رجز سماه النافع في أصول (أو أصل) حروف نافع ؛ وشرح الدرر اللوامع في مقروء الإمام نافع لعلي بن محمد التسولي اللمطي المعروف بابن بري ؛ وشرح أرجوزة شيخه القيسي في الضبط ؛ ومختصر شرح الخاقانية للداني. وله في النحو كتاب المذكر والمؤنث ؛ وفهرس عد فيهما مشيخته، كما شرح بردة البوصيري التي رواها عن عدد من الشيوخ، أمثال إسماعيل ابن الأحمر، ومحمد بن أبي الفضل بن عبد الله بن أبي مدين العثماني وأحمد بن محمد التينملي المراكشي والشيخ محمد بن جابر الوادي آشي. وتجدد الإشارة إلى أن شرح الجادري للبردة ماهو في الحقيقة إلا مختصر من شرح شيخه ابن الأحمر المذكور. ولا يزال هذا الشرح مخطوطاً في نسختين، توجد الأولى بخزانة القرويين تحت رقم 643 والثانية بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 368 ضمن مجموع.

توفي الجادري سنة 818 / 1415 م ودفن داخل باب الفتوح بفاس وقيل في وفاته غير هذا.

ع. الجادري، اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار، وهو منشور ضمن كتاب علم المواقيت أصوله ومناهجه، تج. م. العربي الخطابي، المحمدية، 1986 : م. ابن غازي، التعلل برسوم الإسناد، تج. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 85 : الروض الهتون، الرباط، 1952، ص. 26 : أ. الونشريسي، المعيار، بيروت، 1982، الأجزاء 3 و 4 و 6 و 7 و 12 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 237. 404. 491 : درة المجال، تج. م. الأحدي أبو النور، القاهرة، 1979، ج 3 : 250 : أ. باب التنبكتي، نيل الابتهاج، بيروت د. ت. ص. 171 : ع. ابن زيدان، إتحاف، 1 : 502 : ع. الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، 1982، 1 : 295. 296 : م. المتوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، الرباط، 1983، ج 1 : 116 : ورفقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، 1979، ص. 277. 278 : م. حجي، الحركة الفكرية بالمغرب، المحمدية، 1976، ج 1 : 158 : ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976، ص. 138 : م. الدباغ، من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، الدار البيضاء، 1992، ص. 116. 146.

M. Bencheikroun, La vie intellectuelle marocaine sous les mérinides et les wattasides, Rabat, 1974, pp. 247 - 250.

رشيد السلامي

الجاري، أحمد. مقاوم ولد سنة 1338 / 1919 بدوار أيت العيز قبيلة أيت مساعد بایموزار مرموشة. انخرط في صفوف جيش التحرير أثناء ثورة ثاني أكتوبر 1955 ضمن

تشكيلة السيد ميمون أَعْقَى. شارك في الهجوم على مستودع للسلاح الفرنسي حيث سقط شهيداً إثر انفجار قنبلة أثناء وجوده داخل المستودع، وكان ذلك في 1375 / أكتوبر 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 31.

الجالسوس، متصوف مجهول الهوية، عاش بمدينة

تطوان زمن حكم السيدة الحرّة في أواسط القرن العاشر (16م)، أشار ابن عسكر في دوحه الناشر إلى أن إطلاق لقب الجالسوس عليه يعود إلى كون هذا الرجل صادفته سرية من المسلمين متوجهة للإغارة على نصارى سبتة، وهو على ساحل البحر بمقرية من المدينة المحتلة، فظنوه من الجواسيس وقبضوا عليه وقدوموا به إلى تطوان حيث تم اعتقاله بها مدة طويلة.

ولما أطلق سراحه، أصبح يأوي مع طلبة العلم في مصرية على ميسأة الجامع محسنة لذلك الغرض، منعزلاً عن غيره، لا يتكلم مع أحد، باستثناء الصبيان الصغار الذين كان يحدثهم بكلام تغلب عليه رطانة البرير. وكان لا يقبل من أحد شيئاً إلا من رجل أو رجلين لا يأخذ منهما إلا الطعام دون أن يكلمهما. وأما القطع النقدية فكان لا يقبلها، ولا يمسه بيديه البتة. كما كان يظهر التخليط في صلاته وركعاته.

وأما لباسه، فكان يشتريه له الرجل الصالح محمد البهجة الأندلسي من أصحاب الشيخ أبي الحسن علي الفحل التطواني، يشتري له على رأس كل سنة برنسا وجلبابا وشاشية، يحملها وترصده بالمسجد حتى يمر به، فيلبسه إياها ويتصدق بالثياب البالية وهو لا ينكر من فعله شيئاً.

وقد أورد ابن عسكر عن بعض طلبة العلم، أن مكوث هذا الرجل معهم بالمصرية المذكورة كان في زاوية منها لا يزارهم فيها أحد منهم، ويبقى في موضعه حت ينأم الجميع، فيقوم ويشد حزامه، ويجعل راحه في يده، ويتقلد سيفاً كان عنده، ثم يبارح المصرية والأبواب مغلقة، ولا يدرون أين ذهب. حتى إذا أصبح الصبح، وجاء البوابون لفتح الأبواب، وجدوه في الخارج وعليه أثر السفر، وبلل الندى على رجليه وثيابه، وكان هذا شأنه على الدوام. ولما اشتهر عنه ظهور الكرامات، ازدحم الناس عليه وهو يفر منهم، إلى أن كانت وفاته في العشرة السابعة من القرن العاشر.

م. ابن عسكر، دوحه، 42. 44.

حسن أميلي

جاكسن جيمز كوري، James Grey Jackson رحالة

إنجليزي قدم إلى المغرب صدر القرن الثالث عشر (19م)،

وتجول في ربوعه، وكتب عن رحلته تأليفاً عنوانه : عرض عن إيالة مراكش : *An Account of The Empire of Morocco*، طبع الكتاب بلندن سنة 1814.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، 4 : 1508.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. I, p. 79.

مصطفى بوشعراء

جالفة، Galapha مدينة من المغرب القديم، انفرد بذكرها الجغرافي بطوليمايوس Ptolémaeus الذي عاش خلال القرن الثاني للميلاد، وهو ينتمي لمدينة الإسكندرية في مصر.

حدد الكاتب موقع هذه المدينة على خريطة موريطانية الطنجية شرق نهر ملوية Molochath والمدينة التي تحمل نفس الاسم. وذلك حسب الإحداثيات التالية : الطول 11 درجة، العرض 32 درجة و40 (Ptolémée, IV, 1, 7).

اعتبر بعض الدارسين المحدثين أن هذه المدينة تقع في أقصى نقطة شرق موريطانية الطنجية، على الطريق الداخلية التي تربطها مع موريطانية القيصرية عبر ممر تازا الحالية، انطلاقاً من مدينة ترسيدس Trisides مروراً بمدينة بينته.

وعلى هذا الأساس اقترح ثوفنو Thouvenot أن مدينة جالفة تقع في المغرب الشرقي بناحية العيون ووجدة، بينما جعلها شميت Schmitt في نواحي عين گتارة بشمال بلاد الكعدة في المغرب الشرقي كذلك.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 : *Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, 7. Rabat, 1938 : P. Schmitt, *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973 R. Thouvenot, *Le géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, R.E.A., 64, 1962, p. 82 - 88.

محمد مجدوب

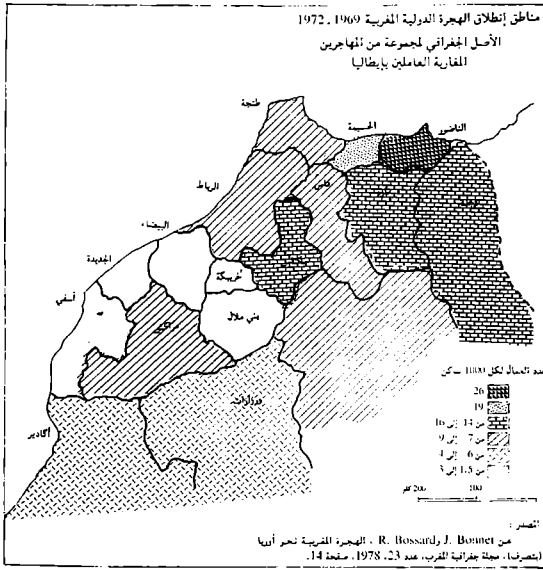
الجالية المغربية بالخارج، تجمع معظم الأدبيات

التي اهتمت بالهجرة الدولية المغربية، على أن هاته الأخيرة عرفت انطلاقها الحقيقية - كهجرة للعمل - من بداية القرن العشرين وبشكل خاص مع التغلغل الفرنسي بالجزائر، حيث كان المغاربة يعملون داخل ضيعات المعمرين. لقد تم توطيد أولى أسس الهجرة الدولية المغربية أثناء الحماية، هاته الأسس التي تنامت لتأخذ أبعاداً أكثر أهمية عبر الزمان. ارتبطت هاته الهجرة في بدايتها بمنطقتي الريف الشرقي وسوس كمناطق انطلاق من جهة، وفرنسا كدولة وصول من جهة ثانية. غير أن مناطق الإنطلاق ستتوسع كما ستتوسع مناطق الوصول أيضاً.

أخذت فرنسا تستقطب معظم تيارات الهجرة الدولية قبل الستينات. فكان المغرب يشكل خزاناً لليد العاملة

1975، ليشراوح بين 11869 و13122 مهاجر خلال الفترة 1976 و1982، بيد أنه لم يتعد 3775 مهاجر سنة 1987 (الشكل رقم 1). إن هذا التراجع للمعدل السنوي جاء إثر أزمة البترول حيث عملت الدول الأوربية على التقليل من اليد العاملة.

شكل رقم 1 : مناطق انطلاق الهجرة الدولية المغربية
1972 - 1969



إن تراجع المعدل السنوي لم يعن بأي حال من الأحوال تراجع الهجرة الدولية المغربية بشكل عام، ونلمس ذلك بوضوح من خلال المنحنى العام لتطور الجالية المغربية بالخارج. ويعزى هذا التطور بالأساس إلى انفتاح تيارات الهجرة الدولية على أسواق عمل جديدة بشكل لافت للنظر خاصة في منتصف الثمانينات وبداية التسعينات، الشيء الذي أعطى نفساً جديداً للهجرة الدولية المغربية. ونخص بالذكر هنا إيطاليا كدولة استقبال جديدة. فعدد المهاجرين المغاربة المقيمين بإيطاليا بشكل قانوني لم يكن يتعدى 1.188 مهاجر سنة 1981 تم أصبح 17.107 سنة 1987، غير أن هذا العدد انتقل إلى 100.752 مهاجر سنة 1993. وتجدر الإشارة إلى أن نسبة المهاجرين المغاربة المقيمين بإيطاليا بشكل غير قانوني كانت تتعدى 30٪ في بداية التسعينات. وتحتل إيطاليا المرتبة الرابعة حالياً كدولة استقبال للهجرة الدولية المغربية بعد فرنسا وبلجيكا وهولاندا.

التي تحتاجها فرنسا غداة فترة الحماية وأثناء الاستقلال، وهكذا عرفت الهجرة الدولية المغربية إلى فرنسا باعتبارها بلد الاستقبال الوحيد آنذاك - تطوراً غير منتظم حسب حاجياتها. فعلى سبيل المثال جلبت فرنسا حوالي 3500 مغربي خلال الفترة 1914 - 1918، إضافة إلى حوالي 3700 مغربي آخر تم إقحامهم ضمن الجبهات الحربية، بعد أن كان عدد المهاجرين المغاربة بفرنسا لا يتعدى 7000 مهاجر سنة 1915. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تقلص عدد المهاجرين المغاربة المقيمين بفرنسا بشكل قانوني إلى 3000 مهاجر فقط سنة 1919 ليصبح حوالي 21000 مهاجر سنة 1930. غير أن عدد المغاربة بفرنسا تطور من جديد أثناء الحرب العالمية الثانية حيث بلغ حوالي 44.000 سنة 1945.

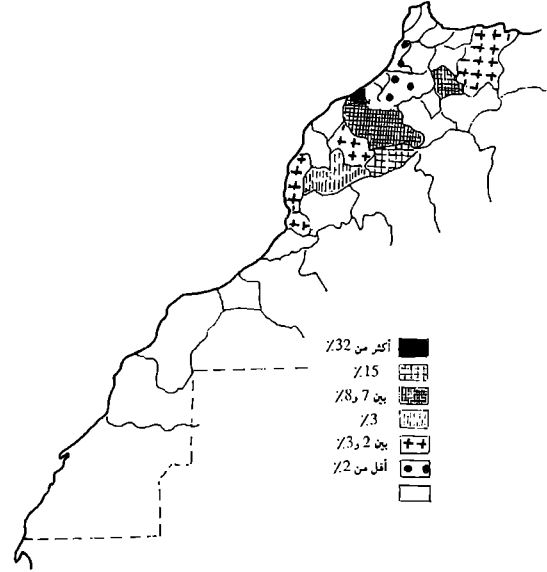
وتدخلت الدولة الفرنسية في أكثر من مرة من خلال مجموعة من الظواهر قصد تقنين هاته الهجرة كظواهر 1924 و1925 و1931. وقد استقر المعدل السنوي للهجرة الدولية المغربية إلى فرنسا في 3000 مهاجر خلال الفترة 1956 - 1960. وتم التركيز على فرنسا باعتبارها بلد الاستقبال الأول للهجرة المغربية إن لم نقل الوحيد قبل الستينات.

بعد مرحلة الستينات عرفت الهجرة الدولية المغربية مناحي أخرى عديدة، فرغم أن فرنسا ظلت تستقطب أعلى نسبة من تيارات الهجرة الدولية المغربية حيث تراوحت بين 78٪ سنة 1972 و98٪ سنة 1974، بدأت هاته النسبة في التراجع بعد الستينات نتيجة توقيع المغرب لمجموعة من الاتفاقيات بشأن الهجرة الدولية. وهكذا ظهرت أسواق عمل جديدة تمثلت في البداية في هولاندا وألمانيا وبلجيكا. ونظراً لهذا الوضع الجديد فإن فرنسا لم تستقطب خلال الفترة 1960 - 1972 أكثر من 73٪ من التيارات المهاجرة المغربية متبوعة بهولاندا بنسبة 11.43٪ مقابل 7.38٪ بالنسبة لألمانيا و7.38٪ بالنسبة لبلجيكا خلال نفس الفترة.

وعموماً فإن المعدل السنوي للهجرة الدولية المغربية بشكل عام عرف تطوراً متلاحقاً إلى حدود منتصف السبعينات، ويبرز ذلك على سبيل المثال من خلال المعدل السنوي للمهاجرين المغاربة المتوافدين على دول المجموعة الأوربية (الشكل رقم 1). فإذا ما استثنينا سنوات 1965 و1967 و1971 و1972 فإننا نلاحظ أن منحنى التطور ظل في تصاعد مستمر إلى حدود 1974. وقد جاء هذا التطور نتيجة ضغوط أرباب العمل على حكوماتهم من أجل إفساح المجال بشكل أكبر لليد العاملة إثر الثورة الصناعية التي عرفت أوربا الجنوبية خلال الستينات وبعدها.

غير أن هذا المعدل السنوي للهجرة الدولية المغربية سيتناقص من 30578 مهاجر سنة 1974 إلى 9922 مهاجر

شكل رقم 2 : الأصل الجغرافي لمجموعة من المهاجرين المغاربة العاملين في إيطاليا



كانت مناطق انطلاق الهجرة الدولية بالمغرب ضيقة تنحصر أساساً في المناطق الريفية ومنطقة سوس. وظل الوضع كذلك إلى غاية فترة الستينات، حيث ساهمت الأقاليم الشمالية ضمن تيارات الهجرة الدولية المغربية سنة 1965 بنسبة 33,5٪ مقابل 23٪ بالنسبة لمنطقة سوس. وتم تقسيم مناطق انطلاق الهجرة الدولية المغربية في بداية السبعينات إلى أربع مناطق تبعاً لأهمية التيارات الهجرة المنطلقة منها حيث سجلت نفس الملاحظة السابقة (الجدول رقم 2).

جدول رقم 2 : توزيع الهجرة الدولية المغربية حسب جهات الانطلاق (1969 . 1972)

| الأقاليم الشمالية | 41.700 | 37.79 |
|-------------------------|---------|--------|
| محور القنيطرة - البيضاء | 23.000 | 20,86 |
| الجنوب | 22.000 | 19,95 |
| فاس - سايس - مكناس | 16.000 | 14,51 |
| باقي الجهات الأخرى | 7.600 | 6,89 |
| المجموع | 110.300 | 100,00 |

يبدو من خلال الجدول أعلاه أن نسبة تيارات الهجرة الدولية غير متجانسة جغورياً. فالأقاليم الشمالية ومحور القنيطرة - البيضاء يساهمان بأكثر من 58٪ ضمن تيارات الهجرة الدولية. بينما لم تساهم باقي الجهات الأخرى (الجهات غير المحددة) والمتمثلة في السهول الأطلنتية والداخلية وهضبة الفوسفاط بأكثر من 6,89٪ (الجدول رقم 2).

ويبرز عدم تجانس مناطق انطلاق الهجرة الدولية من حيث مساهمتها ضمن تيارات الهجرة الدولية أيضاً، من خلال الخريطة رقم 1. وتعتبر أقاليم بني ملال وخريبكة والبيضاء والجديدة وأسفي أضعف المناطق مساهمة في مسلسل الهجرة الدولية، فهاته المناطق لم تندمج بعد بشكل واضح ضمن مسلسل الهجرة الدولية. إلا أن عدم الاندماج هذا لن يطول كثيراً. فالهجرة الدولية لم تعد حكرًا على المناطق الأولى التقليدية، كمنطقتي الريف وسوس، بل أصبحت تهم مجموع الجهات المغربية سواء كانت فقيرة أو غنية، ونخص بالذكر منطقة تادلا باعتبارها من أهم المناطق الفلاحية المسقية بالمغرب. إلا أنها أصبحت الآن من أهم مناطق انطلاق الهجرة الدولية الحديثة والمتجهة أساساً إلى إيطاليا. وتطبق نفس الملاحظة على منطقة خريبكة والبيضاء ومنطقة بني مسكين. والجدير بالملاحظة هو أن التيارات الهجرة الحديثة انطلقت أساساً من المناطق التي كانت تبدو ضعيفة من حيث مساهمتها في تيارات الهجرة الدولية المنطلقة قبل نهاية السبعينات وبداية الثمانينات،

ما يمكن استخلاصه إذن هو تراجع الهيمنة الفرنسية من حيث استقطابها الكلي لتيارات الهجرة الدولية المغربية وذلك نتيجة ظهور دول استقبال جديدة سواء داخل أوروبا أو خارجها.

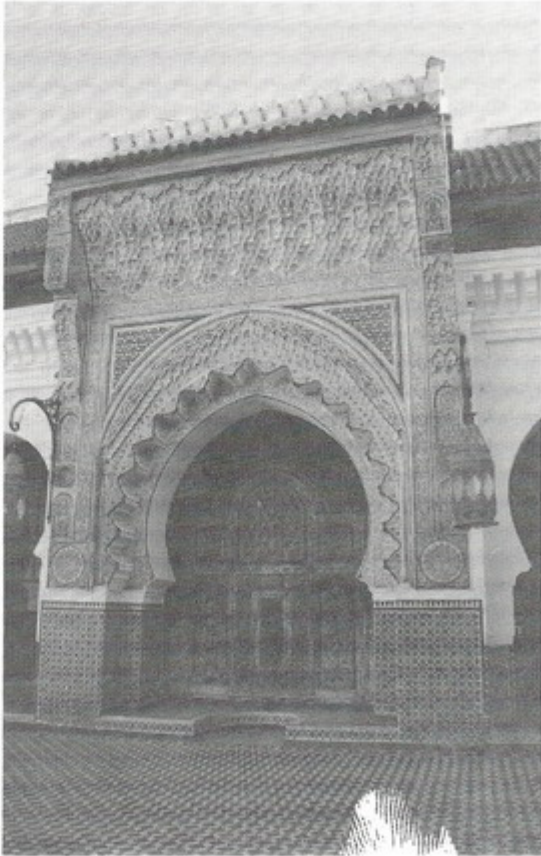
فعلى سبيل المثال تقلصت نسبة استقطاب فرنسا لتيارات الهجرة الدولية المغربية من 59,4٪ سنة 1984 إلى 52,43٪ سنة 1992، بينما ارتفعت نسبة استقطاب إيطاليا للجالية المغربية من 1,8٪ سنة 1984 إلى 9,67٪ سنة 1992، وبذلك انتقلت من الرتبة الثامنة من حيث استقطابها للجالية المغربية سنة 1984 إلى المرتبة الرابعة سنة 1992 (الشكل 2 والجدول رقم 1).

جدول رقم 1 : التوزيع الجغرافي الراهن للجالية المغربية المقيمة بالخارج

| الدول | عدد المهاجرين | الدول | عدد المهاجرين |
|---------------------|---------------|------------------------|---------------|
| فرنسا | 703.000 | العربية السعودية | 11.000 |
| هولندا | 180.000 | الإمارات العربية | 03.000 |
| بلجيكا | 160.000 | الكويت | 700 |
| إيطاليا | 130.000 | عمان | 110 |
| إسبانيا | 80.000 | اليمن | 180 |
| ألمانيا | 65.000 | مجموع د. الخليج العربي | 14.990 |
| بريطانيا | 18.000 | السنتغال | 2.000 |
| دول أوروبية أخرى | 17.300 | ساحل العاج | 1.500 |
| مجموع د. أوروبا | 1.353.300 | بلدان أخرى | 1.500 |
| ليبيا | 90.000 | المجموع | 5.000 |
| الجزائر | 100.000 | كندا أمريكا | 65.000 |
| تونس | 15.000 | بلدان آسيوية | 200 |
| موريتانيا | 300 | أستراليا | 800 |
| مجموع المغرب العربي | 205.300 | م. دول أمريكا وآسيا | 66.000 |
| المجموع العام | 1.644.590 | | |

المصدر : وزارة الجالية المغربية

شاعر على ضفاف وادي تانسيفت الذي قال عنه ابن الزيات في التشويق : "إن الصالحين كانوا يسافرون إليه في كل رمضان" يجتمعون فيه لقراءة القرآن وختمه ليلة السابع والعشرين. ثم صار رباط شاعر - في جملة رباطات أخرى - دار جهاد لمقاومة نحلة البربرغواطين المنشرة في بلاد تامسنا. وكان موسى بن نصير اللخمي والياً على إفريقية عام 704 / 85 وفتح سبتة من يد يوليان حاكمها من قبل البيزنطيين أو القوط، حول كنيسستها إلى جامع أدخلت عليه تغييرات مهمة في مطلع القرن الخامس (9 م) وظل يعد الجامع العتيق بسبتة (اختصار الأخبار، ص 10) كما أسس جامعاً آخر نسب إليه : جامع موسى بن نصير على ربوة عالية في قبيلة بني حسان جنوبي مدينة تطوان على نحو خمسة وثلاثين كلم منها، ويسمى أيضاً جامع البيضا، وجامع الملائكة، يحيط به حتى اليوم ثلاث عيون جارية من جهات الشرق والغرب والجنوب، وكانت تقام فيه الجمعة والصلوات الخمس، ثم أصابه تلاش فجدد مراراً وصُغر حتى أصبح اليوم مربع الشكل لا يتعدى طوله خمسة أمتار (معلمة المغرب، ص 1950). ويوجد جامع آخر شبيه بجامع موسى في شكله ومادة بنائه يسمى جامع تكطشت في قمة جبل مظل على شاطئ البحر المتوسط الممتد بين ترغمة وتيجساس بقبيلة بني زيات الغمارية، وجامع ثالث ينسب إلى فاتح الأندلس طارق بن زياد بأشرفات على مقربة من شفشاون (معلمة المغرب، ص 2509).



جامع القروين

ونلمس ذلك بوضوح من خلال مقارنة الخريطين 1 و 2، فالخريطة رقم 2 توضح اندماج جهات متعددة ضمن مسلسل الهجرة الدولية الحديث، وخاصة المتجهة منها إلى إيطاليا.

إن واقع الهجرة الدولية المغربية تطور بشكل جلي في الوقت الراهن، إن على مستوى دول الوصول، حيث ظهرت أسواق عمل جديدة من بينها إيطاليا وإسبانيا، أو على مستوى الانطلاق، حيث اندمجت جهات جديدة بكل ثقلها ضمن مسلسل الهجرة الدولية كأقاليم سطات والبيضاء وخريبكة وبني ملال. يعزى انتشار الهجرة الدولية ضمن مجموع التراب المغربي إلى أسباب متداخلة بعضها مرتبط بالمغرب كبداية انطلاق وبعضها الآخر مرتبط بدول الاستقبال.

منير صالح، من الفقيه بن صالح إلى ميلانو، الهجرة الدولية المغربية إلى إيطاليا وتأثيرها على مناطق الانطلاق. رسالة لنيل د.د.ع، كلية الآداب بالرباط 1996 : والمصادر المذكورة في آخر هذه الرسالة.

A. Belguendouz. *Le cadre général de l'émigration marocaine en liaison avec la problématique de l'immobilier au Maroc pour la communauté marocaine à l'étranger*, 1991 ; M. Berriane, *Etude des mouvements migratoires du Maroc vers la communauté européenne*, 1992 (Rapport préliminaire 1992) ; M. Refass, *Un siècle d'émigration marocaine vers l'étranger*, vol. 15, nouvelle série, n° 1 et 2, 1993.

منير صالح

الجامع، مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة. ولم يرد

الجامع بهذا المعنى في القرآن، وإنما ورد فيه المسجد، فكان يقال مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد قبا، والمسجد الأقصى. نعم جاء الجامع في الحديث وصفاً للمسجد إذ ترجم البخاري في الصحيح : باب الاستسقاء في المسجد الجامع.

وقد وُجد في المغرب المسجد والجامع، واستعمل فيه الاسمان معاً دون أن يكون بينهما حد فاصل، إلا أن الجامع أخذ اهتماماً أكبر في كتب التاريخ والحواليات والحوالات الوقفية لأهميته وسعته وتعدد مرافقه وزخارفه ووفرة ريع أوقافه في أغلب الأحيان.

عرف المغرب الجامع - كالمسجد - مع دخول الإسلام في منتصف القرن الهجري الأول، وإذا كان أول جامع أسس في منطقة المغرب الكبير هو جامع عقبة الذي بناه في ولايته الأولى على إفريقية وسط مدينة القيروان عام 50 / 670، فإن هذا الفاتح العربي في ولايته الثانية عام 62 / 682 توغل حتى وصل إلى المحيط، فكان من آثاره الباقية في جنوب المغرب الأقصى المسجد الجامع المنسوب إليه : مسجد عقبة أو رباط عقبة على ضفة نفيس أحد الأنهار المتفرعة عن وادي تانسيفت بضاحية مراكش. ووردت نسبته إليه عند أبي عبيد البكري في المسالك والممالك، وكذلك المسجد الجامع المنسوب لأحد أصحابه شاعر : مسجد شاعر أو رباط

حي الطالعة "كان يعمل في بنائه ونقل حجراته وترابه
سبعمائة أسير من أسارى الإفرنج في قيودها" (الاستقصا ،
2 : 174) .

وقد اتجهت سياسة المرينيين إلى تشييد المدارس بالدرجة
الأولى بإزاء الجوامع الكبرى في مختلف الحواضر، ومع
ذلك لم يخل عهدهم من إقامة جوامع كان لها ذكر في
التاريخ، منها : جامع المدينة البيضاء (فاس الجديد) التي
اختطها إلى جانب فاس الإدريسية، السلطان يعقوب بن
عبد الحق، عام 677 / 1278، والجامع الأعظم بتازا الذي
شيده يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق عام 689 / 1290 م.
ولما جدد الأندلسيون المهاجرون مدينة تطوان في أواخر القرن
التاسع (15 م) أنشأوا بها الجامع الكبير "وهو جامع
القصبه الذي مازال معروفاً بهذا الاسم إلى الآن وقد جُدد
بناؤه في أوائل هذا القرن" (تطوان، 1 : 93) .

ثم عرفت حركة تشييد الجوامع انطلاقة جديدة مع
دولتي الشرفاء، فأسس محمد المهدي الشيخ السعدي
بحاضرتة الأولى المحمدية (تارودانت) في أوائل العقد
الرابع من القرن العاشر (16 م) ثلاثة جوامع، هي الجامع
الكبير بوسط المدينة، وجامع القصبه السلطانية، وجامع
سيدي أسيدي (خلال جزولة، 4 : 148، 149) . ونالت مدينة
مراكش في عهد السعديين الحظ الأوفر من هذه المؤسسات
الدينية حين جددوا معالمها بعدما أصابها في القرون الخالية
من إهمال وخراب، فأحيوا جوامعها العتيقة، وأنشأ عبد
الله الغالب حوالي عام 965 / 1558 جامع الشرفاء بحي
المواسين وسط المدينة، وبنى أبو فارس عبد لله الوائق
الجامع الكبير بجوار ضريح أبي العباس السبي. وشيدت
مسعودة الوزكيتية والدة السلطان أحمد المنصور الذهبي
عام 995 / 1587 جامع الحرة بباب دكالة.

وفي الفترة الأخيرة من عهد الدولة السعدية، أسس
الشيخ أبو بكر الدلائي (ت 1021 / 1612) في زاوينة القديمة
بالأطلس المتوسط الجامع الكبير الذي أصبح مركزاً علمياً
مقصوداً كما سنرى، وشيد حفيده السلطان محمد الحاج
الدلائي في مدينة الدلاء أو الزاوية الدلائية الحديثة عام
1048 / 1638 جوامع متعددة، من بينها الجامع الكبير
بجوار القصر.

وعند قيام دولة الشرفاء العلويين حرص المولى
إسماعيل على إقامة جامع في كل ثغر تم تحريره من
الاحتلال الأجنبي : في طنجة سنة 1095 / 1684 والعرائش
سنة 1100 / 1689 وأصيلا سنة 1102 / 1691. ثم انصرفت
عنايته أكثر إلى حاضرة مكناس، فجدد عام 1107 / 1696
جامعها العتيق الذي يرجع تأسيسه وتوسيعه إلى عهد
الموحدين والمرينيين، وأنشأ بها عدداً من الجوامع، مثل
الجامع الكبير داخل القصبه السلطانية المجاور لقصر النصر
الذي بناه عندما كان خليفة لأخيه الرشيد والجامع الأخضر،
وهو أعظم من السابق جعل له بابين باباً إلى القصبه وباباً

ثم تكاثرت الجوامع في المغرب بعد عهد الفاتحين
الأوليين وطوال العصر الإسلامي بحيث يصعب إن لم أقل
يتعذر إحصاء ما اندثر منها وما بقي، وسأجتزئ في هذه
العجالة باستعراض خاطف لأشهر الجوامع المشيدة في
مختلف الجهات منذ نشأة الدولة المغربية إلى اليوم، وألم
في النهاية إماماً خفيفاً بالدور التعليمي للجامع.

عندما أسس إدريس الأزهر مدينة فاس شرع في بناء
عدوة الأندلس يوم الخميس مهل ربيع الأول عام 192 / 4
يناير 808 حتى إذا أكمل سورها بنى بها جامعاً للخطبة
سمي جامع الأشياخ فكان الجامع العتيق لمدينة فاس وهو
المعروف اليوم بجامع النوار في أعلى عقبة الصفاح من
حومة جرواوة. ثم أخذ في بناء عدوة القرويين في مهل ربيع
الأول من العام التالي 193 / 23 دجنبر 808 فلما أكمل
سورها بنى بها جامعاً للخطبة سمي جامع الأشراف حيث
ضريح المولى إدريس (الدر الثمين، 203) وفي عهد حافده
يحيى الأول أسست أم البنين فاطمة الفهرية جامع القرويين
وأختها مريم الفهرية جامع الأندلس في عام 245 / 860 م.
ورغم كبر هذين الجامعين فإن صلاة الجمعة ظلت تقام بفاس
طيلة عهد الأدارسة في كل من جامع الأشياخ وجامع
الأشراف باعتبارهما الجامعين العتيقين، ولم تُنقل الخطبة
إلى جامع القرويين وجامع الأندلس إلا في سنة 321 / 933 م
عندما دخلت مدينة فاس تحت حكم الزناتيين (المصدر
الأخير، ص 304). فقامت ضجة بين الفقهاء، من مؤيد
ومعارض، دامت زهاء خمسة قرون وكان أحمد الونشريسي
مؤلف المعيار من آخر من أفتى وألف فيها.

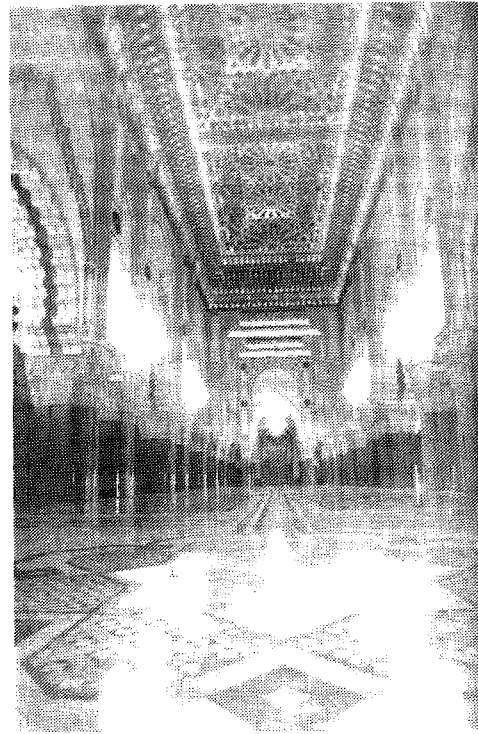
ولما أسس المرابطون مدينة مراكش شيّدوا فيها مساجد.
عديدة أيام يوسف بن تاشفين، ثم بنى فيها ولده علي بن
يوسف في مطلع القرن السادس (12 م) الجامع العظيم
المنسوب إليه : جامع ابن يوسف فكان آية في السعة
والمنانة والدقة في اتجاه القبلة، ثم نافسهم الموحدون عند ما
آلت إليهم الدولة، فشيد عبد المومن بن علي جامع الكتبيين
الشهير، وبنى جامع تينمل بجوار ضريح المهدي ابن تومرت
في الممر الجبلي الرابط بين مراكش وتارودانت، بعد انتصاره
على المرابطين عام 541 / 1146.

وبلغ حافده يعقوب المنصور الغاية في إقامة الجوامع
حيث بنى في مراكش جامع المنصور وأنشأ به المقصورة
الهندسية العجيبة التي كانت تظهر إذا استقر هو ووزراؤه
بمصلاه منها وتختفي إذا غادروا الجامع. ولما عزم المنصور
على الجواز إلى الأندلس بقصد الجهاد عام 591 / 1195 أمر
ببناء صومعة جامع الكتبيين بمراكش. وتأسيس رباط الفتح
وجامعه الكبير وبناء جامع حسان وصومعته، وأشرف في
الأندلس على بناء جامع اشبيلية وصومعته، فكانت هذه
الجوامع والصوامع الثلاث آية في الضخامة والفخامة
وضرب بها المثل في العلو والأناقة والإتقان. وبعد رجوع
المنصور إلى المغرب أمر بتشيد الجامع الأعظم بسلا في

إلى المدينة، وجامع للعودة ذي المنار الشامخ ومستودع آلات التوقيت وغير ذلك من الموافق، وجامع الأنوار الذي تقارب سواريه الرخامية المائتين.

ولما أسس سيدي محمد بن عبد الله مدينة الصويرة عام 1178 / 1760 شيد بها أربعة جوامع : الجامع الأعظم بالقصبة وهو العتيق الذي تقام فيه الجمعة الأولى، وجامع سيدي يوسف بسوق الحدادين، وتقام فيه الجمعة بعد العتيق، وجامع سيدي أحمد بن محمد بسوق الحدادين كذلك، وجامع البأخر، نسبته إلى جيش البخاري، وكان يدعى في البداية جامع قاسم، وأنشأ في رباط الفتح جامع السنة، وفي الدار البيضاء الجامع العتيق المجاور لدار المخزن بالمدينة القديمة، وذلك عام 1201 / 1786. وكان قد جدد وهو يومئذ مايزال خليفة لوالده بمراكش جامع المنصور بالقصبة واستصلح في سائر أنحاء المغرب عدداً لا يحصى من الجوامع.

ولم تقلّ عناية السلطان المولى سليمان ببيوت الله عن سلفه فأحیی جامع ابن يوسف وصومعته بمراكش حتى كأنه أنشأهما إنشاءً على الحالة التي هما عليها اليوم، وشيد جوامع الخطبة في كل من وزان وبوجعد، والجامع الكبير المنسوب إليه بحي السوق بالرباط : جامع مولاي سليمان، وأنشأ سلسلة من الجوامع والمساجد في وجدة وسلا وتطوان وغيرها. وسلك نفس المنهج خلفه السلطان عبد الرحمان بن هشام في مدينة مراكش حيث أسس جامع أبي حسون، وجامع القنارية، وابنه محمد بن عبد الرحمان جدد في دار مقامه بالرباط جامع أهل فاس داخل المشور، وجامع السنة خارجه وبنى جامع السوق بالدار البيضاء.



جامع الحسن الثاني بالدار البيضاء

على أن مدينة الدار البيضاء التي عرفت أخيراً نمواً ديموغرافياً هائلاً تكاثرت فيها الجوامع، وفي طليعتها الجامع اليوسفي في حي الأحياس نسبة للسلطان يوسف بن الحسن، والجامع المحمدي نسبة لمحمد الخامس، وتُوج ذلك عام 1414 / 1993 بجامع الحسن الثاني، المعلمة الإسلامية الفنية الكبرى، المقام على مياه البحر، الذي تبلغ مساحته بمرفقه وأفنيته تسعة هكتارات، وتتسع قاعة الصلاة لخمسة وعشرين ألفاً من المصلين، علاوة على ثمانين ألفاً آخرين يصلون في الصحن، ويعد بذلك اليوم أكبر وأفخ جامع بالمغرب على الإطلاق.

لم تقتصر مهمة الجامع في المغرب - كما هو الشأن في سائر البلاد الإسلامية ومنذ عهد النبوة - على إقامة الشعائر الدينية من صلاة وأذان وطمهارة، وإنما اضطلع إلى جانب ذلك بتعليم المسلمين أمور دينهم وإرشادهم إلى ما يفيدهم في معاشهم ومعادهم، وغلب الجانب التعليمي في بعض الجوامع فأصبح يشغل حيزاً زمنياً مهماً يفوق فترات إقامة الصلوات. وبالإجمال كان تعليم الصغار في المسجد المحرف في لسان العامة إلى "المسيّد" وتعليم الكبار في الجامع. وإذا كانت المصادر لم تسعّف بتسجيل الأظوار التي تقلب فيها التعليم بالجامع في المغرب، فهناك إشارات متفرقة سبقت الإشارة إلى بعضها تدل على الدور التعليمي الذي قام به الجامع في المراحل الإسلامية الأولى بهذه البلاد. كاجتماع الصالحين برباط شاذلي في رمضان من كل سنة. ولاشك أن مثل ذلك ما كان يجري أيضاً في جامع عقبة القريب منه جغرافياً وتاريخياً، حيث يتم الاتصال بأكثر عدد ممكن من سكان المنطقة المصامدة الذين كانوا بحاجة إلى مزيد من التعرف على قواعد الإسلام وتعاليمه والتعريف على إقامة شعائره وحفظ سور من القرآن الكريم.

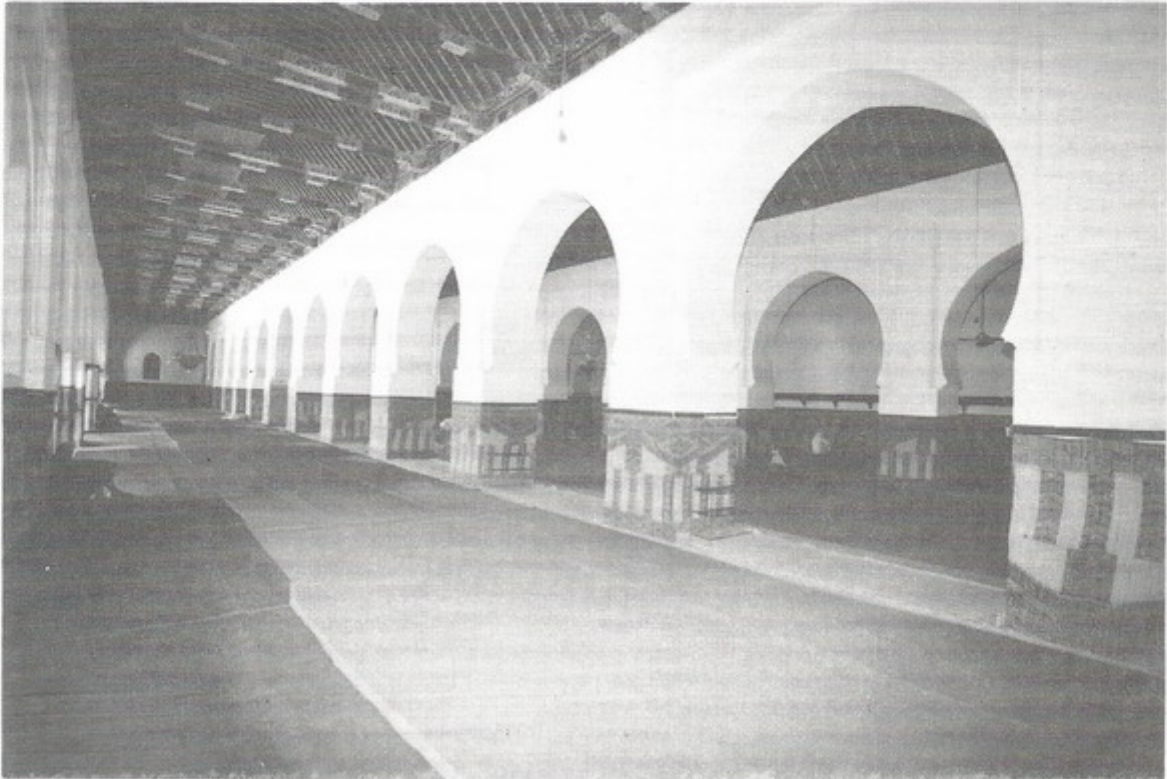
أما التعليم المتنوع المنظم في حلقات الجوامع على غرار ما عرف بالمشرق في الحجاز والشام والعراق فإنه عُرف في المغرب أولاً ما عُرف بمدينة فاس في جامعي القرويين والأندلس، لكن لا يوجد نص يُحدد تاريخ بداية هذا الصنف من التعليم فيهما. ولو أن بعض الباحثين يفترض اقتران ذلك بتاريخ تأسيسهما في منتصف القرن الثالث (٩ م) أو بداية الذي يليه. يزكي ذلك وفود أسر عالمة هاجرت في فترات متلاحقة إلى فاس من القيروان والأندلس واستوطنتها وأصبحت تعد من أهلها، وتبوغ الفقيه درّاس بن إسماعيل الفاسي (ت. عام 357) الذي قرأ على شيوخ بلده وشيوخ أفريقية وقضى حياته يدرس في فاس وله جامع منسوب إليه فيها مازال يعرف حتى اليوم يقال إنه كان يدرّس فيه علاوة على جامع القرويين. والفقيه أبي عمران درب بوحاج بظالعة فاس (ت. عام 430) الذي انتقل

رشد الحفيد والإمام السهيلي وغيرهم من أئمة المعقول والمنقول.

ولا يتسع المقام لتتبع المراحل التي قطعها تعليم الجامع في المغرب سواء في هذه الحواضر الثلاث أو في غيرها من المدن والقرى. وإنما نشير إلى أن الاهتمام بتنظيم التعليم في القرويين بدأ مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أصدر منشوراً عام 1203 / 1789 إلى شيخ القرويين ينهيه عن تدريس الكتب المختصرة ويأمره بالرجوع إلى الأمهات، ويذكر أسماء الكتب التي ينبغي تدريسها، والقائمة طويلة، ويحث في الأخير على تشجيع تعليم الحساب والأسطرلاب وتخصيص مكافآت لمن يدرسهما من ريع الأوقاف. وسلك نفس النهج السلطان عبد الرحمان بن هشام فكتب إلى شيخ القرويين خطاباً في 12 محرم عام 1261 / 21 يناير 1845 يستنكر جمود بعض المدرسين مع طرق عقيمة تضيع عمر الطلبة سدى، ويقول له: "قبوصول كتابنا هذا اجمع المدرسين وأرشدهم لما فيه المنفعة العامة والفائدة التامة وهو الاختصار في التقرير على حل كلام المؤلفين وإفهامه للسامعين المتعلمين... إذ المقصود هو حصول الفهم والإفادة". كما نشير إلى أن جامعي القرويين وابن يوسف أصبحا أخيراً بدعيان جامعتي القرويين وابن يوسف، وربما كان ذلك بتأثير من الأزهر الذي أدخلت إليه تنظيمات جامعية حديثة منذ بداية عصر النهضة العربية أيام محمد علي، لاسيما في عهد شيخ الأزهر المصلحين محمد المهدي العباسي وحسونة النواوي.

لأسباب سياسية إلى القيروان فكان شيخ الجماعة بها يأخذ عنه التونسيون والمغاربة الوافدون عليه. وقصته مع يحيى الكدالي ودوره في إقامة الدولة المرابطية بواسطة تلميذه وجّاح بن زلّو وعبد الله بن ياسين مشهورة. وفي جذوة الاقتباس لأحمد ابن القاضي مات التراجم لعلماء فاسيين وطائرين عليها منذ القرن الخامس (11 م). وزاحمت سبتة مدينة فاس في الريادة التعليمية في جامعها العتيق المشار إليه آنفاً ذي الخزانيتين العلميتين العامرتين في شرقي صحنه وبإزاء باب الشواشين أحد أبوابه. وكانت كتبهما من الكثرة "بحيث لم يشدّ منها فن من الفنون ولا نوع من المعارف أصلاً مع تعدد مصنّفات ذلك الفن وكثرة دواوينه" (اختصار الأخبار، ص 10) ومن أشهر الأسر العلمية في سبتة في القرنين الرابع والخامس (10. 11 م) بنو العجوز، والتميميون والأمويون الذين عرف منهم محمد بن عيسى التميمي ومحمد بن عبد الله الأموي من شيوخ القاضي عياض (الغنية) وكفى بالقاضي عياض علماً شامخاً من علماء سبتة حتى قيل فيه: "لولا القاضي عياض لما ذكر المغرب".

وفي القرن السادس (12 م) احتلت مراکش مكانتها التعليمية في جامع ابن يوسف ثم جامع الكتبيين وجامع المنصور، ولم تلبث أن غيرت في وجه فاس وسبتة واحتلت الزعامة التعليمية بفضل ما استقطبت من شخصيات علمية بارزة مرموقة انتقلت إليها من فاس وسبتة وبخاصة من الأندلس على عهد الموحدين مثل ابن طفيل وابن زهر وابن



جامع ابن يوسف بمراكش

وكان لآراء جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده الإصلاحية صداها القوي في القرويين، لاسيما بعد أن رجع من الشرق العالمان السلفيان الشيخ عبد الله السنوسي في عهد الحسن الأول والشيخ أبو شعيب الدكالي في عهد السلطان عبد الحفيظ فكانت دروسهما في القرويين فتحةً جديدةً فكرياً وأسلوبياً. ثم صدر الأمر في أوائل الحماية سنة 1332 / 1914 بإدخال النظام إلى القرويين، وكان المشرف عليه الفقيه محمد الحجوي نائب الصدر الأعظم في المعارف والتعليم فأسس "مجلس العلماء التحسيني للقرويين" وبعد صعوبات عديدة تحدث عن بعضها الحجوي في كتابه *الفكر السامي* (4 : 30 - 34) تم تنظيم الدراسة في القرويين في ثلاث مراحل تنتهي بشهادة العالمية. وفي عام 1380 / 1960 أقيم في فاس مهرجان دولي للاحتفال بالذكرى المائة بعد الألف "لجامعة القرويين" دشته محمد الخامس وحضره عدد وافر من رؤساء الجامعات العربية والأجنبية وكبار الأساتذة. وأصدرت وزارة التربية الوطنية كتاباً ذهبياً بهذه المناسبة.

وكان علماء مراكش نفسوا على إخوانهم في فاس إضفاء صفة الجامعة على القرويين وحدها فسموا جامعتهم العتيق "جامعة ابن يوسف" وألف في ذلك محمد بن عثمان المراكشي سنة 1365 / 1937 كتابه : *الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، أرخ فيه لنشأة الدراسة في هذا الجامع منذ تأسيسه في مطلع القرن السادس (12 م) وبعد الاستقلال ازداد إشعاع جامعي القرويين وابن يوسف، وأنشئ نظام التعليم الأصيل على رأسه جامعة القرويين بفاس، وكليات متخصصة تابعة لها منها كلية اللغة العربية بمراكش في بنايات مستقلة عن جامعي القرويين وابن يوسف.

م. البخاري، *الجامع الصحيح*، بيروت، د. ت. ج 1 : أ. البكري، *المسالك والممالك* : عياض السبتي، الغنية، تح. ماهر زهير جرار، بيروت، 1982 : ي. ابن الزيات التسادلي، *التشرف*، تح. أ. التوفيق، 1404 / 1984، ص. 51، 52، 314، 315، هامش 34 و836 : ع. المراكشي، *المعجب*، تح. محمد الفاسي، سلا، 1938 : م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. كولان وليني بروئنسال، بيروت، د. ت. ج 1 : قسم الموحدين، تح. م. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، الدار البيضاء، 1985 : صالح ابن عبد الحليم، *كتاب الأنساب*، مخطوط، خ. ع 1275 ك : ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، مجهول، *الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية*، الجزائر، 1920 : ع. الجزائري، *زهرة الآس*، الجزائر، 1922 : ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت : م. الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1975 : م. بن قاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار*، مجلة تطوان، ع 1 : 3 : م. ابن غازي، *الروض الهمتون*، الرباط، 1964 : أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1991 الجزء الأول : أ. ابن القاضي، *جدة الاقتباس*، الرباط، 1973، الجزء الأول : ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله غنون، تطوان : م. ميارة، *الدر الثمين*، شرح

المُرشد المعين، مصر، 1306 هـ : م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية بفاس، أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 9 أجزاء : م. الحجوي، *الفكر السامي*، ط. الأولى، الجزء الرابع : م. ابن علي الدكالي السلوي، *الإتحاف الوجيز*، الرباط، 1986 : محمد بن عثمان المراكشي، *الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، 1937 : ع. ابن زيدان، *إتحاف...*، ج 1 : ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج 1 : م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4 : ع. الكتاني، *أشرف بقعة*، مجلة المغرب، يونيو 1936 : م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 1 : وزارة التربية الوطنية الكتاب الذهبي، جامعة القرويين، د. ت. : سعيد أعراب، *معلمة المغرب*، مادة البيضاء. وتاكتشت : م. غلال سي ناصر، *مسجد الحسن الثاني*، د. ت. محمد حجي

الجامع (أدغار -)، منطقة بورية خارج الشريط

السكني لمُدشر أسرار بوادي نون. وأدغار هو الموضوع أو القرية. يؤكد الموقع على أهمية الامتداد المجالي لنول لمطة إذا اعتبرنا أن المقاييس الحالية تبين أن الجامع (المسجد) المقصود هو "تمزگيدة" القديمة التي ترجعها الرواية الشفوية إلى مخلفات نول عاصمة وادي نون في القرن الخامس (11 م)، والتي كانت التجمعات العمرانية تمتد بها غرباً حتى مشارف وعرون (أنغاس) كما تشهد على ذلك التوزعات الطبوغرافية والمخلفات الأثرية، وكذا الملكيات الكبيرة للجامع والتي يجهل فعلاً حقيقة انتقال جانب منها إلى الجامع الحالي بأسرار كما ترى الروايات الشفوية، ولكن إذا كان نصيب أدغار الجامع حيساً فكيف تم تملكه ؟ ولماذا لم ينتقل كغيره من الأملاك ؟ وهل يؤرخ ذلك بالعكس إلى ظرفية القطيعة خلال القرنين الثامن والتاسع (14-15 م) أم إلى مظاهر الاستحواذ على الأراضي خاصة وأن أهل حساين (انظر المعلمة) يملكون أكبر نصيب من الأراضي بأدغار الجامع.

وعلى العموم فهذا الأخير يبيّن التطور الداخلي للمدشر وتحول الاستغلاليات ونمط الملكية، كما أنه إلى جانب مواقع طوبونيمية عديدة يسمح لنا بمقاربة ومحاولة استكشاف تاريخ المنطقة عبر التاريخ الداخلي للمدشر والبوادي الوسيطية (Block. 946).

D.P. Block. *Histoire et toponymie*. A.E.S.C., juil.-août 1969.

أحمد جوماني

جامع (أولاد -)، قبيلة عربية يقال للواحد منهم "ابن

جامع" لا "جامعي"، وقد ذكر ابن خلدون أن أصلها من دَهْمَان من بني علي أحد بطون رياح الهلالية العربية : وأنهم لما دخلت العرب إلى إفريقية تمكّن كبيرهم بكر ابن كامل ابن جامع من الوصول إلى الولاية على قبايس،

واستبد على صنهاجة ولم يزل كذلك إلى أن هلك وقام بأمره بَعْدَهُ رافع ثم رشيد بن كامل ابن جامع فمحمد بن رشيد ابن كامل ابن جامع، وكان آخر من مَلَكَهَا منهم مُدَافِع بن رشيد بن كامل ابن جامع الذي لحق بعبد المومن بن علي فأكرمه ورضي عنه.

هكذا، كان يدعى الواحد من أولاد جامع "ابن جامع" خلال العصر الوسيط، ولا شك أنهم لعبوا أدواراً مُهمّةً في الحياة السياسية والعسكرية ونالوا المراتب السامية في الدولة أيام الموحدين هُم من هذه الأصول أمثال : إبراهيم ابن جامع وابنه أبي العلاء إدريس ابن جامع وعبد الله بن إسحاق ابن جامع وغيرهم.

يُوجَدُ بني زروال حالياً عائلة من عائلات ابن جامع يَنْتَسِبُ أفرادها إلى أحد أجدادهم المتأخرين وهو العباس أحمد بن موسى ابن جامع فدين داره بمدشر بني خالد من قبيلة غمارة المتوفى سنة 1612/1021، وهي من أشهر العائلات الزروالية، تسكن مدشر أولاد جامع بفرقة بني ملول، أنجبت العديد من الصلحاء والعلماء المشتغلين بالتدريس كجدهم أحمد بن موسى ابن جامع والذي قال عنه الإفرائي في الصفوة إنه كان من أهل الجِدِّ والاجتهاد في العبادة، زاهداً في الدنيا، أخذ عنه قاضي فاس أبو محمد عبد الواحد الحميدي وظيفه الشيخ زروق، وقال عنه "ما رأيت أحداً أتقن لعبادة ربه من سيدي أحمد ابن جامع وسيدي رضوان الجنوي".

ترجم له كذلك القادري نقلاً عن صاحب التحفة وأثنى عليه كثيراً.

ع. ابن خلدون، العبر، 6: 196، 198، 273، 282؛ م. القادري، نشر: الثاني، 1: 174، 285، 287، 294، 296، 297؛ ب. الفاسي، قبيلة بني زروال، 73، 89.

محمد مزاق

ابن جامع، إبراهيم، يكنى أبا إسحاق، وهو جد أسرة كان لها سطوة ونفوذ في ظل الدولة الموحدية، من رجالها إدريس ابن جامع الذي كان وزيراً لأبي يعقوب يوسف بن عبد المومن، وأبو سعيد ابن جامع الذي كان وزيراً للناصر ثم المستنصر، وأبو يحيى ابن جامع الذي كان أيضاً وزيراً؛ وقد نوه صاحب المعجب بالأسرة ومركزها في الدولة المومنية.

وقد أمدنا عبد الواحد المراكشي ببعض المعلومات عن أصل إبراهيم، فذكر أنه من الأندلس وأن آباءه من مدينة طليطلة. ولعل الأسرة هاجرت منها بعدما سقطت في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة. فهو يذكر أن إبراهيم نشأ بساحل مدينة شريش على البحر الأعظم بضیعة تسمى روطة. وبعد ذلك انتقل إلى عدوة المغرب ليشتغل بصناعة النحاس. وفي تلك الأثناء، التقى بابن تومرت وصار من أصحابه.

ولا شك أن صعود نجم الأسرة يرجع في الأساس إلى العلاقة الوثيقة التي كانت بين إبراهيم والمهدي بن تومرت، إذ يذكره البيهقي في قائمة أهل دار الإمام، وفي ذلك برهان واضح على مبلغ الثقة التي حظي بها لدى مؤسس المذهب الموحد، فكان باب الطموح والتشوف إلى أعلى المناصب مفتوحاً أمامه بعد وفاة المهدي، فنجده في ركاب عبد المومن حينما انطلق في غزوته الطويلة التي طارد فيها تاشفين بن علي الممتوني إلى وهران. ولما عزم عبد المومن على العودة إلى المغرب، بعد أن كان قائماً على محاصرة تلمسان لملاحقة يحيى الصحرابي الذي قصد فاساً مع قسم من جيش تاشفين، أسند رئاسة الجيش لإبراهيم ابن جامع لمواصلة الحصار. هذا ما ورد في رواية ابن خلدون، وإن كانت روايات أخرى تختلف معه. والاختلاف راجع، في الحقيقة، إلى كون الحرب لم تنته بين الطرفين وإلى كون الأوضاع لم تتضح في الجهتين.

على أن عبد المومن ما لبث أن استقدم إبراهيم بن جامع بعد أن طرد الصحرابي من فاس وفتحها. ويذكر ابن عذاري أن عبد المومن حاصرها سبعة أشهر وتم له الاستيلاء عليها في ذي القعدة من سنة 540 / أبريل - ماي 1146، فأقام بها أربعة أيام ثم رحل عنها وترك والياً عليها أبا إسحاق بن جامع. هاته الإشارات الأولى المتناثرة في المصادر التاريخية تقدم لنا رجلاً يجمع بين مزايا القائد العسكري والإداري الحازم الذي يمكن أن توضع فيه الثقة وتسد إليه مسؤوليات كبيرة. لكنه برهن، أيضاً، على أنه رجل اتصالات وعلاقات ذات صبغة بروتوكولية ودبلوماسية. وكان من أدق القضايا وأصعبها بالنسبة لعبد المومن، بسط نفوذ الموحدين بالأندلس التي كانت الأوضاع بها تعاني كثيراً من التعقيد والغموض، فارتأى أن يسلك خطة الاتصال بكبار العلماء والأعيان بالأندلس عساه أن يستميلهم إلى الدولة الموحدية ويتخذ منهم سبباً لبسط سيطرتها في شبه الجزيرة. ومن أهم وفود الأندلس التي جاءت لتقديم البيعة لعبد المومن وفد إشبيلية الذي كان يضم من بين رجاله القاضي أبا بكر بن العربي والخطيب أبا عمرو ابن الحجاج، وأبا بكر ابن الجد وغيرهم. وكان لقاءهم بعبد المومن مشجعاً إذ قدموا بيعة إشبيلية للخليفة وخطبوا بين يديه ونالوا من جزائه وإكرامه.

ولكن، سرعان ما راجت الإشاعة بأن أهل إشبيلية ارتدوا في جملة من ارتد عن بيعة الموحدين من مدن وقبائل. وهكذا ما لبث الوفد الذي حل بدار في مراكش أن شاهد الموحدين يحيطون بتلك الدار وهم شاهرون لأسلحتهم. ويصف ابن عذاري حالة أعضائه بقوله: "فمنهم من غشي عليه، ومنهم من بُعت وظهر الموت لديه، ورقب عليه الرقباء ليلاً ونهاراً، ورأوا الموت عيناً وجهاراً. ودام ذلك ثلاثة أيام إلى أن وصل الحق ببراءة أهل إشبيلية بكتاب الشيخ أبي يعقوب بن سليمان من إشبيلية فاستدرك الأمير

أرواحهم، وعجل سراحهم. فوجه إليهم أبا إسحاق ابن جامع وعبد الله ابن سليمان معثذين لهم. فقالا لهم: إنما وجه لكم الرجال إشفاقاً عليكم ونظراً حسناً إليكم، لأن الأمير رضي الله عنه قال: إن وصلهم خير ارتدادهم، يفرون على وجوههم، فتأكلهم الطرق بمن فيها من الثائرين. فتابت إليهم نفوسهم" ص. 34.

ولسنا ندري متى حدثت وفاة إبراهيم ابن جامع بالضبط. وأغلب الظن أنها جرت في عهد عبد المومن، إذ يذكر ابن عذاري أن ولده إسحاق هو الذي كان من جملة الشخصيات الكبرى في الدولة التي رافقت السيد أبا حفص سنة 560 هـ لتلقي أخيه السيد أبي سعيد في جبل "الفتح". وما كان الابن ليقوم بهاته المهمة لو كان الأب مازال على قيد الحياة، اللهم إلا إذا افترضنا أنه توقف عن كل نشاط بسبب الشيخوخة والهرم.

إبراهيم ابن جامع حفيد يحمل نفس اسمه، إذ هو إبراهيم بن إدريس بن إبراهيم ابن جامع وكان والياً على سبتة حوالي سنة 621 هـ / 1221 م وقد ورد ذكره في *الحلة السيرة* لابن الأبار، ج. 2 ص. 293 (ط. القاهرة 1963).

أ. البيهقي، الأنساب: ابن أبي زرع، القرطاس: ع. المراكشي، المعجب: ابن عذاري، البيان المغرب: ابن سعيد المغربي، المغرب: ع. ابن القطان، نظم الخطباء: ابن خلدون، العبر، ج. 6: أ. المقري، نفع الطبيب، ج. 3: أ. الناصري، الأخصار، ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين، ابن خلدون، ج. 1: أ. محمد زبير

ابن جامع، إدريس بن إبراهيم، يكنى أبا العلاء وأبا علي وأبا العلي. استوزره الخليفة عبد المومن بن علي الغومي ثم اشتغل بعد ذلك وزيراً لابنه أبي يعقوب يوسف. كان أبو العلاء إدريس بن إبراهيم ابن جامع يقعد بين يدي السيد أبي حفص عمر الهنتاتي في عهد عبد المومن، (القرطاس، 205-206) ومعنى ذلك أنه كان وزيراً للأمير أبي حفص، ولما تولى أبو يعقوب يوسف خلافة الموحدين أصبح أبو العلاء وزيراً له سنة 560 / 1165 هـ بعد أن وُزِّر لهذا الخليفة أخوه أبو حفص عمر أياماً يسيرة ثم ارتفع قدره عن الوزارة إذ رآها دونه (المعجب، 355) فاخصص بالحجابة.

نشأ أبو العلاء إدريس نشأة الأمراء، شأنه شأن "السادة" من بني عبد المومن فاكتسب بذلك الكفاءة اللازمة للقيام بمهام الإدارة وشؤون التسيير، وقام بأمر الوزارة أحسن قيام، "لا يصدر شيء إلا عن رأيه، ولا تنتجز عدة من أمر الخليفة إلا عن شفاعته وسعيه" (المن بالإمامة، 342) مع عفاف في طبعه، وكفاف في إذابة الناس في رفعه، إذا وفد عليه الوافد رحب وأرجاه في طلبه وأنزله وأسكنه وأنساه أهله ووطنه وسعى له في خير ووصله بكل خير (المن بالإمامة، 169). وقد ذكر ابن صاحب الصلاة أنه

خصص له وإخوته فصلاً في كتابه المن بالإمامة، وقد يكون ذلك في القسم الثالث الذي يعد في حكم المفقود كما هو الحال بالنسبة للقسم الأول.

كان أبو العلاء إدريس ابن جامع يستعين بأخيه أبي محمد عبد الله في أمور التسيير، وكذلك الشأن بالنسبة لابنه يحيى الذي ساعده في الإشراف على غرس ثمار بحيرة إشبيلية سنة 567 / 1171 وقصر الخليفة أبي يعقوب يوسف بها الذي بناه أحمد بن باسه عريف البنائين بالأندلس خارج باب جهور من إشبيلية في الموضع المعروف عند الناس قديماً بلقم فرعون (المن بالإمامة، 372-375). كما شاركه في التسيير أيضاً الفقيه أبو محمد المالقي شيخ طلبة الموحدين في عهد الخليفة يوسف والذي كان من المقرين للخليفة أيضاً (المن بالإمامة، 434).

نال أبو العلاء إدريس بن إبراهيم ابن جامع حظوة سامية ومكانة بارزة في البلاط الموحيدي حتى نكبه الخليفة أبو يعقوب يوسف وأبعده رفقة أبنائه وإخوته عن الخدمة وغربهم إلى ماردة Merida بالأندلس لأسباب غير معروفة. وتتضارب المصادر حول التاريخ الذي تم فيه ذلك بين سنة 573 هـ / 1177 م (البيان، 139؛ والاستقصا، 2: 152) وسنة 575 هـ / 1179 م (العبر، 6: 323) وسنة 577 هـ / 1181 م (المعجب، 355). وقد ذكر ابن عذاري أن نكبة ابن جامع كانت بعد اشتغاله بالوزارة خمس عشرة سنة وأن تغريبه بماردة دام ستة أعوام فيكون تاريخ نكبه على ذلك هو عام 575 هـ / 1179 م لأنه شرع في ممارسة مهامه كوزير سنة 560 / 1165 هـ. وقد طلب أبو العلاء إدريس من الخليفة أبي يعقوب يوسف أن يأذن له ولبنيه في مرافقته في غزوة شنترين سنة 580 هـ / 1184 م فأذن لهم في الحين ومشوا في جملة المجاهدين (البيان، 16). ولما مات أبو يعقوب يوسف في نفس سنة غزوة شنترين عفا خلفه أبو يوسف يعقوب المنصور عن ابن جامع فاخفت بعد ذلك أخبار أبي العلاء إدريس ابن جامع من مصادر التاريخ ولم نعرف في النتيجة تاريخ وفاته، في حين أن أخاه أبا محمد عبد الله اشتغل والياً ليعقوب المنصور على مدينة سبتة تم قائداً للأسطول الموحيدي في الحروب مع بني غانية.

ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، بيروت، 1987؛ ابن القطان، نظم الجمان، بيروت، 1990؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، الدار البيضاء، 1978؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، قسم الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973؛ ع. ابن خلدون، العبر، ج. 6، بيروت، 1988؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 2، الدار البيضاء، 1954.

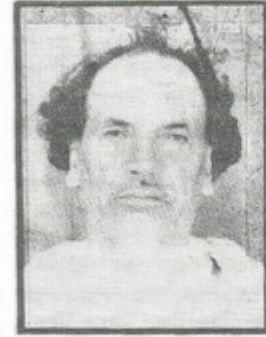
حسن حافظي علوي

ابن جامع، الحسن بن سعيد، مقاوم، ولد سنة 1918 بأيت باعمران إقليم تيزنيت. كان يعمل في صفوف الجيش

الإسباني، وبعد تأسيس جيش التحرير بالصحراء المغربية، بادر إلى مساعدته وذلك بإمداده بالسلاح والمعلومات التي مكنت جيش التحرير من نصب عدة مكامن للعدو الإسباني، وحين علمت إدارة الاستعمار بغيرته الوطنية قامت محاكمته وتُنفذ فيه حكم الإعدام سنة 1956.

كتاب شهداء الاستقلال، 4 : 122.

ابن **جامع**، **سَلَم** بن السيد مقاوم من مواليد 1944 بالساقية الحمراء. انضم إلى صفوف جيش التحرير وعمل بالمقاطعة الثامنة، مركز الساقية الحمراء تحت مسؤولية



أعلي بويما ميارة منذ سنة 1956، كان مثلاً للرجل المجاهد، شارك في عدة معارك بالساقية الحمراء إلى أن استشهد بها رحمه الله سنة 1957.

كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 30.

ابن **جامع**، **عبد الله** بن إبراهيم، عيّن الخليفة يوسف الموحدي على ولاية سبتة وجهاتها وأسطولها سنة 576 إثر هزيمة ابن مردنيش أمام البحرية البرتغالية، فحقق عبد الله ابن جامع -بتعاون مع أسطول إشبيلية- انتصاراً هاماً على الأسطول البرتغالي في مياه شلب في مطلع سنة 577؛ ويبدو أن ولايته لم تطل حيث يرجح صاحب المعجب قتله بأمر من الخليفة يوسف، وهذا لا يتجاوز سنة 580 التي هي سنة وفاة هذا الخليفة.

ابن **جامع**، **عثمان** بن عبد الله بن إبراهيم، عيّن الناصر الموحدي في الوزارة، فتمكن من إبعاد أهم الأشياخ الموحدين عن الناصر واستبد بمشورته، حتى قيل إنه كان أحد أسباب هزيمة الجيش الموحدي في معركة العقاب سنة 609 بسبب إغفال المشورة خاصة مشورة القادة الأندلسيين (القرطاس، 236 - 238).

كان لعثمان ابن جامع أيضاً الدور الأساسي في بيعه يوسف المستنصر بن الناصر الصغير السن حتى يتمكن من الاستبداد عليه وجعله تحت وصايته، وقد تدهورت أحوال الأمن في عهد وزارته حتى في ضواحي العاصمة مراكش،

بل هناك من وجّه التهمة لابن جامع بتفريطه في مصالح الرعية وتشجيعه - بشكل ما، على النهب في الطرق الموصلة إلى العاصمة (الذيل، 8 : 176 - 177). وحاول المستنصر أن يسترجع نفوذه سنة 615، فعزل ابن جامع عن الوزارة بسعاية من ابن برجان، إلا أنه أعاده إليها حتى سنة 617 فيما يبدو، فعزله ثانية ثم توفي بين هذه السنة وسنة 620 التي هي سنة موت المستنصر، ولم نسمع بعد هذا عن دور آل ابن جامع فيما تبقى من عهد الموحدين.

مجهول، المتبس من كتاب الأنساب، ص 25 ط. الرباط 1971 : ع. المراكشي، المعجب، 310، 311، 324 : ابن عذارى، البيان المغرب، 3 : 20، 116، 118، 140، 230، ط. تطوان : ابن أبي زرع، القرطاس، 205، 236، 239 : ع. الحميري، الروض العطار، مادة : جنجالة : ابن خلدون، العبر، 6 : 507، 523، 524.

أحمد عزراوي

ابن **جامع**، **عمر**، أبو علي، من أسرة ابن جامع أهل الإدارة والوزارة في خدمة الموحدين من أيام المهدي إلى أيام العادل الموحدي. وأصلهم القديم من الأندلس، من مدينة طليطلة. وعمر هذا هو ابن أخي الوزير إدريس بن أبي إسحاق ابن جامع، كان بأفريقية فطال مكثه بها، وحن إلى بنيه فاستدعاهم من مراكش، وقال في ذلك شعراً خطه في رقعة، ثم نشأت له قبل وصولهم غزاة إلى سلّيم من العرب فقتل فيها، ووجدت الرقعة في جيبه. ومن أبياتها :

سقتنا نكدكم أهدى الفسراق كزوساً طعمها مر المسدق
فأضرمت الحشا فوال وأجسرت - دموعاً تستهل من المأقي

عاش بمراكش آخر القرن السادس (12 م).

الحلة السيرا، 2 : 275 : ع. بتعبه الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية، 1 : 58.

أحمد متفكر

جامع الفنا، أشهر ساحة بمدينة مراكش، تعدت شهرتها المدينة والمغرب، لتصبح من الساحات العالمية المشهورة.

إن ترك ساحات واسعة في وسط المدينة، وأمام المسجد الجامع الكبير بها، خاصية من خصائص العمارة الإسلامية. ومدينة مراكش، حيث تعد الحومة وحدة متكاملة تتوفر فيها إلى جانب المنازل السكنية : باب كبير يغلق ليلاً، وفوقه غرفة الحارس الليلي، والمطحنة والفرن والمسجد، توجد ساحة متوسطة أمام المسجد تسمى "رگ الجامع" وتنهض على مستوى الحومة، بنفس الوظائف التي تنهض بها الساحة الكبرى على مستوى المدينة.

وقد اختلفت الآراء في تفسير مدلول كلمة جامع الفنا، وقد يعني "الفنا" الساحة أو الساحة الوسطى وقيل أيضاً وهذا مستبعد، إنها سميت كذلك لما كان يُقطع ويعلق بها

وقد نهضت هذه الساحة بوظائف وأدوار مختلفة خلال التاريخ : كانت تجتمع بها الجيوش السلطانية عند دخولها من حرب أو خروجها إليها (تاريخ الضعيف، 1 : 424). كما كانت فضاء لعقاب الثوار والخارجين على المخزن، فقد قُتل بها الباشا عبد الكريم ابن منصور - باشا مولاي إسماعيل والثائر بودربالة سنة، 1127 / 1715 (الإعلام، 8 : 319). وأمر المولى اليزيد بقطع رأس أحد الثوار بساحة جامع الفنا، فلما همسوا بتطبيق الحكم، طلب منهم أن يقتلوه بالرصاص. (تاريخ الضعيف، 1 : 391).

وقد حلت ساحة جامع الفنا بذلك محل باب الشريعة من مراكش حيث كانت تضرب الأعناق، وتصلب الأشلاء، وتعلق الرؤوس حتى أواخر العصر الموحد (الاستقصا، 3 : 43) وفي العهد القريبة علق بجامع الفنا رأس الجليلي الروكي ويده أواسط شعبان سنة 1278 / 1861 (الاستقصا، 9 : 109). كانت أيضاً مكاناً لرمي القتلى وحرق جثثهم : ففي حديث الضعيف (1 : 418) عما فعله جيش مولاي اليزيد بأهل مراكش قال : (دخل البعض على جامع بريمة فوجدوه مملوءاً بالرجال بأهل مراكش. فأخذوا في قتلهم حتى كانوا يخرجونهم على البغال يرمون القتلى بجامع الفنا.

أوقع مولاي اليزيد بأولاد ابن عمران فأخرج العباس بن عمران من قبره بضريح عبد الله الغزواني وأمر بحرقه بجامع الفنا (الضعيف، 1 : 419).

والى جانب هذه الوظائف، كانت الساحة معروفة بطابعها الترفيهي، فقد سجل الحسن اليوسي ذلك منذ

من رؤوس الثوار والخارجين عن الدولة عبد العصور. وقيل كذلك بأن السلطان أحمد المنصور السعدي أنشأ بهذه الساحة جامعاً، ووضعها وضعاً عجيباً، فسمي بذلك جامع الفناء، ثم شغل عنه بترادف المحن، ولم يكمله حتى توفي فسمى جامع الفناء (تاريخ السودان).

وقد شهد جامع الفنا بعض الأحداث المهمة، مثل هدة البارود التي حدثت يوم السبت 14 شعبان سنة، 1280، فقد كان بجامع الفنا فندق في بعض بيوته نحو 400 قنطار من البارود، وشيء من فحم الريش، وقعت فيه نار ومرت منه إلى البارود فنفض وقت الغروب، والناس كثيرون حول الفندق. فطار الفندق بما فيه وطار من كان حوله من الناس، قيل نحو ثلاثمائة، منهم من لم يوجد أصلاً، ومنهم من وجد بعضه من يد أو رجل. وتهدمت كل دار كانت متلاشية بمراكش، وانخلعت الأقفال من الأبواب وصرصرت السقوف (الاستقصا، 9 : 112 : السعادة الأبدية، 106).

وشهدت ساحة جامع الفنا أحداثاً عند دخول أحمد الهيبة لمدينة مراكش ومبايعة أهلها له بعد إعلان الحماية الفرنسية للمغرب سنة 1330 / 1912. وقد صور صاحب الإعلام (2 : 477) ذلك قائلاً : "... فلما دخلوا قامت غوغاء الرعاع، وأوباش الناس؛ وهاجوا في المدينة وماجوا، وطفق العسكر الذي في قشلة جامع الفنا النظامي يخرج بعدته، فقصدوا فنادق الأجانب ونهبوا ما فيها وضاعت في ذلك أموال ودماء... وهدمت قشلة العسكر وبعض بناء الأجانب ودام ذلك نحو ثلاثة أيام".



ساحة جامع الفنا بمراكش

أواسط القرن الحادي عشر (17 م) خلال زيارته لها في صباحه، قال (دخلتُ في أعوام الستين وألف مدينة مراكش عند رحلتي في طلب العلم وأنا إذ ذاك صغير السن، فخرجت يوماً إلى الرحبة، أنظر إلى المدّاحين فوقفت على رجل مسن، عليه حلقة عظيمة، وإذا هو مشغول بحكاية الأمور المضحكة للناس (المحاضرات، 1 : 202).

واستمرت هذه الوظيفة إلى اليوم : فلا يكاد يخلو كتاب من كتب الرحالين والسياح الأجانب الذين وصفوا مشاهداتهم بمراكش من حديث مفصل عما تزخر به الساحة من أنواع الموسيقى البربرية والكنّاوية، والفرجة والقصاصين والبهلولانيين ومرّوضي الأفاعي.

واشتهر من أعلام الفرجة والضحك بساحة جامع الفنا أبطال كوميديون أمثال : باقشيش العربي، وباقشيش البربري، وبرغوث، وفليفلّة، والمَلِك جَالُوق. ورواة القصص الشعبية والحكايات كسيرة عنترّة وسيرة سيف بن ذي يزن. ومن أشهر هؤلاء الرواة شخص اسمه التّعميشة، وآخر اسمه الكبير، ومولاي أحمد التّويكّة.

ومن شعراء الملحنون الذين مروا بها السكوري، وكثير من المغنين والموسيقيين الذين اشتهروا على الصعيد الوطني فيما بعد، كانت بداياتهم من ساحة جامع الفنا.

ومن أشهر حلقات الساحة : هدّأوة أتباع سيدي هدي، بآلاتهم الصاخبة وأغازهم وحكاياتهم، وجماعة "بن حمامة" المشهورة بطربها الحوزي، وفقهاء الوعظ والإرشاد باللغة العربية أو اللغة الأمازيغية، أو في مشاهد الناس تعلموا الكثير من أمور دينهم هناك.

ومن فرق الألعاب البهلوانية بها : أولاد سيدي احامد ومُوسى، والمتفتنون في ألعاب على الدراجة العادية، وفرقة للملاكمة ...

ومن يجلسون بالساحة أفراد يفسرون الأحلام، ويذكرون الطالع بقراءة الورق (الكارطا) وخط الرمل، أو النظر في البيض.

ومن وظائف الساحة عرض مواد الاستشفاء بواسطة الأعشاب والعقاقير الطبية، يعرضها باعتهها طول النهار، ومعظمهم صحراويون. ويغلب على الساحة حالياً الطابع التجاري إذ أصبحت فضاء لبيع أنواع السلع والبضائع، وأصناف من المأكولات والمشروبات. وبذلك تقلصت المساحات المعدة من قبل للفرجة والتنشيط، لحساب العربات وحلقات التجارة، مما جعل المسؤولين عن المدينة يفكرون في إعادة هيكلتها بشكل يحفظ لها طابعها التاريخي والسياحي، دون أن يفقدها مكانتها كمكان للتعامل، باعتبارها مركزاً تصب فيه كل أحياء المدينة القديمة، وقد قدمت أبحاث ودراسات في الموضوع لتخصيص قصد تهيئ الهيكلية السابقة الذكر (انظر الإشارة إلى استطلاع الرأي المذكور بإشراف الدكتور أحمد بلاوي، أطلس مراكش 2 : 1994).

م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تح. م. البوزيدي الشخي، ط : 1، 1988 : أ. الناصري، الاستقصا، ط. الدار البيضاء : م. ابن الموقت، السعادة الأبدية، ط. حجرية فاسية 1335 ؛ حياة الفراس، هدة البارود بجامع الفنا على لسان شاهد عيان، مجلة أطلس مراكش، العدد 2 : 1994.

J. et J. Tharaud. *Les Seigneurs de l'Atlas*. Paris, 1918 : *Jama' Elfna de Marrakech, Hespéris*, T. X, 1930 fasc. 1, p. 122 - 123 : A. Bellaoui, *La place de Jama' El fna entre le visiteur et l'usager premier bilan d'un sondage d'opinion. Atlas (Marrakech)*, n° 2 / 1994.

حسن جلاب

جامعة الأخوين بإفران. بيّن صاحب الجلالة الملك

الحسن الثاني في خطاب وضع حجر الأساس لجامعة الأخوين بإفران يوم 29 غشت 1993 أن "إنشاء جامعة عالمية تكون رأس الرمح العلمي والثقافي والتثقيفي لجميع اللغات وجميع الأجناس وبالأخص اللغة العربية" حلم طالما عانت جلالته. ويبين نفس الخطاب أن المال الموظف في بناء هذه الجامعة بإفران من أصل 50 مليون دولار قدمها الملك فهد بن عبد العزيز لإعانة المغرب على كارثة بيئية كان يتوقعها المغرب بتسرب الزيت من سفينة أجنبية قرب سواحل المغرب الأطلسية. ولما صرف الله تلك الكارثة عن البلاد صُرف المبلغ المذكور بأمر من جلالته لبناء جامعة سماها جامعة الأخوين أي فهد بن عبد العزيز والحسن الثاني.

وفي مذكرة قدمها إلى جلالته مستشاره أندري أزولاي بنفس تاريخ التدشين تحددت لجامعة الأخوين هذه الأسبقيات :

- 1 - الانسجام والإبداع والعقلانية في نظام التسيير ؛
 - 2 - التواصل داخل الجامعة ؛
 - 3 - التواصل مع الخارج وطنياً ودولياً ؛
 - 4 - الانفتاح على المجتمع المدني بمكوناته في مبادئ الأعمال والتربية والعلم.
- وتبعاً لمناقشات مجلس للوزراء بتاريخ 3 غشت 1993، صيغ ظهير بمثابة قانون بإنشاء "جامعة الأخوين بإفران" ومن جملة مقتضياته :
- تأسيس جامعة الأخوين بإفران تحت الرئاسة الشرفية لجلالة الملك، وبصفتها مؤسسة غير تجارية للتعليم والبحث العلمي تتمتع بشخصية معنوية واستقلال مالي، مقرها إفران مع إمكانية فتح ملحقات في جهات أخرى.
 - تعطي الجامعة عناية خاصة للحضارة العربية الإسلامية وتتخذ اللغة الإنجليزية الوسيلة الغالبة في التلقين والتواصل.
 - وضعت الجامعة تحت المراقبة الإدارية للجنة تتألف من وزير الأوقاف ووزير التربية الوطنية وأمين السر الدائم لأكاديمية المملكة وأمين السر الدائم لأكاديمية الحسن الثاني للعلوم والتكنولوجيا.



- | | |
|--------------------|-----------------------------------|
| 2 . مأوى الطلاب | 1 . إدارة |
| 4 . تعليم عام | 3 . مطعم جامعي |
| 6 . علوم 2 كيمياء | 5 . علوم 1 بيولوجيا |
| 8 . علوم إنسانية | 7 . هندسة 1 |
| 10 . علوم اجتماعية | 9 . هندسة 2 |
| 12 . محلات تقنية | 11 . تسيير |
| 14 . مركب رياضي | 13 . مسبح |
| 16 . مسجد | 15 . مكتبة |
| 18 إلى 37 . إقامة | 17 . قاعة للوسائل السمعية البصرية |

• حددت للجامعة أهداف القصد منها أن تكون رائدة في مجال التعليم والبحث والتطبيق العلمي ونشر المعارف والموافقة بين محتوى التعليم ومتطلبات النمو.

ينص الظهير المؤسس لجامعة الأسيوط على :

• تكوين مجلس أمناء الجامعة يتكون من ستة وعشرين عضواً على الأقل، يكون له رئيس ونائب وكاتب عام، يجتمع مرتين على الأقل في السنة.

• قيام النظام الأكاديمي على تعيين رئيس للجامعة ويكون له نائب في الشؤون الأكاديمية ونائب في الشؤون الطلابية ونائب في التنمية والبحث. ولكل كلية عميد ولكل مركز بحث مدير.

• تحديث موارد الجامعة على أنها أساساً من :

• مقابل خدمات الجامعة وأنشطتها.

• مداخيل ممتلكات الجامعة.

• رسوم الدراسة والتسجيل.

• منح عمومية وخصوصية وهبات وطنية ودولية.

وقد نص الظهير على مقتضيات تجعل جامعة إفران لا تجرى عليها مقتضيات ظهير 1975 المنظم للجامعات المغربية وظهير 1991 المنظم للتعليم الحر وظهير المنظم لمراقبة الدولة على مالية المؤسسات وظهير 1934 المقتن للهجرة.



فتحت جامعة الأخوين أبوابها في خريف 1994 بثلاث كليات هي كلية الهندسة وكلية تدبير الأعمال وكلية الإنسانيات.

التحق بها عدد من المدرسين من الجامعات المغربية كمؤطرين وكمعلمين وباحثين، ووظفت عددا من الأطر من الجامعات الأجنبية ولا سيما الأمريكية.

استمرت شركة تربوية تسمى مجموعة تكساس في إعطاء المشورة للجامعة بعد أن شاركت في وضع وثائقها الأساسية وخطتها التوجيهية.

وللجامعة إفران طموح تسعى لتحقيقه في سنواتها الأولى في ميدان ضمان الشغل لكل متخرج منها وفي جلب الاعتراف الأكاديمي الدولي وفي تكوين مكتبة غنية واستقطاب كفاءتها من الطلبة تكون نسبة مهمة منهم من الأجانب وفي تحقيق الاستقلال المالي وتحصيل رأس مال يجلب لها الفوائد الضرورية وفي التمكن من سد جزء مناسب من حاجاتها من مداخل الرسوم، وفي إعطاء البرهان على استحقاق إعطاء الخبرة والخدمات المهنية، وفي الإسهام في تنمية منطقتها، وفي الارتباط بالخبرة الدولية عن طريق تأطير أجنبي بنسبة مهمة، وكل هذا من أجل أن تكون رائدة في ميادين المعلومات والتكنولوجيا والاتصال.

خطاب جلالة الملك بمناسبة تدشين الجامعة : ظهور تأسيس الجامعة:

تصريحات بعض مسؤولي الجامعة.

الجامعات التعليمية بالمغرب، بلغ عدد الجامعات

بالمغرب إلى غاية نهاية الموسم الجامعي 1996 ثلاث عشرة جامعة. أقدم هذه الجامعات جامعة القرويين التي تأسست جامعا بفاس في منتصف القرن الثالث (9 م)، وكان جامعها مكانا لكراسي المستويات المتقدمة من العلوم العربية الإسلامية عبر قرون تاريخ المغرب الإسلامي، وكان لهذا الجامع ما يماثله في هذه المهمة في مدن أخرى أو مراكز بدوية كجامع ابن يوسف بمراكش أو مدارس سوس أو الريف. وقد كان هذا النظام التعليمي الأصيل الذي يمثله جامع القرويين محل عناية أمير المؤمنين محمد بن يوسف الذي أصدر ظهير إصلاح التعليم به عام 1933، وكان لهذا "النظام" معنى رمزي في الضمير الوطني الذي بدأ يقظته وعمله الطامح إلى التحرير آنذاك. وبعد استقلال المغرب عام 1955 تكاثرت الوافدون على القرويين وابن يوسف من مدارس البوداي، وظهر مشكل دمج هذا التعليم في إطار النهضة الجامعية الجديدة مع المحافظة على طابعه المتميز بالتركيز على تدريس العلوم الشرعية واللغوية ومكملاتها من المعارف، وهكذا تأسست جامعة القرويين بظهير فبراير 1963 لتتكون من كليات أربع ورثة مراكز محلية عريقة هي كلية الشريعة بفاس وكلية أصول الدين بتطوان وكلية اللغة العربية بمراكش وكلها تأسست في نفس سنة 1963، بينما تأسست كلية الشريعة بأي ت ملول قرب أكادير عام

1979، بيد أن عمادة جامعة القرويين ظل مقرها بفاس. والتأسيس الرسمي لجامعة القرويين في حلتها الجديدة سنة 1963 يجعلها ثانية جامعة مغربية، حيث إن جامعة محمد الخامس هي الجامعة المغربية الأولى بعد الاستقلال، تأسست عام 1957 تحت اسم جامعة الرباط وورثت مؤسسات للتعليم العالي كانت من إنشاء نظام الحماية. بدأت جامعة محمد الخامس نشاطها الفعلي في الرباط بثلاث مؤسسات هي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وصدر ظهير تنظيمها يوم 21 يوليوز 1959، وكلية العلوم وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية. وتعززت هذه المؤسسات بالرباط بمؤسسات جديدة، وكانت لها فروع بالدار البيضاء وفاس والقنيطرة، ثم تكونت من هذه الفروع وما أضيف إليها جامعات جديدة عام 1975 وعام 1989.

قامت جامعة محمد الخامس بدور رائد في التعليم الجامعي بالمغرب بعد الاستقلال، سواء من حيث تكوين الأطر أو من حيث النوعية العلمية والثقافية وتطوير التجربة الجامعية على أيدي النخبة الأولى من أساتذتها. ولقد انقسمت هذه الجامعة ابتداء من العام الجامعي 1992 - 1993 إلى جامعتين : جامعة محمد الخامس بأكادير وجامعة محمد الخامس بالسوسية.

تضم جامعة محمد الخامس بأكادير كلية الآداب والعلوم الإنسانية وكلية العلوم وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بأكادير والمدرسة المحمدية للمهندسين والمدرسة العليا للتكنولوجيا بسلا والمعهد الجامعي للبحث العلمي.

أما جامعة محمد الخامس السوسية فتضم كلية الطب والصيدلة وكلية طب الأسنان وكلية علوم التربية وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالسوسية والمدرسة الوطنية العليا للمعلومات وتحليل النظم والمعهد الجامعي للبحث العلمي ومعهد الدراسات والأبحاث للتعبير ومعهد الدراسات الإفريقية.

أما جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء فقد تأسست رسمياً عام 1975 من مؤسسات كانت تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط ومن مؤسسات جديدة، وكان لها فرع في المحمدية إلى عام 1989. وفي هذا التاريخ انقسمت جامعة الحسن الثاني إلى فرع عين الشق وفرع المحمدية وهي تضم مؤسسات بالبيضاء وأخرى بالمحمدية.

ومؤسسات فرع عين الشق هي كلية الآداب (عين الشق) وكلية العلوم (عين الشق) وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية وكلية الطب والصيدلة وكلية طب الأسنان والمدرسة العليا للكهرباء والميكانيك والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

أما جامعة الحسن الثاني - المحمدية فمؤسساتها هي كلية الآداب (ابن مسيك) وكلية الآداب (المحمدية) وكلية العلوم (ابن مسيك) وكلية العلوم القانونية والاقتصادية

والاجتماعية (المحمدية) وكلية العلوم والتقنيات (المحمدية).

أما الجامعة العصرية التي تأسست بفاس فقد أحدثت عام 1975 وتحمل اسم واحد من أشهر ملوك الدولة العلوية وهو سيدي محمد بن عبد الله (1721 - 1790). وقد ضمت في بدايتها فروعاً كانت تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط ثم توسعت لتشمل كليتين للآداب (ظهر المهرارز وسابس) وكلية للعلوم وكلية العلوم والتقنيات وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

وتأسست بمدينة وجدة عام 1978 جامعة كانت نواتها الأولى تابعة لجامعة فاس، وهي تحمل اسم جامعة محمد الأول المتوفى عام 1664، وتضم كلية الآداب وكلية العلوم وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

أما جامعة مدينة مراكش فتحمل اسم القاضي عياض أحد أعلام المالكية الفقهاء المتوفى عام 544 / 1149. تأسست هذه الجامعة عام 1978 وهي تضم اليوم كلية للآداب بمراكش وكلية للآداب ببني ملال وكلية للعلوم وكلية للعلوم والتقنيات بمراكش وكلية للعلوم والتقنيات ببني ملال والمدرسة العليا للتكنولوجيا بأسفي.

وفي مدينة مكناس تأسست جامعة المولى إسماعيل (1645 - 1727). من نواة كانت تابعة لجامعة فاس منذ سنة 1982 وهما كلية الآداب وكلية العلوم، ولما قامت بنفسها عام 1989 صارت هذه الجامعة تضم إلى جانب الكليتين المذكورتين كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمدرسة العليا للتكنولوجيا وكلية العلوم والتقنيات بالرشيدية.

وتأسست بمدينة تطوان جامعة عبد الملك السعدي (ت 986 / 1578) من نواة أولى كانت تابعة لجامعة فاس منذ سنة 1982، ثم قامت الجامعة بنفسها عام 1989، وهي تضم كلية الآداب وكلية العلوم وهما بتطوان، ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة والمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير وكلية للعلوم والتقنيات، وهذه المؤسسات الثلاث بمدينة طنجة.

وفي مدينة الجديدة تأسست جامعة شعيب الدكالي (1878 - 1938) وهو من كبار سلفية المغرب المتأخرين. وكانت كلية الآداب وكلية العلوم تابعتين بهذه المدينة لجامعة الدار البيضاء منذ سنة 1986. وقامت بنفسها هذه الجامعة عام 1989. وتأسست بها كلية العلوم والتقنيات والمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير وكلاهما بمدينة سطات منذ سنة 1991.

وفي مدينة القنيطرة تأسست جامعة ابن طفيل من كليتي الآداب والعلوم، وكانتا تابعتين لجامعة محمد الخامس إلى أن قامت الجامعة المذكورة مستقلة عام 1989. وفي مدينة أكادير قامت جامعة ابن زهر عام 1986.

وتضم كلية الآداب وكلية العلوم والمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

فصاحا. تأسست الجامعات هي 1959، 1975، 1978 و1989، وتعتبر النصوص التشريعية الصادرة عام 1975 إطار الهيكلية والتسيير، مع تعديلات لبعض جوانبها صدرت في مابعد.

لكل جامعة عميد هو رئيسها يساعده كاتب عام ولكل مؤسسة قيود إن كانت كلية أو مدير إن كانت مدرسة أو معهداً. ويساعد رئيس المؤسسة نائب، ولها كاتب عام.

مجلس الجامعة هو مؤسسة التسيير التربوي للجامعة بحكم القانون، يضم رئيس الجامعة (العميد) ورؤساء المؤسسات ونوابهم ومثلي الأساتذة الباحثين وهم منتخبون، ويضم ممثلي الطلبة المنتخبين، وأعضاء معينين يمثلون قطاعات عمومية وخصوصية لها صلة بالإنتاج والصناعة. والهيكلية التربوية داخل المؤسسات الجامعية هي على شكل شعب تخصصات لها رئيس منتخب لسنتين ولها مجلس. كما للمؤسسة مجلس ولجنة علمية.

وقد استجاب توسع الجامعات لتزايد أعداد الطلبة ولتنفيذ سياسة اللامركزية الجامعية. ومعظم الطلبة يتلقون منحاً ويستفيدون من المطاعم الجامعية ومن خدمات طبية محدودة، كما أن نسبة منهم تستفيد من السكن الجامعي.

شهدت الجامعات تضخماً في أعداد الطلبة في كليات الآداب والحقوق والعلوم التي يلجها كل من شاء بدون مباراة، بخلاف الكليات الأخرى التي تقبل على أساس معدلات عالية في الدراسة الثانوية.

وفي معظم كليات الآداب والحقوق والعلوم أسلاك للدراسات العليا والدكتوراه، وقد صارت تحاول تطبيق معايير الامتياز في التسجيل بهذه الأسلاك للحد من تضخم أعداد لا سبيل إلى تأطيرها بشروط الجودة المطلوبة.

وقد صارت أزمة تشغيل المتخرجين تضغط على الكليات لإعادة النظر في البرامج، ومن نتائج هذا التوجه إنشاء "إجازات مطبقة" وإنشاء جيل من كليات العلوم والتقنيات والمدارس العليا للتكنولوجيا ومدارس التجارة والتسيير. وقد سيطر شعار الإصلاح الجامعي علي الجو في المؤسسات الجامعية وفي الوزارة الوصية عليها وفي العلاقات التربوية والنقابية بين الطرفين، وكان هذا الإصلاح موضوع تحليلات ودراسات ومشاريع ينتظر صدور نصوص تضعها في صياغة معينة، ونقطة الرئيسية تدور حول رواتب الأساتذة الباحثين ونظام الدكتوراة وتفعيل الدوايب الديمقراطية لنصوص 1975 وتحسين المردودية العلمية.

أقل الجامعات من حيث عدد الطلبة هي جامعة ابن طفيل التي بلغ طلابها عام 1994 من الذكور 5879 ومن الإناث 4412. وأكثرها جامعة محمد الخامس أكادال التي بها من الذكور 14383 ومن الإناث 15513 ومجموع طلبة

الجامعات يتعدى 120.000 في العام المذكور بينما يؤطّهم 7566 من المدرسين والباحثين و9776 من الإداريين، وقد بلغت ميزانية التعليم العالي الجامعي 2.673.300.000 درهماً عام 1994، بينما مجموع ميزانية الدولة في نفس العام هو 66.208.300.000 درهماً.

وزارة التعليم العالي، دليل الجامعات المغربية، الرباط 1995.

أحمد التوفيق

الجامعات الرياضية بالمغرب، كانت الألعاب

الرياضية الشعبية بالمغرب تمارس في فترات المواسم والأعياد والأعراس بالأحياء وفي الساحات العمومية والمداشير والقرى بدون أي تأطير قانوني. ومن أهم الألعاب التي كانت سائدة بالمغرب الفروسية والرماية والقنص والألعاب البهلوانية ولعبة "الشيرة" وكلها رياضات تهم سكان البوادي والجبال، أما ساكنة الحواضر فقد كانت تمارس رياضة "مبارزة العرس" وهي لعبة كانت شائعة بين أوساط الدباغين وخاصة في مكناس وفاس ومراكش وسلا والقصر الكبير وتطوان والشاون وتارودانت. وابتداءً من فترة الحماية أخذت المجاليات الأوربية بالمغرب، وخاصة الفرنسيين والإسبان، تمارس أنشطتها الرياضية المتنوعة والغريبة عن أهالي البلاد. مما جعل بعض المغاربة يمارسون هذه الألعاب بين صفوف الفرنسيين ويحتكون بهم، وربما أثار بعضهم إعجاب الأجانب بمهاراتهم ولياقتهم البدنية، فأخذت السلطات الفرنسية تنظم مباريات في رياضات متنوعة يشارك فيها المغاربة، وظهرت بعض العصب الرياضية الحرة التابعة للجامعة الفرنسية لألعاب كرة القدم والريجي وسباق الدراجات والتنيس والملاكمة والگولف. أما في المنطقة الخلفية فقد عملت السلطات الاسبانية على دمج الفرق المغربية بالشمال داخل البطولة الإسبانية كما كان الشأن بالنسبة "لأنتليكو تطوان" المغرب التطواني حالياً. وفرق طنجة والعرانش وستة ومليبية.

وبعد الاستقلال اتجه نظر المهتمين بشؤون الرياضة إلى إنشاء جامعات رياضية وطنية منضوية تحت لواء الجامعات الرياضية الدولية، وهكذا تم إنشاء أول جامعة رياضية مغربية باسم : الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم. انبثقت عن العصبة الحرة لكرة القدم التي كانت تابعة أيام الحماية للجامعة الفرنسية. وقد تأسست يوم 7 غشت سنة 1955 على إثر الجمع العام الذي انعقد في بورصة الشغل. هذا الجمع العام منح للجنة مؤقتة مهمة وضع روزنامة للمنافسات الرسمية للموسم الرياضي وكذا الدعوة لعقد اجتماع للمجلس الوطني للجامعة، ثم تحرير القوانين العامة والداخلية وتعيين أعضاء اللجن المركزية. كما سهرت هذه اللجنة على تهيئ مقابلات تمهيدية إقصائية لمعرفة الفرق التي ستشكل القسم الوطني الأول (16 فريق) والفرق

الأخرى التي ستلعب في الأقسام الصغرى. وهكذا تم الإعلان عن انطلاق أول بطولة للمغرب تحت إشراف الجامعة يوم 5 شتنبر 1955، وهذا مادفع بالجامعة إلى تكوين المجلس الوطني مكان اللجنة المؤقتة، هذا المجلس الذي ضم عدداً من الفعاليات والمسؤولين الرياضيين (كالأب جيكو)، وقد صدرت عن المجلس عدد من القرارات منها :

- تكوين اللجن المركزية ؛

- تأسيس العصب الجهوية التي وضعت برنامجاً

للمنافسات التي تهمها ؛

- تأسيس اللجنة المركزية المهنية ؛

وفي سنة 1960 انخرطت الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم بصفة رسمية في الاتحاد الدولي (F.I.F.A.) وارتبطت بجامعات أجنبية، وقد حظيت بالرعاية السامية لجلالة المغفور له محمد الخامس وبالرئاسة الفعلية لولي عهده آنذاك الأمير مولاي الحسن.

وخلال الموسم الأول توصلت الجامعة بعدد من الانخراطات وتم توزيع الفرق إلى سبع عصب : سوس، الجنوب، الشاوية، الغرب، الشمال، الشمال الشرقي، الشرق (+ عصبة تادلة)، كما تم خلق عدد من المنافسات : بطولة العصب، بطولة الشبان، بطولة الفتيان، البطولة الوطنية، كأس العرش، كأس محمد الخامس.

الجامعة الملكية المغربية للريجي. تعتبر رياضة الريجي من أقدم الرياضات التي مورست بالمغرب في فترة الحماية حيث تم إنشاء العصبة التابعة للجامعة الفرنسية في سنة 1918. وفي سنة 1956 تأسست الجامعة الملكية المغربية للريجي، وتعتبر هذه الجامعة من أقدم الجامعات على الصعيد الإفريقي والعالم العربي والإسلامي.

تضم الجامعة أحد عشر نادياً، وبلغ عدد المنخرطين بها حوالي 13.250 لاعب.

الجامعة الملكية المغربية للكرة الحديدية (la longue)، تأسست سنة 1956 ثم توقفت أنشطتها لقلّة الممارسين لهذه اللعبة لكن استرجعت مكائنها كجامعة، وتعتبر مدينة الدار البيضاء المجال الوحيد لممارسة هذه اللعبة.

الجامعة الملكية المغربية للكرات الحديدية (la pétanque) وهي تختلف عن السابقة سواء في شروط اللعبة أو في قوانينها. فبينهما تُلعب الأولى في ملعب يتوفر على أبعاد معينة فإن الكرات الحديدية تلعب في كل المجالات وفي الهواء الطلق، ويعتبر المغرب من أكثر الدول ممارسة لهذه اللعبة ويطل العالم فيها.

الجامعة الملكية المغربية للزوارق الشراعية. تأسست سنة 1956 إلا أن نشاط هذه الجامعة مازال يقتصر على الشريط الساحلي الأطلسي : القنيطرة - الرباط - المحمدية.

الجامعة الملكية المغربية لرفع الأثقال. تأسست في أواخر سنة 1956 وعرفت في بدايتها انتعاشاً كبيراً، إلا أن الفتور أصابها خلال السبعينات، ويرسم موسم 94-95 بلغ عدد

الجامعة الملكية المغربية للملاكمة. تأسست 1957، وتعتبر رياضة الملاكمة شعبية لدى الشباب، وقد أُنجبت هذه الرياضة الكثير من الأبطال الذين تجاوز صيتهم حدود الوطن.

الجامعة الملكية المغربية للنسائية. وتعتبر الجامعة الوحيدة التي تأسست خلال سنة 1958.

الجامعة الملكية المغربية لكرة اليد. تأسست سنة 1959.

الجامعة الملكية المغربية للجيدو. تأسست سنة 1959.

الجامعة الملكية المغربية للشطرنج. تأسست سنة 1963

والى حدود موسم سنة 94-95 بلغ عدد الأندية المنضوية تحتها 67 ناديا بينما بلغ عدد المنخرطين بها 1299 منخرطا.

الجامعة الملكية المغربية للطيران الخفيف والرياضي.

تأسست بتاريخ 3 فبراير 1981 وهي جامعة منضوية تحت لواء الجامعة الدولية للرياضيات الجوية (F. A. I) وكذا الاتحاد العربي للقفز بالمظلات وألعاب الهواء (F. A. A) ومن أهم إنجازات هذه الجامعة توثيق عرى الصداقة بين مختلف المنظمات الدولية ذات الاهتمام الرياضي وكذا تحقيق إنجاز المشغل الوطني لصيانة الطائرات بمساعدة المكتب الوطني للمطارات ومديرية الطيران والنادي الملكي لتيط مليل بالدار البيضاء.

الجامعة الملكية المغربية للتكوندو. تأسست هذه الجامعة سنة 1981.

الجامعة الملكية المغربية لرياضة الأشخاص المعاقين.

كانت دورة لوس أنجلوس الأولمبية الحافز الأول لإنشاء جامعات خاصة برياضة المعاقين بدنيا. وقد أقيمت دورة أولمبية لهؤلاء الأشخاص سنة 1984 وهي نفس السنة التي تأسست فيها الجامعة الملكية المغربية للأشخاص المعاقين في مختلف الأنواع الرياضية.

الجامعة الملكية المغربية لقوارب الكاياك. تأسست سنة

1989، ويقتصر نشاطها على الفترات الطقسية الملائمة لأنها لا تقام إلا في الأودية والأنهار ذات الجريان المهم والدائم.

الجامعة الملكية المغربية للبول كونتاك. من الجامعات

الحديثة العهد التي تهتم بفنون الحرب، وقد تأسست سنة 1990.

الجامعة الملكية المغربية للرمية سلاح الصيد. بلغ عدد

الأندية المنضوية تحت لواء هذه الجامعة سبعة أندية بينما وصل عدد المنخرطين بها إلى 200 منخرط. وقد تأسست سنة 1994.

الجامعة الملكية المغربية للكراتي. تأسست سنة 1994.

الأندية التابعة لها 155 ناديا فيما بلغ عدد المنخرطين 7.867 منخرطاً.

الجامعة الملكية المغربية للسباحة. تأسست سنة 1956، وبقي نشاطها محصوراً في المدن التي تتوفر على مسابح كمكناس والدار البيضاء والرباط، وما زالت تفتقر إلى الأطر الكفأه والمساح المغطاة.

الجامعة الملكية المغربية للجيمباز. كانت مدينة الرباط سبباً في إنشاء جامعة الجيمباز بمبادرة من آل جوريو والوفير الذين كانوا يمارسون هذه اللعبة منذ فترة الحماية. ففي سنة 1956 قامت هذه الجامعة بالرباط وبدأت تعرف انتشاراً واسعاً في سائر المدن. وتعتبر مدينة اليوسفية أكثر تعاطيا لرياضة الجيمباز في الفترة الأخيرة.

الجامعة الملكية المغربية لكرة السلة. قامت هذه الجامعة خلال سنة 1956 على أنقاض العصبة الحرة التابعة للجامعة الفرنسية على يد الأستاذ بناني سميرس الرئيس الأول لهذه الجامعة.

الجامعة الملكية المغربية لكرة الطاولة. لم تعرف هذه الجامعة نشاطاً مكثفاً إلا في الفترة المتأخرة رغم أن تاريخ تأسيسها يرجع إلى سنة 1956، وكان نشاطها مقتصر على بعض الأندية في الرباط والدار البيضاء لكنها سرعان ما تقاطرت عليها انخراطات متعددة من كل أرجاء البلاد، وتعتبر مدينة الخميسات حاليا المدينة الأكثر تعاطيا لهذه اللعبة.

الجامعة الملكية المغربية للكوندو. تأسست سنة 1956 كذلك، مع أن هذه الرياضة معروفة بالمغرب منذ سنة 1920، وتعتبر مسالك كوندو مدينة طنجة أول ملعب في المغرب، وكان يستهوي كبار رجالات السياسة في العالم آنذاك.

الجامعة الملكية المغربية لألعاب القوى. تأسست سنة 1957، وإنجازات هذه الجامعة أكثر إيجابية حيث انتعشت رياضة ألعاب القوى وأصبح المغرب حاضراً في كل المحافل الدولية لهذه الرياضة، بل حمل أبطاله غير مأمرة أرقاماً قياسية لازالت في حوزتهم إلى الآن.

الجامعة الملكية المغربية للتنيس. تأسست سنة 1957 واقتصر نشاطها على ممارسة بعض الأندية التي تضم منخرطين أجنبان وبعض الميسورين المغاربة، لكن في منتصف الثمانينات عرفت بعض الانفراج وأصبح العديد من الشباب يمارس هذه الرياضة، كما انتشرت في عدد من المدن والمراكز الصغرى.

الجامعة الملكية المغربية للدراجات. تأسست سنة 1957 وكانت من أنشط الجامعات الرياضية إبان الاستقلال، إلا أنها عرفت فتوراً في السنين الأخيرة وتراكمت عليها مشاكل التسيير مما جمد نشاطها حالياً.

الجامعة الملكية المغربية لكرة الطائرة. تأسست كذلك سنة 1957.

الجامعة الملكية المغربية للمصارعة. تأسست أيضاً سنة 1957.

جامعة الدول العربية والمغرب، تعتبر جامعة الدول العربية من أقدم المنظمات الإقليمية، إذ أُتُشئت عقب الحرب العالمية الثانية، تعبيراً عن رغبة العرب في تجميع صفوفهم، وتوحيد كلمتهم، وتحقيق آمالهم في الاستقلال والسيادة والوحدة، خاصة وأن الأطماع الاستعمارية كانت قد تنبعت إلى ما تمثله المنطقة العربية من أهمية استراتيجية واقتصادية.

وتشير الدراسات المتعلقة بنشأة "الجامعة" إلى وجود سببين رئيسيين أديا لذلك : أولهما : وجود تيارات وحدوية قومية تسعى إلى توحيد البلدان العربية في إطار قومي واحد. وثانيهما : إيعاز بريطانيا إلى بعض الحكام العرب خلال الحرب العالمية الثانية، بالمبادرة إلى إنشاء كيان ضعيف، يدعى التمهيد للوحدة العربية، في الوقت الذي يعمل فيه على تكريس سيادات الدول الاعضاء، وحفظ مصالحها الضيقة وترسيخ حدودها المصطنعة. عملاً بسياسة "اجمع واحكم". ويغض النظر عن أي السببين أقرب إلى الواقع، فقد تم إنشاء الجامعة العربية قبل منظمة الأمم المتحدة بثلاثة أشهر، وهي المنظمة الإقليمية الوحيدة التي يطغى عليها الطابع القومي، وتجمع أبناء أمة واحدة، وتستخدم دولها نفس اللغة.

بدأت الاتصالات والمشاورات بين الدول العربية المستقلة آنذاك، وهي مصر ولبنان واليمن والأردن والعراق والسعودية وسوريا، قصد إنشاء منظمة إقليمية تجمعهم. وأسفرت هذه المشاورات التي عُرفت باسم مشاورات الوحدة العربية عن إصدار بروتوكول الإسكندرية يوم 7 أكتوبر 1944. وهو يتضمن المبادئ العامة للجامعة. ثم انعقد المؤتمر العربي العام بمدينة القاهرة حضرته الدول السالفة الذكر، التي وقعت على ميثاق جامعة الدول العربية يوم 22 مارس 1945، باستثناء اليمن التي لم توقع عليه إلا يوم 5 ماي 1945 في صنعاء. وقد دخل ميثاق الجامعة حيز التنفيذ يوم 10 ماي 1945.

وفيما يخص أهداف "جامعة الدول العربية"، فقد نصت المادة الثانية من الميثاق على أن "الغرض من الجامعة هو توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية، تحقيقاً للتعاون بينها. وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها". وتهدف الجامعة إلى تحقيق التعاون الوثيق بين دولها في الشؤون التالية :

أ - الشؤون الاقتصادية والمالية، ويندرج ضمن ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملية وأمور الزراعة والصناعة.

| اسم الجامعة | سنة التأسيس |
|--|-------------|
| الجامعة الملكية المغربية لألعاب القوى | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية للتكوندو | 1981 |
| الجامعة الملكية المغربية للتنيس | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية للجمناز | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للجيدو | 1959 |
| الجامعة الملكية المغربية للدراجات | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية لرفع الأثقال | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للرمية بسلاح الصيد | 1994 |
| الجامعة الملكية المغربية لرياضة الأشخاص المعاقين | 1984 |
| الجامعة الملكية المغربية للريجي | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للزوارق | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للسياحة | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للشطرنج | 1963 |
| الجامعة الملكية المغربية للطيران الحفيف والرياضي | 1981 |
| الجامعة الملكية المغربية للفول كونتاكت | 1990 |
| الجامعة الملكية المغربية لقوارب الكياك | 1989 |
| الجامعة الملكية المغربية للكرات الحديدية | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للكراتي | 1994 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة الحديدية | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة السلة | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة الطائرة | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة الطاولة | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم | 1955 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة اليد | 1959 |
| الجامعة الملكية المغربية للكونغولف | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للمسايفة | 1958 |
| الجامعة الملكية المغربية للمصارعة | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية للملاكمة | 1957 |

رغم توفر الجهاز الرياضي بالبلاد على العديد من الجامعات في مختلف الأنواع الرياضية إلا أن الاهتمام يبقى منصباً بالأساس على بعض الأنواع الرياضية دون غيرها، فكرة القدم تعدّ الرياضة الأكثر شعبية، تليها ألعاب القوى ثم الملاكمة، وأخيراً الكرات الحديدية، لكن الاهتمام المادي والتقني الذي تحظى به رياضتنا الكونغولف والتنيس يجعلهما في تقدم مستمر وينتظر أن تلقى سائر الأنشطة الرياضية مزيداً من الإقبال والتوسع في السنوات القادمة.

الجامعة الملكية لكرة القدم، مجلة كرة القدم، سنة 1988 : وزارة الشبيبة والرياضة، وثائق مديرية الرياضة : وثائق خاصة.

ب - شؤون المواصلات بما في ذلك السكك الحديدية، والطرق والطيران، والملاحة والبرق والبريد.

ج - شؤون الثقافة.

د - شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات، وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين.

هـ - الشؤون الاجتماعية.

و - الشؤون الصحية.

ومن أهداف الجامعة كذلك صيانة استقلال الدول الأعضاء وسيادتها، وحل المنازعات بالطرق الودية. حيث تفرض المادتان الخامسة والسادسة من الميثاق، على الدول الأعضاء ضرورة اللجوء إلى مجلس الجامعة لعرض المنازعات وفض الخلافات القائمة فيما بينها، إما بالتحكيم أو التوفيق وعدم اللجوء إلى القوة لحل تلك المنازعات، رغبة في الحفاظ على السلم والأمن العربيين، وضمان استقرار المنطقة العربية.

كما تهدف الجامعة إلى النظر في مصالح الدول العربية بصفة عامة، وكان المقصود بهذا النظر، رعاية مصالح الدول العربية التي لم تكن قد استقلت بعد وقت انشاء الجامعة. وتتوخى الجامعة أخيراً إقامة علاقات وطيدة مع دول العالم والمنظمات الدولية القائمة أو التي قد تنشأ في المستقبل.

أجهزة الجامعة : ينص ميثاق جامعة الدول العربية على أن أجهزتها تتكون من ثلاث هيئات هي : مجلس الجامعة، اللجان الفنية الدائمة، الأمانة العامة.

1 - مجلس الجامعة : هو الهيئة العليا في الجامعة، ويتكون من ممثلي الدول الأعضاء. ويكون لكل منها صوت واحد، وبما أنه لم يتم التنصيب على مستوى التمثيل فللدول إعلان من يمثلها من الوزراء أو السفراء أو غيرهم، والأمين العام هو الذي يتسلم وثائق الاعتماد والتفويض.

ويختص مجلس الجامعة بتحقيق أغراضها، ومراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول الأعضاء فيها من اتفاقات. ودعم التعاون بين الدول العربية، والهيئات الدولية المعنية بحفظ السلم والأمن الدوليين، وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الدول الأعضاء، وفض ما قد ينشأ بينها من منازعات، وتعيين أمين عام الجامعة، والموافقة على ميزانيتها، وتحديد نصيب كل عضو في نفقاتها. ووضع النظام الداخلي للمجلس واللجان الدائمة والأمانة العامة.

كما يختص باتخاذ التدابير اللازمة لدفع العدوان الذي قد يقع على إحدى الدول الأعضاء، والقيام بحفظ الأمن والسلم عن طريق التعاون بين الدول الأعضاء بمختلف صوره.

وينعقد المجلس في دورات عادية خلال فصلي الربيع (شهر مارس) والخريف (شهر أكتوبر) من كل عام. ويمكن أن ينعقد في دورات استثنائية كلما دعت الضرورة إلى ذلك، بناء على طلب دولتين أو أكثر من دول الجامعة، أو بناء على طلب عضو معتمد عليه. ويتولى الأمين العام

تحديد موعد الانعقاد الذي يكون بمقر الجامعة أو مكان آخر يعينه المجلس.

وتكون اجتماعات المجلس صحيحة إذا حضرها أغلبية الأعضاء، وتُمارسُ رئاسة المجلس بالتناوب بين الدول الأعضاء، حسب الترتيب الأبجدي لأسمائها، ويتولى الأمين العام توجيهه الدعوة إلى المجلس للانعقاد، وذلك قبل موعد الانعقاد بشهر على الأقل.

ويأخذ نظام التصويت في المجلس بمبدأ الإجماع حتى يكون القرار ملزماً لجمع الدول الأعضاء، أما ما يقرره المجلس بالأغلبية فيكون ملزماً لمن يقبله. ولا يدخل في حساب الإجماع رأي الدولة المعتدية إذا كان المجلس بصدد اقرار التدابير اللازمة لدفع الاعتداء. أما القرارات التي يصدرها المجلس من إطار التحكيم، وكذلك القرارات الخاصة بالتوسط، فهي تصدر بأغلبية الآراء.

2 - اللجان الفنية : تنص المادة الرابعة من الميثاق على أن "تؤلف لكل من الشؤون المبينة في المادة، لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة في الجامعة، وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه، وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيداً لعرضها على الدول المذكورة. ويجوز أن يشترك في اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الأخرى (المقصود بالبلاد العربية غير المستقلة آنذاك) ويحدد المجلس الأحوال التي يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين، وقواعد التمثيل".

وقد تم تشكيل اللجان الدائمة وعددها اثنتا عشر لجنة على الوجه التالي : اللجنة السياسية، اللجنة الثقافية الدائمة، اللجنة الدائمة للمواصلات، اللجنة الاجتماعية الدائمة، اللجنة القانونية الدائمة، لجنة خبراء البترول العربي، اللجنة العسكرية الدائمة، اللجنة الدائمة للإعلام العربي، اللجنة الصحية الدائمة، اللجنة الدائمة لحقوق الإنسان، اللجنة الدائمة للشؤون الإدارية المالية، اللجنة الدائمة للأرصاد الجوية.

3 - الأمانة العامة : أنشأ ميثاق الجامعة، أمانة عامة تتولى تصريف الأمور الإدارية والمالية والسياسية للجامعة، وتشكل الأمانة العامة الجهاز الإداري للجامعة، وهي تتكون من الأمين العام للجامعة والأمناء المساعدين ومجموعة من الموظفين والمستشارين ويتم تعيين الأمين العام بقرار من مجلس الجامعة يتخذ بأغلبية ثلثي الأعضاء، وينتخب الأمين العام لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد. ولا يمثل الأمين العام الدولة التي ينتمي إليها، ولا يتلقى تعليمات من أية دولة أخرى. وتمثل مهمة الأمين العام في العمل على تنفيذ الميثاق وقرارات مجلس الجامعة من جهة، والاشرف على أعمال الأمانة العامة الفنية والإدارية من جهة ثانية.

دور جامعة الدول العربية في استقلال المملكة المغربية : فُرضت الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912، وأخضعت

البلاد للحكم الفرنسي الغاشم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وقد كافح الشعب المغربي ضد هذا الاحتلال منذ بدايته، فحمل أبنائه السلاح في ثورات عارمة ضد جيوش الحكم الاستعماري الفرنسي والإسباني، وكانت أشهر هذه الثورات ثورة عبد الكريم الخطابي بطل حرب الريف. غير أن الاستعمارين تعاونوا على إخماد هذه الثورة. كما تمكنا من إخماد ثورات أخرى في مختلف ربوع المملكة، وخلال عقد الثلاثينات من هذا القرن بدأت تتبلور معالم الحركة الوطنية المغربية، التي قادت الكفاح السياسي ضد الاستعمار، وتمكنت من تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، بدعم وتوجيه من الملك محمد الخامس. غير أن فرنسا واجهت هذا التحرك النضالي بالقمع والإرهاب، فكان من الضروري أن يلجأ مجلس جامعة الدول العربية إلى ممارسة دوره في الدفاع عن القضية الوطنية المغربية، التي أصبحت تعرف في نطاق عمل الجامعة بالقضية المراكشية".

بادر مجلس الجامعة إلى تمثيل المغرب في لجان الجامعة العربية، وبذل الكثير من الجهود والمساعدات لتحرير الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي قامت فرنسا بنفيه سنة 1946. وقد تمكنت الجامعة العربية من استقباله سنة 1947 في بورسعيد. وأسندت إليه رئاسة تحرير لجنة المغرب العربي.

وواصلت الجامعة العربية سعيها لتحرير المغرب، فأصدر مجلسها في دورته الخامسة عشرة، المنعقدة بتاريخ 10 أكتوبر 1951 قراراً يؤكد قراره السابق بشأن قضية المغرب، الذي يقضى باتخاذ إجراءات معينة لمساندة الشعب المغربي في كفاحه ضد الاستعمار ومن هذه الإجراءات :

1 - "تقديم مذكرة إلى الحكومة الفرنسية بصيغة موحدة من دول الجامعة العربية كإلهام، يطلب فيها إلى الحكومة الفرنسية تسوية الأمر في مراكش بما يكفل إزالة الشكوى ويضمن الرأي العام العربي والإسلامي".

2 - "الاتصال ببعض الدول للتوسط لدى الحكومة الفرنسية لحل المسألة المراكشية حلاً عادلاً".

3 - "إذا لم تكفل هذه المساعي بالنجاح تعرض القضية المراكشية على الأمم المتحدة في دورتها السادسة عشرة".

كما قرر المجلس بأن تتقدم دول الجامعة العربية الأعضاء في الأمم المتحدة بالطلب القانوني إلى السكرتير العام للأمم المتحدة، بإدراج القضية المراكشية في جدول أعمال الأمم المتحدة في دورتها السادسة التي تعقدها يوم 6 نوفمبر 1951. وقد لبثت المجموعة الأسيوأفريقية دعوة مجلس الجامعة، فتقدمت بالطلب، وأدرجت المسألة المغربية في الدورة السابعة للأمم المتحدة سنة 1952.

وعندما قامت السلطات الفرنسية الاستعمارية بنفي الملك محمد الخامس لمطالبته باستقلال بلاده، وتعاونته مع الحركة الوطنية في سبيل تحقيق السيادة المغربية، تمت دعوة مجلس الجامعة إلى اجتماع عاجل لتدارس الموقف من شتى

نواحيه. وقرر المجلس في جلسته الأولى من الدورة التاسعة عشرة التي عقدت في 7 سبتمبر 1953 بأن جامعة الدول العربية : "تعتبر القضية المراكشية قضية عربية تهدف إلى الحرية والاستقلال. وأن الجامعة العربية تستنكر العدوان على السيادة المراكشية" وأكدت الجامعة على أن ما تقوم به فرنسا في المغرب، مناف لميثاق الأمم المتحدة. وينتهك صراحة المعاهدات الدولية الخاصة بالمغرب، والجامعة العربية حرصاً منها على رعاية الأمان الوطني للشعب المغربي لا تعترف بتاتاً بالأوضاع غير الشرعية التي تفرضها فرنسا على المغرب.

وعاد مجلس الجامعة العربية إلى بحث القضية المغربية في 27 يناير 1954، ورأى ضرورة دعم الجبهة الوطنية المغربية في نضالها من أجل الاستقلال ورد سلطان البلاد الشرعي إلى عرشه. وقرر المجلس إحداث صندوق تموله الدول الأعضاء للإلتفاق على القضية المغربية.

وظلت الجامعة العربية قائمة بهذه المهمة، بانارتها للمشكلة في المجال الدولي حيث عاودت عرضها على هيئة الأمم المتحدة من جديد، وكانت النتيجة في صالح المغرب عندما أيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الأمان القومي والوطنية للشعب المغربي وطالبت بتسوية مرضية لقضيتها. وقد توافقت هذه المساعي مع الانتفاضة الشعبية المغربية الصارمة المطالبة بالاستقلال، وبعودة الملك الشرعي إلى بلاده وعرشه. ورضخت فرنسا مجبرة بعد فشلها في قمع الانتفاضة المفاوضة-الحركة الوطنية، وأعادت السلطان محمد الخامس من منفاه من نوفمبر 1955 ليفاض بنفسه رئيس الجمهورية الفرنسية حول استقلال المغرب، وشهد المغرب استقلاله سنة 1956 بعد إعادة دمج المنطقة الشمالية التي كانت خاضعة للحماية الإسبانية، وعودة طنجة إلى السيادة المغربية وإلغاء إدارتها الدولية.

وفي شهر يونيو 1956 زار القاهرة وفد رفيع المستوى من المغرب برئاسة ولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن (صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني اليوم). فقابل الأمين العام لجامعة الدول العربية، وأعرب له عن امتنان المغرب للجامعة واعترافها بجهودها في دعم مساعيه من أجل تحقيق استقلاله. وقد كانت مهام بناء الدولة الجديدة، وإقامة الإدارة المغربية على أنقاض الإدارة الاستعمارية، سبباً في تأخير انضمام المغرب إلى الجامعة العربية زهاء سنتين من الزمن حيث انضم المغرب إلى الجامعة يوم فاتح أكتوبر 1958.

دور المغرب في العمل العربي المشترك ومؤتمرات القمة العربية : أبدى المغرب منذ انضمامه إلى جامعة الدول العربية استعداداً نشيطاً في دعم العمل العربي المشترك، وكان من الدول السبّاقة إلى المطالبة بتعديل ميثاق الجامعة، فقد أشار الملك محمد الخامس في خطابه الافتتاحي للدورة الثانية والثلاثين لمجلس الجامعة في الدار

البيضاء، بتاريخ أول سبتمبر 1959، إلى أن "الوقت قد حان للسعي في جعل الجامعة العربية متلائمة مع مقتضيات الوقت، ومشاكل الساعة الراهنة، نظراً لتغير الآفاق الدولية واستقلال الكثير من الأقطار العربية بالإضافة إلى التطورات الجوهرية في العالم". وكان هدف المغرب من هذه الدعوة دعم التضامن العربي، ووضع حد للحرب الباردة العربية التي كانت تخيم على العالم العربي خلال عقدي الخمسينات والستينات. وقد واصل المغرب اهتمامه بمسألة تعديل الميثاق بعد ذلك، فأصبح مندوبه الدائم في الجامعة رئيساً للجنة تعديل الميثاق هذه اللجنة التي استغرقت أشغالها عن تهيئ ميثاق جديد لجامعة الدول العربية، وقد وضع الميثاق الجديد على جدول أعمال القمة الثانية عشرة في فاس (نوفمبر 1981)، ولازال ينتظر موافقة الدول العربية عليه منذ ذلك التاريخ.

وعندما بدأت جامعة الدول العربية تدعو إلى عقد مؤتمرات قمة دورية، ابتداء من مؤتمر القاهرة الأول سنة 1964، حرص المغرب على حضور جميع هذه المؤتمرات، والاسهام في أشغالها بفاعلية وكفاءة على أعلى المستويات. وقد مكّنه من لعب هذا الدور، الخط المعتدل لسياسته الخارجية، واحجامه عن الانخراط في صراعات ومحاور الأنظمة العربية، وقد بلغ عدد مؤتمرات القمة الدورية من يناير 1964 إلى غاية نوفمبر 1982، اثني عشر مؤتمراً للقمة، احتضن المغرب ثلثها. أي أربع مؤتمرات للقمة هي : مؤتمر القمة العربي الثالث بالدار البيضاء في سبتمبر 1965 الذي خصص لدعم منظمة التحرير الفلسطينية وتوقيع ميثاق التضامن العربي. ومؤتمر القمة العربي الخامس بالرباط في يناير 1969 الذي كان يهدف إلى تقديم الدعم المادي لدول المواجهة، ومؤتمر القمة العربي السابع بالرباط في أكتوبر 1974، الذي خصص لبحث تمثيل الشعب الفلسطيني والاعتراف بمنطقة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، بعد تنازل الاردن عن تمثيله. وأخيراً مؤتمر القمة الثاني عشر في مدينة فاس في نوفمبر 1981، والذي خصص لبحث الأزمة اللبنانية ومبادرة السلام السعودية. لكن المؤتمر أجل بعد جلسته الأولى ليجتمع مرة ثانية بعد مرور حوالي سنة على دورته الأولى. فكان أول مؤتمر للقمة يعقد علي دورتين، وأسفر عن الاتفاق على مبادرة السلام السعودية التي تقدم بها الملك فهد ولي عهد آنذاك. وعن حل الأزمة اللبنانية بالسماح للقوات السورية بالفصل بين الأطراف المتناحرة في لبنان.

وخلال عقد الثمانينات عقدت ست مؤتمرات للقمة تميز بكونها قمم غير عادية أو استثنائية. أو ما اصطلح عليه بالقمم الطارئة. وقد استطاع المغرب خلال هذه الفترة أن يحتضن اثنين منها هما : مؤتمر قمة الدار البيضاء في شهر غشت 1985 الذي أعلن تضامن الدول العربية مع العراق في حربها ضد إيران، ومؤتمر القمة الاستثنائي بالدار البيضاء، بتاريخ أول سبتمبر 1959، إلى أن "الوقت قد حان للسعي في جعل الجامعة العربية متلائمة مع مقتضيات الوقت، ومشاكل الساعة الراهنة، نظراً لتغير الآفاق الدولية واستقلال الكثير من الأقطار العربية بالإضافة إلى التطورات الجوهرية في العالم". وكان هدف المغرب من هذه الدعوة دعم التضامن العربي، ووضع حد للحرب الباردة العربية التي كانت تخيم على العالم العربي خلال عقدي الخمسينات والستينات. وقد واصل المغرب اهتمامه بمسألة تعديل الميثاق بعد ذلك، فأصبح مندوبه الدائم في الجامعة رئيساً للجنة تعديل الميثاق هذه اللجنة التي استغرقت أشغالها عن تهيئ ميثاق جديد لجامعة الدول العربية، وقد وضع الميثاق الجديد على جدول أعمال القمة الثانية عشرة في فاس (نوفمبر 1981)، ولازال ينتظر موافقة الدول العربية عليه منذ ذلك التاريخ.

وهكذا طبع المغرب الديبلوماسية العربية بحضوره الفاعل واسهامه النشط في دعم قضايا العمل العربي المشترك، وحل النزاعات العربية. وتيسير السبل أمام جامعة الدول العربية للقيام بدورها على أحسن وجه. هارون هاشم رشيد، ما يجب أن تعرف عن جامعة الدول العربية، تونس 1980 : أ. الشقيري، الجامعة العربية، كيف تكون جامعة، وكيف تصبح عربية، تونس 1979 : ش. مفيد، جامعة الدول العربية، ميثاقها وإنجازاتها، القاهرة 1978 : م. طلعت الغنيمي، جامعة الدول العربية، دراسات قانونية سياسية، الإسكندرية 1974 : ج. مطر، ع. الدين هلال، النظام الإقليمي العربي، دراسة في العلاقات السياسية العربية، الطبعة الثانية، بيروت 1983 : ك. علي، جامعة الدول العربية والنزاعات الإقليمية العربية، لنيل د. د. ع في القانون العام كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط 1980 : م. الصوفي، ديبلوماسية مؤتمرات القمة في العلاقات العربية، رسالة لنيل د. د. ع القانون العام كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط 1982 : أ. طرين، إنجازات جامعة الدول العربية في دعم الاستقلال السياسي للاتحاد العربية، مارس 1982، ص 350. 365.

Gomaa Ahmed, *The foundation of the League of Arab States : Wartime diplomacy and inter-arab politics, 1941 to 1945* London. 1977 : H. Kerr Malcolm, *The Arab Gold War : Gamal Abd-Al Nasir and his Rivals. 1958 - 1970.* London. Third edition 1971. : Olivier Carré, *La Ligue des Etats Arabes, Revue Française des Sciences Politiques*, Vol. XXI, n° 2. Avril 1971, p. 362 : Boutros Boutros Ghali, *La crise de la ligue arabe, Annuaire français du droit international*, vol. 1968, p. 96.

محمد الصوفي

الجامعي، أسرة فاسية عريقة تنتسب إلى قبيلة أولاد جامع المذكورين آنفاً، وأصبحوا ينتسبون هكذا : "الجامعي" بدل "ابن جامع" منذ أن استوطنوا الجهة الشرقية الشمالية لمدينة فاس، وربما كان ذلك في عهد الدولة السعيدية. وأصبحت تتكون من عشائر حمود الحجر الشريفة والويدان وسوق الأربعاء وسوق السبت كما ذكر عبد الرحمان بن زيدان في كتابه *العز والصلوة* (ج. 1، ص. 152)، وانضمت هذه القبيلة سنة 1849 إلى الجيش المخزني الذي نظمته السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 - 1859) على إثر هزيمة القوات المخزنية في معركة إيسلي - غشت 1844. - وارتقى أفراد من الجامعيين إلى مستوى كاتب - وزير - خلال حكم السلطان المذكور، والمقصود هو العربي بن

المختار الجامعي، واحتل ابنه محمد نفس المنصب في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873) الذي كانت تربطه علاقة مصاهرة مع آل الجامعي لأن زوجته للا الطام تنتمي لقبيلة أولاد جامع وهي أم السلطان مولاي الحسن (1873 - 1894).

ونظراً لهذه القرابة فقد أصدر سيدي محمد بن عبد الرحمان ظهيراً بتاريخ 2 غشت 1866 أسدل به أردية التوقير والاحترام على أصهاره وخاصة منهم محمد بن العربي بن المختار الجامعي، كاتبه - أي وزيره - في حين أسند له ابنه مولاي الحسن منصب الصدارة العظمى أي أمور المخزن الخارجة عن القصر سنة 1878 بعد وفاة الحاجب الوزير موسى بن أحمد البخاري وتقسيم الأعمال التي كان يزاولها بين ابنه أحمد (احماد) الذي كلف بالحجابة، وبين محمد بن العربي المذكور خال السلطان، وبقي في هذا المنصب إلى سنة 1891، حيث تولى مكانه أخوه المعطي بن العربي (1891 - 1894) مدة ثلاثة وثلاثين شهراً إلى نهاية حكم المولى الحسن.

ويبلغ نفوذ الجامعيين القمة على عهد السلطانين سيدي محمد بن عبد الرحمان وابنه مولاي الحسن، فسيطروا على مقاليد المخزن ودواليبه، إذ كان منهم الصدر الأعظم أو صدر الوزراء وهو منصب أحدثه لأول مرة في تاريخ المغرب السلطان مولاي الحسن، كما أسند المعطي بن العربي الجامعي منصب وزارة الحربية لأخيه محمد الصغير، وقرب له العناصر الموالية للأسرة، في حين تم إبعاد كل من حامت حوله الظنون تجاه هذه الأسرة ومناهضتها، مما خلف كرهاً شديداً لها من قبل بعض أعضاء المخزن الحسني، وفي مقدمتهم الحاجب احماد ابن موسى.

ولم يدم جاه أسرة الجامعي طويلاً، فمباشرة بعد وفاة السلطان م. الحسن، بدأ العد التنازلي لسلطتها، ونكب أفرادها في ممتلكاتهم على يد الحاجب المذكور الذي كان له من العز والقوة داخل جيش البخاري، فتمكن من إسقاط الوزراء الجامعيين وأنصارهم، وزج بهم في السجون بعدما اتهمهم بالإيقاع بينه وبين السلطان، وكان ذلك أوائل عهد مولاي عبد العزيز، لما صار أحمد بن موسى صدرراً أعظم، وكانت بداية هذه النكبة في مكناس حينما دخل الحاجب المعطي الجامعي على السلطان في قصره بهذه المدينة يحمل معه صكوك الأوامر والظواهر السلطانية كما جرت العادة، للتوقيع عليها، فأمره بتقديمها إلى أبنا احماد ابن موسى، فامتنع عن القيام بهذه المهمة التي اعتبرها إهانة له، فلم يسع السلطان إلا إعطاء تعليماته - بإيعاز من حاجبه - لقائد المشور إدريس بن العلام البخاري، ليبلغ الصدر الأعظم السابق إعفاءه من وظيفته ولزوم داره صحبة أخيه، لأنهما في نظره طغيا في البلاد وشقا عصا الطاعة، في الأمر الذي وجهه ابن العلام لباشا مكناس حم بن الجليلي

البخاري لإلقاء القبض على أولاد الجامعي المعطي وأخيه محمد الصغير وصهرهما العربي الزيدي - الذي كان السلطان قد أرسله سنة 1876 سفيراً لبعض الدول الأوربية لناقشتها في مشكل الحمايات القنصلية في المغرب - واستئصال أموالهم ومخلفاتهم من الأثاث ولكل تركاتهم، وبيعها في العواصم المغربية، فأرسل مقبدين - بأمر من ابا احماد - إلى ثغر تطوان - فيما أرسل الزيدي إلى سجن أسفي - فتوفي المعطي بمعتقله بعد أن قضى فيه 33 شهراً، وبقي محمد الصغير في سجنه إلى أن أطلق سراحه وأخير الـ زلة العزيزية فنقل إلى طنجة التي عاش بها أحلك أيامه إلى أن توفي بها، وبذلك أفل نجم الأسرة الجامعية ونكب وزراؤها بعدما تحكّموا في مقاليد الشؤون المخزنية طيلة النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

ع. ابن زيدان، العز والصلوة في معالم نظم الدولة، ج. 1، الرباط 1961؛ الوثائق، 1976، ع. 2، 3.

بوشتي بوعسرية

الجامعي، أحمد بن إدريس الفاسي، كان عدلاً مبرزاً بمحكمة أحواز الدار البيضاء، وتعاطى الإفتاء بها ثم انتقل إلى القضاء بطنجة.

ألف كتاب زجر الطفلة وقمع البيغاة، ردّ فيه على قاضي أحواز الدار البيضاء أحمد بن العباس التازي الفاسي. طبعته المطبعة الجديدة بفاس عام 1351 في 68 صفحة وبآخره واحد وعشرون تقريباً لفقهاء العصر. إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، ص 80.

الجامعي، إدريس بن محمد بن المختار، أمه السيدة راضية بنت الحاج المعطي صفيحة الأندلسي، ناظر الأحباس بمدينة فاس، في حدود العقدين الأولين من القرن الثالث عشر (19 م). والمترجم هو أيضاً من أبناء عمومة الوزير الصدر الفقيه محمد بن العربي بن المختار الجامعي وأخوه الوزير المعطي بن العربي ومحمد الصغير، وثلاثتهم شغلوا منصب الوزارة على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وخلفه السلطان المولى الحسن.

وقد حلاه صاحب زهر الآس في بيوتات فاس، بوصف "الطالب"، حين تعرض لذكر أسرته (ص. 510). وهذا يعني أن الرجل تعلم على يد بعض مشايخ القرويين، وإن لم يكن قد ارتقى إلى درجة "العالم"... وقد عثر على اسمه في قائمة "الفقهاء" الموزع عليهم خيام جديدة في شهر شوال من سنة 1310 هـ (العز والصلوة، 1: 225). وتوحي هذه الإشارة إلى أنه كان من كتاب ألحاشية السلطانية وممن كان مقرراً أن يرافقوا السلطان في رحلته المقبلة إلى ناحية تافيلالت، في نفس التاريخ.

وكانت سكانه بسبع لُوِيَاتٍ، من عدوة القرويين بفاس، كما كان حياً في حدود 1340 / 1921 . 1922 .

م. عبد الكبير بن هاشم الكثاني، زهر الآس في بيوتات فاس، ص 510 : ع. ابن زيدان، العز والصلوة، 1 : 225 .

مصطفى الشابي

الجامعي، بوشتي. وطني مكافح ينتمي إلى قبيلة الجامعيين (أولاد جامع) المجاورة لمدينة فاس. ولد سنة 1323 / 1905 في هذه المدينة، ودرس بها، وانضم في سن مبكرة إلى الخلايا الوطنية الأولى التي أسسها الرعيل الأول للحركة الوطنية من الشباب خريجي جامع القرويين المتشبعين بالفكر السلفي، أو ممن درس في المدارس الفرنسية ومعاهدها في الداخل والخارج. ونظراً لنشاط بوشتي الجامعي المعارض لسياسة فرنسا في المغرب وممارسات حكامها الإقليميين في فاس وفي غيرها من المدن والبوادي - فقد تعرض للاعتقال والسجن سنتي 1928 و1929، والنفي من مدينته إلى منطقة الحياينة. وبعد عودته سنة 1930 إلى فاس مسقط رأسه عمل على تكوين تنظيم خلية تضم طلاب القرويين وخريجيه لمقاومة الظهير البربري الصادر يوم 16 ماي من نفس العام، كما كان من بين متزعمي حركة إصلاح التعليم داخل جامع القرويين، وأسفرت هذه الحركة عن صدور ظهير 31 مارس 1933 المتعلق بتنظيم هذا التعليم وإصلاحه بمختلف أسلاكه - الابتدائي والثانوي والعالي - سواء تعلق الأمر بالمواد المقررة أو سير الدروس والامتحانات.



انضم بوشتي الجامعي في بداية الثلاثينات من هذا القرن إلى الخلايا السياسية السرية الأولى التي كان يشرف عليها التنظيم المعروف بالزاوية، وهو - التنظيم الذي كان النواة الأولى لنشأة أول حزب سياسي مغربي منظم وعلني ومعتترف به، تحت اسم : كتلة العمل الوطني سنة 1934 بقيادة أبناء النخبة الحضرية بأهم المدن المغربية - فاس والرباط وسلا ومراكش ومكناس ... - وقدمت الكتلة المذكورة مطالب الشعب المغربي للمسؤولين وذلك في شهر نونبر سنة 1934.

ولم تمنع التزامات بوشتي الجامعي السياسية من مواصلة اهتماماته التعليمية. سواء في فاس أو في وجدة، ورغم النفي والمتابعة والمراقبة المستمرة لتحركاته، فقد تمكن من إلقاء عدة دروس توجيهية وتعليمية على الطلاب في أماكن متعددة وخاصة في منزل رفيقه وصديقه الهاشمي الفيلاي بفاس.

كما أسس أول نقابة للسائقين، ومدرسة حرة في مدينة القنيطرة سنة 1937، هذه المدينة التي كانت بها الحركة الوطنية متألفة بقيادة نخبة من الرواد الأوائل أمثال محمد الديوري. وخلال هذه السنة بالذات كان الوضع السياسي في المغرب متأزماً لدرجة الاصطدام الدموي في بعض المدن بين السكان وقوات الأمن، وفي مقدمة تلك المدن مكناس حيث جرت أحداث بوفكران - وأسفرت هذه الحالة عن عدة اعتقالات في صفوف زعماء الحركة الوطنية كعلال الفاسي ومحمد حسن الوزاني وغيرهما، وكان من بين المعتقلين بوشتي الجامعي الذي كان مصيره السجن في كل من سطات والريش وعين مومن وغبيلة، إلا أن سنوات الحبس لم تؤثر في مبادئه إن على المستوى السياسي والتعليمي، فلم يلبث أن واصل نشاطه في الاتحامين معاً، فكان من الموقعين على وثيقة الاستقلال بتاريخ 11 يناير 1944.

توفي بالدار البيضاء يوم تاسع جمادى الثانية عام 1410 / 7 يناير 1990.

بوشتي بوعسرية

الجامعي، العربي بن المختار، كان من جملة كتاب السلطان عبد الرحمان بن هشام، وعند وفاة الوزير الصدر محمد بن إدريس عيّن السلطان محمد بن علي الحاحي النكثافي وزيراً ليشغل هذا المنصب حتى يظهر له من هو جدير به، فعين بعد ذلك العربي الجامعي سنة 1264 / 1847. وكان الجامعي قد صاهر بأخته الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمان.

وقد عرفت فترة وزارته بعض المصاعب بالنسبة للسياسة الخارجية للمغرب، ففي سنة 1263 / 1848 كان لكل من إسبانيا وفرنسا مطامع توسعية في مصب نهر ملوية، كما أصبحت بريطانيا من جانبيها تضغط على المغرب لإلغاء سياسة الاحتكارات (الكنطرات) التي يستفيد منها التجار المغاربة وتطالب المغرب أيضاً بأن يعمل على تخفيض الرسوم الجمركية على السلع في المرسى. كان الوزير الجامعي يعارض إلغاء سياسة الاحتكارات لأسباب عامة وخاصة منها أنه كان يستفيد منها، وقد قدر قنصل فرنسا مداخل الجامعي السنوية من تجارة الاحتكار بمائة ألف بسيطة (90 فرنك لكل قنطار من الجلد يخرج من مدينة فاس).

وفي آخر سنة 1270 / 1853 عُزل العربي الجامعي من منصبه، وقد تضاربت الآراء حول أسباب عزله، فابن زيدان

يشير إلى أن عزله كان بطلب من الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمان لأن الوزير صار لا يبالي به، بينما أشالبعض القضايا على السلطان ويذكر أكنسوس مصير الجامعي بعد عزله فيقول: "... ومع ذلك فإن سيدنا ما نقص له من حاله شيئاً ما عدا التأخير عن الحجابة، فلم يزل ملازماً حضرته وبابه وخطته التي هي الكتابة، وقيل إنه أعطى ما تيسر عليه من المال عن غير تكليف ولا إلزام..."

ويمكننا تزكية شهادة أكنسوس حول سبب عزله باعتباره كان معاصراً للأحداث وتربطه في نفس الوقت علاقات مع الوزير، وإذا كان سبب عزله غير واضح فإنه من المؤكد في جميع المصادر أن الجامعي تولى بعد ذلك القيادة العسكرية لقبيلة شراكة التي أبلى فيها البلاء الحسن بإخماد فتنة المولى عبد الرحمان بن سليمان الذي ظهر في صدر دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1276 / 1859 مطالباً بالملك، فحمل الجامعي الناس على الثبات والتمسك بطاعة السلطان.

توفي الجامعي على إثر خمود تلك الفتنة بعد إغماء شديد وذلك سنة 1276 / 1859. وقد أبقى السلطان على أولاده وظيفته وجميع أملاكه وأصوله وبلاده.

م. أكنسوس، الجيش العرمرم الحماسي، ج. 1 : م. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 9 : خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر، المحمدية 1990.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. II.

جامعي، محمد مقاوم ولد سنة 1917 بآيت عمّار من

بني خيران، انخرط في صفوف المقاومة السرية بمنطقة وادي زم ضمن فرقة صوت الاتحاد التي كان يرأسها ممدوح محمد، وقد شارك في الأحداث الدامية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 أثناء الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمت تخليداً للذكرى الثانية لنفي ملك البلاد. وقد استمر في النضال إلى فجر الاستقلال وتوفي بمسقط رأسه بتاريخ 1995 / 1 / 14.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.

الجامعي، محمد بن إدريس بن محمد بن المختار،

من أبناء عمومة الوزير الصدر الفقيه محمد بن العربي الجامعي وأخوته الوزيرين المعطي بن العربي الجامعي ومحمد الصغير في عهد السلطان المولى الحسن. وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن هذا الجد هو أحد إخوة السيدة فاطمة بنت المختار الجامعي، والدة السلطان المولى الحسن، أمكننا وضع المترجم في المكانة الرفيعة الخاصة به.

وُلد بفاس حوالي عام 1290 وأخذ عن أحمد بن الحياط والفاطمي الشراذي وأضرابهما من الشيوخ، وانخرط بعد ذلك في سلك الكتاب بالدواوين المخزنية، واحتفظ بمنصبه

سنوات عديدة. بعد ذلك، أسندت إليه مهام باشوية مدينة تارودانت لمدة عشر سنوات تقريبا، وبقي بها إلى أن عزلته سلطات الحماية من وظيفته سنة نفي محمد الخامس (1372 / 1953).

وقد ذكر ابن سودة في *إتحاف المطالع* جامعياً بنفس الاسم (محمد بن إدريس) ولم ينسب إليه باشوية تارودانت، وإنما ذكر أنه تولى الكتابة بالصدارة العظمى مدة، ثم قضاء زعير والحياينة، وأخيراً رجع إلى فاس وتوفي بها صبيحة تاسع وعشري شعبان عام 1376 / 31 مارس 1957.

ع. ابن زيدان، *العز والصلوة*، 2 : 175 : ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3325.

الجامعي، محمد بن العربي (الصغير)، تميزاً له

عن أخيه الأكبر محمد الكبير، الوزير الصدر في عهد السلطان المولى الحسن.

وقد تمكّن نفوذ الجامعيين في الأوساط المخزنية والحاشية السلطانية بالقرابة التي حظيت بها أسرهم، حين صارت بنتان من بنات السيد المختار جد المترجم، إحدهما وهي السيدة فاطمة الجامعية زوجاً لولي العهد آنذاك السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، والأخرى وتُدعى السيدة خيرة، زوجاً للأمير مولاي عبد السلام بن عبد الرحمان. ومعلوم أن السيدة فاطمة هي أم السلطان المولى الحسن وبالتالي عمّة مترجمنا محمد الصغير. وهكذا، اجتمعت جميع أسباب الخطوة والتألق في أيدي الأسرة الجامعية، حين اعتلى عرش المغرب السلطان المولى الحسن سنة 1290 / 1873، وبعدها صار هذا النفوذ وهذه الوجهة شركة بين عائلتي آل موسى بن احمد بن مبارك، ويمثلون فئة الخُدّام المنحدرين من عبيد البخاري وآل الجامعيين الذين يُعتبرون نموذج الأسرة المخزنية "الأرستقراطية"، علاوة على انتسابهم إلى فرقة كيش شراكة. (W.B. Harris, *Le Maroc disparu*, p. 18)

عند وفاة الفقيه الحاجب موسى بن احمد في محرم عام 1296 / يناير 1878 وبعد الانتهاء مباشرة من مراسم تشييع الجنازة بمدينة مراكش، عيّن السلطان السيد محمد ابن العربي بن المختار الجامعي في منصب الوزير الصدر وأخاه الأصغر، مترجمنا، وزيراً للحربية، بينما عُهد إلى ابن الحاجب الراحل، احمد بن موسى (أباً احمد) بمهام الحجابة.

وقد احتفظ هؤلاء الثلاثة بمناصبهم على عهد السلطان المولى الحسن بأكمله. ونلمس من خلال كتابات الإخباريين المغاربة الذين تحدّثوا عن مغرب القرن الماضي، بدءاً من أعمال محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي وأحمد بن خالد الناصري السلوي، وانتهاءً بمؤلفات عبد الرحمان ابن زيدان وعبد الكبير بن هاشم الكتاني، بأن كفة الجامعيين قد

رَجَحَتْ في هذا العهد، حيث أضحت كلمتهم مسموعة وأوامرهم نافذة. وقد تحدث صاحب زهر الآس عن هذا الجانب وقال بأنهم أدرکوا "الجاء والكلمة والثروة أيام السلطان الأعظم المولى الحسن ...". ويبدو أن الصراع بين الأُسرتين كان على أشده، دون أن تطفح على السطح مظهره، وكان كل من العائلتين يتفانى في النيل من الطرف الآخر والكيّد إليه وتشويه سمعته وتصرفاته في أعين السلطان وحاشيته.

كان محمد الصغير الجامعي، بصفته علافاً كبيراً ومن أصهار السلطان المولى الحسن، مُلَازماً لهذا الأخير باستمرار يُرافقه في تنقلاته وتطوافه عبر أرجاء البلاد. ولاشك أن الرجل كان معتزلاً بنفسه وبهذه القرابة العائلية، ولا يأبه بوجود الحاجب أباً احماّد. ولربّما صدر عن المترجم له ما أغاظ البعض من رجالات المخزن، أو من النخبة العلمية والتجارية، أو عارض مصالحهم. ومهما يكن، فإننا نجد أثراً لهذا الانطباع عند صاحب البستان الجامع لكل نوع حسن، وقنّ مُستحسن في عدّ بعض مآثر السلطان مولانا الحسن، حيث يقول: "وكان قُرب نهوضه هذا لمكناسة أيده الله [السلطان مولاي الحسن] الذي كان مقيماً بمدينة فاس في سنة 1303 هـ، ووجّه ولّد خاله كبير العسكر أخا الوزير [الفيقيه الصدر محمد بن العربي الجامعي] وهو المُسمّى محمد الصغير، لجمع العسكر بدكالة والشاوية، وهو وإن جعل من كُبراء الجيش، ففيه خفة عقل وطيش ...". (ص. 120).

وأماً عبد الكبير بن هاشم الكتّاني، فيقول في هذا الصدّ: "وكانت أحواله [محمد الصغير] لا تنضبط وعقلاء المخزن تُلاطفه ظاهراً وتخشى عواقبه باطناً ...". [زهر الآس ... ص. 152].

وقد ازداد الحاجب احماّد بن موسى اغتياظاً حين سُمّي السلطان المولى الحسن شقيق مترجمنا، وهو المعطي بن العربي الجامعي، في منصب الوزير الصدر، بعد وفاة الفيقيه الوزير بالنّياية، محمد بن أحمد الصنهاجي الفاسي سنة 1309 / 1891، لأن الحاجب أباً احماّد يقدر أن هذا المتولى الجديد لم يكن أهلاً للمنصب الذي أسند إليه، حيث كان يرى أنه أحق منه به، ممّا جعل الصراع الخفي بين الفريقين المُتنافسين يستحکم ويشدّ (إتحاف، ج 1، ص. 373 وما بعدها). بيّد أنه لم يحدث ما يشعر بأن السلطان كان ميّالاً لأي من الطرفين أو كان يرغب في إنهاء هذا التنافس الذي كان، في واقع الأمر، يضمن التوازن بين أُسرتين ممتازتين ومتميزتين في الأوساط المخزنية. ولعلّ هذا لا ينفي العطف السلطاني على الجامعيين وهم أقاربه بالمصاهرة، وهو أمر طبيعي لا يستبعد أن يكون عاملاً من عوامل تأجيج نار الحزازات بين الجامعيين وبين عائلة أباً احماّد. وقد كان هذا الأخير لإيشك في أن آل الجامعي ذوو حُظوة وسرف يظنون كذلك ما حيي السلطان مولاي الحسن،

ولانصاف بالتالي، من مُداهنتهم ومسايرة رغباتهم، في حين كان يترقب فيهم الفرصة ويهيئ الخطة التي يمكن تنفيذها في الظرف المناسب. وظلّ أباً احماّد يعمل بلا توان من أجل توطيد أركان سلطته في أوساط المخزن ومن أجل تكوين شبكة واسعة من الأبناء والأتباع، لاسيما في أوساط العُمال وقواد القبائل والأمناء والعلماء ...، في كبريات الحواضر ممّن قد يستند إلى تأييدهم إذا أن الأوان. وكان موت السلطان مولاي الحسن، وهو في طريق رجوعه من حركة تافيلالت، الفرصة السانحة لميل كفة آل موسى بن احماّد على تلك التي لآل الجامعي. فقد كان أباً احماّد حاضراً إلى جانب السلطان حين وفاته بدار ولد زيدوح بتادالا، فتمكّن من زمام المبادرة واتخذ الإجراءات الأمنية اللازمة لتمكّن المحلة السلطانية من بلوغ المناطق الآمنة، قبل أن يشيع خبر موت السلطان، وسهر من جهة أخرى على تدبير مبيعة المولى عبد العزيز سلطاناً على البلاد وهو دون البلوغ. وقد تمت هذه المبيعة بالرغم من معارضة محمد الصغير وشقيقه المعطي الجامعي ومؤيديهم، وخاصة الأمين العربي الزبدي الرباطي الذي كانت تربطه بالجامعيين علاقة مُصاهرة.

لقد عزم أباً احماّد على تنفيذ خُطته ضد الجامعيين، فوجّه المحلة السلطانية إلى مدينة مكناس، فاضطر الجامعيان إلى العدول عن الذهاب إلى معقل أُسرتهم فاس ومصاحبة الركب السلطاني إلى العاصمة الإسماعيلية مقر الجيش البُخاري واتباع الحاجب وأنصاره، وفي مقدمتهم عامل المدينة الباشا الشهير حم بن الجليلي البُخاري. وما أن بلغت المحلة إلى مكناس حتى أمر أباً احماّد باعتقال الوزير الصدر المعطي بن العربي الجامعي وأخيه محمد الصغير وزير الحربية، وواراهما في غياهب سجن تطوان، في حين اعتقل الأمين العربي الزبدي لأنه من حزبهما وتربطه وآل الجامعي علاقة مُصاهرة، ووجّه إلى سجن أسفي. وكان هذا الأخير هو أيضاً مُتهدماً بالتأمر ضد السلطان المولى عبد العزيز وموالاة أخيه مولاي محمد بن الحسن. وقد صودرت أملاك محمد الصغير ورفيقيه في المحنة وبيعت في الأسواق (إتحاف، ج 1، ص. 373 وما بعدها).

وبإزاحة آل الجامعي وأنصارهم عن الحكم، صفا الجو لأباً احماّد ليَسْتَبِدُّ بأمور البلاد حتى وفاته سنة 1318 / 1900.

ظل محمد الصغير في السجن أربع عشرة سنة ولم يُفرج عنه إلا أواخر العهد العزريزي، بعد أن ذاق أنواع العذاب والحُرمان. وأماً شقيقه المعطي، فقد تُوفي في مُعتقله سنة 1315 / 1898، بعد مُضي ثلاثة وثلاثين شهراً من الاعتقال الرهيب. وهذه ارتسامات الصحفي والمخبر الأنجليزي الخطير لويس هاريس الذي كان يزور محمد الصغير، من حين لآخر، بمدينة طنجة :

"لقد أفرج عن رجل مُحظَم مادياً ومعنوياً، فقد كل شيء، حيث صودرت ممتلكاته وبيعت عقاراته. وأماً أهله، فقد ماتوا حُزناً وآلاماً. لقد خرج من السجن وهو أعمى تقريباً مُدْمَى اليدين والرجلين، بسبب آثار القيود الحديدية التي كانت تُثقله ولا تبرحه أبداً، صباح مساءً. قد يكون محمد الصغير ارتكب بعض الأخطاء وطال ظلمه وحيقفه أشخاصاً أيام عزه وصولته، غير أن الثمن المُؤدَى كان فادحاً بالمُقارنة مع هفواته وأخطائه..." (ص. 21 وما بعدها).

لم يُسمح لمحمد الصغير بالعودة إلى مسقط رأسه فاس للعيش بين أهله وذويه بقية عمره، بل أُجبر على العيش بمدينة طنجة، غرباً مُشرداً، يُعاني من ضيق العيش وويلات الدهر ونوائبه، إلى أن تُوفي سنة 1325 / 1908، عن غير عقب، وأقبر بضرخ الشيخ محمد صالح بنفس المدينة.

م. الكتاني، زهر الآس، 152 : م. ع. المشرفي، مشعوم عرار النجد، ص 284 ؛ السباعي، البستان الجامع، ص 120 ؛ ع. ابن زيدان، إتخاف أعلام الناس، 1 : 373.

الجامعي، محمد بن العربي (الكبير) ولد في عقد الخمسينات من القرن الثالث عشر (19 م)، وهو ابن الوزير العربي الجامعي وحفيد الوزير المختار الجامعي، قرأ العلم على يد الفقيه ابن عبد الرحمان والحاج محمد گنون، ثم أصبح كاتباً بالبنيفة الكبرى مدة قليلة ثم ترقى فصار وزيراً للحربية في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859-1873)، وقد أقره خلفه أيضاً في هذا المنصب، وكانت له منزلة خاصة لدى السلطان المولى الحسن نظراً لصلة القرابة التي تجمعهما، وقد تولى محمد الجامعي منصب وزارة الصدارة عام 1296 / 1878، وذلك عقب وفاة الحاجب الوزير موسى ابن احمد البخاري. وبقي الجامعي يباشر أعماله إلى حدود عام 1303 / 1886 حيث أصيب بداء الشلل. وبالرغم على ذلك احتفظ بالوزارة وكلف محمد ابن أحمد الصنهاجي بالنيابة عنه. ولما طال مرضه نحو الخمس سنين أصبح الصنهاجي وزيراً بدلاً منه.

وقد عُرف محمد الجامعي باهتمامه بأهل العلم والأدب حيث كان يكرمهم ويحسن إليهم، فكان يخصص يوم الجمعة لإكرام العلماء، ويوم الخميس للكتاب. كما قام بتحبيس جنان له يعرف بعرضة ملينة على الحرم النبوي الشريف. توفي سنة 1333 / 1915.

م. غريط، فواصل الجمان ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 7 ؛ ع. ابن زيدان، الإتخاف، ج. 2، الوثائق، ج. 3 ؛ م. المنوني، المصادر العربية، ج. 2.

الجامعي، المختار بن عبد المالك، من الجامعيين

القاطنين في ضواحي مدينة فاس. انخرط المختار الجامعي في الخدمة المخزنية منذ عهد السلطان المولى سليمان (1792). الذي كلفه ببعض المهمات. إن ما تقدمه المصادر من معلومات لاتسمح لنا بمعرفة مستوى تكوينه الثقافي، إلا أنه من المرجح أن يكون ذا مستوى جيد يسمح له بشغل منصب الصدارة الذي أسند له من طرف السلطان عبد الرحمان بن هشام بمراكش سنة 1247 / 1831، وكان ذلك باقتراح من رؤساء جيش الأوداية إثر انتهاء تمردهم على السلطان بالصلح في نفس السنة. وحل المختار الجامعي في الوزارة مكان محمد ابن إدريس الذي عزل منها في التاريخ المذكور.

ظل المختار الجامعي على رأس الوزارة إلى أن توفي بمراكش في فاتح محرم عام 1251 / 29 أبريل 1835.

م. غريط، فواصل الجمان ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 9 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 7 ؛ م. مزين، فاس وباديتها، ج. 1.

الجامعي، المعطي، أخو الوزير محمد بن العربي الجامعي سالف الترجمة. تولى الصدارة بعد وفاة الكاتب محمد بن أحمد الصنهاجي عام 1309 / 1891، وقد عرف بالصرامة والجفاء في تعامله مع العمال والكتاب، كما كانت له منافسة شديدة مع الحاجب احمد بن موسى الذي انتهز فرصة وفاة السلطان المولى الحسن عام 1311 / 1894 فأخذ البيعة للمولى عبد العزيز مع صغر سنه وصار يدبر الأمور بنفسه فعمل على إبعاد الوزير المعطي وأخيه محمد الصغير الجامعي الذي كان وزيراً للحربية وألقي القبض عليهما بواسطة باشا مكناس حم بن الجيلالي البخاري، وتمت مصادرة أملاكهما وبيعت ممتلكاتهما في المدن، وُجَّ بهما في سجن تطوان، وهناك توفي المعطي الجامعي بعد حوالي ثلاث سنوات من سجنه.

م. غريط، فواصل الجمان ؛ ع. ابن زيدان، الإتخاف، ج. 1.

مصطفى الشابي

الجامعي (دار -) بمكناس، توجد هذه الدار محاذية لساحة "الهديم" الشهيرة، تقابل واجهتها الجنوبية باب منصور العليج التي يعود تاريخ بداية تشييده إلى عهد السلطان المولى إسماعيل ابن الشريف. وتتوسط دار الجامعي مجموعة من الأزقة هي : "درب تيببارين" شمالاً، و"درب الصباغين" غرباً، و "درب الجامعي" شرقاً. وتفيد لوحة جسيية حاملة لتاريخ 1299 / 1882 نقشت بقية الدار أن البناء يعود إلى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) حيث إن تاريخ 1299 هـ قد يكون إما تاريخ الانتهاء من بناء الدار وإما تاريخ تشييد القبة التي تحمله. ومهما يكن من أمر فهذه الإشارة تحدد فترة تصادف عهد

وفي سنة 1920 تقرر وضع مجموع البناية رهن إشارة المفتشية الجهوية للفنون الجميلة التي أحدثت بها النواة الأولى لمتحف إثنوغرافي إلى جانب دار للصناعة التقليدية. وفي نفس السنة تم ترتيب البناية ضمن المآثر العمرانية المحمية ينص ظهير شريف مؤرخ بـ 19 نونبر 1920، وفي سنة 1926 عينت أول إدارة قارة للمتحف الذي أصبح قائم الذات تحت اسم "متحف الفنون الأهلية بمكناس". وفي سنة 1958 انفصلت الصناعة التقليدية عن البناية لتحتوي هذه الأخيرة مختلف مرافق المتحف.

ولعل تعاقب المصالح المختلفة السالفة الذكر على دار الجامعي كان له أثر في تغيير جوانب منها، وإحداث تقسيمات أو توسيعات ببعض غرفها وذلك حسب ما تتطلبه حاجات وأغراض كل مصلحة على حدة. لكن إن كان كل هذا قد أثر فعلا على التصميم العام في بعض جزئياته، فإنه لم يُفقد الدار رونقها ولا طابعها المتميز الشاهد على عمارة القرن الماضي تصميما وزخرفة.

تمتد دار الجامعي بمكناس فوق مساحة تعادل 4410 متر²، وكانت في بداية أمرها تضم مرافق متعددة منها ما هو خصوصي (القصر ومكوناته) ومنها ما هو عمومي كـ بعض الدكاكين وحمام وفرن وفندق ومجزرة؛ ولم يبق الآن قائما من كل هذا سوى القصر أو ما تبقى منه.

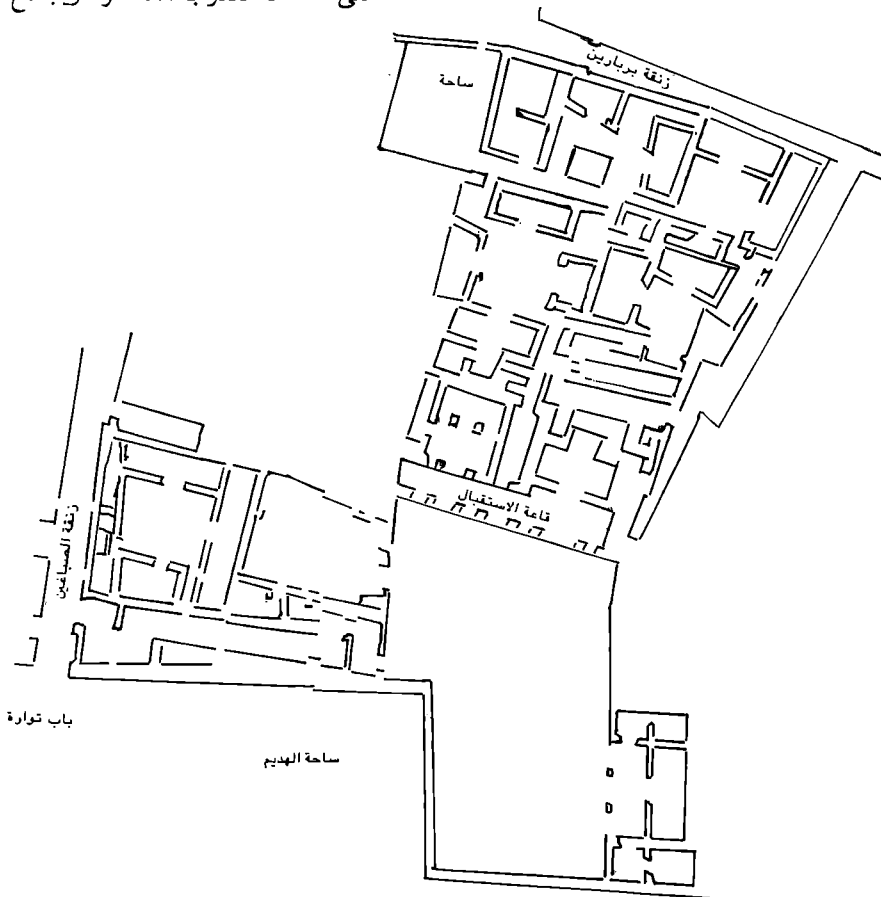
تتوزع مرفق القصر حالياً على ثلاث مجموعات:

- المنزل أو المسكن الرئيسي، ويمتد في النصف الشمالي على مساحة تقدر بـ 816 متر² ويجمع هذا المسكن عدداً

الوزير محمد بن العربي الجامعي الكبير، الذي استوزره السلطان المولى الحسن الأول عند وفاة وزيره موسى بن أحمد سنة 1296 / 1878 ويبدو أن محمد بن العربي الجامعي الكبير الذي سكن هذا القصر إلى أن أصابه مرض اضطر معه إلى مغادرة مكناس والانتقال إلى فاس حيث بنى بها قصراً آخر أصبح جانب منه فيما بعد فندقاً مشهوراً.

وبعد وفاة السلطان المولى الحسن واعتلاء ابنه مولاي عبد العزيز عرش البلاد، بدأت كما هو معروف محنة آل الجامعي ونكبتهم على يد الوزير أحمد بن موسى "بأحمد" الذي أمر باستصفاء أموالهم وممتلكاتهم وسجن كبارهم وتطريدهم. وكان يسكن دار الجامعي بمكناس آنذاك الحاج المعطي الجامعي الذي ألقى عليه القبض وأرسل سجيناً إلى طنجة حيث بقي إلى وفاته سنة 1322 / 1904 م.

وعند بيع تركة آل الجامعي، آلت دار مكناس إلى الباشا المدني الأغلوي الذي اشتراها كما يوجد في أحد تقارير مفتش مصالح الفنون والحرف المغربية بمائة ألف فرنك (100.000) إلا أن الأغلوي لم يسكن على ما يبدو هذه الدار إلى أن اشترتها منه مصالح الحماية الفرنسية سنة 1912 م لتجعل من قسمها الأوسط مستشفى عسكرياً أطلق عليه اسم "مستشفى لويس"، ومن جناحها الأيمن محكمة عسكرية قبل أن يصبح هذا الجناح سنة 1916 "مقراً لمصلحة الفنون الجميلة"، ويحتضن الباقي مصالح إدارية مختلفة.



تحتل المباني الأصلية لقصر الجامعي التي تعود إلى نهاية القرن الماضي الزاوية الشمالية الغربية من الفندق وتتكون أساساً من قسمين كبيرين يجمع بينهما أسطوان طويل. يمتد القسم الأول شمالاً على مساحة 350 م² ويتكون من ثلاث مستويات :

الطابق الأرضي وكان مخصصاً لاستقبال الضيوف وإقامتهم، ويضم ثلاث غرف متوسطة المساحة وقاعة كبرى يغطيها سقف جميل على شكل قبة من خشب الأرز المنحوت والمزين بزخارف مصبوغة بطريقة "الزواقي" المعروفة، وطابقان علويان كانا مخصصين لأفراد العائلة ولخدمتهما، ويتكونان من مجموعة غرف سكنية عادية وأخرى لخزن المؤن والمواد المختلفة.

ويمتد القسم الثاني غرب الأول على مساحة 260 متر² ويتكون من طابق أرضي وآخر علوي. يتميز الأرضي بقاعة كبيرة مغطاة بقبة خشبية، وبغرفتين تنتظمان على جانبي قاعة ثانية مغطاة كذلك بقبة خشبية. أما العلوي فأهم ما يميزه وجود منزه جميل وغرفة وسط شاسع يظل على مجموع المدينة العتيقة، لكنه اليوم يحمل في جزء كبير منه بنايات مختلفة أقيمت حسب أغراض الفندق.

أ. الناصري، الاستقصاء، 9 : 165 ؛ ع. ابن زيدان، إنحاف، 1

373 ؛ م. غريط، فواصل الجمال، 60.

L. Arnaud, *Au temps des Mehallas* ; H. Terrasse, *Villes impériales*. p. 161 ; A. Laroui, *Origines sociales*. p. 86 ; *La Vie Marocaine*, 24 avril 1927.

عبد العزيز توري

الجامكية، أجرة الجنود أيام الموحدين. وهو تعريب للفظ الفارسي "جامگي" المشتق من "جامه" بمعنى اللباس، ويرى دوزي أن معناه اللغوي هو "مصروفات دولاب الملابس"، وتستعمل الكلمة بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة الشهرية. والجامكية من الكلمات التي انتشرت في سائر البلاد العربية واستعملت بمعان قريبة من المعنى المشار إليه. لا نجد إشارات إلى هذا المصطلح في المصادر المغربية الوسيطة، باستثناء عبد الواحد المراكشي، فهو الذي أشار إلى الجامكية كاسم للرواتب التي كانت تُعطى لفرقة الغز، وهي فرقة من الجنود الأتراك الذين كانوا في جيش الأيوبيين ثم قادهم القائد قراقوش الغزي في حملته المغربية إلى أفريقية قبل سنة 569 / 1173، وعلى إثر انهزامهم أمام الجيش الموحد في الحملة التي قادها الخليفة المنصور بنفسه وأدخل بعض فرقتهم إلى المغرب منذ سنة 584 / 1188، فانخرطوا في الجيش الموحد، ثم جاءت دفعة أخرى منهم بعد ذلك، وبذلك، أصبحوا يشكلون فرقة لها أهميتها، خاصة وأنهم كانوا من الجند النظاميين، وهذا ما يدل على أن مصطلح جامكية قد دخل المغرب مع هؤلاء. وأصبحت الجامكية تقدم لهم كل شهر (المعجب، 289)،

كبيراً من الغرف موزعة على طابقين أرضي وعلوي. أما الطابق الأرضي ففيه 18 غرفة تقوم حول أربعة أفنية أو "وسط الدار" كما تعرف عند العامة، وبه حمام من غرفتين. كما أن فناء آخر يوجد بالزاوية الشمالية الغربية، له باب يفتح مباشرة على "درب تيبيرارين" وإليه تستند إلى الشرق غرف الحمام السالف الذكر ؛ أما الطابق العلوي فأهم ما به القبة الفخمة التي كان صاحب الدار يستقبل فيها ضيوفه، وهي قبة مزخرفة بالجبس المنقوش الملون، وبالخشب المخروط والمنقوش والمصبوغ، والزليج المختلف الألوان على الطريقة التقليدية المعروفة.

- الرياض : يحتل النصف الثاني من المساحة إلى الجنوب الشرقي على طول 26 متراً وعرض 24 متراً أي ما يعادل 624 متر²، ويعد هذا الرياض من أكبر الرياضات المعروفة بمكناس، به مختلف النباتات والأزهار، وبه منزه جميل متكئ على الجدار الجنوبي، وإلى الزاوية الشرقية غرفة مستطيلة الشكل (7.90 متر x 2.83 متر) أمامها رواق مفتوح على الرياض بأقواس ثلاثة، كما يحدهم الغرفة من جانبها الجنوبي غرفتان صغيرتان متداخلتان (5.40 متر x 2.40 متر)، ومن جانبها الشمالي أحد الأدرج المؤدية إلى الطابق العلوي.

- المسجد ومرافقه وخاصة المدرسة القرآنية، وتحتل الجانب الجنوبي الغربي فوق مساحة 176 متر² تقريباً. وقد تغيرت هذه الجهة من الدار تغيراً جذرياً لتصبح قاعة عرض كبيرة مفتوحة أمام معارض مؤقته.

ومن أهم عناصر دار الجامعي المعمارية مدخلها الرئيسي الذي حُوّل إلى جهة ساحة الهديم سنة 1967 (إذ قبل هذا التاريخ كان مفتوحاً على درب الصباغين) حيث فتح بابها على بهو و"أسطوان" طوله 17.30 متر، على طول جدارها الجنوبي مقعد (دكانة) كان يجلس عليه الحراس والبوابون.

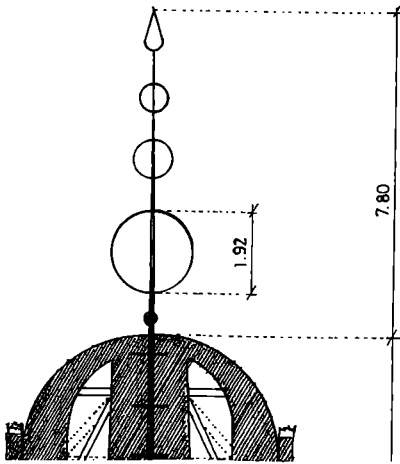
الجامعي (قصر -) بفاس بني هذا القصر على مقربة من باب الجيسة (الگيسة أو عجيسة) شمال عدوة القرويين وسط مساحة تقدر بـ 6800 متر²، احتلت البنايات منها 610 متر² وترك الباقي رياضاً مخضراً فسيحاً تم تنظيمه على طريقه المدرجات، وهو يظل على مباني المدينة العتيقة. إلا أن تغييرات جذرية دخلت على هذا القصر ومرافقه أضعفت على فاس إحدى منجزاتها العمرانية الفخمة الشاهدة على عمارة القرن الماضي في ثلثه الأخير.

ذلك أن قصر الجامعي الذي يظهر حسب الرواية الشفوية أن بناءه ابتدأ سنة 1297 / 1879 م على يد الوزير محمد بن العربي الجامعي الكبير تحول إلى فندق عصري منذ الثلاثينيات من هذا القرن. فكان من نتيجة التحول أن أُضيفت مبان جديدة هي عبارة عن غرف نوم ولوازمها، ألصقت بالدار الرئيسية التي احتفظت مع ذلك ببعض مكوناتها الأصلية.

الجامور، عمود تتوسطه أربع تفافيح مصنوعة من النحاس، يقل حجمها من الأسفل إلى الأعلى، ويُعتبر أعلى عنصر في مكونات الصومعة، إذ تشكل قبة الصومعة قاعدته التي يتركز عليها، ويعرف عند البنائين "بالعززي" (J. Gallotti, *Le lanternon du minaret de la Koutobia de Marrakech, Hespéris*, Tome III, 1er trim. 1923, p. 37 - 68). ينعت الجامور عند أهل الأندلس أحياناً بالتفاحات (المن بالإمامة، ص. 392 - 393). وأحياناً بالرمات، (البيان العربي، ج. 2، ص. 228). ومن أقدم الإشارات إلى اسم الجامور تلك التي وردت في المصادر المغربية المتداولة، جاءت في رحلة العبدري (ص. 92).

والجامور ليس بعنصر جديد في معمار الصومعة بالغرب الإسلامي، لكن الجديد فيه حصل خلال القرن السادس (12 م) وهو أساساً حجم الجامور وقيمته ووظائفه، يتضح ذلك من خلال جامور منارة أشبيلية - الخيرالدا - إذ بلغت قيمة الذهب الذي طُليت به تفافيح سبعة آلاف منقال يعقوبي كبير. (المن بالإمامة، 393)، والوسطى من هذه التفافيح لم تدخل من باب الصومعة إلا بصعوبة (القرطاس، ص. 229)، وتم وضعها في مكانها من أعلى الصومعة في إطار احتفال مخزني ترأسه الخليفة الموحد يعقوب المنصور (المن بالإمامة، 393). فهل كانت للجامور وظيفة داخل الصومعة؟

الجامور



مما لاشك فيه أن الجامور عنصر جمالي على مستوى الشكل واللون والموقع في الصومعة، غير أن هذه الجمالية التي تبقى متفردة طول النهار تجمع إليها دون شك جانباً وظيفياً بالليل. ولعل في تتبع المعنى اللغوي والاصطلاحي للجامور، ومعرفة تركيبه المعدني، وتفاعلاته الفيزيائية والكيميائية خاصة مع النار ما من شأنه أن يسهم في فهم هذا الجانب. فهو يطلق على الرأس (تاج العروس، 10 (470) وعلى "شحم النخلة التي في قمة رأسها" (نفس

في الوقت الذي كان فيه الأجناد المغاربة يحصلون على "البركة" في أوقات معينة يحددها المراكشي بثلاث مرات في السنة، أي مرة كل أربعة أشهر (المعجب، 220)، وأحياناً كل شهر في زمن الحروب (المن بالإمامة، 286). ويظهر أن هذا الامتياز الذي حصل عليه العز كان بسبب انقطاعهم عن وطنهم، وتعويضاً عن الامتيازات التي كانت فئات من الجند المغاربة تحصل عليها إضافة إلى البركة كالإقطاعات والإحسانات وغيرها.

لا توفر لنا المصادر أرقاماً محدودة لقيمة الجامكية، ولكن للتقريب فقط يمكن الاستئناس بمبالغ "البركة" التي كان الجند المغاربة يحصلون عليها، فمثلاً أثناء استعداد الخليفة يوسف بن عبد المومن للجواز إلى الأندلس في ربيع الأول سنة 566 / نونبر - دجنبر 1170. وزعت البركة على الجنود كالتالي :

- الفارس الكامل : 10 دنانير

- الفارس غير الكامل : 8 دنانير

- الراجل الكامل : 5 دنانير

- الراجل غير الكامل : 3 دنانير

بينما حصل العرب على مبالغ أكبر من ذلك وهي كالتالي :

- الفارس الكامل : 25 ديناراً

- الفارس غير الكامل : 15 ديناراً

- الراجل : 7 دنانير

لاشك أن قيمة الجامكية كانت تتجاوز ما كان الجنود المغاربة يتقاضونه إضافة إلى انتظامها الشهري. ويظهر أن هذا المصطلح قد انقطع من الإدارة العسكرية المغربية فيما بعد العصر الموحد، رغم أن الغز بقيت منهم فرق في الجيش المريني، وبلغ عددهم في عهد أبي الحسن المريني حوالي 1500 رجل (مسالك الأبصار، 100)، ومع ذلك فقد بقيت كلمة الجامكية (بسكون الميم) مستعملة إلى الآن في اللسان المغربي الدارج ببعض المناطق للدلالة على الذعيرة أو الضريبة الثقيلة.

ع. الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، بيروت، 1964 ؛ العمري، مسالك الأبصار، تج. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988 ؛ م. الاسدي، التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تج. عبد القادر طليمان، القاهرة، 1968 ؛ ع. بن غيث بلادي، معجم الكلمات الأعجمية والقريبة في التاريخ الإسلامي، مكة المكرمة، 1990 ؛ أ. السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل، القاهرة، 1979 ؛ م. أحمد دهسان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق، 1990 ؛ السيد أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المغربية، بيروت، 1980.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 1981

محمد المغراوي

المصدر، ص. 465)، ويقال: "أجمرت الليلة، أي استمر فيها الهلال" (الوسيط، ج. 1: 133).

يمكن اعتبار القاسم المشترك بين هذه الدلالات الثلاث هو: العلو، ووضوح الرؤية. فالعلو ثابت باعتبار الجامور يُشكل أعلى عنصر في مكونات الصومعة. أما وضوح رؤيته للناظر فتحتم أساساً الليل، ذلك أن الجامور في تركيبه المعدني يتكون من معدن النحاس بصفة خاصة. ومن مميزات هذا المعدن قابليته لامتصاص الحرارة وعكس الضوء، خاصة وأن اللون الأصفر يساعد في تسهيل هذه العملية، علماً بأن جامور كل من صومعة جامع الكتبيين، وجامع المنصور بمراكش كان قد وضع فوقهما طلاء من الذهب (Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Tome 1, p. 192, 240, 241) وهو ما يفيد أن الجامورين معاً قد توفرت لهما أسباب تقوية عملية عكس الضوء والأشعة. ومن المعلوم أن رفع النار فوق أعلى الصوامع بالليل كان العمل به جارياً في المغرب والأندلس، واعتبر من البدع المستحسنة.

فما هي إذاً العلاقة بين النار والجامور؟ لعل هذه العلاقة تبدو في كون الجامور يضاعف من قوة الضوء الذي يُرفع ليلاً فوق أعلى المنارات، وبذلك يساهم في القيام بعمليات ثلاث هي: التوجيه في المجال، والإعلان عن حلول أوقات الصلوات الليلية، خاصة للبعيد والمسافر، والإخبار والإعلام خاصة في أمور الأمن، بواسطة إشارات ضوئية متعارف عليها بين المكلفين بذلك.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تع. ع. التازي، بيروت، 1987؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، ج. 2، تع. جورج كولان، وليثي بروفنسال، بيروت؛ العبدري، *رحلة العبدري*، تع. م. محمد الفاسي، الرباط، 1968؛ ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، الرباط، 1973؛ الزبيدي، *تاج العروس*، تع. إبراهيم الترتري، ج. 10، الكويت، 1972؛ مجمع اللغة العربية، *المعجم الوسيط*، ج. 1، مصر، 1972.

J. Gallotti, *Le lanternon du minaret de la Koutobia de Marrakech*, Hesp., T. II, 1 ère trim. 1923, p. 37 - 68; Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, T. 1, Rabat, 1959.

محمد رابطة الدين

الجاناتي، أو الجناتي، أسرة تنتسب إلى قبيلة جانانة أو جنانة إحدى القبائل الزناتية التي كانت تستقر بجبال فازاز (الأطلس المتوسط). يذكر ابن خلدون أن النسبة تعود إلى جانا بن يحيى والد زناتة وصيغته هذه هي أصل زناتة. لما ضعفت دولة الموحدين وتقلص نفوذها في مناطق متعددة من المغرب الأقصى كثرت الفتن وتمردت القبائل على السلطة المركزية، فكانت جانانة وغيرها من القبائل البربرية والعربية يقطعون الطرقات ويغيرون على القرى والمجاشر مع الأحيان والأوقات" (القرطاس، 288). وفي سنة 620 / 1224 قام الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني بغزو

جانانة وأضعفها لنفوذها، فتحولت بذلك إلى حليف رئيسي ومساند قوي لبني مرين في حربهم ضد الموحدين.

وقد برز في هذه القبيلة بعض الأسر التي ظلت تحمل اسم جانانة حتى عندما انتقلت إلى فاس لما اتخذها بنو مرين عاصمة لهم. فكان من هذه الأسر من تدرج في تسلق مناصب كبيرة في الدولة، أو اتخذ من العلم والفكر وسيلة أخرى للحظوة الاجتماعية. ومنها أسرة ابن عطر الجناتي التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الدولة المرينية وحظيت برعاية ملوكها، فتقلب أفرادها في دواليب الحكم وخاصة الوزارة في بداية الدولة المرينية.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7: 14، 350، 351؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962.
Khanboubi, *Les premiers sultans mérinides*, Paris, 1987, p. 104 - 105.

الجاناتي، أحمد بن عبد الله بن عطر، أحد أفراد أسرة ابن عطر، كان وزيراً للسلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب (710 - 731 / 1311 - 1331).

الجاناتي، إسحاق، أبو إبراهيم، قاضي مدينة تكدا شمال بلاد السودان. ذكر ابن بطوطة أنه في عودته من رحلته إلى بلاد الزنوج سنة 754 / 1354 وصل إلى مدينة تكدا وقد اشتد به المرض بسبب شدة الحر، فقرر النزول بها عند شيخ المغاربة سعيد بن علي الجزولي. ثم بعد ذلك استضافه قاضي المدينة إسحاق الجناتي. وكانت لهذا القاضي مواقف حسنة مع ابن بطوطة جعلت هذا الأخير يثني عليه ويصفه بالقاضي الفاضل. من ذلك أن الرحالة عندما دخل تكدا رغب في شراء خادم فلم يجدها، فلما علم القاضي الجناتي بذلك بعث إليه بخادم لبعض أصحابه واشتراها بخمسة وعشرين ديناراً ذهبياً. كما يلاحظ من كلام ابن بطوطة أن القاضي الجناتي كان محبوباً في مدينته محترماً موثقاً به عند الخاص والعام من أهلها ومن أهل المناطق المجاورة. فقد حدث، في أيام إقامة ابن بطوطة بالمدينة، أن نشب نزاع بين أميرها ويسمى أزار وأمير آخر يسمى التكروري (ربما التكروري؟)، فتدخل القاضي الجناتي وبعض كبار البلد كالشيخ سعيد بن علي الجزولي والخطيب محمد والمدرس أبي حفص لحسم النزاع بين الطرفين، وتم الصلح بين الخصمين.

ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، القاهرة، د. ت. ص. 453.

.454

الجاناتي، أبو بكر بن عبد الودود، فقيه كبير من حفاظ المدونة وأحد القائمين عليها. توفي بعد سنة 700 / 1301.

أ. ابن القاضي، *درة المجال*، تح. م. الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، ج. 1 : 220.

محمد عبد العزيز القوري الجالس على يمينه، وبعد أن اشتدت وتيرة الحديث الذي كان موضوعه يدور حول تجاوزات بعض القضاة والفقهاء الذين يتولون قبض الزكوات، وتأكيدهم الحاضرين على مسؤولية السلطان في ذلك، غضب هذا الأخير وانسحب من المجلس، فتبعه الشيخ أبو محمد عبد المؤمن الجاناتي ليطلب منه المغفرة والاعتذار له قائلاً: "إلى أين ياسلطان تقوم عنا غاضباً، من ذا الذي يحمل جهلنا إن لم نحمله، ومن ذا الذي يستر عوارنا إن لم تستره؟" (*المسند*، 160)، وتدل هذه الجراءة والشجاعة من الجاناتي على حسن منزلته عند أبي الحسن، إذ كان يقربه إليه ويجلسه بجانبه ويستدل بمحافظته على خصال الفطرة واستعماله النظافة سلوكاً له على الرغم مما قيل عنه من إشارته الزهد ولبس المرقعة والثياب الخشن (*المسند*، 280). توفي عبد المؤمن الجاناتي سنة 746 الموافق لعام 1346م.

م. ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. ع. عنان، القاهرة، 1975، ج. 3، ص. 131؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962؛ ص. 18، 21، 24؛ أ. الونشريسي، *وقيات*، الرباط، 1976، ص. 115؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 186، 147، 448؛ *درة المجال*، 3 : 173، 172؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351 هـ، ص. 179؛ أ. المقرئ، *أزهار الرياض*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، ج. 5، ص. 37؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 305؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 220.

الجاناتي، عمران بن موسى المكناسي، يكنى أبا

موسى، فقيه حافظ وشيخ من شيوخ مكناسة الزيتون. تتلمذ على بعض كبار علماء المغرب في عصره كالإمام الحافظ موسى العبدوسي الذي يعتبر عمده في المدونة. وأخذ عن الجاناتي علوم الفقه وغيرها جملة من الفقهاء من أمثال الشيخ ابن غازي والفقهاء محمد بن قاسم القوري والفقهاء أحمد بن سعيد القيجميسي.

اشتهر أبو موسى الجاناتي بتقييده البديع الذي وضعه على المدونة في عشرة أسفار، وقف على بعضه ابن غازي وأشار إلى أنه يوجد بجامع الأندلس بفاس. كما ذكر التنبكتي على لسان الفقيه القوري أن لأبي موسى تقييداً آخر على رسالة ابن أبي زيد القيرواني حيث أكد الونشريسي في معياره أنه رآه واطلع عليه.

توفي أبو موسى الجاناتي سنة 830 / 1426 بمكناسة الزيتون ودفن خارج باب عيسى، وهو صاحب الضريح المجاور من الجهة الشرقية لضريح عبد الرحمان المجذوب.

أ. الونشريسي، *المعيار المغرب...*، بيروت، 1982، ج. 3 : 376؛ م. ابن غازي، *الروض الهمتون*، الرباط، 1952، ص. 22؛ *التعلل*

الجاناتي، عبد المؤمن بن محمد بن موسى، أبو

محمد، ذكر الونشريسي وابن القاضي وغيرهما أنه وُلد في حدود سنة 675 / 1277. أما أحمد باب التنبكتي فقد أشار إلى أن مولده كان سنة 695 / 1296، ويؤكد هذا الفارق الكبير بين التاريخين المقدر بعشرين سنة على وجود خطأ ما، مما يجعلنا نعتقد بصحة الرقم الأول وبأن الرقم الأخير هفوة من الناسخ الذي لم يتبين الفرق بين كتابة رقم سبعة وتسعة وهو خطأ شائع بين نساخ المخطوطات.

عبد المؤمن هذا أحد فقهاء مدينة فاس وأعلامها المشهورين بمعرفة مسائل التهذيب والمدونة، وقد وصفه ابن مرزوق بالفقيه المفتي، الصالح الزاهد، وأضاف أنه لبس المرقعة. أخذ الفقه وعلومه عن عدد من أبرز فقهاء عصره وعلى رأسهم شيخه النوازلي علي بن عبد الحق الزرويلي الشهير بأبي الحسن الصَّغِير، وجلس مجلسه في الإفتاء بعد وفاته. كما تتلمذ على الجاناتي كثير من الفقهاء المعروفين كخالد بن عيسى البلوي صاحب الرحلة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، وقرأ عليه الفقه محمد بن عبد الرحمان بن سعد التميمي التَّسْلِي الكَرْسُوطِي، كما كان له اتصال بالإمام القاضي محمد بن محمد المقرئ التلمساني جد أحمد المقرئ صاحب *نفع الطيب وأزهار الرياض*.

وما يروى عن عبد المؤمن أنه كان يحسن إلقاء مسائل التهذيب في طلبته بفاس، إلا أنه كان ضعيفاً في العربية فنسبت إليه حكاية أوردتها جملة من المصادر مفادها أنه قرأ في أحد مجالسه العلمية قول أبي سعيد في التهذيب: "والدجاج والإوز المُخَلَّات وغيرها". فقسم تقسيماً حسناً وتكلم على مسائل المياه كلاماً حسناً وذكر أقوال العلماء والفقهاء في ذلك. فلما انتهى الجاناتي من ذلك وكأنه أعجب بنفسه قال مخاطباً طلبته: انظر هل يقال الدجاج أو الجداد، والجداد أفصح لأنها لغة القرآن، ثم أضاف، قال تعالى: (ومن الجبال جُدَدٌ بيض، وحمَرٌ مختلفٌ ألوانها، وعرابيب سود) الآية، فضحك كل من حضر المجلس، وكانوا أزيد من أربعمئة طالب، فطارت سقطته في البلاد وعزل بعدها من منصبه.

وما يحكى عنه أيضاً ما أورده ابن مرزوق في مسنده خلال حديثه عن مناقب السلطان المريني أبي الحسن وتحمله لما يصدر عن بعض الفقهاء والصلحاء من إغلاظ القول وشديد العبارة وحمله ذلك منهم على أجمل المذاهب وأحسن المقاصد، حيث ذكر أن السلطان في بعض مجالسه بقصبة فاس قال للحاضرين من فقهاء وأعلام المدينة: "تعلمون أنني طوّقت من هذا الأمر عظيماً وتحملت منه صعباً، وحق عليكم أن تشاركوني". وكان كلامه موجهاً إلى الشيخ أبي

برسوم الإسناد، تح. م. الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 71 ؛
 أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 498 ؛ درة
 المجال، تح. م. الأحمدى أبو النور، القاهرة، 1970، ج. 3 : 6-7،
 185 ؛ أ. باب التنيكتي، نيل الابتهاج، مصر، 1351، ص. 217 ؛
 343 ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج. 1 : 314 ؛ ج. 3 :
 595 ؛ ج. 5 : 503 ؛ م. حجي (محقق)، ألف سنة من الوفيات،
 الرباط، 1976، ص. 140، 244

الجاناتي محمد، فقيه صوفي زاهد ذكره ابن قنفذ

في كتابه أنس الفقير كأحد كبار صلحاء المغرب الأقصى. وقد عرف بالعلم والصلاح والزهد والورع والفلاح. وعند زيارة ابن قنفذ لمدينة المغرب وبواديه فيما بين عام 759 وعام 776 لقي محمداً الجاناتي بمدينة فاس واتصل به ورافقه في رحلته طوال ثمانية عشر عاماً يزور خلالها الصلحاء ويتنقل بين الأضرحة والأولياء.

كان محمد الجاناتي محباً للقراءة كثير المطالعة لكتب الإمام أبي حامد الغزالي خاصة إحياء علوم الدين، متقشفاً في كل شيء، لم يتجاوز في لباسه عباءة من تليس أو جبة من صوف، وكان لا يغطي رأسه إلا في زمن البرد. كما أنه لم يكن يأكل إلا ما يظفر به أو ما يطعمه به الصلحاء.

وحسب ابن قنفذ فإن الجاناتي لم يحدث أن ضحك يوماً أو رفع بصره في طريق أو قبيل من أحد شبيثا من غير العلماء والصلحاء. واشتهر بتفانيه في خدمة الغريب والمريض، فكان بذلك بیره الفقهاء وترمه العامة وتشير إليه بالولاية والصلاح.

توفي محمد الجاناتي سنة 780 / 1379.

أ. ابن قنفذ، أنس الفقير، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965، ص. 76.

الجاناتي، محمد بن أيوب بن يكنول البفسحي،

يكنى أبا يحيى، ويضيف الجزائاني أنه من بني سدر. تقلد عدة مهام دينية في بداية الدولة المرينية. ففي سنة 686 / 1287 عين ناظراً على أحباس القرويين، وفي السنة التالية تولى قضاء مدينة فاس خلفاً للقاضي أبي حامد ابن البقال. وفي سنة 689 / 1290 أصدر السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ظهيراً عين بموجبه الفقيه الجاناتي إماماً وخطيباً بجامع القرويين بعد أن عزل كلا من الشيخين الفقيهين عبد الرحمان ابن مسونة عن الخطبة وأحمد ابن أبي زرع عن الإمامة، ولم تتجاوز مدة توليتهما سبعين يوماً. هكذا تولى الجاناتي تسيير شؤون جامع القرويين من إمامة وخطبة ونظارة أحباس، إضافة إلى القضاء. وقد ساهم هذا الموقع الديني في ارتباط اسم الجاناتي بالإصلاحات التي أدخلها على الجامع والزيادات التي زيدت فيه خلال مدة تحمله المسؤولية. ومن بين هذه

الإصلاحات تشير المصادر إلى أن الفقيه المعدل محمد بن الحبياك قام أيام الجاناتي سنة 686 بإصلاح قبة منار جامع القرويين العليا وذلك بأن جعل بدنا من فخار في القبة العليا فيه ماء وجعل على الماء طستاً نحاسياً فيه خطوط وأثقاب. والهدف من ذلك خروج الماء من الأثقاب بقدر محدود إلى أن يصل للخطوط، فيتم بهذه العملية معرفة أوقات الليل والنهار في الأيام والليالي الغائمة. لكن تم التخلي عن هذه الطريقة فيما بعد.

وفي سنة 689 هـ عاين الجاناتي ما آلت إليه صومعة جامع القرويين من إهمال وما لحقها من أضرار وتلاشي منذ أن بناها الأمير الزناتي أحمد بن أبي بكر سنة 345 / 956 مما جعل الطير يعشش بالأثقاب والفجوات والفتحات المنتشرة بجدرانها، فاستشار السلطان أبا يعقوب يوسف المريني في إصلاح وتبييض ما فسد. فكان له ما أراد وخصص لذلك قسطاً هاماً من أموال الأحباس وشرع في إصلاح الصومعة وتبييضها بالجبس والجير، كما سمر فيها من الخارج أكثر من ثلاثة قناطر من المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التلبس والبناء. بعد ذلك قام ببناء غرفة تطل على باب الصومعة ليستقر فيها المؤذنون والمؤقتون.

كما تشير إلى مساهمته في إصلاح المجال الفاصل بين باب الحفافة، أحد أكبر أبواب جامع القرويين في الجانب الشمالي، والصحن الذي كان مفروشا بالأجر لاتساعه حيث جدد هذا الفرش بأن وضع الرخام الأبيض والأسود مكان الأجر فجاء آية في الجمال والرونق. إضافة إلى ذلك كان القاضي الجاناتي قد أمر والي فاس محمد الحدودي بإعادة بناء الفندق الكبير الذي بسوق الشماعين بعد أن حُرب وأهمل، وقد كان هذا الفندق من جملة ما أوقفه السلطان المريني يوسف على جامع القرويين.

أما فيما يتعلق بالزيادات فقد ذكرت المصادر أن العتزة التي بجامع القرويين صنعت أيام ولاية الفقيه الجاناتي على الجامع، وأنفق عليها من أموال الأحباس. وقد بدأ العمل في صنع العتزة في أول شهر ذي القعدة من عام سبعة وثمانين وستمئة وانتهى من ذلك وتم تركيبها في موضعها يوم السبت الخامس من شهر ربيع الأول عام تسعة وثمانين وستمئة. ومن المعروف أيضاً أن الشريا الكبرى بجامع القرويين التي صنعت في أيام الفقيه الخطيب عبد الله بن محمد ابن المعلم، كانت قناديلها الخمسمائة والعشرون تارة تسرج وتارة لا تسرج كلها في ليالي رمضان إلى أن عمل الفقيه الجاناتي عند توليته أمور هذا الجامع على إزاحتها كلها في ليلة القدر من كل رمضان. وسار العمل على هذا النحو بعد ذلك مدة طويلة.

وباستثناء ما أشار إليه ابن أبي زرع من حدوث أزمة في العلاقات بين السلطان المريني يوسف وبعض حكامه أدت سنة 697 / 1298 إلى نكبة مشهورين على رأسهم الفقيه المترجم له والشاعر الكبير عبد العزيز القزويني

ومحمد الكناني. باستثناء ذلك نلاحظ أن الفقيه الجاناتي ظل يحتفظ بموقعه المتميز لدى ملوك بني مرين. فبالإضافة إلى المهام السابقة عينه السلطان يوسف نائباً عنه في الإشراف على إقامة الاحتفالات في فاس بمناسبة ليلة المولد النبوي، وقد حدث ذلك لأول مرة سنة 691 / 1292 في إطار اهتمام السلطان بتعميم هذه الاحتفالات في جميع أنحاء المغرب بعد أن كانت تنفرد بها مدينة فاس أيام يعقوب، وقبل ذلك سبته في عهد بني العزفي. ويستفاد من كلام ابن أبي زرع أن هذا التعميم كان بإشارة من الفقيه عبد الله بن أبي القاسم العزفي الذي كان أميراً بسبته في هذا التاريخ، أي في سنة 691 هـ، والذي تصادف مع وجود السلطان يوسف خارج العاصمة في قلعة صبرة من بلاد ملوية.

لم تقتصر أدوار الجاناتي على هذا الجانب الديني والثقافي فقط بل تجاوزته إلى الجانب السياسي والمساهمة في حل بعض المشاكل. فقد ذكرت المصادر أن السلطان أبا ثابت عامر المريني أوفد الفقيه الجاناتي إلى غرناطة بالأندلس سنة 708 / 1309 للتفاوض مع أميرها ابن الأحمر في شأن التحلي له عن سبته التي كان قد احتلها منذ سنة 705 / 1306 بعد دعمه للثائرين بها بزعامه عثمان بن أبي العلاء، وفي أثناء ذلك توفي السلطان المريني في حين استمر الفقيه في التفاوض مع صاحب غرناطة إلى أن نجح في عقد الصلح معه وانسحاب الثوار من سبته واسترجاعها إلى السلطة المرينية.

اختلف المترجمون لمحمد بن أيوب حول تاريخ وفاته. فذكر الجزنائي وابن القاضي في الجذوة أنه توفي في سابع ذي القعدة من عام ثلاث وتسعين وستمائة، ثم أشار في لقط الفرائد إلى أنه توفي سنة 706 / 1307. وأورد ابن أبي زرع تاريخاً آخر هو 694 مع أنه ذكر الجاناتي في أحداث سنة 697 وسنة 708. كما ذكره ابن خلدون أيضاً في أحداث سنة 708. لذلك يبدو من تضارب هذه التواريخ أن وفاة محمد بن أيوب الجاناتي كانت سنة 708 أو بعدها اعتباراً لكونه حضر. وفاة السلطان المريني أبي ثابت عامر في نفس السنة.

ابن أبي زرع، القرطاس... الرباط، 1973، ص. 57، 65، 67، 71، 76، 375، 383، 385، 392، 409؛ مجهول، الذخيرة السنية، الرباط، 1972، ص. 63، 138؛ أ. الجزنائي، جنى زهرة الآس، الرباط، 1991، ص. 50، 51، 60، 61، 69، 72، 73، 79؛ ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1968، ج. 7: 494-495؛ إ. ابن الأحمر، روضة النسر، الرباط، 1962، ص. 21؛ أ. الونشريسي، المعيار، بيروت، 1982، ج. 7: 487؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 1974، ص. 54، 61، 69، 72، 548؛ م. المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، 1979، ص. 194؛ م. حجي (محقق)، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976، ص. 165.

الجاناتي، محمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن

محمد بن أيوب، يكنى أبا يحيى، حفيد السابق، من فقهاء فاس وخطبائها وعدولها. كان له حانوت بسماط شهود فاس يمارس فيها مهنة الشهادة، ويجالسه بها بعض فقهاء وعلماء عصره للمذاكرة والمناقشة. من هؤلاء الشيخ الفقيه العدل محمد بن أحمد بن إبراهيم بن موسى الكومي والشيخ الرئيس ابن الأحمر الذي كان يحضر إلى حانوت الجاناتي ويذاكره في بعض الأمور الفقهية والأدبية ويستفيد من علمه الواسع. كما كان يجالسه أيضاً الفقيه العدل أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن بلال الأشعري.

عاش أبو يحيى الجاناتي في آخر القرن الثامن (14 م) معاصراً وصديقاً للأديب إسماعيل بن الأحمر المتوفى سنة 807 / 1405.

إ. ابن الأحمر، نثير الجمال، نج. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 434-435.

الجاناتي، محمد بن عبد الله بن عطر، وسقط

أحياناً اسم والده عبد الله فدعي محمد ابن عطر، ذكر ابن خلدون أنه كان "من موالي دولتهم ولاء الحلف" (العبر، 7 439). ويعتبر هذا الموقف السياسي لقبيلة جانانة عامة ولأسرة ابن عطر خاصة من العوامل الأساسية التي ساعدت محمداً على تسلق مناصب هامة في الدولة المرينية، إذ عُين وزيراً لدى السلطان يعقوب بن عبد الحق، وشارك إلى جانبه في حملاته الجهادية بالأندلس سنة 684 / 1285. وإذا كان ابن الأحمر قد أكد على تولية ابن عطر للوزارة في عهد يعقوب وكذلك في عهد خليفته يوسف فإن مؤرخين آخرين لم يذكروا ذلك؛ بل حتى ابن أبي زرع الذي تعود ذكر أسماء موظفي ملوك بني مرين لم يشر إلى اسم ابن عطر ضمن وزراء السلطانتين المذكورين. وعلى العكس من ذلك أجمعت المصادر على أن الجاناتي هذا عُين والياً على مراكش وأعمالها في أيام دولة السلطان يوسف بن يعقوب وأنه بقي في منصبه إلى حين ثورته على مخدومه وفراره نحو تلمسان. وحاولت نفس المصادر تقديم تفاصيل هامة عن هذه الأحداث وطبيعة مساهمة الجاناتي في تطوراتها.

ففي سنة 686 / 1287 شهدت منطقة درعة اضطرابات عنيفة تزعمها عرب المعقل مما دفع بالسلطان يوسف إلى تنظيم حملة عسكرية في شهر رمضان لتهدئة الأوضاع وكسر شوكة المتمردين، فانتهى الأمر بقتل وسبي عدد كبير منهم، وعلقت رؤوس القتلى بشرقات أسوار مراكش وفاس وسجلماسة ليكونوا عبرة للمعتبرين. وبعد استقرار بلاد درعة عاد يوسف إلى حضرة مراكش في أواخر شهر شوال من نفس العام وقام بخلع محمد بن علي بن محلى الذي كان أول عامل لبني مرين على المدينة منذ استيلاء يعقوب ابن عبد الحق عليها من يد الموحدية سنة 668 / 1269.

ويعود سبب هذا الخلع إلى ارتياب السلطان في علاقة عامله بالأحداث التي عرفتها درعة، فلم يكتف بعزله بل اعتقاله وحجسه إلى أن توفي في شهر صفر من عام 687 / 1288. على إثر ذلك عقد يوسف لوزيره محمد ابن عطو على ولاية مراكش وأعمالها خلفاً لابن محلي وترك معه ولي عهده الأمير أبا عامر عبد الله ثم ارتحل إلى عاصمة ملكه فاس. وفي أواخر شهر شوال من عام 687 / 1288 قام الأمير أبو عامر بالثورة على والده بمراكش بمساعدة ومجربض واليهما الجاناتي، الأمر الذي غضب له السلطان ودفعه إلى توجيه حملة بقيادته إلى مراكش فنزل بضواحيها وحاصر المتمردين بها. وأمام هذا الضغط العسكري خرج الأمير والوالي لمداغعة السلطان، وبعد مواجهات عنيفة اضطر الشائران إلى التراجع إلى داخل المدينة وغلقها في وجه يوسف. وعندما انتصف الليل قام الأمير بقتل مشرف المدينة ابن أبي البركات وحمل كل ما يوجد في بيت مالها ثم فر مع شريكه ابن عطو إلى جبل المصامدة. وقد مكث الشائران بين أهل الجبل حوالي ستة أشهر لجأ بعدها إلى تلمسان سنة 688 / 1289 واحتميا بسلطانها أبي سعيد عثمان بن يغمراسن.

إن تسلسل هذه الأحداث وتطورها بدءاً باضطرابات عرب المعقل بدرعة والتمردات التي شهدتها مراكش ومنطقة سوس، وانتهاءً ببلجوء أبي عامر والجاناتي إلى تلمسان لتؤكد بدون شك تورط بني عبد الواد في تحريك هذه الأحداث والمساهمة في تدعيمها لزعة الاستقرار بالمغرب الأقصى، وهي سياسة لم تكن وليدة هذه الظروف فقط بل ظهرت منذ انهيار الأمبراطورية الموحدية واحتدام الصراع بين الحفصيين والزيانيين (بني عبد الواد) والمرينيين حول وراثة الأمبراطورية الموحدية واستمرت فترات طويلة.

وما أن يوسف بن يعقوب كان يعي جيدا خلفيات وأبعاد المحاولات الزيانية فقد عمل على حل مشكلة لجوء ابنه وعامله بالأسلوب الدبلوماسي، فبعث مبعوثين عنه إلى صاحب تلمسان من أجل عودة الفارين إليه ونجح فعلا في استعادة ولده الأمير أبي عامر، في حين فشلت مساعيه في تليين موقف عثمان بن يغمراسن من قضية تسليم ابن عطو الجاناتي. وقد أشارت المصادر إلى أن أمير تلمسان امتنع عن الاستجابة لمكاتبات السلطان المريني ورفض رفضا قاطعا التخلي عن الجاناتي، بل وتجاوز حدود اللياقة بأن اعتقل الرسول المريني وأمعن في إذلاله، الشيء الذي أثار غضب يوسف ودفعه إلى إعلان الحرب على بني زيان. وقد اعتبر بعض المؤرخين كابن زرع وابن خلدون أن هذه الواقعة كانت سببا مباشرا في توتر العلاقات بين تلمسان وفاس والفتيل الذي أشعل نار الحرب بين الطرفين. في إطار هذا الجو المشحون غادر السلطان يوسف مدينة مراكش في صفر من عام 689 / 1290 بعد أن عين عليها واليا جديدا من بين أولاده هو الأمير أبو عبد الرحمان. وعند وصوله إلى فاس استنفر جنوده وشرع في حملته، وهي الأولى خلال

فترة حكمه، صوب عاصمة بني عبد الواد فحاصرها حوالي أربعين يوما ثم ارتحل عنها عائدا إلى فاس دون أن يفلح في تحقيق هدفه المتمثل في الضغط العسكري على عثمان بن يغمراسن لتسليمه محمد ابن عطو الجاناتي. استمر الوضع على هذا الحال من التوتر وتعددت حملات يوسف على تلمسان دون معرفة ما انتهى إليه مصير الجاناتي، ولم تعد المصادر تتحدث عنه أو تشير إلى أخباره بعد سنة 689 / 1290. وقد ذكر ابن الأحمر في روضة النسرين (ص. 24) أن عمر بن محمد بن عبد الله ابن عطو تولى الوزارة في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب.

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972، ص. 342، 378، 379. 386 : ي. ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1903، 1: 118، 119. ع. ابن خلدون، العرب، بيروت، 1968، ج. 7، 428، 439، 441، 445. إ. ابن الأحمر، روضة النسرين، الرباط، 1962، ص. 18، 21، 24.

Deverduin, Marrakech des origines à 1912, Rabat, 1959, p. 310 ; Kably, Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge, Paris, 1986 ; Khanboubi, Les premiers sultans mérinides, Paris, 1987, p. 80, 104 - 105.

الجاناتي، محمد بن عبد المؤمن، أحد فقهاء

فاس ومفتيها، ينتسب إلى طبقة الفقيه المفتي أبي عمران موسى العبدوسي المتوفى سنة 776 / 1375. نقل عنه الونشريسي في المعيار كثيرا من الفتاوى في قضايا ونوازل مختلفة تهم على الخصوص مسائل الطلاق والحيازة والميراث وبعض الطوائف الصوفية المنحرفة كطائفة جزناية شيعة المهدي بن تومرت وطائفة العكاكرة. وقد وصفه الونشريسي بالفقيه والقاضي والمدرس والمفتي والمشاور القدوة، وهي أوصاف تؤكد على مكانة الرجل العلمية والفكرية بين شخصيات عصره. كما أشارت بعض المصادر إلى أن الونشريسي لم يكن الوحيد الذي نقل عن الجاناتي بل اعتمده غيره من الفقهاء دون أن يحدد هويتهم.

لم نقف على ترجمة واقية لمحمد بن عبد المؤمن الجاناتي وهو ما خلص إليه أحمد باب التنبكتي نفسه، الأمر الذي يجعلنا نجعل تماما تاريخ وفاته وإن كان كلام المصادر يقيد بأنه عاش في القرن الثامن (14 م) فتكون وفاته غير بعيدة عن وفاة العبدوسي المذكورة آنفا.

أ. الونشريسي، المعيار، بيروت، 1982، الأجزاء 1 و2 و3 و4 و5 و6 و7 و8 و9 و10 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 278. أ. باب التنبكتي، نيل الانتهاج، بيروت، د. ت. ص. 279.

رشيد السلاحي

جاناطيلي، أ. جانتيلي

موااليد مدينة جنوة سنة 1857، عين ترجمانا بمفوضية إيطاليا بتونس، وفيها بلا شك تعلم العربية. وفي أكتوبر

سنة 1878 التحق بطنجة ليكون المترجمان الأول للوزير المفوض ستيفانو سكوقافو S. Scovasso وخلفه روميو كانطاغالي R. Cantagalli وحوالي سنة 1912 عين قنصلاً عاماً بالدار البيضاء مكلفاً بجميع المناطق جنوب هاته المدينة.

كان جانايطلي معروفاً لدى الأوساط الأروبية وتظاهر مع أيون بيرديكاريس Ion Perdicaris اليوناني الأصل، الأمريكي الجنسية الذي استوطن طنجة عقوداً طويلة. وكانت له اتصالات وطيدة مع القصر والحاشية السلطانية ومختلف السلطات، وهو الذي تولى الإشراف على تعليم الطلبة المغاربة اللغة الإيطالية بطنجة قبل سفرهم إلى إيطاليا في بعثات طلابية.

كما أن الأبناء كانوا يعرفونه جيداً، فكان ليقاً ومحناً إلى حد أن وصفوه هو ومنصور ملحمة اللبناني الذي كان ترجماناً للمفوضية الألمانية بأنهما كانا "قطعة سم". أما عامل فاس إدريس ابن العلام فقد نعته بكثرة الجدال في رسالة وجهها إلى الحاجب أحمد ابن موسى سنة 1314 / 1897 : "لأنه لاتخفاك دسائسه، وأنه إنما يبحث عن السبب الذي يتوصل به إلى كثرة الهرج".

عاش جانتيلي (وهو اسمه) جانايطلي (وهو نسبه) أزيد من ثلاثين سنة بالمغرب تعرف خلالها جيداً على مشاعر المغاربة. وكان في رسائله المكتوبة إلى السلطات المغربية يستلطف بطابعه المستدير : "جنطيلي، لطف الله به".

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 2، ص. 579، ج. 4، ص. 1360 : الوثائق الملكية.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. IV, p. 98.

مصطفى بوشعراء

لوي جانتلي Louis Gentil، فرنسي ولد بالعاصمة الجزائرية سنة 1868، وتابع دراساته العليا بباريس في العلوم الطبيعية وتخصص في علوم الأرض وهياً أطروحة الدولة عام 1902 بدراسة المنطقة البركانية الممتدة من وهران إلى الحدود المغربية، فنال دكتوراة الدولة في الجيولوجيا. وكان ملماً باللغة العربية المنطوقة والمكتوبة، وبحسن اللهجتين الجزائرية والمغربية بما فيها الريفية.

وفي الوقت الذي كانت العلاقات الدولية في أقصى درجة التوتر بسبب النزعة الاستعمارية عامة، وتزاحم الدول الأوربية على أبواب المغرب خاصة، كان لوي جانتلي يمارس التعليم العالي بالسوربون بباريس، وربط علاقات قوية مع أوساط البحث العلمي ومع الحزب الاستعماري الذي أسسه بعض الأساتذة الجامعيين، كان على رأسهم رئيس ما كان يسمى "بلجنة المغرب"، أوجين إيتين Eugène Etienne وصحبه.

أخذ لوي جانتلي يتسلل إلى المغرب كما كان يفعل في

ريعان شبابه، ويتأجج رغبة في القيام بعمل ما لصالح البحث العلمي. وخطط مشروعاً للدخول إلى المغرب. فإذاً

بالظروف المغربية والدولية تصبح مواتية لمثل هذه

المغامرات، إذ أبرمت فرنسا وآنكلترا اتفاقاً بتاريخ 8 أبريل سنة 1904، ينص على إطلاق يد فرنسا بالمغرب مقابل إطلاق يد أنكلترا بمصر، وأمسى هذا الاتفاق ساري المفعول حينه، كما بات مشفوعاً باتفاق سري أبرم بتاريخ 3 أكتوبر 1904 بين فرنسا واسبانيا يحمل وعداً للاعتراف لمدريد بسط نفوذها على منطقة شمالية من المغرب سيتم تحديدها فيما بعد، عندما ينتهي خبراء البلدين من تحديد مساحتها ومعرفة قبائلها.

وفي هذا الإطار أخذت البعثات العلمية الاستكشافية الأوربية تصل إلى المغرب وتتجول في أمن عبر المناطق التي لم تكن القبائل فيها تنازع في سلطة المخزن. أما في غيرها، فإن المخزن لم يكن مسؤولاً عن أموال وحياة الأجانب الذين يتوغلون فيها. من بين هذه البعثات، بعثة يرأسها الماركي ريمون دوسيجونزك وبمعيته لوي جانتلي حظيا بالمساندة المعنوية والمادية من عدة جهات علمية فرنسية ودوائر مسؤولة، قدمت إلى المغرب في أواخر شتنبر سنة 1904، وحددت لكل منهما الجهة التي سيتوجه إليها. وفي هذا السياق اختار لوي جانتلي ناحيتي طنجة وتطوان ثم الحوز المجاور لها، ثم غرب الأطلس الكبير وسروة وسوس، ومناطق أخرى سيستكشفها في مناسبة أخرى.

استغرقت الرحلة الأولى للوي جانتلي زهاء سبعة أشهر وتنقسم إلى شطرين، شطر خصه لاستكشاف غرب شمال المملكة، وشرط خصه لاستكشاف مناطق من جنوبها.

شمل الشطر الأول : أنجرة وإقليم تطوان حتى مشارف الشاون في الذهب، والحوز في الإياب إلى طنجة. استغرقت هذه الجولة الاستكشافية قرابة أسبوع، قام بها لوي جانتلي وهو متنكر في زي مغربي. تميزت هذه الجولة بدراسة ميدانية شملت الجوانب الطبوغرافية والجيولوجية والمناخ، ومواقع البحفوريات الحيوانية مما يتعلق بالبيئة البشرية وغيرها.

الشرط الثاني : ويشمل الجولة الاستكشافية الجنوبية في المناطق التالية : الشياظمة (ناحية الصورة) : رحل لوي جانتلي إلى الصورة على متن إحدى سفن شركة "ياكي" التي كانت تربط المغرب بفرنسا يوم 11 أكتوبر 1904 فوصل إلى الصورة بعد أسبوع فوجد هناك استقبالاً ودبياً من طرف السلطات المخزنية التي كانت على علم مسبق بقدمه، ثم حصل على مساعدات أساسية مثل الدواب التي ستحمل بضائعه ومرافقين التزاماً بمصاحبه عدة أسابيع. وتلقى أيضاً معلومات إضافية ودروساً نظرية تتعلق بتحركاته وحركاته أمام المغاربة، وحلق رأسه على الطريقة المحلية وارتنى ملابس مغربية، واتخذ لنفسه اسم

"السي علال"، هذا زيادة على رسائل تزكية وتوصية موجهة إلى بعض الشيوخ والأعيان.

قام لوي جانتني بجولة بإقليم الصويرة استغرقت عدة أيام، أسفرت عن بعض الفوائد العلمية.

استكشاف سوس : بدأ لوي جانتني رحلته الاستكشافية إلى سوس يوم 20 دجنبر 1904، انطلاقاً من الصويرة ومروراً بإيمي ن تانوت. ووصل إلى ضواحي تارودانت بعد عشرة أيام، ثم واصل رحلته إلى مراكش التي حل بها يوم 10 يناير 1905. استنتاجاته العلمية لاتفيدنا كثيراً باستثناء ما يتعلق بوجود مناطق تحتوي على يحفوريات نباتية ترجع إلى عصور جيولوجية قديمة. إلا أن ملاحظاته حول شجر أرگان كانت مفيدة في وقتها.

كاد أمر لوي - جانتني ينكشف خلال هذه الجولة، اذ شك فيه بعض القوم، من هذه القبيلة أو تلك، لأنهم لم يروا في حياتهم أهلياً من طراز "السي علال"، يلاحظ ويكتب، ويرتب الأوراق. فكان يقول عن نفسه إنه من تطوان ومن أصل ريفي، يحدث بالعربية والفرنسية والإسبانية والانجليزية ويتقن اللهجة الريفية. وكم من مرة وقع في موقف حرج، أمام آخرين، في هذه المحطة أو تلك، وهو ينظر إلى البارومتر الذي أخفاه تحت جلبابه، فيفاجأ، وعندما يُسأل، يجيب أحد رفاقه إنه يقتل قمله. وكم من مرات كذلك، كاد يعتقل، فيقول إنه طبيب، فيتهافت عليه بعضهم ملتسبين أدوية، فيمدهم ببعض الأقراص ... وينجو بنفسه. وكان يومه الناس أنه يتهجد في الليل، فيزداد "السي علال" تقديراً في أنفسهم وإعجاباً بثقافته الواسعة عندما يحدثهم عن بعض صفحات تاريخ المغرب أو تاريخ العرب.

استكشاف حاحة : بعد إقامة يومين بمراكش، ولّى أعقباه إلى الصويرة، ومنها قصد حاحة، فجال بين قرأها وجبالها وسهولها، متخذاً كثيراً من الاحتياط، مثل رسائل التزكية الموجهة لبعض الشيوخ، والحيلولة دون الوقوع في قبضة القائد أنفلوس، بين الشياظمة وحاحة لأنه سبق أن منعه من الظهور بالمنطقة. وتمت جولته عند مشارف أكادير، مروراً بأودية وأماكن لايتحدث عنها المؤرخون، وقلما يصفها الجغرافيون، وشاهد من الطبيعة ما لم يهتم به غيره. وبعدما أنهى هذه المهمة، عاد لوي جانتني مرة أخرى إلى الصويرة، فرتب أموره، وأخذ من السلطات رسائل أخرى، ثم رحل إلى مراكش.

استكشاف كتلة السروة : لم تكن الرحلة عبر الأطلس خالية من الأخطار، سواء بين مراكش وكتلة السروة، أو بين السروة وورزازات، وبين هذه المدينة وتلوات ودمنات تظهر المخاطر عند كل جبل وعند كل واد، وتشهد الحراسة من طرف القبائل على القوافل ضد تسربات "الأروام"، لأن الحكم يومئذ كان للقياد والشيوخ. وتنكر "السي علال" في هيئة ابن سبيل فقير، عليه

جلباب رث تحته معدآت علمية صغيرة لقياس الحرارة والارتفاع والضغط والمسافات وآلة تصوير، ليست له خيمة ولا حمار ولا ملابس، يمشي على القدمين، ويقوم بمهمة الاستكشافية ويطلب لدى المداشر ما يسد به رمقه ورمق مرافقيه الاثنين. لكنه كان يلقي الترحاب لدى الشيوخ الذين يعطيهم رسائل "المجاملات"، فمنهم من كان يمنحه المأوى، مبيت ليلة، ومنهم من كان يكرمه، ومنهم من كان لا يهتم به. وغادر المغرب في أواخر مارس سنة 1905، على أمل العودة مرة أخرى لاستكمال استكشافاته، وللوقوف على أسرار كتلة السروة بالخصوص. وفي باريس أخذ ينشر مقالات عن المغرب، يعرّف به من جميع الواجهات، ثم ألف سنة 1906، كتاباً عن المغرب، عنوانه : في ربوع بلاد السبية.

عاد لوي جانتني إلى المغرب خلال سنة 1907، موفداً من قبل وزارة الخارجية الفرنسية ووزارة الأشغال العمومية قصد استكشاف إقليم مراكش، إلا أن الحوادث التي كانت مراكش مسرحاً لها والتي أدت إلى مقتل الدكتور موشان، أرغمته على تحويل اتجاهه إلى الشاوية ثم عمالة وجدة. وأعاد الكرة خلال سنة 1908، بهدف استكمال أبحاثه في المغرب الشرقي، وخاصة بمنطقة بني إزناسن مع العودة إلى الشاوية. وقام بسفر آخر إلى المغرب لدراسة المنطقة الساحلية الممتدة من الصويرة إلى أكادير على طول الشاطئ وذلك عام 1909.

ثم سافر مرة أخرى إلى المغرب، عام 1910 لاستكشاف ملوية السفلى. وأخيراً في عام 1911، خصص سفره السادس لدراسة الأطلس الصغير وجنوب الأطلس الكبير. إلا أنه لما نزل بأكادير، منعه الاخوان الألمانيون المدعوون مانسمان Manessman من التوغل في سوس وما وراءه، فعاد على أعقابهم نحو الصويرة، ومنها ذهب لدراسة المنطقة الممتدة من ناحية فاس إلى الشاطئ الأطلسي.

وبعدما عاد لوي جانتني إلى بلده وهو يحمل في حقايبه ثروة من العينات الحجرية التي التقطها، ومعها المعلومات التي اكتسبها خلال جولاته في المغرب، أخذ يحلل ويفحص ما جمع واجتمع لديه، وشرع ينشر في عدة مجلات مختصة ارتساماته وبعض نتائج أبحاثه.

وألف كتاباً فريداً من نوعه في وقته، عنوانه المغرب الطبيعي *Le Maroc physique*، صدر له سنة 1912. فقررت سلطات الحماية إنشاء "مصلحة للجيولوجيا والمعادن" بالمغرب، تابعة لمديرية الأشغال العمومية، وذلك في غضون دجنبر سنة 1912. وقد سبق نشر هذا الكتاب بقليل، طبع أول خريطة جيولوجية للمغرب بسلم 1 / 2.500.000، من وضع لوي جانتني نفسه.

وحالت الحرب العالمية الأولى دون مواصلة استكشافات المغرب، فاتخذها لوي جانتني فرصة للانكباب على تحليلات أخرى لأعماله وإعادة تقييمها. فوضع خريطة جيولوجية أخرى أرقى من الأولى وأكثر إتقاناً بسلم 1 / 1.500.000،

للأخطار، وسط مناخ جاف من جهة الشرق، رطب من جهة الغرب. المكان موحش، حتى الطيور لا تقترب منه، ليس فيه حشرات ولا ما تقتات به الزواحف الصغيرة التي عادة ما تتساكن بين الأحجار.

وتغلب هذا العالم في النهاية على المعاناة وعلى الطبيعة القاسية أرضاً وجواً، فكان أول شخص بلغ أعلى قمة سيرو، فوجدها فوهة تكاد تكون منغلقة بمواد متحجرت منذ ملايين السنين بجانبها وحولها أحجار صوانية وأخرى تتضمن أكسيدات حديدية مختلفة. ولما قام بقياس ارتفاع القمة عن مستوى البحر، وجد أنها تبلغ 3034 م.

كان هذا العمل ختام الرحلة الثانية التي لم تستغرق أكثر من شهر، ولم ير المغرب لوي جانتني من بعدها، لأنه توفي بباريس سنة 1925، وعمره ستون سنة.

ونشير في الختام إلى أن سلطات الحماية أطلقت اسم "لوي جانتني" على القرية العمالية التي تأسست خلال الفترة الممتدة من 1931 إلى 1933، بمنطقة كنتور (بين عبدة والرحامنة) لاستغلال الفوسفات الذي عثر عليه في هذه الجهة. وتقع قرية "لوي جانتني" على خط السكة الحديدية الرابط بين بنجرير وأسفي. وفي عام 1936، خرج أول قطار فوسفاتي منها نحو ميناء أسفي. ولما استقل المغرب، ازدادت "لوي جانتني" تطوراً وتنمية، ولم تمض إلا أشهر حتى تقرر تغيير اسم البلدة لتصبح هي مدينة اليوسفية، تخليداً لذكرى السلطان مولاي يوسف.

أحمد بنجلون، من تاريخ أسفي (مخطوط).

P. Despujols, *Historique des recherches géologiques au Maroc* : L. Gentil, *Dans le bled es-Siba : Explorations dans l'Atlas marocain* : G. Choubert, *Histoire géologique du précambrien de l'Anti-Atlas (notes du service géologique, n° 162)* : Ministère de l'Énergie et des Mines, *Panorama de l'industrie minière*, tomes 1 et 2 ; *Bibliographie analytique des sciences de la terre* : F. Gendre, *Voyageurs et géographes, pionniers inconnus ou oubliés, de la France au Maroc*, R. G. M., t. 1, 2, 3, 4, année 1946.

أحمد بنجلون

جَاوْشُ أو زَاوْشُ أو جَاوْجُ - حسب اختلاف النطق

الدارج في المغرب - طائر يسمى في المعاجم وفي بلدان المشرق العربي "عصفور دُوري" أو "عصفور بُيوتي" - وهو جنس طيور برية من رتبة الجواثم Passeriformes ومن فصيلة Ploceidés يضم عدة أنواع، أربعة منها تعيش في المغرب، كثيراً ما يصعب على غير المختصين التفرقة بينها نظراً لكثرة التشابه، مما جعل كلمة "جَاوْشُ" تطلق على الأنواع الأربعة الموجودة في المغرب العربي.

من بين الأنواع المستقرة الشائعة في بلادنا نوع أهلي يسمى علمياً *Passer domesticus* ويدعى بالفرنسية *House sparrow* وبالإنجليزية *Moineau domestique* وبالإسبانية *Gorrión comun*. وهو طائر يألف المدن

في عام 1922، لم يدخل عليها الباحثون من بعده، وعلى إثر أبحاث متقدمة، إلا تغييرات جزئية، وبقيت خريطة لوي جانتني هي الأم والمرجع الأساس.

تشكل الرحلة الأخيرة السفر السادس الذي قام به لوي جانتني إلى المغرب، وذلك في ربيع عام 1923، بهدف استكشاف جبل سيرو وجبل باني اللذين ظلا إلى ذلك الحين منطقة تعد من مجاهل الكون بالنسبة للأوروبيين. ولم يعد لوي جانتني في حاجة إلى التنكر ليتوغل في "المجهول"، فأحجز هذه المهمة الكبرى في ثلاثة أشواط :

غادر لوي جانتني مراكش يوم 31 مارس، واتبع نفس الطريق الذي سلكه خلال رحلته الأولى عام 1905، فقطع الأطلس الكبير عبر فجّ تيزي - ن - تاست ومرّ بجبل تيديلي ونهر تفنوت ليصل إلى سيرو. إلا أن سقوط الثلوج بغزارة في الوقت ذاته حال دون تحقيق هدفه، رغم محاولته تحدي الطبيعة، فأرغم على تغيير اتجاهه واللجوء إلى تارودانت. وعندما تحسنت أحوال الجو، رجع إلى مراكش بعد أن قام بجولة في منطقة تيبوت وكندافة وأسني.

بعد الشوط الثالث من هذه المرحلة الثانية أهم هذه الأشواط، فقد وضعت الحامية العسكرية الفرنسية بتزيت، لفائده وخدمته، فرقة تتألف من أكثر من مائة شخص، من بينهم جنود مغاربة وزودتهم بالمؤونة الضرورية والأدوية وغير ذلك مما تحتاجه قافلة علمية ستتوغل بهذا الكم لأول مرة، في مناطق لم يدخلها أجنبي مكشوف الهوية من قبل. وفي هذه الظروف انطلقت بعثة لوي جانتني من تارودانت يوم 10 شتنبر 1923، فمرّت بإغرم، ثم تاكومت وطاطا. وعندما بلغت القافلة إلى واحة توجد على مشارف تيسنت، انفصل عنها لوي جانتني ولم يبق معه إلا ثلاثة من المرافقين تطوعوا لمصاحبته.

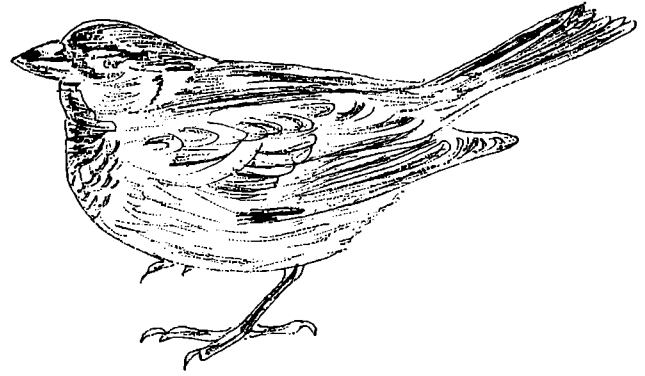
بعد ذلك مضى يستكشف بعض الجهات من جبل باني، وقد أطل على نهر درعة، فكان أول أجنبي يقف في هذه الأمكنة التي باتت حيناً من الدهر محرمة حتى على بعض القبائل، إذ كان أهل قبائل تكنة يهيمنون عليها بصورة مطلقة.

ثم انطلق نحو سيرو من الجنوب ؛ مروراً بعدة مواقع استلزمه عبورها مع ذلك أن يدلي بهويته ويهدف مقامه ونحواله. وقال له أحد شيوخ قرية : "أذكر أن رجلاً اسمه السي علال، فقيه وعالم مر من هنا منذ عشرين سنة، وأعطاني أدوية". فأجابه لوي جانتني : أنا هو السي علال، في ذلك الوقت ابتسم الشيخ وأضاف : "إنك نجوت من الموت".

فالسعود إلى سيرو، هذا الجبل البركاني الميت الضخم، شاق ومتعب، لكثرة الالتواءات الوعرة، والانكسارات الخطيرة، ولأرضه المغطاة بالصخور والأحجار المسننة على السفوح، وما سيرو الاكتلة متعددة القمم والفوهات، كانت المقذوفات البركانية تكسوها من كل جهة.

اضطر لوي جانتني إلى الإقامة يومين وهو عرضة

والبوادي والجبال والسهول. يبلغ طوله 14.5 سم وبسطة جناحيه 25 سم. المنقار مخروطي الشكل وقوي متخصص في أكل الحبوب. ريش الإناث بُني محمر تختلف عنها الذكور بقع سوداء على صدرها. يتراوح الوزن ما بين 25 و35 غ، ويعمر هذا الطائر عدة سنوات.



الجواش

تأقلم هذا الطائر مع حياة الإنسان حيث يعيش غير بعيد عن المنازل ويتكون غذاؤه من الحبوب (القمح والشعير) وكثيراً ما يتوارد على الحقول ويخلف أضراراً في المحاصيل الزراعية، مما يجعل منه طائراً غير مرغوب فيه. وقد حاول الإنسان محاربتة بعدة وسائل لكنه يقاوم الانقراض بشدة ذكائه.

يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد ويكثر صباحه في الصباح والمساء وسط الغابات وفوق الأشجار، وكثيراً ما تنضم الصغار إلى الكبار، وأحياناً تنضم عدة مجموعات مع بعضها لتكون أسراباً يفوق عددها الألف.

يتوالد ما بين مارس وشتنبر، ويتعاون الزوجان على بناء عش ضخم كروي الشكل بواسطة الأعشاب اليابسة ويفرشانه بالريش ويقطع من الصوف أو القطن. تلد الأنثى البيض مرتين إلى ثلاث مرات في السنة وتضع في عشها من ثلاث إلى خمس، ونادراً ما تضع ثمان بيضات، لونها أبيض مخضر وهي منقطة بالرمادي والبني والأسود. تزن كل منها 2.1 - 3.3 غرام ويبلغ طولها 15.7 × 22.5 ملم. توضع الأعشاش بين الجدران والسقوف وفوق الأشجار العالية وخاصة منها أشجار الصنوبر Eucalyptus. تحضن الأنثى بيضها مدة أسبوعين (11 - 14 يوماً)، ويقدم الأبوان الغذاء لصغارها مدة أسبوعين وتتكون غالباً من الديدان والحشرات الصغيرة. يعيش الجواش في كل من آسيا وأوروبا وإفريقيا الشمالية، وقد تم إدخاله أخيراً إلى أمريكا.

يسمى الجواش الإسباني علمياً Passer hispaniolensis وبالإنجليزية Spanish sparrow وبالفرنسية Moineau espagnol وبالإسبانية Gorrion moruno وهو كثير الشبه في الشكل والحجم بالجواش الدوري، ويوجد الاختلاف عند الذكور فقط حيث تتميز بريش بُني فوق

الرأس وبقعة كبيرة على العنق والصدر ممتدة جانبياً إلى الجناحين. باقي الجسد بني ورمادي. لا يتعدى طوله 15 سم، وطريقة عيشه وتوالده شبيهة بالجواش الأهلي، إلا أنه غالباً ما يهاجر وسط البلدان المقاربية ويقوم بتنقلات وسط مجموعات تعد بمئات وآلاف الأفراد يقطع خلالها مسافات طويلاً للبحث عن المزارع والحقول الزراعية ويخلف أضراراً في محاصيل الحبوب مما يجعل الفلاح يتصدى له بعدة وسائل لإبعاده من الضيعات. كثيراً ما يتطلب من الفلاحين حراسة متشددة ومتواصلة لمقاومة هذا الطائر.

يسمى جواش الصخور علمياً Petronia petronia وبالفرنسية Moineau soulié وبالإنجليزية Rock sparrow وبالإسبانية Gorrión chillón وبالإيطالية Passera lagia. لا يتعدى طوله 13.8 سم، ويتميز عن السابقين بعدم وجود البقعة السوداء على العنق والصدر ويخطين أسودين على الرأس. تتخلل الصدر بقعة صغيرة من الريش الأصفر وباقي الجسد بني رمادي. إنه طائر جبلي شائع في جبال الأطلس وجبال الريف ويقتصر توزيعه الجغرافي على المناطق المجاورة للبحر المتوسط.

يتوالد في المناطق الجبلية وسط الغابات والصخور، وكثيراً ما يتخذ شقوق الصخور وجذوع الأشجار مكاناً لوضع عشه. يتوالد في فصل الربيع ابتداءً من شهر أبريل، ونادراً ما يضع البيض مرتين في السنة. تغادر الصغار الأوكار بعد ثلاثة أسابيع وتلتحق بالكبار لتكوين مجموعات صغيرة. يقطن من الحشرات ومن الحبوب، ولا يقترب كثيراً من الإنسان. هناك بعض المجموعات تتخذ الصخور الشاطئية مسكناً لها نذكر منها منطقة قرية أركمان ورأس كيدانة بالبحر المتوسط وتتكون المجموعة من أزيد من ستين زوجاً.

الجواش الأبيض Passer simplex، يسمى بالفرنسية Moineau blanc وبالإنجليزية White sparrow أو Desert sparrow، وذلك لأنه يعيش في المناطق الصحراوية فقط، منها الصحراء الكبرى وصحراء الخليج العربي. تعيش بعض مجموعاته جنوب جبال الأطلسي الكبير والصغير. يتميز الطائر بريش رمادي أبيض على رأسه وظهره وبطنه، وتتخلل صدره وجناحيه بقع من الريش البني المسود. يبني عشه بين أوراق النخيل وفوق الشجيرات وأحياناً في الثقب الموجودة بجدران المباني. يتوالد مرتين في السنة ما بين مارس وأبريل وتضع الأنثى ما بين بيضتين و6 بيضات تحضنها مدة أسبوعين:

يلاحظ خلال فترة هجرة الطيور القادمة من أوروبا إلى المغرب في فصل الشتاء أن بعض المجموعات من نوع Passer montanus المسمى بالفرنسية Moineau friquet وبالإنجليزية Tree sparrow، تأتي أحياناً إلى المناطق المجاورة لطنجة وتطوان والعرانش لتقضي شهري دجنبر ويناير هناك ثم تعود لتتوالد في أوروبا.

أمين المعلوم، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

J. Pineau et M. Giraud-Audine, *Les oiseaux de la Peninsule tingitane*, Rabat, 1979, *Trav. Ist. Sci., Zoologie* n° 38 ; P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux au Maroc, janvier 1986 - 87 et 88*, Rabat, 1988, *Doc. Inst. Sci. 11* ; W. Read et Hosking, *L'oiseaux. leurs nids et leurs aifs. Reproduction - Oeufs et jeunes*, Paris, 1968, p. 281 - 282 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 298 - 301.

محمد رمضان

العلاقات بين العروسين ليلة الزفاف. وكان اللواتي يتعاطين السحر والشعوذة يستعملن لإضفاء أجواء خاصة على الحلقات التي كن يخصصنها لزنائهن.

أ. المقرئ، *فتح المتعال*، مخطوط خ. ع العامة 1463ك : ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972 : ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974.

Archives berbères, vol. 2 fasc. 3, 1917 ; B.E.P.M. n° 63, janvier 1925 ; H. De Lamartinière, *Souvenirs du Maroc, 1822 - 1918*, Paris, 1919 ; A.R. De Lens, *Pratiques des harems marocains*, Paris 1925 ; L. Bolens, *Les parfums et la beauté en andalousie médiévale*, Genève [s.d.].

محمد يوسلام

جاي، Jay منصرة إنجليزية من هيئة نورث أفريقيا ميشن North Africa Mission وصلت إلى مدينة طنجة سنة 1886 ومكثت بها إلى غاية 1898. ولكنها أقامت بين هاتين المدتين بمدن أخرى مثل فاس سنة 1890، والدار البيضاء سنتي 1891 و1892، وبعد ذلك رجعت للإقامة بطنجة التي اتخذت فيها مدرسة لتعليم البنات استمرت مفتوحة حتى بعد رحيلها. لها مقالات عن المغرب نشرت بجريدة الهيئة المنتمية إليها.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 4 : 1402.

J.-L. Miège, *Les missions protestantes au Maroc*, p. 158 ; *Le Maroc et l'Europe*, T. I, p. 124.

مصطفى بوشعراء

الجاي، أسرة فاسية عريقة، أصلها من بلاد الجاية في جبال غمارة، وتكتب أحياناً بالهمزة أو بالياء قبل ياء النسبة : "الجائي" أو "الجايي" ويضاف اللام إلى أولها في الغالب : اللجائي. انظر مادة (اللجائي).

الجاي، أحمد مقاوم، ولد بفاس سنة 1332 / 1913. انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة بمنظمة الهلال الأسود بالقيظرة تحت مسؤولية تويرتو عبد السلام. كان يزود أعضاء المنظمة بالأسلحة والدخيرة التي كان يجلبها بوسائله الخاصة من المعسكرات الفرنسية وساهم أيضاً في تهريب بعض المقاومين عن عيون السلطة الفرنسية. تعرض في حياته الفدائية إلى عمليات اعتقال من طرف الفرنسيين وحكم عليه بثلاثة عشر شهراً حيث زج به في سجن القنيظرة قبل أن يتم تهريبه من السجن بواسطة خطة محكمة لأصدقائه.

توفي يوم الأحد 25 رمضان عام 1375 / 6 ماي 1956.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 4 : 146.

الجاوي، (بخور) - ينطق به في المغرب بتشديد

الجيم - من عادة المغاربة تعطير أجسامهم وملابسهم ومسكنهم وأماكن إقامتهم أو مساجدهم وأضرحتهم وزواياهم وخاصة في الأعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية. وقد كان تبخير الأماكن، شأنه شأن تعطير الملابس، لازماً من لوازم الحياة الدينية والاجتماعية في المغرب، ولا يمكن مطلقاً تصور حياة الناس وخاصة في الحواضر بدونهما. وكان أبرز أنواع البخور المستعملة في هذه الحواضر بخور الجاوي (جاوي).

وهو مادة صلبة متحجرة ذات لون أشقر يشبه اللبان في شكله ومظهره. لذلك كان من سكان الحواضر من يسميه أيضاً لبان جاوة. وهو يستمد اسمه من جزيرة جاوة إحدى كبريات جزر أندونيسيا الإسلامية في الشرق الأقصى. كان المسلمون يستوردونه منها إلى المشرق العربي حيث تتم معالجته في بعض بلدان شبه الجزيرة العربية وبعض بلاد الرافدين ليوزع على سائر البلدان الإسلامية الأخرى في الشرق والغرب ومن ضمنها المغرب الأقصى.

والجاوي في الأصل صمغٌ يستخرج من أنواع خاصة من الأشجار يتصلب ويتحجر ويجمع في أوقات معلومة ويستعمل بالشرق الأقصى في الصيدلة والتعطير أيضاً. ومن بلدان الشرق الأقصى انتقلت استعماله إلى المشرق العربي. وكان العديد من الناس يدعوه "الجاوي المكاوي" ويقصد به البخور المشتري من مكة أو المعالج بها. إلا أن صفة المكاوي كانت تضاف على هذا البخور نفحات قدسية من نوع خاص.

كان الجاوي يُدرج في عدة وصفات طبية لمعالجة بعض الأمراض البدنية والنفسية. فقد كان دهانه المنقع في ماء الورد والزهر والريحان والقرنفل وغيره من العطور يستعمل لذلك المفاصل ومعالجة التورمات والمسد بعض الأنواع من مغص الأطراف والأمعاء وآلام الظهر والعمود الفقري. وكان المصابون ببعض الأمراض العصبية وبحالات فجائية من الاكتئاب يستنشقون دخانه للتخفيف من الآلام التي تنتابهم. كما كان يستعمل من قبل الأمهات والمولودات والمشاطات (النكافات) لجلب السعد للعوانس وتسهيل الولادة وتبديد الأمزجة غير الملائمة التي قد تتخلل

أن يلتحق بجامعة القرويين. ظهرت عليه منذ نعومة أظفاره مخايل الموهبة الشعرية والفنية حيث أخذ ينظم القصائد ويرسم الألواح التي كانت تنال استحسان المنصتين والمشاهدين. أودعته سلطات الحماية السجن وهو مرهق بسبب قصائده المناهضة للاستعمار الفرنسي خاصة سنة 1356 / 1937 حين قام بإدريس الجاي خطيباً في جموع طلبة القرويين المضربين الذين كانوا يطالبون بإصلاح نظام التعليم بهذه الجامعة العتيقة.



توجه إدريس الجاي بعد ذلك إلى تطوان، وكانت كما هو معلوم تحت السيطرة الإسبانية، فأحسن خليفة السلطان مثواه وبعثه إلى إسبانيا لدراسة الأدب الإسباني. وعاد إلى تطوان بعد سنتين. ثم إلى الرباط حيث اشتغل بالإذاعة التي كانت تحت الإدارة الفرنسية، وبعد ذلك أوفده مديرها إلى إذاعة باريس لما لاحظ من تفوقه، فاشتغل هناك من سنة 1944 إلى سنة 1956 في القسم الأدبي حيث اشتهر بإنتاجه وإبداعه. وحين أبدى رغبته في العودة إلى بلاده بعد استقلالها، استقدمه مدير الإذاعة الوطنية وأسند إليه القسم الأدبي الذي عرف في وقته تقدماً باهراً، وبقي على رأسه أزيد من عشرين سنة. وكان له حضور في جل النشاطات الأدبية والفنية.

صدر له ديوان تحت عنوان *السوانح*، من مطبوعات القصر الملكي، تقديراً لإنتاجه الأدبي، وذلك سنة 1971. قدم الديوان العلامة الكبير الاستاذ عبد الله گنون فحلله وبوأ صاحبه مقاماً بارزاً بين أقرانه من أمثال الشاعر المطبوع عبد الله القباچ وشاعر الحمراء محمد بن إبراهيم فكتب ما يلي :

"ضرب إدريس الجاي بسهم في كل باب من أبواب الشعر : فمن مدح ورتاء إلى وصف وغزل، ومن هذه إلى شعر وطني واجتماعي يذكي الحماس في النفوس ويدعو إلى إصلاح الأوضاع، ومن هذا إلى شعر الخواطر والتأملات الفلسفية وغير ذلك من الأغراض والمقاصد. فهو يمدنا بثروة شعرية طائلة هي حصيلة مانظمه في شبابه الناعم منذ تفتقت براعم شاعريته".

الجاوي، أحمد بن عبد السلام وزير، ولد بمدينة فاس سنة 1276 / 1860، وبها بدأ تعليمه الأولي وأكمل دراسته في جامع القرويين، لكنه ما لبث أن تعاطى التجارة بمسقط رأسه في مستهل حياته العملية، ثم انتقل فيما بعد إلى أرض الكنانة واستقر بالقاهرة لمزاولة أعماله التجارية، وقضى هناك عشر سنوات، عاد بعدها إلى المغرب لا ليتابع عملية البيع والشراء ولكن ليدخل في سلك الخدمة المخزنية في عهد السلطان المولى عبد العزيز (1894. 1907) حيث أسندت إليه مهمة أمين نظراً لخبرته بشؤون المال ثم مهمة كاتب أول بوزارة المالية، وما لبث أن ابتعد عن مزاولة هذه المهام أثناء المرحلة الانتقالية لحكم السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ (1908. 1912) لمدة أربعة أعوام عاد خلالها لمزاولة مهنته الأصلية - أي التجارة -، ثم عاد ثانية للعمل في دائرة المخزن الحفيظي، فعينه السلطان محتسباً لمدينة فاس ثم أميناً لأموالها المخزنية وأخيراً وزيراً للشكايات. وفي عهد السلطان مولاي يوسف عين أحمد الجاي رئيساً لإدارة عموم الأحباس أو بنية الأحباس بدار المخزن الشريف كما كانت تسمى، كما هو مثبت في ظهير 20 قعدة عام 1330 / 31 أكتوبر 1912، وذلك لمراقبة الأحباس العمومية في المغرب وضبط تصرفات النظار وتنظيم حساباتهم الشهرية والسنوية، وإحصاء الأملاك الحبسية داخل المدن وخارجها، والتأكد من مداخيلها والقيام بإصلاحها وصيانتها من التلف، ووضع تقارير سنوية عن كل نظارة، وبالفعل سهر أحمد الجاي على القيام بهذه المهمة التي أسندت إليه كما أمر تحت نظر مراقبة الأحباس، مما خوله عضوية المجلس الأعلى للأحباس المؤسس بظهير 12 ماي 1914. ونظراً لكفاءته - في نظر المخزن اليوسفي - في تدبير شؤون المديرية المذكورة التي تحسنت أحوال مداخيلها بعد ترتيبها على أسس عصرية وتنمية أموالها وحراستها من مطامع المعتدين عليها، اقتضى نظر المسؤولين ترقية الجاي إلى رتبة وزير كما جاء في ظهير 10 شوال عام 1333/ 21 غشت 1915، كما استحق وسام جوقة الشرف الذي كانت حكومة الحماية تمنحه للموظفين السامين.

توفي أحمد الجاي صباح يوم الخميس ثامن شوال عام 1346 / 29 مارس 1928. ودفن بزاوية الشيخ ابن رحمون من حومة النجارين.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، 8: 2971؛ *الجمريدة الرسمية*.

بوشتى بوعسرية

الجَائي، إدريس شاعر مغربي وُلد بفاس يوم السبت عاشر ذي القعدة عام 1339 / 16 يوليو 1921. أصله من قبيلة لجاية الجبلية، استقر والده بالعاصمة العلمية فاس، وكان من الفقهاء المقربين الصالحين يعلم القرآن بأحد الكتاتيب حيث تلقى إدريس الجاي تعليمه الابتدائي. قبل

ينقسم ديوان إدريس الجاي كما أشار إلى ذلك صاحب *النبوغ المغربي في الأدب العربي* إلى حماسيات ووجدانيات وتأملات وهواجس وإخوانيات تجمع بين "روعة البيان وعمق الفكرة وجيشان العاطفة" مما يجعل قصائد الشاعر إدريس الجاي من مختار الشعر الإنساني الجيد.

توفي إدريس الجاي بالرباط يوم عاشر رمضان عام 1398 / 26 غشت 1977.

ع. گنون، تقديم السوانح، الرباط، 1971 : معرفة شخصية.

قاسم الزهيري

بني جبارة، فرقة من قبيلة الأخماس السفلى، واسم لمدشر يقع بجبال بني جبارة، وهي المرتفعات التي تقع جنوب غرب مدينة شفشاون وتظهر منها، وبها بعض القمم المرتفعة التي يزيد ارتفاعها عن 1500 متر عن سطح البحر، مثل جبل المنصورة (1523 متر)، وجبل السكان (1603 متر).

ونشطت بهذه المنطقة دروس العلم في القرنين العاشر والحادي عشر (16، 17 م)، كما كان عليه الأمر في بعض مناطق جبال غمارة والهبط. ونجد ذكر بني جبارة كثيراً في كتب الأنساب من خلال المناقشات التي كانت تدور بين النسابين حول شرف أهلها، أو بعض أسرها منذ قرون، وربما يعود الأمر إلى كثرة من استقر من الشرفاء الأدارسة بهذه المناطق الجبلية منذ قننة ابن أبي العافية.

ع. العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية*، شفشاون وأحوالها، المحمدية، 1982 : المريني العياشي، *النضال الجبلي*، الأنظمة الاجتماعية الجبلية، طنجة، 1988 : العمود في نسب الأدارسة، طنجة.

الجبّاري، أسرة قصرية تنحدر من مدشر بني جبارة بقبيلة الأخماس الجبلية، انتقل بعض أفرادها إلى مدينة القصر الكبير في صدور القرن العاشر (16 م)، وأصبحت من الأسر النبيلة لظهور أبنائها من بين العلماء الأفاضل.

وقد أشارت بعض المصادر إلى النقاش الموجود بين النسابين حول شرف بني جبارة، فالشريف العلمي يشكك في نوازله في شرف بني جبارة وبني جرير وبني حسان وبني زيات وغيرهم من أهل الجبل، وكذلك ابن رحمون التطواني في كتابه *النجوم الزاهرة في الذرية الطاهرة*، ومنه انطلق الباحث ميشولير فيما كتب عنهم في مؤلفه عن القصر الكبير.

في حين كتب بعض أبناء هذه الأسرة في إثبات نسبها الشريف، فألف الحسين بن عمران الجباري (ق 11 هـ) كتاب *الأدلة المختارة في إثبات شرف بني جبارة* (مخطوط)، وألف السيد الخضّر بن عبد السلام الجباري كتاباً نشره سنة 1989 بعنوان "تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية

الشريفة لأولاد الجباري حقق فيه نسبة أسرته من خلال مناقشة شجرة نسبها في كتب الأنساب، واعتمد مجموعة من الوثائق والشهادات العدلية يعود أقدمها إلى سنة 888 هـ، وعزز ذلك بمجموعة من الظواهر للسلاطين : مولاي إسماعيل (بتاريخ 16 ربيع الأول 1126)، ومولاي سليمان (مؤرخ بـ 24 جمادى الأولى 1238) ومولاي عبد الرحمان ابن هشام (مؤرخ بـ 15 رمضان 1238)، وسيدي محمد بن عبد الرحمان (بتاريخ 27 رجب 1277)، ومولاي الحسن الأول (مؤرخ بـ 24 ذي القعدة 1296) ومولاي عبد العزيز (مؤرخ بـ 28 ربيع الأول 1312). وكلها ظواهر توقيير واحترام وإعفاء من الوظائف المخزنية وجهت لنبيه الأسرة الجبارية من العلماء.

الجبّاري، أحمد بن الحسين القصري تصفه إحدى الوثائق العدلية الأسرية "بألفقيه العالم العلامة الدراكة الفهامة المدرس النحرير المدعو الحافظ سيدي أحمد" (تيسير الباري، 25). ولا تذكر تاريخ وفاته.

الجبّاري، أحمد بن محمد بن الطاهر القصري، شقيق السابق. عالم أديب مصلح، ولد عام 1321 / 1903 ودرس بمسقط رأسه قبل أن يلتحق بفاس حيث مكث ثلاث سنين يأخذ عن أعلام القرويين. كان ناظراً للأوقاف بالقصر الكبير، وساهم مساهمة فعالة في التعليم الحر بها حيث كان يدرس ويدير في نفس الوقت "المدرسة الأهلية" التي لعبت دوراً متميزاً في الحفاظ على التعليم العربي الإسلامي والهوية الوطنية إبان مرحلة الاستعمار الإسباني بشمال المغرب. وكان أغلب أطر هذه المدرسة على ارتباط بالحركة الوطنية في الشمال، وقد أؤذي السيد أحمد الجباري بسبب نشاطه الوطني وعزل من منصب نظارة الأوقاف. وتوفي يوم الأربعاء عاشر شعبان عام 1386 / 24 نونبر 1966.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3394.

الجبّاري، الحسين بن عمران القصري : عالم صوفي زاهد، عاش في القرن العاشر، وتوفي أوائل القرن الحادي عشر (17 م)، يعتبر جد الأسرة الجبارية بالقصر. وقد نقل عنه الشريف العلمي في *نوازله* وسماة خطأ الحسن. ألف عدة كتب منها :

- *الأدلة المختارة في إثبات شرف بني جبارة* (مخطوط بزواية سيدي حمزة بإقليم الراشدية، في أوراق).
- كتاب جمع فيه فتاوى العلماء المتأخرين (مفقود).
- قصائد ومنظومات في الأمداح النبوية الشريفة (كانت بحوزة أحد فقهاء مدينة القصر الكبير عن توفي قبل سنوات).

الجِبَّارِي، الخضر بن عبد السلام، شغل منصب العدالة بإدارة الأحباس بالقصر، كما ولي خطبة مسجد السويقة، وكان فاضلاً خيراً، توفي سنة 1368 / 1948.

الجِبَّارِي، عبيد السلام بن الخضر، ولد بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1323، وبها حفظ القرآن الكريم وتعلم التجويد على الفقيه سيدي عبد الله الصرصري، ثم حفظ من المتون صغرى الإمام السنوسي والمرشد المعين والألفية والعاصمية والزقاقية ومختصر الشيخ خليل وغيرها. وأخذ العلم عن بعض علماء القصر مثل الفقيه أحمد مومن، وعلي المجول وأحمد السوسي البعقبلي، والقاضي علي نخشى ومحمد المري التطواني حين كان قاضياً بالقصر.

ثم قصد مدينة فاس وانتسب لجامعة القرويين في صفر 1342. وبها درس على العلامة أحمد بن الماسون العلوي البلفيشي، وعبد السلام العلوي، وإدريس المراكشي وعبد الله النضيلي، والراضي السناني ومحمد الطابع بن الحاج السلمي، ومحمد ابن إبراهيم ومحمد أقصبي، والشريف النكناوتي والعباس المزكاري المكناسي، ومحمد العلمي الميقاتي، ومحمد البكراوي، والحسين العراقي وأبي الشتاء الصنهاجي، وأخيه محمد الصنهاجي.

وحضر دروساً على المحدث محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ أبي شعيب الدكالي والشيخ الفاطمي الشراذي، والقاضي إدريس بناني والقاضي ابن أحمد الزرهوني وغيرهم.

وأجازه من أساتذته كتابة عبد الله القصلي وأحمد العلمي الميقاتي ومن ذكر بينهما.

وأجازه الشيخ إدريس المراكشي مشافهة، وتواريخ هذه الشهادات كلها عام 1350 هـ وهو العام الذي رجع فيه إلى القصر الكبير حيث تعاطى الإفتاء ابتداءً من سنة 1936، والعدالة من الدرجة الأولى ابتداءً من سنة 1937. ثم انخرط في سلك التعليم بالطور الثاني الثانوي بالمعهد الديني بالقصر ابتداءً من نفس السنة، ثم عين عضواً مستشاراً لمجلس الأحباس الذي كان قد أسس بمدينة تطوان سنة 1939م.

كان فقيهاً أصولياً وفرضياً ونوازلياً، شغل منصب الإمامة بالجامع السعيد ثاني أكبر مساجد القصر الكبير مدة خمسين عاماً حتى أقعده المرض، وكان عضواً نشيطاً برابطة علماء المغرب وعضواً بلجنة التشريع المنبثقة عنها. وعين في فترة مرضه رئيساً شرفياً لفرع الرابطة بمدينة القصر الكبير.

ترك العديد من الرسائل والفتاوى الفقهية مخطوطة، ومجموعة من الأشعار في أغراض مختلفة.

وتوفي في شهر شتنبر 1982.

الجِبَّارِي، عبد السلام بن الطيب الأصيلي، درس بفاس على علماء العصر، ورجع إلى مستقر رأسه يدرس ويربّي "ويث النهضة فيها على هدي السلف الصالح وينشر دعوة الإسلام الصحيح. وقد كابد الاستعمار الإسباني وعذب وسجن... وتخرج على يده عدة علماء".

توفي ولده عبد الجبار في حادثة طائرة سقطت قرب طنجة بعدما حصل على الدكتوراة بفرنسا، فكان ذلك سبب غمه وموته في أواسط محرم عام 1394 / أوائل فبراير 1974.

ع. ابن سوادة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 / 3451.

الجباري، فاطمة بنت أحمد القصرية ولية صالحة. كان والدها من علماء المدينة، وهو المترجم قبل. اشتهرت بتنظيم حلقات الذكر بمنزلها، وكانت ظاهرة البركات. توفيت بمدينة القصر الكبير في أواخر القرن الحادي عشر (17 م). ودفنت بدار سكنها بحي باب الواد، ثم أقيمت عليها قبة، وبني بازا، ضريحها مسجد تقام فيه الصلوات الخمس. ومازال أبناء الأسرة الجبارية بالقصر الكبير يتظنون سنويا بضريحها حفلاً لإحياء ليلة المولد النبوي الشريف.

الجباري، محمد بن محمد بن محمد بن الطاهر القصري. كان رجلاً صالحاً ورعاً منقطعاً للعبادة ذا فراسة وهيبة ظاهرة، وقد حظي بمحبة واحترام واسعين لدى سكان المدينة. تفرغ عمره لتلقين القرآن الكريم وتربية الولدان بكتابه الكاتن بحي للاعائشة الحضراء، وتخرج على يديه مئات من حفظة الذكر الحكيم. وكان له طريقة في تلقين الكتاب العزيز انفرد بها عن غيره من المدرسين. توفي رحمه الله سنة 1383 / 1963.

الخضر عبد السلام الجباري، تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري، الدار البيضاء، 1989؛ المريني العياشي. العمود في نسب الأدارسة، طنجة (د. ت).

Michaux-Bellaire et Salmon, *El-Qçar El-Kebir une ville de province au Maroc septentrional*, A. M., 1904; F. Humberto, Cornacero Henares, *Alcazarquivir* 1950, Tetuan, 1953

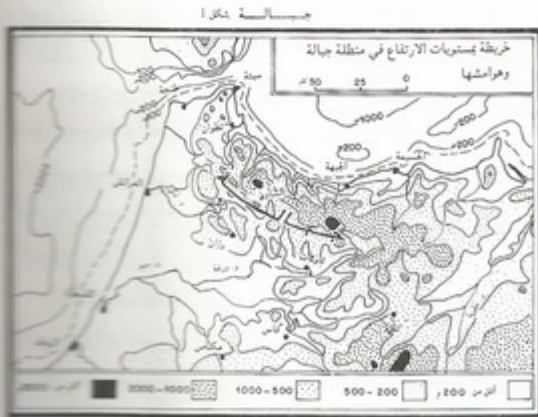
محمد القراري

الجِبَّارِي، المفضل بن أحمد القصري، كان صوقياً كبيراً وفقهياً عدلاً موثقاً. أخذ عن الحسين بن محمد الحراق، وتصدر في الطريقة الدرقاوية في القصر الكبير. وكانت داره بمشابة زاوية من الزوايا لا تخلو في غالب الأحيان من الفقراء الواردين عليه (إطلالة، 102). تولى خطبة الجامع السعيد مدة طويلة ويقى على ذلك إلى أن توفي سنة 1303 / 1886 بعد رجوعه من زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش.

على تعميم قديم يعود إلى عهود ما قبل الميلاد :
(لكيوس، طنجيس، تمودة ...) تجدد في العصر المرابطي
والموحدي أيام أوج المد الإسلامي الأندلسي (بادس، نكور)
ليشهد بداية التراجع والانغلاق أيام السعديين (Troin,
1986 ; Michaux-Bellaire et Salmon, 1905).

تعني "جبالة" سكان المناطق الجبلية الواقعة بالجزء
الغربي من سلسلة جبال الريف بدءاً من خط طولي يربط
حجرة بادس على البحر المتوسط شمالاً ومدينة تازا في
الجنوب وحتى شبه جزيرة طنجة. وهو تحديد يميز هذه الجهة
عما يمكن نعتة بـ "ريافة" أي ساكنة الجزء الشرقي من
السلسلة الممتد حتى مجرى نهر ملوية (Martin, 1964).

ذهب العديد من الجغرافيين (Maurer, 1968) إلى
التمييز بين "جبالة"، وتوافق الريف الرطب المخضر، وبين
"الريف" أي الجزء الشرقي من السلسلة وهو ميدان شبه
جاف وقاحل ؛ أو بين جبالة الشرقية وجبال الغربية
والشاطئ الاطلنطي (Joly, 1960). كما أن شبه جزيرة طنجة
تمثل الجزء الغربي فقط من جبالة (El Gharbaoui, 1981).
إذن يقتضي تحديد منطقة جبالة جغرافياً مرونة تتفاقم
الاعتبارات القبلية الموروثة (غمارة، بني حسان، بني
عروس، الخلط، الجيش ...) أو المرتبطة بوحدة جغرافية
متعارف عليها (الريف الأوسط، الريف الغربي، الهبط،
شبه جزيرة طنجة ...) أو ذات بعد سلاحي يعتمد التمييز
بين الأصل والفصل على مستوى الأنساب والأسبقية
اللغوية ؛ أو ذات مرجعية تاريخية بحكم أنها شهدت
فترات مد وجزر الحضارة الإسلامية المغربية - الأندلسية.
فمن شأن محاولة تدقيق المقصود أصلاً بـ جبالة الدخول في
مناهاة لم يحصل أي توافق بشأنها من لدن الباحثين.
لذلك يجدر اعتبار جبالة هي الشطر الغربي من جبال الريف
بما في ذلك غمارة على الواجهة المتوسطية وشبه جزيرة
طنجة ثم مقدمة الريف.



عمالة تطوان التي كانت متحركة في الجزء الجبلي الشرقي
الممتد بين تطوان والجبلة، أي غمارة الأصلية وقسم من
جبالة الأصلية، ثم عمالة طنجة التي ضمت المنطقة المشرفة
على ساحل المضيق مع التعمق جهة الجنوب نحو جبل
حبيب، أي الجزء الشمالي من جبالة الأصلية. وعمالة الغرب
التي كانت متركة بمدينة العرائش.

(4) وهناك سبب آخر دفع لفظ جبالة للعودة إلى الظهور
على صفحات الكتابات الأجنبية الآخذة بنظرة وحدة الشمال
الغربي الجغرافية، دون اعتبار للتقسيم الإداري القائم آنذاك
على عهد سلاطين المغرب، بدءاً من الحسن الأول، ويمكن
تأريخ ذلك بأواخر القرن الثاني عشر وبداية الذي يليه.
وتجدد المثال الحي في الحيز الهام الذي خصه أو غسط
مولييراس في كتابه المغرب المجهول. ولا بد أيضاً من تصفح
المصادر الإسبانية لأخذ نفس الفكرة عن المجال الجغرافي
الذي يطلق عليه لفظ جبالة خلال هذه الفترة.

ومن الملاحظ اليوم عودة لفظ جبالة إلى الاحتجاب من
مصنفاتنا ومن القاموس الإداري بعد دخول المغرب في
مرحلة الاستقلال، وربما كان ماسبقت إليه من احتجاب لفظ
جبالة مشابها لما نراه نحن اليوم.

عبدالكريم بن موسى الريفي، زهر الأكم، ص. 143، تح. أ.
بنعدادة : محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، ص.
106، 144، 145، 160 : كنانة خ. ح. بالرباط رقم 126 ص. 55 :
ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الأيبيري، 1، 36 : القصر الكبير
قاعدة بلاد الهبط، نشرة مجموعة البحث حول جبالة : وثيقة
خاصة بتاريخ 29 رجب عام 1260 هـ : وثيقة أخرى بتاريخ 4
جمادى الثانية عام 1316 : خرائط الغرب القديمة، خريطة 1848،

القسم الخرائطي بالرباط : خريطة منطقة الحماية الإسبانية، 1936.
Mouliéras, Maroc inconnu, 2 : 769 ; Nuestro
protectorado El Rif y Yebala, p. 201 - 224 ; D. Berenguer,
Campañas en el Rif y Yebala ; A. Riera, España en
Marruecos ; Alta Comisaria de la Republica española,
Vademecum, Ceuta 1931 ; Comision Historica de las
Campañas de Marruecos, Geografía de Marruecos 2,
Madrid, 1936 ; A. Cabrera, Al-Maghreb Al Aksa, Madrid,
1924.

حسن الفكيكي

جبالة، - جغرافياً - يعود تحديد جبالة لأصول تاريخية
وإدارية، إذ كانت تسمى عمالة الهبط في أيام الوطاسيين
(حسن الوزان).

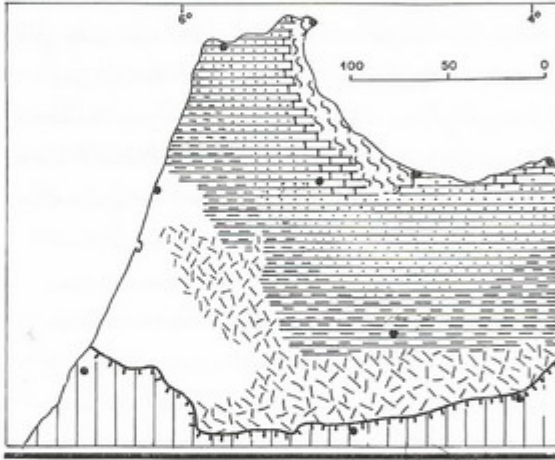
وبعدما كانت منطقة جبالة محسوبة على قبيلة واحدة
هي غمارة، أصبحت تتألف حالياً من أكثر من أربعين قبيلة
تفرعت عن مضمودة وصنهاجة والبرانس والقبائل العربية،
تستوطن الريف الأوسط والغربي ومقدمة الريف ؛ بعضها
استقر بإيعاز من المخزن لضمان سلامة الطريق بين فاس
وطنجة (Khallouk Tamsamani, 1996 ; Vignet Zunz,
1995) وهي منطقة محاطة بمجموعة من الحواضر التي تدل

النوميدية ...، وقد دأب الباحثون على التمييز بين أربعة نطاقات هلالية هي كما يلي :

1 - الريف الداخلي Rif interne، ينتمي هذا النطاق إلى صفيحة البرهان التي انفردت خلال الزمن الثاني بين إفريقيا وأوروبا ؛ ويتألف من عدة وحدات بلورية ورسوبية :

- البلورية أو السبتيية (نسبة إلى سبتة) تتشكل من بيردوتيت وغنس وميكاشست وشست متحول.

- الرسوبية تناسب وحدة غمارة والصخور الأولية وغطاء الزمن الثاني المحيط بها .. بالإضافة إلى فرشات الفليش التي تناسب إرسابات فتاتية توضع في منخفض عميق على هامش صفيحة البرهان، وذلك على امتداد الكريتاسي والليجوسين والميوسين.



جباله
الوحدات الجيولوجية 2

2 - الظهر الكلسي Dorsale calcaire، يتألف من مجموعة من الكتل : الحوز بالشمال الغربي، وصنهاجة السراير في الوسط وكتلة بقويه شرق بني بوفراج. ومن أهم جبال هذه الوحدة : موسى، الحوز، غرغيز، كلتي، لقرع، تيسوكا ...، وهي عادة ما تشكل خط مفترق المياه بين الأحواض المتوسطية والأطلنتية.

يمتاز هذا الحزام الكاربوناتي بارتفاعات تقارب 2000 م وباستقرار كثيف للمداشر على جوانبه (حوالي العينون). واعتباراً لميل طبقات الكلس وأوضاعها الشبه عمودية إضافة إلى شروط مناخية مناسبة، تفرز هذه الجبال نماذج كارستية سطحية وباطنية نتيجة تحلل الصخور الكلسية. فلا غرابة إذن من وجود أحد أعمق الهوات الكارستية في العالم (هوة تغويت) جنوب جبل بوحلا، على بعد بضع كلمترات شمال غربي الشرافات (خريطة باب تازا 1/ 50.000) بعمق يناهز 400 م وطول مسالك تزيد عن الكلومتر مع تعدد القاعات الفسيحة (Thauvin, 1971).

3 - الريف الخارجي Rif externe يستقطب هذا النطاق كل المجالات التي تلي الظهر الكلسي إلى الغرب والجنوب،

يتمحور الاتجاه العام للتضاريس من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي (شكل 1) وهو يفاير الاتجاه المعهود في باقي الجبال المغربية لأسباب بنيوية وبنائية، مرتبطة بنشأة السلاسل الألبية، وهو اتجاه يضيف عليها أشكالاً تضاريسية طويلة.

تشرف جباله على ثلاث واجهات بحرية هي المتوسط، والبوغاز والأطلنتي، وهذا يكسبها موقعا متقدماً باتجاه أوروبا وميزة مناخية تتمثل في مقادير أمطار وفيرة ومصادر مياه تؤمن لها شبكة هيدرولوجية كثيفة.

تمتاز جباله بتضاريس ممزقة ذات أودية شديدة التعمق تفصل بينها أعراف وقمم تارة كوارتزيتية وتارة كلسية وتارة أخرى حشية. وهي مجزأة بفعل شبكة كثيفة من المجاري المائية التي تأخذ وجهات متغايرة صوب البحر المتوسط (بحر البرهان) أو بحر البوغاز أو المحيط الأطلنتي. ارتفاعاتها لا تتجاوز 1500م إلا في بعض القمم، ونادرا ما تفوق 1000م في الجهات الغربية حيث تتحول التضاريس من حالتها الجبلية إلى مجال متنوع تسوده التلال والمنخفضات وسهول تناسب سفوح الهبط أو بمحاذاة أودية لمحرر، لكوس، ربات أو ورغة.

إشراف جباله على البحر المتوسط شمالاً يجعلها موقعا ذا بعد متوسطي وثقابلا مع القارة الأوربية ومراقبة لأحد أكبر الممرات المائية بالعالم (ممر جبل طارق) التي تنتظم سواحل جباله.

- يمتد الجزء المحاذي للبوغاز ما بين سبتة ورأس سبارتل على مسافة 50 كلم قاطعا بكيفية متعامدة عدداً من الوحدات الطولية إما على شكل جبال أو خلجان.

- يمتد الساحل المتوسطي ما بين سبتة ورأس الصيادين (الجبهة) على مسافة 130 كلم وهو في جزئه الجنوبي (جنوب واد مرتيل) ساحل صخري شديد التمزق يمتاز بالوعورة والانحدارات (25° - 45°) ضمن تكوينات بني بوزرع التي تشرف مباشرة على البحر بمئات الأمتار (600م إلى 400م). ولا يفتح هذا الشاطئ إلا على مخارج بعض الأودية (أمسة، لاو، تجيساس، متر، تاغزوت، ورينجة).

- بين رأس سبارتيل ومصب نهر اللكوس حيث تقوم مدن أصيلة والعرائش، يمتد الشاطئ الأطلنتي على مسافة 80 كلم ضمن إرسابات البحار الرباعية أو التراكمات القارية الحمراء الممتدة شمالاً وجنوباً حتى مشارف سهل الغرب.

تنتشر جباله على وحدات جيولوجية متباينة في أصولها البنيوية والتكتونية (شكل 2) منها ما ينتسب إلى الريف الداخلي والظهر الكلسي، كما أن بعضها محسوب على الريف الخارجي (Piqué, 1994) بما في ذلك الريف الأوسط والريف الغربي المتكونان من وحدات غمارة، كتامة، طنجة، لكوس، وزان، وفرشات متعددة منها فرشة تزيغن والفرشة

يمتد على مسافة 200 كلم من طنجة إلى شرق تاونات بعرض لا يقل عن 40 كلم. وهو من منظور الجغرافيا القديمة يناسب أهدودا تمركز على الهامش شمال افريقي، امتلاً بتوضعات سميكة من الزمنين الثاني والثالث؛ وهو يتميز عن باقي المجالات الريفية بتكويناته وصخوره الصلصالية والفريشية. تتشكل أعلى مستويات هذا الجزء في الغرب؛ صخوره حثية سليسية قد يصل سمكها مئات الأمتار ضمن طبقات تفرق بينها مستويات طينية. هذه السحنات تعرف بالسحنات النوميديية التي يرجعها البعض إلى مخلفات فرشة كبيرة كانت تغلف السواحل المغربية والأندلسية، لم يتبق منها حالياً إلا أحجام منعزلة ذات اتجاه شمالي غربي - جنوبي شرقي. وهي تشرف بانحدارات قوية ضمن صلصال الاكيتاني على فرشة طنجة وأحياناً ترتبط بها بواسطة تغليفات وتراكمات سفحية من الرباعي القديم تستقر فوقها أشجار البلوط الفليني (جبل خزنة، جبل سكتي، جبل بوهاشم، جبل حبيب...) وأفضل نموذج لهذه الأعراف النوميديية جبل العلم (1338 م) الذي يستقر فوقه مقام مولاي عبد السلام بن مشيش.

بين عدد من الدارسين (Asebriy, 1994 ; Michard, 1976 ; Suter, 1965 ; El Gharbaoui, 1981 ; Piqué, 1994). أن الريف الداخلي يوجد في وضع زاحف نجسو الجنوب الغربي والجنوب أي فوق وحدات الفلش التي بدورها تتوضع فوق الوحدات الخارجية، وقد ساهم حادثاً "تكور" و "الجبهة - الشرفات" بكيفية فعالة في بناء هذه السلسلة بدليل اختراقها شبه الأفقي الممتد لكل من الريف الشرقي والأوسط، وهي طبعاً معطيات تكتونية مغايرة لبنائية الأطلس نظراً لانتشار الوحدات الرسوبية أو النقلية المصاحبة للآرساب.

مقدمة الريف Prérif : هي الهامش الجنوبي الأقل ارتفاعاً والأنسب للأنشطة الزراعية من مجالات جبالة الأخرى. وهو الأحداث نشأة لا على المستوى الرسوبي فحسب (توضعات سميكة لمواد صلصالية ميوسينية) وإنما على المستوى التكتوني حيث شهد تنقل كتل متغايرة الأحجام والأعمار من الشمال إلى الجنوب نتيجة انزلاقها وتراكبها في قعر بحر الميوسين. لذلك يعمل الجيولوجيون على التمييز بكثير من التعميم بين :

- أراضي نقلية على شكل قذات (ملح، جبس، كلس، حث، صلصال...) عادة ما تنتهي إلى الترياس والكريتاسي والإوسين والليجوسين؛
- قاعدة صلصالية محلية (ميوسين).

وينتهي هذا النطاق النصف دائري الزاحف فوق الأقاليم الجيولوجية المجاورة كالأطلس المتوسط، وسايس، والهضبة الوسطى.

عرفت صفيحتا أوروبا وإفريقيا وبينهما صفيحة البرهان خلال الزمن الثالث فترة محدد خلالها تطور التضاريس

بمنطقة جبالة كما في باقي المجال الريفي، بحيث نشطت الحوادث العميقة وتجدد نشاط الانكسارات السابقة وتوالى التشويه التكتوني في جنوب الريف مما أدى إلى تراكب الوحدات النقلية.

تتعدد القمم الطولية لأسباب بنيوية أو لتقطيع الأودية التي تتألف لتشكيل أحواض ورغة ولكوس وتاحضارت ومارتيل ولاو... كما تكثر المنخفضات والسهول في شبه جزيرة طنجة بأحجام متباينة إلى حد يوحى بغلبتها خاصة على طول الأودية أو عند مصبها أو في قدم السفوح الممتدة في الأجزاء الغربية المحاذية للشاطئ الأطلنطي (منخفض الفحص، دار الشاوي، بني عروس). وهذا يفيد بتطور متسارع وعنيف لتشكيلات الزمن الرابع المرتبطة بالتفخ والتعرية المتغايرة وتراكم المواد المفرغة من الأعالي الجبلية ونشرها في الهوامش (هضاب الرمل وخميس الساحل وأصيلة) ثم ما يتبع ذلك من إنشاء الأتربة السميكة وتطورها (El Gharbaoui, 1981) وفق الشروط المناخية والنباتية السائدة (Benabid, 1984).

وتعتبر الصفوف ظاهرة تضاريسية بارزة من حيث إنها تفصل الريف الأوسط عن مقدمة الريف بين وزان وحتى منطقة كهف الغار وتايناست شمال تازا.

كذلك نجد القيم المعزولة والممتدة حسب الاتجاه السائد محاطة بسفوح وجنودورات متوسطة إلى ضعيفة الانحدار تنتهي عند مجرى الماء لبدءاً في الواجهة لمقابلة نفس الشكل السطحي مما يجعل التضاريس مهواة ومفتوحة أكثر من حالتها في الريف الأوسط والشرقي.

أما تضاريس الساحل فغلبة الحافات والأجرف البحرية يقابلها قلة الشواطئ الرملية (مرتيل، خليج طنجة، أصيلة) وهي خاصة طبيعية ساهمت في بقاء المنطقة والمغرب عامة مجالا منيعاً عن كل غزو.

مناخ منطقة جبالة من النوع المتوسطي، شتاؤه معتدل ورطب، وصيفه جاف وحار؛ تساقطاته تتوزع بين الخريف (25٪) والشتاء (50٪) والربيع (25٪). أما المعدل السنوي للأمطار فهو يتجاوز 500 مم / سنة بمقدمة الريف لتساوي التساقطات الممتدرة بمقدار الارتفاع فوق الجبال. بحيث تزيد في كثير من الحالات عن 1500 مم / سنة (جدول 1).

ويضفي موقع المنطقة على المجال الحدودي بين الواجهة الأطلنتية وإقليم البحر المتوسط الغربي خاصة التنوع فالواجهة الأطلنتية تخضع لدينامية المرتفع الاسوري التي تفسر بأسباب فيزيائية كونية؛ أما ضغوط غرب المتوسط فهي مرتبطة بمنخفض البليار، وتأثيره ضعيف على السواحل الشمالية.

تتعرض جبالة أحياناً إلى تسلل ما يعرف بالتقط الباردة خلال ضعف التيار النفاث (Jet Stream)؛ فتتحرك دون تصاعد الهواء الرطب متسببة في أمطار عاصفية وطوفانية فوق المرتفعات. وفي الظروف العادية تسجل

التساقطات تزايداً ملحوظاً من الغرب نحو الشرق إضافة إلى تزايدها مع الارتفاع.

ويتميز مناخ هذه المنطقة كذلك بما تسببه رياح الشرقي من نقص في الرطوبة خلال فصل الصيف عكس ما يحصل خلال فصل الشتاء حيث ترتفع الرطوبة بفعل تأثير التيارات البحرية المتصاعدة (upwelling) من الرصيف القاري في عرض الساحل بين رأس سبارتيل ومولاي بوسلهام فيعم الضباب المنخفضات والأودية.

تناسب التشكيلات النباتية مع الأوضاع الطبوغرافية والبيئة المناخية الرطبة وشبه الرطبة (الأرز، البلوط بأنواعه، العرعر، الضرو، الزبوج، الخروب...) غير أن الغطاء النباتي يتعرض لعملية اجتثاث متوالية بوتيرة تصاعدية خلال الربع الأخير من القرن العشرين (حرائق مفتعلة، إزالة مقصودة للغابة، تحايل من أجل تملك الأرض...) فبعد أن كانت غابات جباله تغطي أكثر من 50٪ من الأراضي في حدود منتصف القرن (بشهادة السكان والدراسات المتخصصة) أصبح هذا المجال أرضاً عراءً بنسب مهولة (90٪)، يفتقد إلى الغابة حالياً وإلى الأثرية مستقبلاً.

وبالنظر إلى الفراغ النباتي المتزايد وسيادة الصخور غير النافذة بهذه المنطقة فإن الجريان يكون أنياً يؤدي إلى امتلاء الأودية عن آخرها وقت التهاطل (أكتوبر - أبريل) لتجف طوال الأشهر الجافة (ماي - شتنبر) وتعتبر التساقطات ونوع الركيزة الصخرية والانحدار مصدر دينامية التعرية التي تزيل ما تبقى للسفوح من أتربة. وحين يستقر الجفاف المستديم بأضراره، أو تصيب الرخات والعواصف المطرية والرعدية (خاصة الخريفية) فإن الأثرية المفككة تتعرض للزوال، وهذا يعني تعاقب التعرية المائية والريحية. وما فيضانات 4 شتنبر 1995 وما أسفرت عنه من إتلاف شبه كلي للأثرية فوق سفوح مقدمة الريف (بما في ذلك أولاد زباير، عين كدح، وطابوعيان، تيسة، القرية) إلا مثال لمخاطر التعرية ومخلفاتها الكارثية التي تهدد المنطقة.

جدول 1 : الحرارة والتساقطات ببعض محطات منطقة جباله

| المحطة | خط طول | خط عرض | ارتفاع (م) | معدل حرارة دنيا | معدل حرارة عليا | معدل الأمطار (مم/سنة) |
|---------|--------|--------|------------|-----------------|-----------------|-----------------------|
| العرائش | 6°09' | 35°11' | 10 | 6 | 26.9 | 756 |
| أصيلة | 6°02' | 35°28' | 12 | 7 | 28.5 | 758 |
| طنجة | 5°49' | 35°47' | 75 | 8.5 | 28.6 | 745 |
| تطوان | 5°22' | 35°34' | 5 | 8.6 | 30.2 | 770 |
| واد لاو | 5°04' | 35°26' | 3 | 8.1 | 32.7 | 485 |
| الجبهة | 4°40' | 35°14' | 2 | -- | -- | 358 |
| الشاون | 5°15' | 35°10' | 280 | 5.9 | 33.9 | 893 |
| وزان | 5°38' | 34°47' | 164 | 5.3 | 35.1 | 885 |
| تاوانات | 4°37' | 34°32' | 668 | 4.9 | 36.5 | 761 |
| تايناست | 4°08' | 34°33' | 1250 | 1.6 | 35 | 1058 |

تعتبر قياسات الحمولة الصلبة (جدول 2) في هذه المنطقة استثنائية ومهولة بحيث بلغت بمحطة لمجرة حوالي 15 مليون طن بين 1960 و1990. وقد سجلت نفس المحطة سنة 1963 ما مجموعه 2760 مليون م³ خلال 20 يوماً (أي ما يعادل حجم تخزين سد الوحدة خلال سنة). ولاشك أن ما سجل خلال الموسم الأخير (1995 - 1996) قد تجاوز ذلك بكثير.

جدول 2 : حمولة المجاري المائية مؤشر على عنف التعرية (عن Heusch, 1970 a et b ، بتصرف)

| الواد | محطة القياس | مساحة الخوض كم ² | لتعرية ط/كم ² / سنة |
|-------|-------------|-----------------------------|--------------------------------|
| السرى | قنطرة سكير | 486 | 3500 |
| أولاي | غفساي | 776 | 2960 |
| أودور | تافرانت | 1039 | 3850 |
| ورغة | المجرة | 6183 | 2250 |

تعتبر كميات التعرية بمختلف الأحواض عن إزالة مهولة للآثرية تتحمل حقينات السدود تبعاتها.

مظاهر حركية السفوح : تتميز السفوح النشيطة بشكل عام مقعر، تفصل بينها تضاريس المتون والتلال. وتجلو مظاهر ديناميتها في توالي أشكال مقببة منتفخة ذات قطاع محدب وأخرى منخفضة تحتقن بها المياه لأسابيع وشهور. وهي مظاهر تتجدد خلال السنوات المطيرة كسنوات 62. 1963 و69. 1970 و95. 1996. وقد تختفي معالم الانزلاقات بسبب استصلاح الأراضي وعمليات الحرث والغرس وبناء الأسوار...

كما أن كثرة الشعاب وتعمقها المتزايد دليل على سيادة دينامية فعالة ومتجددة. تأخذ مظاهر التعرية والتصريف بمختلف أشكالها أهميتها من أغلفة الاستثمارات الهيدروفلاحية الموظفة بمحيط جباله والتي تتمثل في أكبر حقينة سد مغربي (سد الوحدة) بالإضافة إلى سدود أخرى (واد المخازن، الحاشف، ابن بطوطة، اسمير، تلمبوط، النخلة). فالتعرية القوية تفرغ هذه المشاريع وتحكم عليها بالمحدودية (Jeanette et Millies-La Croix, 1965).

وهكذا تعرف سفوح جباله دينامية كتلية من حيث الحجم بأبعاده الثلاثة، فهي تتعرض لتغيرات فجائية أو مستمرة في أشكالها من جراء حركات نيمز فيها بين :
- اللدح reptation : ظاهرة تعم الصخور الهشة تتمثل في حركة سطحية للفتاتات الدقيقة تؤثر في وضعية التربة التي تنتقل مع مرور المواسم نحو أسفل السفح.

- انهيار éboulement : وهي سقوط أحجام متغايرة من الصخور الصلبة بفعل الجاذبية أو الاهتزاز أو تشبع الحافات بالمياه، فتتفصل الأجزاء وتتراكم في قدم الحافات الكلسية أو الحثية أو الصفوف حسب مقدار الإشراف وحجم المواد :

وهذه حالة تصاحب الاهتزازات الأرضية (الحسيمة، ماي 1994) كما تتأثر بطبيعة الصخور والانحدار.

- انهيار *écroulement* ؛ يناسب انفصال جزء من واجهة الجرف ونزوله بكيفية فجائية دون انتظام على الأراضي السفلية فيتسبب في أضرار قد تترتب عنها أحداث كارثية إذا اعترض مسارها تجمعات سكنية (الشرافات - 1973).

- انسياب *solifluxion* ؛ قد تتناسب مع ما تخلفه ممرات القطعان فوق السفوح الصلصالية القوية الانحدار، كما تنشأ بفعل ضغط دكات الثلوج حيث يكون تشققها سبباً في انتشار أشكال الانزلاق بسلك ضعيف لكنه يشوه السطح ويتلف التربة.

- نسف *fauchage* ؛ يحدث حين تتعرض الصخور للتمدد وللتقلص ولنفاذية الماء، وهي ظاهرة تكثر في المتواليات الشيستية والتضيد والميكاشست القوية الميل ؛ وللانحدار دور فعال في تكرارها على طول ساحل الريف الداخلي بين الجبهة وواد لاو.

- اندكاس *tassement* ؛ تنفصل أجزاء كاملة من المستويات الصلبة المشرفة فتحصل قطيعة مع الحافة الأصلية ثم يغوص الجزء المنعزل ببطء في القاعدة الهشة أو ضمن الصخور اللزجة. فيحصل انتفاخ وتقيب في أسفل السفوح. وهو مظهر شائع بمجموع مقدمة الريف وبالريف الأوسط.

7- انزلاق دوار *glissement rotationnel* ؛ يتحقق هذا النوع في أوضاع صخرية هشة ومتجانسة. يبدأ الانزلاق من الأعلى بواسطة شق نصف دائري ثم تتوالى شقوق ثانوية متدرجة في أسفل السفح تفصل بين مستويات منبسطة أو مقعرة تحتقن بها المياه (المرجات) وأخرى مقببة تعمل على إيقاف وفرملة الانزلاق كما قد تنتهي بالسنة لزجة متحركة. وفي العمق يمتد الوجه السفلي للانزلاق وفق أقل المستويات احتكاكاً. وتمثل انزلاقات سفوح باب تازا، باب برّد وتاونات وجل السفوح الواقعة تحت إشراف الحث النوميدي مجالات يسود بها هذا النوع من التشكيل.

ومن مخلفات هذه الديناميات كذلك ما تشكله من احتمالات بحدوث خسائر من جراء مخاطر تهدد حياة الإنسان وتعرض لها المنشآت.

يجمع المختصون على أن ساكنة الريف نجحت في سالف عهدها في استغلال جيد لإمكانات طبيعية تمتاز بوفرة المياه والغابات ؛ في حين أن ما يناهز 2.5 مليون نسمة حالياً (في جباله فقط) تعاني من صعوبة التوفيق بين متطلبات العيش والمصادر الأولية.

ورغم تعدد الهيئات الوصية (مشروع الريف الغربي، مشروع سبو، مشروع تيسة القرية، المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بالكوس ثم وكالة تنمية الأقاليم الشمالية) فإن دراسة التعرية بقيت دون مستوى العلاج الناجع ويغلب عليها الطابع الإحصائي ؛ فالمسألة لا تقتضي

فقط إظهار نماذج وأصناف الإزالة الترابية: قطع الغابة، تفكك البنيات الترابية، عدوانية مناخية، سيل غشائي سائح، تخديد عميق أو مركز، أساحل، استقرار مظاهر التصحر... مرفقة بإحصاءات من أجل حث المسؤولين والمستثمرين والفلاحين على معالجتها. بل أكثر من ذلك ما تنتظره منطقة جباله هو النظرة الشمولية المتكاملة لمشروع تنمية مستدامة ومستمرة تحفظ للطبيعة بالبقية الباقية من عناصرها الحيوية والإحيائية، ولساكنها بمستوى عيش من حجم طموحاتهم.

تشكل جبال الريف 10٪ من مساحة المغرب وتزوي أزيد من 5 ملايين نسمة (20٪ من السكان) 80٪ منهم سكان قرويون. وتظهر ساكنة مجال جباله كشافات هائلة (150 نسمة / كلم²) تناهز ثلاثة أضعاف المعدل الوطني. أما سكان الحواضر فيستوزعون بين مدن كبرى (طنجة، تطوان، العرائش، القصر الكبير) وأخرى أصغر منها (الشاون، تاونات، قرية بأمحمد، وزان، أصيلا، واد لاو...) دون احتساب سبتة الحاضرة للاحتلال الإسباني. وقد ساهمت هذه الكشافات في هجرة أعداد مهمة من السكان نحو أوروبا بحثاً عن ظروف عيش أفضل.

ينتظم سكان جباله ضمن عشرات القبائل المتفرعة عن مصمودة وصنهاجة والبرانس والعرب... ؛ يحيط بهذه المنطقة شريط ساحلي لا يقل عن 300 كلم تستقر فوقه جل الأنشطة الصناعية والخدمات المرتبطة بالمدن، وأخرى تختص بالصيد (العرائش، أصيلا، المضيق، واد لاو- بوأحمد، الجبهة) أو بالنقل البحري (محور طنجة ومحور سبتة - تطوان) أو إلى أمد قريب جداً بتجارة التهريب والسوق السوداء مع ما تسببه من بوار للقطاعات المنتجة محلياً ووطنياً. تستقطب طنجة وتطوان جل الصناعات الحديثة على تنوعها (غذائية، تحويلية، نسيجية، كيمياوية، إلكترونية) وتتوزع الخدمات المرتبطة بسياحة المصايف بين واد لاو، مرتيل، رستينكا، خليج طنجة، أصيلا، الشاون...

ومن جهة أخرى ترتبط الأنشطة البشرية الجبلية بزرعة الحبوب والقطاني (تلال مقدمة الريف) ومغارس الزيتون والتين (وزان، تاونات، تازا) وتعتمد في ذلك أساليب تقليدية بعدما تخلت تدريجياً عن الرعي. فيما توجه الجهود إلى طرح بدائل لوقف انتشار الزراعات المسموعة (الكيف) التي عرفت تطوراً متسارعاً خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين، بالطبع على حساب المجال الغابوي والفلاحي.

أما في أقدام السفوح والمنخفضات فاتجهت المزروعات منحي جديداً يعتمد السقي بالرش واستغلال كثيف للأرض من أجل تسويق منتجات المضاربة، بعضها لتزويد الأسواق الأوروبية. وتعتبر منطقة اللكوس من أهم القطاعات الهيدروفلاحيّة التي تزود المنطقة بقصب السكر. التستور- الفراولة، الفول السوداني، الخضراوات ...

Maroc, n° 12, 1970 a, pp. 9-176 ; *L'érosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle*, Al Awamia n° 36, 1970 b, pp. 39-63 ; A. Jeannette et A. Milles-Lacroix, *La lutte contre l'érosion dans le domaine rifain*, Mines et Géologie, n° 23, 1965 ; F. Joly, *Une carte au 1/1.000.000 de l'utilisation du sol au Maroc, application de la méthode cartographique à la recherche des régions géographiques*, p. 115, annexe de cartes ; A. Khallouk Tamsamani, *Pays Jbala, Makhzen, Espagne et Ahmed Raïssouni*, Tanger, 1996, p. 121 ; J. Martin (et al.), *Géographie du Maroc*, Paris, 1964, p. 253 ; G. Maurer, *Les montagnes du Rif central, étude géomorphologique*, Rabat 1968 (*Travaux de l'Institut Scientifique, série géologie et géographie physique*, n° 14), p. 499 ; A. Michard, *Éléments de géologie marocaine*, Rabat 1976 (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 252) ; Michaux-Bellaire et G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée du Lekkous*, A.M., 1905, p. 443 ; A. Piqué, *Géologie du Maroc, les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 1994, p. 284 ; G. Suter, *Carte géologique du Rif au 1/500.000*, Rabat, 1965 (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*) ; J.P. Thauvin, *Ressources en eau du Maroc, domaine du Rif et du Maroc oriental*, Rabat, 1971, (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 231), T. 1, p. 321 ; J. F. Troin, *Montagnes et villes dans le Nord-ouest du Maroc*, R. O. M. M., n° 41-42, 1986 ; Université Mohammed V et Université Abdelmalek Es-Saâdi, *Tanger 1800 - 1956. Contribution à l'histoire récente du Maroc*, Rabat, 1991, p. 550 ; J. Vignet-Zunz, *Djebala*, E. B., XVI, 1995, pp. 2398-2408 ; W. Wildi, *La chaîne tello-rifaine : structure, stratégie et évolution du Trias au Miocène*, Rev. de Géol. Dyn. et de Géog. Phys., vol. 24, n° 3, (n° spécial), 1983.

بوشتى الفلاح

جبالي يهودا، ربي شهير لدى الطائفة اليهودية بشمال المغرب، يعد من أهم من تبرك بهم الطائفة اليهودية لمدينة القصر الكبير. توفي الربى جبالي يهودا في سنة 1780 م أي ما يوازي سنة 5540 حسب التقويم العبري، وضرحة مزاره كبرى لليهود بالقصر الكبير.

Laredo. *Les noms des Juifs au Maroc*, Madrid, 1978.

شمعون ليفي

الجبالية، بالمغرب، في العصر الوسيط، هي عند ابن خلدون من الوظائف الضرورية للملك وحفظ حقوق الدولة... (المقدمة، 243) وترد الكلمة في المصادر بصيغ مختلفة : المجبى - المجابى مادة المجبى، وتتداخل المعاني والدلالات المالية والسياسية والعسكرية أحياناً مثل قول صاحب البيان (3 : 329) : "جببت القبائل الفازازية والغمارية جباية عظيمة"، فالأمر هنا يتعلق (بحركة) مخزنية أخضعت فيها هذه المناطق للمخزن الموحد وهو في فترة ضعفه على عهد الرشيد.

وردت الإشارات الأولى عن الجبالية في المغرب الوسيط

غير أن القطاع الفلاحي، على أهميته يعاني حالياً من تقلص في غنى التربة وتراجع في مردوديتها عن كل هكتار. من هنا يصبح لاتاجية التربة موقع حيوي بالنسبة للاستقرار البشري ومدى استعداد السكان للبقاء ومقاومة النزوح إلى الهجرة.

إن منطقة جباله جزء من سلسلة جبلية حديثة تمثل النهاية الجنوبية الغربية لحوض البحر المتوسط، وتمتاز ببناء جيولوجي متداخل زاد من تعقيد نشاط بنائي ألبى. أفرز به التطور المرفولوجي مظاهر سطح متنوعة ساهمت في تشكيلات بيومناحية غنية. إلا أن السفوح تخضع بهذا المجال إلى دينامية تعرية عنيفة داخل الأودية وعلى السواحل.

يتخلل مناخ جباله، رغم ملامحه المتوسطة، استثناءات قاسية وعدوانية تارة يتسبب فيها الجفاف (1995) وتارة تنتج عن العواصف الرعدية والأمطار الطوفانية (1995 / 1996). وبتوافق الجميع تعتبر البنيات الأساسية بالريف وجباله بنيات هزيلة أو منعدمة أو أصابها التلف كما لا ترقى لتلبية حاجيات السكان المتزايدة. ومن المتناقضات أن قرب هذه المنطقة من أوروبا (كمحور اقتصادي عالمي) لا ينعكس على مستوى تجهيزاتها. وما يواجه مجال جباله لا ينحصر في مجرد توازنات بل يتعداها إلى إشكالية بيئية تزداد تازماً بخطر نفاذ المصادر الأولية (غذاء نباتي، مياه، أترية). والمؤكد هو أن مقاومة انجراف التربة عملية تتطلب تدخلا عاجلا ومتواصلا بوسائل تتعدى قدرات الأفراد والجماعات إلى إمكانات من حجم الدولة.

من ردود فعل الكثافة السكانية وتداعي التوازنات داخل المنظومة الطبيعية في جباله ترسخ القناعة لدى السكان بالهجرة نحو السواحل والنفور من الجهات الجبلية. غير أن التكديس المتزايد على السواحل أدى إلى بروز ظاهرة تصحر مماثلة هناك أيضاً ؛ وقد بدأنا نشهد معالم ذلك على طول الشريط الساحلي للمغرب والمعمورة كما في الريف وجباله.

م. حسن الوزاني، 1982، مذكرات حياة وجهاد 2 حرب الريف، بيروت، ص. 464 ؛ محمد بن تاويت، 1982، تاريخ سبتة، الدار البيضاء، ص. 231.

L. Asebriy, *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central, définition du domaine subrifain*. Thèse d'Etat, Univ. de Rabat, 1994, 284 p. ; A. Benabid, *Etudes phytosociologique et phytodynamique et leur utilité*, Ann. Rech. Forest. du Maroc, n° 24, 1984, pp. 3-35 ; *Bulletin de l'Enseignement Public du Maroc. Rif et Jbala*, n° 71, 1926, p. 89 ; J. Dresch, *Systèmes d'érosion en Afrique du Nord*, RGL, vol. 28, n° 3, pp. 253-260, 1953 ; *Les changements de climat et les mouvements de sol en Afrique du Nord*, 1960 ; A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule Tingitane, étude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental*, Rabat, 1981, p. 439 ; B. Heusch, *L'érosion dans le Prérif, une étude quantitative de l'érosion hydrique dans les collines mameuses du Prérif occidental*, Ann. Rech. Forest.

ضمن حديث المصادر العربية المشرقية عن المغرب الإسلامي، وقد تركزت الإشارات على الخراج : (مقاديير العينية ومبالغه النقدية). أما أهم مصدر يمكن الارتكاز عليه فهو كتاب صورة الأرض لابن حوقل الذي زار المغرب في سنوات الثلاثين من القرن الرابع (10 م)، وطاف بمختلف أقاليمه، فقد أشار إلى أنواع من الجبايات فرضها الحكام المحليون على رعاياهم وعلى التجار المقيمين والمجتازين بتلك النواحي (صورة الأرض، 97. 96. 79. 99)، ولم يفتحه تتبع تطور المبالغ الجبائية المحصلة من المغرب ومدى تقاوتها ما بين فترة الولاة والدولة الفاطمية؛ وفيما يخص المغرب الأقصى، فإن السياسة الجبائية منذ فتحه عرفت بعض التصسف والجور وابتعدت عن الشرع، بل إن بعض الولاة وعمال الأمويين والعباسيين تجاوزوا الحدود فقامت ضدهم الثورات البربرية العارمة (البيان، 1: 27. 38. 39. 43. 51. 52. 83).

إذا تتبعنا مراحل التاريخ الوسيط سواء في المغرب أو في سائر البلدان الإسلامية، نلاحظ تشابهاً كبيراً في الأحداث السياسية الكبرى، فكل ثورة كبيرة كانت أم صغيرة نجد من أقوى أسبابها التعسف في فرض الجبايات والجور في تحصيلها، فالثورة المرابطية - التي يقال إنها وجدت ترحاباً في المغرب، وعلى الأصح لم تلق مقاومة عنيفة من سكان المناطق المفتوحة - كان من بين أسباب قبول السكان لها، ورغبتهم في التخلص من الإمارات الزناتية التي لم يعد من مهامها أواخر عهدها سوى فرض الجبايات والتذرع بأوهى الأسباب لابتزاز أموال الرعية والأعيان وكبار التجار، وأكبر أنواع الجبايات وأثقلها على السكان: القبالة وهي الرسوم المفروضة على السلع التي تدخل الأسواق والمدن، ويتم تحصيلها عند الأبواب ويبدو أن القبالة هي الضريبة التي عرفت فيما بعد بالمكس والصنك، ففي بعض المصادر نجد ما يفيد ذلك (القرطاس، 137: نزهة المشتاق، 3: 235)، وفي بعضها الآخر وردت بصيغة الجمع "القبالات" فهل القبالات تعني المكوس أي الضرائب المفروضة على مختلف أنواع السلع، أم أنها تعني كل الضرائب غير الشرعية؟ إن الإدريسي وغيره ممن استعمل المصطلح يقصد ذلك حتى إنه نحت من المصطلح صيغاً أخرى مثل قوله في معرض حديثه عن مدينة مراكش: "وأكثر الصنع متقبلة..". (نزهة، 3: 235)، وفي المصادر المتأخرة عن الإدريسي ترد القبالات أو المكوس بمعنى الضرائب أو الجبايات، وتتضارب استعمالات هذه المصطلحات في المصادر وأحياناً في المصدر الواحد نفسه، وباستثناء الجبايات الشرعية وهي الزكاة والعشر والخراج والجزية، فإن القبالات والمغارم والمكوس هي جبايات غير ما ذكر.

لم تصبح لائحة الجبايات واضحة نسبياً إلا ابتداءً من أواخر العهد الموحد، ويرجع ذلك بالأساس إلى اضطرار

الخلفاء الموحدون المتأخرين، وسلاطين بني مرين وكذا شيوخ بني وطاس إلي فرض أنواع متعددة من الجبايات متميزة بأسمائها ومقاصدها، ولم يكن من سبقهم في حاجة إلى ذلك:

فالمرابطون قاموا ضد القبالات لكنهم وجدوا أنفسهم مرغمين على فرض قبالات وجبايات جديدة شملت حتى أبسط المواد المستهلكة حتى ولو كانت أظرفية مثل الجراد (نزهة المشتاق، 3: 235) وقد استخدموا في استخلاص الجبايات المرتزقة المسيحيين (الحلل الموشية، 84).

اتخذ الموحدون من بدعة المرابطين ذريعة قوية للدعاية ضدهم، ويعد صعوردهم حرصوا على تجنب السقوط في التناقض المرابطي، فاكتفوا في بداية أمرهم بالضرائب الشرعية ومنها زكاة الفطر التي كان المخزن الموحد يجمعها، لكن الموحدون كانوا متشددين في جبايتها حتى إن الممتنع عن أداء الزكوات كان يقتل؛ (رسائل مرحدية، 167) ومن تشددهم كذلك أنهم اعتبروا البلاد المفتوحة أو التي تأخرت في الالتحاق بالموحدون ملكاً خالصاً لهم، وأن الرعية ماهم الا متصرفون بأمر منهم، وأن الفلاحين مجرد "عمال في الأرض" عليهم أداء ما بين نصف المحاصيل الزراعية وثلاثة أرباعها للمخزن الموحد. كادت هذه السياسة المتشددة أن تقضي على الوجود الموحد بما أثارته من تمردات وثورات عارمة عمت المغرب من شماله إلى جنوبه، واضطر الموحدون إلى التراجع مكتسفين بمشاركة الناس في فلاحتهم وأنشطتهم التجارية والصناعية يأخذون مسابن الثلث والنصف في بعض الجهات ومن بعض المحاصيل، وفي جهات أخرى تتم مقاطعتهم على مبلغ مالي معلوم يؤدي سنوياً (الروض الهمتون، 24).

كانت السياسة المالية والجبائية الموحدية - رغم التشدد - واضحة مما جعل الناس ينصرفون إلى العمل والإنتاج. فانتعش اقتصاد البلاد وتطور العديد من القطاعات (المن بالامامة، 347: الروض الهمتون، 28) وأمكن الحديث عن وجود اقتصاد حقيقي للسوق. واتباع الموحدون لسياسة جبائية واضحة ومرنة يرجع ولاشك إلى تقاليد المصامدة وتجربتهم في سهولهم وجبالهم المرتكزة أساساً على التنظيم والانضباط وقت السلم والحرب فيما عرف "بإغرم وأكادير" المترجم إلى العربية بكلمة مخزن؛ تلك التجربة التي طورها الموحدون متأثرين في ذلك بالحضارة الرومانية والإسلامية من ذلك قيام الخليفة عبد المؤمن بإحصاء الأراضي الزراعية، وهو ما عرف بالتكسير والذي تحددت على أساسه الجبايات الشرعية من خراج وزكاة وجزية.

قامت الثورة الموحدية كمشروع شامل ومتكامل. استطاع المغرب خلاله تحقيق بعض التقدم على العديد من المستويات، ويتزعم العالم الإسلامي مكوناً أكبر امبراطورية إسلامية وأقواها في ذلك العصر. كل هذه الإنجازات كانت نتيجة تراكم مادي وسياسي استثمره المصامدة خير

ونظام الالتزام أشد أساليبها ضرراً بالعامّة (مسالك الأَبصار، 305-306؛ وصف إفريقيا، 1: 194-195-196. 197).

لم يحرص المرينيون على التمييز ما بين الشرعي وغير الشرعي في الميدان الجبائي. للأسباب التي أشرنا إليها، فبقيت المسألة موكولة إلى مزاج السلاطين والأشياخ وقوة أو ضعف شخصيتهم، ومرتبطة أيضاً بدرجة التقبل أو الرفض عند الرعية، وهكذا وبمناسبة صعود سلطان جديد إلى الحكم يعتمد إلى سياسة "التلميع" بإزالة بعض الجبايات وتوزيع الصدقات ومواساة الفقراء، لكنه سرعان ما يقع في التناقضات فيعمد إلى فرض أنواع جديدة من الضرائب تحت أسماء وعناوين أخرى وهكذا نستطيع بتتبعنا للتاريخ المفصل للمرينيين والوطاسيين ومن الإشارات القليلة المتناثرة في المصادر أن نضع لائحة أولية بأنواع الضرائب (مرتبة ترتيباً هجائياً).

| النوع | قروية | حضرية | المرور | المفروضة عليهم |
|-------------------|-------|-------|--------|--------------------------------|
| الأعشار | X | X | | بضائع التجار والغنائم |
| الإنزال (إيزدغتن) | X | X | | بعد العائلات المهاجر من بلده ؟ |
| البرنس التعشير | X | X | | على البضائع والتجار |
| الجامكية | X | X | | على جميع المخالفين |
| الجزء | X | X | | المتأخر في الأداء |
| الجزية | X | X | | أهل الذمة |
| الجمعون | X | X | | الفلاحين في الواحات ؟ |
| الحبل | X | X | | على الفلاحين |
| الحراج | X | X | | في الواحات (البيستنة) |
| الحرص | X | X | | على الجميع |
| الخطينة | X | X | X | على المسافرين |
| الرتب | X | X | | على المسلمين |
| الزكاة | X | X | | بعض القبائل المسلمين |
| الضيافة | X | X | | التجار |
| الفطر | X | X | | على الرؤوس ؟ |
| القاعة | X | X | | على الجميع |
| القانون المطوى | X | X | | جميع السكان |
| المعونة | X | X | | عند المخالفة |
| مغارم | X | X | | البائع والمسافر |
| مفرم الماء | X | X | X | الجميع |
| مكوس | X | X | | |
| الوظيف | X | X | | |

أنواع الضرائب

استثمار، وقد ارتكز بنيانه على مجموعة من التوازنات ما بين السادة والأشياخ على مستوى القمة، وما بين العصبية الحاكمة (الموحدين) والمحكومين (الرعية) على مستوى القاعدة وعلى سياسة مزدوجة تتراوح ما بين المرونة والشدة؛ وأهم ما ميز الدولة الموحدية في عهد الخلفاء الأوائل هو تحقيق تلك التوازنات وخاصة منها التوازن ما بين متطلبات المخزن وحاجيات السكان. ويتبين من السياسة المالية والجبائية للخلفاء الثلاثة الأوائل أنها كانت سياسة مخططة ومدروسة أو على الأقل لها مبرراتها إذ كانت تقدم خدمات اجتماعية: مارستانات، حارات الجذمي وذوي الأمراض المعدية، حفلات الختان العمومي لأبناء الفقراء، رعاية الأيتام، توزيع الصدقات والتبرعات على المعوزين من ذوي البيوت، إضافة إلى توفير الأمن وتنظيم المهام العسكرية والإدارية...

هذه التوازنات والأهداف كانت مراقبة بصرامة من قبل الخلفاء والأجهزة التابعة لهم. لكن بدأت التوازنات الموحدية تختل بد فاة الخليفة الموحد يعقوب المنصور، وباختلالها طفت على السطح الكثير من الأمراض المجتمعية والسياسية والإدارية، فظهر المرابون والسامسة، واستغلال النفوذ... فاغتنت فئات جديدة على حساب عامة الناس وعلى حساب المخزن نفسه (الروض الهتون، 24؛ الذيل والتكملة، 177-178).

دخل المرينيون المغرب في ظروف ضعفت فيها الدولة الموحدية بعد معركة العقاب وتخريب تلك الفئات الانتهازية للبلاد، فقلّت ساكنة المغرب وهزل اقتصاده، دخل هؤلاء قصد الاستفادة من خيرات البلاد الطبيعية ليس لديهم مشروع سياسي أو دعوى دينية إصلاحية، بل هدفهم الاستيلاء على الأرض وتوزيعها فيما بينهم، (القرطاس، 282) فكل قبيلة وقرية تغلبوا عليها إلا وأخضعوها لإتاوات وجبايات سنوية أو لمغرم مالي يقبضونه فوراً، وبسيطرتهم التدريجية على المغرب وجدوا أنفسهم بعد استتباب سلطتهم مضطرين لتغيير سياستهم ونظرتهم التي دخلوا بها إلى البلاد، فكان هاجس البحث عن الشرعية يقض مضاجعهم، فاندفعوا في اتباع سياسات منسجمة حيناً ومتباينة أحياناً لاستمالة الشرفاء وملاطفة المتصرفة واصطناع الأتباع من الفقهاء والعلماء والدخول في مسلك بناء وتشبيد المدارس والمساجد والزوايا والقصور... إلى جانب بعض الهدايا إلى الخارج وتوفير العطايا والجرايات في الداخل... كل ذلك كان يتطلب أموالاً أكثر فأكثر لم تكن تجارة القوافل المتعثرة ولا الاحتكار التجاري لبعض المواد كافياً لتوفيرها، فعمد المخزن المريني إلى نهج سياسة جبائية واسعة - عمودياً وأفقياً - فكان كل سلطان أو شيخ من أشياخ العصبية المتحالفة الحاكمة يجتهد في ابتكارها فتعددت المغارم والمكوس والوظائف والملازم... وتعددت أساليب تحصيلها والاستفادة منها، فكان الإقطاع الجبائي

بقراءة سريعة لهذه اللاتحة نستطيع الخروج بالاستنتاجات التالية :

1 - أن الضرائب المفروضة على القرى والبوادي أكثر عدداً وأثقل وقعاً.

2 - إذا أضفنا إلى اللاتحة طرق استخلاص الجبايات وغالباً ما كانت تعطى إقطاعاً لكبار الموظفين مدنيين وعسكريين ولشيوخ بني مرين والأمراء والحاوية ... جاز لنا أن نتصور ما يتعرض له المزمون أو الضحايا من تعسف (مسالك الأبصار، 305-306 ؛ وصف افريقيا (م س) 1 : 194-196-197).

3 - الغموض والخلط الذي يلجأ إليه بعض الحكام لتضليل الناس، فضريبة الخرص والجمون مثلاً يتم التلاعب بها، فهي حسب بعض الفقهاء خاصة بالأشجار المثمرة في الواحات (المعيار، 1 : 295) لكنها ربما فرضت على جميع الفلاحين، وهكذا يتم تمديدها وتقليصها بحسب الحاجة وحسب السنوات والمحاصيل. والخلط والتلاعب نفسه حدث في الزكاة، فقد عمد المرينيون إلى تحديد زكاة الفطر التي كانت في العهد الموحي من مداخيل المخزن، لكنهم عمدوا إلى تسمية أنواع أخرى من الضرائب غير الشرعية زكاةً (أنس الفقير، 23) ولتثبيت السكان في الأرض والحد من الهجرة أو الفرار استحدثت مغارم خاصة عرفت بآبيزعدن (آبيزعدن) بالنسبة للمهاجر إذ عليه أن يؤدي ما هو مفروض عليه في بلده وفي المهجر. والقانون وهي ضريبة على الأشخاص القادرين على العمل. أما الضرائب الحضرية فأبرزها وأثقلها على النفوس المكوس، وقد تلاعب فيها الكثير من الحكام، فرغم قول المصادر عن السلطان عند توليه إنه "هدم المروس وأزال المكوس" فالواقع أن حركته لم تكن إلا تمويهاً، أو فاتحة خير - عن حسن نية - لكنه لن يلبث أن يدرك الواقع ويدخل في التناقضات فيعود إلى سنه والتشدد في جبايتها أكثر من سبقه، ونظرة إلى اللاتحة تبين أن تلك المكوس قد فصلت فأعطى لكل منها اسم، مثل القاعة والخطيئة، ومغرم كذا وكذا ...

لم يكن للمرينيين ما يبرر سياستهم الجبائية سوى الجهاد في الأندلس في عهد السلاطين الأوائل وتأمين الطرقات والمدن، أما في الفترة التي تلت السلطان أبا عنان فإن الضرائب أصبحت وسيلة من وسائل التسلط أي أن الأموال العمومية (بيت المال) لا تصرف إلا في تثبيت سلطة فلان أو فلان ضد خصومه وإرضاء شهواته ورغبات الأتباع واصطناع المؤيدين ...

أصبح هذا الاتجاه التسلطي أكثر وضوحاً في العهد الوطاسي، فهؤلاء شكلوا الحلقة الضعيفة في التحالف المريني عند دخوله المغرب، ومنذئذ لم يفارق هاجس الانتصار لأنفسهم من خصومهم شيوخهم، ولما تمكنوا من الوصول إلى السلطة كانت البلاد قد ضعفت ولم يأبه شيوخهم بذلك، بل مارسوا سلطتهم وزادوا في غيهم

فعمدوا إلى إقطاع الضرائب وأضافوا إلى اللاتحة أعلاه أنواعاً أخرى من الجبايات ووزعوا بينهم أحسن المناطق وأجود الأراضي وأصبحوا في نهاية عهدهم مثل عصابة تبتز الناس وتبقي القبائل والقرى تحت نفوذها، لا لشيء إلا لأداء الضرائب (وصف افريقيا، 1 : 120-121-122-126).

ع. ابن خلدون، المقدمة، بيروت د. ت ؛ مجهول، الحلل الموشية، الدار البيضاء 1979 ؛ ابن عذاري، البيان، بيروت 1948 وتطوان 1960 ؛ ب. ابن الزيات، التشرف، الرباط 1958. 1980 ؛ أ. ابن قنفذ، أنس الفقير، الرباط 1965 ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن 1938 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، الطبعة الايطالية نابولي د. ت 5 أجزاء ؛ ل. بروفنصال، مجموعة رسائل موحدية ؛ م. ابن غازي، الروض الهتون، الرباط 1964 ؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، بيروت 1964 تونس 1987 ؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة ... السفر السادس الجزء الأول ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط 1972 ؛ أ. العمري، مسالك الأبصار ؛ محمد المنوني، رقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين ؛ فانيان، مقتطفات، الجزائر 1924 ؛ الحسن الوزان، وصف افريقيا، الرباط 1980 جرآن.

محمد حجاج الطويل

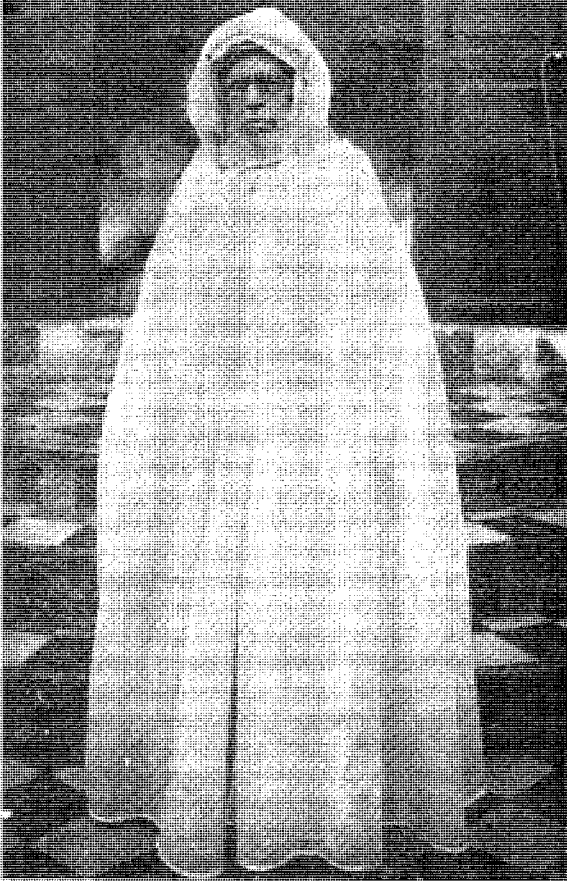
الجبّاد، الذي يسرّح الملابس والثياب بعد غسلها.

وكان المغاربة إلى ما قبل عقود معدودة من السنين ينظفون ملابسهم ويمددونها لتزول انكماشاتها بطرق تقليدية متوارثة.

وكان بعض الناس في عدة مدن مغربية قد تخصصوا في تصبين الملابس كما تخصص آخرون في تسريحها. يسمى الشخص المتخصص في إزالة الأوساخ عن الأثواب والأردية والأقمشة الصيّان، ويدعى القائم بتسريحها الجبّاد. وما زالت بعض الأسر المغربية حتى اليوم تحمل أسماء "الصيّان" و"الجبّاد" بما يدل على أن مهنة تنظيف الملابس وتمديدها كانت مهنة معروفة مثل سائر المهن التي لا يستغني عنها كل مجتمع وخاصة مجتمع الحواضر.

يقوم الجبّاد بتسريح الملابس حتى تتمدد، وكانت التقنية التي يستعملها الجبّاد بسيطة تتطلب شدّ اللباس من جميع جوانبه وجرّ أطرافه وحصرها بواسطة ألواح مهيأة لذلك، منها ما كان يوضع في القبة والأكمام وعلى طول اللباس وعرضه حتى يحافظ على التمدد لمدة قد تطول أو تقصر. ويعد نزع ألواح التسريح يعمد الجبّاد إلى كبرته الملابس لحماية قماشها من الأرضة التي قد تعلق بالشوب وقد يعرض اللباس مرة ثانية إلى الغسل الكثيف بالماء والصابون المختلط بالحدج قبل مباشرة كبرته مرة أخرى إذا لاحظ وجود العتة بها (التونيا). وتكون آخر مرحلة من مراحل الاعتناء باللباس هي تطيينه وتعطيره بأنواع عادية من عطر ماء الزهر أو الريحان (الحبق).

وكان الجبّاد في عدة مدن مغربية يجمع بين تصبين



المؤونة، إلا أن ذلك لم يتم لأسباب سياسية، وأقاموا بفاس يقرؤون على شيخ ماهر عينه المخزن لذلك، وهو مولاي إدريس البلغيثي" (وثائق فانسين).

ولعل هذه الخطوة هي التي زادت من صقل مواهبه وتألقه، وأهله ليكون من بين الطلبة النابغين والمتفوقين الذين تم اختيارهم للبعثة التي قرر السلطان مولاي الحسن إرسالها إلى أوروبا وكان سنة آنذاك 28 سنة.

كان الجباص من بين الطلبة الخمسة عشر الذين وقع عليهم الاختيار في إطار بعثة تعليمية إلى دول أوروبا لتعلم اللغات والعلوم "... ولما وصلوا مدينة طنجة أقاموا بها يتعلمون مبادئ الألسن، وكان محمد الجباص هو الذي يت رأس المجموعة أثناء دراستهم بمدينة طنجة" (مذكرات سكيرج، ص. 29) ولما اكتمل تكوينهم "... فرقوا على بلدان أوروبا، فتوجه إلى بلاد النجيز محمد الجباص وإدريس بن عبد الواحد، والوزير سكيرج" (مظاهر، 167). وكان دريموندهاي، القنصل البريطاني، قد قام في هذا الصدد بمراسلة حكومته سنة 1875، للسماح لهؤلاء الطلبة بتلقي العلوم في بريطانيا، ويذكر الوزير سكيرج عضو البعثة في مذكراته (1845-1932) أنه سافر رفقة زميله إلى بريطانيا لتلقي العلوم المتنوعة بمدينة شاتهام Chatham، وهي مركز حربي لبناء المدرعات، وبها مدرسة ملكية للمهندسين تسمى Royal Engineers of Chtham.

وقد أكد الجباص خلال مدة الدراسة جدارته ونجابهته، وهذا ما تؤكد الرسالة التي بعث بها أحمد ابن موسى إلى دريموندهاي، يقول فيها: "... وعرفنا ما أخبرت به عن الطلبة الثلاثة المتعلمين العلوم في بلادكم من ظهور نجابتهم

الملابس وتسريحها. لكن التصيبين عادةً عملية منفصلة عن التسريح فكانت الملابس التي تنظف إما في المنازل أو على ضفاف الأنهار أو العيون والسواقي وغيرها تسلم إلى الجياد ليقيم بتسريحها. وكانت الملابس التي تسلم إليه في معظمها خارجية أهمها الجلابيب والسلاهم ثم بعض الملابس الداخلية كالأكسية والقفاطين. إلا أن عامة الناس كانوا يرتدون ملابسهم مباشرة بعد تصيبينها دون الاعتناء بتسريحها على يد الجياد. أما أهل اليسر والثراء عموماً وخاصة منهم الأمراء والفقهاء والقضاة والعلماء والتجار والكتاب والموظفون المخزنيون والقواد والعمال فكانوا لا يرتدون ملابسهم إلا نظيفة بمدة منجرة ومعطرة. وكانت حنطة تصيبين الملابس وتسريحها والعناية بها وتطيبها وتعطيرها وصيانتها في صناديق ورفوف مصنفة من بين أهم الحنط الداخلية في القصور المخزنية.

م. داود، تاريخ تطوان، الجزء السادس، 1978؛ م. المختار السوسي، المعسول، الجزء 15، 1960؛ عبد الكبير الكتاني، توفير المنة، مخطوط خ. ع، 2404 ك؛ ع. ابن زيدان، إتحاف اعلام الناس، الجزء الرابع، 1931؛ العز والصولة، 1961.

P. Lemoine, *Missions dans le Maroc occidental*, Paris, 1905 ; J. Borely, *Mon plaisir au Maroc*, Paris, 1927 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1952 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, Hesp., vol. 33, 1946 ; H. Triki et A. Dovifat, *Medersa de Marrakech*, Paris, 1990 ; H. Triki, *Abdelmalek As Saâdi*, in *le Mémorial du Maroc*, vol. 3.

محمد بوسلام

الجبَّاص، أو الجبَّاصي أسرة فاسية عريقة أصلها من قبيلة سفيان ببلاد الغرب. ذكر طائفة منهم صاحب جنى زهر الآس وقف على أسمائهم في رسوم عدلية من القرن الثالث عشر (19 م) تتحدث عن معاملاتهم بفاس بالبيع والشراء والكراء. وما زال هذا القبيل بالمدينة الإدريسية على قلة. ع. الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

الجبَّاص، مَحْمَد السفياني الزرهوني ثم الفاسي، وُلد حوالي سنة 1264 / 1847 بمدينة فاس وكان من النخبة السياسية الجديدة التي تلقت تكويناً عسرياً بالمدارس العليا البريطانية، ارتقى في عدة وظائف مخزنية منذ عهد السلطان الحسن الأول إلى أن تقلد منصب الوزير الصدر في عهد المولى يوسف إبان الحماية.

تلقى محمد الجباص تعليمه بجامع القرويين، وهناك أخذ العلم والمعرفة من علمائها ولا شك أنه كان متفوقاً في دراسته، لذلك تم انتقاؤه من بين الطلبة النجباء، وسنه لا يتجاوز الثانية والعشرين، الذين كان السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمان يعتبرهم لتعلم مبادئ العلوم الرياضية العصرية بمصر سنة 1286 / 1869 "... ونفذ لهم

سيما الجباص منهم" (ابن الصغير، ص 433).

ونظراً للمكانة التي كان يتبوأها، فقد وقع عليه الاختيار من بين أصدقائه لوضع خريطة مفصلة ومدققة للمغرب، وظف فيها كل المعارف التي اكتسبها في ميدان الرسم الطبوغرافي والهندسي، واعتمد في إنجازها على نماذج من خرائط فرنسية وأנגليزية، وذلك سنة 1879 (ابن الصغير، ص 433 / هامش 357)، وتوجد نسخة وحيدة من هذه الخريطة بقسم الجمعية الملكية للجغرافيا بلندن، وقد أسقط من هذه الخريطة جزء من طرفاية، ولعل ذلك كان بتوجيه من بريطانيا، لأن مشكل طرفاية كان قائماً آنذاك بين المغرب وبريطانيا، فالمخزن المغربي كان قد احتج آنذاك ضد استقرار ماكينزي بطرفاية سنة 1879، والخريطة وضعت في دجنبر 1879. وكانت بريطانيا تسعى من وراء وضع الخريطة إلى استعمالها كحجة ضد المخزن لتؤكد بأن طرفاية لم تكن تدخل ضمن ممتلكات السلطان (مظاهر، 1 : 167) وقد دامت مدة دراسة محمد الجباص ببريطانيا خمس سنوات عاد بعدها إلى المغرب سنة 1880 ليتقلد مناصب مخزنية.

تبين عودة البعثة من أوروبا الطريقة التي تعامل بها المخزن مع الأطر المتعلمة في أوروبا علوماً عصرية، فبعد عودتهم لم يكن بإمكان المخزن ومؤسساته العتيقة أن تستوعب هذه الأطر بمعارفها وعلومها الجديدة، لذلك كان على أعضاء البعثة، ومنهم محمد الجباص أن يكتبوا للمخزن قصد استخدامهم والاستفادة من معارفهم، وهذا ما توضحه الرسالة التالية :

"... ويدعون بخطوط أيديهم أنهم بعد تحصيل اللسان حصلوا جل العلوم الحربية والهندسية، وحيث إنهم مازالوا لم يستخدموا في شي، مما تعلموه، لم يتحقق عندنا صدق ما يدعون وإنما تظهر ثمرات الأعمال بتطبيق القواعد على الأعمال" (مظاهر، 1 : 168 : العز والصول، 2 : 150).

وبعد استخدامهم كلف كل منهم بمهمة :

- فالزبير سكيرج : تركيب الموازين بالمراسي

- إدريس بن عبد الواحد : طبخية طنجة

- محمد الجباص : الخدمة الشريفة

وبذلك يكون محمد الجباص قد اندمج في سلك الخدمة المخزنية المركزية وأصبح مفروضاً عليه أن يؤكد جدارته. كان سن محمد الجباص لما عاد من بريطانيا سنة 1880 لا يتعدى 33 سنة تقريباً، فكان له من الوقت ما يكفي لتأكيد جدارته في الخدمة الشريفة، وأن يتقرب أكثر من أطر المخزن (الأصول : 288). فقد وظفه السلطان مولاي الحسن كاتباً بالصدارة، ونفذ له المؤونة بالوزارة الحربية، ثم صار "يتخابر معه في عدة مسائل وهو يحسن الجواب ويصيب الصواب، فأقبل - رحمه الله - عليه، ووجه اعتناؤه إليه، وكثيراً ما كان يسأله عن أحوال أوروبا ولما شاهده من

عجائب رقيها وتمدنها، ويستفيد منه أموراً لبعده المواصله إذ ذاك بين المغرب وأوروبا، وعدم اطلاع بعضها بعضاً على العوالم الوطنية والتنظيمات الإدارية (وثائق نانت، 1917) وهذا معناه أن محمد الجباص، أصبح مقرباً من السلطان مولاي الحسن يحظى بثقته. ولما توجه السلطان إلى مدينة مراكش "أذن له في إلقاء دروس بالمدرسة المخزنية هنالك على طلية خصصوا لذلك، رغبة منه - قدسسه الله - في تعميم النفع" (وثائق نانت لسنة 1917 + الكتاب الذهبي، ص 112) كما رافق السلطان في حركته الأولى إلى سوس سنة 1299 / 1881، لأنه كان خبيراً في شؤون الحرب، ثم انتدبه السلطان لمعالجة مسألة النزاع مع الشركة البريطانية حول رأس جوبي، وكان معززاً بالعامل ولد بيروك، وحصل على نتائج حسنة.

وفي سنة 1300 / 1882 عينه السلطان بجانب أمين المال محمد التازي موخا، وأحدثت لهما بنية خاصة لمباشرة مسألة "الترتيب" الذي اعتزم تجربته في إطار محدود داخل قبائل دكالة والشاوية.

وبعد وفاة السلطان مولاي الحسن وتولية ابنه مولاي عبد العزيز عين محمد الجباص كاتباً أول في وزارة الحربية سنة 1882 باقتراح من الوزير الوصي أحمد ابن موسى الذي كان يقربه إليه ويطلعه على بعض أسرار السياسة مدة حياته (وثائق نانت + الكتاب الذهبي، 112).

محمد الجباص في سفارة الجزائر : (1900 - 1903)، ولما انتدب السيد عبد الكريم ابن سليمان وزير الخارجية سفيراً لروسيا وألمانيا، كان بمعيته "أبو عبد الله محمد فتح الجباص ... ومن نتائج سفارة ابن سليمان .. تعديل مسألة الحدود الجزائرية المغربية، وكان الذي رشع للوقوف على تصفيتها محمد الجباص بصفته رئيساً (إنحاف، 1 : 98 - 397). وبعدما صادق عبد الكريم ابن سليمان في مارس من سنة 1901 على اتفاقية الحدود المغربية - الجزائرية، ووقع التوقيع عليها في باريس بين Delcassé ديلكاسيه من جهة وابن سليمان من جهة أخرى بتاريخ 20 يوليوز 1901. عين محمد الجباص لوضع الاتفاق التطبيقي للمعاهدة مع الجزائر كوشميز Cauchemez بالجسزائر في 20 أبريل 1902 وبيرمهولف Peyerimhof موظف الحكومة الفرنسية بالجزائر في 7 ماي 1902 (C. Alain, Agadir 1911, p. 55).

- وأثناء سفارته للجزائر قام بمبادرة الاطلاع على بعض القوانين العصرية التي كانت تسير عليها إدارة الجزائر. وذلك رغبة منه في عرضها على السلطان عبد العزيز ليختار منها ما يوافق طبيعة البلاد ولا يعارض القواعد السياسية للحكم، وقد أسعفه الحاكم الفرنسي في ذلك. فقدم لمحمد الجباص مجموعة من النصوص وقوانين الإدارة الجزائرية بعد ترجمتها للغة العربية (مظاهر، 2 : ص 139) وكان بالفعل قد ابتدئ في البحث عن كيفية دخول أنظمة جديدة إلى المغرب، وكان ذلك كما يقول السليمان

"...دخول هذا النظام وتأسيساته ومبادئه مع الفقيه السياسي الغيور المثقف السيد محمد الجياص السيفاني، حين توجه لمدينة الجزائر معتمداً في بعض الشؤون" (التهافت، 142)، ولاشك أن هذا النظام الجديد كان بلاشك هو بداية التفكير في تنظيم مداخيل الدولة بإحداث ما سي "بالترتيب".

وفي سنة 1321 / 1903 عاد محمد الجياص إلى المغرب ليخلفه في مأموريته آنذاك محمد بن الحسن الحجوي، الذي قال في ترجمته لمحمد الجياص "وقد خلفته في سفارته لما تولى وزارة الحرب" (مختصر العروة، ص 17) وكلفه السلطان بوزارة الحرب بعد أن عزل المنبهي عنها، ويذكر بوعشرين في كتابه التنبيه إلى أن هذه التولية كانت بإشارة من الوزير عبد الكريم ابن سليمان وزير البحر (الخارجية) "لقرابة بينهما واتصال" (التنبيه، ص. 113)، ولأنه في نفس الوقت كان يشغل منصب الكاتب الأول لوزارة الحرب منذ فترة وصاية أحمد ابن موسى.

ولعل هذا الاختيار كانت له مبررات اذكر من بينها أن الجياص كمهندس متخرج من المدارس الحربية الإنجليزية، كانت له مؤهلات ثقافية وعلمية تؤهله للقيام بمهام عسكرية.

- أنه انخرط في سلك وزارة الحربية منذ البداية وقدم على بعض المهام العسكرية وتعرف علي خباياها.
- أنه كان مسانداً ومدعماً من طرف أحد رجالات المخزن وهو عبد الكريم ابن سليمان لقرابته، لهذا تم اقتراحه لتحمل هذه المسؤولية، وعضد السلطان هذا الاقتراح.
- لاشك أنه كان لفرنسا نصيب في تدعيم اختيار محمد الجياص كوزير للحرب، خصوصاً وأن الفرنسيين استطاعوا التأثير عليه وكسبه إلى صفهم أثناء مفاوضاته في الجزائر لعقد اتفاقيات الحدود سنة 1902، ولعه سيسعى مستقلاً لتدعيم مركز فرنسا داخل المغرب.

وقد حاول محمد الجياص، من موقع مسؤوليته كوزير للحرب، أن يقوم بمبادرة لإصلاح الجيش "فأنشأ مدرسة لتكوين بعض أطر المخزن بمدينة فاس سنة 1906 واستقدم إليها رشيد أفندي المصري، وأسند إليه تعليم الرياضيات التي كان يدرسها في نفس دار الوزير لأحد عشر تلميذاً على نفقة المخزن" (لوتورنو - فاس، ص. 677)

وقام بتعيين قواد طوابير البوليس، وبقي محافظاً على الأمن العام ما بين طنجة والعرائش والقصر وتطوان والقبائل الجبلية المحيطة بها إلى أن ظهر مولاي عبد الحفيظ (ثالث، 1971).

كان محمد الجياص قد شارك النائب الحاج محمد الطريس في أمور دار النيابة بطنجة، وذلك بأمر من السلطان عبد العزيز، ثقة بالجياص واعتماداً عليه. وبعد موت الطريس وإتمام الأمر للسلطان عبد الحفيظ أقره على

دار النيابة وحده وذلك سنة 1326 / 1908 وأنعم عليه بالوسام الحفيظي من الرتبة الأولى، ولكن مع ذلك، فإن طبيعة الصراع التي ميزت هذه المرحلة، وتشابك المصالح والأغراض، جعلت محمد الجياص يبقى وفيماً لحكومة السلطان مولاي عبد العزيز (R. Daniel, T. 1, p. 93) بل اعتبر من جهة أخرى أنه كان أكثر ارتباطاً بالمفوضية الفرنسية والكاي دورساي، وكانت الاشارات تتحدث عن نقله أو عزله عن دار النيابة بطنجة واستدعائه إلى فاس.

وقد وافق الكاي دورساي على منحه الحماية الفرنسية هو وأسرته (C. Alain, Agadir, p. 53) وقد كان محمد الجياص هو آخر نائب سلطاني يتولى هذه المهمة قبل إعلان الحماية على المغرب سنة 1912.

يمثل محمد الجياص بحق نموذجاً بارزاً من بين النخبة السياسية المغربية التي تعاملت مع الظرف الجديد بدون تحفظ، والذي قررت فرنسا الاعتماد عليه في تطبيق سياسة الحماية بأطر محلية لها تجربة عريقة في مجال الخدمة المخزنية.

فلما أقر المقيم العام الفرنسي ليوطي عزل محمد المقري من منصبه اختار من بين عدة شخصيات مخزنية محمد الجياص، الذي عينه وزيراً أعظم للسلطان الجديد مولاي يوسف، لأن محمد الجياص كان ميالاً للتعامل مع فرنسا من جهة، ولأنه كان ينتمي إلى تلك الشريحة الاجتماعية الجديدة التي أفرزها المجتمع من جهة أخرى وحسب تعبير دانييل "فهو نموذج البورجوازي الفاسي الكبير من أصل أندلسي (!؟)" (دانييل، ص. 176-77).

لقد توج هذا التعيين بظهير سلطاني صدر في متم رجب من عام 1331 / 1912 جاء فيه: "... فقد أعفينا خديمتنا الطالب محمد الجياص من التكليف هناك (ثغر البيضاء) ووظفناه بالوزارة الكبرى، وأسندنا لابن عمنا الأرضي سيدي محمد الأمراني الوظيفتين المذكورتين خليفة الحضرة الشريفة وعامل البلد في ثغر البيضاء" (الإتحاف، 4 ص. 293).

لعل المنصب المخزني الذي أُسند لمحمد الجياص كوزير أول لم يعد إلا منصباً شكلياً، حيث احتكرت سلطات الحماية كل الصلاحيات وركزتها بيد المقيم العام الذي أصبح يتحكم في خيوط اللعبة السياسية داخل المغرب، ويدهن أطر المخزن المتلاشي. وهكذا قال في حفل أقيم بمدينة الرباط سنة 1914 بعد أن أنهى الوزير الصدر محمد الجياص خطاباً باسم المخزن الشريف، فأجابه ليوطي بقوله: "كما كان من حظ الدولة الفرنسية أن رأت جلاله السلطان معضداً برجل سياسي مثلكم، فإن خبرتكم الكاملة وإتقانكم لأموال السياسة، وما أو تيتيم من الفطنة والنباهة التي أظهرتموها في مناصبكم السالفة قد وجدت في وظيفتكم السامية التي تشغلونها اليوم ميداناً فسيحاً تجلت فيه وتوطدت بالثقة التي جعلها فيكم جلاله السلطان ولقد برهتكم على ذلك كله براهين ساطعة" (سمط اللثالي، ص. 35).

(34).

فهل أدرك محمد الجباص، وهو يمارس وظيفة الوزير الصدر، ما آل إليه المخزن المغربي الذي أصبح مجرد واجهة شكلية، فقرر نتيجة لذلك طلب الإعفاء من منصبه ؟ أم أن ظروفه الصحية وكبر سنه هما اللذان كانا وراء تقديم استقالته من منصب الوزير كما ذكر دانييل (3 : 119). لقد كان عمره آنذاك سبعين سنة حينما استقال من الوزارة سنة 1917، ومع ذلك احتفظت له الحماية الفرنسية بلقب الوزير الصدر، كما أقره السلطان مولاي يوسف على "رئاسة المجلس العلمي الأعلى لتعليم المعارف الإسلامية حتى لا تضيق نصانحه وسوابقه ولا تتقطع مع المخزن الشريف علائقه، وسدل عليه وعلى ذريته وأصحابه وقرابته أردية العز والوقار ومكنه من ظهير شريف بذلك" (وثائق نانت، 1917).

وانسحب محمد الجباص إلى مدينة الجديدة التي استقر بها زهاء سبع عشرة سنة من سنة 1917 إلى سنة 1934) ورحل إلى الشرق لأداء فريضة الحج سنة 1352 / 1934، وعمره آنذاك يناهز 87 سنة، وعندما أتم مناسكه وولى وجهه نحو المدينة المنورة وإفاه الأجل المحتوم أثناء الطريق ودفن ببراغ، "وكان له شغف عظيم بالوصول إلى المدينة والإقبال بها رحمه الله" (العز والصلوة، 2 : 150).

وهو ما يؤكد كل من محمد الحجوي في العروة الوثقى وصاحب الكتاب الذهبي بخلاف ما ذكره المتونني الذي قال بأن وفاته كانت بالجديدة عام 1352 (مظاهر، 2 : 7 هامش 12 : الأصول، ص. 268 هامش 69).

ترجمة محمد الجباص، وثائق نانت، DACHCAO, Nantes, Carton 26 sept. 1997. م. الحجوي، مختصر العروة الوثقى، سلا، 1938 : السليمانى، اللسان العرب، الرباط، 1971 : م. المتونني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، بيروت، ج 2، 1986 : الحسن بوعشرين، التنبيه العرب عما عليه الآن حال المغرب، تج. محمد المتونني، 1994 : ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، الرباط، 1933 : العز والصلوة، ج 2. الرباط، 1962 : علي الطرابلسي، مسقط اللثالي من سياسة المشير ليوطي نحو الأهالي، 1926 : خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى في (19 م)، الدار البيضاء، 1990، مذكرة سكيرج : روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت.

Daniel Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc, 1912 - 1925*, Paris, 1988, 3 vol. ; *Livre d'or du Maroc*, Paris, 1934 - 1935 ; A. Laroui, *Les origines...*, Paris, 1977 ; J. Claude Allain, *Agadir 1911*, Paris, 1976.

المصطفى فنيت

جُبُور، أسرة تطوانية يقال إنها أندلسية. أقدم من عرفنا منها السيد العربي جبور من أهل القرن الثاني عشر (18 م) كان متزوجاً السيدة ثناء بنت محمد الناصر. وله منها ابن يسمى أحمد جبور كان حياً سنة 1215 هـ.

جُبُور عبد الرحيم بن عبد الكريم، كان عارفاً باللغة الإسبانية متجنساً بالجنسية الإسبانية ومتزوجاً بإسبانية

عمل أيام الحماية ترجمانا بنياية الأمور الوطنية. وسمي مؤرخ تطوان الرسمي. له مقالات في التاريخ بالإسبانية. ومحاضرة في تاريخ تطوان وعائلاتها.

عين بعد الاستقلال مديراً لديوان عامل تطوان (بنونة) وتوفي بعد ذلك.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، جزء 3 حروف ج : م. داود، عائلات تطوان، حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزائنه بتطوان.

محمد بوخزة

الجُبُوري، الجيلالي المدعو البحر، أحد قواد جيش البخاري في عهد الحسن الأول، يعود إليه - وإلى ابن الحفيان قائد المائة - فضل إنقاذ السلطان وحاجبه موسى بن احماض وإخراجهما - بعد عناء - من شعبة بوقربة المعروفة بالشقة إثر الهزيمة التي ألحقتها قبائل غياثة بجيش المخزن في 26 جمادى الثانية عام 1293 / 19 يوليو 1876. ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 2 : 159.

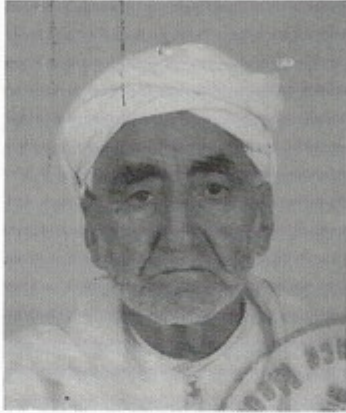
ابن الجببر، أبو بكر الصنهاجي يكنى أبا يحيى وينتمي إلى قبيلة صنهاجة القبلة (ايزناغن) جنوب مراکش. ويصنّفه البيهقي من ضمن "أهل الخمسين المستدركين بعد التمييز" (المقتبس، 35).

وقد أصبح ابن الجببر أحد قادة الجيش الموحدى. ولعب أدواراً هامة في الصراع بين الموحدين والمرابطين. قمت وصول الموحدين إلى قبيلة بني سعيد بجبال غمارة وتوحيدها، بقي ابن الجببر قائداً لجيش الموحدين بهذه المنطقة الشمالية في "تاغراوت متاع بني يزيد" (أخبار المهدي، 54) بقبيلة بني سعيد.

وعندما غادر الخليفة عبد المومن أكرسيف يريد فاساً نزل بالمقرمدة فجاهه أبو بكر ابن الجببر بعسكر غمارة للمشاركة في فتح مدينة فاس، وقد تطوع لمعرفة خير وقوة يحيى بن غانية بفاس، حيث أخذ معه 500 راجل من صنهاجة ومثلهم من هسكورة، وسار بهم إلى جبل زلاغ المشرف على المدينة وأشعل النار على قمته، فأدرك أهل المدينة أن الموحدين (وكانوا يسمونهم الخوارج) قد اقتربوا منها، فخرج ابن غانية من الغد لقتالهم، وقد قدر ابن الجببر عسكر ابن غانية بألف وخمسمائة رجل ما بين ثلثون وأهل فاس، فقاتلهم أبو بكر بن الجببر بمن معه ثم رجع الصحراوي إلى فاس، وصعد ابن الجببر ثانية إلى قمة الجبل وأشعل النار ليفت في عضد جيش المرابطين وسكان المدينة.

وقد استعصى فتح فاس على المرابطين رغم أن القوة التي كانت بها لم تكن ضخمة، ويعود جزء من ذلك إلى طبيعة الأسوار الجديدة التي أحاط المرابطون بها فاساً. والتي سيأمر الخليفة عبد المومن بتحطيمها بعد فتح المدينة. لذلك فإن عبد المومن لما رأى أن فتح المدينة يتطلب حصاراً طويلاً قسم جيشه إلى قسمين، قسم قاده بنفسه وتوجه به إلى جبل العرض، والقسم الآخر جعله تحت إمرة أبي بكر

المخزنية. وبعد تأسيس النظام بالجامعة اليوسفية، تقدم لمباراة الأستاذية بها فنحج وعين أستاذاً رسمياً عام 1362 / 1943. فزاوالتدريس بالابتدائي مدة، ثم انتقل للشانوي، ثم النهائي في سنة 1371 / 1952، ثم فصل عن العمل بسبب أفكاره الوطنية.



ومع بزوغ فجر الاستقلال رجع جبران إلى عمله في التدريس بالأقسام النهائية في ابن يوسف بالإضافة إلى القيام بمهمة إدارة الطور الأول من التعليم الأصيل، وبقي قائماً بأداء الواجب الملقى على عاتقه إلى أن أنشئت كلية اللغة العربية بمراكش، فعين بها أستاذاً ونائباً للعميد، كما عين عضواً في المجلس العلمي بمراكش، وبعد وفاة الرئيس الرحالي الفاروقي عين مكانه كرئيس للمجلس العلمي. وشارك أكثر من مرة في الدروس الحسينية الرمضانية، وكانت تتخلل دروسه نكت أدبية واستشهادات شعرية لكثرة محفوظه الأدبي نثراً وشعراً.

توفي بمراكش يوم الثلاثاء رابع وعشري ربيع الأول عام 1413 / 22 شتنبر 1992، ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط : معرفة شخصية وروايات شفوية.

أحمد متفكر

جبراني، مبارك بن صالح مقاوم، ولد سنة 1336 / 1917 بهسورة إقليم أگادير، وعند انتقاله إلى مدينة



ابن الجبر، وكان مكوناً من صنهاجة وهسكورة، فتوجه إلى "توگ" إيكران" على مشارف فاس وحاصرها.

وفي غضون حصار ابن الجبر لفاس، جرت بينه وبين عبد الله ابن خييار الجياني مشرف فاس من قبل المرابطين اتصالات أدت إلى الاتفاق مع الجياني على تسهيل فتح المدينة. وفعلاً خرج الجياني إلى الموحدين وفتح لهم أبواب المدينة فدخلوها سنة 540 / 1145 بعد حصار دام تسعة أشهر، ولم يجد ابن غانية خياراً سوى الفرار بجيشه في اتجاه حصن أمرگو، ومنه إلى الأندلس، في حين تحول الجياني إلى خدمة الموحدين فأقروه على إشراف فاس.

طارد ابن الجبر فلول المرابطين إلى حصن أمرگو فقتل مجموعة من قوادهم، منهم يوسف الجياني ومحمد السايبة، وتم أسر القائد عمر بن نيتان اللمتوني، الذي طلب عبد المومن عدم قتله امتثالاً لوصية المهدي بن تومرت بعدم قتل أبناء نيتان لأنه هو الذي أخرجه من سجن علي بن يوسف وساعده على الفرار من مراكش.

وساهم ابن الجبر أيضاً في عملية إخضاع القبائل الغربية للسلطة الموحدية، فقاد عملية إخضاع قبيلة صنهاجة وجراوة، وقتل منهم ألف شخص في موضع يسمى بالعمرى سنة 541 / 1146.

وفي أثناء عملية "الاعتراف" التي تمت سنة 544 / 1149، في شكل مجازر رهيبه عممت كل مناطق المغرب الأقصى لتصفية معارضي السلطة الموحدية، نجد ابن جبر يتدخل ليشفع في نساء أهل "تازرفت ن ميلوان" الذين سيقوا بعد قتل رجالهم إلى تادلا، فقبلت شفاعته فيهن، فلم يعن في أسواق الرقيق (أخبار المهدي، 71). ولا ندري الدافع الأساسي لهذه الشفاعه، الذي لايبعد أن يعود إلى تقاليد القرابة والدم القبيلة.

ولا نعلم متى وأين توفي ابن الجبر، لكنه ترك ابناً اسمه يحيى كان مقرباً من الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن وشارك إلى جانبه في مواجهة هجومات ابن مردنيش وابن همشك على إشبيلية سنة 554 / 1159 (أخبار المهدي، 80).

أ. البيذق، المقتبس، الرباط 1971 : أخبار المهدي، الرباط 1971. محمد المفراوي

جبران، عميد السلام بن علي بن عبد الله المسفيوي المراكشي، ولد عام 1333 / 1914 بقرية حاجب أيت سولت بقبيلة مسفيوة على بضعة كيلو مترات من أغمات. حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنوات بقراءة نافع، وابن كثير، و أبي العلاء البصري. ثم انتقل إلى مدرسة تغنيوشت بأيت عبد السلام بمسفيوة التي بقي بها نحو سنتين حتى حفظ جملة من المتون والأمهات أهله للتوجه إلى مراكش والالتحاق بجامعة ابن يوسف. فانكب على تلقي العلم على يد عدد من الشيوخ منهم : الفقيه ابن الحسن الدباغ وعبد الجليل بلقرينز ومولاي أحمد العلمي وعلي السباعي رافع والختار السباعي والمختار السوسي وغيرهم. انقطع جبران عن الدراسة ليشتغل موظفاً بإدارة الأملاك

الدار البيضاء دفعتته غيرته الوطنية واحتكاكه ببعض الأصدقاء إلى الانضمام إلى المقاومة السرية بالمدينة. شارك في عدة مواجهات واشتباكات ضد القوات الفرنسية واستمر في نضاله الوطني إلى أن تم اعتقاله من طرف الشرطة الاستعمارية التي مارست عليه التعذيب والتنكيل إلى أن استشهد بتاريخ 7 شتنبر 1955. كتاب شهداء الاستقلال، 4 : 173.

الجبرائيلي، محمد بن حسن المراكشي أديب ملهم وشاعر موهوب ملاً اسمه الساحة الأدبية بمراكش في عصر الظلم والظلام - عصر الاستعمار - وأصبح اسمه مقروناً بقصر الشعر الجيد، فهو أحد رواد الحركة الشعرية في الثلاثينيات. كان يُدعى محمد بن حسن المراكشي، وأصبحت أسرته بعد الاستقلال تحمل لقب (الجبرائيلي). ولد عام 1326 / 1908. كان والده تاجراً بسوق السباط، ومقدم أصحاب دلائل الخيرات، أي (الطائفة الجزولية). أدخله والده إلى كتاب الحي فحفظ القرآن الكريم مع بعض المتون المتعارف عليها آنذاك، ثم التحق بالجامعة اليوسفية وجالس شيوخ العلم بها أمثال شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني البربوشي والفقهاء ابن القرشي والفقهاء علي السباعي (رافع) والفقهاء الصوفي محمد بوسنة (السي امان) كما أخذ عن الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي. استطاع محمد بن حسن بذكائه وقوة حافظته، أن يلتحق إليه الأنظار، ويصبح محط إعجاب شيوخه وزملائه، ويتفوق تفوقاً كبيراً على أقرانه، ولم تمر فترة دراسته العادية، بل اكتفتها طرائف وقصص مع شيوخه الذين لم يكن راضياً عن بعضهم، ولم تقنعه دروسهم لما له من المؤهلات الفكرية والذكاء القوي، والمزاج الحاد، إلى جانب فورة الشباب، وجموح المراهق.

لم تدم دراسته بالجامعة اليوسفية طويلاً، إذ انقطع عن الدراسة لظروف عائلية واجتماعية، لكن علاقته بالثقافة، وقراءة الكتب والمجلات الشرقية بقيت مستمرة لا ينفك عن التزود بها. أنشأ المترجم له قصائد في منتهى الجودة والإتقان، في الخمر والغزل والهجاء والوطنية والوصف والرثاء وغير ذلك من أغراض الشعر العربي، يطلق الشعر على سجيته حانياً رقيقاً، وثائراً ملتهباً، وساخراً هازناً، لكن ضاع شعره معه، ولم يبق منه إلا النزر القليل. أما أكثره فقد أحرقه بيده، أخبرني بذلك شاهد عيان، وهو صديق حميم للشاعر. ولعل هذا السلوك اللاواعي ناتج عن أزمة نفسية عنيفة مر بها الشاعر، وصدمة داخلية مكبوتة أثرت على نفسه ومزاجه تأثيراً عميقاً، جعلته يعيش في حالة شذوذ نفسي وفكري، ساخراً من الحياة ومن بالحياة :

نفسى دعيني للعللى والسؤدد نلت المنى إذ كان منى مرشدي
ماضاق فهم قضية في مشهد وتوقفت أنظار من في المشهد

إلا وقال الكل يسا لمحمد طربي يقول الكل يا لمحمد
لكنتي أقضي حياتي لا أرى إلا خصوصاً مظهرين تسودي
بيدون لي عند اللقاء مسودة وإذا خلوا نالوا منال المسودة
سبق أن قلت إنه تعرض لأزمات نفسية عنيفة جعلته يعيش حياة لهو واستمتاع بملذات الحياة، غير مكثرت بالقيم الأخلاقية والاجتماعية. ولو ساعدت الظروف بيقا شعره، أو الزمرة التي كانت تعاشره لوصلنا إلى حقيقة أمره، والدواعي التي أدت إلى التمرد والثورة على المجتمع الذي ولد فيه، والذي تكتنفه غيوم مطبقة على الأفق، وجور الحكام واضطهادهم لحقوق أفراد المجتمع.

فرغم هيمنة الأكلواي وسطوة الاستعمار، انفجرت شاعريته، وعبر بكل صدق وإخلاص عن مشاعر أبنائه مراكش، وما تحجيش به صدورهم من غضب وحقد تجاه الباشا الذي كان يدعو الوطنيين سنة 1937 (فرعون) وخليفته البياز (هامان)، وبأسلوب فكه يعرض ينسبهما :

في منامي رأيت آدم عيننا مع حواء في جدال تزييه
آدم قال : إن فرعون يجلسى وأخوه هامان لا ارتضىيه
خيرني : حواء من أين هذا واصدقني فما أنا بأبييه
لست مرتابا في عفافك لكن حار ذهني في أمر هذا القدييه
إن قابيل دونه في عقوقسي أبداً يلحق الأذى بقدييه
سامني كيد بني تباعسا أينما كان لعنتي تفتقرييه
فأجابت حواء في الحال جهسراً ليس هذا مما تفكر قدييه
قد أتاني الشيطان به يوماً وادعى أنه اعز بنبييه
فاستعدت الإله فانفلت الشيب طان جريا وقال : تحلى حنبييه
فاصطفا فرعون هذا قريينا فلعلنا فرعون لعن أخبييه

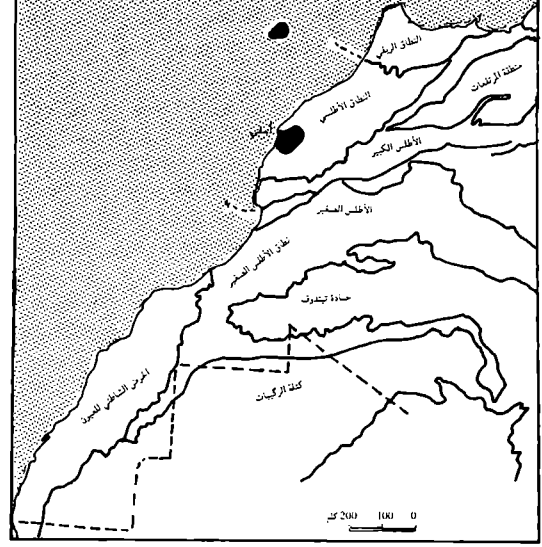
مات في مطلع الشباب عام 1362 / 1943 بعد أن عاش هذا العمر القصير في مكابدة ومصارعة مع رغباته النفسية، ومع المجتمع الذي لم يجد فيه متنفساً لآماله ورغائبه، وشيبت جنازته من محل سكنه بحي سيدي محمد بن سليمان الجزولي إلى مقبرة باب أغمات.

روايات شفوية : أ. متفكر، ذيل الاعلام، مراكش، مخطوط أحمد متفكر

الجبس، سلفات الكالسيوم الموه ($\text{CaSO}_4 \cdot 2\text{H}_2\text{O}$) نظامه البلوري أحادي الشكل، بلوراته مُصَفَّحة، أو على شكل ألياف أو "جصصة الرمال" إذا ما كان التسخير في الصحراء ؛ كثافته 2.3 إلى 2.4 ؛ صلابته 1.5 إلى 2.0. إن أنواع الجبس الشفاف قليلة جداً، إذ يكون ميدنياً أبيض أو ملوناً بالأشهب، أصفر، وأحياناً أحمر ؛ لمعانه زجاجي إلى حريري.

من بين أنواع الجبس نذكر الهَيْصَمَ ذا حبيبات دقيقة والسُّلْنِيَتِ أو جبس القمر، وتَجْدُهُ على شكل ألياف شفافة، صافية البياض. كثيراً ما نجد الجبس على شكل تلافص بلوري، أو "حديد الحربة" أو "ذيل الخطاف". يتكون الجبس بعملية تبخر المياه الغنية بالملح، إذ نجد

مجتمعاً إلى حجر الملح والابندريت. يستعمل الجبس الطبيعي خاصة في صناعة البناء، حيث يُعرض لحرارة تتراوح ما بين 300° و400°، ويتحول على إثرها إلى جبس صناعي "أكثر صلابة. ويستعمل الجبس كذلك في ميدان الطب والصباغة. أما إذا ما رفعنا حرارته إلى ما فوق 400°، فإنه ينقطع عن امتصاص الماء، ونستعمله بعد ذلك في صناعة الألوان والإسمنت والنحت، وكذلك كحجر نفيس (سليت). وتستعمل الجبس أيضاً في صناعة الكبريت وحامض الكبريت.



تجد الجبس بالمغرب في مناطق أسفي واليوسفية وسيدي تيجي وعين النقرة بالمغرب الأوسط وجبل معزوز (بناحية تاويرت)، وكرسيف ووزان وواد نكور بالريف. يوجد الجبس في مناطق أسفي على هيئة طبقات وعدسات شبه أفقية متداخلة في صخور الجوراسي العلوي. وأيضاً تجد الجبس في الثلاثي والطباشيري والميوسين في عدة أماكن من المغرب، نذكر منها ناحية عين النقرة (المغرب الأوسط) وجبل معزوز (قرب تاويرت) وكرسيف ووزان وواد نكور (الريف).

يستعمل الجبس بالمغرب خاصة في صناعة البناء، والألوان، والإسمنت، والنحت وكذلك في صناعة الكبريت وحامض الكبريت. وتقدر الاحتياطات فيه بما يزيد عن 6 مليارات من الأطنان إلى حدود سنة 1977 م، ويصل إنتاج المغرب السنوي من هذه المادة إلى حوالي 100.000 طن يخصص الجزء الكبير منه للتصدير.

عبد الله بوصحابة

الجبلي، أحمد السوسي، أصله من بلاد جباله بشمال المغرب، وهو من مواليد 1318 / 1900، حصل على نصيب لا بأس به من العلم فكان موجوداً للقرآن وتمكناً من العربية والنحو، له إلمام بالفقه، إضافة إلى سلوكه القويم ودماثة أخلاقه ورغبته في المزيد من التحصيل، قضى فترات طويلة

متنقلاً في البوادي مجاهداً وطالياً وداعياً إلى جمع كلمة المسلمين ضد العدو المحتل للبلاد، جاهد تحت قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف ولما استسلم هذا الأخير في سنة 1926 صمم أحمد الجبلي على متابعة الجهاد في أماكن أخرى بالمغرب، فالتحق بشورة محمد بن بلقاسم النكادي بتافيلالت واشتغل كذلك بتعليم الصبيان في مسجد مضفرة. ولما تمكنت فرنسا من احتلال هذا الإقليم توجه إلى تامغروت وقضى بها سنة ثم شد الرحال إلى المدرسة الإلغية بسوس وأقام بها سنتين طالبا وداعياً للجهاد، محاولاً استنهاض الهمم وإيقاظ الشعور الديني والوطني في صفوف السكان بلسانه ومقالاته داخل المدرسة، وقد أورد له محمد المختار السوسي منشورين، الأول مؤرخ في أواخر عام 1350 / 1932 والثاني يحمل تاريخ 14 محرم 1351 / 20 ماي 1932 يدعو فيهما إلى الجهاد ويحلل فيهما الأوضاع داخل المغرب وفي فرنسا وأطمع الدول فيها. ومما ورد في الأول قوله :

"ألم يكن في علمكم أن العدو ساع في طلبكم سعياً حثيثاً، وببذل مجهوده ليكون مالكا لرقابكم ولأرضكم وارثاً، ولدينكم وأنسابكم مغيباً وعائشاً... أرضيتم بالعيش على هذه الصفة بعدما كان أسلافكم ذوي كرم وعفة وأنفة". ويستطرد قائلاً : "فإن فرنسا التي تخشون بأسها قد انتقلت من الذكورة إلى أن صارت فتاة عمومية وكل دولة تحاول الاختصاص بها، فعدوتها ألمانيا بما لديها مما اشتهرت به من أوصاف اليهودية تريد المساحقة بها عند اشتداد شبق السيطرة بها. وأميركا تريد الاستمتاع بها تحت ما لها من الديون ووفرة دنائرها، وإيطاليا تناوشها وروسيا تسعى في إتلافها جزاء ما دسته لها من الدنانس إذ ورطتها في تلك الثورة العارمة وفقدت بذلك مالها ورجالها..."

وأما المنشور الثاني فيضم خمس صفحات ويصف في نفس المحور حيث أفاض في بيان قطائع الاستعمار ومعابطة الأهالي الخاملين أو المستسلمين للواقع، وتطرق فيه كذلك إلى المدعين المخادعين وإلى العلماء والأولياء واعتقاد الناس فيهم فيناشدهم قائلاً :

"فما هذا الذهول أيها المسلمون، النوم اعتراكم حتى لم تبالوا بانكشاف سوءاتكم ؛ والدفاع عن أعراضكم لازال في استطاعتكم، ومجال العمل متسع لديكم، والظروف لكم مساعدة..." وبذل جهده لإقناع مخاطبيه بأنهم بإمكانهم الانتصار على جيوش الاحتلال بشتى الوسائل إذا جمعوا شملهم في انتظام. وفي هذا الشأن يقول لهم : "أما الحروب ففي أثناء العمل ياتيكم من يدبرون شؤونها بمنتهى الدقة ويخوضون غمارها ويقتحمون أخطارها بلاءً وابتلاءً إن دعت الضرورة لها..." وإذا أتيح للقارئ أن يطلع على المنشورين المذكورين في نصهما الكامل فسيقف على أن أحمد الجبلي كان سباقاً لنشر الوعي السياسي الذي عرفته

الحواضر الكبرى ليعم العالم القروي الذي كان في أشد الحاجة إلى التأطير السياسي. فهذا الرجل جمع بين العلم والدعوة إلى الجهاد نظرياً وعملياً والإلمام بالأوضاع الداخلية والعالمية وبكل أسف لم يجد أذاناً صاغية.

ولما تمكنت جيوش الاحتلال من السيطرة على نواحي سوس في ذي القعدة سنة 1352 ؛ خشي الجبلي على نفسه فغادر البلدة متجها نحو أزغار ثم مدرسة إغبالان عند الأستاذ الحاج مسعود الوقفاوي فأخذ عنه ما تيسر من العلوم وبعدها انتقل إلى الحواضر، ويبدو أنه توفي بعد سنة 1962 / 1382.

م. المختار السوسي، المعول، 11 : 331.

الجبلي، أحمد بن محمد الكنكسي، الأغزاوي الأصل، المكناسي النشأة والدار، فقيه مشارك، ماهر في التوقيت والتعديل وعارف بالنحو والفقه، من تلامذة الشيخ محمد ابن حلام والشيخ حمدون ابن الحاج السلمي، وقد اشتغل بالتوقيت بكل من جامع سعيد المشناني بمكناس وجامع مولاي إدريس بزوهون كما ساهم في التأليف وإن كان إنتاجه لا يتجاوز كتابين اثنين هما :

- النفحات الوردية والمطيبات الطبيعية في تاريخ مكناس الزيتون المولوية وهو كتاب في التاريخ غير عام.
- روض الورد والزهر في مولد المصطفى خير البشر.
وقد وقف المؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان على هذا المؤلف الأخير وتحدث عنه في كتابه الإتحاف وأورد فقرة من مقدمته تعكس محبة الجبلي للجناب النبوي الشريف.
ع. ابن زيدان، الإتحاف، 1 : 364 ؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع ؛ دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 1 : 63.

محمد ماگانام

الجبلي العيدوني، أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب العلمي حسيماً أوردته بنفسه في مذكراته التي قال فيها إن أصل أسرته من بني عروس، وأن جده عبد الله انتقل إلى الرباط سنة 1173 / 1759 حيث ولد فيها ابنه محمد والد أحمد المترجم.

كان أحمد الجبلي العيدوني ضمن البعثة الطلابية الموجهة إلى إيطاليا أوائل القرن الرابع عشر (19 م). ولما عاد إلى المغرب سنة 1314 / 1896 انخرط في الأسلاك العسكرية حتى سنة 1320 / 1902 فقدم استقالته.

زودني ابنه الدكتور أحمد الجبلي العيدوني (وهو سمي أبيه) بصورة من المذكرة المشتملة على تفاصيل حياته وتعلمه بالخارج. قال فيها إنه ولد بالرباط يوم 13 صفر عام 1283 / 27 يونيو 1866، وأنه خرج من طنجة يوم 8 ربيع الأول عام 1305 / 24 نونبر 1887 على متن الجوالة الإيطالية "غاريبالدي" فوصلت إلى جنوة يوم 27 منه. ثم التحق

بالمعهد الدولي الإيطالي بمدينة طورينو حيث تلقى تعليماً أساسياً هو وجماعة من المغاربة. وفي أكتوبر سنة 1891 التحق بمدرسة تكوين ضباط المشاة بمدينة مودينا. وفي أكتوبر من السنة التالية 1892 نجح في مباراة الدخول إلى الأكاديمية العسكرية لضباط المدفعية بمدينة طورينو. وفي 22 محرم عام 1313 / 15 يوليوز 1895 تخرج منها ضابطاً ثم أكمل تدريبه العسكري بمراكز بإيطاليا.

ولما عاد إلى المغرب بعد غيبة دامت نحواً من تسع سنوات وظف في الجهاز العسكري وشارك في الحملات المخزنية بالشاوية وتادلة (1897)، وأنجز مهمتين طوبوغرافيتين، وخريطة للمغرب. وفي سنة 1900 توجه إلى ألمانيا بوصفه رئيساً لوفد عسكري زار معامل كروب ومعه أمين الصائر أحمد مدينة وثلاثة من رفاقه السابقين بإيطاليا وهم محمد بن عمر العباري الحرزي الرباطي ومحمد التدلوي الرباطي ومحمد بن الوزاع الرباطي. وفي سنة 1901 كان عضواً في اللجنة المغربية الفرنسية لتخطيط الحدود بين الجزائر والمغرب برئاسة محمد الجباص. لكنه في سنة 1902 قدم استقالته من الجيش، ووصله السلطان بجرابة صغيرة وزوده برسالة تسمح له بأن يفتح بالرباط مدرسة لتعليم الرياضيات واللغات الأجنبية لأولاد المدينة، غير أنه وجد معارضة من لدن قاضي البلد، بسبب التعصب كما قال.

كان أحمد الجبلي العيدوني متزوجاً بامرأة نبيلة من روسيا أنجبت له ثلاثة أطفال : محمد الذي سيصبح محامياً بمراكش ثم سيموت، والأخيران أحدهما هو الدكتور أحمد الذي أفادني بأن أباه لما استقال من الجيش أخذ يشتغل في الحقل الزراعي، وأنه كان من مثقفي عصره ومن الواعين. ولذلك قبض عليه وسجن في قضية الظهير البربري سنة 1930. وكانت له مواقف ضد غلاة الاستعمار، فكان يحاول التعبير عنها.

توفي بالرباط يوم 21 شعبان عام 1355 / 6 نونبر 1936 م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، 4 : 1357 ؛ مذكورة مع ولده الدكتور أحمد الجبلي ؛ الوثائق الملكية.

Les mémoires d'Ahmed Jebli, texte intégral in Bouchara, "Al-Itiha", Tome IV.

مصطفى بوشعراء.

الجبلي، محمد بن الهاشمي الحمري الفقيه العلامة المشارك المدرس الخبير الدين، من أشياخ السلطان الحسن الأول. وجهه هذا الأخير إلى بلد أحمّر من قبيلة عبدة للتدريس به، فقام بما طُلب منه إلى أن أدركته الشيخة هناك عام 1300 / 1882.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 377.

محمد حمري

3 - وجود مدرج دائري الشكل، فريد النوع، شرق رأس الصيادين، يدير ظهره إلى الجبهة، يشبه فوهة بركان مفتوحة نحو الشمال، محاطة بسفوح شبه عمودية، تملؤها مياه البحر.

4 - يظهر الشريط الساحلي شكلاً خطياً منتظماً (فيما عدا رأس الصيادين) وهو صخري في مجمله، يمتاز بالوعورة والانحدارات القوية (>35°) كما يفسح المجال لشواطئ ممتدة رملية وحصوية في الشرق وفي الغرب.

5 - اقترن اسمها بحادث تكتوني كبير، ساير التطور الجيودينامي للبحر المتوسط الغربي منذ نشأته :

يوجد ساحل الجبهة ضمن تكوينات الوحدة الموريتانية أو الماسلية (كريتاسي) أي بين هضبة بقوة الكلسية والريف الداخلي الذي يناسب كتلة بني بوزرع المؤلفة من بريديتيت وصخور أولية يغلفها ويحيط بها غطاء رسوبي من الزمن الثاني (غمارة). وهي عبارة عن فرشاة الفريش أو الفليش التي تناسب إرسابات فستاتية توضع في منخفض عميق على هامش صفيحة البرهان وذلك على امتداد الكريتاسي، والزمن الثالث (Wildi, 1983). وقد ساهم حادث "الجبهة - الشرافات" إلى جانب حادث "نكور" الذي ير شرق الحسيمة بكيفية فعالة في بناء السلسلة الريفية (Piqué, 1995). فقد أدى حادث الجبهة الميسر إلى انزلاق الجزء الريفية - البيتيقي لصفحة البرهان في اتجاه الجنوب الغربي وذلك على امتداد الزمن الثاني والزمن الثالث ؛ وكان من نتائج ذلك زحف وحدات النطاق الداخلي فوق فرشة تزين. ولازال دور هذا الحادث محوريا في أغلب الحركات الزلزالية التي يتعرض لها النطاق الريفية (Asebriy, 1994 ; Cherkaoui, 1991 ; Asebriy, 1994 ; Michard, 1976).

يخترق الشريط الساحلي تكوينات جيولوجية، تشرف مباشرة على البحر، أحيانا بمئات الأمتار (600 م إلى 400م)، فيما تنعدم مخلفات الزمن الرابع القارية والبحرية نتيجة استمرار مفعول الانتهاض الذي عرفته جبال الريف ؛ ويقتصر الإرساب الحديث على قعر واد وريجة والشاطئ الذي يقترن بتوضعات رملية وحصوية. فالساحل الرملي عند مصب واد وريجة يستمر شرقا بمحاذاة الطريق الساحلي على مسافة 4 كلم حتى الجبهة، بينما تشرف عليه من الجهتين اليمنى واليسرى سفوح بمئات الأمتار ؛ (زمانة 500 م وتاوسات 800 م). وهي شواطئ تمثل مجال استقبال وصيداً سياحياً كبيرين.

يمتاز مناخ الجبهة بكونه متوسطياً ثقل فيه التساقطات (350 مم كمعدل سنوي) ويغلب عليه الفصل الجاف لأسباب عدة منها :

- اعتراض الظهر الكلسي والسلسلة البتيقية لجل الاضطرابات المحيطية الغربية.

- انعدام العلو بحكم موقع المدينة على البحر.

الجبهة، مدينة شاطئية صغيرة تابعة لإقليم الشاون تتوسط الساحل الريفية المطل على البحر المتوسط عند تلاقي الاحداثيات الجغرافية 4°40' طولاً و35°13' عرضاً، كما توجد في مقدمة منطقة غمارة غرب رأس الصيادين ؛ ورغم كونها تتوسط المسافة بين تطوان والحسيمة فقد ظل سبيل الوصول إلى الجبهة، حتى منتصف الثمانينات، مقتصرأ إما على الطريق الثلاثية رقم 8500 التي تصلها بالطريق رقم 39 على مسافة 60 كلم، أو على البحر.

انفتحت الجبهة إلى جانب بادس وقلعة طريس والنكور وسبتة ومليلية على البحر المتوسط لتمارس التجارة وتراقب مجالاً بحرياً ظل، لقرون عديدة، مصدر تهديد للأساطيل الرومانية وبعدها الصليبية الإسبانية، فتوفقت لذلك مرات وفشلت مرات أخرى.

يرتبط موقع مدينة الجبهة بمجموعة من القبائل الغمارية تحيط بها (بني جميل، مسطاسة، متبوة، بني رزين، بني سميح، بني جرير، بني منصور، بني خالد...) ؛ ويعنف الاتصال بين القارة والبحر ويتغير السحنات الجيولوجية وقوة مفعول البناء الصخري ونوعية الأشكال المرفولوجية، وتعدد مظاهر الإثارة لدى زائرها من خلال عدة معطيات إضافية (شكل 1) :



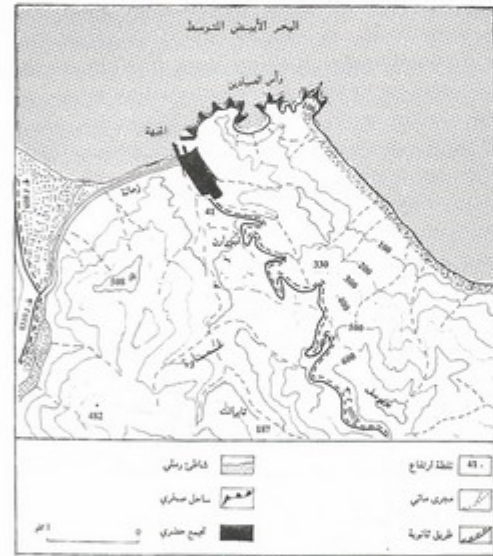
الجبهة سنة 1939

1 - تزايد الارتفاعات نحو الداخل بشكل سريع ولاقت للنظر بحيث تنتقل من 400 م فوق السفوح المشرفة على البحر إلى أزيد من 1000 م على بعد بضعة كلمترات من الشاطئ (جبل حمدون 1003 م، إقروشن 1069 م).

2 - موضعها عند قدم جرف كبير يمتد من الشرق نحو الغرب بهيأة حرف "س" يشرف عليها وعلى البحر بعشرات الأمتار (رأس الصيادين).

- تأثير ضعيف لضغوط غرب المتوسط المرتبطة بمنخفض البليار على السواحل الريفية.

وانضاف لهذه السلبيات المناخية ما تعرض له الغطاء النباتي خلف الجبهة من اجتثاث ممنهج خلال القرن العشرين (سياسة الأرض المحروقة من طرف الإسبان أثناء حرب الريف، حرائق مفتعلة لتفادي العمليات الفدائية في الخمسينات، تحايل السكان من أجل تملك الأرض في الربع الأخير من القرن العشرين). وبذلك تحولت كل السفوح إلى أراض عراء، وهو ما يشكل خطورة قصوى على استقرار الأتربة والأنشطة الحضرية. وبالنظر إلى الفراغ النباتي المتزايد نتيجة أوضاع طبعية وبشرية متدهورة، يعرف الجريان المائي تصريفاً أنياً يؤدي أحياناً إلى احتمال وقوع مخاطر طبيعية ذات مخلفات كارثية من جراء قوة انحدار السفوح وعدم نفاذية الصخور وعنف التعرية التي تهدد الطرق والمنشآت.



مستقبل الجبهة في فك عزلتها : تسجل الكثافة السكانية حوالي الجبهة أدنى مستوياتها في جبال الريف، ومرد ذلك لأسباب منها :

- سيادة المناخ شبه الجاف
- قلة موارد المياه السطحية والباطنية (Thauvin, 1971)
- قوة انحدار السفوح، اجتثاث الغابة والافتقار للتربة
- هجرة السكان إلى خارج المنطقة بحسب مصادر العيش

- انعدام الطرق ووسائل النقل
- والواقع أن ارتباط الجبهة بتطوان (80 كلم) بواسطة الطريق الساحلي رقم 608 يعود إلى منتصف الثمانينات فقط، وبالطريق رقم 8310 التي تربطها بالطريق رقم 39 بين كتامة وباب برْد إلى أوائل التسعينات ؛ في حين يشهد الطريق المتقدم 8500 الذي ينزل رأساً من كتامة إهمالاً ملحوظاً استمر عشرات السنين.
ومن شأن إكمال جزء من الطريق الساحلية الذي يفصل

الجبهة عن بني جميل غرب بني بوفراح (حوالي 30 كلم) وربطه بالطريق رقم 610، تحقيق أحد أهم الإنجازات في الريف بعد طريق الوحدة. والتسيجة المنتظرة هي فك عزلة طالما عانى منها اقتصاد الساحل المتوسطي وساكنة الجبهة وجبال الريف بل واقتصاد المغرب كله.

ظلت الجبهة على امتداد القرن العشرين عبارة عن تجمع سكاني متواضع وهي حالياً مدينة صغيرة بها عدة مقومات حضرية خاصة بعد ربطها بالطريق الساحلية القادمة من واد لاو. يتمثل نشاطها فيما تقوم به جماعة الجبهة وجماعة بني سميح من مشاريع وهي قليلة، وفي الخدمات المرتبطة ببعض المصالح الإدارية ؛ بينما يختزل الميناء، أهم نشاط اقتصادي منتج إذ يجمع إنتاج الصيد البحري ويسوقه في المناطق المجاورة. ويبقى ساحل الجبهة مجالاً خصباً قابلاً للاستثمار وتوظيف الجهود واستقبال عناصر التهيئة والتعمير شريطة إعداد محكم.

ونشير أخيراً إلى أن موقع الجبهة على ساحل يتناز بالوعورة حال دونها وطرق المواصلات أواسط القرن العشرين، وقد اكتسبت مؤخراً أهمية متنامية من تحسن البنيات الأساسية على امتداد الواجهة البحرية للريف الأوسط خاصة الطرقية ومن انفتاحها على البحر المتوسط. وهي تتطلب عناية حقيقية بالجوانب البنية للسفوح المظلة على المدينة. بالمياه الإقليمية المتوسطية درماً لكل تلوث. وبمنطقة رأس الصيادين باعتبار أهمية الموقع الجيولوجية وأصالة الأنواع الإحيائية القارية والبحرية.

L. Asebriy, Evolution tectonique et métamorphique du Rif central : définition du domaine subrifain. Th. d'Etat, Univ. de Rabat, 1994, 284 p. ; T.E. Cherkaoui ; D. Hatzfeld, Evaluation de l'aléa sismique au Maroc. Tome Cong. Intern. de l'AIGI, Lisboa, pp. 2065 - 2073, 1994 ; G. Maurer, Les montagnes du Rif central, étude géomorphologique. Rabat, 1968, (Travaux de l'Institut Scientifique, série géologie et géographie physique, n° 14), p. 499 ; A. Michard, Eléments de géologie marocaine, Rabat 1976. Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc, n° 252) ; A. Piqué, Géologie du Maroc : les domaines régionaux et leur évolution structurale. Rabat, 1994, p. 284 ; J.P. Thauvin, Ressources en eau du Maroc: domaine du Rif et du Maroc central.; Rabat 1971, (Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc, n° 231), T. 1, p. 321 ; W. Wilh, La chaîne tello-rifaine ; structure, stratigraphie et évolution du trias au miocène. Rev. de Géol. Dyn. et de Géog. Phys., vol. 24, n° 3 (n° spécial), 1983

بوشني القلاح

الجبيلات ، سلسلة جبلية تمتد وسط البلاد من الغرب نحو الشرق، بكيفية مستطيلة وموازية لأطلس مراكشي. وهي وحدة تضاريسية متوسطة الامتداد. طولها حوالي 170 كلم. ويتراوح عرضها بين 7 و40 كلم. تقارب مساحتها 3800 كلم. يحدها شمالاً منخفض البحيرة - السراة السهلي وهضبة الكنتور، وجنوباً سهل الحوز المتد عند قدم

(783 م)، ثم جبل سغليف (944 م). معظم هذه الأعراف عبارة عن عوارض من الصخور المقاومة (الحث، المروة، الكلس) قوية الميل. وتفصل بينها منخفضات مشكلة في صخور هشة ترياسية (منخفض سيدي شيكر + منخفض زما) أو أولية شيسيتية خضراء عبارة عن سهول صخرية واسعة. وتصير هذه المنخفضات أكثر وضوحاً نحو الشرق. والطابع الأساسي للتضاريس هو التغاير والتقطع الشديد وكونها أبلاشية أولية مختلفة. تغوص غرباً تحت الغطاء الثانوي الجوراسوكريتاسي في حين تزداد ارتفاعاً وتعقيداً في اتجاه الشرق.

2.1 - الجبيلات الوسطي : مجال تتطور فيه ظاهرة الأعبلية والتحول الذي أصاب صخور الفلش النيوفيزي الخضراء السميكة جداً. وهكذا تلاحظ عند توجيهك إلى مراکش على عين الطريق الرئيسية رقم 7 الرابطة بينها والدار البيضاء النهاية الغربية لجلس أولاد واسلام الكرانيتي الذي يخترق صخور الفيزي الحاضنة التي تعرضت للالتواء العنيف والمعقد.

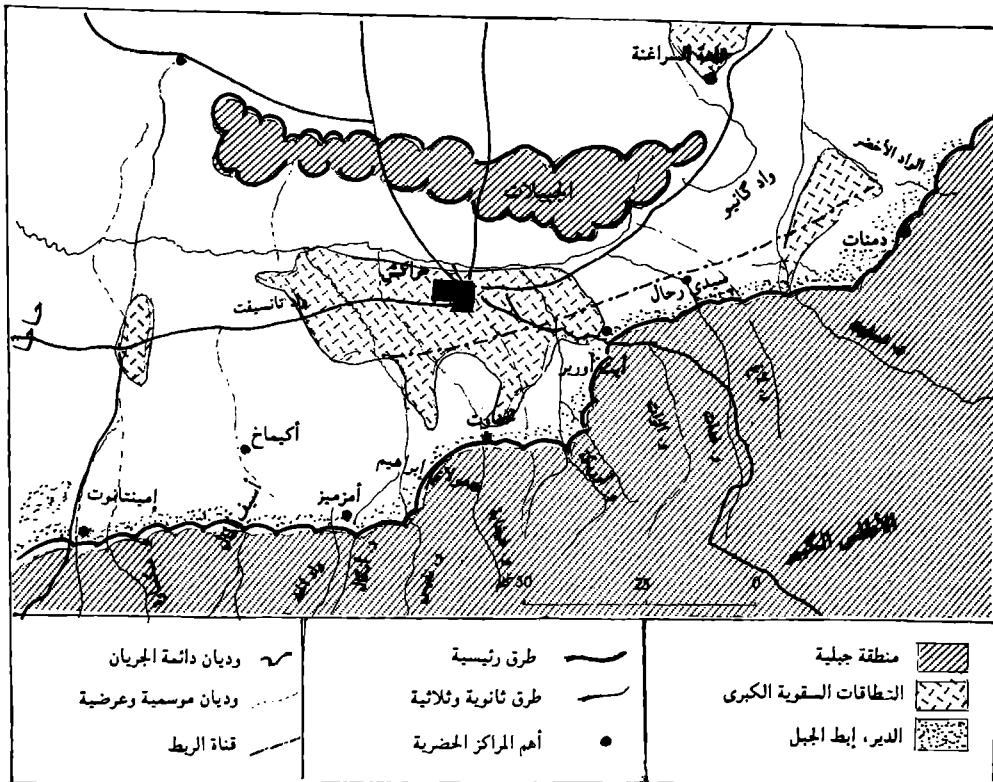
والتضاريس عبارة عن أعراف عالية وثقيلة تتخذ الاتجاه العام للسلسلة خاصة شرق الطريق. أهمها من الغرب نحو الشرق : جبل زق الطير (836 م)، جبل تكريم

الأطلس المراكشي. تحدها غرباً هضبة الميسات الكلسية وشرقاً النهاية الغربية لأطلس بني ملال. وعموماً فالجبيلات مجموعة من التلال الخطية أو المنعزلة المتواضعة الارتفاعات. تتخلل هذه التلال سهول وأحواض صخرية. والمجموع معرض للالتواء العنيف. وهي تضاريس غير متماثلة، بحيث توجد أعلى التلال شمالاً والتي تشرف على منخفض البحيرة - السراغنة بكيفية عنيقة، في حين تمتد الحادورات الطويلة التي تغوص تحت المواد الفتاتية لسهل الحوز جنوباً.

1 - التضاريس :

يسمح كل من الانتظام التضاريسي والامتداد الطولي والتكوين البنيوي بتقسيمها إلى ثلاث مناطق هي من الغرب نحو الشرق.

1.1 - الجبيلات الغربية : تتكون كلياً من رواسب النظام الكمبري، لكن في اتجاه الشرق تبرز مواد الأردوئيسي. وهي مواد سميكة جداً ومتناقضة صخارياً. وقد تطورت فيها تضاريس متواضعة جداً، إذ لا ترتفع إلا قليلاً عن سهل الحوز الغربي. وتتكون من أعراف خطية متوازية شمالية - جنوبية أهمها من الغرب نحو الشرق : جبل إغود، جبل غلاب (334 م)، جبل مونتكور (713 م)، جبل بوغادر



الجبيلات

(1061م)، جبل خروية (1022 م)، جبل سماحة (907 م). أهم ما يميز هذه الأعراف التحدب والانسطاح التي لقمها. كما تفصل فيما بينها منخفضات مختلفة الاتساع : شرق سيدي بوعثمان : المنخفضات واسعة والتضاريس مهواة، في حين نجدها شرق جبل تكريم تصبح ضيقة، عميقة وشبه مغلقة إذ لا تنفتح عن المنخفضات المجاورة للجيبيلات سوى بأقدام ضيقة. وهكذا تتخذ جيبيلات هذا الجزء مظهر تضاريس جبلية حقيقية.

3.1 - الجيبيلات الشرقية : تتكون أساساً من صخور الفيلش الفيزي التي تغطيها فرشاة أولية (كميروأردوقسية) نقيلة. وانطلاقاً من كديتي مولاي علي (747 م) والمنجل (693 م)، وبالضبط شرق ثغرة واد كانيو الذي يحفر مجراه بمحاذاة مدينة قلعة السراغنة، تتخذ التضاريس تنظيمياً مشابهاً لما نجد الجيبيلات الغربية : أعراف خطية موازية شمالية - جنوبية. وتتكون من صخور مقاومة (حش، مروة). تفصل بينها منخفضات مالحة أحياناً وتتخللها عروق صخرية تدعى صخوريات متواضعة الارتفاع. ويستمر هذا التنظيم حتى ثغرة وادي تساوت، حيث تقل الارتفاعات وتغوص الأعراف تحت الغطاء البرومترياسي. وهكذا نجد مرة أخرى تضاريس أبلاشية بالطرف الشرقي للجيبيلات.

2 - البيومناخ والثروات المائية :

1.2 - البيومناخ : تبدو الجيبيلات كمجال جاف إلى شبه جاف. وتجدر الإشارة إلى أنه لا توجد محطات مناخية بالسلسلة، بينما نجد بها بأطرافها. بالحاشية الشمالية تتناقص الأمطار نحو الشرق : الشماعية (241 ملم) بن جرير (222 ملم)، قلعة السراغنة (249 ملم). وترجع هذه الزيادة لعامل الارتفاع الذي يتمثل في الجيبيلات الشرقية - بالحاشية - الجنوبية : شيشاوة (175 ملم) مراكش (242 ملم).

ورغم تواضع التضاريس، فإن الجيبيلات تشكل حاجزاً يسمح بالزيادة سواء في الكمية العامة للأمطار أو في مدة التهاطل بالمقارنة مع المناطق المجاورة مباشرة. مثلاً الأمطار المرتبطة بالاضطرابات الشمالية تصل بين جرير 80 ملم، ويسد المجنون بقعر سهل البحيرة 60 ملم لترتفع، بالسفوح الشمالية للجيبيلات إلى 150 ملم على الأقل بالأعراف العليا. وبعد اجتياز القمم تتناقص في اتجاه تانسيفت إذ تصل إلى 490 ملم بمراكش، ويضاف إلى ذلك التساقطات الضبابية وأهمية السحب الطبقيّة التي تتسلق الأعراف. ويلاحظ تزايد في الأمطار كذلك من الغرب نحو الشرق. وترجع هذه الظاهرة المعاكسة للوضع العادي لعامل تزايد الارتفاع. وهكذا تنقسم الجيبيلات إلى منطقتين مطريتين مختلفتين حسب مخطط H. Delannoy المناخي : الجيبيلات الغربية من جهة والجيبيلات الوسطى والشرقية من جهة ثانية. في الأولى تتراوح الأمطار بين 200 و300 ملم، في

حين تفوق التهاطلات 300 ملم في الثانية، لكن دون أن تتعدى 400 ملم. ذلك أن الجيبيلات لا تشكل حاجزاً مسترسلاً ومتعامداً مع التيارات الشمالية سوى شمال وشمال شرق مراكش، في حين تتجزأ غرباً إلى أعراف خطية موازية لها. والخاصية العامة هي ضعف الأمطار وعدم انتظامها زمانياً ومجالياً.

ويقوي هذه النزعة نحو الجفاف الحرارة المفرطة خلال الفصل الساخن والتناقضات الحرارية اليومية والفصلية القوية، أضف إلى ذلك ارتفاع نسبة التبخر وتعرض المنطقة لهبوب رياح الشرقي خلال الصيف بالخصوص. ومن خلال رسم H. Delannoy، يظهر أن متوسط الحرارة الدنيا بالجيبيلات الغربية أقل من ثلاث درجات (°3)، في حين يتراوح متوسط الحرارة العليا بين 36° و38°. أما بالجيبيلات الوسطى والشرقية يتراوح متوسط الحرارة الدنيا بين 3° و6°. ومتوسط الحرارة العليا بين 38° و40°. وقد تتعدى الحرارة العليا القصوى 45°، والدنيا القصوى 3° كما هو الحال بمحطة قلعة السراغنة الموجودة بأحضان الجيبيلات الشرقية.

وتتجلى القحولة كذلك في نوع ومظهر الغطاء النباتي، بحيث يتكون من أصناف متدهوة متخلفة عن التشكيلية الذرية. وحسب R. Negre، يجب أن تسود غابة مفتوحة من العناصر التالية :

الأفاقيا أو السنط *Accacia gummiifera*، العصفية *Tetraclinis articulata*، مصحويين بالزيتون البري أو العُتم *Olea europea* (الزبوج)، والدوم *Chamaecrops humilis*. وحسب Emberger تسود بالمنطقة سهوب مفتوحة مكونة من السدر أو العناب *Ziziphus lotus*، والبطم *Pistacia atlantica* اللذين يميزان المستوى الجاف. كما نجد بعض العناصر النادرة جداً من نبات الخروب *Cerantonia siliqua* كما هو الحال بجبل خروية. كل هذه الأصناف تعرضت للتدهور، مما أدى إلى اختفائها (الدوم، العصفية، البطم) أو ندرتها الكبيرة (الزيتون البري، الخروب) أو الإفقار بفعل التدخل البشري (العناب السنط). وقد تسبب ذلك في إفقار وتدهور التربة وتعرية السطح على مجالات واسعة.

من الناحية الترايبية، نجد أساساً أترية هيكلية ضعيفة التطور بقعور الأودية وبالسفوح الخفيفة. أما السفوح الوعرة فتبدو مغسولة أو بها أترية حجرية فوق الصخور المقاومة أو تربة فوق الصخور الرخوة. كما نجد أترية ملحية خاصة بالجيبيلات الشرقية.

2.2 - الثروات المائية :

1.2.2 - المياه السطحية : رغم كثافة الشبكة المائية وأهميتها، فإن الجريان السطحي محدود. وهو عبارة عن وديان موسمية أثناء حدوث التهاطلات ولفترة وجيزة جداً على شكل امتطاحات عنيفة. وتتجه إما نحو حوض

تانسيقت جنوباً أو نحو منخفض البحيرة - السراغنة المغلق شمالاً. والمحور المائي الرئيسي الذي يعبر الجبيلات شرقاً هو واد تساوت، لكنه ينبع من الأطلس الكبير الأوسط.

2.2.2 - المياه الباطنية : بما أن الجبيلات مكونة من صخور أولية ضعيفة النفاذية، فإنها لا تحتوي على فرشات مائية عميقة أو سديمات مهمة. ومع ذلك هناك جريان باطني يستغل شبكة الشقوق والتصدعات ومناطق التفسخ والتكونات السطحية، وبذلك تخضع المذخرات المائية لكمية وأهمية تلك المكامن. ورغم الإمكانات المحدودة للمخزون المائي، فإنه ذو أهمية كبيرة لتزويد السكان والقطيع بالماء، وإقامة زراعة سقوية محدودة.

3 - الاستيطان ومراحل التعمير :

تستوطن الجبيلات قبائل عربية متنوعة من بني معقل أساساً. وقد عمرت المنطقة منذ عدة قرون.

1.3 - الجبيلات الغربية : تعمرها قبائل إداويلال جنوباً وأولاد دليم شمالاً، وأولاد يوسف وجزء من احمر غرباً. وهي صحراوية الأصل تنتمي إلى مجموعات أهل سوس. وقد استوطنت المنطقة في أواخر القرن العاشر (16 م)، حيث كانت تشكل قبائل الكيس السعديين.

2.3 - الجبيلات الوسطى : عمرتها قبائل عربية كذلك من أصل صحراوي من مجموعات أهل سوس. غرباً نجد جزءاً من أولاد دليم وحربيل. شرقاً يعمرها جزء من قبائل الرحامنة الجنوبية المعقدة التركيب : عريب عطاية، أولاد عبد الله، سلام، أولاد عقيل على طول الحاشية الجنوبية، البرابيش وجزء من بني حسان شرقاً. وهذه القبائل مجموعة قوية أتت أولاً إلى سهل الحوز مقتفية أثر السعديين منذ بداية القرن العاشر (16 م) بعد ما طردت هسكورة البربرية. ولقد تم طرد الرحامنة من الحوز وإجلاؤهم شمال تانسيفت من طرف الكيس في العهد العلوي الذي منعهم من مراعي دير الأطلس. واستمرت مقاومتهم لهذا الطرد قرنين ظلوا خلالها رعاة مسلحين. وابتداءً من سنة 1897 بدأ عهد جديد ونزوح نحو الاستقرار.

3.3 - الجبيلات الشرقية : يعمرها جزء من قبيلة أولاد سيدي رحال من جبل خروية غرباً إلى ثغرة واد غاينو شرقاً. وانطلاقاً من هذه الثغرة نجد قبائل سرغينية هي ادزور جنوباً وأولاد يعقوب وجزء من أهل الغابة الجنوبية شمالاً. وقد عمرت هذه القبائل المتعددة والمتباينة المنطقة في فترات مختلفة منذ بداية العصر الموحدوي مكان قبائل مصمودية وبعد صراعات مريرة معها.

4 - النظام الرعي الزراعي بالجبيلات :

الجبيلات مجال طابعه المميز هو الفلاحة، حيث يتنازع الرعي والزراعة، الخاضعان للظروف المناخية المكانية الأولى في الحياة الاقتصادية.

1.4 - النشاط الرعي أو "الكسب" : يُمارس هذا النشاط في معظمه بطريقة تقليدية وبكيفية واسعة. ورغم

أهمية الكسب، فإن القطيع يبقى متواضعاً ومعرضاً لأخطار الجفاف والأمراض وتقلص المراعي نتيجة امتداد المساحات المزروعة. ولعل للإرث التاريخي وزنه في ذلك :

بالنسبة لقبائل الجبيلات الغربية، الوسطى فقد أتت إلى المنطقة بنمط عيشها الذي كان يعتمد على الرعي (جمال، أغنام، خيول). لذا منذ مجيئهم لم يحتلوا المجال باستمرار ولا بكيفية دائمة، بل كانوا ينتقلون بين دير الأطلس ونهر أم الربيع بحثاً عن المراعي. ولم يساعد هذا النمط من العيش هذه القبائل على تطوير علاقتهم بالمجال. ومع بداية القرن العشرين وتطور الفلاحة تدريجياً، تقلصت المراعي، مما غير طريقة التعامل مع المجال وأدى إلى الاستقرار وممارسة الزراعة إلى جانب الرعي.

2.4 - النشاط الزراعي : الزراعة بالجبيلات زراعة احتمالية تعتمد أساساً على الأمطار، إذ معظم المجال عبارة عن أراضي بور. وهي كذلك زراعة معاشية تقليدية تركز أساساً على إنتاج الحبوب (الشعير، القمح الرطب، القمح الصلب) خاصة الشعير لأنه يتحمل الجفاف. وقد بدأ بعض الفلاحين حديثاً بزراعة الكمون. المدروية ضعيفة (5 قناطر في الهكتار)، يزيد من رداءتها ضعف التربة وذبذبة التهاتلات وعدم انتظامها، وألبنية العقارية (باستثناء مجال الرحامنة، معظم باقي الأراضي جماعية).

يمارس السكان كذلك الزراعة المسقية، لكنها محدودة جداً. ونجدها ببطن الأودية، حيث إمكانات وجود عيون ضعيفة الصبيب أو فرشة مائية محدودة تغذي الآبار. كما نجدها على طول ثغرتي غاينو وواد تساوت بالجبيلات الشرقية حيث إمكانات السقي أهم. فواد غاينو يصرف جزءاً من مياه الحوز الشرقي. أما واد تساوت فيصرف جزءاً من مياه الأطلس التي ساعدت إلى تطوير لجنة على طول الثغرة. لكن أساليب الري تقليدية تعتمد على استعمال "أغرور" وجمع المياه في صهاريج لاستعمالها في ري بقع صغيرة عبارة عن أشربة خضراء متقطعة. كذلك استعمال أسلوب الساقية بثغرة غاينو ولجنة تساوت. وحديثاً بدأ بعض الفلاحين يستعملون محركات لضخ مياه الآبار، مما ساعد على ظهور مساحات خضراء خارج بطون الأودية وحيث يبدو الري ضرورة ملحة. وتهتم الزراعة المسقية بالمزروعات التالية : الحناء، الفصية، البصل، البقول، بعض الخضروات وبعض الأشجار المثمرة في مقدمتها الزيتون.

5 - الثروات والصناعات المعدنية :

تعتبر الجبيلات منطقة متعددة المعادن، إذ تضم رواسبها ثروات معدنية متنوعة، لكنها عبارة عن مكامن على شكل عدسات طويلة أو ركازات أو تركيزات محلية.

1.5 - الجبيلات الغربية : نجد من الغرب نحو الشرق : مكامن عدسية ممتدة بقاعدة الجوراسي الأعلى من الرصاص والنحاس.

- الكلس المتعدن (الباريتين) بجبل إغود.

G. Beaudet, G. Maurer et J. Martin, *Remarques sur quelques facteurs de l'érosion des sols*. R.G.M., N° 6, 1964 ; P. Baudy, *Economie forestière Nord-Africaine : Description forestière du Maroc*. Paris, 1958 ; H. Delannoy, *Aspects du climat de Marrakech et de sa région*. R.G.M., N° 20, Rabat, 1971 ; J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous*, Tours 1941 ; P. Huvelin, *Mouvements pré-atlasiques et récents dans les Jbilet et sur leur pourtour*, Rabat 1973. (Notes et Mémoires du Service Géologique, Maroc, T. 33, N° 249) ; Carte géologique et géologique des Jbilet au 1/200.000 : Etude géologique et géologique du massif hercynien des Jbilet (Maroc central), Rabat 1977 (Notes et Mémoires du Service Géologique, N° 232 bis) ; J. Martin (et al...) *Géographie du Maroc*, Paris ; A. Michard, *Éléments de géologie marocaine*, Rabat 1972, (Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc, N° 252).

محمد زروال

الجُحْرَة، أسرة تطوانية قديمة مازالت موجودة أواخر القرن الهجري الثالث عشر. كانت تعرف بابن عبُو ثم غلب عليها لقب الجُحْرَة - بضم الجيم وسكون الحاء وفتح الراء - وتطلق الجُحْرَة في الدارجة على وعاء خزفي مخطط الداخل بخطوط محفورة تُحك فيها أوراق التبغ ثم يغريل مسحوقة ويضاف رماد فيطلع منه (طابا) التي تستنشق. عرف من المتأخرين من هذه العائلة المعلم الحاج أحمد الجُحْرَة الدباغ حرفة توفي عن ولده المعلم عبد القادر الجُحْرَة الخراز حرفة، وهو والد الأستاذ الصحفي السيد مُحَمَّد الجُحْرَة مدير مجلة الأنيس الثقافية الفنية التي صدرت بتطوان خلال عقود من السنين.

م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج، نسخة المؤلف بخطه بمكتبته بتطوان.

محمد بوخبزة

الجُحْموم - حسب النطق الدارج في المغرب - أو الشَّحور في اللسان العربي الفصيح، جنس طير من رتبة الجواثيم Passeri formes ومن فصيلة الدَج Turdidac. يسمى علمياً توردوس مرُولا Turdus merula ويدعى بالفرنسية Merle noir وبالإنجليزية Blackbird وبالإسبانية Mirlo وبالإيطالية Merlo.

وهو طائر أسود اللون، حسن الصوت يسمى بالشحور لسواد لونه. ومادة شحر تعني السواد، وتدلل مادة جحوم أيضاً على اللون الشديد السواد.

يبلغ طول الكبار خمسة وعشرين سم، وبسطة الجناحين 38 سم. يتراوح وزنه ما بين سبعين ومائة وعشرين غرام. تتميز الذكور بربش شديد السواد ويمتاز بأصفر قوي ويعين محاطتين بالأصفر. وربش الإناث بني داكن قليل السواد، أما المنقار فهو بني.

- ركازات متعددة من البارييتين بالرواسب الكمبروأردوفايسية، من سلفور النحاس والحديد برواسب الأردوفايسية (الدراج لكحل)، ركازات أوكسدات من البيريت Pyrite والمانينيتيت Magnetite (أولاد احميدة)، ثم ركازات متعددة من الرصاص، الزنك، النحاس، الكوبالت، النيكل بمنطقة بوغادر.

- عدسات سلفورية نحاسية حديدية كثيلة بقطارة.

25. الجبيلات الوسطى : نجد من الغرب نحو الشرق :

- ركازات متعددة من الرصاص والزنك بجبل سغليف برواسب الفيزي الأعلى.

- مكانن متعددة مرتبطة بالجلس الكرانيتي بأولاد واسلام وهي :

- ركازات قصديرية (بتابوشانت). فضية (بالكدية الحمراء، ويروك بلان) نحاسية (بالجبل الحيمر)، أُعبلية غليظة (سيدي بوعثمان).

- الكرافيت أو الأُسْرَب بالكلس المتحول (فراگ الماء جنوب سيدي بوعثمان).

- مكانن حديدية بالمنطقة المنحدرة (بجبل تكريم).

35. الجبيلات الشرقية : ركازات نحاسية جنوب جبل سماحة وبجبل ادزور

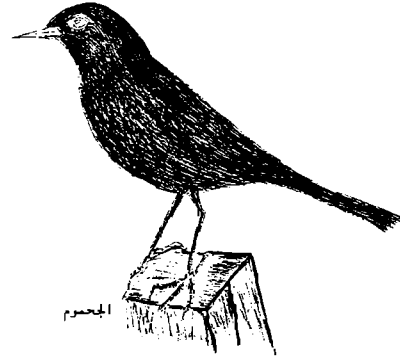
وتدل هذه الثروة المعدنية على أن الجبيلات عرفت نشاطاً منجمياً مكثفاً في السنوات الماضية القريبة خاصة بناحية سيدي بوعثمان وقطارة. لكن كل هذه المناجم مغلقة ومتوقفة ماعدا منجم الميكاسيدي بوعثمان لأنها غير منتجة اقتصادياً (تكلفة أكبر من سعر السوق العالمي).

6 - آفاق التنمية : بالتفكير في مشاريع هيدروفلاحة واستغلال الثروات الطبيعية، يمكن تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالجبيلات التي تمثل حالياً مجال طرد بشري.

من الناحية الهيدروفلاحة تم انجاز سدين صغيرين (تليين) لأهداف زراعية أو لتوفير مياه الشرب للقطيع وهما : سد نزالة العزري بالجبيلات الغربية، وسد الرويش بالجبيلات الشرقية. لكن مثل هذه المشاريع لازالت محدودة جداً نظراً لصعوبة المسالك ووعورة التضاريس. لذا تم التفكير في نهج أسلوب بناء سلسلة من السدود المتواضعة على طول المجرى الواحد بهدف الدفع من مخزون السدود القديمة (مشروع قدر بـ 150 مليون درهم). وبما أن المنطقة فلاحية، يمكن التفكير في مشاريع لتصنيع الإنتاج الحيواني وتحسين المراعي عن طريق تعويض زراعة الحبوب بزراعة الكلال والشجيرات الرعوية على غرار مشروع التنمية واستغلال الأراضي الرعوية بالرحامنة الشمالية.

من الناحية المنجمية، هناك تشجيعات لرخص البحث والتنقيب عن المعادن والرفع من الإنتاجية. وبما أن الجبيلات تضم أحجاراً رخامية ومواد بناء متنوعة، يجب كذلك تشجيع البحث وتعدد الحملات الاستكشافية لمكانن هذه المواد.

يحب الحمامون الانعزال وكثيراً ما يعيش مزدوجاً في الأدغال والغابات والوديان الكثيرة الأشجار، ومع مرور الزمن تأقلم مع الإنسان وأخذ يعيش في البساتين والحدائق المنزلية سواء في المدن أو في القرى وهو طائر كثير الانتشار في المغرب.



تتمد مرحلة التوالد من شهر مارس إلى شهر يوليو وغالباً ما تضع الأنثى البيض مرتين ونادراً أربع مرات في السنة. تلد من 3 إلى 5 بيضات و9 بيضات نادراً، لونها أخضر يميل إلى الأزرق منقطة بالأسود والأحمر. وزن كل بيضة من 6 إلى 9 غرام ويبلغ طولها 29,4 × 21,7 ملم.

إنه طائر شديد التستر يبني عشه في أماكن خفية يصعب العثور عليها وسط الأدغال والغابات الكثيفة الأشجار. توضع الأعشاش على الأشجار وتصنع من الأعشاب اليابسة وقطع الأغصان المخلوطة بالتراب المبلل. يفرش الوكر من الداخل بأوراق الأشجار اليابسة ويقليل من ريش الطيور. تلد الأنثى بيضة كل 48 ساعة وتدوم مدة الحضانه من 11 إلى 17 يوماً يقوم الزوج خلالها بالحراسة وبعد تفقيس البيض يقدم الزوجان الطعام إلى الصغار مدة أسبوعين أو ثلاثة ريثما تصبح الفراخ قادرة على الطيران.

يتغذى الشحرور من الديدان والحبوب والفواكه كالتين والعناب، وكثيراً ما يصاد في البوادي من طرف الأطفال. أمين المعلوم، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement d'oiseaux d'eau au Maroc. 1986, 1987 et 1988.*, Rabat, 1988. (Doc. Inst. Sci. 11) ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids - Reproduction, œufs et jeunes.* Paris 1968, p. 260 - 261 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs.* Paris 1977, 430 p. ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe With North Africa and Middle East.* London, 1984, p. 256 - 257.

محمد رمضاني

الجدرتي، الهاشمي بن قدور المراكشي. كاتب فاضل صدوق خير دين، من كبار ولاية المخزن بالجنوب، كان له الإشراف على أمناء بلاد حاحة.

توفي ليلة الأحد 29 قعدة عام 1303 / 29 غشت 1889. م. الصديقي، إيقاظ السريرة، 125 : ع. ابن سوادة إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 8 : 2766.

محمد حجي

الجدرتي، مرض معد وفتاك، عرفته الإنسانية منذ القديم، يصيب جميع الأعمار لكنه أكثر ما يصيب الأطفال. يتميز هذا الوباء على الخصوص بظهور الطفح الجلدي على شكل حبيبات صغيرة، تكبر وتتحول إلى فقاقيع قيحية. وهناك وصف قيم عنه للطبيب العربي أبي بكر الرازي (865. 925 م) وهو أول من ميز بينه وبين الحصبة. انتشر هذا المرض تدريجياً من مصر في مجموع حوض البحر المتوسط، وغالباً ما كان ضمن الأوبئة التي اجتاحت بلدان المغرب الكبير والتي نعتها المؤرخون عادة بالطاعون. بيد أننا نجد الإشارة إليه عند المؤرخين المغاربة، كابن عذاري وابن خلدون، وعند ليون الإفريقي، وهم يذكرون بالخصوص الأوبئة التي اجتاحت إفريقيا في السنوات : 830 ؛ 843 ؛ 881 ؛ 915 ؛ 923 ؛ 929 ؛ 1004 ؛ 1076.

ظل الجدري يندلع في المغرب في السنوات اللاحقة في دورات، تختلف المدة الفاصلة بين كل منها بين أربع وتسع سنوات. وفي القرن الثاني عشر (18 م) ألفت الطبيب والشاعر المغربي عبد الوهاب أدراق منظومة عنه بعنوان : *هز السمهري فيمن نفى عيب الجدري.* إلا أن الأدبيات المغربية لم تزودنا عنه، عموماً سوى بإشارات مقتضبة لاتساعد على تتبع زحفه أو تحديد خسائره البشرية. ولزم علينا انتظار حلول النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) لنجد تفاصيل من هذا النوع في التقارير التي تركها الأطباء الأجانب المستقرون في المراسي المغربية التجارية. ففي سنة 1284 / 1867 اتخذ الجدري شكلاً كاسحاً في مراكش إلى حد أنه لم يسلم من ضرره سوى العدد القليل. وتزامن ظهوره في عام 1294 / 1878 مع أزمة غذائية حادة وتفشي أوبئة فتاكة أخرى، كالكوليرا والتيفوئيد ؛ ومن 7 شتنبر إلى 16 أكتوبر فتك في الدار البيضاء بـ 987 شخصاً (منهم سبعة وستون يهودياً) جلهم من الأطفال (60٪) وخلف في الصورة مائتي ضحية (يوليو - غشت) وفي أسفي 500 ضحية (يوليو - شتنبر) وفي الأشهر الأخيرة من عام 1298 / 1882 اكتسح جل المدن، وفتك في الرباط خلال شهر واحد (دجنبر) بـ 250 شخصاً، وخلف خسائر كبيرة في مراكش ومكناس، قُدرت في المدينة الأولى بنحو 300 ضحية في اليوم. ولم تقض سوى سنوات معدودات حتى عاد إلى الظهور في العام 1305 / 1888، وبقي متفشياً في الدار البيضاء خمسة أشهر، مخلفاً بها 20 ضحية في اليوم جلهم من الأطفال. وتفشى من جديد في السنوات 1891 - 1893 بدءاً من

الصويرة حيث فتك خلال صولته بها بما تراوح بين 20 و30 ضحية في اليوم، ليبلغ مجموع ضحاياه بها في أبريل 1892 حوالي ألف وخمسمائة ضحية، أي ما يعادل 12٪ من سكان المدينة (10.000، 12.000 نسمة)؛ من الصويرة انتشر الوباء جنوباً في مراكش وسوس، وشمالاً في الدار البيضاء وطنجة؛ وفي نهاية 1892 وبداية 1893 كان ما يزال يخلف يومياً 6 ضحايا في أسفي و50 ضحية في تطوان. وقبل أن ينتهي القرن الثالث عشر (19 م) أحدثت خسائر كبيرة في مراكش إلى حد أنه فتك فيها بـ 2.500 طفل (صيف 1899).

ورغم الجهود التي بذلت في عهد الحماية الفرنسية لمحاربة هذا الوباء، فإنه ظل متركزاً في المدن بشكل مستمر، ففتك في ربيع 1913 بأبي الجعد (7 إلى 10 ضحايا في اليوم)، خلال سنة 1914 تجاوز عدد الحالات المسجلة 2.500 حالة بالنسبة لمجموع المنطقة الخاضعة للتنفيذ الفرنسي، وسجلت حالات أخرى في السنوات 1916، 1919، 1923، 1927 قبل أن يضرب الوباء بقوة من جديد في السنوات 1932 و1941 و1942. مع ذلك، كان عدد الموتى به يقل من وياء إلى آخر. فخلال 1932، أحصى 381 مريضاً في المستشفيات الرئيسية، توفي منهم ما يعادل نسبة 31٪؛ ومن يناير إلى شتنبر، أحصى 1354 مريضاً لم يهلك منهم سوى خمسين، أي ما يعادل 3,6٪ فقط.

أما التلقيح ضد المرض، فقد مارسه السكان بوسانئهم التقليدية منذ عهد بعيد. والتلقيح الحديث بدأ استعماله في المغرب منذ الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) بفضل الأطباء الأجانب. وخلال وياء سنة 1882 قام الطبيب الفرنسي لينارس (F. Linares) بتلقيح عدد من السكان المسلمين، خاصة من عائلة النائب السلطاني محمد برقاش. إلا أن الحملة لم تتعمم إلا في عهد الحماية. وكان معهد التلقيح بالرباط هو الذي يتولى في البداية مهمة توفير الحقن اللازمة، قبل أن يضطلع بها فيما بعد معهد باستور بالدار البيضاء. ومن 1914 إلى 1942 أجريت العديد من التلقيحات (17 مليوناً في ظرف 28 سنة).

وابتداءً من الأربعينيات من القرن العشرين شرع في إنجاز برنامج موسع يستهدف الحقن الجماعي للسكان في كل سنة، كما شرع في التاريخ نفسه في تلقيح المولودين الجدد. وقد توبعت هذه الجهود في عهد الاستقلال مما لعب دوراً حاسماً في السيطرة على المرض، بحيث إنه لم يعد مشكلة صحية تذكر.

م. الأمين اليزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب، الدار البيضاء، 1992.

G. Sicault, *Epidémiologie de la variole au Maroc*, Bull. de l'Inst. Hyg. du Maroc, Nouvelle série, T. II, 1942, Rabat, 1943.

محمد الأمين اليزاز

الجديدة - تاريخ - مدينة شهيرة جنوبي الدار البيضاء.

كانت تدعى مازغان ثم البريجة، ولما تحررت من الاستعمار البرتغالي على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1183 / 1769، بعد احتلال دام 267 سنة؛ قام البرتغاليون قبل ركوب البحر، بإحراق جميع الأثاث الذي لم يقدروا على حمله معهم وبإتلاف الأسلحة الخفيفة والمدافع والوثائق كما زرعوا الألغام في الحصون ودخل الأبواب الرئيسية كل واحد منها ما بين 40 و50 برميلاً من البارود، فانفجرت تلك الألغام أثناء دخول المغاربة إلى البريجة، وتهدمت الأسوار والأبراج، وأسفر الانفجار عن قتل أزيد من خمسة آلاف مغربي، هذا بالإضافة إلى البيوت والمخازن التي كانت المدافع المغربية قد خربتها أثناء الحصار، فخلفت تلك الانفجارات وذلك العدد الهائل من الضحايا أثراً سيئاً ورعباً كبيراً في نفوس سكان الناحية جعلهم يسمون البريجة بالمهدومة، مرددين هذه المقولة المنسوبة لسيدي عبد الرحمان المجذوب: "بَاتَ حَذَا دُومَةَ، لَأْتِيَاتُ فِي الْمَهْدُومَةَ!"

وظلت البريجة مخربة مهجورة، طيلة خمس وخمسين سنة، لا يجسر على دخولها إلا بعض المغامرين للبحث عن بعض الأثاث أو لنقل بعض الأبواب والنوافذ. ويقول شيني Chenier الذي زار البريجة سنة 1195 / 1781، أي بعد تخريبها باثنتي عشرة سنة: "توجد مدينة البريجة اليوم في حالة خراب تام، وهي خالية تقريباً من السكان، ولقد عمد الأهالي إلى انتزاع الأزواج البيوت وجوانبها، فأصبحت الجدران لا تتماسك إلا بأعجوبة. ولقد شاهدت بها في سنة 1781 اسقالة ألحقت بها القبائل بعض الأضرار، وهي جديرة بإثارة إعجاب السواح من حيث أناقة بنائها، ويتم التزول إليها بواسطة درج، وهي مضاءة إضاءة رائعة وقبعتها محمولة على 25 عموداً في غاية التنسيق".

ولاشك أن من بين أسباب الإهمال الذي ظلت تعاني منه البريجة تلك المدة الطويلة، المجاعة العظيمة التي اجتاحت المغرب من سنة 1190 إلى 1196 / 1776 - 1782 والتي اضطرت الناس أثنائها إلى أكل الجيفة وحتى لحم بني آدم. ثم الثورات التي كان مولاي هشام يقوم بها بمعونة أهل دكالة على السلطان سيدي محمد بن عبد الله والتي ظلت قائمة إلى عهد السلطان مولاي سليمان. غير أن هذا الأخير لم يعر هو الآخر أي اهتمام لإعادة بناء البريجة لأسباب يظن شرحها، فبقيت مهذومة تنتظر الإصلاح إلى عهد السلطان مولاي عبد الرحمان (1238 - 1276)، الذي عين ابن عمه محمد بن الطيب العلوي عاملاً على تامنا ودكالة. فقام هذا الأخير بإصلاح ما تهدم من البريجة، وحسب قول الناصري السلاوي فإن ذلك كان عام 1239 / 1824 م. وسماها بالجديدة وهدد كل من يسميها بالمهدومة بالعقاب الشديد.

ولا بد من التذكير هنا بأن أسوار البريجة كانت أيام

هذا العالم حوالي سنة 1830 ودفن بمقبرة من نخل أصيح يدعى بمقبرة سيدي أحمد مولى النخل".

ثم وفد على الجديدة سنة 1264 / 1848 أحمد بن إدريس التطواني فاستقر بها وصحب الفقيه الصوفي الكبير الحاج محمد بن دح. وكان ابن إدريس تاجراً مقتدراً، لكنه خسر في تجارته فاستخدم أميناً بديوانة مرسى الجديدة، وكان ديناً فاضلاً كثير الجود والكرم فجعل داره مأوى لأهل العلم يُدرّس بها البخاري ويرتل بها الطلبة القرآن الكريم بكرة وعشياً، زيادة عن اعتنائه بالزاوية المختارية بأزمور ويمدرستها وساهم في نشر موسيقى الآلة التي كان مولعاً بها، وكان له جوار يضرب العود في أوقات معلومة إلى أن توفي عام 1307 / 1890، ومازال أحد الاحياء العتيقة بالجديدة يعرف باسمه حتى الآن.

لم تلبث الطوائف الدينية أن بدأت تنتشر بالجديدة، وكانت أول زاوية بنيت بها هي الزاوية الدرقاوية التي قام بإنشائها من ماله الخاص السيد محمد الزوين العبيدي سنة 1281 / 1864 م والتي كان أول مقدم لها الحاج محمد بن الحاج يَسْف الدكالي الفرجي، ثم خلفه بعد وفاته سنة 1293 / 1876 الفقيه السيد محمد الشياظمي. وفي سنة 1316 / 1898، قام هذا الأخير ببناء زاوية درقاوية ثانية من ماله الخاص كان يتولى فيها تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية ورسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وحكم ابن عطاء الله، ويقدم للفقراء طعام العشاء كل يوم. وتوالى تأسيس الزوايا بالجديدة وأصبحت جل الطوائف الدينية ممثلة بها. وعرف الربع الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) علماء أجلاء نذكر منهم على سبيل المثال الفقيه

الاحتلال البرتغالي تدعمها خمسة حصون سموها : حصن القديس سيباستيان St. Sébastien من الشمال وحصن القديس مَلِك St. Ange من الشرق وحصن روح القُدُس St. Esprit من الجنوب وحصن الوالي Le Gouverneur من الجنوب الغربي وأخيراً حصن القديس انطوان St. Antoine من الغرب.

لم تُرمَّم هذه الحصون كلها باستثناء حصن الوالي الذي كان البرتغاليون قد عمدوا إلى هدمه بالمرّة اثناء إخلاتهم المدينة. أما الأسوار فإنها كانت ماتزال محتفظة بشكلها العتيق باستثناء السور الغربي المقابل لسوق المدينة والذي أعيد بناؤه ففقد كثيراً من أصالته. ومن أحسن الآثار التي خلفها البرتغاليون نذكر اسقالة الشهيرة التي لازالت قائمة إلى الآن.

وبعد أن تم ترميم أسوار المدينة وإصلاح بيوتها، انتدب السلطان مولاي عبد الرحمان لعمارتهما عدداً من سكان دكالة من مسلمين ويهود، بل وحتى من سكان سوس، فسكن بعضهم في المدينة العتيقة، وأنشأ الآخرون قرية من التوابل لإيوانهم.

ثم قام السلطان مولاي عبد الرحمان بانتداب عدد من العلماء والفقهاء لتأطير هؤلاء النزلاء البدو الذين لم يكن لهم إمام كبير بشؤون الدين والذين لم يعتادوا حياة المدن، فكان من أول من انتدب لهذه الغاية الفقيه الحاج أحمد بن صالح هو وينوه، وكان أستاذاً عالماً مجدداً في نشر القرآن والدين، فأخذ يطوف على الناس ويحسب إليهم الدين والصلاة ويبالغ في تأليفهم بالإطعام تارة وبالدرهم أخرى حتى انتشرت تعاليم القرآن بين أولئك بين النزلاء. توفي



المفتي محمد ابن الهيبه التريعي الذي أنشأ مدرسة علمية ظل يدرس بها ويطعم طلبتها نحواً من ثمان عشرة سنة، ثم خلفه واقتفى أثره ولده القاضي سعيد بن محمد بن الهيبه التريعي، والعلامة محمد الراقعي، والفقير الحاج أحمد بن الحاج العربي المديلي العُمري، العالم المشارك الذي كان يرجع إليه في النوازل الفقهية، والقاضي أبو شعيب المبخوت والحظيب القاضي محمد الريني والفقير القاضي السيد عمور بن الحاج الجليلي الكميبي الأزموري والفقير إدريس ابن المختار والحظيب السيد محمد الخطاب والفقير السيد أحمد الأزموري والفقير القاضي البجوجي وغيرهم.

وموازة مع الانبعاث العمراني والديني والفكري بالجديدة، انتعشت الحركة الاقتصادية وأخذ ميناء الجديدة يستقطب تجارة إقليم دكالة وعبدة، كما أنه أصبح أهم ميناء بالنسبة لمراكش، إذ أن هذه المدينة كانت تتلقى منه تقريباً جميع ما تستورده من السلع. أما مصدرات مراكش فكان يتقاسمها ميناء الصويرة وميناء الجديدة، فكان الأول يتولى ما تصدره من جلود الماعز والبقرة والغنم بينما كان ميناء الجديدة يتولى تصدير اللوز وشمع العسل والجوز والزيتون، إضافة إلى تصدير ما تنتجه دكالة وعبدة من ذرة وفول وحمص وزريعة الكتان وبشنة وكامون وحلبة وكزبرة، وأصواف وبيض إلى فرنسا وألمانيا وإنجلترا وإسبانيا.

وكانت دكالة مشهورة بكثرة إنتاج البيض، فأصبح ميناء الجديدة في أوائل القرن العشرين أكبر مصدر للبيض، فكانت تصدر منه كميات كبيرة إلى فرنسا (2.465.728 فرنك سنة 1915) و(7.153.696 فرنك سنة 1916) وإلى إنجلترا (981.689 فرنك سنة 1915) و(456.032 فرنك سنة 1916) وإلى إسبانيا (138.827 فرنك سنة 1915). ثم أصبحت فرنسا تحتكر خلال الحرب العالمية الأولى بيع دكالة بكامله، بحيث صار البيض يأتي في الدرجة الأولى من بين المواد المصدرة من ميناء الجديدة، وكان تجار البيض تقريباً كلهم من اليهود، فكانوا عندما يشترون البيض من أسواق دكالة يقومون بغرز الطري من المذّر ويسهرون على تلفيفه ووضعه في صناديق من الخشب يسع كل واحد منها 1440 بيضة، وكان التلفيف يتم في نشارة الخشب المستوردة من تريستا Trieste ومن بلاد السويد، حتى يصل البيض في حالة جيدة إلى أوروبا. وكانت تساعدهم على ذلك فرضة الميناء الهادئة التي كانت تمكن من شحن هذه السلعة على ظهر البواخر بالسرعة المطلوبة حتى لا يتبلل البيض فتتلفه الرطوبة. وهكذا ازدادت كمية البيض المصدرة من الجديدة أثناء الحرب فأصبحت تبلغ 55 مليون بيضة في السنة. واستمرت هذه التجارة مزدهرة سنوات عديدة إلى أن اختفت بعد الحرب العالمية الثانية.

كانت تحتكر تجارة الميناء شركات كبرى منها ست شركات إنجليزية وأربع شركات إسبانية وشركتان فرنسيتان وشركتان ألمانيتان وواحدة إيطالية بالإضافة إلى بعض

التجار اليهود المغاربة أو الذين قدموا من الجزائر. وكان لكل واحدة من هذه الشركات وكلاء قاطنون بمدينة مراكش، كما كان لها سمسرة وأعاون بمختلف قبائل دكالة وأسواقها لشراء الحبوب والأصواف والبيض لحساب تلك الشركات. ومما يدل على أهمية الحركة التجارية بالجديدة في ذلك العصر الرسالة التي بعثها السلطان مولاي الحسن سنة 1873 إلى أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس يخبره فيها بوصول وقر ميناء الجديدة، إذ أن هذا الميناء كان بالإضافة إلى ما يصدره من السلع، يستورد من أوروبا الأثواب ومواد البناء والسكر والشمع والصابون والادوية وغيرها.

وانتشرت في تلك الأثناء حركة البناء خارج أسوار المدينة العتيقة التي أصبحت تعرف بالملاح نظراً لإقامة ضعاف اليهود بها، فشيدت قيساريتان هما قيسارية التازي وقيسارية ولد ناهون، كما شيد كثير من الدور والمتاجر والمستودعات، وتوافدت على المدينة عائلات من فاس والرباط كعائلة المسفر والقادري والحلو والتازي والأوراوي والظاهري وغيرهم، بقصد تعاطي التجارة بالجديدة.

كان عدد سكان الجديدة سنة 1902 قد بلغ 15.000 نسمة منهم 3.500 يهودي و400 أجنبي جلهم إسبانيون أو منحدرين من جبل طارق غالبيتهم من الصناع. أما الفرنسيون فلم يكن عددهم يتعدى اثني عشر شخصاً. أكثرهم من اليهود الواردين من الجزائر، فقام أحدهم بمعونة زوجته بفتح أول مدرسة فرنسية مختلطة بالجديدة، أصبح يتردد عليها أبناء بعض تجار اليهود وأبناء الجالية الأوربية، كما أنشأت بعثة كاثوليكية إسبانية مؤسسة صغيرة لتعليم ابنائها.

وفي تلك الأثناء كانت المدينة تتوفر على طبييين أحدهما إسباني والآخر سويسري وعلى صيدلي واحد، كما أنشئ نادي أطلق عليه اسم "النادي الدولي" كانت تتردد عليه الجالية الأوربية.

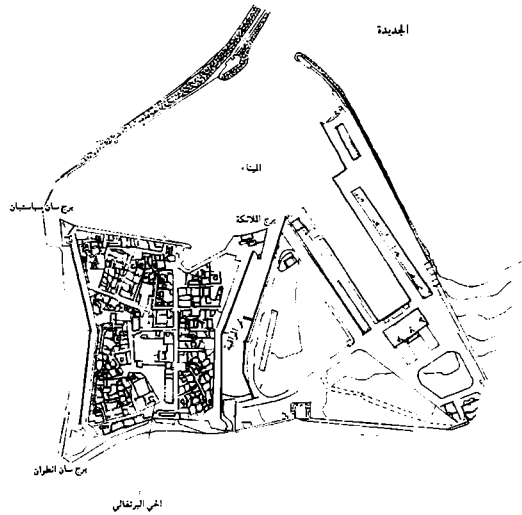
وكانت تربط ميناء الجديدة عدة خطوط بحرية بأوروبا منها اثنان مع فرنسا والجزائر وتونس، وثلاثة مع إنجلترا وواحد مع بلجيكا وواحد مع ألمانيا وواحد مع النمسا وواحد مع هولندا وآخر مع إسبانيا.

وكانت كل البلدان التي تتعامل معها الجديدة مثلة تقريباً بها على مستوى القنصليات.

وكانت توجد ثلاثة مراكز بريدية : فرنسي وألماني وإسباني ومن العمال الذين توالوا على مدينة الجديدة منذ عهد مولاي الحسن الأول فأشهرهم علال بن إبراهيم بن أضويو القاسمي والحاج محمد بن يحيى والحاج محمد بن المحمدونية مؤسس الجامع الكبير المسمى بالجامع البركاني وبعد فرض الحماية كان على رأس الجديدة سنة 1933 الباشا العربي بن محمد الجراري الذي تولى هذا المنصب بقتضى

سوسيو مهنية ذات تكوين يتجاوب ومتطلبات هذه الهياكل وتمثل هذه البنيات في مشاريع الاستثمار الصناعية الكبرى، بالإضافة إلى ما تستمدته المدينة من ظهورها الغني بفعل التجهيزات الهيدرولوجية وفلاحية وماتلعبه من دور في تنظيم المجال المحيط بها، إذ أخذت تقطع العلاقات التي كانت تربط المراكز المجاورة لها بمدينة الدار البيضاء، كسيدي بنور وخميس الزمامرة.

يضاف إلى هذا عامل رئيسي آخر ساهم بدوره في تطوير وتحسين المشهد الحضري للمدينة الذي أصبح يقدم الخدمات الإدارية. لقد أخذ التوسع الحضري الأفقي يمتد على مساحات عريضة تم تقسيمها وإعدادها في تجزئات تستجيب لضابطة تقسيم التهيئة وتتكامل مع إبراز إنتاج معماري أخذ يخرج من الهشاشة ويعتمد أطر مرجعية للخصوصيات المحلية انطلاقاً من الشرايين المتجهة نحو تحول الإطار المبنى الذي يخلف فيه الحديث القديم إذ أخذت



تتزاوج أشكال المعمار ذات الطابع المتميز كالحى البرتغالي والبنائيات الأوروبية والبناء العصري المستمد من المحيط البيئي، الأمر الذي يشكل ثلاثية معمارية تعبر بوضوح عن بنيات حضرية مستقلة في التاريخ ومتراتبة في نفس الوقت. عرفت عاصمة إقليم دكالة استقطاب بنيات أساسية ساهمت في جلب استثمارات مهمة تعمل على تنمية معطيات الإقليم المتوفرة، وتلعب دوراً رئيسياً في هيكلة المجال الحضري وتوسيعه ليشمل تجمعات سكنية أخرى تنضم إلى المدينة. ومن هنا كان تصور التصميم التوجيهي للتهيئة الذي رسم "الجديدة الكبرى" انطلاقاً من مدينة أزموور إلى الجرف الأصفر على طول الساحل، ويعمق ستة كيلومترات انطلاقاً من الشاطئ البحري بتوفر هذا المجال الذي جدده التصميم المديرى (دراسة 1983 التقرير النهائي) على مؤهلات اقتصادية ضخمة أخذت تبوؤ المرتبة الصناعية الثانية على الصعيد الوطني بعد الدار البيضاء تمتد المنطقة الصناعية بالجديدة على مساحة 117 هكتاراً

* * * يظهر مؤرخ في 29 يوليوز 1933، بينما ظل يساعده كخليفة له السيد عبد الله التباري الذي كان يشغل هذا المنصب منذ سنة 1904. ومن أشهر قضاة الجديدة في عهد الحماية أحمد سكيرج والعايد بن أحمد ابن سودة، ومحمد ابن عبد السلام السائح والبشير بن عبد الله الفاسي.

مدن وقبائل المغرب، ج 10، دكالة. تر. الشياطي (مخطوط)؛ م. الشياطي، حياة الفقيه المقدم سيدي محمد الشياطي (مخطوط)؛ م. الكانوني، جواهر الكمال؛ أبحاث ميدانية.

J. Goulven, *Le cercle des Doukkala*.

محمد الشياطي

* * * الجديدة - جغرافيا - شبه جزيرة متوغلة في المحيط الأطلسي. بعد تحريرها من الاحتلال البرتغالي أخذت تعرف حركة تنمية وواكبها توسع حضري ارتبط بمجموعة من المشاريع المختلفة والمتنوعة. تقع على أحد أهم الطرق المغربية الرئيسية (رقم 28) وهي الطريق الساحلية الرابطة بين الدار البيضاء وأكادير التي تتفرع عنها جنوب المدينة (في مستوى مدينة سيدي بنور - سيدي إسماعيل) الطريق الرئيسية رقم (9) المؤدية إلى مراكش.

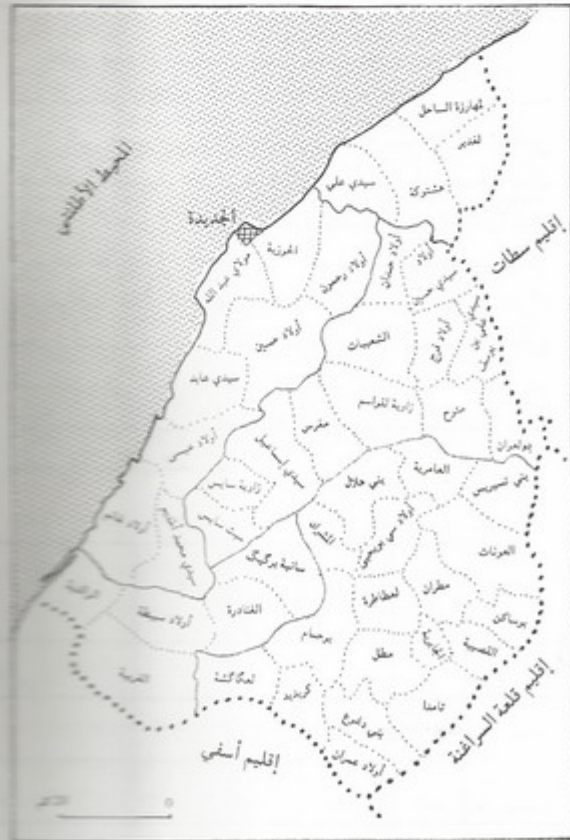
استمر الاهتمام بالجديدة لا سيما في عهد السلطان مولاي الحسن الأول الذي أمر بإدخال تعديلات عليها أخذت الجديدة تعرف أهمية اقتصادية، حيث ازدهرت بها التجارة بفعل نشاط الميناء ابتداء من سنة 1844 حتى بداية القرن العشرين جعل من المدينة العاصمة الجهوية والمركز التجاري الرئيسي لمناطق دكالة والرحامنة، وانتقل عدد السكان من 2.500 إلى 20.000 ما بين 1875 و1900 فازدهرت التجارة بالمدينة وأخذت تتسع خارج أسوار القلعة البرتغالية على شكل محلات ومراكز تجارية في عهد الاستعمار الفرنسي؛ بالإضافة إلى بعض المراكز الإدارية. إلا أن هذا التطور أخذ يعرف تراجع نشاط الميناء منذ الثلاثينات وذلك بسبب العوائق الطبيعية للميناء والمتمثلة في ضعف عمقه وتقلص أحواضه وهو الأمر الذي لم يسمح بتلبية الحاجيات الجديدة للبواخر، كما أن اختيار الدار البيضاء كأول ميناء بالملكة، ساهم بشكل كبير في ركود مدينة الجديدة الأمر الذي جعلها تتخلف عن مواكبة التطور الحضري إلى جانب مدن مغربية أخرى. في السنوات الأخيرة أخذت مدينة الجديدة تعرف نمواً مكثفاً لم يتوقف عن دفع حركة التطور العمراني الذي ساهم بشكل كبير في توسع المجال الحضري على شكل تصميم شعاعي نصف دائري حيث أصبح النسيج الحضري القديم (الحى البرتغالي، الرجيلة، حي القلعة...) يدفع بفئات سوسيو لوجية مهنية إلى الخارج نحو النسيج الحضري الحديث ويستقبل فئات أخرى قادمة من المناطق الريفية لدكالة وعبدة والرحامنة وغيرها. لقد ساهمت هياكل استقبال رئيسية في هذا التطور الحضري السريع، وتتجسد في بنياته الأساسية التي كثفت في الهجرة الحضرية لفئات

شريط ساحلي ضيق، عرضه بضعة كيلومترات، وتعني به الوجة التي توافق مسطحة بُرّي البحر التي ترجع إلى الزمان الوليحي، يحدها من الشرق جرف ميت، ولا يحسبها من المحيط إلا شريط كثبان يترك مياه البحر تكتسحها مُشكّلة بذلك بحيرات شاطئية : الوليدية، سبي موسى...

«السهل الداخلي» : وهو سهل رسوبي ارتبط بعمليات الإغران خلال الرباعي. شبه منبسط ينحني بشكل خفيف من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، وأهم المجاري المائية بهذا السهل موسمية تميز فيها بين وديان رئيسية : الفارغ وبوشان، وأخرى أقل أهمية : العوجة، السواقي، امطل غراندو ... ورسم هذه الأودية معقد، فيالي جانب السلان الحية المرتبطة بوجود انحدار كاف، هناك سلان ميتة تشكل سلسلة من المنخفضات المغلقة تقريبا.

وواد الفارغ هو الوحيد الذي له منفذ، يجري من الجنوب إلى الشمال ثم يميل نحو الشمال الشرقي، ليعب في نهر أم الربيع بسبب الأسر. أما الوديان الأخرى قياتها تتبته وسط السهل، الشيء الذي يؤدي إلى فترة الضايات في وسط السهل، الذي يشكل بذلك منخفضا مغلقا منحسبا، خصوصا، وأن كثبان الساحل تقف حاجزا أمام وصول الوديان إلى المحيط.

ذلك أنه بعد تراجع البحر البليوسيني تكونت الكثبان الساحلية، وأصبح السهل يستقبل مواداً قارية عبر محاور هيدروغرافية نازلة من الجنوب، من الرحامنة. وبموازاة



إقليم الجديدة

بها حالياً 61 وحدة صناعية نشيطة و58 وحدة في طور البناء) وتمتد منطقة الصناعات المرتبطة بالجرف الأصفر المرتقية على مساحة 160 هكتار ستسخر لتوظيف استثمارات صناعية لها صلة بحركة الرواج المينائي. إضافة إلى ذلك فإن الميناء المفتوح في وجه التجارة العالمية يعتبر الركيزة الأساسية على المستوى الوطني من حيث تجهيز الموانئ. وبجانب هذا الأخير ستساهم المحطة الحرارية في تدعيم وسائل إنتاج الطاقة الكهربائية كما سيساعد خط السكة الحديدية الذي يربط الجديدة والميناء بالتواصر على انفتاح المدينة ومنطقتها أكثر فأكثر على المناطق الأخرى.

هذا وتمتدع الجديدة الكبرى بمحيط ملائم يؤهلها لكي تصبح قطباً هاماً في ميدان السياحة.

اعلام ومآثر دكالة، دراسة تجزئت بمناسبة المهرجان الثقافي لدكالة، نيابة إقليم الجديدة، أبريل 1981، التصميم التوجيهي للتهيئة الحضرية للجديدة الكبرى، التقرير النهائي، 1983 : المندوبية الإقليمية للتجارة والصناعة بالجديدة، شتنبر 1995.

إدريس المرابط

يحتل إقليم الجديدة موقعا متميزاً وسط السهول والهضاب الأطلنطية بالمغرب الشمالي. وهو ينتمي إلى المنطقة الاقتصادية الوسطى، تحده الأقاليم التالية : من الشمال سطات، ومن الجنوب الشرقي قلعة السراغنة، ومن الجنوب أسفي ومن الغرب المحيط الأطلنطي. تأسس الإقليم سنة 1967 ومساحته تتجاوز 6000 كلم² يعني حوالي 0.85٪ من مساحة المغرب بينما وصل عدد سكانه خلال الإحصاء الأخير إلى 970.894 نسمة يعني أكثر من 3٪ من مجموع سكان المغرب.

يطابق إقليم الجديدة جغرافيا، الوحدة السهلية المعروفة بدكالة التي تنتمي إلى السهول والهضاب الأطلنطية الوسطى. وقد دأبت كل الدراسات المونوغرافية على ان تميز داخل منطقة دكالة بين ميدانين مختلفين :

«الساحل» : ويمتد بين أزور شمالا وأسفي جنوبا، على مسافة 150 كلم تقريبا، بعرض يتراوح ما بين 20 و50 كلم، وهو مجال كثبان متصلبة تمتد بموازاة ساحل المحيط الاطلنطي، مما يعيق تصريف السهل. ويمكن أن يميز في منطقة «الساحل» بين :

القسم الشمالي الشرقي : بين أم الربيع ومسطحات الجديدة، تكون فيه الغضون الكثبانية متحررة من الدقة، ومورفولوجية الكثبان منتظمة : تتوالى الأعراف على مسافات طويلة، مع الحفاظ على نفس الاتجاه : جنوب غربي جنوبي شمال شرقي شمالي، تفصل بينهما منخفضات بيكتيبية مغمورة بالدقة الرملية.

القسم الأوسط بين الجرف الأصفر ورأس بدوزة، يبدو على شكل تراصف لأعراف الكثبان بشكل مواز للساحل الأطلنطي على عرض 20 كلم تقريبا.

ويلاحظ أن تطور السكان والكثافة السكانية كان عاما وشمل جميع المجالات بما في ذلك الجماعات الموجودة بمنطقة "الساحل" التي لا توفر نفس الإمكانيات التي يوفرها السهل الداخلي، بل نجد كثافة بعض الجماعات القروية القريبة من مدينتي الجديدة وأزمور تفوق 180 نسمة / الكلم².

السهل الذي شهده السهل، كان "الساحل" يعرف انتهاضا، الشيء الذي أعطانا سهلا جيبسا في الداخل. ويمتاز السهل الداخلي - عكس "الساحل" - بأثرية متنوعة، مرتبطة بظروف عمر السهل خلال الزمن الرابع. هذا التنوع سُمح باستغلال أقصى مساحة ممكنة في الزراعة، وقد تصل نسبة استغلال الأراضي للزراعة إلى 90% في بعض المجالات.

غير أنه مقابل هذه التربة المتنوعة والجيدة، تعرف دكالة خصاها من حيث كميات التساقطات. وعلى قلتها (متوسط 350 ملم / السنة)، تتميز هذه التساقطات بعدم الانتظام من فصل إلى آخر ومن سنة إلى أخرى، الشيء الذي يجعل الإنتاج الفلاحي مرتبطا بكمية التساقطات. وما يزيد الطين بلة أن المنطقة لا تتوفر على مجاري مائية دائمة باستثناء نهر أم الربيع الذي يحادي المنطقة. غير أن المناطق المحادية لساحل المحيط تستفيد، علاوة على الرطبة الجوية، من التساقطات الخفية (ضباب، ندى ...) الشيء الذي يفسر تطور المقلات بالولجة. وعلى الرغم من هذه الظروف يتميز الإقليم، ومنذ الماضي، بكثافات سكانية مرتفعة، ما فتئت تتطور باضطراد منذ مطلع هذا القرن :

| السنوات | 1917 | 1936 | 1952 | 1960 | 1971 | 1982 | 1994 |
|-------------------------------|------|------|------|------|------|-------|-------|
| الكثافة (ن/كلم ²) | 32 | 62 | 64,8 | 81,6 | 89,5 | 127,2 | 161,8 |

تطور هذه الكثافات مرتبط بتزايد السكان، ذلك أن عدد السكان بالإقليم قد مر من حوالي 194 ألف نسمة سنة 1917 إلى حوالي 372 ألف نسمة سنة 1936، يعني تضاعفوا، تقريبا، خلال عشرين سنة. وقد بلغ عددهم خلال الإحصاء الأخير 970.894 نسمة وبذلك يكونون قد تضاعفوا 5 مرات ما بين 1917 و1994، رغم أن المنطقة عرفت نزيفا ديموغرافيا خلال الثلاثينيات والاربعينيات تجلّى في حركة هجرة كثيفة، الشيء الذي جعل من دكالة منطقة طرد للسكان وهي سمة مازالت تميزها لحد الآن، ونلاحظ ذلك من خلال مقارنة نسب تزايد سكان الإقليم مع متوسط تزايد مجموع السكان المغاربة.

| السنوات | 1960 | 1971 | % التزايد العام | 1982 | % التزايد العام | 1994 | % التزايد العام |
|--------------------|------------|------------|-----------------|------------|-----------------|------------|-----------------|
| مجموع سكان الإقليم | 489.637 | 590.923 | ٪17,14 | 766.198 | ٪22,87 | 970.894 | ٪21,08 |
| سكان الأرياف | 430.759 | 498.738 | ٪13,6 | 616.161 | ٪19,06 | 730.826 | ٪15,7 |
| مجموع سكان المغرب | 11.626.470 | 15.379.259 | ٪24,4 | 20.419.555 | ٪24,7 | 26.073.593 | ٪21,68 |

| الدائرة | الجماعة | عدد السكان سنة 1994 | الكثافة نسمة / كلم ² |
|-----------------|------------------------|---------------------|---------------------------------|
| أزمور | شتوكة | 26160 | 167,7 |
| | الحوزية | 23358 | 194,7 |
| | لغديرة | 15301 | 109,3 |
| | لمهارة الساحل | 15183 | 126,5 |
| | أولاد رحمون | 19415 | 138,7 |
| | سيدي عليين حمدوش | 24297 | 195,1 |
| الجديدة | مولاي عبد الله | 30926 | 192,4 |
| | أولاد عيسى | 18518 | 118,3 |
| | أولاد غان | 20889 | 122,8 |
| | أولاد حسانين | 25090 | 132,9 |
| | سيدي عابد | 16421 | 136,8 |
| | سيدي امحمد اخديم | 8945 | 59,3 |
| سيدي بنور | بني هلال | 16663 | 140,0 |
| | بني تيسيرس | 13734 | 124,9 |
| | بوحماني | 23401 | 146,0 |
| | الجابرية | 16159 | 179,5 |
| | خميس القصيبة | 6229 | 45,1 |
| | كدية بني دغوغة | 16603 | 108,5 |
| | كريديد | 11925 | 114,7 |
| | لعكاشة | 13343 | 149,9 |
| | العامرة | 12622 | 130,1 |
| | العونات | 18143 | 117,8 |
| | العطاطرة | 13105 | 102,4 |
| | المشرك | 13063 | 163,3 |
| | مطران | 11744 | 117,4 |
| | مظل | 10715 | 107,2 |
| | أولاد عمران | 11784 | 86,0 |
| | أولاد بوساكن | 8353 | 59,7 |
| أولاد سي بويحيى | 17636 | 137,8 | |
| تامدا | 9840 | 120 | |
| سيدي اسماعيل | بولعوان | 14154 | 141,5 |
| | الشعبيات | 10173 | 97,8 |
| | متوح | 25102 | 228,2 |
| | مغرس | 12436 | 91,4 |
| | أولاد حمدان | 14552 | 121,3 |
| | أولاد سيدي علي بن يوسف | 10618 | 101,1 |
| | أولاد الفرج | 14517 | 145,2 |
| سبت سايس | 9311 | 97,0 | |

. تطور بعض الصناعات المرتبطة بتكرير المنتجات الفلاحية : شمندر سكري، قطن، علف .. بالسهل الداخلي.

. تطور الوظائف ومناصب الشغل المرتبطة بالتسيير الفلاحي لقطاع دكالة المسقي.

ذلك انه بالإضافة إلى الفلاحة البعلية والتدجين الكثيف كمنشطين رئيسيين لمجمل السكان الريفيين بالأقاليم، تتطور الزراعة المسقية، خصوصا، بواسطة الري الكبير في السهل الداخلي. وقد استفادت دكالة من سياسة السدود بتجهيز قطاع سقوي، يمكن أن تصل مساحته على المستوى القريب والمتوسط إلى أكثر من 120 ألف هكتار.

ولاعداد قطاع دكالة المسقي كان لا بد من القيام بعدة تجهيزات أساسية، وهي :

. بناء سد ايمفوت خلال الفترة ما بين 1939 و1944 وكان الهدف منه، آنذاك، هو إنتاج الطاقة الكهربائية، يحفظ 85 مليون م³ من مياه نهر أم الربيع، غير أن مميزاته الأساسية وصعود حسابته، لم يؤخذ فيها بعين الاعتبار حاجيات السقي، وهذا هو السبب الذي جعل سقي دكالة يفرض بناء نفق.

. النفق المدفون Galerie tête morte : نتيجة انعراج مجرى أم الربيع، ونتيجة وعورة الأصواح التي تُقَطِّعها عدة أخاديد، فإن جلب المياه لسقي سهل دكالة، فرض بناء نفق مدفون، طوله 17 كلم وقطره 5.3 متر. وقد تم تشييده ما بين سنتي 1947 و1953.

. قنوات السقي : انطلاقا من سنة 1950 تم البدء في تشييد قناة رئيسية Canal principal bas service تمتد النفق المدفون طولها 128 كلم وصيبتها 36 مترا مكعبا في الثانية. وقد تم تشييد قناة وسطية Canal intermédiaire لسقي دائرة سيدي بنور التي توجد جنوب القناة الرئيسية، ومن تم في مستوى أعلى منها، والانحناء العام لسهل دكالة هو من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. ويبلغ طول هذه القناة الوسطية 25 كلم تُزود بالماء من القناة الرئيسية بواسطة محطة ضخ. وتتفرع عن القناتين المذكورتين مجموعة من القنوات الثانوية والثلاثية المحمولة، تتفرع عنها قنوات من التراب تصل حتى الحقول في الدوائر المسقية بالجاذبية.

. تشييد 13 محطة ضخ، منها محطة لضغط المياه لسقي الدوائر المجهزة بطريقة الرش وهي : بولعوان، الزمامرة، الغربية، وتوسيع اخرى : سيدي إسماعيل والفارغ.

وتصل المساحة المسقية، حاليا، بواسطة الري الكبير إلى 61.000 هكتار، وسيتمكن إنجاز الشطر الثاني من مشروع الاعداد الهيدرولوجيا لدكالة، والذي بدأ تجهيزه فعلا منذ 1992، إلى رفع المساحة المسقية إلى 125.000 هكتار، وهو ما يعني أكثر من 22٪ من المساحة الزراعية

| الدائرة | الجماعة | عدد السكان سنة 1994 | الكثافة نسمة / كلم ² |
|--------------|------------------------|---------------------|---------------------------------|
| سيدي إسماعيل | سيد حسين بن ع. الرحمان | 6984 | 60.7 |
| | سيدي إسماعيل | 22712 | 162.2 |
| | زاوية سايس | 9349 | 93.5 |
| | زاوية لقواسم | 10878 | 100.7 |
| الزمامرة | الغنادرة | 28031 | 210.7 |
| | الغربية | 23121 | 131.3 |
| | الواليدية | 13073 | 109.9 |
| | أولاد سبيطة | 20251 | 125.0 |
| | سانية بركيگ | 29116 | 173.3 |

في حين وصل عدد سكان المراكز الحضرية بالإقليم خلال الاحصاء الأخير إلى 240.068 نسمة، موزعين على 5 بلديات وعدة مراكز أخرى، يتطورون بوتيرة سريعة جدا تفوق نسبتها 50٪، رغم أنه وحتى بداية هذا القرن لم تكن دكالة تتوفر إلا على مدينتين هما الجديدة وأزمور، لم يكن يتعدى سكانهما 36.000 نسمة.

| السنة | 1960 | 1971 | 1982 | 1994 |
|----------------|-------|-------|-------|--------|
| البلديات | | | | |
| الجديدة | 40302 | 55501 | 81455 | 119083 |
| سيدي بنور | 5479 | 11140 | 23429 | 34225 |
| أزمور | 12449 | 17182 | 24774 | 32739 |
| بئر الجديد | | 2982 | 5359 | 10540 |
| الزمامرة | | 1464 | 4761 | 10310 |
| المراكز الأخرى | | | | |
| أحد أولاد افرج | - | 1267 | 3603 | 7731 |
| الواليدية | 648 | 865 | 2642 | 4414 |
| مولاي عبد الله | - | | - | 3806 |
| أربعا، العونات | | 443 | 1857 | 3434 |
| سيدي إسماعيل | | 1341 | 2157 | 3279 |
| سيدي بوزيد | | | | 483 |

ويعزى هذا التطور السريع للمراكز الحضرية بدكالة إلى مجموعة من العوامل يمكن إجمالها فيما يلي :

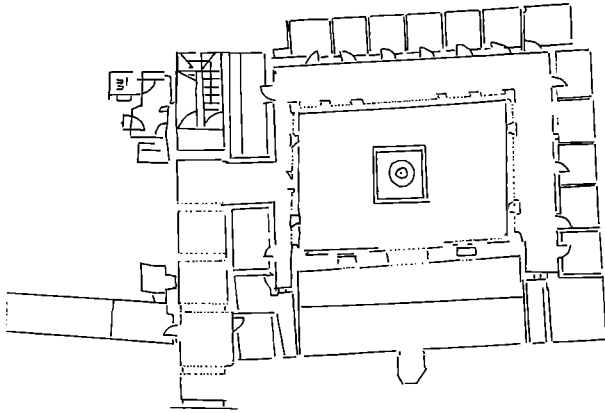
. التطور المشهود الذي تعرفه منطقة الجديدة الكبرى (الشريط الذي يربط بين أزمور والجرف) من حيث استقرار الأنشطة الاقتصادية التي تتمحور حول مشاريع المركبات الصناعية الكيماوية المرتبطة بالجرف الأصفر.

أفواس عظيمة أمام الباب ويساره وخلفه بها نقوش تعلوه
قبة جميلة هي قبة السوق وهي من مآثر المولى إسماعيل
بناها عام 1109 هـ / 1698-97.

وعلى جانبي الباب مصراعان فخمان مصفحان بقطع
منقوشة من النحاس الأصفر. ويسلك الباب إلى ممر متسع
يبلغ طوله ثلاثة عشر متراً وعرضه 2.4 م يعلوه سقف من
الخشب، وفي اتجاه الداخل مدارج تصعد إلى الطابق العلوي
من المدرسة.

تتكون المدرسة من قاعة للصلاة والدراسة، وغرف
لإيواء الطلبة، موزعة بين طابقين وميضأة.

ففي نهاية الممر المذكور إلى اليمين يواجه الداخل باباً
وسط سياج من الخشب المنقوش بأشكال هندسية غاية في
الدقة، وفوقه قنطرة من خشب نقش فيها: "العز والتمكين
والفتح المين لمولانا أبي الحسن أمير المسلمين" مكرراً في
كل القناطر الكبرى المحيطة بالصحن من ثلاث جهات.



المدرسة الجديدة

يفضي الباب إلى صحن كبير مستطيل الشكل
(11.40 م × 7.40 م)، أرضيته مكسوة بالزليج المدوَّب
والمزهري، وفي وسطه بركة ماء دائرية من المرمر الأبيض
يبلغ قطرها 1.80 م منتصبة داخل مربع (3 × 3 م) مغطى
بالزليج الملون.

وإلى يمين الصحن يوجد بيت الصلاة (قبة المدرسة) وهو
مستطيل الشكل (12.15 × 4.65 م)، ذو باب كبير يزين
أسفله من الجهتين زليج جميل غاية في التنسيق والتزويق
متوج بسورة الإخلاص من الجانبيين بالخط الكوفي، وفوق
الزليج نقوش في غاية الدقة والجمال فوقها مقربصات
تتصل في الأعلى على شكل قوس (2.20 م) تحيط به آيات
قرآنية، وعن يمين الباب ويساره بابان صغيران جميلان
تعلوهما نقوش دقيقة.

ويتوسط جدار القبلة محراب تزهو جدرانه بنقوش
وزخارف جيسية، وعن يمينه ويساره صورة محرابين مكتوب
فيهما أبيات شعرية تشير إلى المؤسس وتاريخ التأسيس.

بالاقليم. غير أن الثقل الديموغرافي والاستقرار المبكر
للسكان والتملك الفردي للأراضي وتجريتها يطرح عدة
عوائق أمام عصرنة الأرياف بدكالة، مما يدفع بالفلاحين إلى
النزعة نحو التخصص في التدجين، وخصوصاً، الأبقار.

إ. خياطي، تحول البيات الفلاحية في القطاعات المسقية، نظام
الأكارة في سهل دكالة المسقي، د. د. ع. جغرافية، الرباط 1988 :
(غير منشور)، مديرية الاحصاء، السكان القانونيون حسب
الإحصاء العام للسكان والسكنى، الرباط، 1960-1971-1982.
1994.

M. Ayad, L'organisation de l'espace rural dans le
plateau d'El Jadida et le Sahel d'Azemmour : Etude de
géographie rurale cartographique. Th. 3ème cycle, Rabat
1982 : R. Fosset, Société rurale et organisation de
l'espace : Les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen :
Chaouia. Doukkala. Abda. Th. Doctorat, Montpellier III,
1979 : Pression démographique et système de culture
dans les plaines atlantiques nord-occidentales in La
Grande Encyclopédie du Maroc : Géographie humaine,
Rabat., 1987.

إسماعيل خياطي

الجديدة (المدرسة -) مكناس ثالث مدرسة مرينية

بهذه المدينة، تقع بقبة السوق (العطارين سابقاً) بجوار
الجامع الكبير، وتشتهر - خطأً - باسم البوعنانية نسبة إلى
السلطان أبي عنان المريني والحال أنها من إنشاء والده أبي
الحسن (731-752 هـ / 1331-1351 م)، فقد ورد اسم
مؤسسها وتاريخ تأسيسها منقوشاً في خشب (قناطير)
صحن المدرسة، وداخل مصلاها على اللوحة الرخامية
لأوقافها، وفي القطعة الشعرية التي تطوق محرابها.

وروى محمد ابن غازي عن والده (الروض الهتون،
ص. 37) أن أبا الحسن قدّم للنظر علي بنائها قاضيه علي
مكناس عبد الله بن أبي الغمر، وأنه لما أخبر بتمام بنائها
جاء إليها ليراه، فقعده على كرسي من كراسي الروض
حول صهريجها، وحيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة
فيها ففرغها في الصهريج قبل أن يطالع فيها وأنشد :
لابأس بالغالي إذا قيل حسنٌ ليس لما قرئت به العينُ ثَمَنٌ
وقد نسب الحسن الوزان (وصف إفريقيا، ص. 179)
هذا البيت غلطاً لأبي عنان المريني وعنه نقل الكثيرون هذا
الخطأ.

ووقف أبو الحسن على المدرسة الجديدة عدداً من
العقارات المختلفة داخل مدينة مكناس وخارجها للإتفاق
على أساتذتها وطلبتها وقومتها، سجلت كلها في رخامة
التحبيس التي تعلو الجدار الواقع بين الداخل لمصلاها. وهي
أجمل مدارس مكناس المرينية وأحسنها نقشا، ذات باب
مرنوق تعلوه قنطرة من خشب بها تزويق وكتابات بخط
أنيق، وعن يمين الباب ويساره صورة محرابين من جبس بهما
تخريم وتعلوهما نقوش ذات أشكال مختلفة منقوشة في
الجبس. وعن يمين الواقف أمام الباب ويساره وخلفه ثلاثة

ويغطي بيت الصلاة سقف من الخشب المنقوش تحت حزام من الجبس به نقوش ذات أشكال هندسية، وتحت الحزام صور محاريب من الجبس تحيط بالمصلى من جميع الجهات وتخللها من ناحية القبلة سبع شمسيات، وتعلو الجدار على اليمين رخامة التحبب.

وعلى يمين الخارج من بيت الصلاة وأمامه أروقة (ممرات) تنتظم فيها غرف لسكنى الطلبة، وقد توجت حيطانها من أعلى بنقوش جيسية ذات أشكال هندسية. ويفصل الأروقة عن الصحن سياج (شباك) من الخشب المنقوش نقشا دقيقاً منتظماً، وتخلل السياج وجدار بيت الصلاة أساطين (سوار) تحمل أقواساً من الخشب المزخرف بنقوش جميلة تعلوها آيات من القرآن الكريم وتزدان هاته الأساطين بالزليج من أسفلها وبالجبس المنقوش من أعلاها. وتتوج الزليج المحيط بالصحن من أسفل كتابات قرآنية منقوشة بخط مشرقى جميل. ومعلوم أن المدرسة تزخر بالآيات القرآنية التي لا يتسع المجال لكتابتها جميعها هنا. وتشرف على الصحن حلقة من الخشب المنقوش نقشا غاية في الروق وحسن الصنعة يحيط بها مظل يعلوه قرميد أخضر. أما الطابق العلوي من المدرسة فيشتمل على غرف لسكنى الطلبة ببعضها نوافذ منقوشة تشرف على الصحن.

وبجانب المدرج التي تسلم إلى الطابق العلوي ميضأة على جانب كبير من الاتساع يتوسطها صهريج مستطيل. ولاتتوفر المدرسة - كباقي المدارس المرينية بمكناس - على صومعة، وذلك لمحاذاتها للجامع الكبير.

ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ص. 372؛ ع، ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ص. 123؛ م. ابن غازي، الروض الهتون، 1988، ص. 37؛ الحريف الطيب، مساجد مكناس والإقليم، بحث لم ينشر، ص. 18، 21؛ م. المنوني، التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور، مجلة الثقافة المغربية، ع. 7، 1972، ص. 54، 53، 39. رقية بلعقد

جديرة (أسرة) ← كديرة

الجدزام، مرض مُعد قديم بالمغرب، وتعني كلمة الجدزام القطع. وفي كتاب الطب النبوي يورد ابن قيم الجوزية (القرن التاسع / 13 م) عدداً من الأحاديث النبوية للاحتراز من الجدزام مثل "فر من المجذوم" و"كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين". ثم يعطي تعريفاً للجدزام بقوله "علة رديئة تحدث من انتشار المرة السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهياتها وشكلها وربما فسد في آخره اتصالها حتى تتآكل الأعضاء وتسقط ويسمى داء الأسد، وفي هذه التسمية ثلاثة أقوال للأطباء :

أحدها : أنها لكثرة ما يعتري الأسد. والثاني : لأن هذه العلة تجهم وجه صاحبها وتجعله في سحنة الأسد. والثالث : أنه يفترس من يقربه أو يدنو منه بدائه، افتراس الأسد".

وعرّف جلال الدين السيوطي في الباب التاسع والأربعين بعد المائة من كتاب الرحمة، الجدّام بقوله : "يحد الصوت مع الغنة ويأكل لحم أطراف الأنف، ونحو لحم الأصابع، ويبس في الطبيعة وظهور الحر الردي". أما داود الانطاكي في تذكرة أولى الالباب فيعرفه تعريفاً أوسع بقوله "الجدّام من الجذم بمعنى القطع، سمي بذلك لأنه يقطع الأعضاء أو النسل أو العمر، ويعرف بداء الأسد لجعله سحنة الإنسان كسحنة الأسد أو لأنه يعتريه أو يفترس الين كافتراسه. وهو علة معدية موروثية ... وعلاماته يرت بياض العين محمراً، وهي أول ما يبدو حتى قبل إنتها تتقدمه بنحو سبع سنين. واستدارتها، وكمودة اللون واحمرار البدن والبول ثم اسودادهما، ثم العرق الكثير الملون ثم ننته، ثم تغير الصوت بالحشونة فالبحوحة فنتن النفس، فتقلص الأنف واستدارة الوجه، فتدرن البدن فتقيحه إن كان الجدّام مقرحاً، واعوجاج الاطراف ثم سقوطها".

والجدّام في التعريفات الحديثة مرض معروف من قديم الزمان يصيب جلد الإنسان وأعصابه وغالباً ما يتسبب في تشوهات وعاهات مستديمة.

سبب هذا المرض مكروب من نوع الباسيل يسمى باسيل هانسن Hansen نسبة إلى التروبيجي الذي اكتشف هذا المكروب في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر.

مصدر العدوى هو الإنسان المصاب، حيث تخرج الباسيلات مع إفرازات الإصابات الجلدية والمخاطية، فتتسرب تلك الباسيلات المعدية عند الاختلاط بالمجذوم مدة طويلة.

ويتجلى الجدّام بظهور بقع حمراء على جسم الإنسان وتنتشر على الاعضاء أي اليدين والرجلين، وهي بقع منعومة الحساسية. وقد يظهر المرض على شكل أورام وتجعدات وحببات مختلفة الاحجام وخاصة على الوجه حيث تسبب في بروزات على الجبين وعلى الخدين فيصبح وجه المريض من جراء ذلك اشبه بوجه الأسد.

ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الجدّام هي :
- داء الأسد لأنه يجعل وجه الانسان منتفخاً كوجه الأسد.

- داء الفيل لأن أعضاء الانسان تصبح يفعل تتأكل الأصابع شبيهة بأرجل الفيل.

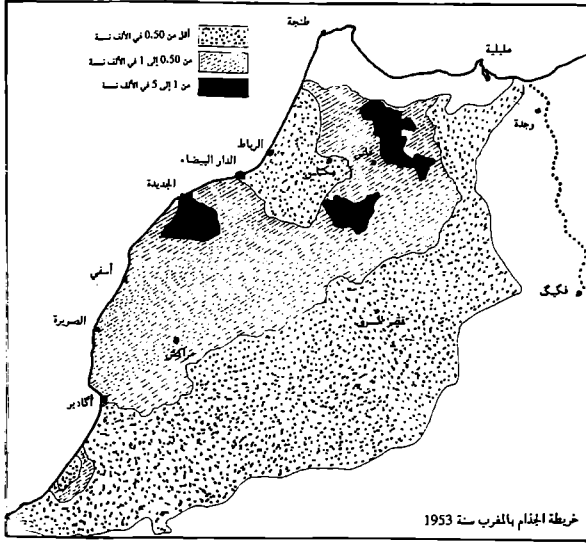
- داء السرطان حيث تصبح أعضاء الإنسان شبيهة بسرطان البحر.

وتكمن خطورة الجدّام في كون المريض يفقد حساسية الأطراف فتساقط إرباً إرباً بالتدرج.

وقد عرف المغرب الجدّام منذ عصور قديمة عبر أكتا

الجذمي ويعيشون فيه مع عائلاتهم، يسمى دوار سيدي أحمد الغول.

ومع توافد الأطباء وجيوش الاحتلال الفرنسيين على المغرب، بعد سنة 1912 كان الجذام وما يخلفه من تشوهات وعاهات، من بين الأمراض التي شددت إليها اهتمام الأطباء، فكثرت الدراسات حول الجذام حتى بلغ عدد ما كتب عنه من سنة 1914 إلى سنة 1954، تسعة وثمانين بحثاً، أحرز قصب السبق فيها ثلثة من جهابذة أطباء الحماية الفرنسية أمثال Colombani و Descrops و Dekester و Flye و Remlinger و Ste Marie.



بدأت أولى الدراسات حول الجذام سنة 1914 مستفيدة مما كانت تقدمه المجموعات الصحية المتنقلة في تقاريرها من أوصاف لحالات الجذام، فتمكن الطب الفرنسي بالمغرب من توسيع المعارف حول هذا الداء، والبحث في أعراضه وموصافاته وتطورات، واستقامت على أثر ذلك حصيلة مهمة من المعلومات عن هذا المرض المخيف، اجتمعت على أن الجذام بالمغرب يتميز بكل مميزات هذا الداء في مناطق أخرى وفي العصور الوسطى الأوروبية.

ويسبب خطورة هذا الداء، وما كان يعترى الناس من هلع إزاءه وتخوف من عدواه، فقد كان المصابون به ينتبذون من أهلهم وذويهم مكاناً قصياً، ويعيشون منعزلين في أماكن مزرية، بعيداً عن تجمع السكان، تسمى الحارات. يأتيهم رزقهم من الصدقات يطلبونها في "الكاعات" أثناء فترة درس الحبوب، أو في الأسواق والمواسم. كما كان المجذومون يرتدون لباساً خاصاً وطربوشاً من الدود، ويحملون نواقيس يقرعونها حتى يتحاشاهم المارة.

وتفيدنا الرواية الشفوية أن الجذمي كانوا يعزلون أحياناً خارج الدوار، ويتركون تحت خيمة في أسافل مجرى مائي. لا يسبب اغتسالهم منه أي خطر على الآخرين، وكانت جماعة الدوار تأتيهم بالأكل، حيث يضعه حامله على بعد بضعة أمتار من الخيمة، فيلتقطه أحد المجاذيم بعد أن

لا تملك معلومات مستفيضة عن أصله وبيداته، وإن كانت الدراسات التي أنجزها الفرنسيون عن هذا الداء خلال فترة الحماية تجعل أصوله بالمغرب مرتبطة بما تدفق على هذا البلد من هجرات، حيث يربط أصحاب هذه الدراسات انتشار الجذام وتوطنه بالمغرب بالهجرات الفينيقية والقرطاجنية واليهودية والعربية، مستندين في ذلك على ندرة الجذام لدى البربر، وتوطنه في المناطق التي استقرت بها الموجات البشرية التي أمت منطقة الساحل الشمالي للمغرب وسواحل المحيط الأطلسي.

وقل أن نجد لدى مؤرخينا وأخبارييننا حديثاً عن الجذام وعشيانه داخل المجتمع إلا ما كلن من بعض الإشارات القليلة المتفرقة. فصاحب روض القرطاس يورد في معرض حديثه عن أبي يوسف يعقوب المريني أنه أجرى الجرايات على الفقراء والمرضى والمجاذيم.

وتحدث الحسن الوزان في وصف إفريقيا أثناء وصفه لمدينة فاس وأرياضها، عن "ريض يسكنه المجذومون يحتوي على مائتي دار تقريباً... يقدم إلى هؤلاء المرضى كل ما هو ضروري بحيث لا يحتاجون إلى شيء، ويقوم رؤساؤهم بتخليص المدينة من كل مجذوم، ولهم السلطة لإخراج كل من رأوه مصاباً بهذا الداء من فاس وإسكانه بهذا الريض".

وإذا رجعنا إلى الرحالة والأطباء الذين زاروا المغرب نجد بين ثنايا مؤلفاتهم معلومات أغزر تفيدنا في التعرف على الجذام وحياة الجذمي وتوزيعهم الجغرافي فالدكتور ليباريد Leared يذكر في كتابه *Morocco and the Moors* أنه زار حارة الجذمي بمراكش في سنة 1875 ولاحظ أنه لم يكن يسمح لهم بدخول المدينة وأن العلاج الوحيد كان هو الاغتسال بماء سقاية سيدي بنور، وهو ولي يوجد قرب باب الحارة.

وتحدث الدكتور رينو Raynaud الذي قضى مدة بمحجر الصويرة، في كتابه حول الصحة والطب بالمغرب، الذي أصدره في سنة 1902، عن الجذام حيث ذكر بأن هذا الداء معروف منذ القديم بالمغرب، وقدم وصفاً مستفيضاً لأعراضه وعواقبه، وأعطى بعض المعلومات عن دواوير المجذومين في ضواحي مدينة الجديدة، وأورد بعض طرق علاج الجذام لدى السكان.

ولاحظ بعده الدكتور وينجيربر Weisgerber في سنة 1903، أن الجذام متوطن بالمغرب بينما قدم ماسينيون Massignon في كتابه الصادر سنة 1906 تحت عنوان: *المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر* معلومات عن حارة للمجدومين بفاس تضم 200 كانون يطلق عليها المارستان أو ريض المرضى، وقد أصبحت هذه الحارة في بداية القرن العشرين أثراً بعد عين، إلا ما كان من كهف يسمى كهف الغول، وهي تسمية يبدو أنها مرتبطة بما كان يلحق المجاذيم من تشوهات تجعل وجوههم أشبه بالاعوال. وإلى عهد قريب كان بفشتالة شمال فاس، دوار قديم يؤمه

| الأعمار | نسبة المصابين من العينة |
|------------------|-------------------------|
| من 10 إلى 15 سنة | 11٪ |
| من 15 إلى 20 سنة | 7.5٪ |
| من 20 إلى 30 سنة | 24٪ |
| من 30 إلى 40 سنة | 38٪ |
| من 40 إلى 50 سنة | 15٪ |
| من 50 إلى 60 سنة | 4.5٪ |

أما المنطقة الثانية أي جنوب دكالة، فقد تمكنا من التعرف على عشيان الجدّام بها اعتماداً على دراسة أنجزها أحد المراقبين المدنيين هو دومزير De Mazières سنة 1932، تناول فيها الجدّام بجنوب دكالة من خلال الطب العربي والرواية الشفوية. ومن أهم ما أفادته به هذه الدراسة أنها مكنت من التعرف على المجذّمات أو حارات الجدّمي بهذه المنطقة، وهي ثلاث :

أولاًها : تقع في قبيلة أولاد عمرو لغنادرة، على بعد عشرة كيلو مترات من خميس الزمامرة. وهي مزربة بالصبار، على مقربة من مجموعة من الآبار ذات المياه العذبة. تسمى حارة "بخليجة".

كانت هذه الحارة تمور بالنشاط زمن المولى سليمان، حيث كان الجدّمي يملكون يومئذ أراضي بزوعونها، ولايؤدون زكاة ولامكوسا، كما لم يكونوا يخضعون لأي نوع من السخرة. وكان عدد الجدّمي بها يقارب المائتين معظمهم من دكالة، وبعضهم من عبدة، والرحامنة وحمر والشاوية، غير أن الحارة أصبحت خلاء من أهلها في عهد مولاي عبد العزيز، وأضح في ثلاثينات هذا القرن عبارة عن رسوم عافيات.

الحارة الثانية وتسمى حارة "بخشني"، تقع على بعد خمسة كيلومترات شرق سيدي بنور قرب ضريح سيدي محمد العوني حيث يخصص جزء من المقبرة لدفن الموتى من المجذومين. ازدهرت هذه الحارة في عهد مولاي الحسن، ويبدو من آثارها، حسب دومزير DE Mazières أنها كانت كبيرة المساحة، محاطة بأحواش من الصبار، وتتوفر على خمسين بئراً من الماء العذب، بالإضافة إلى سوق كان يقام قريبا كل سبت. وفي السنوات التي تلت وفاة مولاي الحسن، تدهورت أحوال أهلها بعد أن صودرت أراضيها، واندثرت الحارة ومعها السوق، بعد أن تشتت من كان بها من الجدّمي، وانتهى أمرها مع توقيع الحماية.

الحارة الثالثة هي حارة أولاد عمران : يذكر دومزير De Mazières في دراسته أنه لاوجود لمعاليتها في الوقت الذي قام فيه بتحرياته حولها، أي في بداية الثلاثينات. غير أن قداماء القبيلة في ذلك الوقت كانوا يعرفون سكانها حيث يذكرون أنها كانت في الأول قرب سوق آريحا. أولاد عمران، ثم انتقلت إلى الضفة الأخرى لنهر بوشان عند سي

يكون الشخص الذي أتى به قد توارى. وقد بلغ وعي الناس بخطورة الجدّام وأثره على حياة المبتلى به إلى حد أنه إذا تشاجر اثنان أو تظلم شخص على شخص آخر دعا المظلوم على ظالمه بقوله : "الله يدريك للحارة" أو "الله يعطيك جدّام الحارة"، وإن كانت كلمة حارة لاتعني فقط ذلك المكان المزرّب الذي ينتبذ فيه المجذومون، بل إنها تشير في بعض مناطق المغرب إلي ما يفيد معنى سقر أو جهنم.

وسعياً وراء تخفيف ما يعانیه المصابون من جراء هذا الداء، حيث كانوا بالإضافة إلى ما هم فيه من العزل والنبذ يدفنون في زاوية منعزلة من المقبرة أو في مقبرة خاصة، وتوارى جثثهم التراب دون غسل، فإنهم دأبوا على ارتياد الأضرحة والأولياء طلباً لكشف الضر، وخاصة ضريح أبي العباس السبتي الذي كانوا يعتبرونه شيخهم وكاشف بلوهم والذي كانوا يرفعون دعواتهم لمن تصدق عليهم باسمه، حتى إن العامة كانوا يطلقون عليهم اسم "أولاد سيدي بلعباس". وإذا نظرنا إلى التوزيع الجغرافي للجدّام بالمغرب خلال فترة الحماية ألقينا بتوطن في متطقتين أساسيتين يفصل بينهما نهر سبو هما منطقة فاس وضواحيها الشمالية ومنطقة دكالة في قسمها الجنوبي.

بالنسبة للمنطقة الأولى : ترى معظم الدراسات التي أنجزت في هذا الباب وخاصة منها دراسة فلي سانت ماري Flye Ste Marie سنة 1933، أن الجدّام وصل إلى مدينة فاس بسبب الوافدين عليها من خدم ومرضى وحمالين وغيرهم، من القبائل المحيطة بها جهة الشمال، مثل بني سادن ولطة، ولحيانية، وأولاد جامع، وهي قبائل معروفة باحتضانها لعدد كبير من المجذومين.

وكانت مدينة فاس تقدم ظروفا مثالية لجلب المجذومين وذوي العاهات لتوفرها على ماء عذب لا يضر بحصف الجدّام ولايشير أية آلام في البقع المنتشرة على جلد المريض متى اغتسل به. ثم إن المدينة بضمها لكثير من مزارات الأولياء والأضرحة (مولاي إدريس سيدي علي بوغالب...) كانت محجا لعدد من الجدّمي ومقصداً لذوي العاهات حتى يتقربوا من أوليائها زلفى عسى أن يكشف ذلك ما يقض مضاجعهم من أضرار. هذا بالإضافة إلى وجود مدينة فاس على مقربة من حامة مولاي يعقوب، التي كان يؤمها الناس من أرجاء المغرب لعلاج كل الأمراض الجلدية.

وقد أسفرت دراسة فلي Flye المذكورة اعتماداً على عينة من حالة جدّام في شمال المغرب عن نتيجة مفادها أن أكبر نسبة من المصابين من العينة تتراوح أعمارهم ما بين 20 و40 سنة، كما يوضح ذلك الجدول التالي :

القوانين"، وينصح المريض بتلطيف الغذاء، والاقترار على مرق الفراريج برفيق خبز السميد، وما يليها من صفار الضأن، والدهن والسكر والزبيب بالفتق واللبن الحليب لمدة أسبوع، ثم يتحسى مرق الأفاعي ولحمها، وخاصة تلك التي تسلخ جلودها كل سنة.

وشاعت بين الناس وصفات أخرى مثل استعمال دم السحالف، وطبخ أوراق الدفلة، ونقيع العشب الرومية Salspareille بالإضافة إلى أكل لحم الضفادع، أول لحم الخمير، والجراد.

أما الطب العصري، الذي دخل مع الوافدين الأوربيين، فإنه يقترح علاجات تنطلق من تشخيص المرض، ومعرفة المكروب المسبب له وان كان عزل المجذوم عن أهله وعشيرته وجيرانه يبقى قاسما مشتركا بين الطب التقليدي والعصري.

وفي هذا الإطار أصدرت الجهات المختصة بالصحة في إدارة الحماية، على لسان أحد كبار الأطباء، هو جول كولباني J. Colombani مجموعة من الإجراءات الوقائية، قصد تطوير الجذام، والعمل على الحد من انتشاره والقضاء عليه. وتتمثل هذه الإجراءات في:

- اعتبار الجذام من الأمراض التي يجب الاعلان عنها اجباريا، أي أن على المصاب، وعلى أقاربه الاعلان بأنه مصاب بالجذام.

- احصاء الجذمي ومعرفة عدد المصابين. وقد سُخر لهذه المهمة بالإضافة إلى ممرضى المستوصفات والمجموعات الصحية المتنقلة، شيوخ الدواوير ومقدموها.

- عزل المصابين وجمعهم حول ولي من الأولياء، كما هو الشأن في سيدي بلغاسم قرب بن أحمد، وتمكينهم من أسباب العيش من الزراعة والرعي على الخصوص.

- حراسة تجمع الجذمي وفرض الإقامة الاجبارية عليهم في الأماكن المخصصة لهم، وتنقية لباسهم وسكناتهم والأواني التي يستعملونها.

- عزل الأطفال عن الكبار، وعزل الجذمي ذوي القروح المفتوحة والظاهرة، وخاصة قروح الأنف التي تنبعث منها المكروبات المسببة للجذام إلى الخارج.

- مباشرة علاج الجذمي.

وقد استعمل الطب الفرنسي في علاج الجذام بعض الأدوية التي كان المغاربة يستعملونها مثل العشب الرومية التي عالج بها الدكتور Rollier بعض الجذمي، وكان العلاج بهذه العشب، التي أثبتت فعاليتها، ولونسبيا، في مواجهة باسيل هانسن، يقتضي أن يداوم المريض ما بين 20 و40 يوما، تجدد النقيع المركز منها مع اتباع نظام محدد في التغذية.

دغوغ. كانت هذه الحارة تضم خمسين عائلة من المجاذيم، وكانت تسمى "الحارة" فقط ازدهرت كسابقاتها أيام مولاي الحسن، لكنها خلت من أهلها واندثرت مع اشتباب الحماية. ويمكن أن نلاحظ مع دومزير أن الحارات الثلاث في دكالة، كانت توجد قرب ثلاثة أسواق من أهم الأسواق بالمنطقة، الأمر الذي يتمكن معه المجذومون من ممارسة التسول كسبيل لجلب الرزق. كما أن الحارات الثلاث كانت كلها تتوفر على آبار ماؤها عذب فرات في منطقة معروفة بملوحة مياهها. مما يمكن المرضى من الاغتسال دون أن يضر ذلك بجلودهم.

وكما عدد الجذمي في المغرب غير مستقر، فحسب الاحصاءات التي كانت تقدمها أجهزة الصحة في عهد الحماية، فإن عدد الجذمي كان يتارجح ما بين 164 و800 مع أخذنا بعين الاعتبار أن عدداً كبيراً من الجذمي وخاصة في مراحل المرض الأولى، لم يكونوا يجسرون على الإعلان عن أنفسهم، مما قد يضخم العدد المذكور أو يزيد عليه قليلا. وهذه بعض الأرقام التي أوردتها بعض التقارير المتعلقة بأنشطة إدارة الصحة العمومية، وهي معطيات لاتعكس في رأينا حقيقة الأمور. إذ أنها لاتخص سوى المسجلين من مجذومي المدن، والواقع أن العدد الكبير من المصابين كان يعيش بالبادية

| السنوات | عدد الجذمي |
|---------|------------|
| 1925 | 302 |
| 1937 | 458 |
| 1939 | 326 |
| 1940 | 292 |
| 1941 | 268 |
| 1942 | 164 |
| 1943 | 160 |
| 1947 | 183 |
| 1952 | 800 |

كيف كان الجذمي يعالجون ؟ بالإضافة إلى انتباههم في الحارة أو قرب ولي من الأولياء المعروفين عند الناس بعلاج الجذام، أمثال سيدي بلعباس السبتي بمراكش، وسيدي مبارك بوگذرة شرق أسفي، ويومهيدي الغوتي بدكالة، وغيرهم، فإن المجذومين كانوا يستعملون بعض الوصفات العلاجية الواردة عند كل من السيوطي في كتاب الرحمة، والانتاكي في تذكرة أولى الأسباب، إذ يوصي الأول في الباب التاسع والأربعين والمائة، بطبخ الحرمل وأغصانه وأصله وأوراقه وما يوجد منه، بماه نظيف طاهر، ويجعل على رأس المريض.

ويوصى الثاني بالمبادرة بالفصد، ثم يقول : "فلقدبلونا علاج هذه العلة، فلا نسطر فيها إلا ما جُرب أو طابق

ح. الوزان، وصف أفريقيا : عثمان الكاديكي، الأمراض المعدية :
الرواية الشفوية.

Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc ; Maroc
Médical ; Etude sur l'Hygiène et la médecine au Maroc.
بوجمعة رويان

وفي عام 1960 تأسس المركز الوطني المختص بالجذام
(C.N.L.)، وشرع في السنة نفسها في قبول المجذومين في
المستشفيات، خاصة مستشفى عين الشق بالدار البيضاء.
ومن يناير 1950 إلى 31 دجنبر 1992 تم تسجيل 8000
مريض تقريباً، جلهم من البادية (76,60٪) يمثل الذكور
منهم نسبة (68,60٪)، وتزيد أعمار أغليبيتهم عن 15 سنة
(87,19٪).

بفضل الجهود التي بذلت منذ الخمسينات من القرن
العشرين لمحاربة الجذام، أخذت دائرة هذا الداء تضيق سنة
بعد أخرى إلى حد أن الخبراء يرون أن المغرب سيتخلص
نهائياً منه في عام 2000.

Ministère de la Santé Publique, Direction de
l'Epidémiologie et des Programmes Sanitaires.,
Guide-Lepre, Rabat, 1993.
محمد الأمين البزاز

الجذامي، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس من
مالقة وسرقسطة والمرية، انتقل بعض أفرادها إلى المغرب
منذ قرون واستوطن معظمهم المدينة الإدريسية.

الجذامي، أحمد بن محمد بن عبد الملك القرطبي
السبتي، عالم طبيب مشارك تلقى علومه بمسقط رأسه،
وأقام باشبيلية رداً من الزمان، وروى عن أبي محمد بن
عبيد الله وغيره قبل أن ينتقل إلى العدو المغربية.
وإلى جانب مهارة الجذامي في الطب، كان عالماً
بالحديث النبوي، صاحب ضبط وإتقان، ومشاركة في
الأدب. ومع ذلك فمعلوماتنا عنه قليلة، إذ لم يترجم له إلا
ابن الأبار في التكملة، وقد يكون خصه ابن عبد الملك
بترجمة فيما فقد من كتابه الذيل والتكملة لأنه كان
معاصراً له.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، القاهرة، تح. إبراهيم الابباري،
1983 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط (ج 2) 1974 : ع. العزيز
بنعبد الله، الموسوعة المغربية، المحمدية، (ج 2) 1975 : ع.
الوهاب ابن منصور، اعلام المغرب العربي (ج 4) الرباط 1986.
محمد المقرافي

الجذامي، علي بن عبد الله المالقني الفاسي الشيخ
الفقيه الراوية قاضي الجماعة بجزيرة الأندلس والخطيب بها
(جنى زهر الآس) تخرج علي يد كبار علماء الأندلس كعبد



الشخص قبل استعمال العشب الرومية

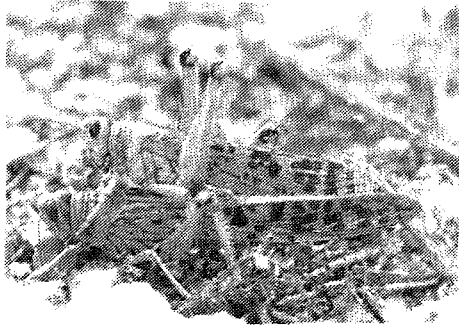


نفس الشخص بعد سبعة أشهر، باستعمال العشب الرومية

إلى جانب استعمال العشب الرومية، استفاد الأطباء
الفرنسيون في علاج الجذام من مركبات السلفون Les
Sulfones التي يرمز إليها ب : D.D.S. كما استعملت
مادة Tb1 بالإضافة إلى حقن زيت Chaulmoogra.
وقد أعطت هذه العلاجات نتائج مهمة.
غير أن الجذام ظل يعيث في المغاربة بسبب محدودية
وسائل تطويقه، (لم تكن توجد في سنة 1956 سوى ثلاثة
مراكز لعلاج الجذام : في فاس ومراكش والدار البيضاء،
ولا تستوعب إلا أعداداً قليلة من الجذمي)، وانخفاض
مستوى العيش، وخاصة في البوادي. كما أن ازدياد توغل
الطب داخل المجتمع المغربي مكن من الكشف عن حالات
كثيرة من الجذام تكاد تبدو ومعها الاحصاءات المقدمة
سابقاً، ضئيلة وغير ذات شأن، ذلك أنه من بداية
الخمسينات وإلى حدود صيف 1956، كثر الحديث في
الأوساط الطبية المهتمة بالأمراض الجلدية عن مشكلة الجذام
الذي تفاقم أمره وتكاثر عدد المصابين به، حيث قدرت
أعداد المبتلين بهذا الداء بـ 10.000 من المغاربة المسلمين،
في شهر يونيو 1956، الأمر الذي يدعو إلى كثير من
الاستغراب.

ابن منظور، لسان العرب : ابن قيم الجوزية، الطب النبوي : ج.
السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة : داود الأنطاكي، تذكرة :

الجراديات Acrididae ممثلة في المغرب بثلاث عشيرات تشمل أنواعاً مضرّة جداً بالنباتات : عشيرة Truxalinae يمثلها نوع الجراد المغربي ويسمى علمياً Dociostaurus maroccanus وبالفرنسية Criquet marocain والأنجليزية Moroccan locust. الإناث أكبر من الذكور طولاً ولا تتعدى 4,5 سم، وتزن ما بين 2.3 غرامات. توزيعه الجغرافي ينحصر على المناطق الجافة وشبه الجافة المجاورة للبحر المتوسط. تلد الإناث ما بين 50 و 200 بيضة بداخل أنظومة وتضعها بداخل التراب لتعطي صغاراً بعد مرور 7-9 أشهر. لا تلد الأنثى أكثر من 3 مرات في حياتها التي تدوم ما بين خمسة وسبعة أشهر.



عشيرة الجراديات Acridinae ويمثلها نوع الجراد الرّحّال المسمى علمياً Locusta migratoria وبالفرنسية Criquet migrateur وبالإنجليزية Migratory locust. لا يتعدى طوله 5 سنتيمترات ويزن 3 غرامات. يعيش في المناطق الصحراوية الأفريقية والآسيوية، وكثيراً ما يقوم بغزو الشمال والجنوب لموطنه الأصلي بحثاً عن الأكل فينتشر في جميع أنحاء إفريقيا الشمالية مخلفاً وراءه أضراراً بالغة في المنتجات الزراعية. تعيش الكبار مدة 6 أشهر تقريباً، وتلد الأنثى أكثر من عشر مرات في حياتها وتضع في كل مرة من 200 إلى 250 بيضة بداخل أنظومة تردها في التراب وتخرج الصغار بعد 12 يوماً.

عشيرة Cyrtacanthridinae ويمثلها نوعان في المغرب: الجراد الصحراوي المهاجر المسمى علمياً Schistocerca gregaria وبالفرنسية Criquet pèlerin، وبالإنجليزية Desert locust وهو أخطر أنواع الجراد أثناء انتشاره.

الجراد الأحمر المسمى علمياً Nomadacris septemfasciata وبالفرنسية Criquet nomade ou rouge وبالإنجليزية Red locust.

لكل هذه الأنواع رأس يحمل عينين مركبتين تُكوّنان جهازاً بصرياً معقداً يمكن الجراد من النظر حوله إلى جميع الجهات. يتكون الفم من فكين علويين وفكين سفليين كلها ماضغة طاحنة وقوية تساعد الحشرة على قضم النباتات وقشر جذور الأشجار. توجد على المنطقة الجبهية زبانتان

الله التجيبي وأحمد الطنجالي وأبي القاسم الحميري وأضرابهم، وانتقل إلى فاس أولاً عام سبعة وستين وسبعائة ثم رجع إليها ثانياً عام ثمانية وثمانين وسبعائة واستقر بها نهائياً واشتغل بالتدريس وأخذ عنه كبار فقهاء المدينة الإدريسية كحيى السراج، وولده أبي القاسم. لا يعرف تاريخ وفاة علي الجذامي، وإنما يظن أنه توفي في آخر القرن الثامن أو أول التاسع (14. 15 م). ع. الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

الجدامي، محمد بن حكيم السرقسطي الفاسي يكنى أبا جعفر، سكن غرناطة قبل أن ينتقل إلى فاس ويستوطنها "وكان إماماً نحويّاً لغويّاً مقرئاً مجوداً عارفاً بعلم الكلام وأصول الفقه محصلاً لهما، متقدماً في النحو واللغة حافظاً للفقهاء... (جنى زهر الآس) تولى القضاء والفتوى بفاس، ودرّس بها كتاب سيبويه وغيره في قواعد اللغة، وتخرج على يده عدد من النحاة. وألف شرح الأيضاح لأبي علي الفارسي، وكان قيماً على تدريسه كذلك، كما ألف كتابين في الجدل كبيراً وصغيراً، وعقيدة جيدة.

توفي بفاس، وقيل بتلمسان، عام 533 / 1138. وقيل عام 530 أو 538.

إ. ابن فرحون، اللديج، 300. 301 : م. الكتاني، سلوة، 3 : 265 : ع. الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

الجدامي، محمد بن شعيب البلنسي السلوي، انتقل إلى عدوة المغرب ولقي كبار الصالحين بسببته ومرآكش واستقر بسلا فنسب إليها. صوفي صالح خصص له التادلي في التشوف ترجمة مطوله ذكر له فيها مقامات عالية وكرامات متواترة.

توفي بالجزيرة الخضراء سنة 604 / 1207.

ي. ابن الزيات، التشوف، 409 : أ. ابن القاضي، جذوة، 1 : 276.

محمد حجي

الجراد، حشرات مضرّة بالمنتجات الفلاحية، واحده جرادة للمذكر والمؤنث. سمي بالجراد لأن أسرابه تجرد وجه الأرض من النبات أثناء تنقلاتها. له عدة أسماء بالأمازيغية حسب المناطق المغربية نذكر منها تاوضيط - تامورغيت - تياروت - تايالات.

الجراد أنواع عديدة، ويضاف إجمالاً إلى طائفة الحشرات المجنحة Insectes Ptérygotes وهو من رتبة مستقيمات الأجنحة Orthoptera ومرتبة Caeliferes التي تتميز بقصر الزباني Antennes ويقصر الذنب المغرز للبيض عند الإناث. ينحدر الجراد إلى عمارة الجنادب Acridoidea ولها 7000 نوع في العالم مقسمة إلى ثلاث فصائل أهمها فصيلة

بمشابة مقر الأعضاء الحواسية كالسمع واللمس. تتكون كل منهما من عدد كبير من الفصلات تتحرك فيما بينها بواسطة عضلات باطنية. يلتحم الصدر مع الرأس وينقسم إلى ثلاثة أجزاء يتوفر كل واحد منها على زوج من الأرجل مما يفسر تسمية الحشرات بسداسيات الأرجل. تتكون القوائم من عدة أجزاء متمفصلة فيما بينها. وأرجل الزوج الثالث طويلة الساق ونطاطة تمكن الجراد من القفز. الفخذ محرز ومخطط يحك الجراد جناحيه عليه فتحدث صرصاره متواصلة تسمع من بعيد خلال النهار.

للجرادة زوجان من الأجنحة متفاوتة ومستقيمة متمفصل كلها على الصدر Thorax وهي آية في الجمال والإبداع، فهي غشائية مكونة من ورقتين صفيحتين تسري بها عروق تعطي للجناح مظهر تشبيك غير منتظم. تندرج في هذه العروق الألياف العصبية وأنابيب التنفس، وهي قنوات مجهرية متفرعة وممتلئة بالهواء مما يجعلها صالحة للطيران.

تتكون القطعة الثالثة من البطن ويحمل في مؤخرته زوائد تلج فيها الأعضاء الحسية وأعضاء التناسل. يتكون البطن من عشر قطع عليها مياسم تعرف بفتحات التنفس تتصل بالخارج عن طريق الأنابيب التي تسري على طول الجسم كله. تتنفس الجرادة الأوكسجين بفضل هذه الأنابيب وتنقله إلى كافة الأنسجة والأجهزة. يقوم الزوج أثناء مرحلة التوالد بتلاطف مع الزوجة ثم يعتزل ويرتهش أي يركب بعضه بعضاً وبعد ذلك تُثبِت الإناث أذناها بداخل التراب أو الرمال لتبيض. يشبه البيض في حجمه حبوب الأرز "Riz" ويوضع عادة بداخل غشاء يحمل ما بين 20 و70 بيضة. يسمى بيض الجراد السراء وبعد تفقيسه يكون سرورة وإذا تحرك فهو ديبى. يخرج على وجه الأرض ليمر من عدة مراحل قبل أن يصير جرادة. أول ما يخرج من بيضه يسمى القَمَص وهو دودي الشكل، يتحول إلى اليرقان ثم إلى المُسَيِّح بعد أن تظهر الأرجل. وفي بدء طيرانه يسمى الكُتْفَان وقبل أن تستوي جناحه يسمى الخيفان ويتحول بعد ذلك إلى جرادة، وتدم هذه المراحل ما بين 30 و45 يوماً وذلك حسب الحرارة ونسبة رطوبة الجو ووفرة الأكل.

من المعروف أن الجراد الصحراوي يتوفر على مرحلتين في طريقة عيشه تتجلبان من خلال مظهره وترتبطان بالعوامل الطبيعية وخاصة منها وفرة الأكل والحرارة والرطوبة الجوية.

- في حالة الأكل بالموطن الأصلي يتخذ الجراد مرحلة انعزالية ويعيش منفرداً ويصير لونه فاتحاً، يأكل النباتات نهائياً ويستريح ليلاً ولا يبتعد عن مكان ولادته.

- في حالة الجفاف وقلة النباتات بمكان الولادة يتخذ الجراد مرحلة سربية Phase grégaire. يسعى الأفراد إلى البحث عن النبات مما يؤدي إلى تجمعها حول الحشائش النادرة فتتخلق فيها غريزة التجمع فيتغير لونها ليصير

مصفرأ داكناً تتخلله بقع سوداء على ساقيه وجناحيه. ينتج هذا التغيير المظهري والفيزيولوجي عن التكتل والازدحام حول الأعشاب النادرة الشبي الذي يدفع الجراد إلى الهجرة إلى أماكن غنية بالنباتات. يفوق عدد أفراد الأسراب عادةً مئات الآلاف تنتقل نهائياً وتستريح ليلاً.

تقف الأسراب على كل وجه مخضر من الأرض لتجرده من النبات ثم تستأنف رحلتها، وفي استطاعتها أن تقطع مسافات تتعدى 5000 كلم. وقوت عن سن لا تتعدى 6 أشهر، تبيض الإناث خلالها حوالي 12 مرة تعطي صغاراً تطير بعد شهر وتهاجر بدورها.

يشد نشاط الجراد صباحاً ويستريح في منتصف النهار نظراً لشدة الحرارة، ثم يستأنف نشاطه إلى غروب الشمس لينام ليلاً فوق الأشجار والنباتات الصغيرة. يصل عدد أفراد السرب أحياناً 120 ملياراً، وكل مليون من الأفراد يأكل 3 أطنان من الحشائش كل يوم. أي كل فرد يأكل ما يعادل وزنه كل يوم وأحياناً يضاعفه.. تغطي الأسراب أحياناً 500 هكتار وتزن أكثر من 200 طن. يتطلب نمو الجراد حرارة مرتفعة وطقساً جافاً مما يفسر عدم وجوده في المناطق المغربية المرتفعة الرطوية.

عرف الإنسان انتشار الجراد على منتجاته الفلاحية وتخريبها منذ أقدم العصور، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الأعراف (الآية: 132) (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) ويرجع من تصفهم إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

يعتبر المغرب من الدول التي عرفت عدة غزوات للجراد خلفت خسائر قوية تقدر بملايين السنتيمات، نذكر أهمها التي وقعت خلال سنة 1929. 1930. سنة 1954 وسنة 1987. 1988 حيث وصل الجراد إلى شواطئ البحر المتوسط شمالاً، وبعضه قطع البحر ليصل إلى جنوب أوروبا.

حاول الإنسان التصدي لظاهرة الجراد التي تعد من الكوارث الطبيعية، وذلك باستخدام عدة وسائل كإحراقه وردمه وتغيير اتجاهاته واستعمال المبيدات بواسطة الطائرة، إلا أن القضاء عليه يبقى مستحيلاً نظراً لكثرة توالده ولتحرركاته القوية في كل الاتجاهات.

أجريت عدة بحوث علمية بالمغرب حول معيشة الجراد وبيولوجيته أدت إلى معرفة أماكن التوالد الأصلية التي توجد كلها بالمناطق الصحراوية المستدة من مالي إلى السودان. وقد تأسس أخيراً بأيت مَلُول قرب أكادير مركز الأبحاث لمحاربة الجراد، مهمته الأساسية المراقبة المشددة لظهور أسراب الجراد ومقاومته. تأتي الأسراب عادة إلى المغرب من موريطانيا ومن شرق البلاد وتحارب بواسطة مبيدات سامة كثيراً ما تخلف أضراراً بالحيوانات الأخرى.

تصاب صغار الجراد بأمراض ناتجة عن البكتيريا أو الفطريات نذكر منها Bactérioses - Rickettsioses، وأحياناً يتطفل عليها عدة أنواع من مزدوجات الأجنحة كالذباب

مثلاً، من بين الحيوانات التي تأكل الجراد نذكر العوايا والطيور كالأوروار واليوم واللقلاق والصقر وكذلك العقارب.

م. الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، بيروت، 1988 : أمين الملعوف، معجم الحيران، القاهرة، 1932.

M. Boulard. *Les Orthoptères. Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques. Zoologie*. Paris, 1984 : 30 - 41 ; H. Cangardel. *Essais anti-acridiens. Campagnes 1957 - 58 et 1958 - 59. Cah. Rech. Agron.*, 1960, 10 : 111 - 140 ; G. Thewys. *Essais d'utilisation du DDVPC2 2(Dichlorovinyl - phosphate) en lutte antiacridienne. Campagne 1968 - 1969. Al Awamia*, 1970, 34 : 1 - 46 p ; M. Decamps. *Contribution à la faune du Maroc, 3. Acridoidea du Maroc saharien et Dericorythinae (Orthoptera)*. *Bull. Soc. Ent. France*, 1970, 75 : 24 - 36.

محمد رمضان

** * الجراد بالمغرب في العصر القديم. ترجع أقدم الشهادات الأثرية المتعلقة بهذه الحشرة للفترة النيوليتية (Neolithique)، ففي إحدى الطبقات بمنجم من مناجم التأسلي (Tassili) عثر على أحجار مسطحة موجودة فوق طبقة من الفحم الحجري وبقياء جراد ملتصقة بهذه الأحجار الشيء الذي دفع الباحثين إلى الاعتقاد بوجود ما يمكن تسميته بأماكن حرق هذه الحشرات "Aire de grillage".

إلى جانب الآثار، حملت الكتابات القديمة إشارات إلى الجراد، فالمؤرخ هيرودوت (IV, 172) يتحدث عن شعب النازامون، كسحب يقوم بتجفيف الجراد تحت الشمس وأكله بعد سقيه بالحليب. هذه العملية استمرت في فترات لاحقة - وهناك مؤرخون آخرون تحدثوا عن عملية التغذية بالجراد عند اللوبيين (Dioscoride II, 52) أو عند الاثيوبيين.

ولدى المؤرخ ديودور الصقلي (III, 29) تصادف إشارة إلى أكل الجراد (Acridophages) في صحراء النوبة والذين يتغذون فقط بالجراد بعد تمليعه، وقد استمرت هذه العادة خلال العصر الوسيط وفي الفترة الحديثة، فابن بطوطة (XIV) يتحدث عن "الصيداين" الذين يستيقضون باكراً قبل طلوع الشمس ليشغلون فترة استرخاء وفتور الجراد أما المؤرخ ليون الإفريقي من جهته يصرح بأن رحل الصحراء كانوا يعتبرون مجيئ الجراد كحادث سعيد.

أن الجراد كان دائماً يرحل من السودان ليحل بشمال إفريقيا وإذا كان يعتبر كغذاء بالنسبة للأهالي كما جاء على لسان هيردوت وديوسكوريد، فإنه يعتبر أحياناً أخرى بمثابة آفة مرسلة نتيجة غضب الآلهة كما أشار إلى ذلك بلنيوس الشيخ (XI, 104) فقد عرفت منطقة قرطاج سنة 125 ق. م طاعونا كبيراً أتى على قسم من ساكنتها وقد أشار عدد من المؤرخين كتيبستوس ليقسيوس، والقديس أغسطين (C.D. III, 38) و (Ad. Pag. V, 11, 2 - Paul Orose) (5) إلى أن أسرابا كبيرة من الجراد هي التي كانت وراء انتشار هذا الطاعون في كل شمال إفريقيا حتى إلى حدود قورنانية وكفيننا أن نستدل على ذلك بنص للمؤرخ

P. Orose السابق الذكر والذي يصف بشكل دقيق هذه الآفة التي حلت بهذه المنطقة يقول "لم تكتف أسراب الجراد بالإتيان على الحبوب المزروعة والأعشاب وجذورها والأشجار ولحائها بل أتت حتى على اليابس أيضاً إلا أن رياحا حملتها للبحر ثم رمت بها الأمواج نحو الشاطئ وانبعثت رائحة قاتلة من أحشاء هذه الحشرات فعم طاعون ضرب الحيوانات والطيور والقطيع".

وفي نوميديا هلك حوالي ثمانين ألف شخص وفي المنطقة الساحلية بين قرطاج وأرتيكا حوالي 200 ألف وبالقرب من أوتيكا، استوصل حوالي ثلاثين ألف جندي يشكلون جيش إفريقيا الروماني، ويضيف القديس اغسطين بأن عشرة آلاف جندي من بين 30.000 نجوا من هذا الرعب الفتاك.

ولا ندري هل لنفس الفترة التاريخية يشير المؤرخ Varron حينما يؤكد شهادة بلنيوس (VIII, 104) حيث يقول بأن الجراد أخلى مدينة في إفريقيا من سكانها. لا يهمنا إذا كان تعفن (Putréfaction) الجراد هو الذي كان وراء هذا الرعب، فربط العلاقة بين الجراد والطاعون تبدو نقطة مشتركة في القديم، المؤرخ poseidonis اعتماد على سطرابون (XVII, 3, 10) يعتبر ليبيا الداخلية جافة بسبب انتشار الأوبئة وتفريخ أو تكاثر الجراد.

هذه الآفة نجد لها ذكراً بعد ذلك بسبعة قرون فالمؤرخ Corripe (Joh. II, 196 - 203) يشير إلى الخسائر التي أحدثتها هذه الحشرات حيث وصفها بمثابة طاعون مهول "Horrida Pestis". وكان طبيعياً أن تنضم حملات لمحاربة الجراد من طرف السلطات الرومانية، ففي إيطاليا أشار تيبستوس ليقسيوس إلى إرسال ممثل عن الإدارة سنة 173 ق. م من أجل محاربة الجراد في مقاطعة "Apulie" أما المؤرخ بلنيوس فقد أشار إلى وجود قانون في قورنانية (Lex de Locustis) هذا القانون الذي يلزم القيام بمحاربة الجراد ثلاث مرات في السنة عن طريق إبادة بيض الجراد فصغاره فالجراد الكبير، ومن لم يمتثل للقرار يتابع قضائياً.

ثم أضاف المؤرخ بلنيوس قائلاً بأنه في جزيرة لمنوس كان الموظفون أنفسهم يعملون على إبادة الجراد وفي سوريا كانت تستعمل السلطة العسكرية (Militare imperium) لمحاربتها. وبمدينة Dougga (بتونس) عثر على نقيشة مؤرخة بين 48 - 49 م (CILVIII, 26517) تشير إلى وجود موظف مكلف بمحاربة الجراد في مجموع تراب قرطاج (Curator Lucustae) ولم تغب هذه الحشرة عن الصورة الفنية في الفترة القديمة فقد مثلت في إفريقيا بايحاءات رمزية حيث إنها كانت تدفع الأذى والعين البشرية (Valeur apotro païque) وحملت إحدى الفسيفساء التونسية (سوسة) صورة لأحد الأرواح المجنحة Génie ailé وهو يحاول صيد جراد، وبمدينة تمكاد عثر على نصب تذكاري للاله ساتورنوس يحمل تمثيلاً لجرادة إلى جانب مقدمه الإهداء.

- وحسب الباحث Leglay، أن صاحب الإهداء بتصويره

للجرادة، يرغب في إبطال ظاهرة الجراد برمتها.

J. Desanges, *Un curateur de la sauterelle sur la portica de Carthage en 48 - 49 de notre ère*. EOS LXIV, 1976, 281-286. G. Camps, *Acridophages*. E. B. I. 1984, p. 1976, 281-286 ; G. Camps, *Acridophages*. E. B. I. 1984, p. 111-112 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord* I, p. 135 ; L. Foucher, *Inventaire des Mosaïques*, Feuille 57 de l'Atlas Archéologique de Sousse, p. 107, n° 57234 pl. LV. ; Priape *ithy phallique*. Karthago VI. 1956, 173 - 177 ; Stein, *Locusta*. Real Encyclopadie. Col. 1711 ; F. Lacroix, *Procédés agricoles*. R. A.. 1870, p. 119.

بل الفايذة عبد العزيز

وفي العصر الوسيط تعرض المغرب، بحكم موقعه على أطراف الصحراء ومناخه شبه الجاف، لموجات الجراد التي اختلفت بين الأسراب المحلية المحدودة وبين الأسراب الجواله الكاسحة، وتطالعنا مصادر هذا العصر بإشارات عن أسراب الجراد التي اكتسحت كل بلاد المغرب وقطعت البحر المتوسط لتحط في أرض الأندلس محدثة نفس الأضرار (القرطاس، 96). ومنذذ والمغاربة يحاربونه مثل بقية الشعوب بالأساليب المتاحة لهم، بعضها له طابع تجريبي وعلمي، وبعضها لا يخلو من شعوذة. فلمحاربة اليرقات (مردة) عمد السكان منذ القديم وإلى اليوم إلى حفر أخاديد وخنادق عريضة يتم ملؤها بالنخالة والأعشاب الجافة ويتم اضرام النار فيها بعدما تمثلي بصغار الجراد الزاحفة. أما الأسراب التي تطير فمحاربتها أقل نجاعة. إذ يقوم السكان في الصباح الباكر أو تحت الأضواء في منتصف الليل أي عندما تنخفض درجة الحرارة، فيجمعون الجراد بالمكانس والشطبات بعد إسقاطه من أعلى الأشجار، وتقلأ بها الأكياس ليمت بعد ذلك إتلافها أو بيعها (ابن بطوطة، تحفة النظار، ص. 680 و 681). على أن هذه العملية تتطلب تجنيد عدد كبير من الأفراد ولا تستطيع تغطية كل المساحات التي يحط عليها الجراد.

أصبح الجراد في ظروف غير محددة بالضبط، ولعلها ظروف المجاعات، يباع في الأسواق ويستهلك إما مسلوفاً أو مقلياً وملحاً (الإدرسي، نزهة المشتاق)، وبذلك صار الجراد مادة غذائية تباع في الأسواق في البوادي والمدن. ومن سكان البوادي وخاصة في المناطق المتاخمة للصحراء من يقوم بتجفيف كميات كبيرة من الجراد عن طريق حرارة الشمس، ويخزنها في مزود كمادة غذائية احتياطية، ومنهم من كان يطحنه ويحتفظ بدقيقه خالصاً أو مخلوطاً بدقيق النبق أو الشعير المقلو (زميتة).

وتلخيصاً لأهم الفترات الوسيطية التي تعرض فيها المغرب والأندلس للجراد وضعنا الجدول التالي متضمناً التقديرات الواردة في المصادر.

| المكان | الزمن | التقديرات | المصادر |
|---------|--------------------------|---|--|
| سوس | ق 5 هـ / 11 م | كثير، يؤكل مقلياً وملحاً | الإدرسي، نزهة المشتاق، ج ص الحصري، الروض المطار، ص الإدرسي، نزهة المشتاق الإدرسي، نزهة المشتاق |
| مراكش | عهد علي بن | ساء منه دما 30 | |
| مراكش | عهد علي بن يوسف المرابطي | يباع منه يومياً 30 حملاً حوالي (4800 كلج) | |
| اغمات | ق 6 هـ / 12 م | كثير | التادلي، التشوف |
| الأندلس | سنة 232 هـ | كثير | ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 96 |
| المغرب | سنة 361 هـ | كثير | ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 101 |
| المغرب | سنة 377 هـ | عم البلاد وقتك بها | ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 101 |
| الأندلس | 381 إلى 384 هـ | الجراد الكبير فوق النهاية | ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 115 |
| المغرب | سنة 617 هـ | | |
| المغرب | 624 هـ | الجراد المنتشر | ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 273 |
| المغرب | 379 هـ | أكل جميع زروع المغرب فلم يتترك أخضر | ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 274 |
| حاحة | سنة 919 هـ | كان الجراد كثيراً ضعف عدد السنابل | الحسن الوزان، وصف إفريقيا، 83 / 1 |

ولاستكمال النظرة التاريخية لموجات الجراد التي عرفها المغرب نورد هذه الكارثة ضمن غيرها من الكوارث التي عرفت بها بلادنا طيلة اثني عشر قرناً من الزمن والتي تسببت في المجاعات.

| القرن | القحط | الوباء | أسباب مختلفة | أسباب غير محددة |
|----------------|-------|--------|--------------|-----------------|
| ق 3 هـ / 9 م | x | x | | |
| ق 4 هـ / 10 م | x | x | | xx |
| ق 5 هـ / 11 م | x | | | x |
| ق 6 هـ / 12 م | | x | | |
| ق 7 هـ / 13 م | xxxxx | xxxx | x زحف الرمال | xx |
| ق 8 هـ / 14 م | xx | | | xx |
| ق 9 هـ / 15 م | | x | | xx |
| ق 10 هـ / 16 م | xxxx | xx | | |

ملحوظة : x تعني عدد الكوارث المشار إليها في المصادر خلال القرن.

الشريف الإدرسي، نزهة المشتاق، ط. نابولي، د. ت ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط 1972 ؛ ي. ابن الزيات، التشوف، الرباط 1958 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الترجمة العربية، الرباط ؛ مارمول كريخال، إفريقيا، الطبعة الفرنسية ؛ أ. الناصري، الاستقصا، البيضاء 1954 ؛ ابن بطوطة، تحفة النظار... بيروت 1968.

Revue pour l'étude des calamités. Genève, 1948.

محمد حجاج الطويل

** وفي العصر الحديث. استمر الجراد في هجماته على المغرب ولم تبخل المصادر التاريخية بتقديم معلومات عنه ولو متقطعة، ولا تبخل، أحياناً، بوصف الخسائر التي خلفها. ومن خلالها يظهر أنه كان يفد بالخصوص في

السنوات العجاف، مما كان يؤدي إلى مجاعات خطيرة، خاصة في الجنوب.

وتتحدث رواية من سوس عن غزو الجراد في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) فتقول: "في هذه السنة تكالب الجراد على السوس، فلم يبق شجراً ولا حجراً، وصارت الأرض قاعاً صفصافاً، وأقام سبع سنين من عام 1320 إلى 1327 (1902-1909)، وهو سبب الغلاء المتقدم، ولكن صار (الجراد) جل معيشة أهل البلد، من حيوان آدمي أو بهيمي، والعادة المطردة عند أهل السوس أن الجراد إذا غاب عنهم غاب سبع سنين، وإذا ورد أقام سبع سنين". أما أهم السنوات (الميلادية) التي ظهر فيها، فهي التالية: 846؛ 873؛ 871؛ 971؛ 987؛ 991؛ 993؛ 1018؛ 1020؛ 1227؛ 1279؛ 1281؛ 1348؛ 1355؛ 1376؛ 1435؛ 1513؛ 1517؛ 1540؛ 1541؛ 1571؛ 1579؛ 1605؛ 1639؛ 1659؛ 1710؛ 1726؛ 1754؛ 1755؛ 1761؛ 1775؛ 1778؛ 1780؛ 1799؛ 1813؛ 1815؛ 1820؛ 1839؛ 1847؛ 1860؛ 1866؛ 1867؛ 1871؛ 1878؛ 1890؛ 1891؛ 1897؛ 1902؛ 1908؛ 1910؛ 1948؛ 1849؛ 1953؛ 1955؛ 1960؛ 1961؛ 1963؛ 1986؛ 1988.

لم يقف المغرب مكتوف اليدين أمام هذه الغزوات، بل كان يعمل على مكافحتها بوسائله المتاحة مثلما كان يفعل في العصر الوسيط وما قبله. وهكذا فخلال غزوه عام 1308 / 1891، أمر المولى الحسن سكان مراكش ونواحيها بالخروج إلى البادية لمكافحة الجراد لمدة ثلاثة أيام. وقد ذكر دى لامرتينيير (De la Martinière) عند مروره بجبال الأطلس في السنة نفسها، أن السكان كانوا "من أعالي مدرجات جبالهم يكافحون الجراد بقرع الطبول، وطلقات النار وصراخ الجميع". ولم تكن مثل هذه الإجراءات عديمة الجدوى، إذ نقرأ في وثيقة ترجع إلى عام 1263 / 1847: "انقطع نسل الجراد بالحرق والقتل لاجتماع الأيدي عليه". ولحماية البساتين المجاورة للمدن، كان يتم حفر خندق كبير حول كل مدينة، تزرع حافته بقصب كثيف، مائل في اتجاهه بشكل يجعل الجراد، عند محاذاته لأطراف القصب العليا، يسقط داخل الخندق، فيلتهم هناك بعضه بعضاً. وقد أكد القنصل الفرنسي شنيبي (Chenier) أن بساتين الكروم في الرباط ودور المدينة سلمت في سنة 1193 / 1779 بفضل هذا النوع من الدفاع. وابتداء من العام 1315 / 1897 نظم المستوطنون الأوروبيون في جل المراسي المغربية التجارية اكتتابات لجمع التبرعات قصد مكافحة الجراد. كما أصدر المخزن في العام نفسه أوامره إلى مختلف العمال وقواد القبائل "بإطلاق النداء لجمعه (الجراد) وحيازة ما يأتيهم منه بسوم ثلاثة ريات للقتار، وجعل حفر لديهم منه وردمه ثم ردم التراب فيها أو حرقه".

بيد أن تنظيم عملية الإبادة لم يتخذ طابعاً رسمياً إلا بعد صدور ظهير ثاني رمضان عام 1348 / فاتح فبراير 1930 الذي ألزم أصحاب الأراضي الزراعية ومستغليها

بإشعار السلطات بوجود الجراد فور ظهوره في أراضيهم، وتزويدها بكافة المعلومات عنه؛ ونص الظهير أيضاً على إلزامهم بتنفيذ التدابير التي تتخذها السلطات وتتحصل في جمع الجراد وبيضه واستعمال المبيدات، من سم، وحامض، وجير، وحرق.

وقد تقدمت وسائل مكافحة الجراد في المغرب منذ السبعينيات من القرن العشرين. وفي العام 1394 / 1974 تم تجنيد مستشكفين للبحث عنه، وخصصت طائرات لترصده، وخلال غزوة 1408 / 1988، شاركت في عملية الإبادة خمس وثلاثون طائرة مروحية، ومئات من السيارات المجهزة بوسائل الرش، بالإضافة إلى تعبئة آلاف من التقنيين؛ واستعملت فرق المحارية مبيدات متنوعة مثل "الملثيون"، و"الفنيتروثيوم"، و"الكارباريل"، وقدمت عدة دول أوربية والولايات الاميريكية المتحدة والمملكة العربية السعودية مساعداتها المالية وعدة أجهزة للمغرب. غير أن الخطر مازال يهدد البلاد كغيرها من بلدان المنطقة. ويرى المختصون أن مادة "ديبلدين" هي الكفيلة بإعطاء نتائج فعالة، غير أن هذا النوع من المبيدات محرم الاستعمال، إذ له مفعول يظل قائماً لمدة خمسة إلى ستة أسابيع، ويمكنه بالتالي أن يسرى إلى المنظومة الغذائية.

م. الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب، الدار البيضاء، 1992.

Ch. Boix, *Années de disette, années d'abondance: sécheresse et pluies au Maroc, B.S.G.* (Paris), mars 1872; B. Rosenberger - H. Triki, *Famines et épidémie au Maroc aux XVIe et XVIIe siècles, H.T.*, Vol. V, 1974, pp. 109 - 175; Vol. VI, 1975, pp. 5 - 103.

محمد الأمين البزاز

جراد البحر (cigales de mer)، يعتبر جراد البحر من

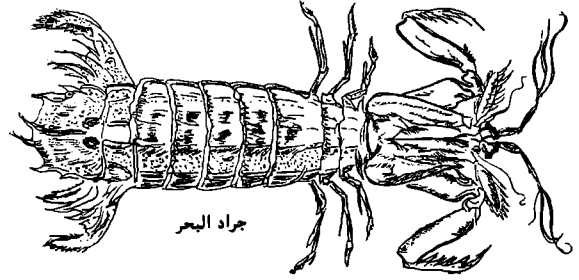
القشريات، وهي حيوانات لافقرية تتميز بجسم محاط بقشرة مكونة أساساً من الكلس والدرعة. وتنتمي بين القشريات إلى عشاريات الأرجل أي أنها تتوفر على خمسة أزواج من الزوائد الصدرية، أو الأرجل، تمكنها من المشي والتحرك. ورغم انتماء جراد البحر إلى نفس المجموعة الحيوانية التي ينتمي إليها الأريبان فجراد البحر لا يسبح إلا نادراً عند كبره بينما يقضي الأريبان معظم حياته سابحاً في السماء.

وتحت اسم "جراد البحر" هناك من يُصنف في نفس الوقت ما يطلق عليه اسم langousta وما يطلق عليه اسم "cigales de mer"، إلا أن هناك من يخصص هذه التسمية للفتة الثانية فقط التي على كل حال ليس لها أسماء عربية تشتهر بها. أما نحن فنفضل الاختيار الثاني، وسنذكر أسباب ذلك عندما سنتطرق إلى كلمة "قشريات" في الأجزاء المقبلة لهذه المعلمة.

من بين القشريات عشاريات الأرجل والزاحفات reptantia هناك ثلاث مجموعات إحداها تسمى macroures

ينتمي إليها جراد البحر، تتميز بمنطقة بطنية كبيرة نسبياً تنتهي بزوائد على شكل مضرب يتمكن بفضلها جراد البحر من الوثوب إلى الوراء. وحتى داخل هاته المجموعرة macroures التي ذكرنا خصائصها، هناك مجموعتان اثنتان : مجموعة تنتمي إليها القشريات التي تتوفر على ملاقط كعقرب البحر Homard أو سلطعون المياه القارية ecrevisse ومجموعة أخرى ليست لها ملاقط كجراد البحر.

يتنفس جراد البحر كمجموع القشريات المائية عن طريق خياشيم توجد على يمين وعلى شمال الصدر تمكنه من امتصاص مادة الأكسجين مباشرة من الماء. كما يتغذى بما يضمه ماء البحر من حيوانات صغيرة. أما عن تولده، فجراد البحر كالعديد من القشريات عشاريات الأرجل، يتكون من زوجين اثنين ذكر وأنثى يلتقيان وقت التوالد فيخصب الذكر بويضات الأنثى، وإذا كانت البويضة بعد نقفها تعطي مثلاً عند عقرب البحر صفاراً يشبهون إلى جد كبير شكل الكبار فإن صفار جراد البحر تخرج من البويضة في شكل لا يت بأية صلة إلى شكل الكبار وهي بالتالي مضطرة لاستكمال نمواً وتطورها بين العوائل خارج جسم الأم قبل أن يصبح شكلها كشكل من أعطاها الحياة.



يوجد في المغرب أربعة أنواع من جراد البحر هي scyllarides, scyllacus postelli, scyllarus aretus pygmaens وكذلك Scyllarides latus ولا شك أن من أهم هاته الأنواع النوع الأخير الذي يمكن أن يفوق أربعين سنتمراً طولاً والذي له قيمة تجارية كبيرة يعيش كذلك على الصخور في أعماق متوسطة وعلى طول السواحل المتوسطة والأطلسية للمغرب.

محمد النبوي

جرادة (جبال -) تمتد جبال جرادة بالمغرب الشمالي الشرقي، وتُعرف كذلك بجبال التُّنُق (الهورست) وسلسلة وجدة. تتخذ الكتلة الجبلية شكلاً طويلاً حيث تشرف في الغرب على سهل تافراط بحوض ملوية، يفصلها عن سلسلة بني إزناسن في الشمال ممر تاوريرت - العيون - وجدة. أما في الجنوب فهي محاذية للهوامش الشمالية للهضاب

العليا. إذا كان طولها لا يقل عن 120 كلم داخل التراب المغربي، حيث تستمر بالتراب الجزائري، فإن عرضها لا يزيد في أقصى الحالات عن 30 كلم. أعلى قمة تتمثل في جبل أوسرطان حيث يزيد عن 1700 م (انظر مادة بوخوالي). وعند هوامش الكتلة غالباً ما تكون القمم ضعيفة الارتفاع حيث يحصل المرور بشكل تدريجي إلى الهضاب والسهول. إذا كانت الواجهة الغربية من السلسلة متكثلة، خاصة بمنطقة مركشوم - بوخوالي، فإنها تنفرج في اتجاه الشرق حيث تتجزأ إلى قسمين يفصلهما منخفض مطروح، مجموعة كافايت - جرادة تمتد بالجنوب، ومجموعة الزكارة بالشمال، في الواجهة الشرقية تتلاشى الجبال إلى مجموعة من المتن لتكتسب من جديد تماسكها ابتداءً من رأس عصفور (اسم لجبال جرادة) في الواقع رغم تسميتها بالجبال، فقليلاً ما نجد الأعراف ممتدة بشكل واضح، إذ تغلب السطوح المنبسطة والخفيفة الانحدار، تنتهي بإفريزات صخرية قوية، مما يُكسبها الطابع الهضبي في كثير من جهاتها.

يغالب الانتظام على الهوامش الجنوبية للكتلة، وذلك على خلاف الواجهة الشمالية التي تتعدد بها النتوءات والمنخفضات المتقدمة نحو داخل السلسلة كما هو شأن حوض تشرفي وحوض تنزات ومطروح.

تتميز جبال جرادة بمناجمها المعدنية حيث شرع في استغلالها بشكل مبكر منذ تطبيق الحماية الفرنسية على المغرب. فرغم الشروع في استخراج المعادن من أغلب المناجم منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجهة الشرقية فإن الدراسات الشمولية للمنطقة الجبلية وأحواضها المعدنية، لم تبدأ إلا بعد 1940 مع B. Owodenko، و G. Lucas. ومجموعة من الجيولوجيين والجغرافيين المغاربة خلال العقود الأخيرة.

من مميزات جبال جرادة اقتراب القاعدة الهرسينية من السطح، مما يسمح ببروزها في كثير من الجهات مثل حوض جرادة وبهرة تشرفي وعلى طول بعض الانكسارات ودخل بطون بعض الأودية المتعمقة. تتميز سحناتها بتعاقب الإرسابات البحرية والقارية، وطفوحات بركانية وصعود صخور مندسة على شكل گرانيت وديوريت بحوض تشرفي).

فعلى خلاف النظامين، السيلوري والديفوني الذين بقيت معالمهما غير واضحة في طبقاتية المنطقة، فإن الصخور المنتمية للفيزي الأعلى أصبحت تشكل الركيزة الأساسية للجبال. يتوفر حوض جرادة على غنى طبقاتي قلما يوجد له نظير بالمغرب. امتد الإرساب منذ أواسط الفيزي ليستمر حتى الوستفالي الذي يعتبر أهم مرحلة لامتلاء الحوض الفحامي، وذلك بتعاقب سحنات بحرية، من شست وحث وصلصال وكلس حي فتاتي. مع سحنات قارية، نهر - دلتاوية قادمة من الشمال. تعاقب تلك الأنظمة البحرية والقارية والتهدل المزامن للإرساب اعتبرت ظروفاً مثلى لوجود الفحم الحجري بهذا الجزء من الكتلة القديمة.

تعتبر الكتلة الجبلية أهم خزان للماء بالنسبة لأغلب هوامشها التي تغلب عليها القحولة والجفاف. يعتبر واد الحمي (واد زا) المحور الهيدرولوجي الرئيسي بالمنطقة، وذلك بكونه يصرف كل مياه الواجهة الجنوبية للسلسلة، ويتميز بدوام جريانه ابتداء من عيون كافييت. لعل أهم خصائصه تكمن في الفيضانات الموهلة التي يعرفها واد زا، حيث يرتفع صبيبه بشكل فجائي مباعث للسكان نتيجة اتساع حوضه الذي يمتد على 18.000 كلم²، ونتيجة حدوث أمطار مركزة وعنيفة خلال فصلي الصيف والخريف على الخصوص قد تؤدي في الحالة القصوى إلى ارتفاع الصبيب اللحظي من 3 إلى 900 م مكعب / ثانية. للحد من خطورة هذه الفيضانات التي تقتلع المصاطب وتهدد مافوقها من المنشآت البشرية، ولتوفير المياه للرعي والشراب. تعرف حالياً جبال جرادة بناء أول سد بحوض الغراس حيث يتعمق واد زا على شكل خنادق عميقة. سيؤدي هذا المشروع إلى توفير المياه الصالحة للشرب لمدينة وجدة على الخصوص، وفك العزلة عن مجموعة من دواوير الجبل التي ستمر بها الطرق المعبدة. أما الواجهة الشمالية للجبال، فقد تصرف مياهها مجموعة من الأودية الموسمية الجريان، مثل واد إسلي الذي يلتقي بتافنة بالجزائر، ثم واد القصب وواد بوسدان اللذين يصبان بموية.

نظراً لموقع الجبال فإن الكتل الهوائية الغربية تصل جافة وضعيفة التأثير عليها، إذ أغلب التساقطات تنتج عن اضطرابات جوية شبه محلية تتكون فوق البحر المتوسط. تتوصل القمم المرتفعة بتهاطل معدله 450 مم كما هو شأن جبل بوخوالي، و200 إلى 350 مم عند هوامش الكتلة. تنخفض الحرارة بشدة خلال فصل الشتاء مما قد يؤدي إلى حدوث الصقيع خلال شهرين على الأقل. أما في الصيف فتزيد الحرارة القصوى عن 40 درجة داخل المنخفضات الجبلية والسفوح الجنوبية. تؤدي هذه الظروف الصعبة إلى الحد من الفترة الإنباتية وإفلاس بعض الزراعات التي تزهر بشكل مبكر.

يتميز الغطاء النباتي حسب الارتفاع والتوجيه، إذ نجد بالقمم المرتفعة غابة حقيقية من البلوط الأخضر، والشجر العفصي والبونيفي والعرعر. أما على السفوح المشمسة فتسود على الخصوص الحلفاء وشجيرات العرعر. يحصل المرور داخل الأحواض وعند هوامش الجبال بشكل سريع إلى التشكيلات النباتية السهبية المكونة من الحلفاء والعناب وشجيرات رعية مثل الشيح. لكن تجب الإشارة إلى أن هذه التشكيلات النباتية تتعرض حالياً إلى إتلاف سريع، إما بالرعي الجائر أو بالاجتثاث لصالح ممارسة الزراعة البعلية.

أغلب سكان جبال جرادة أمازيغ انحدروا من قبائل زناتة القادمة إلى المنطقة من السهوب التونسية. فرغم الكثافة الضعيفة للسكان، إذ لا تتجاوز إلا في أقصى

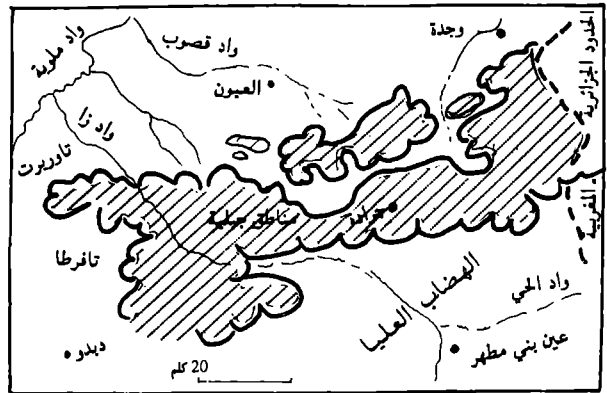
تعرضت القاعدة الهرسينية لحركات تكتونية مما أدى إلى حدوث التواءات وانكسارات متعددة بالركيزة التي تقوم عليها الجبال بهذا الإقليم. نتيجة لتراجع البحر بشكل مبكر عن القاعدة القديمة، فإنها تعرضت إلى تعرية نشيطة أدت إلى تفسخها وتحريك موادها. يمكن القول إن الأحواض المتهدلة، الحوض الفحمي لجرادة، لم يكن معرضاً للزوال واحتفظ بذلك على ثرواته المعدنية.

في بداية الزمن الثاني عاد البحر من جديد ليغطي المنطقة، تم بذلك تحريك الفسحات المحصرة خلال الترياس وتوزيعها بشكل متفاوت السمك تبعاً للتفاوت التضاريسي الذي اكتسبته الكتلة قبل الغمر الترياسي.

تميزت إرساباته بطغيان المادة المحصرة الطينية والتي تتوسطها مستويات كلسية وطفوحات بزلتية تتميز بغنى مستوياتها العليا بمعادن مختلفة، خاصة المنغنيز.

على خلاف الترياس الذي غطى مناطق دون أخرى، فإن الطبقات الكلسية اللبائية تعتبر الكساء الرئيسي لكل جبال جرادة حيث تغطي كل البروزات الصخرية السابقة. لكن اشتد التفاوت في سمك الطبقات الجوراسية وفي اختلاف سحناتها وذلك من جهة إلى أخرى، حسب النشاط التكتوني المحلي، إذ تهدلت مناطق دون أخرى، وطغت بذلك السحنات الفتاتية بالواجهة الشرقية والسحنات الصلصالية والكلسية بغيرها. تميزت الطبقات الكلسية الدولوميتية باحتوائها لمعادن الرصاص والزنك، خاصة بمناطق توسيت وسيدي بوبكر وسيدي لحسن.

أمام انفتاح واتساع المحيط الأطلنطي تراجع البحر بالتدرج عن الإقليم، حيث توقف به الإرساب البحري من جديد منذ أواخر الكمبريدجي. لكن رغم تراجع البحر عن المنطقة فإن الجبال لم تنتهض لتكتسب معالمها الحالية والأساسية إلا نتيجة الحركات التكتونية الأيوسينية الأطلسية مما أدى إلى نشاط التعرية من جديد خلال الزمن الجيولوجي الثالث، إذ لم تغط البحار النيوجينية إلا الهوامش الشمالية المنخفضة المحاذية لكتلة الهورست. أدت التعرية إلى إفراغ الأحواض وتعميق أجراف الانكسارات بالكتلة الجبلية مما أدى إلى نشر المواد على شكل مخاريط واسعة عند أغلب واجهات جبال جرادة.



جبال جرادة

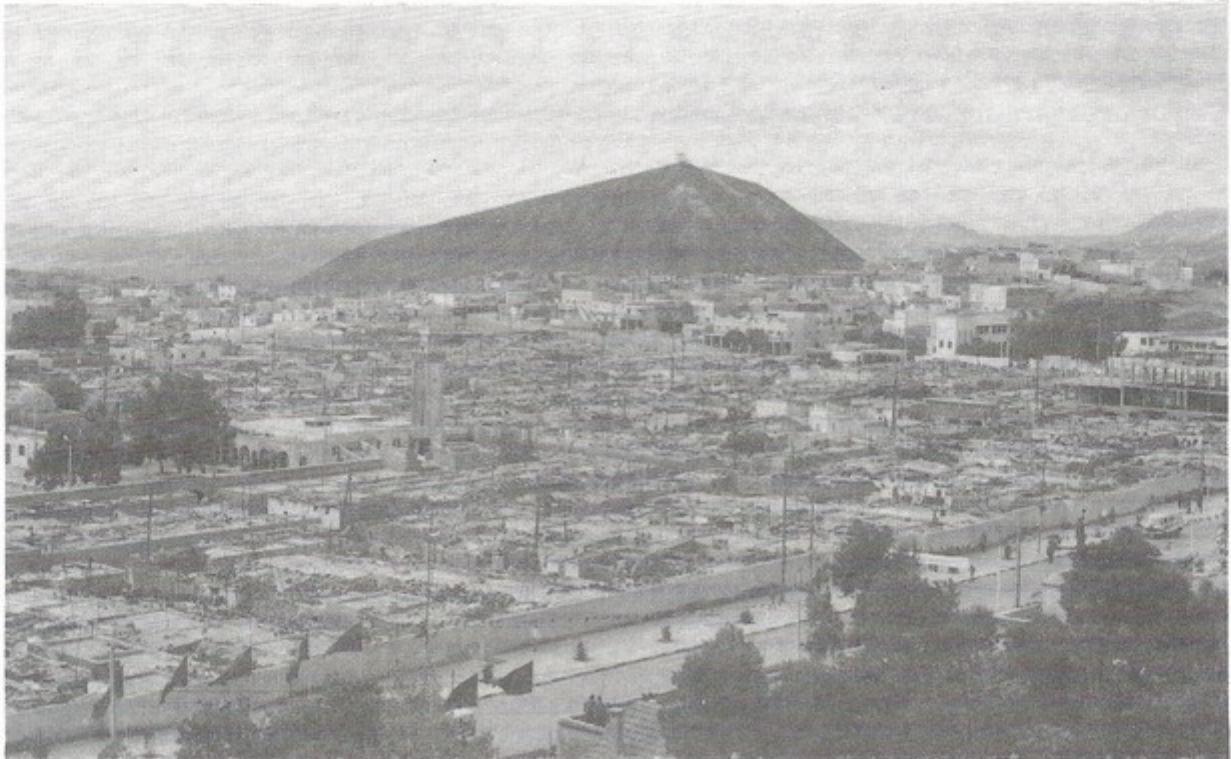
الحالات 20 نسمة / كلم، فإن تردد سنوات الجفاف أدى إلى اشتداد الضغط على المواد الطبيعية الجبلية، حيث كثيراً ما تصعد القطعان في أوقات الشدة إلى القمم الجبلية مما يؤدي إلى إتلاف الشجيرات والأغصان المفضلة لدى القطعان.

* * جرادة - مدينة ومنجم - : حسب ذاكرة السكان، كانت جرادة شبه فارغة في بداية القرن، لكن منذ اكتشاف المنجم الفحمي سنة 1927، أخذ الدور التقليدي المبني بالحجيام يتطور بسرعة إلى مركز حضري ليرتقي حالياً إلى مستوى مقرر عمالة. التساؤل عن استمرارية النمو والازدهار تبقى من أهم ما يروج في أذهان أغلب سكان جرادة ومختلف المسؤولين بمؤسسات الدولة بالإقليم، إذ من المفيد معرفة ما إذا كان النمو السريع قائماً على أسس متينة تضمن استمرار الدينامية الحالية لمختلف الأنشطة، أم أن التوازن الحالي قائم على أسس هشة مما قد يعرض المدينة إلى أزمات اقتصادية واجتماعية خطيرة. في الواقع، ارتبط تطور المدينة بنشاط منجم الفحم الذي أدى إلى نزوح السكان إليه بشكل مستمر. ففي سنة 1982 كان عدد السكان بجرادة حوالي 43000 نسمة وأصبح سنة 1994 يزيد عن 59000 نسمة. كانت المدينة في بدايتها عبارة عن أحياء للعمال، لكن بسبب ظهور خدمات مختلفة واشتداد الجفاف بالبوادي المجاورة، سرعان ما امتد النسيج الحضري الفوضوي حول أحياء العمال وأوراش المنجم التي أصبحت متداخلة (صورة تداخل اوراش المنجم بالمدينة).

تمتد المدينة حالياً على مساحة 1600 هكتار، منها 1200 هكتار يعتبر بناؤها صعب التجهيز لكونه بني بشكل مستتر وفوضوي. أغلب الأزقة ضيقة، غير منفتحة وبالتالي ضعيفة التهوية، مما يؤدي إلى استقرار غبار الفحم بها وتفاحش أمراض "السيليكوز".

يبدو من خلال التقارير الحالية لوزارة الطاقة والمعادن (Panoramas) أن الاحتياطي من الفحم أصبح ضعيفاً مما قد يهدد الوظيفة الرئيسية لمدينة جرادة. فرغم امتداد الحوض على طول قدره 25 كلم وعرض يزيد عن 4 كلمترات، فإن الدراسات قللت من التفاؤل الذي ساد إلى حدود 1986، حيث كان يقدر بأكثر من 100 مليون طن، إلا أن التقرير السنوي للوزارة سنة 1992، أصبح يتحدث، حسب المعطيات الجديدة، عن 23 مليون طن فقط. إذا كان الأمر كذلك، واعتباراً للوتيرة الحالية للإنتاج، فإن مدينة جرادة ستفقد وظيفتها الرئيسية في أقل من 30 سنة !

في الواقع، عاش المنجم فترات صعبة متعددة نتيجة تقلبات أسعار الأنترسيت في العالم، مما أدى إلى التفكير في غلق المنجم، لكن، اعتباراً للعواقب الاقتصادية والاجتماعية التي قد يخلفها ذلك على سكان جرادة، تدخلت الدولة غيرما مرة لمساعدة المنجم على تجاوز الصعاب. لهذه الأهداف، حاولت الدولة، باسم "مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية" (B.R.P.M.)، شراء الأسهم التي كانت تملكها الشركات والأبنك الأوربية. في بداية الأمر كانت الدولة تملك فقط 33٪ من رأسمال "مفاحم شمال



جانب من مدينة جرادة :
(تداخل الأحياء بتلال نفايات الفحم)

ومتطلبات السكان الأساسية، إذ رغم امتداد شبكة التطهير على 28 كلم، فإن 25٪ من المنازل لاتزال غير مرتبطة بقنوات التطهير (تقرير وزارة الصحة، 1995)، كما لاتزال بعض الأحياء تفتقر إلى الإنارة كما هو الأمر بحاسي بلال.

تتمثل التجهيزات الصحية في وجود مصحنتين وصيدليتين وطببيتين. التجهيزات السوسيو - ثقافية تتلخص في وجود مكتبتين وقاعة للسينما وقاعة المسرح ومركز الشباب وثلاثين مسجداً. تتوفر مدينة جرادة على عشر مدارس للتعليم الأساسي، منها ثلاث للتعليم الخاص، واعداديتين وثانويتين. كما تجدر الإشارة إلى أن مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل، بتعاون مع وزارة الطاقة والمعادن، أحدث مراكز للتكوين المهني، أصبحت تحتوي على شعب متعددة أهمها، الاليكتروميكانيك وميكانيك السيارات والنجارة والمطالعة والقصدرة والترخيص وكهرباء البناء والخياطة. استفاد من هذه الشعب خلال موسم 1995 حوالي 430 متديراً. يعقد بجرادة سوق أسبوعي مهم خاص ببيع المواد الاستهلاكية مثل الخضرة والفواكه واللحوم والحبوب. نتيجة وجود قدرة استهلاكية مهمة نسبياً، وهكذا فإن مركز جرادة يعتبر المنشط الرئيسي للحياة الاقتصادية بالإقليم.

* * إقليم جرادة أنشئ في إطار تعميم سياسة اللامركزية وتقريب الإدارة من المواطن، أحدثت بموجب التقسيم الإداري الجديد عمالة جرادة سنة 1994. يمتد الإقليم على أغلب جبال جرادة والهوامش الشمالية للهضاب العليا (انظر خريطة التقسيم الإداري للإقليم) ويشمل بذلك المناجم الأساسية التي شرع في استغلالها منذ بداية القرن، ومجموعة من أراضي الرعي والزراعة البعلية.

كان عدد سكان المنطقة، حسب إحصاء سنة 1982 بلغ 132.964 نسمة، ليرتفع حالياً إلى 149.886 نسمة (إحصاء 1994). يبدو من خلال هذه الأرقام أن تزايد السكان لايزيد عن 1٪، لكن يجب اعتبار الهجرة إلى خارج الإقليم ونعلم أنها نشيطة في كل جهات المغرب الشرقي. أما إذا اعتبرنا حركة السكان داخل الإقليم نفسه، فنلاحظ أن البادية أصبحت غير مفضلة، تشكل منطقة الطرد للسكان، حيث قل عدد السكان بها حالياً، على ما كان عليه سنة 1982. نكون بذلك أمام إقليم مراكزه الحضرية ينمو سكانها بحوالي 2.6٪، والأرياف يتناقص سكانها بحوالي (0.7٪-). اشدت إقراغ البوادي، رغم ضعف كثافة سكانها، من جراء تعاقب سنوات الجفاف والفقير، إلى التجهيزات الضرورية مثل الصحة والتعليم والطرق والماء الشروب.

إفريقيا" (Charbonnages Nord Africains)، ونفس القدر "بالشركة الشريفة لمفاحم جرادة"، لكن في سنة 1964 أصبحت الدولة تملك نصف رأسمال المنجم، لتصل إلى 98٪ سنة 1972 حيث أطلق على الشركة اسم "مفاحم المغرب" (Charbonnages du Maroc). أصبح إذ ذاك من السهل على الدولة مساعدة إدارة المنجم للتغلب على مختلف الصعاب لضمان الشغل لسائنة جرادة وسد حاجيات المغرب من الأنتراسيت.

تراوح استخراج الفحم ما بين مائة ومائتي ألف طن سنوياً، وذلك ما بين 1936 و1954، ثم ما بين مائتين وأربعمائة ألف طن إلى حدود 1951، ليرتفع الإنتاج إلى عتبة خمسمائة ألف طن سنة 1971، وإلى أكثر من ثمانمائة ألف طن سنة 1982. ابتداء من هذه الفترة أصبحت رغبة المسؤولين، المتفائلين للاحتياط، العمل على توفير كل الشروط اللازمة لرفع استخراج الفحم إلى مليون طن سنة 1988، وليصل ابتداء من سنة 1993 إلى مليوني طن، وذلك لسد حاجيات معمل توليد الطاقة ومختلف الطلبات الوطنية الأخرى.

أمام صعوبة بيع الأنتراسيت بالخارج، وأمام حاجة المغرب إلى الطاقة الكهربائية قررت الدولة بناء معمل لتوليد الطاقة الحرارية بجرادة - حاسي بلال، سنة 1971، أدى ذلك إلى جر الماء وبناء مرافق لغسل الفحم للرفع من تركزه حتى يصبح قابلاً للاستعمال بعد خلطه بنسبة من الكوك (Coke) المستورد، وبذلك أصبح المعمل يستهلك سنوياً حوالي سبعمائة ألف طن من الأنتراسيت مما يدل على أن الاحتياطي الحالي سيضمن استمرار دوران المعمل خلال ثلاثين سنة فقط، وأصبح بذلك الإنتاج الحالي لايسد حتى حاجيات المعمل، حيث تراوح الإنتاج ما بين 1990 و1995 ما بين أربعمائة وستمائة ألف طن؛ أصبح بذلك المنجم لا يسد رغبات المعمل والزبناء التقليديين مثل معامل السكر والإسمنت وبعض المحركات للقطارات والبواخر.

من الصعاب التي تعترض حالياً مناجم جرادة، بالإضافة إلى ضآلة الاحتياطي، عمق الآبار الذي أصبح يتجاوز 400 م وصعوبة استخراج الفحم حيث أصبح معدل حوادث الشغل يتعدى 2000 حادثة / سنة، منها 43٪ ناتجة عن تهدل وسقوط الجلاميد على العمال داخل الأعماق. أدى استفحال هذه الظاهرة إلى الهروب المستمر للعمال، إذ يجب البحث عن 50٪ من عمال العمق سنوياً، حيث يتم إدخال عمال جدد، تنقصهم الخبرة والتجربة مما يؤدي إلى قلة الإنتاج وارتفاع الحوادث.

فرغم أن مدينة جرادة ارتقت بسرعة، من مركز مستقل إلى دائرة وعمالة، فإن التجهيزات المتوفرة لاتكفي حاجيات

الصعوبة الأساسية للإقليم إيجاد أنشطة موازية، بإمكانها أن تعوض استخراج الفحم عند نفاذه، وتضمن بذلك استمرارية النمو للإقليم.

فإذا كانت الموارد المعدنية أشرفت على نهايتها، يبقى من اللازم إعادة الاعتبار للأرياف التي يتم إفراغها وأندثار مواردها الطبيعية. لاشك أن الإقليم يتوفر على مؤهلات طبيعية وبشرية لممارسة النشاط الرعوي الذي يمكن أن يصبح مورداً رئيسياً للإقليم (انظر مادة بني مطهر) إذا ما تم توفير الشروط الضرورية مثل فك العزلة عن الجماعات بفتح الطرق والتنقيب على الماء وخاصة استصلاح المراعي وضبط استغلالها. من اللازم الشروع في دراسة أسباب الاختلاف البيئي وهجرة السكان في الأرياف، والحفاظ على الموارد التي من شأنها أن ترفع التحدي وتضمن الرخاء للإقليم، وهي الماء والتربة والغطاء النباتي.

استخرجت من إقليم جرادة خلال نصف قرن موارد أساسية استفادت منها خزينة الدولة، حالياً أخذ يعاني من تراكم مشاكل غلق المناجم، والتي هي مرشحة للتفاقم إن لم يتم التفكير بجدي في إعادة هيكلة النسيج الاقتصادي للإقليم.

| دائرة دبدو | | دائرة عين بني مطهر | | دائرة جرادة | |
|------------|------------------|--------------------|----------------------------|-------------|---------------|
| عدد السكان | الجماعة | عدد السكان | الجماعة | عدد السكان | الجماعة |
| 1.186 | 11 - العطف | 7.577 | 6 - تبولي | 2.395 | 1 - كناية |
| 3.487 | 12 - أولاد محمد | 5.207 | 7 - بني مطهر | 5.560 | 2 - قنفودة |
| 11.580 | 13 - سيدي بلقاسم | 2.198 | 8 - مريجة | 4.055 | 3 - لعونيات |
| 10.258 | 14 - سيدي لحسن | 5.596 | 9 - أولاد غزيل | 2.617 | 4 - ليخاتة |
| | | 3.001 | 10 - أولاد سيدي عبد الحكيم | 1.446 | 5 - رأس عصفور |

توسيع سكان إقليم جرادة

شاكر الميلود، دراسة جيومرفولوجية للهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست، د. د. ع. الرباط، سنة 1985؛ مديرية الإحصاء (1982، 1994)؛ وزارة الصحة (إحصاء التجهيزات الصحية، 1995).

A. Laouina, *Le Maroc nord oriental reliefs, modelés et dynamique du calcaire*, Oujda, 1987 ; Ministère de l'Énergie et des Mines, *Panoramas et rapports annuels sur l'activité minière* ; B. Owodenko, *Le bassin houiller du Jerada, notes et mém. serv. géol. Maroc*, n° 207, 1976.

شاكر الميلود

الجراروي، - بكسر الجيم وفتح الراء الأولى مخففة - أسرة رباطة عريقة تنتسب إلى أولاد جرار - بفتح الجيم

التقسيم الإداري لإقليم جرادة وتوزيع السكان (1994)



يبدو أن هذا الإقليم الفتى تعترضه صعاب مختلفة، أهمها الفقر إلى التجهيزات الأساسية، إذ أغلب الجماعات القروية بدون مصحة، كما نجد طبيباً واحداً لحوالي 25.000 نسمة، وسيارة إسعاف لأكثر من 70 ألف نسمة (إحصاء لوزارة الصحة 1995). يعاني الإقليم من استنزاف الثروات المعدنية مما أدى إلى غلق أغلب المناجم، كما أن تقاير البحث والتنقيب غير متفائلة. فمناجم تروسييت التي شرع في استغلالها منذ سنة 1930، استنزف ما بها من الرصاص والزنك، حيث كانت تشغل ما معدله ثمانمائة عامل، إلا أن الشركة اضطرت إلى غلق المنجم منذ 1975. حالياً لم يعد بعض العمال يشتغلون إلا في غسل نفايات المنجم داخل التجهيزات المهمة التي لازالت قائمة. وقد حاولت الوزارة تنشيط المركز باستمرار التكوين في "المدرسة التطبيقية للمعادن".

عرفت مناجم سيدي بوبكر نفس المصير، إذ شرع في استغلالها سنة 1926، واستطاعت شركة الزليجة التغلب على مختلف الصعاب التي اعترضتها، حيث تمكنت من استخراج حوالي مليوني طن من الرصاص والزنك المركز قبل غلق المنجم سنة 1968، وذلك بعد التأكد من نفاذ الاحتياطي الذي قدر في بداية الأمر بأكثر من 26 مليون طن. ويستمر حالياً بعض العمال في جمع الفضلات وغسلها كما هو الأمر بتروسييت.

في الواجهة الغربية من جبال جرادة تم غلق مناجم تاتورالت ومناجم مرگشوم وسيدي لحسن.

لا يزال القطاع المنجمي بإقليم جرادة يشغل حالياً ما يقرب من سبعمائة ألف شخص، لكن أكثر من خمسين ألف، في مناجم جرادة وحدها. وبذلك يكون بذلك النشاط المعدني هو الركيزة الأساسية لأغلب مراكز الإقليم، حيث يستفيد منها، بشكل مباشر أو غير مباشر، ما يزيد عن ثلث سكان الإقليم. انطلاقاً من هذه الاعتبارات، تبقى

مسرحية للمباراة التي نظمتها إحدى الجمعيات في نفس السنة.

وأثناء حوادث الظهير البربري ألقى عليه القبض يوم 11 يوليوز 1930 إثر إلقاءه خطبتين : الأولى في مسجد سيدي الغندور والثانية في الجامع الأعظم، وحكم عليه بالسجن، ثم سرح بعد حين.

وفي سنة 1932 التحق عبد الله الجرجاري بالتعليم الرسمي كمدرس. وفي سنة 1937 أحرز شهادة العالمية بالقرويين. وفي السنوات الأولى لإنشاء الإذاعة كان يرتل القرآن الكريم ويلقي أحاديث ودروساً في التفسير وعدة محاضرات إذاعية. وابتداء من سنة 1940 انخرط في سلك كتاب المخزن بالقصر الملكي وكُلّف بتفتيش الكتابات القرآنية والتعليم الحرّ وتفتيش مدارس البنات في المغرب، كما أسندت إليه مهمة التدريس بالمعهد المولوي بعد تأسيسه سنة 1942.

وفي سنة 1947 عينه الملك محمد الخامس عضواً في اللجنة الملكية للتأليف، فألف فيها الجزء الأخير من كتابه الذي كان بدأه من قبل وهو *دروس التاريخ المغربي* الذي طبع لأول مرة على نفقة عاهل البلاد.

وبسبب ما كان له من مواقف ضد إدارة الحماية تمّ إبعاده عن التفتيش أثناء أزمة سنة 1953. وبعد الاستقلال رجع إلى مهمة التفتيش، وشارك المترجم في عدة لجان ومؤتمرات داخلية وخارجية وكان عضواً في رابطة العلماء، واتحاد الكتاب، وعضواً في المجلس العلمي للعدوتين الرباط وسلا الذي عين فيه في 12 يوليوز 1981.

ألف عبد الله الجرجاري عدة كتب منها المطبوع ومنها المخطوط. فمن المطبوع : *دروس التاريخ المغربي* في خمسة أجزاء وتقدم *العرب في العلوم وأستاذيتهم لأوروبا* و*شذرات تاريخية* من 1900 إلى 1950 و*صفحة من صفحات الكتلة الوطنية* و*تجليها في أحداث المطالبة بالاستقلال* عام 1944 و*ومن أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين وكتابتان في الموسيقى وورقات في مساجد الرباط وزواياها*. كما أنجز ستة تراجم لعلماء في سلسلة شخصيات مغربية ؛ وغير ذلك.

وبعد تقاعده انخرط في هيئة التدريس بدار القرآن التي ساهم في تأسيسها بالرباط حيث درّس فن التجويد والنحو والتاريخ والسيرة والتربية الدينية. وشارك في حلقات التعليم بجامع السنة وهو تعليم نظمته وزارة الأوقاف التي كلفته بالإشراف على التربية الدينية في مديرية الشؤون الإسلامية في 3 يوليوز 1973.

وقد ألقى آخر درس بمسجد السنة يوماً واحداً قبل وفاته. وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر ربيع الثاني عام 1403 / 26 يناير 1983 ودفن بمسقط رأسه في مقبرة الشهداء.

عبد الله الجرجاري، من *أعلام الفكر بالعدوتين*، 1969 ؛ عباس الجرجاري، *العالم المجاهد عبد الله الجرجاري*، سلسلة شخصيات

والراء المشددة - القبيلة العربية الشهيرة بسوس (انظر أولاد جرجار). ومن المعلوم أن فرقة مهمة من الجرجارين، استقرت بقصبة الرباط ضمن جيش الأوداية، فنسبت إليهم وصارت تعرف بقضية الأوداية. ولاندري متى ولاكيف حُففت راء الأسرة الرباطية. ومن أشهر الجرجارين الرباطيين :

الجرجاري، عبد الله بن العباس، الفقيه الأستاذ

المقرئ المؤرخ المؤلف المكثّر. ولد بمدينة الرباط في 4 شعبان 1322 / 14 أكتوبر 1904. ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى أدخله أبوه الكتاب القرآني فحفظ كتاب الله على يد الأستاذين محمد الشياظمي ومحمد المهدي متجينوش. وبعد ذلك أقبل على الدروس العلمية وحضر مجالس عدد من شيوخ الرباط، أمثال محمد بن العياشي ومحمد بن التهامي الرغاي ومحمد المدني ابن الحسين ومحمد بن عبد السلام السايح وأبي شعيب الدكالي ومحمد ابن العربي العلوي أيام كان رئيساً بمجلس الاستئناف الشرعي بالرباط. وأخذ عن أحمد بن المأمون البلغيثي وعبد الرحمان بن القرشي وغيرهم من كبار علماء فاس الذين أقاموا مدة بحكم وظيفهم في رباط الفتح، كما حضر أيضاً دروس الأديب التهامي الغربي.



لم يكتف عبد الله الجرجاري بذلك بل كان يخط برنامجاً للمراجعة في بيته مع بعض رفقائه، ويتراسل مع بعض المتضلعين في التوقيت والحساب ليتعلم منهم هذا الفن. ودرس في شبابه الموسيقى لمدة وجيزة. وزاد من تنوع ثقافته كثرة أسفاره واتصاله بمختلف فئات الناس، خصوصاً أهل العلم والثقافة في شتى أنحاء البلاد، كما أنه فتح منزله لرواد العلم والثقافة فأضحى نادياً ثقافياً ابتداء من سنة 1930.

بدأ عبد الله الجرجاري حياته التعليمية باكراً عند ما أخذ يلقي دروساً في الزاوية المباركية سنة 1920. ثم أسس مدرسة خاصة - وابتداء من سنة 1926 شارك إلى جانب الشباب السلفي في معركة محاربة البدع - وكون سنة 1928 فرقة مسرحية سماها جوق السعي والفضيلة، ضمت تلاميذ مدرسته. وأحرز على جائزة التأليف المسرحي عندما قدم

مغربية، الدار البيضاء، 1985 : عهد الوفا، تأييد فقيد الدين
والعلم والوطنية عبد الله بن العباس الجباري رحمه الله، الدار
البيضاء، 1983.

عبد الإله الفاسي.

بالامامة، تح. عبد الهادي التازي، بيروت، 1964 : ع. ابن
خلدون، العبر، (ج. 6) بيروت.
محمد المفراوي

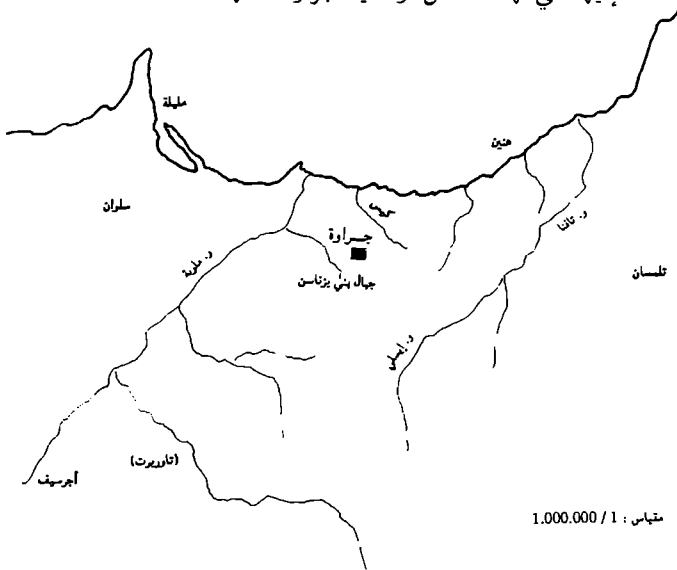
الجرامنة ← أولاد جرهمون

جراندة الجليقي، هكذا تسميه المصادر المغربية، واسمه
الإسباني Giraldo Sempavor. كان فارساً مغامراً ذا جرأة
في شن الغارات على الحصون الأندلسية، وضابطاً كثيراً
ولادة الموحدين في الأقاليم مما جعل ابن الرنك Alfonso
Entiquez ملك البرتغال يستعين به وبرجاله في حربه ضد
المسلمين، فقام بعدة غارات استولى فيها على عدة حصون
بغرب الأندلس في سنتي 560 - 561 / 1164 - 1165،
واستولى على حصن جلمانية Jurimina قرب بطليوس،
واتخذته منطلقاً لتحركاته لحساب ملك البرتغال. كما
استعان به محمد بن سعد ابن مردنيش، وأنزله في بعض
حصون شرق الأندلس، وأصبح سنة 563 / 1167 يعيث فساداً
بنواحي غرناطة، وهزم جيشاً موحدياً في إحدى غاراته على
ناحية رندة. ثم عاد ليشترك مع ابن الرنك في حصار
بطليوس في السنة التالية، إلا أن الموحدين نظموا حملة
عسكرية قوية لرفع الحصار عن بطليوس واستعانوا بفرناندو
ملك ليون الذي كان حليفاً لهم، فانهزم ملك البرتغال وأسر،
ثم أطلق سراحه، وفر جراندة، واستمر يعيث فساداً بمنطقة
بطليوس إلى أن أبرم صلح مع ابن الرنك سنة 568 / 1172،
فاستسلم جراندة للخليفة يوسف بن عبد المومن بإشبيلية
أوائل السنة التالية، ودخل في خدمة الموحدين، وجاز إلى
المغرب ونزل مراكش، ثم أرسله الخليفة إلى السوس على
رأس فرقتة من المرتزقة الروم، ومن هناك كان يحاول
الاتصال بابن الرنك بأشبونة ليعلمه بمكانه من السوس على
ساحل البحر، ويعدّه بالدخول في خدمته مرة أخرى، لكن
رسائله وقعت بأيدي الخليفة يوسف بعد عودته من الأندلس
سنة 571 / 1175، فاستقدم جراندة إلى مراكش، وكتب إلى
عامله على درعة موسى بن عبد الصمد "إذا وجهنا لكم
جرندة وأصحابه فقسموهم على القبائل واقتلوه لأننا أخذنا
عليه كتب الدلس" (أخبار المهدي، 89).

ثم أمر الخليفة العليج بالتوجه إلى درعة، وقال له : "هي
أحسن لك من السوس. فسار مع أصحابه، وكان عددهم
ثلاثمائة وخمسين، من ايفرخان (جمع افروخ وهو الفتى أو
الشاب بالأمازيغية) فلما وصلوا فعل بهم موسى ما أمره
به أمير المؤمنين" (أخبار المهدي، 89) وكان ذلك سنة 571 /
1175.

ابن عذاري، البيان المغرب، (قسم الموحدين) الدار البيضاء، 1985 :
أ. البيزق، أخبار المهدي، الرباط، 1971 : ابن صاحب الصلاة، المن

جرأوة، مدينة وقصبة مندثرتان بالمغرب الشرقي كانتا
تقعان على الطريق الرئيسية بين مدينتي وجدة والناظور،
وبالتحديد بين أحفير وأبركان حيث توجد قرية عين الرгадаة.
ويعرف الناس بالقرب منها من جهة الشرق مكاناً يدعى
جراوة. وقد كانت بهذه الجهة إلى أوائل الستينيات من هذا
القرن بقايا سور قديم من الطوب قد يكون من بقايا مدينة
جراوة أو قصبتها. وحسب الجغرافيين القدماء كانت المدينة
في بسيط من الأرض تبعد عن البحر بستة أميال، وقد
بُني حصن تابع لها يقع إلى الجنوب منها على بعد أربعة
أميال أي بقرب جبال بني إزناسن، فتكون البقايا المشار
إليها هي لهذا الحصن أو لمدينة جراوة نفسها.



وبالنسبة لهذه المدينة (وتسميها الحميري : جراوة
مكناسة) كانت تتوسطها قصبة، ويحيط بها سور مبني
بالطوب له بابان شرقيان وثالث شمالي ورابع غربي،
وحولها أرياض، وداخلها آبار عذبة، وبها خمسة حصانات
وجامع. ويصفها الإدريسي بأنها كانت مدينة عامرة،
ويصفها صاحب البيان المغرب بكونها أشرف المدائن (في
المنطقة). وحواليها بسائط عريضة للزرع والضرع
(البكري) ويحيط بها من القبائل مطفرة (مدغرة) شمالاً
وبنو يفرن شرقاً وبنو إزناتن (كذا) جنوباً وزواغة غرباً،
إضافة إلى قبائل أخرى حولها مثل ودانة ويغمر الجبل وبنو
راسين وبنو باداسن وبنو وريمش. ويحدُّ بُعد مدينة
جراوة عن البحر بنحو ستة أميال، ويسمى مرساها باسم
تابحريت أو تافرجنيت، وتسمى في البيان : أكاس، ويبدو
أن هذا الاسم الأخير تطور إلى كينس وهو اسم النهر الصغير
الذي يجري من مرتفعات أحفير في اتجاه البحر ليشكل
حتى مصبه جزءاً من الحدود الحالية بين المغرب والجزائر،

وعلى الجانب الغربي للمصبّب توجد مدينة السعيدية بشاطئها الرملي، وعلى الجانب الشرقي للمصبّب بنحو ثلاثة كلمترات توجد مدينة مرسى بلمهيدي الجزائرية التي يمكن وجود مرسى طبيعية بها قديماً قد تكون هي تابحريت أو أكاس المذكورة. ويحدّد البكري بُعد "مرسى جراوي" عن جزر ملوية (جزر كيدانة حالياً) بشمانية مراحل في البرّ.

أسس مدينة جراوي سنة 257 (أو 259) الأمير الإدريسي أبو العيش عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان (أخي إدريس الأكبر) بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واتخذها عاصمة لإمارته التي كانت تمتدّ شرقاً إلى تلمسان وغرباً إلى مليلية وجنوباً إلى نهر صاء (أو صاع) الذي أعطى اسمه للمدينة الواقعة عليه والتي سميت على الأرجح فيما بعد تاويرت. هذه الإمارة هي إرث من ولاية إدريسية كانت تحت حكم محمد ابن سليمان، فاستقلّ أبناؤه بها كما حدث في ولايات إدريسية أخرى أيام ضعف أمراء فاس، وانقسم السليمانيون على أنفسهم، وكان أشهرهم أبو العيش المذكور حفيد محمد ابن سليمان. ويبدو أن إمارته نعمت بنوع من الاستقرار في ظل ضعف الحكم المركزي بفاس وضعف جيرانها من جهة الجنوب أمراء سجلماسة المدرارين، ومن جهة الشرق أمراء تاهرت الرستميين وذلك خلال النصف الثاني من القرن الثالث، على عكس ماسيحدث خلال الثلث الأول من القرن اللاحق في ظل حكم ابنه عيسى الذي تولى حكم الإمارة بعد موت أبيه سنة 291 (أو 296). فمع التحرك الفاطمي نحو المغرب وبداية المنافسة الأموية وانحياز القبائل لهذا الطرف أو ذاك أصبحت إمارة ابن أبي العيش تعاني من توالي الضغط عليها خاصة بعد تحوّل الأمير الزناتي موسى ابن أبي العافية لصالح أموي الأندلس وتلقيه الدعم البحري منهم منذ سنة 319، وقد كانت مواجهاته متوالية مع الأدارسة عامة بحيث توالى الاصطدامات بينه وبين أمير جراوي الحسن بن أبي العيش، مما جعل هذا يبني حصناً احتياطياً جنوب جراوي أقرب إلى جبال بني إزناسن سمّاه المنصورة. وقد لجأ إليه، كما حدث سنة 319 (البيان، 196). ويذكر صاحب القرطاس (ص. 84) أن ابن أبي العيش تحصّن بمدينة مليلة خلال هذه الفترة أو بعدها، وصلها عبر مرسى أكاس ثم جزر ملوية (البيان، 194)، ويبدو أنه استرجع إمارته سنة 323 على الأبعد خلال حملة القائد الفاطمي ميسور الفتى على المغرب الأقصى (البكري، 128). وخلال توجيه الأسطول الأموي إلى سواحل المنطقة سنة 324 أو 325 سقطت جراوي من جديد بيد ابن أبي العافية وتحصّن أميرها بالجبال المجاورة، ثم لم يلبث أن استعاد عاصمته وكذلك مدينة تلمسان. وظلت الأحوال بين أمير جراوي وابن أبي العافية بين مدّ وجزر تتخللها هدنات لا تلبث أن تنتقض، خاصة وأن معظم أتباع ابن أبي العافية زناتيون رعاة ومعظم أتباع ابن أبي العيش زراع مستقرون فيما يبدو.

وتتحدّث رواية في البيان المغرب (201) عن كيفية نهاية مدينة جراوي: بأن أهلها كاتبوا ابن أبي العافية. ربما تحت ضغطه عليهم بالحصار. وضمنوا له دخول المدينة، فلجأ ابن أبي العيش إلى حصن المنصورة. ولما دخل ابن أبي العافية جراوي دعا أهل المنصورة إلى الأمان، فأجابهم بعضهم وتغلب على سائرهم وقتل جماعة منهم. وأسر أولاد الحسن ابن أبي العيش وغنم خيله وسلاحه وأحرق المدينة بالنار وانصرف، إلى محلّته. كان هذا الحادث على الأرجح سنة 338 هـ، وهي فترة انشغال الفاطميين بمشاكلهم في أفريقية. ولم تحدّثنا المصادر بعد ذلك عن تجديد مدينة جراوي أو إمارتها.

ابن حيان، القتيبي، 5: 307، 382، 414 (طبعة 1979)؛ أ. البكري، وصف افريقية والمغرب، ص. 89، 142، 143، باريس 1265؛ ش. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 248، طبعة القاهرة؛ ابن عبد المنعم الحيمري، الروض المعمار، 163-162، تج. إحسان عباس؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 1: 137، 194، 196، 199، 201، 204، 205، ط. بيروت؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 84، الرباط 1973.

أحمد عزوي

الجَرِيّ، نوع من الأقمشة التي كانت متداولة في مغرب القرن الماضي والقرون السالفة، وهو من الصوف الجيد الدقيق النسج الذي يكاد المرء لا يفرق فيه بين السدوة واللحمة (= السدى والطعمة أو القيام). كان المغاربة الموسرون يتخذون منه الجلابيب والسلامم والأكسية الرفيعة. اشتهرت في إنتاجه جزيرة جربة التونسية فنُسب إليها. وقد كانت الحرقة الجربية تتنافس على مستوى الجودة في المغرب وخارجه داخل البلدان المغاربية مع خرقة السوداني وخرقة وزان وخرقة بزو.

R. Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes, Amsterdam, 1845 ; A. Pignol (et al.), Costumes et parures dans le monde arabe, 1987 ; G. Marçais, Le costume musulman d'Alger, Alger, 1930 ; R. Le Tourneau, Fès avant le Protectorat, Casablanca, 1949.

محمد بوسلام

جَرَجِير، نبات يدعى أيضاً "گَرگاز" أو "الحارّة" أو "بُوحْمُو" أو "الخردل"، إلى غير ذلك من الأسماء العديدة، ويُطلق على عدة أنواع تنتمي إلى أجناس مختلفة من فصيلة الصليبيات cruciferae أو brassicaceae. وهذه الأجناس هي سيناپيس sinapis وبراكسيكا brassica ورافانوس raphanus وإيروكسا eruca وإيروكاسترورم erucastrom وديپلوتاكسيس diplotaxis. ومن بين هذه الأنواع نجد بعض الخضر مثل اللفت والفجل.

البرتغالية المتوالية عليها منذ بداية احتلال القصر الصغير عام 1458 / 861.

علم حاكم القصر الصغير ضون ضوارتي دي منيسيس Duarte de Meneses بالدور الحربي الذي اضطلعت به الجردة خلال الحصار المغربي لمدينة القصر الصغير بأعيانها ومجاهديها البالغ عددهم نحو خمسمائة محارب وبوجود عدد من الأسرى البرتغاليين بيد أحد أعيان القرية، فنظم ضدها أربع غارات، تمت أولها يوم 12 نوفمبر 1459 (25 محرم عام 863) والثانية يوم 21 أكتوبر 1461 (16 محرم عام 866)، غنم البرتغاليون أثناءها نحو 300 رأس من البقر ومجموع ما كان بها من الأغنام، بينما لم تكن للغارتين التاليتين نتائج تذكر.

ولاريب أن الوجود البرتغالي بالقصر الصغير خلال اثنين وتسعين عاما ثم ما جاء إثر ذلك من تخريب المدينة ويقائنها خالية قد أثر كثيراً على ساكنة الجردة ودورها الاقتصادي، سيما بعد انتقال محلة السوق نحو الجنوب إلى مقره الحالي. وربما كان لذلك انعكاس طويل المدى على الشكل الذي ظهرت به الجردة خلال الفترة الاستعمارية إلى اليوم. فقد بلغت دور القرية حسب إحصاء ما قبل سنة 1931 سبع عشرة داراً، أي نحو مائة نسمة فقط.

أ. البكري، المغرب، ص. 108 : ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة

الخلفية، ص. 38 : ج. الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني، 1.

Vademecum, 20 : Geografia de Marruecos, p. 199 :

Zurara, Cronica de D. Duarte de Meneses, p. 185 - 186 - 237 - 240 - 271 - 301.

حسن الفكيكي

جرار، عبد القادر. مقاوم ولد سنة 1929 بدوار أيت حدو بتالسنت، انضم لصفوف المقاومة وعمل تحت مسؤولية بلعيد حيث شارك في عدة هجومات ومعارك، من أهمها معركة بني ونيف والمناهة والخوابي وغيرها، واستمر في عمله البطولي إلى بزوغ فجر الاستقلال حيث توفي بتاريخ 18 دجنبر سنة 1995.

وثائق المندومية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.

أولاد **جرار،** قبيلة سوسية يتوزع ترابها في أقصى الهامش الجنوبي لسهل تيزنيت عند قدم الأطلس الصغير الغربي، أي في منطقة اتصال السهل بالجبل. وبعد مجالها أغنى المجالات السهلية بأزغار لتوفر الفرشة المائية. يحدها شمالاً تيزنيت، وجنوباً الأخصاص، وشرقاً إيداويعقيل وتازروالت وغرباً أيت براكيم.

تنتسب القبيلة إلى فرع ذوي حسان من عرب معقل الذي كانت مجالاته تتحدد إلى الجنوب من تراب ذوي منصور، من درعة إلى البحر المحيط. ويبدو أن استفادة قبيلة أولاد جرار من الرقعة الترابية التي تستوطنها مرتبط



وأغلب الأنواع البرية الموجودة طبيعياً بالمغرب من الجرجير حولية أو ثنائية الحول، تكثر في فصل الربيع، لكنها قليلة المنفعة بالنسبة للرعي ماعدا بعض الأنواع التي تستعمل في تحسين المراعي.

تستعمل بذور بعض الأنواع مثل سينابيس نيجرا sinapis nigra لصناعة مادة الخردل moutarde الذي يزيد من الشهية بتناوله مع الطعام.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بعبيد

الجردة، قرية تاريخية بقبيلة أنجرة تشرف دورها على منخفض خصب يلتقي فيه واد الروث بواد الرملة، وهما رافدا واد الخميس. كما تشرف الجردة على مدينة القصر الصغير من جهة الجنوب الغربي. ويبرز التقسيم الإداري انتماء قرية الجردة إلى فرقة البرقوقيين، وبها يمر الطريق الرابط بين تطوان والقصر الصغير عبر سوق خميس أنجرة.

والجردة هي التي عنانها أبو عبيد البكري بقرية عين الشمس، وقال عنها : "قرية نصر بن جدو، عامرة أهلة، بها جامع وبساتين كثيرة ويوم سوقها يوم الخميس". وما زاد الأمر تأكيداً قوله : "ويتصل بعين الشمس جبل تار مليل"، الذي تحققنا من أنه جبل تطسورا (طيط سورا) الحالي المقابل للقرية. وقد حددت لنا حوليات القصر الصغير موضع الجامع المشار إليه من جانب البكري، إذ كان موضعه شمال القرية بجوار مغارس فسيحة. فلم يبق علينا سوى التوصل إلى معنى اسم الجردة ومتى عرفت بهذا الاسم.

وهذا لا بد أن يكون قد حدث قبل القرن التاسع (15م). حسبما أفادتنا به نفس الحوليات التي تعرفنا على مكانة القرية من الوجهة الاقتصادية عام 1459 / 863، فرجالها أغنياً بما كانوا يملكونه من رؤوس الأبقار البالغ عددها آنذاك نحو ألف وخمسمائة رأس بالإضافة إلى عدد وافر من الأغنام. ويعود الرواج التجاري بالقرية إلى أهمية السوق الأسبوعية المنعقدة بالقرية يوم الخميس، إذ أنه كان مقصد تجار النواحي المجاورة. ويبين هذا أن السوق المقصودة من طرف الحوليات هو سوق خميس أنجرة، وأن مكان السوق الحالي محول عن سوق الجردة الأصلي نتيجة الضغوط

م. الاكراري، روضة الأفتان (مقدمة التحقيق) ؛ ع. ابن خلدون، كتاب العبر، 6 : 77-87 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، 2 : 172 ؛ وثائق دار إيليج (المجلد الخاص بقواد أولاد جرار) ؛ حمدي أنوش، مادة بورحيم، المعلمة، ج 5 ؛ إ. الحساني، ديوان قبائل سوس (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، العسول، الأجزاء 3، 4، 16، 18، 19.

L. Justinard, *Un grand chef berbère : le Caïd Goundafi : Un petit royaume berbère : le Tazeroualt*, Paris, 1954 ; *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe siècle*, A-M, T. 23, 1933, p. 73 - 92 - 99 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Draa*, Paris, 1891 ; H. Dugard, *La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918 ; M. et E. Gouvion, *Kitab A'ayan Al-Maghrab Al Akça*, Alger, 1939. أحمد بومزكو

الجراري، أحمد بن حسن ويعرف بابن سيد المالقي. أصل سلفه من سوس المغرب. قال ابن الأبار : (وليس باللص، وإنما توافقا في الاسم والكنية والنسبة، ذاك من إشبيلية، وهو كناني النسب، وكلاهما أقرأ الأدب والعربية).

وصاحبنا من كبار النحاة والأدب بالأندلس، وله حظ في قرض الشعر الجيد. درس الحديث واللغة والأدب على أقطاب عصره. فروى عن أبي الحسن يونس بن محمد بن مغيث، وأبي الحسين سليمان بن الطراوة، وأبي عبد الله سليمان بن أخت غانم، وأبي القاسم أحمد بن محمد بن ورد.

وقد نالته وحشة من قبل القاضي أبي محمد بن أحمد الوحيدي لأمر تقولت إليه اضطرتة إلى التحول عن مالقة إلى قرطبة فسكنها نحو أربعة أعوام، ثم استمال جانب الوحيدي حتى لان له وخاطبه بالعود إلى وطنه، فرجع مكروماً مبروراً إلى أن ولي خطة القضاء ابن حسون فاخص به وبأله وحظي لديهم).

بعدها انتقل إلى مراکش واستخلصه الخليفة عبد المؤمن لتأديب أبنائه، فسما قدره، وعظم صيته، وارتقى محله وأقام على ذلك إلى أن توفي بمراكش بعد سنة 560 هـ بقليل 1164 م.

ابن الأبار، *تحفة القادِم*، 44 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 1 : 92 ؛ *الصفدي الوافي بالوفيات*، 6 : 307 ؛ *البلقي، المتضب* من *تحفة القادِم*، 44 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين*، 1 : 465 ؛ ع. بنمنصور، *اعلام المغرب العربي*، 3 : 302.

محمد حجي

الجراري، أحمد بن الطاهر، ولد بمراكش حوالي عام 1295 / 1878 وترعرع بدرب قايد راسو يحي هيلانة. وحفظ القرآن على يد والده العلامة الفلكي السيد الطاهر الذي كان يعمل في بلاط السلطان الحسن الأول، ثم بلاط

بالخدمة العسكرية للحكام، وخاصة بعد أن استصرخ بها علي الزكندري في صراعه مع آخر حكام الدولة الموحدية عام 615 / 1218 بتارودانت. وإذا كانت الوثائق المحلية والمصادر التاريخية تشير إلى هيمنة هذه القبيلة، على غرار القبائل المعقلية الأخرى، على جزء كبير من سهل سوس، فإنه يعتقد أن ذلك ارتبط بالظرفية السياسية التي خلقها الوجود البرتغالي بالسواحل الاطلنكية، حيث وقع التحالف بين الطرفين. ومن تجليات هذه الهيمنة فرضها الإتاوات على القبائل، وتحكمها في المسالك التجارية القادمة من السودان الغربي ودخولها في حروب مع الجزوليين.

كان لظهور الحركة السعدية، كرد فعل القبائل الجزولية على الضغط الذي عانت منه قبائل الأطلس الصغير المحاصرة، أن طادرت المجموعات البشرية المستقرة بأزغار على أراضيها، وتملت ما كان في ملكيتها في السابق أو زادت في ذلك، مما قلص من مجال استقرار أولاد جرار، وبدأت قوتها في الاضمحلال. وما تبقى منها اندمج مع السكان المحليين.

وعلى الرغم من ذلك فإنها ساهمت بشكل كبير في حملة أحمد المنصور الذهبي على السودان بستين سرجة وتسعمائة من المرافقين صحبة أهل بونعمان. كما أعلنت العصيان على المولى الرشيد في طريقه نحو إيليج عام 1080 / 1670 نظراً لما لاقاه عربُ الشبانات بأحواز مراكش من طرف السلطان. ولما قام يزيد بن محمد الملقب ببودريالة ثائراً بسوس عام 1127 / 1715 اعتمد على قبيلة أولاد جرار قبل أن يُعدم بمراكش. كما استقطبها بوحلايس أثناء تمرده بالمنطقة سنة 1207 / 1793.

كانت رئاسة أولاد جرار قبل أسرة آل بورحيم، بيد أحمد ابن سلمون الرگادي ويهي النكيضي بقرية أگوراي. ويمثل ظهور آل بورحيم (نسبة إلى عبد الرحمان) بداية مرحلة جديدة في مسار قبيلة أولاد جرار، وكانت رئاسة علي بن بورحيم بداية فعلية لاستتباب الأمر للأسرة، بعد أن قطع دابر الطرف المنافس (آل النكيضي). ويبدو من خلال وثائق مخزنية ومحلية ترجع إلى القرن الثالث عشر (19 م) أن قواد أولاد جرار كانوا يضطلعون بوظائف في غاية الأهمية، وكان للقبيلة ضلع كبير في الصراعات المحلية التي تملها ظاهرة اللّف (تحكّات - تاكوزولت) بحيث لعبت دوراً مهماً في مواجهة طموحات إيليج للنزول إلى أزغار تيزنيت. وفي هذا السياق كان موضع إيغير ملولن الجبلي مشار نزاع تقليدي بين الطرفين، وترتب عنه مجموعة من التحالفات.

بلغت قبيلة أولاد جرار أوج قوتها وشهرتها مع القائد عباد الجراري الذي أبان عن دهاء وفطنة سياسية في تسيير أمور أولاد جرار. ولما قام الشيخ أحمد الهيبة يدعو إلى الجهاد ضد الفرنسيين، كانت القبيلة من ضمن القبائل السوسية التي ناصرته الشيخ، كما أصبحت أراضيها منطلقاً لعمليات تهدئة القبائل الجبلية حتى حدود سنة 1352 / 1934.

السلطان المولى عبد العزيز.

تمكن من اللغة العربية، وسير أغوارها منذ حداثة سنه، ونهل من الشعر العربي والملحون وتلمذ في الملحون على يد خاله شيخ لكريحة في زمانه الشيخ المعطي لحسوك.

عاش الشاعر الجرجري سنوات من حياته عيشة راضية، ثم انقلبت إلى حجيح تلظى بناورها، ومما زاد في أزmate فراقه مع زوجته، وفقده لبصره.

وقد عاش مجموعة من شعراء الملحون نذكر منهم عباس بوسته والسيد إسماعيل والسيد الطبال وحسن بنشقررون وغيرهم.

توفي سنة 1359 / 1940 بعد أيام من سقوطه من أعلى سطح داره. ومما يؤسف له أنه رحمه الله لم يعتن بجمع شعره وتدوينه، ولم يبق منه إلا ما هو في ذاكرة حفاظ الملحون وهو قليل.

روايات شفوية : أ. متفكر، أعلام مراكش، مخطوط.

أحمد متفكر

الجرجري الأوديسي، إدريس بن حمان الرباطي.

من فصيل أولاد جرّار المنتقلين إلى قصبة الأوداية. كان من الوجاه والأعيان الفضلا والقواد المحنكين، ومن أبرز عمال السلطان مولاي عبد الرحمان، وأعقلهم وأرجحهم وأنصحهم، وحظي لديه بالمكانة العالية والمنزلة السامية.

كان أول ما ولّاه عمالة وجدة، وقد أبدى في واقعة الأوداية الشهيرة مع السلطان المذكور ما دلّ على حسن طويته وصدق خدمته. فولاه القيادة على الأوداية بناحية الرباط، وبقي كذلك إلى أن توفي سنة 1255 / 1839، ودفن بالزاوية القادرية بالرباط.

ع. ابن زيدان، إتحاف، 5 : 227، 228 : م. دنيا، مجالس الانسياب، 218.

حسن أميلي

الجرجري الأوديسي، عثمان من أعيان الرباط

ورجال الدولة في عهد السلطانين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ. تولّى منصب نائب وزير الحربية أثناء نزاع السلطان عبد العزيز مع أخيه في جمادى الأولى عام 1325 / منتصف سنة 1907. وبعد أن عينت الحكومة الفرنسية الجنرال ليوطي مندوباً لمنطقة الحدود (19 مايو 1908)، طالبت السلطان عبد العزيز بتعيين مندوب عنه للتعاون مع نظيره الفرنسي والسهير على تطبيق اتفاقيات الحدود التي وقعت بالجزائر سنة 1902. فعين السلطان عبد العزيز تحت الضغوط الفرنسية عثمان الجرجري مندوباً سامياً للحدود يوم 22 ربيع الثاني عام 1326 / 29 مايو 1908، رغم أن الاتفاقيات المذكورة لاتنص على المنصب المشار إليه، بل نصت على تعيين مفوضين عن الدولتين لحل

مشاكل الحدود في عين المكان. وكان السلطان عبد العزيز قد امتثل لمقررات الاتفاقيات المذكورة، فعين محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي مفوضاً عنه بوجدة سنة 1904، إلا أنه أعفاه من منصبه سنة 1905، وظل المنصب شاغراً إلى حين دخول الجيش الفرنسي إلى مدينة وجدة في منتصف صفر عام 1325 / نهاية شهر مارس 1907. وبعد الاحتلال تولى أحمد بن كروم، عامل وجدة، مهمة المفوض من طرف المغرب للنظر في مشاكل الحدود إلى جانب مهمته السابقة.

التحق عثمان الجرجري بمقر عمله بوجدة في أوائل رجب عام 1326 / بداية شهر غشت 1908. فوضعه الجنرال ليوطي أمام الأمر الواقع، بعد أن أحدث مراكز للجمارك بكل من السعيدية وأحفير وعين بني مطهر، بالإضافة إلى مراكز للحراسة بهدف محاربة التهريب، فوافق المندوب السامي المغربي على الإجراءات المتخذة من طرف ليوطي. واستغل ليوطي أيضاً حضور المندوب السامي المغربي بوجدة لإضفاء المشروعية على القرارات المتخذة بشأن الحدود. إلا أن أصداء الهزائم المتتالية التي لحقت بالسلطان عبد العزيز في صيف سنة 1908 أثرت على سلوك المندوب السامي المغربي، فحاول الالتحاق بطنجة خوفاً من سطوة السلطان الجديد. وطلب من ليوطي التدخل لدى السلطان عبد الحفيظ بهدف حماية أهله ومصالحه بالرباط. ووقع عثمان الجرجري في حيرة من أمره فيما يتعلق بالمبادرة إلى مبايعة السلطان عبد الحفيظ أو الالتزام ببيعة السلطان عبد العزيز. لكن تحت ضغط السكان وبموافقة السلطات الفرنسية، أعلن عثمان الجرجري ولاءه للسلطان الجديد إسوة بكبار موظفي المخزن بدار النيابة بطنجة، وعقدت البيعة للسلطان عبد الحفيظ في نهاية شهر غشت 1908. وبعد إخراج شديد من قبل عثمان الجرجري لأجل العودة إلى الرباط، وبعد ضمانات من السلطات الفرنسية التي حصل على حمايتها، عاد إلى فاس في نهاية شهر أكتوبر 1908، فعينه السلطان عبد الحفيظ على رأس معمل السلاح بفاس سنة 1909، ورفض تعيين خلف له بعد أن تفتن إلى أن السلطات الفرنسية كانت تنوي تسخير المندوب السامي المذكور لاتخاذ عدة قرارات باسم السلطان، لكن أمام الضغوط الفرنسية وبعد توقيع اتفاق 14 يناير 1910 (القسم الخاص بالحدود)، الذي نص على تعيين مندوبين ساميين للحدود من جانب الدولتين، عين السلطان عبد الحفيظ عبد السلام ابن عبد الصادق مندوباً سامياً للمغرب لمنطقة الحدود في شهر أبريل سنة 1910.

وثائق خ. ح كناش رقم 773، (بعض الاتفاقيات المغربية الفرنسية. 1319 / 1322) : كناش رقم 606، خ. ح (بعض الاتفاقيات البرمة بين المغرب وفرنسا ما بين 1319 / 1328) : معلمة المغرب، مادة أحفير، ص. 155.

A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1911 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912.
عكاشة برحاب

الجراري الأودبي، محمد بن إدريس بن حُمان، قائد محنك تولّى عمالة الدار البيضاء ثم عمالة الجديدة، وكان أبوه سابق الترجمة عاملاً لوجدة أواسط القرن الثالث عشر (19 م).

لا نعرف المناصب التي تقلدها محمد الجراري قبل أن تسند إليه شؤون الدار البيضاء سنة 1279 / 1862. وكانت توليته هاته قد حدثت يوم كانت المدينة "خالية قفراً ليس بها أكثر من عشرين داراً" حسب تعبير العباس ابن إبراهيم في كتابه الإعلام بعد أن كانت سنة 1270 / 1854 لا يتعدى المبني فيها بالحجر خمسة منازل، حسبما جاء في تقرير القنصل الفرنسي أو غوست بومبيي A. Beaumier. أما سكانها فقد قفز عددهم من 1000 نسمة سنة 1850 إلى 7.000 شخص سنة 1875، يوم غادرها الجراري إلى منصبه الجديد بمدينة الجديدة، مع قلة من الساكنة الأروبية بها.

وما ينبغي أن نشير إليه هو أن هاته القلة الضعيفة من الأروبيين أخذت تبحث عن سكن يؤويها بالمدينة، فقرر المخزن أن يبني لها أماكن للسكنى والتجارة معاً على قاعدة 6٪ المعروفة أي أنه يكرها عقاراته بسوم 6٪ في السنة من مجموع ثمن كلفة البناء.

تفتت في الدار البيضاء وغيرها من المدن الشاطئية، ظاهرة الحماية القنصلية والتجارية والخلطة مع الأجانب في الفلاحة وتربية المواشي في البوادي المجاورة. وقد راعت هاته القضية العامل الجراري وأحزنته فكتب سنة 1282 / 1865 رسالة إلى محمد بن عبد الرحمان بركاش النائب السلطاني جاء فيها :

"... ورأيتُ - أيها الأخ - تساقط المسلمين اليوم على أهل الحمایات، ونسبة جميع أموالهم إليهم، وبذلهم عريض المال في تحصيل الحماية، ومساعدة التجار والأقناص لهم في ذلك، ولاحد له ولاحصر، بل تعطلت الأوامر المخزنية رأساً. والأمر الآن في غاية الازدياد، ولايكاد يوجد أحد على الإطلاق إلا وله تعلق إما بالتجار أو القُننص، وإما بمن احتسى بهم، وهلم جراً... وكادت كذلك أن تعطل الأوامر الشرعية لكثرة تعلق المسلمين وتملقهم وضراعتهم للتجار والأقناص، مع بذل جميع أموالهم، ونسبتها كلها أو نصفها لهم. ومن لاشيء له يشهد أن في ذمته كذا وكذا مالاً للتاجر أو من تعلق به، كي يُجَعَلَ له تمييز وتشريف واكتساب جاه بذلك...".

في هاته الظروف بالذات كان الجراري عاملاً على المدينة، ولايتسع المجال للإقاضة في هذا الموضوع. وإنما أشير إلى جماعة من سكان الدار البيضاء اتهموه في السنة الثالثة من ولايته بالحيانة والتواطؤ، فمن هؤلاء المستنكرين لموقفه محمد بن الحاج قاسم حصار السلاوي الذي كان أميناً بالمدينة، فقال للسلطان سنة 1280 / 1864 إنه سمع أن "القائد محمد الجراري كان شريكا مع الذميين المشتريين كنطردة الدار البيضاء وأسواقها" وأنه كان "يخبرهم بما

يكون فيه الخسارة" وأنهم "فرقوا ألقي مثقال رشاي على من يظن به ذلك ليعينهم على إثبات الخسارة". ومعنى هذا أن العامل كان متواطئاً مع المشتريين لمنفعة الدار البيضاء لينال نصيباً عن سكوته. ولعل السلطان وجه من يحقق له هذا فثبت لديه كذب هذا الخبر الزائف.

ومهما يكن فقد ظل الجراري مشالاً للموظف المحنك ومكث إلى سنة 1291 / 1875 وهي السنة التي نقل فيها إلى الجديدة المحتاجة إلى رجل في مثل حزمه، بينما عين للولاية على الدار البيضاء الحاج عبد الله حصار السلاوي شقيق الأمين محمد حصار المشار إليه أعلاه.

ولما أسند مولاي الحسن أمر الجديدة إلى الجراري قال له "إننا أعفيناك من ولاية الدار البيضاء ووليناك على الجديدة. ولم نعزلك عنها سخطاً لسيرتك ولاهضماً لجانب خدمتك، وإنما اقتضت المصلحة تقديم الأهم فالهم".

وذلك أن الجديدة صارت مثل الدار البيضاء قطباً ومركزاً للاستيطان الأروبي وبدأ العمران يزدهر فيها. فبعد أن كان سكانها المغاربة 2500 نسمة سنة 1872 صاروا 9000 شخص سنة 1892، مع تزايد الوافدين الأروبيين عليها بالعشرات كل سنة، وخلطتهم للمغاربة المسلمين واليهود من أجل حركتهم التجارية تصديراً واستيراداً. وكان تعيين الجراري عليها يقصد به تطبيق الخبرة والحكمة التي اكتسبها بالدار البيضاء على مدينة الجديدة التي أخذت تنال حظاً وافراً من الحركة العمرانية والاقتصادية.

أشير إلى العلاقات الطيبة التي كانت بين العامل الجراري والمؤرخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي صاحب الاستقصا الذي كان آنذاك عدلاً بمرسى الجديدة، وفيها تعرف على الجراري فأهداه - كما قال ابنه محمد وجعفر - أكياساً مملوءة أوراقاً أعانته على تحرير تاريخ المغرب. وقد توثقت الصداقة بين الرجلين توثقاً شديداً فنوه به الناصري واصفاً إياه بأنه "من أمثل عمال السلطان وأعقلهم وأرجحهم وأنصحهم... ظهرت كفايته ونصيحته، وحمدت سيرته وولايته...".

وكما وشي بالعامل الجراري في الدار البيضاء تجددت به الكتابة بالجديدة في الشهور السابقة لوفاته، وذلك أن أناساً نُعتوا بأنهم "خدام أهل الجديدة" بعثوا في 13 ربيع الثاني عام 1307 "لشريف الحضرة شكابة في 28 صفر الفارط، وجددوا، بعد البحث، على ما قبض من إيالة العامل السيد محمد الجراري - من عام 1293 إلى تاريخه - على وجه الظلم والتعدي وسجن ضعفائهم وأخذ مالهم باطلاً، وجعل معه ثلاثة خلفاء : ولده وابن عمه ووصيفاً يقال له بوجمعة، واشتغلوا هنا بما لايرضاه الله ورسوله، مع اليهود والنصارى. وقدّر ما قبض من أهل البلاد وأهل النوايل وفرضة الأعياد من الغريبة والاغناصرة والامنادلة يصل سيدنا بيان ذلك داخله".

فما كان من السلطان إلا أن بعث هاته الرسالة إلى القائد الجراري الذي أجاب عنها بعد خمسة أيام بأن هذا من

تخرصات أولاد الشيخ يسف الفرّجي "ومنهم الحاج محمد ابن يسف المحتمي بإسبانيا والناظر الحاج محمد ولد الحمدونية الجديدى وغيرهم من ذكر، وهم فى حماية السويد والبرازيل والبرديز والألمان والطنجيان والطنجيز والداغمارك". وكان الجراري قد قبض على اثنين من أولاد الشيخ يسف القاطنين بأولاد فرج. وختم جوابه بأن ليس له إلا خليفة واحد هو ابنه عمر، ناعتاً إياه بـ"الحزم والضبط والنباهة". ولا نجد مبرراً لشكاية "خدام أهل الجديدة" سوى أنه قبل صدورهما ببضعة أشهر كان قد أطلع السلطان على أحوال "أولاد الشيخ يسف السبعة المتلبسين بالحمايات، المتقلبين من دولة لأخرى، آكلي رمضان جهاراً" أنه كان فى سنة 1879 / 1296 من خلال رسالة وجهها إلى برغاش اقترح أن يرفع عن المسلمين التآديب بالسوط مثلما فعل مع اليهود، وشرح كلامه فيها أن اليهود كانوا يعاقبون بالسجن فقط، وأن المسلمين كانوا يُزجرون بالسوط والسجن معاً "ولاسبيل إلى حسم هذا الداء إلا بإبطال هذا القانون من أصله، مع أنه لا أصل له، أو يرفع هذا التآديب بالضرب حتى عن المسلمين لتحصّل المساواة". وبالرغم من هاته الحصافة الفكرية اتهمه اليهود فى السنة المذكورة نفسها بأنه كان متعسفاً عليهم، فرفعت المسألة إلى السلطان فأمره بالكف عنهم.

وفى 29 جمادى الأولى عام 1307 / 21 يناير 1890 توفي محمد الجراري رحمه الله. ومع ذلك لم يستسلم خصومه المعلومون والمجهولون، فرفعوا بعد موته بيومين كتاباً إلى السلطان طالبين منه الإعفاء من أهل العامل المتوفى وذاكرين أن الجديدة كانت من قبل يتصرف فيها الأئمة، ثم أضيفت إلى أزمور.

وفهم من عبارة "الإعفاء من أهل العامل المتوفى" أن ابنه عمر كان - هو أو غيره من قرابة العامل الهالك - يطمح إلى الولاية على المدينة. لكن السلطان لم يفعل، إذ عين بعد ذلك عدداً من الأئمة للقيام بشؤون المدينة، كان أولهم محمد بن العربي برادة المتوفى بالجديدة سنة 1894.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، 2 : 804. 814. 280. 3 : 972. 973. 998. 4 : 1417 ؛ ذيل الإتحاف الوجيز الجديد، مخطوط : أ. الناصري، الاستقصا، 1 : 35 ؛ 9 : 150 ؛ ل. بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب، ع. الخلاص ص 261 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 7 : 222 ؛ مجلة الوثائق، 4 : 480 ؛ 5 : 445. 446 ؛ الوثائق الملكية : آل بركاش ؛ وثائق آل بنسعيد.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome III, p. 18, 371.

مصطفى بوشعراء

الجراري، الحبيب بن علي البوسليمانى السكراتى
أصلاً، الجراري مسكناً وداراً. فقيه أديب صوفي مدرّس نفاع. اشتغل ككاتب مترسل مع رؤساء أولاد جرار من إد

بورحيم، كالقائد عياد بن محمد - فتحاً - وابن عبد الله، إذ كان هؤلاء الرؤساء حريصين على ألا تخلو مجالسهم من العلماء والأدباء.

ألف ابنه الأديب عليّ الجراري آتي الترجمة كتاباً سماه *الحصيب في آثار الحبيب*، جمع فيه رسائله وقصائده. وقد اعتمد عليه محمد المختار السوسي في الترجمة التي كتبها لهذا العالم في *المعسول*.

توفي الحبيب الجراري في 11 حجة عام 1352 / 27 مارس 1934.

عليّ الجراري، *الحصيب في آثار الحبيب*، مخطوط : م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 244.

الجراري، عليّ بن الحبيب بن عليّ البوسليمانى
السكراتى، من مؤرخي سوس فى النصف الثاني من القرن الرابع عشر (20 م). نشأ فى بيت علم وبيئة أدب، فحفظ القرآن وأمهات المتون. وأخذ عن أبيه الفقيه الأديب الصوفي وعن ابن عمه السيد محمد بن الطيب بن عليّ الجراري بعض فنون العلم، كالنحو واللغة والأدب والفقه، ثم ذهب لدى العلامة عبد العزيز بن محمد الأوزي أو سيدي المحفوظ النسب بمدرسة سيدي بوعبدلي فأقام فى الأخذ عنه أعواماً. ثم قفل لدارهم معيناً والده فى الكتابة والرسائل لرؤساء أولاد جرار من إذ بورحيم كالقائد عياد بن محمد - فتحاً - وابن عبد الله. ولما توفي والد المترجم خلفه فيما كان قائماً به من ذلك لما لهؤلاء الرؤساء من الولوع بالعلماء والأدباء لاتخلو مجالسهم من أرباب المعارف والقوافى.

له كتاب سماه *الحصيب في آثار الحبيب*، يعنى والده، نقل لبّه فى *المعسول* بترجمة الممدوح ؛ وله كتاب *تحلية الطروس في آثار رجال سوس*، كان صاحب *المعسول* يستمد منه ويعتمد عليه كما صرح به. مازال مخطوطاً مع قلة نسخه، لم يطبع لاهو ولا الحصيب.

ثم مرض المترجم مرضاً مزمناً ألزمه الفراش ما شاء الله إلى أن أسلم الروح لباريها حوالي عام 1370 / 1951.

عليّ الجراري، *الحصيب في آثار الحبيب*، مخطوط ؛ *تحلية الطروس في آثار رجال سوس*، مخطوط : م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 261. 262.

الرشيد المصلوت

الجراري، عمر المراكشى. أستاذ مقرر أخذ القرآن برواياته فى بعض مدارس رأس الوادي بسوس، ثم التحق ببلدة تامازت فأخذ بعض المتون على يد الأستاذ محمد بن عبد الملك، ومنها التحق بمدرسة السعادات فى قبيلة أبي السباع، فدرس عند السيد العربي السباعي وتاقت نفسه إلى الاستزادة من العلم فشد الرحال إلى مدينة مراكش،

وهناك التقى بالشيخ أبي شعيب الدكالي الذي حفزه للذهاب إلى الأزهر الذي التحق به سنة 1933، فأخذ عن شيخ الأزهر التفسير والحديث والتجويد والقراءات وبعض الفنون.

وفي سنة 1339 / 1920 رجع إلى المغرب، فمر بالشيخ أبي شعيب الدكالي بالرباط، وهو إذ ذاك وزير العدلية، فكتب له رسالة إلى بعض المراكشيين يوصيه به خيراً. وكان رحمه الله لا يزال محافظاً على لباسه المشرقي، مما أثار إعجاب الناس الذين أقبلوا عليه إقبالاً في دروسه التفسيرية والحديثية مناوبة بين العشاءين في مسجد سيدي عبد العزيز. ثم انتقل للزاوية النظيفية بطلب من الشيخ النظيفي، لكن الفقيه الجراري المتشيع بالروح السلفية، لم يرقه ما شاهده في الزاوية من تصرفات تسيء إلى الدين في نظره، فصدرت منه انتقادات وندد يوماً على المنبر بتقديم الورود على الحزب الراتب بعد المغرب، فكان ذلك أحد الأسباب التي أخرج بها من الزاوية.

فتح دروساً أخرى بالجامعة اليوسفية. وكان يلقيها بلهجة لا هي مغربية ولا هي مصرية، بل مزيج بينهما. لقد أقبل على التدريس والوعظ فترة زمنية أحس بعدها بأنه محتاج إلى مورد للرزق، فاشتغل بالتجارة من غير استنكاف، فقايض في أحد فنادق "ثلاثة فحور" في تجارة السكر، انتقل بعدها إلى اتخاذ سيارة لنقل البضائع والركاب بالأجرة. ثم تولى قضاء أمزميز ما يقرب من سنتين، كان فيها مثال النزاهة والعفة، ثم بدا له أن يتخلى عن مهمة القضاء، فرجع إلى مدينة مراكش، واشترى دارين يتبلغ من كرائتهما بالاقتصاد، واختار الانزواء عن الناس، وقلما يرى في المجتمع، حتى إنه ربما يترك التدريس بين العشاءين في مسجد سيدي بوعمر القسطلي بروض العروس، الذي صار يدرس فيه منذ سكن هذا الحي بعد رجوعه من أمزميز.

توفي رحمه الله بمراكش عام 1364 / 1944 تاركاً فهرسة لاتزال مخطوطة.

عمر الجراري نفسه، فهرسة؛ روايات شفهية؛ م. المختار السوسي، المعول، 8: 144.

أحمد متفكر

الجراري، محمد بن مهدي الدرعي، نسبة إلى قبيلة أولاد جرار المعقلية بسوس (المعول، 19: 148) هاجر والده ضمن جماعة إلى وادي درعة خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع (15 م) ورغم أن المصادر لم تسعفنا بأي إشارة عن مكان مهجر المهدي الجراري بواحات درعة، وهل كان من العلماء أو من عامة الناس، فإننا نعتقد أنه استوطن واحة فزواطة من درعة الوسطى، ذلك أن هذه الواحة قد استقبلت في نهاية القرن التاسع

ومطلع القرن العاشر الهجريين (نهاية ق 15 ومطلع 16م)، عدداً من علماء جزولة، لما كانت تروج به من مدارس علمية بجهات تاغمادارت وتامگروت وتافگروت ببني علي بسافلة فزواطة. وفي نفس الوقت كانت زوايا هذه الواحة تهتز بحلقات الذكر التي كان يعقدها مريدو وأتباع الطريقة الجزولية. ناهيك بأن واحة فزواطة، كانت آنذاك تعيش إرخاص ميلاد الإمارة السعدية، حيث كان محمد بن عبد الرحمان الزيداني (محمد القائم بأمر الله) عالم تاغمادارت وأحد أتباع الطريقة الجزولية البارزين بها، يكثر من ذكر المبشرات بالملك في مجالسه الخاصة، وأنه سيكون من نصيب أبنائه.

في هذا الجو المفعم بمجالس العلم وحلقات الذكر، ولد محمد بن مهدي الجراري بإحدى زوايا واحة فزواطة في العشر الأواخر من ذي الحجة عام 902 / غشت 1497. لا نكاد نعرف شيئاً عن تعليمه الأوّلي. وعلى يد من تلقى مبادئ القراءة والكتابة.

وبعد هذه المرحلة، نجد محمد بن مهدي طالباً للعلم بالزاوية البكرية، فلزم فحل الأسرة البكرية، وأحد علمائها العاملين، محمد بن علي البكري، حتى تخرج عليه متبحراً في جل العلوم اللغوية والشرعية.

يبدو أن نباهة محمد بن مهدي وجدته في التحصيل هي التي جعلت شيخه البكري ينتدبه مدرساً إلى جانبه. وبعدما ثبتت العائلة السعدية أقدامها في الحكم، انتدب بعض سلاطينها علماء الزاوية البكرية لبعض المهام التعليمية، ومنهم شيخ الجراري (حضارة وادي درعة، 138)، فانتقل من الزاوية البكرية بفزواطة إلى واحة ترناتة، حيث أقطعه عبد الله أو عياد، أحد قواد السعديين، جملة من الأراضي بالواد الميت وسط ترناتة، فاستصلح الجراري هذه الأراضي، وأقام بها زاوية علمية لاتزال تعرف إلى اليوم بزاوية ابن مهدي.

كانت شهرة الجراري قد تجاوزت حدود بلاد درعة إلى ما جاورها، لذلك ما كاد ينتهي من بناء زاويته بترناتة حتى أضحت كعبة لطلاب العلم من سوس وتافيلالت والصحراء وبلاد السوادان، ناهيك عن طلبة وادي درعة.

تجرد ابن المهدي الجراري لنشر العلم بزاويته وكانت له نية خالصة في إفادة المتعلمين، وقابلية عجيبة في التدريس (الحركة، 2: 534). فانتفع به خلق كثير ممن قرأ عليه لحسن خلقه وسلامة طويته على حد تعبير تلميذه عبد الواحد السجلماسي. كانت الدراسة بهذه الزاوية تنطلق مع التبشير الأولى للفجر وتستمر على ساق الجدد إلى ما بعد العتمة، وهي عادة كانت سائدة بالمراكز العلمية في الجنوب المغربي من سوس غرباً إلى تافيلالت شرقاً مروراً بوادي درعة (مدارس سوس، 14-15) وكان التلاميذ والطلبة يتلقون دروساً في مختلف العلوم التي تدرس بالزاوية، كل حسب مستواه ومداركه العقلية، تحت نظر الشيخ ابن مهدي

مباشرة، أو تحت نظر من يساعده من كبار الطلبة والعلماء النازلين بالزاوية.

كانت لمحمد بن مهدي الجراري طريقة خاصة في التدريس، تعتمد على أسس ثلاث لخصها عبد الواحد السجلماسي بقوله "وسيرته في الإقراء تصحيح المتن وحل المشكل وإيضاح المقفل... وزيادة غيرها ضررها بالمتعلم أكثر من نفعها" (الدرر المرصعة، 254) وهذا الأسلوب التعليمي في إفاضة المتعلمين هو الذي جعل بعض الباحثين يرى أن الجراري، قد نظّر لمدرسة تعليمية هي مدرسة الجنوب (الحركة، 1 : 95). وقد انتشر هذا الأسلوب التعليمي المبسط مع أفواج المتخرجين من زاوية الشيخ الجراري بمدارس درعة وتافيلالت وسوس ومراكش.

يتضح من خلال أسماء الكتب المعتمدة للتدريس بزاوية الشيخ الجراري، والتي سطرها عبد الواحد بن أحمد السجلماسي في فهرسته أن العلوم التي كانت تدرس بزاوية الشيخ الجراري، لا تختلف في جوهرها عما كان يُلقن بمختلف جهات المغرب وخاصة بمدارس فاس ومراكش وتارودانت. وهكذا كان الشيخ الجراري يلقى دروساً عالية في التفسير بابن عطية وفي الفقه والتوحيد بمختصر ابن الحاجب ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والتهذيب للبرادعي وصغرى السنوسي، وفي الحديث النبوي بصحيح البخاري والأربعين النووية، وفي السوريات بأرجوزتي التلمساني والونشريسي، وفي العروض بقصيدة الخزرجية، وفي النحو بالمغني لابن هشام وقوانين ابن أبي الربيع والألفية واللامية لابن مالك.

ونظراً لكون الشيخ الجراري يعتبر من السالكين لطريق القوم فقد كان يهذب نفوس طلبته باللقاء دروس رفيعة المتسوى في التصوف بالحكم لابن عطاء الله وكتساب التشوف للتادلي وكنز الأسرار للزموري.

وقد تخرج على يد الشيخ ابن مهدي جم غفير من العلماء الأفاضل بدرعة منهم أحمد اذقال الأكتاوي، وقد أجازته الشيخ الجراري إجازة عامة (الإعلام، 2 : 294) ورئيس الفقهاء والفضلاء في زمانه عبد الله ابن مسعود التافگروتی (الدرر المرصعة، 194) ومن سجلماسة عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني، وقد أهله علمه لمنصب الفتوى بمراكش والتدريس بجامع الأشراف بنفس المدينة على عهد السلطان أحمد المنصور السعدي (الحركة، 2 : 407) واعترافاً منه بفضل شيخه الجراري في تكوينه كتب له ترجمة حافلة في فهرسته التي لاتزال إلى اليوم أهم مصدر عن حياة هذا الشيخ.

وقد تعدد السوسيون المتخرجون عن الشيخ الجراري ومن أبرزهم سعيد بن علي الهوزالي الذي كان في وقت ما الساعد الايمن للشيخ في القيام بمهام التدريس بالزاوية، وتولى قضاء تارودانت في عهد السلطان عبد الله الغالب، ولم يلهه القضاء عن التدريس فكان يلقى دروساً في

مختلف العلوم بالمسجد الأعظم بتارودانت إلى أن وافته المنية في مطلع القرن الحادي عشر (17 م).

وبالرغم على أن الشيخ الجراري لم يغادر درعة فإن عدداً من العلماء المعاصرين له أجازوه، فمن أجازته إجازة عامة مطلقة من المغاربة، إمام المحدثين في وقته عبد الرحمان سقين السفيناني وإمام المعقول والمنقول أبو عبد الله محمد خروف التونسي دفين مدينة فاس (فهرس الفهارس، 1 : 375). وأجازته من المشاركة ناصر الدين بن حسن اللقاني المالكي، وناصر الدين الطيلاوي الشافعي، والعلامة أحمد ابن حمزة الرملي الأنصاري (الدرر المرصعة، 255)، وتتفق جل المصادر التي أرخت لحياة الشيخ ابن مهدي الجراري على القول بأنه أفنى حياته في تعلم العلم وتعليمه وبذله لعباد الله، وكان مواظباً على أوراده وأذكاره مقبلاً على ربه معرضاً عن الدنيا، رافضاً صلوات ولاة عصره.

للشيخ ابن مهدي الجراري شرح لطيف لغريب قطرب، وقد طبع هذا الكتيب مؤخراً بعناية أحد الباحثين ونشر ضمن سلسلة تراث التأليف اللغوي بالمغرب. وقد أسلم الشيخ الجراري الروح ليباريها يوم 22 جمادى الأولى عام 979 / 12 أكتوبر 1571 ودفن بزاويته بالواد الميت شرق مدينة زاگورة الحالية.

م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : م. التمنوگالي، العقود الجوهريّة، مخطوط : ع. ابن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 2، الرباط 1974 : ع. الكتاني، فهرس الفهارس، تح. إحسان عباس، بيروت، 1982 : م. المختار السوسي، سوس العالمة، الطبعة 2 - البيضاء 1984 : م. المنوني، حضارة وادي درعة، دعوة الحق، 2، 1973 : م. محمد حجي، الحركة الفكرية، فضالة، 1977. 1978.

أحمد البوزيدي

أَلْجَرَّارِي، يَحْيَى بن عبد الله بن مسعود البكري

السوسي، سليل بيت علم وتصوف؛ جدّه مسعود من تلامذة الشيخ مَحْمَد بن أبي بكر الدلائي. وأما هو فقد قضى حياته في مجالس العلم طالباً وأستاذاً داخل المراكز العلمية بالمغرب لتحصيل المعارف وأسانيد الطرق الصوفية ولقاء المشايخ واستجازتهم. وقد أمد الله في عمره حتى صار يعدّ من المعمرين، فأخذ وأعطى وانتهى به مطافه العلمي إلى مدينة فاس، وبها أجاز الشيخ محمد التهامي ابن رحمون ولديه برواية فهرسته المسماة ضوء المصباح في الاسانيد الصحاح، وأجاز أيضاً الشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهن برواية دلائل الخيرات. وقد تساءل عبد الحفي الكتاني عن سبب اقتصار الكوهن على هذا الكتاب مع أن الجراري له باع طويل في مختلف العلوم. وأما اهتمامه بالمجال الصوفي فيتجلى في أسانيد الطرق الصوفية التي حصل عليها ومنها سند الطريقة القادرية إجازة من الشيخ

المختار الكنتي، وسند الطريقة الوزانية عن الشيخ مولاي أحمد بن مولاي الطيب الوزاني المتوفي سنة 1194.

ورغم أن الشيخ يحيى الجراوي عاش فترة طويلة فلم تصلنا من مؤلفاته إلا الفهرسة المذكورة التي تكمن أهميتها في إلقاء الضوء على الحركة العلمية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18-19 م). أول أسانيده فيها القرآن الكريم ثم السير والمغازي، ثم التوحيد والفقهاء والنحو والمنطق والبيان والأدب والعروض والتصوف. وقد أورد فيها أسماء شيوخه الخمسة عشر الذين أجازوه إجازة عامة، منهم والده عبد الله والشيخ محمد بن يحيى الشبلي الأزاريقي الحامدي والمختار الكنتي وأحمد الغربي الرباطي. توفي عام 1344 / 1925.

ع. الكنتي، فهرس الفهارس، المجلد الأول والثاني؛ ع. ابن سودة، دليل، 2: 305؛ إنحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7: 2570؛ خ. الزركلي، الإعلام، 9: 192.

محمد ماگامان

الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغفجومي، ينتسب إلى قبيلة جراوة الزناتية، وهو من بني غفجوم بطن من القبيلة المذكورة، وإن لم يشتهر بالنسبة إلى هذا البطن، وكان محلهم بتادلا.

ولد على ما يرجح بتادلا ودرس بها ثم بمراكش وفاس وبالأندلس، حيث أخذ عن بعض علمائها كأبي الفضل بن الأعم، وأبي العباس ابن سيد المعروف باللص.

اشتهر الجراوي بنظم الشعر وروايته، حلاه ابن الأبار بقوله: "كان عالماً بالأدب، حافظاً، بليغ اللسان، شاعراً مفلحاً، وقد وقفت على ديوان شعره، وألف للسلطان كتاباً في معنى الحماسة لحبيب سماه صفوة الأدب ونخبة كلام العرب وكان شيخنا أبو الحسن سهل بن مالك يثني على هذا التأليف".

وقال عنه ابن خلكان في ترجمة السلطان يوسف بن عبد المومن: "وكان هذا الأديب - أي الجراوي - نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثه، وتقدم في هذا الشأن، وجالس به عبد المومن، ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب" وذلك ما أكده ابن سعيد: "ومن شيوخ أدباء المغرب، رزق طول العمر والجاه، ومجالسة الخلفاء، فأول من جالسه منهم عبد المومن، ثم جالس أبا يعقوب، ثم جالس المنصور، وصنف له كتاب صفوة الأدب المشهور بحماسة الكوراني".

حظي الجراوي بمكانة رفيعة لدى الخلفاء الموحدين، فهو شاعر بني عبد المومن، مدحهم في أكثر من مناسبة، وقد بلغت قصائد مدحه لهم سبعاً وثلاثين قصيدة، تنتظم في ثلاثة وخمسمائة بيت، إضافة إلى أشعار هجائية انتظمت في مقطوعات وقصائد، كما أن له مقطوعات في الشكوى تشير إلى محنته في آخر أيامه بعد أن كان مقدماً عند الخليفة عبد المومن، فنقل عنه ابن سعيد قوله: "تعمساً

لطول العمر الذي أخرني لمعاشرة هؤلاء الأندال! وعهدي بالخليفة عبد المومن يقول لي في جبل الفتح: "يا أبا العباس! إننا بناهي بك، أهل الأندلس". هن غرر شعره في مدح السلطان يعقوب المنصور الموحد داليتة التي مطلعها:

أدرت آمال الشريعة في الفدا وتركت نظم جموعهم متبداً
اهتم بجمع شعر الجراوي بعد أن ضاع ديوانه الأستاذ محمد الفاسي في كتابه شاعر الخلافة الموحدية، ومحمد بن تاويت في كتابه الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، وحسن الشبلي في كتابه أبو العباس الجراوي شاعر الموحدين، وأخيراً علي كردي في كتابه ديوان الجراوي، وقد اعتمد هؤلاء جميعاً على نقول وردت في كتب التاريخ والتراجم والأدب في فترات متقاربة.

وتذكر المصادر أن الجراوي ألف للخليفة يعقوب المنصور الموحد كتاباً سماه "صفوة الأدب ونخبة كلام العرب" وعُرف بالحماسة المغربية، نهج فيه نهج أبي تمام في حماسته، واختصره بأمر من الخليفة وسماه مختصر صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب. وصفه ابن خلكان بأنه "مجموع مليح أحسن في اختياره كل الإحسان". ولا يعرف اليوم من هذا الكتاب إلا نسخة خطية محفوظة بمكتبة الفاتح بتركيا، وعنهما حققه محمد رضوان الداية، وصدر في جزئين.

وقد رتب الجراوي موضوعات كتابه في أبواب المدح والفخر والمراثي والنسيب والأوصاف والأمثال والحكم والملح وذم النقائص والزهد والمواعظ. وصنّف اختياراته في كل باب مرتبة ترتيباً زمنياً، وبدأ في كل باب بشعراء المشرق ثم بشعراء المغرب والأندلس.

ويرى عبد الله گنون، بعد أن اطلع على مقدمة الصفوة أن الجراوي "كان ذا عارضة قوية، وملكة متصرفة في أغراض الشعر، جريئاً على النقد، مرصداً للشعراء، يأخذ عليهم الفلتات، ولا يُقبل لهم عشرة، مع أن هذا مختصر الكتاب، فما ظنك بالأصل".

أمّا عن شعره، فيقول الأستاذ گنون: "كان شاعراً مفلحاً، حسن البيديّة، بليغ القول، مداحاً هجاء، متصرفاً في غير ذلك من الفنون، وكان كثير المحفوظ من الشعر، بصيراً بجيدّه، مستظهِراً بذلك على شعراء وقته، كثير الغضب مما يأتون به، ولو كان في أعلى طبقة، متعرضاً بذلك لهجومهم وتحاملهم عليه، ولكنه لا يبالي بشيء، ولا يخشى من أحد".

أقحم الجراوي في شعره عقيدة الموحدين وتعاليم ابن تومرت، مستعملاً مصطلحاتهم وعباراتهم في مدحياته، فالخليفة المدحود مهدي، وهو عز الدين وإمام الهدى.

لقد شكّلت الواجهة الدينية عنصراً أساسياً في أمداح الجراوي، فاتخذها منطلقاً لمبادئ آمن بها وردّها في شعره، باعتبار المذهب الموحد استمراراً للقضايا الإسلامية وامتداداً للرسالة النبوية، ومن ثم، فهو من شعراء الدولة

الموحدية المقدمين، المنتصرين لمبادئها، المدافعين عن عقيدتها، وهو كما معته أبو بحر صفوان ابن إدريس : "شاعر الخلافة" دون منازع.

تضاربت الأقوال حول سنة وفاته، فذكر ابن سعيد أنه توفي سنة 603 هـ، وابن خلكان سنة 595 هـ، وابن الأبار سنة 609 هـ، وزاد في الإعلام "أن وفاته كانت بإشبيلية يوم 27 صفر سنة 609 هـ، ونُقل إلى مراکش، فدفن خارج باب الدباغين".

ابن سعيد، الفصون البائعة، 100: 98؛ ابن الأبار، التكملة، 1: 158؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7: 239؛ ابن صفوان، زاد المسافر، 49؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2: 115؛ ع. غنون، ذكريات مشاهير المغرب، عدد 6؛ م. الفاسي، الجراوي شاعر الخلافة الموحدة؛ الشيبه حسني، الجراوي شاعر الموحدين؛ علي كردي، ديوان الجراوي؛ م. ابن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، 1: 116؛ كلية آداب بني ملال، ندوة الجراوي؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق، تح. الكتاني وابن تاويت؛ ت. المريني، ملحوظات حول المحاسة المغربية والبيانية، نشر في ندوة أعمال تادلا، المجال، التاريخ الثقافة، مجلة كلية آداب بني ملال، 349.

نجاة المريني

الجَرَائِي، بمناطق الواحات المغربية، هو الذي يسهر

على تنظيم عمليات توزيع الماء والإشراف على السواقي وصيانتها. وقد تطور مدلول اللفظ عند قبائل القصور، فبات يطلق على الشخص الذي يتم اختياره، ضمن جماعة القبيلة إلى جانب الشيخ، ليمثل عظمه أو فخذه تبعاً لأعراف وتقاليد القبائل بالواحات. ويأتي هذا التداخل بين وظيفة الجَرَائِي الأصلية واللاحقة من كونه يتم اختياره وانتخابه في كلتا الحالتين لرجاحة عقله وحرصه على الأمانة والمسؤولية ومراعاة شؤون الجماعة التي اختارته.

ويحمل الجَرَائِي عند قبائل أيت عطاً اسم المَزْرَاكُ، وعند أولاد يحيى اسم "الزَّازِي" (وثائق محلية). وقد يحمل عند بعض القبائل الأخرى اسم الرُّقَاد أو الضامن إلى غير ذلك من الألفاظ التي تنطوي على معنى التكفل والالتزام بما تقرره الجماعة وشيخ القبيلة.

يتم اختيار الجَرَائِي، تبعاً لأعراف وتقاليد هذه القبيلة أو تلك على رأس كل سنة أو كل سنتين مع تجديد أعضاء الجماعة والشيخ، حيث تحدد الشروط والضوابط العرفية التي تنظم العلاقات الداخلية بين مختلف "العظام" التي تتشكل منها قبيلة القصر.

تنحصر وظيفة الجَرَائِي، بعد اختياره ضمن جماعة القبيلة، في السهر مع رفقائه على المصالح العامة لقبيلة القصر (القرية في الواحة) والدفاع عن مصالح عظمه أو فخذه أمام الجماعة والشيخ، وضمان تنفيذ قرارات الجماعة طبقاً للضوابط العرفية للقبيلة. وفي عهد الاحتلال، حرصت

سلطة الجماعة على التغيير التدريجي للهيكل السياسي عند قبائل القصور، فألغت العمل بالضوابط العرفية، ومنصب الشيخ عند كل قبيلة، وسمحت لكل قبيلة باختيار "أعيانها"، ومن بين هؤلاء الأعيان يتم اختيار الجَرَائِي بإرادة ضابط الشؤون الأهلية أو القائد. ومن هنا نلاحظ التطور الذي طرأ على وظيفة الجَرَائِي، فبعد أن كان مسؤولاً أمام عظمه أو فخذه أصبح في عهد الحماية مسؤولاً أمام ضابط الشؤون الأهلية، كما أن مدة تمشيته لم تعد محدودة في سنة أو سنتين بل قد تمتد طيلة حياته، وقد يتوارث أبنائه منصبه. وانطلاقاً من موقعه القريب من سلطة الحماية ومن في ركبها من قواد وخلفاء، باتت وظيفة الجَرَائِي أمينة بحته، فهو "عين وأذن المخزن" في القبيلة، وهو المسؤول عما يقع فيها من أحداث. وأضحى يتمتع بنفوذ واسع يسجن من يشاء ويسرح من يشاء. وبعد الاستقلال، ظل دور الجَرَائِي على ما هو عليه في عهد الحماية، وقد استبدل اسم الجَرَائِي في الوثائق الرسمية الحديثة وأصبح يعرف "بالمقدم" أو عون السلطة، وسمح له هذا الاسم الجديد بتوسيع مجال نفوذه وتعزيز مركزه في الأوساط القبلية بالجنوب.

أ. البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، البيضاء، 1994؛ كزابي مبارك، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لدرعة الوسطى، 1932. 1956، بحث لنيل الإجازة من كلية الآداب أگادير، 1990؛ وثائق محلية في صورة الكاتب.

G. Spillmann, Les pays inaccessibles du Haut Draa, R.G.M. n° 2, 1929. أحمد البوزيدي

الجرسيفي ← الجرسيفي

الجرف الأخضر، يطلق هذا الاسم على جبل قليل الارتفاع شمال شرق المغرب، له جانب يمتد عمودياً من القمة إلى القاعدة. وسمي بالأخضر نظراً لكونه يوجد في منطقة خضراء تحاذيها غابة من الصنوبر، وبأسفله توجد سهول تمتد عبر وادي إسلي.

يُطلّ الجرف الأخضر على نهر إسلي، من أجل ذلك يشكل نقطة استراتيجية هامة لعبت دوراً حاسماً في معركة إسلي يوم 29 رجب عام 1260 / 14 غشت 1844 بين القوات الفرنسية القادمة من الجزائر وبين القوات المغربية التي كان يقودها محمد بن السلطان مولاي عبد الرحمان.

J. Dresch - Joly F., Géographie du Maroc : L. Voinot, Oujda et l'Amal. أحمد بنجلون

الجرف الأصفر - تاريخ - كان الأوربيون يسمونه الجرف الأبيض Cap Blanc. يقع على بعد سبعة عشر

كيلومتراً جنوب مدينة الجديدة. وكان هذا الجرف، قبل تحويله إلى ميناء، منتزهاً من أجمل المنتزهات، يقصده الزوار من كل مكان، لأنه بالإضافة إلى كونه يشرف على البحر، كان كذلك يُطل على غابة ملتفة الأشجار تجري بها عين ماء عذبة تحمل اسم عين السراخنة.

ويظن بعض الكتاب أن القرطاجي حنون توقف في هذا المكان في القرن السادس قبل الميلاد لإقامة معبد به، غير أن هذه الرواية بعيدة الاحتمال حيث إن الوصف الطبوغرافي الذي أعطاه حنون لا ينطبق على الجرف الأصفر، وإنما على رأس القنط Cap Cantin، هذا بالإضافة إلى أنه لا وجود حالياً لأي أثر للمعبد المذكور بالجرف الأصفر.

وبالرغم على الأعمال الجبارة الحديثة التي غيرت منظر الجرف الأصفر الجميل وحولته إلى ميناء عظيم وإلى منطقة صناعية لمادة الفوسفات، فإن قرية صغيرة تحمل اسم "دوار الرقاصة" مازالت قائمة فوق هذا الجرف، على الطريق الذهبية من الجديدة إلى الوليدية. كانت تحف بهذه القرية إلى عهد قريب بعض أشجار أركان، مما بيعت على الظن أن غابة أركان كانت تصل في القديم إلى دكالة وتغطي بعض أجزائها.

ويقول سكان هذه الناحية القدامى إن عين الماء المذكورة كانت تسمى "عين السراخنة" لأنها كانت مورداً لأسراب الخيول التي تتوارد عليها كل يوم. وقد تكون هذه الخيول هي تلك التي كان الرقاصة من الدوار المذكور ينقلون عليها البريد من مدينة الجديدة، بعد أن أصبحت ميناء مهماً، إلى عاصمتي المغرب فاس ومراكش وإلى طنجة، مقرّ المفاوضات الأوربية.

م. الشباطي، حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة، مخطوط.

J. Goulven, *Le Cercle des Doukkala*.

محمد الشباطي

من الناحية الجغرافية، تكون الجرف الأصفر في أواسط الزمن الجيولوجي الرابع نتيجة انتهاض عرفته الطبيعية، ككل، الشيء الذي أدى إلى تعمق التعرية الساحلية وبالتالي إلى نحت الشاطيء فاعطتنا جرفاً تعلوه كشبان شاطئية متصلة متضمنة اصدافاً بحرية مختلفة، وتحيط به شواطئ شبه صخرية وتميز فيه بين :

- الجرف الميت في الجنوب من الجرف الأصفر، في اتجاه

أسفي

- الجرف الحي في الشمال في اتجاه الجديدة

ميناء الجرف الأصفر حديث النشأة لم يفتح للملاحة البحرية إلا في سنة 1982، وهو متخصص في الفوسفات ومشتقاته، مجهز بشكل يجعله مفتوحاً في وجه الملاحة البحرية على اختلاف أصنافها، ويمكنه استقبال السفن في أي وقت. وهو أول ميناء وطني من حيث الأعماق المائية

المهمة التي تصل إلى 16 متر وتسمح باستقبال السفن العملاقة التي تصل حمولتها إلى 120.000 طن.

ولهذا الجرف الطبيعي مميزات حولت له حماية المنطقة البحرية من الرياح والعواصف من الجنوب الغربي، أضيف إليها تجهيزات ومنشآت جديدة أصبحت تميز ميناء الجرف الأصفر، يمكن أن نوجزها في العناصر التالية :

- تبلغ مساحة الميناء 340 هكتاراً، منها :

200 هكتار عبارة عن حوض مائي محمي، يقيه حاجز

رئيسي طوله 3100 م وآخر عرضي بطول 1250 م.

110 هكتار من المسطحات مجهزة بالماء والكهرباء

وشبكة التطهير والطرق. 30 هكتار عبارة عن منطقة إضافية.

- يتوفر الميناء على أرصفة بطول 1955 م، مع تفاوت

في طول مراكز الرسو، وهي موزعة على :

الرصيف التجاري ويشمل المراكز 13,10 ومركز رو - رو.

رصيف المعادن والفوسفات ويشمل المراكز من 1 إلى 9.

- يتوفر الميناء على ممر يسهل أكثر من 100 طن لمناولة

وتفريغ البواخر.

- وهناك ميناء للصيد تصل مساحته إلى 52.000 م².

يتوفر على سوق للسماك مساحته 960 م²، ومصنع للثلج.

- تضاف إلى هذا منطقة مجهزة لاحتضان ورش بحري

ذي حجم دولي لبناء واصلاح السفن. وهذه كلها تجهيزات

تجعل الطاقة الاستيعابية لميناء الجرف الأصفر تصل إلى

50 مليون طن. لكن الميناء لا يعالج، حالياً، إلا حوالي

5.5 مليون طن، وذلك مرتبط بتخصص الميناء في

الفوسفات. فتزايد الطلب العالمي على هذه المادة ومشتقاتها

وتوسيع استغلال الثروات المعدنية الوطنية وعدم مابرة

مينائي الدار البيضاء وأسفي لهذه الحركة، ومن أجل

مسايرة الاتجاه العالمي في استعمال السفن العملاقة

(للتخفيض من تكاليف النقل)، كان من الضروري إنشاء

ميناء جديد يتوفر على أعماق مياه مهمة، ويتميز بموقع

وسط بالنسبة لأهم مناجم الفوسفات بالمغرب وبالقرب من

مينائي أسفي والبيضاء، فوق اختيار موضع الجرف

الأصفر.

هكذا، إذن، جاء بناء ميناء الجرف الأصفر كدعامة

أساسية للنقل البحري ومتنفس جديد للموانئ المغربية

خصوصاً البيضاء والمحمدية وأسفي، وما فتىء الحجم

الاجمالي للرواج التجاري يتطور منذ افتتاح هذا الميناء

أمام الملاحنة سنة 1982.

| السنة | 1982 | 1983 | 1984 | 1985 | 1986 | 1987 | 1988 |
|----------------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|
| الرواج (بالطن) | 74263 | 305867 | 493479 | 106241 | 1501481 | 2673931 | 6699865 |
| السنة | 1989 | 1990 | 1991 | 1992 | 1993 | 1994 | |
| الرواج (بالطن) | 4852763 | 5645855 | 4764677 | 5132924 | 5607956 | 5567070 | |

غير أن هذا لا يخفي عنا حقيقة كون هذا الميناء ميناء معدنياً بالدرجة الأولى متخصص في تصدير الفوسفات والحامض الفوسفوري واستيراد المواد الضرورية لتحويل الفوسفات.

ومن المعلوم أن الموارد الفوسفاتية بالمغرب تشكل 3/4 الاحتياطي العالمي. ويفعل الاستغلال المتواصل لهذه الثروة يعتبر المغرب أول مصدر عالمي للفوسفات وهو يطمح إلى تدعيم دوره المتميز في التجارة العالمية للفوسفات. وقد وظفت لهذه الغاية استثمارات هائلة من قبل المكتب الشريف للفوسفات الذي يهدف إلى رفع الإنتاج السنوي من الفوسفات إلى 60 مليون طن في حدود سنة 2000.

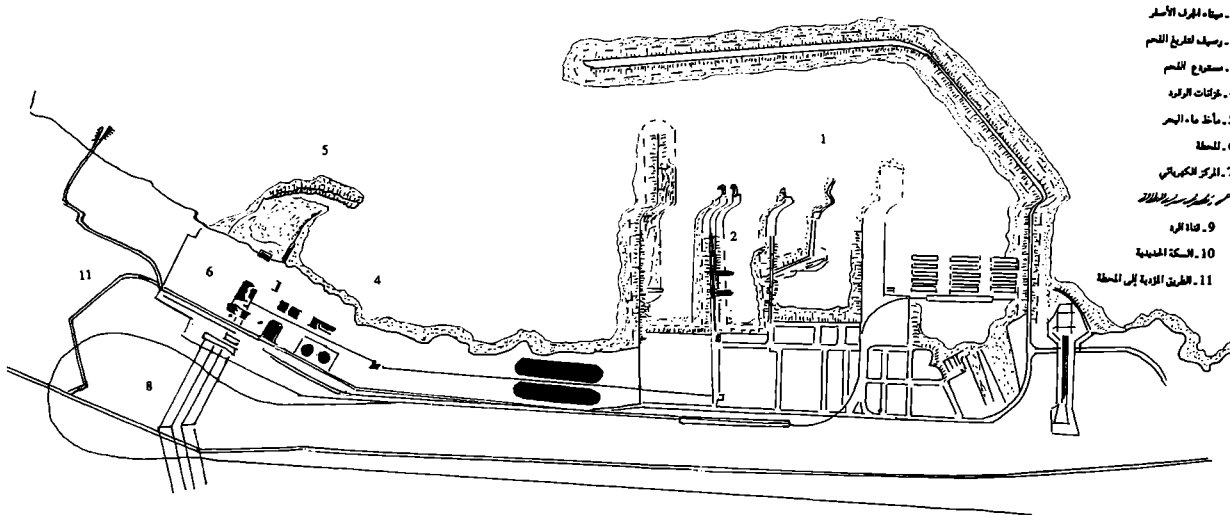
غير أن هناك شقاً آخر من هذه الخطة المرسومة والمتمثل في إقامة وحدات صناعية لتحويل الفوسفات محلياً والرفع من قيمته، وهذا ما يفسر ميلاد قطب للتنمية بالجرف الأصفر يحتوي بالإضافة إلى الميناء الكبير على مؤسسات للصناعة الكيماوية والمعروفة تحت اسم مغرب فوسفور 3 و4.

وهذا الدور المعدني الذي يلعبه الجرف الأصفر تأكد مع مشروع بناء أكبر محطة حرارية بالمغرب ومع مشروع توسيع المركبات الكيماوية المرتبطة بالفوسفات (والمقصود هو مشروع بناء مركب جديد لتنقية الحامض الفوسفوري في إطار الشراكة المغربية البلجيكية والذي قدرت تكاليف إقامته بـ 50 مليون دولار أمريكي).

غير أن التجهيزات التي يحتضنها الميناء والموقع المهم الذي يحتله وسط المغرب الأطلنطي وقربه من العاصمة الاقتصادية لم يكن لها تأثير فعال في تطور هذا القطب وبالتالي فنحن أمام ميناء واستثمارات غير مستغلة بالشكل المطلوب. وهذا ما جعل المسؤولين يفكرون في عدة حلول منها إقامة منطقة دولية حرة، وإقامة وتجهيز منطقة

| البضاعة السنوات | 1994 | 1993 | 1992 | 1991 | 1990 |
|------------------------|-----------|-----------|-----------|-----------|-----------|
| 1. الصادرات : | | | | | |
| الحامض الفوسفوري | 1.418.812 | 1.110.598 | 1.114.247 | 1.042.117 | 950.106 |
| الاسمدة | 1.210.034 | 1.794.998 | 1.383.362 | 1.587.473 | 1.798.275 |
| الفوسفات | 802.181 | 408.074 | 552.727 | 128.696 | 737.768 |
| 2. الواردات : | | | | | |
| الكبريت | 1.450.240 | 1.433.998 | 1.426.145 | 1.322.598 | 1.677.168 |
| الأمونياك | 290.613 | 456.538 | 312.468 | 384.203 | 405.260 |
| الفحم | 297.481 | 34.050 | 18.303 | 57.585 | |
| الغاز | 60.217 | 58.095 | 53.795 | 36.066 | 32.263 |
| الحبوب | 5.250 | 256.743 | 186.872 | 107.873 | |
| مختلفات (صاد + وار) | 32.242 | 54.862 | 85.005 | 98.066 | 45.015 |
| المجموع | 5.567.070 | 5.607.956 | 5.132.924 | 4.764.677 | 5.645.855 |

تطور بنية الرواج التجاري بميناء الجرف الأصفر
ما بين 1990 و1994 (بالطن)



الجرف الأصفر

مراكش وإسنادهم للسالبة. فذهبت بذلك ريحهم وحصدت شوكتهم (العبر، 6 : 39 ؛ الاستقصا، 2 : 174 وانظر مادة (جشم).

مجهول، الذخيرة السنية، الرباط، 1972 ؛ ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1970 ؛ ع. ابن خلدون، العبر، ج. 6 و. 7، بيروت، 1958 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 2، 1954 ؛ مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنى مرين (524-876/1130-1472)، الدار البيضاء، 1982.

جرمون بن عيسى، شيخ عرب سفيان في عهد الخليفة الرشيد الموحد، امتنع من مبايعة عبد الله العادل ابن منصور والوصول إليه. ثم انحاز بعد ذلك إلى جانب يحيى بن الناصر بعد أن بوع سنة 624 / 1227 نكاية في أعدائه من ذوي عصبته عرب الخلط أنصار الخليفة المامون وبنه (العبر، 6 : 339 ؛ الاستقصا، 2 : 172، 232 و 234).

ارتبط الحديث عن مشاركة عيسى بن جرمون في الحياة السياسية في العهد الموحد بمناصرة ليحيى بن الناصر ودعمه له في صراعه حول الخلافة ضد منافسه المامون وأنصاره من عرب الخلط بزعامه هلال بن حميدان وهسكورة بزعامه عمر بن وقاريط. لكن شيخ عرب سفيان لم يتدفع على ما يبدو في مؤازرته ليحيى بن الناصر ولم يسعفه في كل ما يريد، بل تحكمت في علاقته به درجة تقربه من عرب الخلط ودرجة ابتعاده عنهم، يناصره متى خالفوا عليه ويتخلى عنه متى انحاشوا إليه. وهذا ما يفسر تأرجحه في علاقته به بين الطاعة والعصيان. يشهد على ذلك امتناعه عن الخروج معه إلى جبل تينمل في جمادى الآخرة سنة 626 / ماي 1229 لما فر أمام جيوش عمه المامون. وعدم حضوره المواجهة التي دارت بينهما في السنة الموالية، وكانت الدائرة فيها على يحيى بن الناصر وجموعه، ثم مشاركته له في الغارة التي شنها على مراكش سنة 628 / 1231 إلى جانب أبي سعيد عثمان بن وانودين شيخ هنتاة وهدموا خلالها الكنيسة التي كان قد بناها المامون لجنوده من المرتزقة النصارى. في وقت كان فيه المامون محاصراً لأخيه أبي موسى عمران الثائر عليه بمدينة سبتة (العبر، 6 : 342 ؛ الاستقصا، 2 : 240).

ولما تولى الرشيد الخلافة بعد مهلك أبيه، وهو في طريقه إلى مراكش عائدا إليها من سبتة في أواخر سنة 629 / 1232 وبداية سنة 630 / 1233، ألحق الهزيمة بيحيى بن الناصر وشيخ عرب سفيان جرمون بن عيسى، وانتهت لهذا الأخير من الأموال والذخائر ما لا يحيط به حصر ولا حساب. فضعت بذلك شوكة عرب سفيان وقلت أموالهم (البيان، قسم الموحدين، 300 ؛ أثر القبائل العربية، 103-104).

صناعية لاستقبال الاستثمارات الأجنبية. وتبلغ مساحة المنطقة الصناعية للجرف الأصفر 145 هكتارا سيتم تجهيزها قريبا من طرف الخواص، بعد أن تحسم عملية اقتناء الأراضي التي قام بها مكتب استغلال الموانئ.

تجريات ميدانية واستطلاعات : تقارير غير منشورة لمكتب استغلال الموانئ ODEP.

إسماعيل خياطي

جرف الملح (اثنين -)، بلدة تقع على الطريق

الرابطة بين مدينتي فاس ووزان وتفصلها عن نهر ورغة جنوباً ثلاثة كيلومترات. البلدة تابعة لإقليم سيدي قاسم، بعيدة عن عاصمة الإقليم بنحو مائة كيلومتر. يُقام فيها سوق أسبوعي يوم الاثنين. تجريات خاصة.

المختار بلعربي

أولاد **جرمون**، أسرة عربية نابهة في قبيلة سفيان وجُشم الهلالية، قامت بأدوار سياسية على عهد الموحدين والمرينيين، وكان رؤساؤها الأولون يسمون جرمون، فنسب إليهم أبناؤهم وأحفادهم ودُعوا "أولاد جرمون" أو "الجرامنة"، وتسلسلت الراسة فيهم طيلة فترة حكم الموحدين والمرينيين (انظر مادة جشم).

ثم تراجع نفوذ الجرامنة أصحاب الزعامة في عرب سفيان في العهد المريني بوفاة مسعود بن كانون. وعلا كعب منافسيهم من بني المهلهل أصحاب المرينيين شيوخ عرب الخلط. لكن زعامة قومهم استمرت فيهم حتى بعد تراجع عزتهم لدى السلاطين من بني عبد الحق. ذكر ابن خلدون أنه أدرك شيئا منهم لعهد السلطان أبي عنان فارس هو يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى بن يعقوب ابن جرمون بن عيسى بن جرمون (العبر، 6 : 39 وانظر مادة جشم). وعموما فقد ضعف نفوذ الجرامنة بضعف عصبية عرب سفيان ولين شوكتهم بابتعادهم عن البداوة شيئا فشيئا وميلهم إلى حياة الترف ورغد العيش والتمتع بما أنعم عليهم به الخلفاء من أنعام مقابل الخدمة زمان الموحدين. لكن بقي منهم من استمر على حياة البداوة في القرن الثامن (14 م) وكان ينتجع أرض السوس وقفاره كبطني الحرث والكلابية، فبقيت فيهم لذلك شدة بأس. وقد كانت رئاسة هؤلاء زمان ابن خلدون في أولاد مطاوع (أولاد مطاوع) من الحرث الذين اشتهر منهم منصور بن يعيش شيخ العرب المقرب من الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن علي ابن الأمير أبي علي عمر المريني الذي استبد بمراكش سنة 1374 / 776. ومعلوم أن هذا الأخير قد ألقى القبض على شيخ أولاد مطاوع بعد كل ما كان له من المكانة الرفيعة لديه فقتله وأودع كبار قومه سجونه لعيشهم في ضواحي

وحدث أن خالف مسعود بن حميدان الذي تولى مشيخة عرب الخلط بعد أخيه هلال على الرشيد، فاستدرجه الخليفة حتى وفد عليه بمراكش وقتله في جماعة من قومه سنة 632 / 1235 ثم تولى أمر الخلط بعده يحيى بن هلال بن حميدان وفر بقومه إلى يحيى بن الناصر وحاصر معه مراكش حتى استولى عليها وأرغم الرشيد على الفرار منها في اتجاه سجلماسة (العبر، 6 : 40 ؛ الاستقصا، 2 : 174) فكان ذلك إيذانا بتحول عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى إلى طاعة الرشيد بسبب انحياز أعدائه عرب الخلط ليحيى ابن الناصر.

ولما استكمل الخليفة الرشيد استعدادة بمدينة سجلماسة بعد مكوثه بها سنة كاملة استفاد خلالها دون شك من موارد التجارة الصحراوية، خاطب جرمون بن عيسى في شأن مناصرته فاستجاب إليه، وضم قومه إلى جيوشه، وقصد معه مراكش عام 633 / 1236. وتقدم إليهم يحيى بن الناصر مع أنصاره من هسكورة وعرب الخلط، فدارت رحى الحرب بين الطرفين عشرة أيام متتالية اتجه بعدها المرتزقة النصراري الذين كانوا في جيش الرشيد إلى جهة الخلط فأجهزوا عليهم وأرغموهم على الفرار بما خف من أهلهم وأولادهم وتركوا جميع طارفهم وتلادهم. فانهزمت جيوش يحيى بانهمامهم (البيان، قسم الموحدين، 331 - 333).

عمل الرشيد بعد ذلك على إضعاف عرب الخلط فعين خيار عماله وكفافة رجاله على البلاد التي كانوا يستولون عليها وهي صنهاجة تأسفرت ودكالة وركراكة. ثم عمل بالمقابل على ترتيب منازل عرب سفيان وتحسين أحوالهم، فكثرت جموعهم وقويت شوكتهم بمن انضاف إليهم ممن كان من أتباع أعدائهم الخلط. وجعل شيخهم جرمون بن عيسى من خاصته وأهل المشورة بمجلسه (البيان، قسم الموحدين؛ 333-334).

استغل جرمون بن عيسى صلته الوطيدة بالرشيد فسعى إلى إقصاء منافسيه من شيوخ عرب جشم عن مجلس الخليفة. ومن ذلك إلحاحه عليه في قتل شيخ العاصم حسن ابن زيد العاصمي وشيخ بني جابر فائد بن عامر وأخيه قائد حتى أصدر أمره بذلك من مدينة فاس إلى واليه على مراكش الشيخ أبي علي بن الشيخ أبي محمد عبد العزيز، فضرب أعناقهم، وذلك في آخر سنة 633 / 1236 (البيان، قسم الموحدين، 337). كما لا يستبعد أن يكون شيخ عرب سفيان وراء النكبة التي تعرض لها الخلط بأمر من الخليفة الرشيد سنة 635 / 1238. لما استجلب شيوخهم وسجنهم ثم وجه الأجناد إلى دواويرهم فأتوا على ما فيها، وسبق نساؤهم وذريتهم إلى مراكش فامتلات منهم الأسواق والسكك حتى تساوت الحرة العربية الصريحة والأمة في العبودية، وأذن لأعدائهم من سفيان وبني جابر في ستر بناتهم، ثم أجلاهم إلى بلاد السوس فاختلفت أحوالهم ولاقوا الأهوال (البيان، قسم الموحدين، 346 و358).

استمر جرمون بن عيسى على طاعته للخليفة الرشيد حتى سنة 638 / 1240 فتحول إلى طاعة الأمير المريني أبي معروف محمد بن عبدالحق. ذلك أنه ناداه ذات ليلة حتى سكر وحمل عليه وهو سكران يرقص طربا. ولما أفاق ندم وفر إلى المرينيين حياء مما وقع له مع الرشيد (العبر، 6 : 38 ؛ الذخيرة السنوية، 60 ؛ الاستقصا، 2 : 173).

كانت وفاة جرمون بن عيسى سنة 639 / 1241 قبل وفاة الخليفة الرشيد بسنة، وانتقلت زعامة سفيان من بعده إلى ابنه كانون.

ابن جرمون، عبد الرحمان بن يعقوب، قدمه الخليفة المرتضى على قومه بعد سماعه بمقتل أبيه يعقوب ليضمن استمرار عرب سفيان على الطاعة والخدمة، لكنه عجز عن القيام بمهمته على أحسن وجه. فقد اتخذ هذا الشيخ كلاً من يوسف بن أورزج ويعقوب بن علوان وزراء له فلم يحسنا النصيحة إليه وشجعه على التمادي في الاستخفاف بالأمر واستغلال مكانته لدى الخليفة لتحقيق أغراضه الشخصية والقيام بأعمال النهب (البيان، قسم الموحدين، 426 ؛ العبر، 6 : 38 ؛ الاستقصا، 2 : 172).

سأت علاقة عبد الرحمان بالخليفة بعد فترة وجيزة من تعيينه زعيماً في قومه ففر إلى المرينيين. ويرجع السبب في ذلك إلى أنه لما نزل في بعض الأيام بوادي تانسيفت بدواره وجموعه، خرج للنزهة فصادف ذلك مرور قافلة تجار، فأمر بنهبها، وكان في حالة سكر. ولما أفاق من سكره ورأى أن المرأة عظيمة في قطع السبل والمسالك رحل إلى الأمير أبي بكر بن عبد الحق ونكث طاعة الموحدين (البيان، قسم الموحدين، 426).

بقي عبد الرحمان هذا ملازماً للمرينيين إلى أن عاد عواج بن هلال بن حميدان أحد أمراء الخلط إلى مراكش معلناً انحياشه من جديد لصف الموحدين وخروجه عن طاعة أعدائهم المرينيين فلقي جزيل الإحسان وغاية الإكرام لدى الخليفة المرتضى. ولما علم بذلك شيخ عرب سفيان كاتب الخليفة في طلب العفو والعودة إلى خدمته فأسعفه في طلبه، حتى إذا وصل مراكش أمر بقتله مع وزيره يوسف ابن أورزج ويعقوب بن علوان وعواج بن هلال أمير الخلط، وحُزّت رؤوسهم أجمعين وعلقت على باب دكالة، وذلك سنة 654 / 1256 (البيان، قسم الموحدين، 427). وفي العبر أن مقتل عواج بن هلال كان بتدبير من علي بن أبي علي الخلطي شيخ عرب الخلط المقرب من الخليفة الذي أغراه مباشرة بعد عودته لطاعة الموحدين وأرفقه بمن قتله في غزاة (العبر، 6 : 41).

ابن جرمون، عبید الله هو ابن جرمون بن عيسى، يكنى أبا زمام. كان مقدما في قومه الجرامنة المعروفين

(البيان، قسم الموحدين، 372 ؛ العبر، 6 : 38 و 347 ؛ الاستقصا، 2 : 173).

عاد كانون بن جرمون إلى طاعة الخليفة السعيد في تاريخ غير معروف، وربما كان ذلك في نفس سنة عصيانه له أي سنة 1245 / 643، إذ فيها بعث السعيد إلى أبي محمد ابن وانودين بعشرة من وجوه الموحدين ليبلغوه عفوه عنه وزوال ما كان في خاطره عليه. ويدعوه للمجيء إلى العاصمة مراكش. لكن ابن وانودين شكر له ذلك، وطلب منه أن يكون سكنائه في بلده تافيويت بجبل درن (البيان، قسم الموحدين، 370 ؛ العبر، 6 : 346). ولا يستبعد أن يكون عفو الخليفة قد شمل أيضا كانون بن جرمون بالنظر للمودة والصحبة التي كانت تجمعهم بابن وانودين المعفو عنه، ولما كان له من المكانة والخطوة لدى الخليفة في فترة خدمته له بحيث كان كبير شيوخ العرب بمجلسه (الاستقصا، 2 : 247).

غير أن المؤكد في عودة شيخ سفيان إلى طاعة الخليفة السعيد هو أنه حضر معه حركته إلى تلمسان، حركة انطلقت من مراكش في الخامس عشر من شهر ذي الحجة سنة 1247 / 645. وصارت له مكانة متميزة بين الخاصة وأهل المشورة أثناءها إلى حين هلاكه على يد عرب الخلط في الفتنة التي نشبت بينهم وبين قومه في محلة الخليفة بالقرب من تلمسان قبل يوم واحد من تاريخ وفاة الخليفة السعيد. ومعلوم أن مهلك هذا الأخير كان في قلعة تامزردكت على يد بني عبد الواد يوم الثلاثاء منسلخ صفر عام 1248 / 646 23 يونيو. وقام بأمر عرب سفيان من الجرامنة بعده أخوه يعقوب بن جرمون (البيان، قسم الموحدين، 385 ؛ الدخيرة السنوية، 72 ؛ العبر، 6 : 38 و 347 ؛ 7 : 110 ؛ الاستقصا، 2 : 173).

ابن جرمون، مسعود بن كانون بن جرمون بن عيسى، يكنى أبا سرحان. قدمه الخليفة المرتضى على قومه بعد أن أكرمهم عبداً الذي لم ينجح في مهمته. واستقامت أحوال عرب سفيان في فترة زعامته لهم، وتأرجحت علاقاتهم بذوي السلطان بين التبعية للموحدين تارة وللمرينيين تارة أخرى. كما بلغت شوكتهم أوج قوتها معه حتى طمع في الاستبداد وأخذ البيعة ودعا لنفسه بعد انهيار حكم الموحدين.

شارك مسعوداً في زعامة قومه زمان الخليفة المرتضى وأبي دوس كل من حطوش (أو علوش) وعيسى ابني عمه يعقوب بن جرمون ولم يظهر منهما طمع في الاستئثار بالزعامة دونه ولا الرغبة في إبعاده عنها، بل كانا سندا له إلى أن توفي حطوش سنة 1270 / 669 وبقي عيسى على دعمه ومساندته له طيلة فترة زعامته (العبر، 6 : 39).

حضر مسعود بن كانون الحملة الموحدية التي قادها أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن وانودين في اتجاه تامسنا

بأولاد مرية لما التحق عبد الرحمان ابن أخيه يعقوب بن مريـن. استدعاه الخليفة المرتضى إلى مراكش وقدمه على عرب سفيان، لكنه عجز عن القيام بالأمر لافتقاره إلى الحنكة والتجربة وسداد الرأي. فأعفاه من مهمته وعين مكانه مسعود بن كانون ابن جرمون سنة 1256 / 654 (البيان، قسم الموحدين، 426 ؛ العبر، 6 : 39 ؛ الاستقصا، 2 : 173).

ابن جرمون، كانون هو ابن جرمون بن عيسى سابق الترجمة. يكنى أبا الحديد، وكان يقال له الأحمر لكونه أسمر اللون (البيان، قسم الموحدين، 385). علا كعبه عند الخليفة السعيد بن المامون حتى أصبح كبير شيوخ مجلسه بعد أن تقبض هذا الخليفة على جملة من شيوخ الموحدين واستصفى أموالهم، لكن هذه العلاقة الودية بين شيخ عرب سفيان والخليفة السعيد لم تدم طويلا. فقد تغير كانون على الخليفة وأعلن عصيانه له ووقف في صف أعدائه بمجرد سماحه لعرب الخلط بالعودة من بلاد السوس إلى تامسنا وتقربه منهم.

يؤكد ذلك الصحبة والمودة التي جمعه بأبي محمد بن وانودين كبير أشيـاخ الموحدين وأعدى أعداء الخليفة السعيد، ومساعدته له بعد فراره من سجنه بأزمور وإمداده له بمائة وخمسين فارسا أوصلوه إلى موطنه في جبال درن (البيان، قسم الموحدين، 369-370).

ومن ذلك تحالفه مع الأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني ومشاركته إلى جانبه في محاربة الموحدين سنة 1245 / 643 لما التقى الجمعان في تامسنا، واتفق معه على خطة كلفت الخليفة السعيد جهدا كبيرا وشغلته عن التحدي بفعالية ضد أعدائه المرينيين. ذلك أنهما اتفقا على أن يكف عرب سفيان عن القتال بعد ساعات من الشروع في المواجهة وأن يتظاهر المرينيون بالهزيمة ويتراجعوا نحو الغرب لاستدراج الخليفة السعيد، في حين يتجه كانون وقومه أثناء ذلك نحو مراكش. لكن الخليفة فطن إلى خفتهم فتخلى عن ملاحقة المرينيين وجد في السير مقتفيا أثر شيخ عرب سفيان خوفا من تمكنه من دخول العاصمة كما دخلها أبوه جرمون بن عيسى قبل ذلك رفقة يحيى بن الناصر في غياب الخليفة المامون أثناء محاصرته لسبتة عام 1231 / 628 (البيان، قسم الموحدين، 371-372 ؛ العبر، 6 : 38 ؛ الاستقصا، 2 : 173).

لكن كانون بن جرمون لم يتجه نحو مراكش بعد سماعه بمطاردة الخليفة له، بل غير الوجهة نحو مدينة أزمور واستولى عليها واستأصل أهلها استئصالا، واستطالت جموعه عليهم بأنواع الظلم والاعتداء وأغرهمهم الأموال. حتى إذا علم برجوع الخليفة السعيد إلى جهة دكالة خرج منها إلى جبل الحديد، لكن جيوش الموحدين اعترضت طريقه وهزمته. ففر مع من نجا من أتباعه إلى بني مريـن

قصد إبعاد المرينيين عنها بعد أن حلوا بها سنة 659 / 1261 بقيادة أميرهم يعقوب بن عبد الحق بهدف الرعي والكلأ وتوطيد العلاقات الودية مع حلفائهم من عرب جشم. ومعلوم أن الموحديين قد انهزموا في لقاءهم بالمرينيين في هذه الحملة في معركة أم الرجلين على وادي الربيع بسبب تقاعس بعض بطون جشم عن القتال. وهذا ما يستفاد مما قاله ابن وانودين للخليفة المرتضى لما عاد إليه مُهزوماً قال : العفو يا أمير المؤمنين، لما غدر بنو جابر وانكسروا من ناحيتهم انكسر الناس بجملتهم. وكان أول من يادر وفر إلى المرينيين علي بن أبي علي الخلطي (البيان، قسم الموحديين، 427 و 428 ؛ الذخيرة السنية، 95 و 96 ؛ القرطاس، 303 ؛ العبر، 6 ؛ 350 ؛ الاستقصا، 2 ؛ 255). خلا الجو بذلك لشيخ عرب سفيان واستأثر بالخطوة لدى الخليفة.

ولما التجأ أبو دبوس إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني وأعانه بالجيش والأموال وكتب له مع ذلك إلى عرب جشم ليكونوا معه يدا واحدة ضد المرتضى وبدأت جموعه تتكاثر بمن انحاش إليه من القبائل، اتهم الخليفة الموحدى شيخ عرب سفيان مسعود بن كانون بمحاولة نقض العهد والاتحاق بصف أبي دبوس، فأمر باعتقاله سنة 664 / 1266 إلى جانب شيخ بني جابر إسماعيل بن قيطون، وكان ذلك سببا في انقلاب عرب سفيان عليه وخروجه عن طاعته وانحيازهم لجانب أبي دبوس بمبادرة من حظوش بن يعقوب بن جرمون (البيان، قسم الموحدى، 435-436 ؛ العبر، 6 ؛ 351).

وحدث أن أمر المرتضى بقتل إسماعيل بن قيطون في سجنه فخاف حظوش بن يعقوب بن جرمون أن يؤول مصير مسعود بن كانون شيخ عرب سفيان إلى مثل ذلك. وكان أبو دبوس في ذلك الوقت يعد العدة لدخول العاصمة مراکش بعدما علم أنها خالية من الأجناد، وندب حظوش ليسبقه إليها ويحارب كل من يخرج إليه من أهلها، فوصلها والناس في صلاة الجمعة وضرب رمحه في باب الشريعة فبات سكانها تلك الليلة خائفين وأودعوا أموالهم بالقيسارية (البيان، قسم الموحدى، 437-438).

ولما دخل أبو دبوس مراکش يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم سنة 665 / 1267 أخرج مسعود بن كانون من سجنه. وفر المرتضى إلى أزمور فألقى عليه القبض بها واليها، وبعث إلى الخليفة أبي دبوس يعلمه بشأنه. ثم أرسل إليه في طلبه كل من أبي موسى عمران وأبي سرحان مسعود بن كانون السفياني وجماعة من عرب سفيان، وأوصاهم بتوصيله إليه وتمشيله بين يديه. ثم بعث إليهم بكتاب يأمرهم فيه بقتله قبل الوصول به إلى العاصمة ففعلوا. وذلك في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة 665 / 1267 (البيان، قسم الموحدى، 443-444 و 449 ؛ الاستقصا، 2 ؛ 258).

اعتمد أبو دبوس على عرب سفيان في محاربتهم لأعدائه اعتمادا كليا، وأصبح شيخهم مسعود بن كانون من أقرب المقربين إليه، في الوقت الذي صار فيه عرب الخلط من خاصة بني مرين، بعد أن أصهر الأمير يعقوب بن عبد الحق لأبي عطية مهلهل بن يحيى الخلطي وتزوج من ابنته عائشة أم السلطان أبي سعيد عثمان الثاني. فقد عين هذا الخليفة شيخ عرب سفيان قائداً على كل العرب في جيوشه، وأوكل إليه أمر حراسة البلاد من فساد الخارجين عن الطاعة من القبائل العربية، كما اعتمد عليه في فتح معاقل سوس ومحاربة بني يدر بها (البيان، قسم الموحدى، 460-461 ؛ الاستقصا، 2 ؛ 175).

ولما جاهر أبو دبوس بالخلاف على الأمير المريني يعقوب ابن عبد الحق ونهض هذا الأخير إليه سنة 666 / 1268 فشغله عن ذلك يغمراسن بن زيان حسب الاتفاق الذي كان بينه وبين الخليفة الموحدى، شارك مسعود بن كانون في تلك الأحداث بفعالية كبيرة مدفوعاً بالرغبة في القضاء على المرينيين حلفاء أعدائه عرب الخلط. وعمل على تحريض الخليفة وتشجيعه على مواجهة المرينيين إلى أن قرر الخروج إليهم، فأظهر الأمير المريني العجز عن اللقاء ليعبد الموحدى عن العاصمة، ثم أغار عليهم وألحق بهم الهزيمة وقتل الخليفة أبا دبوس في أوائل محرم سنة 668 / 1269 معلنا بذلك نهاية الحكم الموحدى.

وفي سنة 677 / 1278 أعلن مسعود بن كانون خروجه عن المرينيين ببلاد نفيس وأخذ البيعة من جميع عرب سفيان. في وقت كان فيه السلطان يعقوب بن عبد الحق يستعد للجواز إلى الأندلس برسم الجهاد، فأسرع بالرجوع إلى مراکش حتى إذا وصلها فر مسعود إلى جبل سكسيوة وتمتع به، فلاحقه السلطان المريني وأقام عليه الحصار به وأقسم أن لا يرحل عنه قبل القضاء عليه أو الموت دون ذلك. ولما طال مقامه هنالك، واشتد بالمقابل الحصار البري والبحري الذي فرضه ملك قشتالة على الجزيرة الخضراء، أرسل ولده الأمير يوسف إلى طنجة وأمره بالعبور إلى الأندلس لإعانة أهل الجزيرة، فتم له ذلك يوم 8 ربيع الأول سنة 678 / 20 يوليوز 1279. ثم كتب إلى أبيه يعلمه بانتصاره على القشتاليين يوم عبد المولد النبوي من السنة المذكورة. فتلقى السلطان يعقوب هذا الخبر وهو على حصاره لشيخ عرب سفيان (القرطاس، 330-331).

اضطر السلطان المريني إلى رفع الحصار على مسعود ابن كانون أمام الغارات التي كان يشنها يغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد على المنطقة الشرقية للمغرب الأقصى، فخرج في جموعه إليه وألحق الهزيمة به سنة 679. ثم عاد إلى مراکش في آخر شوال سنة 680 / 10 فبراير 1282 مواصلة الحصار على مسعود بن كانون، لكن وفاة هذا الأخير في التاريخ المذكور حالت دون ذلك، فتنزوج السلطان المريني من زوجة شيخ عرب سفيان في شهر محرم

من سنة 681 / أبريل 1282 لاستمالة هؤلاء الأعراب وضمان ولائهم. فعادوا إلى الطاعة وشاركوه في جوازه الرابع إلى الأندلس برسم الجهاد، باستثناء منصور بن مسعود بن كانون الذي فر إلى هسكورة وبقي بها إلى أن عاد إلى خدمة المرينيين أيام السلطان يوسف بن يعقوب. وقد عليه وهو محاصر لتلمسان سنة 706 / 1306 فتقبله (القرطاس، 334. 337 و353. 356 و406؛ العبر، 6 : 38-39).

ابن جرمون، يعقوب، ابن آخر لجرمون بن عيسى المتقدم، تولى زعامة قومه بعد مقتل أخيه كانون على يد عرب الخلط في حملة الخليفة السعيد على تلمسان. ولما تولى أبو حفص عمر المرتضى خلافة الموحدين وامتحن شيوخ الخلط بعد أن استقدمهم إلى مراكش وأمر بقتل سبعين منهم، بسبب ما كان من تأخرهم عن القتال في المواجهة ضد بني عبد الواد، ومبادرتهم إلى نهب محلة الخليفة السعيد بمجرد سماعهم بمقتله (البيان، قسم الموحدين، 405). وكان من الطبيعي بعد أن افتتح هذا الخليفة عهده بالانتقام من عرب الخلط أن يتقرب منه أعداؤهم عرب سفيان، فأنعى على شيخهم يعقوب بن جرمون بجزير الإنعام وأعطاه الأملاك بحوز مراكش وتوطدت العلاقة الودية بينهما.

ثم تغير ما بينهما في سنة 649 / 1251 لأسباب لم تفصح عنها المصادر التاريخية. فقد قدم في هذه السنة موسى بن زيان الونكاسي وأخوه علي على الخليفة المرتضى بعد خلافهما مع الأمير المريني أبي بكر بن عبد الحق. فأغرياه بقتال المرينيين في وقت كان فيه هؤلاء قد استولوا على سلا ورياط الفتح. فنهض إليهم بعد أن استدعى شيخ عرب سفيان يعقوب بن جرمون للخروج معه، وكان اللقاء بين الطرفين في مكان يعرف بأمان إيمولون. ولما تيقن الأمير المريني من قوة جيوش المرتضى حاول الجنوح إلى الصلح، وراسل الخليفة في ذلك لكنه لم يجبه إليه، فعمد إلى التظاهر بالهزيمة والتراجع ليصل بالموحدين إلى الكمان التي نصبها لهم، لكنهم توقفوا عن مطاردته حيث فطنوا إلى خطته. ثم التجأ بعد ذلك إلى الحيلة للنيل من قوة جموع المرتضى، وكاتب يعقوب بن جرمون في شأن التخلي عن الخليفة فأسعفه إلى عرضه. وتم الاتفاق بينهما على رحيل عرب سفيان عن المحلة بعد إشاعة خبر التوصل إلى اتفاق للصلح بين المرتضى والأمير أبي بكر بن عبد الحق. فسبب تنفيذ هذه الخطة في رحيل محلة الموحدين عن أمان إيمولون في اتجاه أزمور ومنها إلى مراكش، وتبعته جيوش بني مرين واستولت على جملة من أحمال وأتقال الخليفة (البيان، قسم الموحدين، 401؛ العبر، 6 : 38؛ الاستقصا، 2 : 173).

ورغم ما كان ليعقوب بن جرمون من دور فعال في هزيمة الموحدين بأمان إيمولون فإن المرتضى عفا عن هذه الفعلة الفادحة وقربه منه مجدداً وجعله من خاصة مجلسه ورجال

مشورته واستعان به في حروبه ضد أعدائه ووظفه في إضعاف التمردين على الخلافة الموحدية من شيوخ بطون عرب جشم كما هو الحال بالنسبة لشيخ بني جابر يعقوب بن محمد بن قيطون الذي أعلن عصيانه للمرتضى بعدما كان من ذوي الحظوة والمكانة الرفيعة لديه، فجهز له الخليفة جيشاً سنة 652 أوكل أمر قيادته لأبي الحسن يعلى وأوصاه بالتنسيق مع شيخ عرب سفيان في شأن القبض على شيخ بني جابر، وحمله ظهيراً عين بموجبه يعقوب بن جرمون شيخاً على جميع عرب جشم. وقد تمكن قائد هذه الحملة من تحقيق الأهداف التي خرج من أجلها وألقى القبض على شيخ بني جابر ووزيره ابن مسلم بمساعدة يعقوب بن جرمون وعاد بهما إلى مراكش (البيان، 405. 406؛ العبر، 6 : 449).

استمر يعقوب بن جرمون على علاقته الودية بالخليفة المرتضى إلى أن قتله ابنا أخيه كانون بن جرمون مسعود وعلي سنة 653 / 1255 انتقاماً لأخيها محمد الذي تم اغتياله بأمر من الهالك بعدما صار يضاهيه في الجاه والنفوذ وفي الحل والعقد وينافسه على الزعامة (البيان، قسم الموحدين، 387). وقد ورد في العبر والاستقصا أن وفاة يعقوب كانت عام 659 / 1261 وهو خطأ بحجة إجماع المصادر التاريخية الأخرى على أن زعامة كل من ابنه عبد الرحمان وأخيه عبيد الله بن جرمون كانت على التوالي بين سنة 653 / 1255 وسنة 654 / 1256 (العبر، 6 : 38؛ الاستقصا، 2 : 173).

حسن حافظي علري

الجرموني أو الجرنبي، أبو بكر بن محمد المهدي المراكشي. ولد سنة 1343 / 1924 بمدينة مراكش، من أب يمتن حرفة الشكايرية (صنع الجرابيات) من مريدي الطريقة التجانية المرتبطين بالزاوية الكنسوسية بالمواسين. التحق أبو بكر بكتّاب الفقيه ابن علال وهو ابن خمس سنوات، وبقي فيه إلى أن حفظ القرآن الكريم وبعض المتون التي كان الفقيه يحرص على تحفيظها لتلامذته. بعد ذلك شرع في قراءة العلم على شيوخ مراكش، والحضور في مجالسهم التي كانت تعقد بمساجد هذه المدينة وزواياها، وأول شيخ حضر عنده ولازمه مدة طويلة هو الفقيه الورع عبد السلام السميح، ثم العلامة محمد بن عبد القادر العلوي المعروف بمسُو وغيرهما. كان يدعى في صغره وشبابه بالجرموني، ثم صار اسمه في الحالة المدينة "الجرني". لكن نسب الجرموني بقي غالباً عليه. ولما أسس النظام بالجامعة اليوسفية سنة 1338 / 1939 التحق بها كطالب رسمي، يحضر حلقات الدروس على مشايخ العلم إلى أن حصل على شهادة العالمية سنة 1369 / 1949، وأسندت إليه على إثرها إدارة مدرسة الفلاح الحسنية الحرة الكائنة بالقصبة، خلفاً للشاعر المدني الحمراوي.



وهو شاعر مطبوع لا يتكلف الشعر، لأن ملكة الشعر متأصلة فيه. لكن الذي يؤسف له أنه مرّ بأزمة نفسية حادة أثرت على مسيرة حياته، اضطرتّه إلى العزلة والابتعاد عن الناس، إلاّ من فئة قليلة تعد على الأصابع، وظل في هذه العزلة يعاني الأزمة النفسية إلى أن التحق بالرفيق الأعلى مأسوفاً عليه، وعلى تراثه الشعري الذي أتلفه بيده حرقاً، وحرّم عشاق الأدب من الوقوف على عصارة فكره، وخلاصة تجاربه. لقد نظم في جل أغراض الشعر، وعاش أحداث وطنه الصغير المغرب، ووطنه الكبير العربي والإفريقي.

ومن شعره قصيدة نظمها سنة 1367 / 1947 بمناسبة عيد العروبة، يقول فيها :

هذا سنا العيد في أوطاننا انبثقا يضي على الكون من لآلته أنقا
يجلوه ملتمع الرواء رائقته فيملاً النفس إشراقاً ومزتلقسا
توفي بمراكش مساء يوم الاثنين 25 رمضان عام 1409 /
فاتح ماي 1989 على الساعة الثامنة ليلاً إثر مرض ودفن
بمقبرة باب أغمات بعد صلاة العصر في اليوم الموالي.
أحمد متفكر، ذيل الإعلام عن حل مراكش وأغمات من الأعلام،
مخطوط.

الجرناوي، محمد العياشي بن الحاج إبراهيم بن محمد ابن زيدان. وُلد بمدينة مراكش يحي هيلانة درب اشتوكة حوالي عام 1277 / 1860. ودرس بمسقط رأسه، ثم رحل إلى فاس التي بقي بها مدة ثلاث سنوات. من شيوخه : الحاج عبد السلام بن المعطي وبوشعيب الشاوي ومحمد بن علي الزعراوي ومحمد بن محمد بناني ومحمد بن جعفر الكتاني وأحمد ابن الحياط، وغيرهم.

درّس بعد رجوعه إلى مراكش في جامعة ابن يوسف مدة إلى أن كُلف بمراقبة الأملاك المخزنية، ثم استقال ليتفرغ للتدريس بمسجد درب مجاط بهيلانة مع تعاطي الإفتاء. من مؤلفاته التي لازلت مخطوطة عند ولده : شرح مختصر الشيخ خليل ؛ شرح ورقات إمام الحرمين ؛ إحياء الميت.

توفي بمسقط رأسه سنة 1357 هـ / 1938، ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، ذيل الأعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

الجرندي، بيت شهير بفاس أصله من الأندلس، أنجب عدداً من الفقهاء والأدباء والصالحين، ومازال الجرنديون حتى اليوم بمدينة فاس. وقد أحصاهم مؤلف جنى زهر الآس وذكر مساكنهم بعدوة الأندلس من العاصمة الإدريسية.

الجرندي، أحمد بن علي بن عبد الرحمان الفاسي. عالم عامل وولي صالح. أخذ عن كبار شيوخ فاس أمثال

وفي سنة 1372 / 1952 عين أبو بكر الجرمني أستاذاً بالجامعة اليوسفية بعد أن كان ينوب عن السيد إبراهيم الضرير المتوفى بالديار المقدسة. وقد برهن عن مقدرة كبيرة، وموهبة في مهنة التدريس، وشهد له الكل بعظاته الكبيرة، ونجاحه في امتلاك انتباه طلابه، إلى جانب هذا كان يعطي دروساً اختيارية للراغبين فيها، إما في بيته أو في بعض المساجد.

وفي سنة 1386 / 1966 انتقل للتدريس بشانوية عبد المومن من مؤسسات التعليم العصري بمراكش وبقي فيها إلى أن أحيل على التقاعد.

ورغم فقر الأسرة التي نشأ أبو بكر بين أحضانها، والدراسة الأصلية بالجامعة اليوسفية المشبعة بالروح العربية الإسلامية، استطاع أن يلزم نفسه منذ طفولته بتعلم اللغة الفرنسية التي كان يحضر دروسها بصفة اختيارية بمدرسة القنارية، كما اتجهت همته لمتابعة دروس الترجمة بالمراسلة بمعهد كان خاصاً بذلك، دون أن تعوقه عوائق الحياة ومشاكل المهنة إلى أن حصل على دبلوم الترجمة من معهد الدراسات العليا بالرباط، وتعلم كذلك اللغة الإنجليزية.

وإذا اتسمت تصرفاته في الشطر الأول من حياته بالجدية والنشاط الدؤوب سياسياً وأدبياً، فإن الشطر الثاني من حياته وما أعقبها من أمراض نفسية لم تعطله عن مزاولته نشاطه في ميدان الترجمة من الفرنسية أو الإنجليزية إلى العربية. ومن أعماله المترجمة

تعاونيات الإنتاج بالاتحاد السوفياتي ؛ رسوم حية من الفن الفارسي ؛ تاريخ أفريقيا ؛ مفتاح التقدم الاقتصادي ؛ شمال أفريقيا ؛ الانسان الحر ؛ أحاديث علمية ؛ الحكمة المادية ؛ موجز التربية وعلم النفس.

شارك أبو بكر الجرمني في كثير من الأنشطة الوطنية قبل الاستقلال وبعده في كلا الحزبين : حزب الاستقلال، وحزب الشورى والاستقلال الذي انتقل إليه بعد انفصاله عن الحزب الأول لأسباب يطول شرحها. كما ساهم في بعض المهرجانات الأدبية التي أقيمت بمختلف المناسبات، وخصوصاً مناسبات عيد العرش، وقد أذيعت له بعض القصائد بإذاعة مراكش عندما سمحت السلطات المحلية بذلك.

إصدار دورية تحت عنوان "الدولة الشريفة". ولما باءت هذه المحاولة بالفشل، أعاد المخزن الحفيظي الكرة من جديد وكلف الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ، سنة 1911، بمباشرة مفاوضات مع شارل روني لوكليير Charles René-Leclerc، صحافي مستعرب ومندوب للجنة المغرب Le Comité du Maroc، من أجل تأسيس مطبعة وطنية وجريدة رسمية. وفعلاً تم التوصل بين الطرفين إلى اتفاق يجعل روني لوكليير في خدمة المخزن ابتداءً من فاتح يناير 1912 حيث أصبح مديراً عاماً للمطبعة الوطنية وللجريدة الرسمية اللتين اختير لهما مقر مؤقت في بناية "المطبعة المغربية" الكائنة بزنقة تطوان في طنجة. وكان المدير الفرنسي قد لقي التشجيع من لدن وزارة خارجية بلاده ومن ممثليها في المغرب؛ ذلك أن روني لوكليير قد أكد لمسؤولي بلاده بأن دخوله في خدمة السلطات المغربية لا يمكن إلا أن يخدم مصلحة السياسة الفرنسية في المغرب. وفي هذا الصدد، زودت المفوضية الفرنسية بطنجة شارل روني لوكليير بنسخ من الجريدة الرسمية التونسية للاستئناس بها في القيام بمهمته الجديدة. ولما كانت هذه المهمة تتنافى مع استمرار تقلده لوظيفة المندوب العام للجنة المغرب في طنجة، فإنه قدم لها استقالته بتاريخ 20 يناير 1912، مع التأكيد بأنه يضع نفسه رهن إشارتها بصفة غير رسمية.

لم يتحقق المشروع على الشكل الذي صممه المخزن؛ ذلك أن المغرب سرعان ما فقد استقلاله بالتوقيع على معاهدة فاس في 30 مارس 1912. وهكذا تم إجهاض المشروع الأول لتتولى الجريدة الرسمية النور في ظل واقع جديد أصبحت القوى الاستعمارية تتمسك بزمام أمور البلاد.

صدر العدد الأول من "الجريدة الرسمية" في الرباط باللغة الفرنسية، بتاريخ فاتح نونبر 1912. ويتضمن هذا العدد، بالإضافة إلى نص الوثيقة التي نزعتم من المغرب بإصدار جريدة رسمية، باللغتين العربية والفرنسية، في البلاد. وما ينص عليه هذا القرار في مادته الثالثة أن إدارة وتحرير الجريدة الرسمية مهمة موكولة إلى رئيس الديوان المدني للمقيم العام.

وبعد مرور ما يقرب من أربعة أشهر على ظهور الجريدة الرسمية باللغة الفرنسية، صدرت رصيفتها بالعربية في 25 فبراير 1913 الموافق 16 جمادى الأولى 1331، تحت عنوان "الجريدة الرسمية للدولة المغربية الشريفة المحمية". ومبدئياً لم تكن هذه الأخيرة إلا ترجمة لما يصدر في زميلتها باللغة الفرنسية، غير أن القاعدة لم تحترم بصفة صارمة إذ في بعض الحالات يتم الاكتفاء في النسخة العربية بالإحالة على الطبعة الفرنسية. فعلى سبيل المثال، نشر القانون المنظم للصحافة والطبوعات في "الجريدة الرسمية" باللغة الفرنسية (العدد 79، فاتح مايو 1914) وشغل فيها حيزاً

عبد القادر الفاسي، وأحمد بن عبد الله مَعْن. دَرَسَ ونفع، وسلك بالمريدين طريق القوم، ومنهم العارف الشهير عبد العزيز الدباغ كما أشار إلى ذلك في بداية كتاب الإبريز. كان أحمد الجرندى إماماً بجامع الشرفاء ومدرساً به، وعُين للقضاء بفاس فاحتال للتخلص منه بإظهار البله والحمق وخسيس الأفعال حتى أقيبل منه. توفي بعد عشاء الجمعة خامس عشر محرم عام 1125 / 19 فبراير 1713 ودفن قرب سيدي بوغالب من حومة صريوة داخل باب الفتوح.

الجرندى، عبد العزيز بن أحمد الفاسي. كان - كآبيه - عالماً مشاركاً مدرساً. توفي بفاس ضحوة يوم السبت خامس عشر ربيع الأول عام 1177 / 23 شتنبر 1763 ودفن بروضتهم في حومة صريوة داخل باب الفتوح.

م. الكتاني، سلوة، 2: 16؛ ع. الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط؛ ع. ابن سرودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7: 2379.

محمد حجي

الجرني، أحمد مبارك من فخذة أولاد ابن الكرن بالرحامنة، فقيه وعالم بالنحو، عينه السلطان المولى عبد الرحمان لتربية أولاده المولى بوعزة والمولى الرشيد والمولى علي والمولى العباس. كانت وفاته سنة 1304 هـ / 1886 ودفن بمقبرة باب أغمات بمراكش.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2: 223.

محمد ماكامان

الجرني، أبو بكر ← الجرمني، أبو بكر

الجرز، إبراهيم بن عبد الكريم، فقيه مدرس بمكناس، عاش في القرن السابع الهجري، وامتد به العمر حتى بداية القرن الثامن. كان يستظهر كتاب ابن يونس (الروض الهمتون، ص. 44). كما كان يقرر في دروسه الفقهية أقوال الأئمة وكلام الناس والمختصرين، ويعلم الصبيان ويدرس المدونة.

م. ابن غازي، الروض الهمتون، ص. 44؛ ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 1: 263.

أحمد الوارث

الجريدة الرسمية بالمغرب (Bulletin Officiel)،

راودت المخزن فكرة إنشاء جريدة رسمية منذ 1907 على الأقل عندما تعاقد المخزن العزيزي مع الأخوين نور قصد

Bulletin Officiel

Table with columns for 'ABONNEMENTS' and 'EDITION FRANÇAISE' showing subscription rates and publication frequency.

ON PEUT S'ABONNER: A la Rédaction de France à Paris, à l'Imprimerie Lapeyre à Bordeaux, et dans tous les bureaux de postes.

Sommaire: I. - Le 1er jour de publication du Bulletin Officiel... II. - Le 20 Mars 1912, le Sultan Moulay Youssef... III. - Le 20 Mars 1912, le Sultan Moulay Youssef...

LE COMMISSAIRE GÉNÉRAL: M. LAFITE, Commissaire Général, Résidence Générale, Casablanca, Maroc.

À la suite de l'adhésion de Sa Majesté le Sultan Moulay Youssef... Le 20 Mars 1912, le Sultan Moulay Youssef...

البيان الرسمي للجمعية المغربية للتربية والتعليم

رابطه التفتح في 16 جمادى الأولى 1331... في 23 فبراير سنة 1912

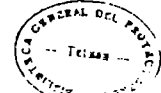
بورهسة ما بهذا العدد من الظاهر الشريفه... 1- طهير شريف في تيمم صلاة وصلاة من إدارة الدولة... 2- طهير شريف فيما يرجع لمرشحة ولاية الدولة...

يطلب من سكانها هذا الأمر انه امر انتم من الذين تبعد احوال المواطنين... والتفتون الطوبى يمكن ترجمته بصورة رسمية بعد معنى سنة واحدة من تاريخ تسجيته...

BOLETÍN OFICIAL

DE LA ZONA DE INFLUENCIA ESPAÑOLA EN MARRUECOS

Número 1.—10 de Abril de 1913.



MADRID IMPRENTA DEL MINISTERIO DE ESTADO 1913

Convenio hispano-francés de 27 de Noviembre de 1912.

SU MAJESTAD EL REY DE ESPAÑA Y EL PRESIDENTE DE LA REPÚBLICA FRANCESA,

Deseosos de precisar la situación respectiva de España y Francia con relación al Imperio Nefítico, Considerando, por otra parte, que el presente Convenio les ofrece ocasión propicia de afirmar sus sentimientos de amistad recíproca...

SU MAJESTAD EL REY DE ESPAÑA,

Al Excelentísimo Señor Don MANUEL GARCÍA PRIETO, MARQUÉS DE ALHUCEMAS, Senador vitalicio, Ministro de Estado, Caballero Gran Cruz de la Orden Civil de Alfonso XII, condecorado con la Medalla de Oro de Alfonso XIII, etc., etc., etc., y

يريو عن خمس صفحات (ص. 296 إلى 301)، في حين اكتفت الطبعة العربية ببضعة سطور أحالت فيها على النص المذكور العدد 52، فاتح مايو 1914، ص. 185). وهكذا ما يفسر كون أعداد الطبعة العربية عادة ما تصدر في سمك يفسر كون أعداد الطبعة العربية عادة ما تصدر في سمك أقل من الطبعة الفرنسية.

وفي 13 يونيو 1913، أنشئت بقرار من المقيم العام ليوطي مصلحة خاصة بالجريدة الرسمية وكلت إليها مهمة تدبير وتحرير وإدارة الدورية في منطقة الاحتلال الفرنسي. ويستشف من لائحة الأشخاص المعيّنين آنذاك لهذه المأمورية أن الإدارة الاستعمارية لم تستعن بمغاربة في عملية الترجمة، وإنما عولت على رعايا من أقطار مجاورة (الباي إبراهيم حميدة).

صدرت الدورية أسبوعياً واختلف عدد صفحاتها حسب وفرة المواد أو قلتها. وكان مضمونها ينقسم إلى قسمين: الأول رسمي والثاني غير رسمي. فأما الأول فهو عبارة عن ظهائر شرفية، وقرارات وزارية ومقیمیة، ومراسيم وتعليمات مختلف المصالح الحكومية (صحة، تعليم، فلاح، أشغال عمومية...). وتتجاور فيها ترقيات الموظفين، المدنيين والعسكريين، فرنسيين ومغاربة، مع الإنتقالات والترسيمات والإقالات وغيرها. كما تتخللها أحياناً مقتبسات من الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية. وأما القسم غير الرسمي من الدورية فهو عبارة عن أخبار مختلفة ذات صبغة عامة. فمنها ما يتناول الأوضاع السياسية والعسكرية خلال فترة معينة، ومنها ما يتطرق إلى أحوال مرفق من المرافق الحكومية. وتضاف إلى ذلك بعض الإعلانات القضائية والإدارية (أحكام، مژاد علني، تصفيات الشركات...)، وكثيراً ما يحتل الإشهار التجاري المؤدى عنه صفحات من الجريدة.

ظلت الجريدة الرسمية تصدر طيلة فترة "الحماية" تحت إشراف الإقامة العامة. ولما تم إعلان استقلال البلاد، وكلت إدارتها إلى الحكومة المغربية؛ ودشنت هذه الحقبة الجديدة بالعدد 2263 الحامل لتاريخ 9 مارس 1956.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بنانط؛ بعض أعداد الجريدة الرسمية باللغتين العربية والفرنسية.

جامع بيضا

* * وبالمنطقة الخليفة بشمال المغرب الخاضعة للحماية الإسبانية أصدرت وزارة الخارجية الإسبانية بمذريد العدد الأول من الجريدة الرسمية بتاريخ 10 أبريل سنة 1913 قبل أن يستقر إصدار الجريدة الرسمية لهذه المنطقة أسبوعياً بمدينة تطوان. وخلال عقود الحماية الزائدة عن أربعة، لم يعرف صدور الطبعة الإسبانية من الجريدة الرسمية أي تعثر، عكس الطبقة العربية التي ظل صدورها صباح كل جمعة غير منتظم، نتيجة بطء عمل المستعمرين الإسبان في إنجاز الترجمة، وعدم اطمئنان الإدارة الاستعمارية إلى الاستعانة

بالعنصر المغربي الثنائي اللغة، مكتفية - عند الضرورة - باللجوء إلى بعض الفقهاء الموظفين لديها عدولاً ومستشارين فيما يخص القضايا الشرعية.

وبقضاء الجنرال فرانكو على النظام الجمهوري القصير وبقضاء الجنرال فرانكو على النظام الجمهوري القصير العمر، وإقامته حكماً عسكرياً بديلاً عنه في إسبانيا، مستتراً خلف إعادة صورية للنظام الملكي، قررت الإقامة العامة للحماية بتطوان، إصدار الجريدة الرسمية في سلسلة جديدة، بدءاً من 30 يناير سنة 1936، والتي تابعت الصدور حتى آخر أعداد طبعتها العربية بتاريخ 30 مارس 1956، وطبعتها الإسبانية بتاريخ 6 يوليوز 1956. محتفظة في كلتا السلسلتين والطبعتين بمقياس: 21 سم × 15 سم، مع اختلاف في عدد الصفحات، حيث تراوح متوسط العربية بين: 40 و45 صفحة، ومتوسط الإسبانية بين 25 و30 صفحة. وقد تماثلت محتويات أعدادها بلغتها، باستثناء حالات نادرة أملتتها مبررات عارضة.

والجدير بالإشارة إصدار قطاعين متخصصين في جهاز الحكومة الخليفة بتطوان جريدتين رسميتين إضافيتين بالعربية فقط، أصدر أولهما زعيم الوحدة الأستاذ عبد الخالق الطريس حين توليه وزارة الأحباس، وثانيتها الفقيه الموسوعي العزيز التآليف الحاج أحمد الرهوني خلال توليه وزارة العدلية، وتابع خلفه في الوزارة الفقيه محمد بن التهامي أفيلال إصدارها بعض الوقت. كما صدرت بالإسبانية فقط، جريدة رسمية تعنى بشؤون البلديات. بيد أن تعثر انتظام صدور جميعها، وعدم توفر الكافي من مواد مجالاتها، أجبرها على التوقف.

مجموعات الجرائد الرسمية بالمنطقة الخليفة، بالعربية والإسبانية.

المهدي الديرو

ابن جرير (مدينة شمال مراكش) ← بن جرير

أولاد جرير، قبيلة عربية تقطن في جنوب شرق المغرب. وتنقسم إلى فرعين: المفالحة والعساسة، وينقسمان بدورهما إلى فرقتين غير متساويتين في عدد الدواوير والخيام. فالمفالحة يتكونون من فرقتين: (1 - أولاد المير 2) وأولاد دادة. وقد بلغ مجموع خيام الفرقتين حسب تقديرات أخذت عام 1893 حوالي 120 خيمة ويضم فرع العساسة فرقتين هما: (1) أولاد قويدر (2) وأولاد بديار ويضمان معا حوالي 184 خيمة.

إن أصول قبيلة أولاد جرير كغيرها من قبائل الجنوب الشرقي المغربي، يلقها الغموض، فباستثناء الإشارة الواردة عند ابن خلدون من أن أولاد جرير ينتهون بنسبهم إلى عرب الأتبيح حسب التسلسل الآتي: أولاد جرير بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة، وهم بطن من بطون لطيف المنتمية للاتبيح، فإنه لم يشر إليهم مصدر آخر سواه.

ع. ابن خلدون، العبر، 6 : 88 ؛ مصطفى أبوضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين، 1982؛ مذكرة عن قبيلة أولاد جرير كتبها الضابط رينو Renault في عين الصفراء بتاريخ 20 شتنبر 1895، أرشيف بلاد ماوراء البحر. A.O.M. 20H23. إكس أن بروفانس ؛ مذكرة كتبها أودينو Odinot بتاريخ 12 مارس 1912. أرشيف فانسين. 1H.1062. باريس. S. Sayagh, La France et les frontières Maroco-Algériennes, 1873-1902, Paris, 1986 أحمد ميزان

الجريري، أسرة سلوية عريقة في العلم والصلاح، يُعرف أفرادها بابن الفقيه البرهوني نسبة إلى جدهم الأعلى الذي اشتهر بهذه الكنية وجرت علي أبنائه من بعده. أنجب هذا البيت طائفة من الأعلام الذين كان لهم باع طويل في التدريس والافتاء والقضاء، وكان منهم عدول وفقهاء، عرفوا بالعبقة والصدق والفضل، أمثال :

الجريري، إبراهيم بن محمد ابن الفقيه السلاوي. أخذ عن أبيه القاضي محمد الجريري آتي الترجمة وعن غيره من العلماء السلاويين. وكان سنة 1282 / 1866 من عدول سلا، واستمر في عمله هذا إلى أن توفي قاضي البلد أبو بكر بن محمد - فتحاً - عواد سنة 1296 / 1879 فأسند إليه القضاء ومكث كذلك إلى وفاته.

كان إبراهيم الجريري عالماً محققاً، يختم صحيح البخاري بالمسجد الأعظم فتنفذ له صلة يستعين بها من مال الأرباح. وفي سنة 1301 / 1884 نفذت له قطعة أرض للحرارة بولجة سلا. كان قاضياً متحرراً صريحاً صريحاً في أحكامه وفي جميع أموره. توفي بسلا يوم عاشر ربيع الثاني عام 1302 / 27 يناير 1885.

ع. الجراي، من أعلام الفكر المعاصر، 2 : 63 ؛ أبو بكر القادري، العلامة المفتي أحمد الجريري، شيخ الجماعة بسلا 1277-1353. ص. 12؛ مصطفى بوشعرا، التعريف، ج. 2 ص. 57 و172 و177.

الجريري، أحمد بن إبراهيم بن محمد ابن الفقيه السلاوي، ولد عام 1277 / 1861 بمدينة سلا، وأمه بنت الفقيه المدرس الحسن بن أحمد بن ناصر معنينو، فهو قد أخذ العلم من أطرافه. قرأ على أهل بلده من المؤدبين والفقهاء، فاستظهر القرآن على يد الأساتذة الحاج أحمد خضور والحاج محمد بربطل الكبير، ودرس العلم على يد أبيه القاضي الحاج إبراهيم وأحمد بن خالد الناصري وعبد الله بن الهاشمي ابن خضراء والحاج محمد بن عبد السلام ابن الحاج. وفي سنة 1298 / 1881 شد الرحال إلى مدينة فاس فنزل بمدرسة العطارين ومكث بها مدة إلى عام 1302 / 1885، تتلمذ خلالها على كبار شيوخ فاس في ذلك العصر

ونظراً لمحافظتهم على حياة البداوة والترحال كغيرهم في الصحراء، ولطول أمد افتراقهم عن أصولهم الأولى وحرصهم على وصل الفروع بالجذور كغيرهم من القبائل المهتمة بالمحافظة على أنسابها ووقائع أيامها، فإنهم اختلقوا لأنفسهم رواية لشجرة نسب يدعون من خلالها أن فرع المفالحة يشكل نواة قبيلة أولاد جرير وهم في الأصل جزء من قبيلة "حميان" التي كانت تستقر في العهد المريني في منطقة الجنوب الشرقي المغربي. بينما يتشكل فرع العساسة من عناصر مختلطة تنتمي إلى الشعابنة والمهابة، والدخيسة توات وأنكاد وأولاد الحاج وغيرهم.

والجدير بالذكر أن فرقة المطارفة من قبيلة حميان تنتمي إلى بطن لطيف من الأتبيج حسب قول ابن خلدون. وأن بطون الأتبيج وبنو عامر كانت تقطن بصحراء بني يزيد قبل رحيلها واستقرارها بصحراء تلمسان بدعوة من أميرها يغمراسن ابن زيان.

يشكل أولاد جرير اليوم قبيلة صغيرة بالنظر إلى غيرها من القبائل الكبيرة في المنطقة كذوي منيع وبنو كيل وحميان وأولاد سيدي الشيخ. ولما كانت مواطنهم تتقاطع مع مواطن ذوي منيع فإنهم دخلوا في حلف حماني شبه دائم مع ذوي منيع يحاربون ويسالمون سوياً من ينازعهم المراعي ونقط الماء في المنطقة، كبنو كيل والعمور وغيرهم. تمتد مسجلات رعي قبيلة أولاد جرير في الجنوب من وادي الناموس "قرب فجيج" شرقاً إلى وادي إكلي غرباً. وتمتد في الشمال على معظم بلاد الظهرة حسبما ادعى قوادهم في رسالتهم إلى الحاكم الفرنسي بشار بتاريخ 24 ربيع الأول عام 1329 / 15 مارس 1911 بدعوى أن معظم الآبار المحفورة في الظهرة وهوامشها الجنوبية حفرها أسلافهم وأسلاف ذوي منيع كما جاء في الرسالة. وهم يشاركون على هذا الأساس قبيلة بني كيل في رعي مواشيهم في الظهرة.

ويملك أولاد جرير كثيراً من النخيل في واحات تابعة لقصور بشار واكدة وفندي وموغل وغيرها. وكانت الزاوية القندوسية قمارس نفوذاً قوياً على القبيلة، لذلك كانت تقوم بدورها التحكيمي في معظم نزاعات أولاد جرير مع القبائل الأخرى. أما علاقتها مع المخزن فيترجمها تبادل الرسائل بين أعيان وقواد القبيلة وبين السلطان وعماله في أقاليم وجدة وفجيج وتافيلالت، وكذلك قيام شيوخ القبيلة أحياناً بتشكيل وفد لزيارة السلطان بفاس في مناسبات تجديد البيعة أو التهنتة بالعيد أو لرفع الشكاوي ضد الغير. وقد تشكل وفد منهم لزيارة السلطان مولاي الحسن عام 1310 / 1893 ضم كبار شيوخ القبيلة آنذاك وهم بالتوالي : الغازي ولد أحمد منصور من فرقة أولاد المير، ومحمد بن مقدم من فرقة أولاد دادة، ومحمد ولد سليمان من فرقة أولاد قويدر، ومومن ولد دحمان من فرقة أولاد بديار، استقبلهم السلطان وعينهم قواداً على فرقهم.

أمثال محمد ابن المدني گتون وأحمد ابن الخياط ومحمد بن قاسم القادري ومحمد ابن التهامي الوزاني.



ولما رجع إلى مسقط رأسه صار يلقي دروساً بمختلف المساجد، فكان يدرس بين الظهرين الأصول بالمسجد الأعظم، وعلوم العربية والفقهاء بالزاوية الناصرية، وقرأ السيرة النبوية بضحري سيدي أحمد حجي حتى عد شيخ الجماعة بدون منازع، إذ تخرج على يده جمهور من أعلام سلا كالقاضي الهاشمي بن عبد الله ابن خضراء وعبد القادر بن محمد التهامي الوزاني، ومحمد العربي وأخيه جعفر ابني أحمد بن خالد الناصري، وأبي بكر بن الطاهر زنيبر وحجي زنيبر والحاج محمد بن أبي بكر التطواني والحاج محمد بن أبي بكر المريني والحاج محمد بن الحاج الطبيب الصبيحي وأحمد بن محمد الصبيحي وزين العابدين ابن عبود وأحمد بن بنعاش ابن عبد النبي الذي كان ملازماً له.

وإلى جانب التدريس المتواصل تصدر أحمد ابن الفقيه للإفتاء، فكانت فتاويه محكمة لا تخرج أبداً عن الراجح والمشهور من مذهب مالك. وكان قاسياً كل القسوة وعنيفاً أشد العنف على كل من سولت له نفسه أن يفتي الناس عن جهل أو عن طمع. فكان في أقواله كلها وفتاويه بأكملها مجادلاً بارعاً وأصولياً محققاً ومجتهداً مجدداً. حارب البدع والشعوذة، واتخذ موقفاً مشرفاً من مسألة الظهير البربري.

خلف ذرية صالحة كما خلف عدداً كبيراً من الفتاوى عني بجمعها تلميذه الوفي أحمد ابن عبد النبي، فقد نسخها بخطه الجميل في كناش كبير. وحملت الشهامة ناظر الخزانة الصبيحية السيد الحاج عبد الله الصبيحي على نشرها بتحقيق الفقيه مصطفى النجار فخرجت في 352 صفحة، ورتبها في خمسة أبواب تتفرع إلى واحد وعشرين فصلاً واثنين وسبعين ومائة فتوى :

الباب الأول : الأحوال الشخصية (21 فتوى)

الباب الثاني : البنوة والنيابة الشرعية (19 فتوى)

الباب الثالث : الالتزامات والعقود (36 فتوى)

الباب الرابع : الوصية والوقف (30 فتوى)

الباب الخامس : الشهادات والدعوى (66 فتوى)

كان الفقيه أحمد الجريري رحمه الله شديد الورع، لا يقبض شيئاً عن فتاواه العديدة الوفيرة زاهداً منكرًا لذاته، بسيطاً في مأكله ومشربه وملبسه وفراشه، مُعرضاً عن جميع الوظائف المخزنية، واهباً نفسه للعلم والتعليم والقراءة والتحصيل والإرشاد، قانعاً بما كانت تدره عليه تجارته الصغيرة وما يُفعله عليه بستانه الذي كان أحياناً يرى مشتغلاً فيه بنفسه، مكتفياً بذلك وبما ورثه عن والديه من متاع.

ومن شدة تواضعه أنه كان لا يريد من أحد أن يعوله، بل كان يشتري خبزته من الفران ويأكلها، تاركاً أهله يتزودون بما عجنوه في البيت. ويستنكف من أن يحمل له أحد من الناس حقيبة أو قفة، بل كان يتولى ذلك بنفسه مهما شق عليه. وقد شاهدت مراراً بعيني تلميذه الحاج أحمد بن عبد النبي يحمل قفته بنفسه ويقول لمن تطوع لإعانتته : "دعني أحمل وزري ووسخي بنفسي" وهي صفة ورثها عن شيخه المترجم.

كان أحمد الجريري - منذ شبابه - مصاباً بمرض في عينيه، وذهب لأجل العلاج إلى مدينة قادس بإسبانيا سنة 1315 / 1898 ففوفي، لكن قبل وفاته بسنتين عاوده المرض حتى كف بصره.

توفي رحمه الله بمسقط رأسه سلا يوم تاسع ربيع الثاني عام 1353 / 22 يوليوز 1934، وشيخ جنازته جمهور غفير من تلامذته والمعجبين بسيرته الحميدة، ودفن بروضة الزاوية القادرية. وبعد أربعين يوماً أقيمت له حفلة تأبينية حضرها جم غفير من الناس ألقيت خلالها كلمات وقصائد كلها في شمائل هذا الشيخ الجليل القدوة الصالح المصلح.

ع. الجراي، من أعلام الفكر المعاصر، 2 : 35-39 ؛ أبو بكر القادري، العلامة المفتي أحمد الجريري، الدار البيضاء، 1985، ص. 6-30 ؛ م. بوشعراء، الذيل الجديد للإتحاف الوجيز، مخطوط : روايات شفرية.

الجريري، أحمد ابن الفقيه البرهوني لا نعرف اسم

أبيه، وإنما تدل الوثائق على أنه كان من عدول مدينة سلا المنتصين للشهادة بها. وكان بقيد الحياة سنة عام 1142 / 1729.

الجريري، بناصر بن محمد ابن الفقيه السلاوي،

الفقيه لعله أخو القاضي إبراهيم سابق الترجمة، كان من الأساتذة المدرسين بأحد الكتاتيب بسلا، وكان عام 1278 / 1862 بقيد الحياة، وهو من الذين انتفعوا من الصلة التي صرفت لعدد من المؤدبين وحمله القرآن بمدينة سلا في هذا التاريخ.

م. بوشعراء، التعريف، 2 : 55.

الجريري، الحسن بن إبراهيم ابن الفقيه، فقيه مشارك أخذ عن علماء بلدته وفي مقدمتهم المؤرخ أحمد بن خالد الناصري، وعن جماعة من شيوخ علماء القرويين بفاس. ولما رجع لمسقط رأسه انخرط في سلك الموظفين ببعض المراسي، ثم اشتغل بخطه العدالة سائر حياته. توفي بسلا صباح يوم الاثنين 17 جمادى الثانية عام 1335 / 10 أبريل 1917.

ع. الله الجري، من أعلام الفكر المعاصر، 2 : 290، 291 : تقابيد خاصة.

الجريري، محمد بن أحمد ابن الفقيه السلاوي، نعته محمد ابن علي الذكالي السلاوي بالأديب الكبير، المشارك للدراكة الشهير، وقال إنه كان مدرساً نفاعاً ومحققاً في العلوم كلها، له اليد الطولى في البلاغة والفقه والتفسير والحديث، أديباً يحفظ مقامات الجريري، ذا خط رائق. وقد عُرف بشرحه لمنظومة أحمد ابن الوثان التواتي من أهل القرن الثاني عشر (18 م) المعروفة بالشمقمقية التي مدح بها السلطان محمد بن عبد الله والتي مطلعها :

مهلاً على رسلك حادي الأنيق ولا تكلفها بما لم تُطبق
ولما أكمل شرحها في مائة كراسة أهداه إلى السلطان
مولاي سليمان الذي كتب بخطه في طررها : "من مائن الله
على عبده سليمان أن ملكه هذا الشرح العجيب ..."
ووصله بصلة سنية.

لم تعرف شيوخ هذا العالم الجريري، ولعل منهم محمد ابن الطاهر المير السلاوي المتوفى سنة 1180. فقد ترجم له محمد بن علي الذكالي في الإتحاف الوجيز بأنه كان شيخاً محدثاً وبحراً عابياً في معرفة الحديث والتفسير، وأنه أخذ عن بعض علماء المشرق. وحيث إن المير مات قبل الجريري بستين سنة فلا يبعد أن يكون المترجم أخذ عنه.

كان الجريري مدرساً نفاعاً يلقي دروساً في التفسير يحضرها الجم الغفير من أهل العدوتين سلا والرباط.

تقلد خطة القضاء بسلا عام 1222 / 1807 فكان فيها محمود السيرة. غير أنه استعفى السلطان مولاي سليمان منها فأعفاه.

توفي محمد الجريري بسلا عام 1240 / 1825 ودفن خارج باب المعلقة.

م. ابن علي الذكالي، الإتحاف الوجيز، ص. 125 و128 و129، نشر الخزانة الصبيحية بسلا : إتحاف أشراف الملا، ص. 106، مخطوط ومصور الخزانة الصبيحية بسلا : ع. الجري، من أعلام الفكر المعاصر، 2 : 36 و263.

مصطفى بوشعراء

الجزء، مصطلح فقهي جرى به العمل في المغرب، شرحه الفقهاء والنوازليون بأنه كراء على التبقيّة أو

"كراء جرت العادة فيه بين الناس أن يمضي حكمه ويستمر" (المعيار، 7 : 52). وأول إشارة للجزء بهذا المعنى وردت في المصادر التاريخية تتعلق ببناء مدينة فاس، فقد أمر إدريس الناس بالبناء، ولتشجيعهم وحثهم على الإسراع فيه، سمح لمن ابتنى داره قبل اكتمال بناء السور بامتلاكها، ومن بنى بعد ذلك كان ما بيده من حيازة كراء مستديماً، واشتهرت بسبب ذلك عدة جزاءات في مدينة فاس مثل (جزء ابن برقوقة).

وفي العهد الموحد توسع الجزء ليشمل الأراضي الزراعية والمباني، وتجاوز أراضي المخزن ليشمل الأراضي المصادرة. وأبرز مثال لذلك قبيلة هزميرة، فقد تمت تصفيتها في إطار سياسة التمييز التي بدأت في عهد المهديت وصودرت ممتلكاتها "ووزعت جوائز لكل قبيلة جائزة" (نظم الجمان، ص. 94) فالجزء بالمعنى الذي عرضنا له - وتقرأ الكلمة في اللسان العامي : (كزا) بجيم معقودة ساكنة - نوع من الحيازة والتصرف في الأملاك المخزنية أو الحيسية، لا هي ملكية خالصة ولا هي كراء عادي، بل هي منزلة بينهما، وتوجد اليوم في العديد من المدن العتيقة أحياء سكنية تعرف باسم (الجزا) أشهرها حي (الجزا) بمدينة الرباط الذي يعد اليوم جزءاً من شارع محمد الخامس.

ويبدو من الدراسات الميدانية ومن الروايات الشفوية أن هذا النوع من الحيازة والتصرف استمر إلى أيامنا هذه وشمل أملاكاً غير الأملاك المخزنية واتخذ اسماً ومصطلحاً آخر هو (الزينة)، وانتشارها أوسع من الجزء وتقتصر على المباني السكنية والتجارية ولا تشمل الضيعات والأراضي الزراعية، وحسب رأى السكان فلاهي ملكية ولاهي كراء محدد بعقد ولا هي رهن أو هبة، وبهذه الصفة تم انتقال أراضي الجزء - ومازال - من متصرف إلى آخر بالبيع والشراء والتوارث.

تجاوز الجزء العقارات والأراضي الفلاحية ليشمل الماء. فالحق في الماء - وخاصة ماء السقي - كان يباع ويشترى ويكرى، ولعل دخوله في الجزء كان ظاهرة مستجدة فأثار مشاكل بين الأطراف المعنية عرضت على الفقهاء والمفتين، ومنها قضية تتعلق بماء محبس على مسجد، فكان الجواب: "التحبس لا يُبطل الجزء" (المعيار، 7 : 52 و53).

ويبدو أن الجزء الذي كان محصناً من الناحية الشرعية قد تضايق منه ذوو الحقوق أفراداً كانوا أم جماعات، مؤسسات ومخزناً، ففرض على المستفيدين من الجزء خاصة أواخر العهد المريني ضريبة عرفت بمغرم الجزء (نفاضة الجراب، ص. 324) واعتبرت في نظر المتضررين منها مظلمة كان بعض سلاطين بني مرين عند توليته يسارع إلى إزالتها ضمن بدع أخرى لتلميع صورته وافتتاح عهده باليمن والبركة. وترد في المصادر التاريخية تعابير تقليدية عن ذلك منها : "هدم المروس وازال المكوس ويتحدث صاحب "المسند" ان من عظيم ما فعله أبو الحسن

المريني رفعه للعديد من المظالم والمغارم ومنها مغرم الجزاء .
ابن القطان، نظم الجمان، تح. محمرد علي مكي تطوان، د. ت ؛
م. ابن مرزوق، المسند الصحيح، الجزائر 1981 ؛ ل. ابن الخطيب،
نفاضة الجراب، الجزء الثاني ؛ أ. الونشريسي، المعيار، بيروت.
محمد حجاج الطويل

الجزائر والمغرب عرفنا نفس المصير عند الفتح الإسلامي سنة 62 هـ على يد عقبة بن نافع، حيث أصبحا تابعين للولاية المقيمين في القيروان من قبل الخلفاء الأمويين ثم العباسيين في الشرق. ولما ساءت الأحوال الداخلية ببلاد المغرب وانتشر فيه الخوارج انفصل كل من المغرب والجزائر عن نظر ولاية القيروان : تكونت إمارة بني مدرار الصفرية (138 . 354 / 755 . 965) في سجلماسة ووسطوا نفوذهم على جنوب المغرب الأقصى، وتلتها إمارة بني رستم الإباضية في تاهرت (160 . 296 / 776 . 908) وخضع لهم معظم المغرب الأدنى. وكان التعاون والتآزر على أشده بين الإماراتين الخارجيتين الجزائرية والمغربية.

تكرس استقلال المغرب الأقصى بقيام الدولة الإدريسية التي كانت حجر الأساس للدولة المغربية المستمرة إلى الوقت الحاضر. ولم تلبث الجزائر أن خلعت ريقه شيعة تونس بعد أن تأسست فيها دولة بني حماد الصنهاجيين (398 . 547 / 1007 . 1152 م) الذين حكموا المغرب الأوسط من حاضرتهم قلعة بني حماد ثم من بجاية، إلى أن قامت دولة الموحدين بمرآكش ووحدت الغرب الإسلامي كله تحت سلطتها، من برقة إلى المحيط ومن الأندلس إلى الصحراء وقد دام عصر الوحدة مع الموحدين أزيد من قرن عرفت بلاد المغرب والأندلس خلاله أزهى عصورها في كل الميادين السياسية والعسكرية والفكرية والعمرانية والحضارية.

وفي غمرة الانقسام الذي عمّ الامبراطورية الموحدية بعد أقول نجمها، قام بنو عبد الواد الزيانيون، عمّال الموحدين سابقاً في تلمسان، بتأسيس دولة في المغرب الأوسط استمرت ثلاثة قرون، ولو أنها ظلت تُهاجَم باستمرار من طرف الحفصيين في تونس الذي استبدوا بدورهم بتلك المنطقة واعتبروا أنفسهم ورثة الموحدين، ومن طرف المرينيين بفاس الذين حلت دولتهم محل دولة الموحدين. فكان الزيانيون يتبعون تارة هؤلاء، وتارة أولئك، إلى أن تدهورت سلطتهم واحتل الإيبانيون بجاية والجزائر ووهران وغيرها واستنجد الأهالي بالمجاهدين التركيين عروج وخير الدين (باربروس) لتحرير الشغور المحتلة، فلم تمض سنوات معدودات حتى انتهى أمر بني عبد الواد وأصبحت الجزائر إيالة تركية تابعة للباب العالي (924 / 1518 م).

دخلت العلاقات المغربية الجزائرية لأول مرة مرحلة توتر وصراع عنيف لم يكن ليخف إلا في فترات قصيرة طيلة القرون الثلاثة التي ظلت فيها الجزائر خاضعة للأتراك. ذلك أن هؤلاء كانوا يُمنّون أنفسهم بامتلاك المغرب

الأقصى الذي بقي وحده خازجاً عن نفوذهم بعد أن بسطت الخلافة العثمانية حكمها المباشر على سائر البلاد العربية. وتجب الإشارة إلى أن الجزائريين لم يكونوا طرفاً في هذا النزاع، وأن حدوداً اصطناعية أقيمت لأول مرة بين البلدين الشقيقين، لكنها مع ذلك لم تستطع أن تمنع الاتصال بين المغاربة والجزائريين أو أن تصد موجة الهجرة التي شملت أسراً علمية من وهران وتلمسان وتجمعات قروية كقبيلة بني عامر الدين التحقوا بالمغرب الأقصى في فترات مختلفة. استنكافاً من عنف الانكشارية.

وقد عمل الفرنسيون، مند احتلالهم للجزائر سنة 1246 / 1830 م، على تقوية الحدود والسدود بين الجزائر والمغرب، لا سيما إثر الدعم القوي الذي تلقاه الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري من المغرب حكومة وشعباً، وتمكّنه من تحرير غربي الجزائر وفصله عن فرنسا لسنوات عديدة. (انظر : الجزائري عبد القادر).

وبالرغم على فرض الحماية الفرنسية على المغرب واستمرار احتلال الجزائر فقد تمكّن الوطنيون المغاربة والجزائريون من إعادة ربط صلات الأخوة والتعاون بين حركاتهم التحريرية السياسية والمقاومة المسلحة التي انتهت بانعتاق القطرين الشقيقين واستعادة الحرية والاستقلال.

إبراهيم، ابن الرقيق، تاريخ افريقية والمغرب، تح. ع. العلي الزيدان وآخر، بيروت، 1990 ؛ محمد التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح. محمود بوعبياد، الجزائر، 1985 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الجزء التاسع، الدار البيضاء، 1956 ؛ ع. الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، بيروت، 1965 ؛ أ. توفيق المدني، كتاب الجزائر، الجزائر، 1350 ؛ حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الجزائر د. ت ؛ ع. العزيز سالم، المغرب الكبير، الجزء الثاني، بيروت، 1981.

محمد حجي

* * من نافلة القول أن العلاقات بين المغرب والجزائر متعددة المناحي والتخصصات تستدعي بالتالي مقارنة علمية مناسبة. فمن زاوية علم السياسة الخارجية، فإن هذه العلاقات تبدو من خلال التبادل الدبلوماسي وعقد المعاهدات الدولية، وتعليق الأوفاق أي أن معالجتها تتطلب مقارنة تفكيكية Approche déconstructiviste كما أن البراديجم الدولي "Paradigme étatique" هو النموذج الأمثل في مثل هذه الدراسة نظراً لواقعيته. فهو ينطلق من "محورية الدولة" "Centralité de l'Etat" القائمة على نظرية توازن القوى وهاجس السيادة الوطنية غير القابلة للتصرف أو للاختراق على حساب نظرية القوى العميقة "Forces profondes" التي نادى بها المؤرخ بيير رونوفان Pierre Renouvin.

إذا فحوصنا الفترة التي تبدأ مع استقلال الجزائر، إلى اليوم، أي في فترة عقود ثلاثة، فإن النقد التحليلي النزبه

يكشف لنا عن جدلية التعاون والصراع، عن وجود دائرة الانفراج ثم التوتر بين دولتين جارتين تنتميان إلى نفس الأرومة وتنخرطان في مجموعة قيم حضارية Communauté de valeurs وتتقاسمان رصيماً نضالياً وتتطلعان إلى مستقبل مشترك في إطار اتحاد المغرب العربي. هذه العلاقات الأخوية تتجاوز بها إذن جدلية الاستمرارية والقطيعة وتكشف الدورة التاريخية التي فتحتها في حياة البلدين حصولهما على الاستقلال تبلور واقع كل دولة منفصل ومختلف. وهذا الواقع يطبع سلوك كل منهما في أصوره الداخلية والخارجية. ولهذه السياسة الخارجية محددات وألويات ودوائر تتسم بالاختلاف أكثر من التقاطع لديهما. ولعل النهج السياسي والاقتصادي الداخلي كان يفسر لعقود خلت هذا الاختلاف. كما أن استئثار الدولة الوطنية - وخاصة في الجزائر - بمواقع صنع القرار السياسي تم للتعويض عن غياب الدولة كمفهوم محوري خلال الفترة الاستعمارية.

هذا التباين في المنظور السياسي، وهذا الواقع المنفصل والمختلف لا ينفيان وجود تقاطعات مع ذلك. بل إن هناك مرحلة شهدت فيها هذه العلاقات الثنائية ازدهارا عكسته العديد من الاتفاقيات المبرمة بين البلدين في العديد من المجالات، وكان مع تكون مؤشرة على وجود "ففاق" "Entente" و"تعايش" "Coexistence" بين دولتين جارتين. غير أن هناك متغيرات سرعان ما تعكر صفو هذه العلاقات وتأخذ وتيرة وأشكالا من التوتر والحرب الباردة وقد تذهب إلى حد الحرب الساخنة (كما وقع في حرب أكتوبر 1963 التي تعرف بحرب الرمال) أو بالحرب غير المباشرة عبر جماعات "البوليساريو" منذ عام 1976، التي تقدم لها الجزائر بسخاء دعما مطلقا وغطاء دبلوماسيا ومداد جيوسراتيجيا الخ. وذلك لمعاكسة المغرب في استرجاع صحرائه بالطرق الدولية المشروعة بدءا بحكم محكمة العدل الدولية الشهير يوم 15 أكتوبر 1975 التي أقرت بأن الصحراء ليست أرضا خلاء كما كانت تزعم إسبانيا، وأن ثمة روابط البيعة التي تجمع السلطان برعاياه في الصحراء الغربية والبيعة لا تقل معنى عن السيادة في مفهوم القانون الدولي، ومرورا بمعاهدة مدريد التي أنهت الوجود الاستعماري في الصحراء، ونهاية بمقررات هيئة الأمم المتحدة التي أوكل إليها بتنظيم الاستفتاء المرتقب والمؤجل لمرة عديدة. وإذا كانت الجزائر تؤيد ظاهرياً تطبيق هذا المبدأ فإنها في الواقع تعتمد إلى عرقلته كما تكشف عن ذلك أعمال لجنة إثبات الهوية. والواقع أن موقفها ثابت لم يتغير وهو تطبيق مبدأ التوازن Principe d'équilibre أي انتهاج كل سياسية من شأنها أن تحرم المغرب من جذوره الإفريقية وإشعاعه في جنوب القارة، وذلك من منظور الواقعية السياسية الذي يوظف المبادئ لحساب المصالح. هناك إذن جدلية الثابت والمتغير التي تحكم سلوك

ووتيرة هذه العلاقات الثنائية، وهذا ما يفسر كون هذه العلاقات توصف في الغالب بأنها "عادية"، كما تكون بين الدول، أن أنها غير "استثنائية"، أو "متميزة" كما تصح بها قاموس العلاقات بين الدول.

ووصف العلاقات بين الجزائر والمغرب بأنها "عادية" جاء على لسان الوزير الأول الجزائري السيد أويحيى لدى زيارته لتونس يوم 22 / 12 / 1996. وهذا التعبير الدقيق يجسد حالة جوار جغرافي، طبيعته ممتدة (راجع شؤون مغربية، الاقتصادية، علاقات عادية بين الجزائر والمغرب، العدد الحادي عشر يناير 1997، ص. 3).

وقد اعتاد المغرب والجزائر في الثلاثين سنة ونيف أن تكون بينهما حالة لا علاقات، فإن الحدود المقفلة منذ حادثة فندق أسني بمراكش في غشت 1994 كانت مقفلة أيضا في فترة مضت، وفتح تلك الحدود يعتبر استثناء وإقفالها هو الحالة العادية منذ خمسين سنة تقريبا (نفس المصدر، ص. 3).

هذا المشهد الذي يتأرجح بين فتح الحدود وإقفالها والمتزامن مع فترة إقامة علاقات عادية والدخول في فترة "العلاقات" يؤثر على وتيرة الإنتاج الاتفاقي Production conventionnelle بين الدولتين ويفسر محدوديتها بل وتراجعها.

السؤال المطروح هنا ما هو الإطار القانوني المنظم لهذه العلاقات وما هي مميزاته ؟

إن مختلف الجوانب التي تجسد علاقات التعاون بين الجزائر والمغرب تنظمها مجموعة من النصوص القانونية المتنوعة التي جاءت نتيجة العديد من اللقاءات والمحادثات على جميع الأصعدة. ففتحت هذه العلاقات جاء متزامناً مع زيارة الملك الحسن الثاني إلى الجزائر لأول مرة خلال الفترة الممتدة ما بين 13 و 15 مارس 1963 صدر في أعقابها بيان مشترك يقضي بالشروع في المفاوضات بين المغرب والجزائر. كما تم خلالها التوقيع على مجموعة من المعاهدات المهمة، نذكر منها على سبيل المثال : اتفاقية الاستيطان Convention d'établissement، واتفاقية حول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، واتفاقية حول المساعدة المتبادلة والتعاون القضائي، واتفاقية حول التعاون الإداري والتقني، إلى جانب اتفاقيات في المجال الثقافي والبريد والبحث الزراعي.

ومباشرة بعد هذا التوقيع عمد الطرفان إلى توقيع سلسلة جديدة من الاتفاقيات تمثلت في الاتفاق حول تكوين أعوان وأطر للصناعة والمعادن والطاقة، وآخر خاص بالنقل الجوي، إضافة إلى اتفاقيتين متعلقتين بالتعاون والمساعدة المتبادلة في ميادين الصناعة وتبادل بعض الرسائل.

ولم تنته هذه الفترة الأولى من وضع الإطار القانوني للعلاقات المغربية الجزائرية إلا في عام 1965 بتوقيع برتوكول إضافي للاتفاقية التجارية والتعريفية الموقعة في

السبعينات بتوقيع اتفاقية تجارية وتعريفية جديدة في عام 1973.

والملاحظ أن هذه المرحلة الغنية بإبرام معاهدات ثنائية ذات شأن كبير في رسم علاقات الدولتين وحسم خلافهما الحدودي جاءت نتيجة رغبة قائدي البلدين في تصفية المشاكل العالقة بينهما. وهذا يفسر توالي الزيارات الرسمية وتوقيع العديد من الأوقاف في مختلف القطاعات، غير أنه سرعان ما سوف تخبو وتيرة التعاون ويسود الجفاء والقطيعة الدبلوماسية في المرحلة الثالثة التي تزامنت مع موقف الجزائر من استرجاع المغرب لصحرائه المغتصبة. وقد ظهر هذا الموقف العدائي منذ انطلاق المسيرة الخضراء في 6 نونبر 1975 أمام مجلس الأمن الدولي، وتجلي بوضوح من خلال اعتراف الجزائر بالجمهورية الصحراوية ضدًا على الشرعية الدولية وتناقضا مع مبدأ الاستفتاء، ومن العبث إذن الاعتراف بدولة لا تتوفر على مقوماتها الضرورية.

ثم عادت الحدود إلى الإقفال بعد طرد المواطنين المغاربة المقيمين في الجزائر في عام 1977 لخلق أوضاع اقتصادية والانتقام من المغرب. وظلت القطيعة سائدة من عام 1976 إلى مايو 1988 تاريخ استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في أعقاب عقد مؤتمر القمة العربي في الجزائر. وكانت المناسبة سانحة لعقد لقاء بين الملك الحسن الثاني والرئيس السابق بن جديد ومؤشراً على إعطاء ديناميكية للعلاقات الثنائية توجت بتوقيع عدد من الاتفاقيات والبرتكولات واجتماع اللجان المختلطة لإعادة الروح إلى الاتفاقيات السابقة التي تعطلت بتأثير الجمود السياسي الذي طبع علاقات البلدين: من أهم ما تم التوقيع عليه البرتكول الخاص بدراسة وبناء أنبوب الغاز الطبيعي "المغرب العربي- أوروبا" في يبرابر 1989 واتفاقية في الميدان الإعلامي واتفاقية تجارية وتعريفية وأخرى بإنشاء لجنة مختلطة كبرى واتفاقية حول إلغاء ازدواجية الضرائب.

والملاحظ أن بداية عقد السبعينات عرف إبرام عدد من الاتفاقيات في مجال التعاون الإداري المتبادل لزجر المخالفات الجمركية؛ وفي مجال التعاون التجاري...

ومن جرد سريع لمجمل هذه الأرفاق الثنائية التي تمثل الإطار القانوني للعلاقات بين البلدين، نجل أن عددها يزيد على المائة موزعة بين اتفاقيات وبرتكولات ومحاضر اجتماع للجان المختلطة وبلاغات مشتركة ورسائل تبادل وبرامج تنفيذية. وكلها تعبر عن التزام الدولتين بما تتضمنه من مقتضيات وتخضع للقانون الدولي وفق ما تحكمه معاهدة فيينا للمعاهدات الدولية لعام 1969.

لهذا الإطار العام مميزات نود الإشارة إليها في عجالة.

تكمن هذه المميزات في نوعها وتطبيقها والهدف المنشود منها.

نونبر 1965. من المؤكد أن هذه المرحلة زاخرة بالعديد من المعاهدات القطاعية، من أبرزها الاتفاقية الدبلوماسية والقنصلية التي تنص على أن يقوم البلدان بدراسة المشاكل المطروحة أو التي تعترض علاقاتهما، ويجتمعان دوريا لاتخاذ مواقف موحدة في ميدان السياسة الخارجية "Positions communes en matière de politique étrangère" على صعيد المنظمات الدولية، وأن يتتبع كل طرف عن اتباع سياسة أو إبرام اتفاقية تتعارض ومصالح الطرف الآخر؛ وأن يقوم كل بلد بتمثيل مصالح البد الآخر دبلوماسيا أو قنصليا إذا ما طلب منه ذلك، وأن يتشاور الجانبان فيما يتعلق بتوزيع تمثيلهما الدبلوماسي أو القنصلي بالخارج.

وتلت هذه المرحلة التي تعد فترة زاهية في عهد العلاقات الدبلوماسية مرحلة ثانية دشنت في عام 1969 بعد أن ظهرت لدى الطرفين الرغبة المشتركة في الرقي بها إلى مستوى أحسن، وذلك بمحاولة تجاوز الخلافات الثنائية الناتجة أساسا عن النزاع الحدودي، وقد انطلقت هذه المرحلة من الناحية الفعلية بزيارة الرئيس هواري بومدين للمغرب في يناير من نفس السنة حيث وقع الجانبان المغربي والجزائري ابتداء من هذه المناسبة، وإلى حدود عام 1973 العديد من الاتفاقيات والبرتكولات دعمت مسيرة البلدين فيما يتعلق بتقنين وتوسيع العلاقات الثنائية. توصل الطرفان خلال عام 1969 إلى توقيع معاهدة الأخوة وحسن الجوار لمدة عشرين سنة، وهي تنص على إرساء سلم دائم وصداقة متينة وحوار مستمر بين البلدين، ودعم العلاقات المشتركة في جميع الميادين قصد تطوير التعاون لمصلحتهما. ويمقتضى الفصل الخامس من هذه الاتفاقية الأساسية "يتعهد الطرفان بعدم الانخراط في أي حلف أو تحالف موجه ضد أحدهما" كما يتعهدان أيضا بحل جميع القضايا المتعلقة بواسطة لجان ثنائية أو بوسائل ملائمة.

وقد تم الاحتفال بمرور عشرين سنة على إبرام هذه المعاهدة خلال زيارة الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد إلى المغرب في يناير 1989.

إلى جانب هذه الاتفاقية - الأساس تم إبرام العديد من الاتفاقيات القطاعية كتلك التي تهم الخزينة العامة المغربية ونظيرتها الجزائرية، وتلك المعاهدة المبرمة في عام 1971 حول المساعدة المتبادلة في الميدان الإداري بهدف زجر المخالفات الجمركية وبرتكول إضافي للاتفاقية التجارية والتعريفية إضافة إلى بعض المحاضر الصادرة عن اللجنة المختلطة المغربية الجزائرية. وخلال عام 1972 وقع البلدان برتكولا إضافيا آخر للاتفاقية التجارية والتعريفية المبرمة عام 1964، واتفاقية لرسم الحدود بين البلدين، وأخرى تتعلق بالاستغلال المشترك لمنجم الحديد الموجود في غارة جيبيلات، واتفاقية متعلقة بإنشاء شركة للبناء والاستغلال المشترك لمعمل الاسمنت بمدينة وجدة. وقد اختتمت فترة

- أولاً : من حيث النوع، فإن الإطار الذي يحكم هذه العلاقات ينقسم إلى ستة أنواع :
- 1 - ثلاثة وثلاثون اتفاقية أو اتفاق.
 - 2 - عشرة بروتوكولات اتفاق أو ملاحق أو إضافات.
 - 3 - أربعة بلاغات مشتركة.
 - 4 - ثماني تبادل رسائل.
 - 5 - ستة وثلاثون محضر اجتماع اللجن المختلطة الكبرى أو المتخصصة.
 - 6 - ثمانية برامج تنفيذية.

إلا أن محاضر الاجتماع 35٪ من العدد الإجمالي والاتفاقيات 32٪ من مجموع النصوص تمثل أغلبية ثلثي النصوص المبرمة بين الطرفين. وإذا كان صنف "محاضر الاجتماع" هو السائد فمرد ذلك إلى ما شهدته الساحة من محادثات ومفاوضات، فإن وفرة الاتفاقيات يمكن إرجاعها إلى مؤشر على الدفع بالعلاقات الثنائية إلى ما يطمح إليه البلدان من توثيق عرى التعاون والتضامن.

ثانياً : من حيث التطبيق، تنقسم هذه النصوص إلى إلى أصناف ثلاثة يمكن إجمالها كالتالي :

(1) صنف من النصوص يدخل حيز التنفيذ بمجرد التوقيع عليه بناء على تنقية الشكل المبسط Accord en forme simple، والتي ليست في حاجة إلى اتباع مسطرة التصديق. ومن بين هذه النصوص نجد محاضر الاجتماعات، والإعلانات المشتركة، والبرامج وبعض الاتفاقيات التي تنص على هذا الشرط. مثال ذلك الفصل الثامن من الاتفاقية الجمركية والتعريفية الموقعة بين المغرب والجزائر بالرباط في نونبر 1963.

(2) صنف النصوص التي دخلت إلى حيز التطبيق المؤقت Application provisoire، كما هو الشأن بالنسبة للاتفاق المتعلق بإحداث لجنة مختلطة مغربية جزائرية للتعاون الاقتصادي والثقافي والعلمي المبرم بالجزائر يوم 23 أبريل 1963، وهذا النوع من النصوص ينفذ بمجرد التوقيع عنه..

(3) صنف النصوص التي لا يمكن تنفيذها إلا بعد تبادل وثائق التصديق Echange des instruments de ratification أو نشرها في الجريدة الرسمية، أو بعد المصادقة عليها حسب مقتضيات الدستور لكلا البلدين. نذكر منها على سبيل المثال "معاهدة الأخوة وحسن الجوار والتعاون" المبرمة بين البلدين بتاريخ 15 يناير 1969، والمعاهدة المتعلقة برسم الحدود الموقعة بالرباط يوم 15 يونيو 1972. وقد تبادل الطرفان وثائق التصديق عليها بالجزائر يوم 15 يونيو 1989 لتدخل بذلك في حيز التنفيذ واضعة بذلك تسوية لمشكل الحدود. والمصادقة المغربية تأتي - كما قال جلالة الملك في خطاب العرش يوم 3 مارس 1989 - بعد أن زالت كل المعوقات التي كانت تحول دون مبادرة المغرب بالمصادقة على هذه المعاهدة التي سبق للجزائر أن صادقت عليها ونشرتها بالجريدة الرسمية. أما اتفاقية استغلال منجم حديد

كاره جيالات التي تم التوقيع عليها في عام 1972 فإنها لم يتم تبادل وثائق التصديق عليها كما كان مقرراً.

ثالثاً : من حيث الهدف الحقيقي من هذه النصوص :

إن الغرض من وضع إطار قانوني لهذه العلاقات الثنائية جاء ليؤكد الرغبة في إظهار حسن النوايا من الطرفين المتعاقدين، غير أن الواقع يكشف أن إبرام هذه المعاهدات - إذا استثنينا المرحلة الأولى - جاءت لتجاوز أزمة حادة في العلاقات الثنائية. كما أن المصادقة على العديد منها يأتي متأخراً.

ويرى بعض المحللين أن كم هذه الاتفاقيات لا يمثل قوة بل بالعكس يشكل ضعفاً إلى جانب كونها ذات مضمون عام وغير محدد، الشيء الذي لم تسفر عنه نتائج ملموسة، وسيدفع بالجانبين إلى الاهتداء بأسس تفاهم ذات طبيعة اقتصادية في إطار مغاري.

إن الدبلوماسية المتعددة الأطراف Diplomatie multilatérale المنبثقة على أساس إحياء مشروع المغرب العربي تستخدم في فترة الأزمة التي تمر بها العلاقات المغربية الجزائرية كأسلوب بديل للدبلوماسية الثنائية Diplomatie bilatérale. غير أن هذه الصيغة تظل مع ذلك استثنائية أو بعبارة أدق "احتياطية". إذا علمنا أن حصيللة الاتفاقيات المبرمة داخل هذا الإطار المؤسسي النافذة لا تزيد على خمس من ضمن خمس وثلاثين اتفاقية تختلف موضوعاتها وتتباين إجراءاتها، مما يشكك في قدرة أداء هذه المجموعة الإقليمية لوظيفتها. ومن الجلي أنها تتأثر سلباً أو إيجاباً بالعلاقات القائمة بين أطرافها وخاصة منها العلاقات المغربية الجزائرية التي تمثل قطب الرحي في هذا التجمع.

نصوص المعاهدات والاتفاقيات المشار إليها داخل النص.

عبد القادر القادري

الجزائري، أبو بكر بن عبد الوهاب العلوي الطنجي،

ترجمان مقتدر وصحافي شهير. ولد بقرنسطنة بالجزائر حوالي عام 1287 / 1870، وتلقى تعليمه العربي والفرنسي بعاصمة الجزائر، وعين هناك "باش عدل". ثم انتقل إلى مدينة طنجة هو وأسرته فاستقر بها ثلاثة أعوام قبل أن يتوجه إلى برلين ليشغل منصب أستاذ اللغة العربية بإحدى كلياتها، واستمر في عمله هذا نحو عشرة أعوام. وحضر سنة 1906 مؤتمر الجزيرة الخضراء بصفتها ترجمان الوفد المغربي. وعرضت عليه الحكومة المغربية منصباً فقبله ورجع إلى طنجة حيث عين نائب مندوب الجلالة الشريفة في شركة التبغ بطنجة.

وأثناء الحرب العظمى الأولى (1914-1918) أُلقي عليه القبض هو وزوجته الألمانية وأولاده منها وسيقوا إلى السجن لأفكاره السياسية الوطنية التي اشتهر بها، ثم

السلبية نصائح قيمة للإقبال على التعليم واتخاذ السلف الصالح قدوة وعدم الاغترار بمظاهر الحضارة الغربية وتقليدها تقليداً أعمى.

وقد حققت الأستاذة نجاة المريني بيوتات مدينة سلا ووضعت له تعليقات وملاحظات ونشرته الخزانة العلمية الصبيحية سنة 1989.

توفي بلقاسم عشاش خلال الأربعينات في حدود عام 1360 / 1941.

ب. عشاش نفسه، بيوتات مدينة سلا (الاهداء والخاتمة) : ع. ابن سودة، دليل، 1 : 36 : م. حجي، فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية، ص. 425 : ن. المريني، بيوتات مدينة سلا، التقديم، ص. 3. 17.

محمد حجي

الجزائري، عبد القادر (الأمير -) بن محيي

الدين. مقاوم شهير للاستعمار الفرنسي.

1. تمثل مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري (1248 - 1263 / 1832 - 1847) لحظة تاريخية هامة في التاريخ المغاربي المعاصر، وذلك من أوجه ثلاثة : فإلى جانب نوعية التحدي الاستعماري الذي فجر المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير، هناك الرهان المغاربي الذي انطوت عليه، وحيوية الطاقات الجهادية التي استندت إليها.



أما نوعية التحدي الاستعماري، فتستمد مقوماتها من طبيعة واتجاه الحملة العسكرية الفرنسية التي بدأت باحتلال الجزائر العاصمة (13 محرم عام 1246 / 4 يوليوز 1830) وتواصلت بغزو متذبذب للبلاد الجزائرية عامة (1246 - 1253 / 1830 - 1837)، وانتهت بمشروع الاحتلال العسكري الشامل والدائم للجزائر (1254 - 1263 / 1838 - 1847).

وأمام بسالة الجزائريين في المقاومة وعبقرية الأمير في تدبير القيادة السياسية والعسكرية لها، وظفت الدولة الغازية كل أسباب القوة العسكرية، رجالاً وعتاداً، مما

أفرج عنهم بعد انتهاء الحرب وألزم بالإقامة الجبرية بمدينة سلا، فاستقر بها أعواماً يعيش مع معارفه السلاويين في جو من المحبة والتقدير، وتعرّفت إليه في تلك الحقبة من الزمن، إذ كان يزور منزلنا بسلا لصداقته لشقيقني عبد اللطيف الصبيحي - رحمهما الله -.

وعرفت فيه الرجل المهيب العالم الأديب الغيور على بلاده وعروبته، فكانت الشخصيات المرموقة بسلا تتشوف إلى الاجتماع معه والتمتع بحديثه الشيق المفيد، وهو لا يلبى إلا استدعاء من يوافقه في طبعه وميوله ومبادئه.

وعلاوة على ثقافته العربية والألمانية الواسعة وحفظه لغر الأديب والشعر النفيس فإنه كان يحسن الضرب على العود ويهوى الموسيقى العربية - ذا شمم وعلو همة تكاد تحسبه أميراً إذا أقبل في زيّ العربي وهندامه الأنيق، لا يضيره شيء إلا ما كان عليه من قلة ذات اليد مع كثرة الأولاد.

ثم انتهت مدة إقامته بسلا فأذن له بالرجوع لطنجة وردت إليه داره بعد رفع الشقاق عن الأملاك الألمانية أو التي هي على ملك من كان يتمتع بحماية الألمان أو داخلا في معناها، فجاء يودع أخي، وأذكر أنه كتب على ورقة مستطيلة بالرصاص : لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقسم الورقة شطرين، أمسك الشطر الأول وأعطانا الشطر الثاني، ثم انصرف. وبلغني عن طريق صهره بطنجة أخيراً وهو الفاضل صاحب الطابع التونسي، أنه بعد رجوعه لطنجة فتح مكتب مدافع، ثم أسس صحيفة عربية أسبوعية سماها : إظهار الحق، وكان هو محررها.

وتوفي رحمه الله بطنجة يوم الاثنين 22 ذي القعدة عام 1348 / 21 أبريل 1930.

أبو بكر الصبيحي، مختصر تاريخ سلا، مخطوط المؤلف في خ. ص.

أبو بكر الصبيحي

الجزائري، بلقاسم بن العربي عشاش، أحد التراجمة

الجزائريين الذين دخلوا المغرب بعد توقيع معاهدة الحماية وكان في العشرينات ترجماناً في بلدية سلا إلى جانب المراقب المدني جان كوستي مؤلف كتاب *Les grandes familles indigènes de Salé*.

وقد نقل بلقاسم عشاش هذا الكتاب إلى اللغة العربية بدون عنوان، وأهداه باسمه إلى باشا سلا الحاج محمد الصبيحي (الصفحة الأولى من النص المترجم بخط عشاش نفسه) وقد تمت الترجمة بعد نحو سنة من انتهاء مؤلفه الفرنسي من تحريره في 3 يناير 1925. (انتهاء الترجمة في فاتح شعبان عام 1344 / 14 فبراير 1926). وأضاف المترجم باباً رابعاً سماه الخاتمة بعد الأبواب الثلاثة التي بنى عليها المؤلف كوستي كتابه، وفيه يظهر نبيل عشاش وغيرته واعتزازه بالحضارة العربية الإسلامية حيث قدم إلى الشبيبة

المقاومة من أبيه محيي الدين، في ظل ظروف عصبية،
اتسمت بثلاث سمات رئيسية :

أولاً : فشل محاولات السلطان مولاي عبد الرحمان
من أجل تأطير وقنونة المقاومة الجزائرية في الإقليم
الوهراني بالرغم من المجهودات التي بذلها منذ أن قرر
الاستجابة لطلب النجدة الجزائرية والقبول ببيعة أهل
تلمسان. ولقد كان لتصرف جيش الأودايا، أثناء حملة
تلمسان الأولى، بقيادة الأمير مولاي علي، وفشل الحملة
الثانية بقيادة ابن العمري في تقويم الوضع وهيكلة حركة
المقاومة - أبلغ الأثر في نفوس الجزائريين وفي نفس السلطان
على السواء. ولقد اقتنع مولاي عبد الرحمان، على ضوء
نتائج هاتين الحملتين، بأن تدخلاً مغربياً مباشراً لمقاومة
الغزو الفرنسي للجزائر لم يكن متاحاً بسبب فشل
المحاولتين، ولا مناسباً بسبب الضغط الفرنسي على
المغرب.

ثانياً : تصاعد القمع والاضطهاد اللذين مارسهما
الجنرال بوايبي في الإقليم الوهراني عقب جلاء القوات
المغربية عن المنطقة، إذ ما انفك يردد هذا الجنرال : "إن
أفضل لغة مع هؤلاء القوم هي إنزال الضربات القاضية التي
تفزح وترهب". ويفضل سياسة ومنهجية القتل، بدون
محاكمة، التي اتبعها مع المشبه فيهم من الجزائريين، فقد
ساد جو مثقل من الرعب والفرع في وسط الجزائريين.

ثالثاً : انعدام عنصر الوحدة والاتساق في مقاومة
الجزائريين للغزو والاحتلال، وذلك في غياب قطب سياسي
كفيل باستقطاب المقاومات المتفرقة وتعبئة القوات الحية،
من جهة، وفي عدم توفر مركز موحد للقرار يتولى إصدار
التوجيهات المشتركة، واتخاذ القرارات الموحدة، من جهة
أخرى. وفي ظل هذه الشروط المحبطة، حاول محيي الدين،
الذي كان يحظى باحترام وتقدير عدد من القبائل الوهرانية
وخاصة قبائل جشم ويني عامر، باعتباره مقدما للزاوية
القادرية ذات النفوذ الواسع بالجزائر - حاول قيادة حركة
المقاومة.

بيد أن سن الرجل، من جانب، ومحدودية قدراته
العسكرية، من جانب آخر، حالا دون تمكنه من قيادة حركة
المقاومة بما يتطلبه الموقف من حركية وحيوية وفعالية.

ويبدو أن فشل محاولاته لاقتحام مدينة وهران، بالرغم
من انخراط اثنتين وثلاثين قبيلة جزائرية في حركية
جهادية، بلغ تعداد المجندين من صفوفها نحو 12.000
رجلاً، أقنعت بضرورة تسليم مشعل القيادة وترشيح أصغر
أبنائه، عبد القادر، لرئاسة حركة المقاومة.

ويبدو أن القبائل الجزائرية الملتفة حول زعامة الشيخ
محيي الدين، قد صادقت بكيفية جماعية وحماسية، خلال
الاجتماع الذي عقده في سهل اغريس، يوم 28 جمادى
الثانية عام 1248 / 22 نونبر 1832، على تعيين عبد القادر
أميراً للجهاد، خلفاً لأبيه. وما لاشك فيه، أن الخصال

تتوفر عليه لتدمير الدولة الجزائرية الفتية، في مرحلة أولى
(1255 . 1257 / 1839 . 1841) وتدمير مقومات الصمود بل
الوجود للشعب الجزائري، في مرحلة ثانية : سياسة الأرض
المحرقة التي انتهجها بيجو Bugeaud سنوات (1255 .
1257 / 1841 . 1846). كتب أحد ضباط الجنرال بيجو لتبرير
أعمال التدمير : "يجب أن نهاجمهم (أي الجزائريين) في
صميم المستلكات المنقولة وفي حصاد زروع القبائل
لإرغامهم على الخضوع. إن حضارة أفضل تمنح لهذه البلاد
يجب أن تكون تبريراً (لهذه الأفعال) في نظر الإنسانية،
كما تكون تبريراً، أمل ذلك، عند الله".

وإزاء هذا التحدي الاستعماري، في بعده الجزائري
خصوصاً وفي أبعاده الإقليمية عموماً، وفي مستهدفاته
السياسية والدينية والحضارية للأقطار المغاربية بصفة أعم،
فقد أمسى التضامن المغاربي لمواجهة الأخطار المحدقة،
رهاناً دقيقاً لاستمرار المقاومة الجزائرية، بقيادة الأمير عبد
القادر، وشرطاً حيوياً لدعم صمودها.

وتشكل معطيات التضامن المغربي، دولة وشعباً، مع
المقاومة الجزائرية على مدى فترة المواجهة العسكرية
للاحتلال (1246 . 1263 / 1830 . 1847)، فصلاً تاريخياً
حافلاً، ما يزال مجهولاً في تفاصيله، وفي تقدير مستوياته
الكمية (إمدادات السلاح / المونة / الرجال) وفي تقييم
عناصره المعنوية (الدعم السياسي / الإسناد المعنوي /
التعبئة الشعبية إلخ..)

وتجمع المصادر الفرنسية التي رصدت بشكل دقيق
مسار الدعم المغربي لحركة المقاومة الجزائرية، كما وكيفا،
على أن نهوض واستمرار هذه المقاومة ظل متناسباً طردياً
مع حركة الدعم المغربي هذه. فقد واصل السلطان عبد
الرحمان دعمه للأمير عبد القادر بكيفية مستمرة وكثيفة
إلى حدود عام 1259 / 1843، معبئاً في ذلك مجهوداً مالياً
وعينياً، كانت له انعكاسات عميقة على خزينة الدولة.

ويعد فترة نكوص قصيرة، صادفت لجوء الأمير إلى
منطقة الحدود الشرقية للمغرب، على إثر الحملات الهجومية
التي قادها بيجو، منذ سنة 1257 / 1841، استؤنفت حركة
الدعم، بأشكال مختلفة، طغى عليها الجانب الشعبي، إلى
حدود عام 1263 / 1847.

وفي غمرة هذا التضامن المغربي - الجزائري في مواجهة
الاحتلال الفرنسي، تفجرت مكامن القوة الذاتية وانكشفت
حيوية الطاقات الكفاحية التي تزخر بها الشعوب المغاربية،
وتجد طريقها إلى الفعل والإنجاز عندما يتعلق الأمر بالدفاع
عن العقيدة وحمية الكيان ومواجهة العدوان.

2 - وتشكل تجربة الأمير عبد القادر الجزائري (1223 .
1300 / 1808 . 1883) نموذجاً حياً يمكن أن تتماخض عنه
لحظة تاريخية حاسمة مثل تلك التي تفاعلت فيها إرادة
المقاومة لدى الشعب مع عبقرية رجال أفذاذ في صورة
الأمير عبد القادر. فقد استلم الأمير عبد القادر مشعل

النادرة التي جمعها شخص الأمير الشاب (24 سنة) قد استقطبت إجماع القبائل المجاهدة. فقد كان عبد القادر معروفاً بحزمه في العمل بروح ونص القرآن والحديث، صارما في تطبيق تعاليم الدين. "وكان الأمير يصرح بدون تردد : سوف أحكم والكتاب في يدي، وإذا اقتضى الكتاب بأن أجهز على عنق أخي بذبحة فلسوف أقدم على ذلك بنفسى".

وعلى امتداد حياته الجهادية لم يحد الأمير قيد أنملة على هذا النهج الصارم في الحكم بين الناس وتدبير قضاياهم. وإلى جانب كونه رجل عقيدة ومبدأ، فقد كان الأمير صاحب جرأة في المواجهة وشجاعة في النضال، كان يتصدر المجاهدين في الإجهاد على العدو ويتقدم الصفوف في الاشتباك، غير مبال بمصيره الشخصي ولا مكترث بمخاطر الاقتحام. وقد حدث أكثر من مرة أن سقط جواده من تحتته، صريعاً تحت وابل الرصاص، فكان الأمير يمتطي، بخفة وجرأة، حصانا آخر ويواصل القتال.

وإلى جانب هذه الشجاعة النادرة في الجهاد التي أكسبته حنكة لا تعادلها حنكة في فن القتال والاقتحام، فقد كانت مواهب الأمير في تخطيط وتدبير المعارك وفي ابتكار أساليب الهجوم والتفتن في أصناف الكر والفر، وإرهاق الخصم وإرباك صفوفه، على كثرة عددها ووفرة عتادها، ما جعله يؤسس لنمط جديد في علوم الحرب، وهو نمط حرب العصابات الذي ستأخذه عنه كافة الحركات التحريرية، ابتداء من محمد بن عبد الكريم إلى حركة التحرير الجزائرية.

ولكن عبقرية الأمير عبد القادر تأخذ أبعاداً أخرى، عندما نتأمل حركته الجهادية في ظل المشروع المجتمعي الذي أطر هذه الحركة وأمدّها بأبعادها الحقيقية، فقد أتجه الأمير، منذ تقلده إمارة الجهاد، إلى جعل حركة المقاومة ضد الغزو والاحتلال أداة لبناء كيان جزائري متماسك، كما دأب على توظيف مقومات هذا الكيان الناشئ في دعم وتوسيع حركة المقاومة الوطنية. وفي ظل هذه الجدلية الحية بين المقاومة والإنشاء، بين الجهاد وتحديث الدولة، تكمن عبقرية الرجل، ويمتد بعد نظره.

وهكذا، فقد واکب المرحلة الأولى في مسار المقاومة الجزائرية، وهي مرحلة صعود (1247-1253 / 1832-1837)، جهد إنشائي في مجال بناء كيان وطني جزائري، علي أنقاض الكيان التركي المنهار، فقد وظف الأمير الانتصارات التي حققها ضد الجيش الفرنسي، خلال هذه المرحلة، في توحيد القبائل وقطع دابر الزعامات التقليدية وقمع المتنطعين وصهر فعاليات المجتمع الجزائري، السياسية منها والدينية في إطار وحدة وطنية متماسكة، من بجاية إلى تلمسان، ومن عين مهدي إلى تنس.

كما شهدت المرحلة الثانية في مسار مقاومته (1254-1256 / 1838-1840)، وهي مرحلة توطيد للمجال الترابي

المحرر، إقبال الأمير علي إقامة وتدعيم أسس دولة حديثة. فقد استثمر اتفاقية تافنا (26 صفر عام 1253 / 30 مايه 1837) التي اعترفت بسيادته على نحو ثلثي التراب الجزائري، من أجل تنظيم الإدارة والجيش والجبابة والعدل وسك عملة وطنية، وإحكام تقسيم وتنظيم المجال الترابي وإحداث بعض الصناعات الحربية وتنظيم اقتصاد حرب، وهي كلها أسس ومقومات استهدفت بناء دولة جزائرية حديثة، تستلهم روح العصر وتتجه إلى تأصيل مقوماته واستيعاب مستجداته.

ولئن كانت الصعوبات التي عرفتها حركة المقاومة الجزائرية، خلال المرحلة الثالثة من مسارها (1257-1260 / 1841-1844) قد قلصت، إلى حد ما، الهامش المتاح في مجال الإنشاء والتنظيم، فإن حيوية البنيات الدوتلية المنشأة وقدرتها على التكيف مع شروط الجهاد والمقاومة، قد مكنتها من الثبات والصمود، لم تتمكن استراتيجية الجنرال بيجو لتدمير الدولة والمجتمع الجزائريين، معا، من اجتثاث جذورها الممتدة في أعماق البلاد.

بل سرعان ما تستعيد حركيتها وتجدد وظيفيتها بمجرد ما يستعيد الأمير روح المبادرة في القتال. وهذا ما حدث فعلاً، خلال المرحلة الرابعة والأخيرة، في مسار حركة المقاومة (1261-1262 / 1845-1846) وهي مرحلة تصعيد ومحاولة استعادة الأخذ بزمام المبادرة.

3- بيد أن إصرار الدولة الغازية على إنهاء وتوطيد احتلال الجزائر وتعبئتها لقوات عسكرية وآليات حربية ضخمة (بلغت علاقة القوى العسكرية بين الطرفين 1 إلى 15) بقيادة بيجو، للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر - قد أفضى بالأخير إلى الالتجاء بدائرتة، مرة أخرى، إلى شرق المغرب (1263-1264 نهاية 1846 - نهاية 1847)، كما فعل، سابقاً، في منعطف عام 1259-1260 / 1843-1844.

ولكن وضع المغرب، خلال هذا الظرف العصيب (1263-1264 / 1844-1847)، لم يكن يسمح للسلطان مولاي عبد الرحمان، باحتضان الأمير، في المنطقة الشمالية - الشرقية (الريف / المغرب الشرقي) للبلاد، والتغاضي عن مبادراته السياسية والعسكرية بها. فالبلاد كانت مازال تحت صدمة هزيمة معركة إيسلي (29 رجب عام 1260 / 14 غشت 1844) التي خاضها المغرب ضد القوات الفرنسية، ثمنا لانخراطه التام في دعم المقاومة الجزائرية. وكانت الضغوط الدبلوماسية الفرنسية، المشفوعة بالتهديدات العسكرية، قد بلغت أوجها لإرغام السلطان على تنفيذ مقتضيات الفصل الرابع من معاهدة السلم (شعبان - رمضان عام 1260 / شتنبر 1844)، بصدده تجميد حركة الأمير أوطرده خارج المغرب.

كما أن نشاط الأمير في الريف والمغرب الشرقي، واتساع دائرة انخراط القبائل الريفية والشرقية (بني

إزناسن، أنجاد، الأحلاف، قلعية، بني توزين، المطالسة إلخ) في تأييد حركته قد أثار شكوك السلطان حول نواياه الحقيقية فضلاً عما يترتب عن ذلك النشاط من انعكاسات سلبية على سلطة الدولة المغربية وهبتها بالنسبة لجزء كبير من ترابها.

وقد تضافرت هذه العوامل مجتمعة لإحداث شرح عميق، سياسي ونفسي، في علاقة السلطان بالأمير، أدت في نهاية المطاف إلى سعى مولاي عبد الرحمان إلى إخراج عبد القادر من التراب المغربي ثم اضطراه إلى محاربهته وطرده، الأمر الذي أفضى إلى استسلامه للسلطات العسكرية الفرنسية على الحدود المغربية الوهرانية (محرم 1264 / ديسمبر 1847).

وفي ظل هذه المفارقة الدرامية التي طالت هذا الفصل المُشرق في حركة التضامن المغربي - الجزائري لمواجهة المد الاستعماري، في منتصف القرن الماضي، يبدو من العسير إصدار حكم تاريخي فاصل لصالح هذا الطرف أو ذاك، في شأن مواجهة متطلبات الطرف القائم آنذاك، والتعامل مع معطياته الموضوعية وحقائقه العنيدة.

فموقف الأمير عبد القادر، من موقعه الجهادي - النضالي، يظل موقفاً مشروعاً في إصراره على مواصلة الجهاد ومطالبته بتواصل التضامن الإسلامي، عموماً واستمرارية الانخراط المغربي في مجهود المقاومة والتحرير بصفة خاصة. ويستمد هذا الموقف المبدئي مبرراته من ازدواجية المشروعية التي أسست وأطرت مقاومته : المشروعية الجهادية التي أضحت شرعية بحكم الفتاوى الفقهية الصادرة في الموضوع، من المغرب (فتوى الفقيه التسولي عام 1253-1837) إلى المشرق (فتوى الشيخ عليش مصر) من جهة، والمشروعية السياسية التي استمدها الأمير من سلطان المغرب، الذي عضد مشروعه الجهادي، وزكى حركته النضالية من جهة أخرى حيث خاطبه : "مَجِدُ الله الذي جعل منك درعا للإسلام والمسلمين، وقيضك للجهاد في هذا العصر وأسدل عليك رداء عنایتته. كن موقفاً بنصر الله وثق بتحقيق وعده ولا تنزعج بالأقاويل الفارغة التي يرددها عدو الله عن طريق شياطينه عن كثرة عدده وعدته (... فلا تهن ولا تستكن فإنك منتصر ولا محالة ...)" (ترجمة النص الفرنسي، لرسالة بعث بها السلطان مولاي عبد الرحمان إلى الأمير بتاريخ 17 محرم عام 1256 / 21 مارس 1840 (وثائق الخارجية الفرنسية). هكذا ظل السلطان يدعم الأمير ويشد في عضده. لكن موقف السلطان، اعتباراً لموقعه السياسي، يظل موقفاً مفهوماً ومسؤولاً على ضوء موازين القوى ما بين حركة المقاومة، من جانب، وحركة المد الاستعماري، في اندفاعه وعنفوانه، من جهة أخرى. ذلك أن انحسار حركة المقاومة الجزائرية أمام ضخامة وقوة الحشد العسكري الفرنسي، منذ سنة 1257 / 1841، من جهة، وانهيار قوة الردع المغربي،

عقب هزيمة إسلي (رجب - شعبان 1260 / غشت 1844) من جهة أخرى، قد أقتنع السلطان بضرورة التزام موقف واقعي يروم معالجة شروط الخاص (الموضع الجزائري) من منظور توفير شروط الحفاظ على مصلحة العام. وهذا هو معنى قول صاحب الاستقصا في تبرير تغير موقف السلطان من الأمير : "إلا أن ضرر الحاج عبد القادر للفرنسيين كان مقصوداً على قتل النفوس واستلاب الأموال، وأما الفرنسيين فكان ضرره بالمسلمين عائداً على تملك بلادهم وتنقصها من أطرافها، ودام ذلك مدة من ست عشرة سنة" (ص. 44). وفي منشأ هذه المفارقة الدرامية ما بين الموقف المبدئي المشروع للأمير عبد القادر والموقف السياسي الواقعي للسلطان عبد الرحمان، يكمن التدخل الأجنبي - الفرنسي الذي حاول فصم عرى كل الروابط المغربية، وفي مقدمتها الروابط السياسية والأواصر التضامنية.

ومهما يكن، فإن شخصية الأمير، المتعددة الأبعاد، ودوره الحاسم في تنظيم وتأطير حركة المقاومة الجزائرية ضد الغزو والاحتلال وإشعاعه المغربي، السياسي والإنشائي، مما يجعل منه رمزاً مغارياً - بل إنسانياً - نادر التكرار، في مشاريع التحرير والإنهاض. ولعل أحسن شهادة تبرز رمزية الرجل وتجسد الأبعاد الجزائرية والمغربية والإسلامية لشخصه ودوره، ما صرح به، في حقه، ألد أعدائه، وهو المارشال بيجو - عندما كتب يقول : إننا نرتكب خطأ فادحاً عندما نعتقد أننا نحارب مجرد رئيس أنصار متحمسين (Chef de partisans) يقود سبعة أو ثمانية آلاف فارس. إننا ننسى أننا نواجه الأمة العربية برمتها ... إننا نعرف التأثير الكبير الذي يمارسه على العرب، بفعل عبقرته وتدينه الكبير، وبفعل النفوذ الذي اكتسبه خلال عشر سنوات من الحكم. إن نفوذه على الناس لقوي جداً، فليست هناك قبيلة واحدة تستطيع مقاومته. بل إن حضوره نفسه ليس ضرورياً. إن عبد القادر ليس مجرد نصير متحمس (Partisan) بل هو مدعي مشروع للسيادة، نظراً للخدمات التي قدمها للأمة العربية وللدين، وهو بسبب ذلك يستقطب الحب الجامع لكل الرعايا التي حكم".

ولامراء، فإن قوة واستمرارية ذلك "الحب الجامع" الذي ظل يحظى به الأمير عبد القادر هو الذي جعل الحكومة الفرنسية تنقض وعدها بالسماح له بالاستقرار بمكة المكرمة، بمجرد استسلامه. فقد ظلت تتوجس خيفة من نفوذه القوي ومن قدرته الفائقة على تجاوز أحلك الظروف واختراق أفسى الأوضاع.

وهكذا، فقد اقتيد عبد القادر بعد استسلامه (16 محرم عام 1264 / ديسمبر 1847) إلى حصن لامالاك قريبا من مدينة تولون، حيث بقي أسيراً نحو ستة عشر شهراً يعاني مرارة الخيانة وآلام الاغتراب. ولئن كان البعد القتالي، في شخصه، قد اختفى في ظل قبضة الأسر، فإن بعده الورعي - التصوفي - الروحي، قد تكشف وتدفق بكل

الحيادية إزاء الشؤون العمومية مكانة اجتماعية ومعنوية كبيرة، مكنته، أحياناً، من أن يلعب دوراً حاسماً في تطبيق الصراعات الإثنية والدينية والسياسية المتفجرة ما بين المسلمين والمسيحيين، بالشام، كما حدث في حجة 1276 / يوليو 1860.

ولكن يبدو أن وفاءه الثابت للعهد الذي قطعه على نفسه بعدم العودة إلى مناهضة فرنسا بالجزائر (رسالة خطية إلى نابليون الثالث)، وتشبعه العميق بروح التسامح الديني والإثني الذي كيف سلوكه منذ تحريره، لم يكونا دائماً موضع تفهم من قبل فرقائه المسلمين، خاصة في ذلك الظرف الدقيق الذي كان يتسم بحدة الصراعات السياسية والمشاحنات الدينية التي يوظفها ويشترط تفاعلاتها المد الاستعماري خلال القرن الماضي. ومهما يكن، فإن الرجل الذي رفع راية الجهاد والمقاومة وتحدى بقوة الإيمان والسلاح والتنظيم أعتى وأضخم حملة غزو استعمارية - قد أدرك منذ اضطراره إلى الاستسلام، أن دوره السياسي - الجهادي، قد انتهى وأنه لم يبق له إلا أن يسعى، بوسائل التوجيه والموعظة الحسنة، إلى تحصين دينه من وطأة الغازين ودعم معنوية مواطنيه في وجه المحتلين، وذلك في انتظار تبدل الأحوال وتطور موازين القوى. وذلك ما يستفاد من قوله، "عندما أمرني الله بالنهوض فقد نهضت، وأطلقت البارود ما استطعت، وحينما أمرني الله بوقف القتال فقد أظمت أوامر العلي سبحانه. فعندئذ تخليت عن الحكم وجئت إليكم..."، مخاطباً لوى نابليون.

وطيلة منفاه الشامي (1269 - 1300 / 1852 - 1883) انخرطت أقواله وأفعاله في هذا المسعى الجهادي - المعنوي الذي لم يحد عنه قيد أنملة، إلى أن انطفأت شعلته في فجر يوم 19 رجب عام 1300 / 26 مايو 1883، محاطاً بولده ورفاقه. وبوفاته يختم فصل حافل في تاريخ المقاومة الجزائرية والمغاربية، كان له أعمق الأثر في تعميق وتكريس البعد المغربي لحركة المقاومة الوطنية على الصعيد المغربي خلال النصف الأول من القرن العشرين.

محمد عبد القادر، *تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر*. جزآن، الأسكندرية 1930؛ أ. الناصري، *الاستقواء*. البيضاء 1959 الجزء التاسع؛ الوثائق، مجموعات دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية. المطبعة الملكية، المجموعة الأولى 1396 / 1976.

F. Guizot, *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, T. VII, 1865, Paris, 1858 - 1867, 8 vol. : C.-H. Churchill (colonel), *Vie d'Abd el-Kader*, Alger, 1974, trad. de l'Anglais : *Life of Abdokader*, London, 1867 ; Paul Azan, *L'Emir Abd el Kader, 1808 - 1883 du jamaïsme musulman au patriotisme français*, Paris, 1925; *Par l'épée et la charrue. Ecrits et discours de Bugeaud*, Paris - Archives du Ministère des Affaires Etrangères, Correspondance politique, Maroc, Vol. 3-19 : G. Yver, *Correspondance du Capitaine Daumas, consul à Mascara*, Alger, 1912.

محمد الاخضاعي

قوة : فقد انقطع الأمير إلى العبادة والدراسة والتأمل ورعاية الأهل والأصحاب الذين ظلوا في رفقته (نحو مائة شخص) في الأسر. ومع ذلك، فإن مقامه بفرنسا أمسى جحيماً يزداد لهيبه يوماً بعد يوم. كان الأمير يصرخ في وجه مرافقه الفرنسي دوماً : "تبقى في فرنسا ! إننا لا نتكلم لغتكم وليست لنا عاداتكم ولا قوانينكم ولا دينكم وكل شيء فينا، حتى لباس نساتنا، يثير سخريتكم. ألا تفهمون، إذن، إنه الموت".

ومن أجل التخلص من سجنه المزدوج، سجن المنفى، وسجن المقام الفرنسي، باشر الأمير كفاحاً مريراً، قوامه الاحتجاج والكتابة والتضرع والإقناع والتهديد، أملاً في وفاء فرنسا بوعدها بالسماح له بالاستقرار في ديار الإسلام : "فلو كانت كل خزائن الدنيا قد اجتمعت في تلابيب سلهامي، وطلب مني موازنتها مع حريتي، فإنني سأختار حريتي"، هكذا يرد الأمير على بيجو الذي نصحه بالعدول عن فكرة الاستقرار بالمشرق وقبول مسكن فاخر بفرنسا : "إنني لا أطلب سماحاً ولا حظوة ! إنني أطلب تنفيذ الالتزامات التي اتخدت نحوى ..".

وهكذا، فبعد معاناة حصن لامالك (ربيع الثاني 1263 - محرم 1264 / أبريل 1847 - دجنبر 1847) وآلام قصر بو جمادى الأولى - حجة عام 1264 / نهاية أبريل - بداية نونبر 1848) ومعاناة قصر أمبواز (حجة 1264 - حجة 1268 / نونبر 1848 - أكتوبر 1852). يتلقى الأمير، في غمرة من التأثر العميق قرار إطلاق سراحه، مباشرة من الأمير لوى بونابارت الذي قدم بنفسه إلى مقر أسره قصر أمبواز، لتبليغه إياه (2 محرم عام 1269 / 16 أكتوبر 1852). وفي تحديد مغزى هذا الموقف المؤثر، يقول الأمير عبد القادر : "إن بعضهم (أي الفرنسيين) تمكن من سحقي، وبعضهم الآخر تمكن من تكبيلي، ولكن لوى نابليون هو الوحيد الذي هزمني". يغادر الأمير، في ربيع الأول عام 1269 / دجنبر 1852، قصر أمبواز في اتجاه بروس التركية، على متن سفينة فرنسية. وفي هذه المدينة الساحلية الهادئة، ينقطع الأمير إلى العبادة والدراسة وتربية أطفاله. ولكن مقامه الجديد، بهذه المدينة، لم يستحث حماسه، فقد وجد نفسه في عزلة شديدة، بسبب ازدياد الموظفين الأتراك لحيثياته السياسية وتبرم الفقهاء بمكانته العلمية وانشغال السكان الإغريق والأتراك عنه وعدم اهتمامهم به، مما اضطر الأمير إلى طلب تغيير مقر إقامته، والرحيل إلى مدينة دمشق. وفي هذه المدينة السورية الحاشدة، يستقر الأمير (سنة 1271 - 1855) يلفه جو مفعم بالحفاوة وحسن الاستقبال. وفيها يقضي عبد القادر ما تبقى من حياته مدبراً عن السياسة، مبتعداً عن الشؤون العمومية، منقطعاً للعبادة والدراسة وتربية الأطفال والاهتمام بشؤون المغاربة المقيمين بدمشق.

ولقد أكسبته حيثياته الجهادية والسياسية، ومرافقه

الجزائري، عبد المالك بن محيي الدين بن الأمير
عبد القادر الجزائري، شخصية ما يزال الغموض يكتنف الكثير من تفاصيل حياتها، رغم أن صاحبها لعب أدواراً ذات أهمية خاصة في فترتين متميزتين من تاريخ الاستعمار في المغرب؛ الأولى خلال الحرب العالمية الأولى من جمادى الأولى عام 1333 / مارس 1915 إلى صفر عام 1337 / نوفمبر 1918، والثانية من بداية سنة 1339 / 1921 إلى مقتله في بداية حجة عام 1342 / غشت 1924.

وُلد عبد المالك الجزائري في سوريا وعمل ضابطاً في الجيش التركي (Laroui, 356) قبل أن يأتي للجزائر في نهاية القرن الماضي. وأثناء وجوده في سوريا، كان عبد المالك مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بعمه علي باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان من العناصر النشطة في الجمعية التركية "الاتحاد والترقي"، التي تعرّض أعضاؤها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لحملة اعتقال واسعة النطاق أدت إلى هروب كثير من عناصر الجمعية إلى فرنسا وشمال أفريقيا في نهاية القرن الماضي. وعليّ باشا هذا، كان يلعب دوراً أساسياً في تهيج وإثارة بلدان شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى، وقد كان يتردد كثيراً علي تونس والجزائر قبل اندلاع الحرب، وكانت السلطات الفرنسية في هذين البلدين تستقبله بحفاوة واهتمام كبيرين (Lyautey, III : 39).



لكن بعض المؤرخين المغاربة يثيرون كثيراً من الشكوك حول نوايا عبد المالك الجزائري، ويرون أن نشاطاته مثيرة للشبهات (Laroui, 356)، وأنه "مغامر خطير وجاسوس دولي شهير عمل مع المخابرات الأنجليزية قبل أن يلتحق بالجزائر وينخرط في جيشها الفرنسي" (ابن منصور، 1 : 320). دخل عبد المالك الجزائري إلى المغرب عن طريق فكيك في سنة 1320 / 1902 (البوعياشي، 1 : 86)، وانضم للجبال الزرهوني (بوحمارة) بواسطة الطيب ابن

أبي عمامة (ابن زيدان، 1 : 407)، ثم انحاز للسلطان المولى عبد العزيز وأصبح قائداً لإحدى الفرق المخزنية. وعندما تولى السلطان عبد الحفيظ، أسرت قواته عبد المالك الجزائري، ولكنه أطلق سراحه بطلب من فرنسا بدعوى أنه من رعاياها (ابن منصور، 1 : 320). ودخل عبد المالك في خدمة السلطان المولى عبد الحفيظ وأصبح في عهده مفتشاً لقوات البوليس بالموانئ المغربية، ثم أصبح مفتشاً لقوات البوليس بطنجة بعد معاهده الحماية، وظل في منصبه هذا حتى اختفى فجأة في 25 ربيع الثاني عام 1333 / 13 مارس عام 1915 (162 : B.C.A.F., juin / juillet 1915).

غادر عبد المالك مدينة طنجة بعد أن رهن بعض ممتلكاته وأرسل عائلته إلى إسبانيا. وفي شهر شوال 1333 / غشت 1915 وصل إلى منطقة تازا واستقر عند قبيلة غياثة (228 : B.C.A.F., septembre 1915) ومنذ هذا التاريخ، بدأ الوضع يتغير في هذه المنطقة، كما بدأ اسم عبد المالك الجزائري يتردد كثيراً في التقارير التي كان يرسلها المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي إلى الحكومة الفرنسية، وهو غالباً ما كان يرد ضمن المعلومات الخاصة بالنشاط الألماني العسكري والسياسي في المغرب، وبما تقوم به السلطات الإسبانية في منطقة نفوذها من دعم لهذا النشاط. وقد اعتبرته هذه التقارير من أخطر الزعماء الذين واجهوا فرنسا وهددوا عملها ومشاريعها في المغرب، وذلك بفضل انتماه لعائلة الأمير عبد القادر الجزائري واستغلاله الذكي لهذه القرابة في علاقاته واتصالاته بالقبائل، وكذلك بفضل ثقافته الواسعة ومعرفته بالمغرب والمغاربة ورجال الحماية الفرنسية والإسبانية، ثم بفضل تكوينه العسكري واعتماده على دعم ألماني قوي بالدعاية والمال والسلاح والرجال، وعلى ما كان يحصل عليه من تسهيلات في منطقة النفوذ الإسباني، ثم بفضل استقراره في منطقة فاس / تازا، وهي منطقة ذات موقع إستراتيجي في منتهى الأهمية، لأنها تربط بين شرق المغرب وغربه، أي بين الجزائر والمحيط الأطلسي، ولأن بها قبائل تركب الحدود بين منطقتي النفوذ الفرنسية والإسبانية، وهي قبائل لم تكن قد خضعت بعد لفرنسا ولا لإسبانيا، وتتميز بانتشارها الواسع في مناطق جغرافية منيعة وبعدها لكل تغلغل أجنبي (37-33 : Lyautey, III). وحسب تقارير ليوطي، فإنه بفضل مجهودات عبد المالك ونشاطاته، تعرّض المغرب في الفترة من منتصف سنة 1333 / 1915 إلى منتصف سنة 1334 / 1916 إلى هزات شديدة تعرّضت الوجود الفرنسي للخطر رغم واجهة النشاط الاقتصادي والمعارض والأشغال العمومية التي كانت فرنسا تريد بها إلهاء الرأي العام الوطني وخداعه وإقناعه برسوخ قواعد وجودها في المغرب. كما أنه تحج في هذه الفترة في استقطاب بعض الشخصيات المؤثرة من قبيلة بني ورياغل وهي أقوى قبائل الريف على الإطلاق. وقد زار عائلة

الخطابي في أجدير، وحصل على دعم ومساندة رب العائلة الفقيه عبد الكريم الخطابي (البوعياشي، 1 : 86-90)، كما زار قبيلة بني توزين في شوال - قعدة 1333 / سبتمبر 1915 (Ayache, 232)، وزار مناطق أخرى ليدعو الريفيين لمحاربة فرنسا. ويبدو أن علاقة عبد المالك بالفقيه عبد الكريم وبنائه القاضي بمليلية محمد بن عبد الكريم الخطابي كانت وثيقة جداً في هذه الفترة، فقد كان الفقيه عبد الكريم يقوم بنفسه بتزويد عبد المالك بما يحتاج إليه من مال (محمد عمر، 58)، بل إنه قام برفقة عدة مئات من الريفيين بزيارته في مقر إقامته في نهاية غشت 1916 (Ayache, 236). وفي نفس الوقت اتصل عبد المالك بأحمد الريسوني وارتبط معه بعلاقات وثيقة مما زاد من تأثيره في المنطقة (Lyautey, 3 : 224). ومن أجل وضع حد لكل هذا، نلاحظ أن المجهود العسكري الفرنسي بدأ يتركز في هذه الفترة في منطقة فاس / تازا، مما أرغم عبد المالك على الانسحاب من جنوب تازا والاستقرار على خط الحدود مع منطقة النفوذ الإسباني.

ورغم ذلك فإن منطقة فاس - تازا لم تبقى بعيدة عن تأثيرات عبد المالك، إذ أن سنة 1335 / 1917 تميزت بما يقوم به من مجهودات سياسية كبيرة لتعبئة قبائل هذه المنطقة ضد الفرنسيين مما أرغم المقيم العام ليوطي على زيارة مدينة تازا في بداية رمضان عام 1335 / يوليو 1917 لمراقبة الوضع عن قرب، ثم لدعم القوات الفرنسية في المنطقة بمزيد من الرجال والعتاد (Lyautey, III : 245, 246). وقد تحدث ليوطي في أحد تقاريره بتاريخ 28 جمادى الثانية عام 1336 / 10 أبريل 1918 عن وصول عبد المالك إلى قبيلة تسمان للتفاوض من أجل شراء شاطئ سيدي إدريس لتتم فيه عملية إنزال السلاح الألماني، كما أشار إلى ما قام به من اتصالات ببعض القبائل الريفية من أجل بناء مهابط طائرات على أراضيها. ويُعلق ليوطي على ذلك بأنه "إذا كان صحيحاً ما أشيع عن بناء مهابط طائرات في أراضي بعض القبائل الريفية، فإن الطائرات الألمانية تستطيع عندئذ أن تمر من أجواء الريف الأوسط وأن تهاجم التجمعات العسكرية الفرنسية بل وبعض المدن في منطقتنا ثم تعود من حيث أتت" (Lyautey, III : 298).

وضعت نهاية الحرب العالمية الأولى حداً لنشاطات عبد المالك الجزائري، ونظراً للظروف التي سادت المغرب والعالم بعد الحرب، فقد اضطر إلى الانسحاب خلال شهر صفر عام 1337 / نوفمبر 1918 إلى داخل منطقة النفوذ الإسباني (Lyautey, III : 321).

ومنذ هذا التاريخ اختفى عبد المالك الجزائري تماماً عن الأنظار، خاصة وأن فرنسا كانت تطالب إسبانيا بتسليمه إليها، ولم يظهر مرة أخرى إلا في بداية سنة 1339 / 1921 بالصفة اليمنى لنهر ورغة في مولاي عين جنان على بعد عشرة كلم من المركز الفرنسي بمديونة (Lyautey, IV : 144).

وسرعان ما استرجع عبد المالك كل ما كان لديه من نفوذ وتأثير في منطقة أعالي ورغة، ويذكر المارشال ليوطي في أحد تقاريره لوزير الحربية الفرنسية بتاريخ 18 قعدة عام 1339 / 25 يوليو 1921 "أن القبائل المجاورة لورغة والتي كان البعض منها يدور في الفلك الفرنسي انضمت كلها لعبد المالك... وهذا الأخير يحكم المنطقة التي يسيطر عليها بعدل وحكمة ورزانة مع محافظة على التقاليد والأعراف... وهو الآن لا يظهر أي عداً للفرنسيين، ولكنه لا يتحدث عن الاستسلام، وإنما عن هدنة، وهو يرغب في الاتفاق مع فرنسا على استقلال منطقة ورغة وإقامة دولة مستقلة عن المخزن استقلالاً كاملاً وبعيدة عن نفوذ كلتا الدولتين فرنسا وإسبانيا. وعدد قواته تبلغ الآن 6000 بندقية، وسلاحه حديث" (Lyautey, IV : 145). هذه الفترة النشيطة من حياة عبد المالك الجزائري استمرت إلى مقتله في بداية محرم عام 1343 / غشت 1924، وقد تميزت بحدوث تطورات جعلت اهتماماته تتجه نحو منطقة النفوذ الإسباني بعد أن كانت طيلة الفترة السابقة تتجه نحو منطقة النفوذ الفرنسي، وسبب ذلك هو حدوث معركة أنوال في 21 يوليو 1921، وانهزام القوات الإسبانية في منطقة مليلية وظهور محمد بن عبد الكريم الخطابي كزعيم على رأس المقاومة الريفية ضد الاحتلال الإسباني وشروعه في تنظيم قبائل الريف وتعبئتها في المناطق المستقلة ومحاولته ضم القبائل الأخرى بما في ذلك قبائل منطقة ورغة التي كان عبد المالك يسيطر على بعضها.

كان محمد بن عبد الكريم الخطابي ووالده وكثير من أفراد قبيلة بني رياغل وغيرهم من قبائل الريف الأوسط يعرفون عبد المالك، ويعرفون جيداً ما يفعله في المنطقة التي يسيطر عليها. ولذلك حاول محمد بن عبد الكريم التقوي به وإقناعه بالانضمام للثورة الريفية ضد الإسبان. ومن أجل ذلك زاره بمقر إقامته بقبيلة مرنيسة في نهاية عام 1921. لكنه فشل في محاولته، بل اضطر للانسحاب بسرعته من منطقة مرنيسة والعودة إلى أجدير بعد أن بدأ عبد المالك يثير القبائل ضده ويشيع أنه يعمل لمصلحة الفرنسيين. (مخطوطة سانيي، 23). وفي جمادى الأولى عام 1341 / نهاية عام 1922، كان عبد المالك ما يزال يسيطر على منطقة أعالي ورغة ويفرض سيطرته على قبائل غزناية ومرنيسة وبني عمرت المجاورة لقبيلة بني ورياغل من ناحية الجنوب، بل إنه كان قد نجح في إقامة جبهة ضد الثورة الريفية ضمت عبد الرحمان الدرقاوي صاحب النفوذ القوي في قبيلة بني زروال، وعمر بن حميدو المرنيسي زعيم قبيلة مرنيسة، واستطاع بذلك أن يقطع الطريق لمنطقة النفوذ الفرنسية على القبائل الريفية التي كانت تضطر للذهاب إلى هناك للبيع والشراء عندما تتوقف العلاقات التجارية مع إسبانيا. ولكن الأحوال بدأت تتغير عندما أعلن محمد ابن عبد الكريم استقلال الريف

مخطوط : ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس : م. عمر، أسد
الريف محمد عبد الكريم الخطابي.

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif* ;
B.C.A.F., juin - juillet 1915, septembre 1915 ; A. Laroui,
*Les origines sociales et culturelles du nationalisme
marocain* : Lyautey l'Africain, *Textes et lettres du
Maréchal Lyautey*, III - IV ; Vincennes, S.H.A.T.,
Cartons 3H - 102 / 3H - 133 Maroc.

عثمان بناني

الجزائري، علي (الحاج -) بوطالب الحشمي، من
قرابة المجاهد عبد القادر بن محيي الدين الجزائري. ولد
الحاج علي بمدينة بسكرة من نواحي مستغانم، وعاش
بالمغرب حياة كلها نشاط متنوع وغريب. التجأ إلى المغرب
سنة 1295 / 1878 بعد أن كانت حكمت عليه السلطات
الفرنسية بالسجن لأنه سب أحد رجال الشرطة الفرنسيين،
ثم طردته من الجزائر وحجزت أملاكه. كان الحاج علي رجلاً
ذكياً ودساساً عميلاً لعدد من الدول الأجنبية.

عمل لفائدة ألمانيا، وسبب ذلك أن تيودور فيبير T.
Weber لما كان قنصلاً لألمانيا بدمشق تعرّف على المجاهد
عبد القادر بن محيي الدين الذي كان منفيّاً هناك. وحيث
إن الحاج علي بوطالب من أقارب المجاهد استخدمه لديه لما
عين وزيراً لألمانيا بطنجة. قام الدكتور أوسكان لينس O.
Lenz الألماني أو النمساوي العالم الجغرافي والرحالة بسفرة
إلى السودان ابتداء من المغرب سنة 1228 / 1880 كان الحاج
علي بوطالب أحد رفقاءه وتقاضى عن أتعابه عمولة أربعة
آلاف فرنك. وتذكر المصادر الفرنسية أنه هو الذي عرض
على لينس خدماته، وأنه لما عاد من رحلته صار يقول
للناس إنه ذهب إلى السودان وتبكت للمذاكرة مع علماء
السودان في مسائل الفقه والتفسير.

كما أن دوراً تجارية ألمانية استخدمته عندها. ففي سنة
1308 / 1890 تراقق مع الصحافي الفرنسي ده كيرديك
شيني A. Vial de Kerdec Cheny أي أ. فيال (صاحب
جريدة دياريو دي طانخير Diario de Tanger، الناطقة
بالإسبانية والصادرة بطنجة) في سفر إلى فاس ليقتراح
على المخزن اقتناء مدافع كروب. وكان فيما بين 1323 /
1905 و1324 / 1906 في خدمة المخابرات الألمانية إلى أن
صار عميلاً لدار مانيسمان التجارية.

أما مع العثمانيين فقد كان مرشحاً لشغل منصب
قنصلي أو ديبلوماسي لفائدتهم بطنجة. فقد رحل إلى
الأستانة لهذا الغرض في جمادى الثانية - رجب 1302 /
أبريل 1885. وبعد خمسة عشر شهراً أوفد السلطان
العثماني عبد الحميد الثاني مبعوثاً إلى المغرب، وصل إلى
طنجة في شوال 1303 / يوليو 1886، وكان اسم هذا المبعوث
علي باي وهو جزائري الأصل أيضاً. وكان الهدف من هاته
الزيارة التحقيق في مزاعم بوطالب حول نوايا السلطان في
ربط اتصالات مع الأتراك من جهة أولى، وسبر أعوار
مولاي الحسن في الموضوع نفسه من جهة أخرى. ولئن لم

في جمادى عام 1341 / يناير 1923، وبدأ بعض أبناء
قبيلتي بني عمرت وگزنایة بتركون قوات عبد المالك
وينضمون للثورة الريفية في بداية مارس من نفس العام،
وبصفة خاصة بعد إعلان زعماء بني زروال تأييدهم لمحمد
بن عبد الكريم (S.H.A.T., Carton 3H - 102). وفي
منتصف شعبان عام 1341 نهاية مارس 1923 جرت معارك
ضارية بين أنصار محمد بن عبد الكريم وقوات عبد المالك،
انهزم فيها هذا الأخير وانسحب تماماً من منطقة أعالي ورغة
والتجأ إلى تطوان في 4 قعدة عام 1341 / 18 يونيو 1923.
ولم يمر بعض الوقت حتى أصبح قائداً على إحدى الفرق
الوطنية بالقوات الإسبانية في منطقة مليلية (مخطوط
سانبي، 26)، وكانت مهمته الأساسية هي تعبئة القبائل
الريفية في المنطقة المحتلة وتجنيد الريفيين ضد محمد بن
عبد الكريم (البوعياشي، 2 : 319).

وفي نهاية حجة عام 1342 / يوليو 1924، قررت قيادة
مليلية التوغل في غرب عزيب ميضار في أراضي بني
توزين الجارة الشرقية لقبيلة بني ورياغل، وكلفت عبد
المالك بالقيام بهذه المهمة بمالديه من قوات وطنية، ودعمته
بمدفعية قوية، وهيات ميدان عملياته العسكرية بقذف جوي
كثيف. وتمت المواجهة بين قوات عبد المالك والقوات الريفية
في منطقة عزيب ميضار، وجرت معركة عنيفة بين الطرفين
انتهت في نفس اليوم بمقتل عبد المالك وعدد كبير من جنود
القوتين. وقد نقل عثمان عبد المالك إلى تطوان ودفن هناك،
وكان ذلك بتاريخ 8 محرم عام 1343 / 9 غشت 1924
(S.H.A.T., Carton 3 H - 133).

كان لمقتل عبد المالك الجزائري تأثير كبير على القبائل
الريفية من ناحية، وعلى الإسبان من ناحية أخرى، فقد
أنهى مقتله بالنسبة للقبائل الريفية جنوب الريف مرحلة
لعب فيها عبدالمالك دوراً رئيسياً منذ منتصف عام 1333 /
1915، وهي مرحلة تميزت بصفة خاصة بالعداء للفرنسيين
في الجنوب، والتعايش مع الإسبان في الشماليين الشرقي
والغربي. أما بالنسبة للإسبان فقد كان مقتل عبد المالك
الذي كان مثل أحمد الرسوني ركناً أساسياً من أركان
وجودهم بالمنطقة نكسة مؤلمة لم يحسبوا لها حساباً. فقد
كانوا يعتقدون عليه آمالاً كبيرة في منافسة محمد بن عبد
الكريم في المنطقة الشرقية، كالأمال التي كانوا يعتقدونها
على أحمد الرسوني في المنطقة الغربية. وكانت أول نتيجة
لمقتل عبد المالك هي القضاء على كل ما تبقي من تأثيره
على قبائل أعالي ورغة، وبدأت بذلك مرحلة جديدة تميزت
بتوجه قبائل هذه المنطقة للحرب ضد الإسبان في الشمال
بعد أن كانت مهمتها لعدة سنوات التوجه للحرب ضد
الفرنسيين في الجنوب. وأصبحت هذه المنطقة منذ هذا الوقت
الحقل الذي تتزود منه دولة الريف بما تحتاج إليه من قمع،
وهو الطريق الذي يربط المنطقة الريفية بمنطقة النفوذ
الفرنسية وتتزود منه الدولة الريفية بما تحتاج إليه من غذاء
وذخيرة وسلاح.

ع. ابن منصور، أعلام المغرب العربي : أ. البوعياشي، حرب
الريف التحريرية ومراحل النضال : م. الخطابي، مذكرات الرينيون،

يستقبل السلطان هذا المبعوث وإنما خلع عليه ووصله بمبلغ مالي، فقد تبين لعلي باي أن الحاج علي بوطالب لم يكن صادقاً الصديق كله. إذ كان مولاي الحسن لا يريد أن يربط علاقات مع العثمانيين اقترحتها ألمانيا وعارضتها فرنسا التي كانت بالمرصاد لمنافستها وجارتها.

وكان مولاي عبد العزيز ينوي ربط علاقات مع الأتراك. فالتحق الحاج علي بوطالب بإسطنبول في ربيع سنة 1320 / 1902 أصلاً أن يكون هو الفائز بهذا التعيين. غير أن الحكومة التركية أعرضت عنه ورفضت الدخول في مذكرات معه.

ويقال إن الحاج علي بوطالب كان عميلاً لإنجلترا أيضاً. لكن الثابت أنه كان يعمل لفائدة فرنسا، استخدمه كل من أوغوست ده فيرنوليبي A. de Vernouillet ولاديلاس أورديغة L. Ordéga سفير فرنسا بطنججة دون أن يعلم أن له يداً ضليعة مع ألمانيا ومخابراتها. ولم يطلع أورديغة على ذلك إلا سنة 1302 / 1884، بعد أن كان بوطالب قد خاض في دسائس هذا المفوض الفرنسي ورهطه.

وفي سنة 1891 لما رفض سكان توات الانصياع إلى ما كان يُدعون إليه من التنصل من بيعة مولاي الحسن، طلبت مفوضية فرنسا من الحاج علي بوطالب وساطته لدى بوعمامة البوشيخي لاستمالاته إليها، فكان مآل ذلك هو الفشل، بينما كانت تعلم حكومة فرنسا أنه عميل لفائدة ألمانيا. فغادر الحاج علي بوطالب المغرب وقصد الجزائر للتشغيب على فرنسا هناك، وجمع من ذلك أموالاً طائلة واتصل بالألمانيين المقيمين بالجزائر. وكان غرضه العاجل هو الحصول على تأييد العديد من الطوائف الدينية السرية في العالم الإفريقي. ولم تقطع فرنسا علاقتها مع الحاج علي إلا سنة 1314 / 1896، فاهتمته بالتجارة في الأسلحة وتهريبها، وعملت على تفتيش منزله وسجنه لبضعة أشهر. ولم يكن دور المترجم حيناً في الكواليس سواء سنة 1299 / 1882 أو بعد وفاة مولاي الحسن.

هذا ما ورد عنه في بعض المصنفات الأوربية. أما الوثائق المغربية فلم تخل من ذكره والتحدث عن أحواله. ففي سنة 1302 / 1885 جاء في رسالة سلطانية إلى الطريس أنه "انفصل عن الفرانصيص، ولم يبق بينه وبينهم علاقة، وتخالط مع المركان وغيره، وانفصل عنهم". وزادت تقول إن "أهل دار الفرانصيص بطنججة حملوه إليها رغماً عنه، وحتموا عليه الرجوع لخدمتهم، فامتنع من ذلك، ولم يقصروا في إذايته، فتفقت لعند وصيفنا الحاج سعيد جسوس بجبل طارق".

وفي رسالة أخرى صادرة عن قنصل فرنسا بالصورة (ولعله أوريليان لاقوسط A. Lacoste) إشارة إلى أن الحاج علي بوطالب كان عميلاً لدى قواد سوس سنة 1304 / 1887. فقد ورد فيها أن هذا القنصل كلفه بالدخول في مذكرات مع محمد بن الحسين أهاشم واصفاً إياه بأنه "رجل عاقل ضابط في الأمور، ويعرف أحكام الأشياء كلها... وييده مكاتب الدولة المعلومه...".

أما السلطات المغربية فكانت تتأفف منه. فهذا عامل بني مالك بالغرب إدريس الحباسي اشتكى سنة 1312 / 1895

لدى السلطان الذي قال للطريس: "إن واحداً من أهل طنجة يسمى بعلي بوطالب الفرانصيصي قد أفرط في التعرض والخوض في إبالته من غير قانون، كرومي صنيولي يدعى بالأعرج (وهو ريكاردو كونصاليث R. Gonzalez) ويهودي بالعرائش في حماية البرازيل... فنأمر أن تكلم نوابهم في شأنهم ليكفهم ويجسلوهم عن حدهم".

وزيادة على ذلك كان للحاج علي بوطالب شراكة في الفلاحة وعزائب بقبيلة سفيان سنة 1325 / 1907 والخواص كانوا يكيلون له التهم بأكثر من ذلك. فهذا محمد صادق العطار الشامي الوكيل المتجول من قبل السلطان عبد الحميد الثاني قد نسب إليه التآمر على حياته، فطلب من المخزن أن يضمن له السلامة من إذابة بوطالب ولئن لم يأت بيان عن نوع الإذابة وأسباب احتمالها بين رجلين كانت لهما اتصالات بالأتراك، فقد يكون ذلك من باب حرب الأشباح المتعاركة في الظلام. ففي رسالة الشامي إلى الطريس سنة 1319 / 1901. جاء أن "رجلاً يدعي بحاج علي بوطالب ومعه آخرا مسيحيان متحقق بنفسي أن مرادهما قتلي، فأحببت أن أعلمكم بأن تكونوا منه على بال. إن وقع واقع فمنهم، وأتم الشهود على ذلك. ولذا أطلب. زيادة على الخمسة والعشرين ألف فرنك. ضامن الروح بحضور عدولهم إن كانوا هم الداعين لي بحضرتكم. وإن كان غيرهم فمنه الدراهم ومنهم الضامن".

ومهما يكن فالرجل كان غامضاً يعمل في الظلام وفي النور معاً. فكان في رسائله الكثيرة اللحن يخبر السلطان بما كانت تكتبه الصحافة الأجنبية حول المغرب سنة 1305 / 1888، وبما كانت فرنسا تحاول من الهجوم على فيجيج.

وهكذا كانت له علاقة بالصحافة فلما نشأت جريدة "المغرب" الأسبوعية بالعربية بطنججة سنة 1307 / 1889 كان مراسلاً لها كتب فيها قصيدة في مدح السلطان أوردها محمد ابن العياشي سكيرج في مخطوطه رياض البهجة في أخبار طنجة كما كتب في نفس السنة بجريدة المغرب مقالا عنوانه "الدلالة بطنججة" رداً على مقال صدر ضده من قبل، متحدثاً فيه عن "القنصل المدعي بالباشدورية... الذي اختاره تاجر الحمايا موضوعاً لسره... وتظاهر بالنصرانية، ودعى نفسه جورج. ولم يلبث حتى عاد فادعى بالإسلامية، وكان يتزيا... بزي علماء إسطنبول، فليس تلك البذلة الخضراء، واعتم بالعمامة البيضاء، لكي يخيل للبطاء أنه شريف مكاوي".

المقال الذي تعمدت إيراد فقرات منه والقصيدة التي أشرت إليها لا تعنيان أنه كان أديباً ولا شاعراً. فقد وقفت على رسائل كتبها بخطه طافحة بأغلاط نحوية وصرفية وإملائية وتتعبير ركيكة وعامية لا يصلح معها أن ندعوه كاتباً ولا شاعراً، ولا يجوز ذلك إلا إن كان هناك سمي آخر له. فالشاعر والكاتب غيره بدون شك.

هاته نبذة عن رجل حوكة، غريب الأطوار كانت وفاته بطنججة سنة 1327 / 1909.

م. بوشعراء، الاستنباط والحماية بالمغرب، ج. 4 ص. 1478-1481.

العدد التاسع من "المغرب" الصادر في 9 يوليوز، 1908: الوثائق

الملكية ؛ وثائق تطوان ؛ كناش مكاتيب الطابع الشريف، رقم 1695 خ. ع حرف الدال ؛ محمد بن العياشي سكيرج، رياض البهجة في أخبار طنجة، الجزء الأول، الورقة 32، مصور الخزانة الصبيحية.

Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc 1870 - 1904*, pp. 681, 683, 69, 119, 164, 183, 184 ; J.-L. Miège. *Le Maroc et l'Europe*, Tome IV, p. 83 ; Henri de la Martinière, *Souvenirs du Maroc : Voyages et missions : 1882 - 1918*, p. 113.

مصطفى بوشعراء

الجزائري، محمد الصالح مُيسة، أديب صفحي

جزائري هاجر إلى المغرب في جملة الجزائريين الذين جاؤوه بعد فرص الحماية الفرنسية. ولا ندري ما إذا كان اشتغل في بداية مقامه بالمغرب بالترجمة في إحدى الإدارات كما هو شأن مواطنيه المزدوجي اللغة، وكل ما نعرف أنه أسس سنة 1932 بالرباط مجلة المغرب، وتولى إدارتها ورأسه تحريرها. كان يضع كعنوان فرعي في أعداد السنة الأولى "مجلة شهرية" ثم غيّر فأصبح في السنة الثانية : "أول نشرة عربية حرة صدرت بالمغرب"، ومنذ السنة الثالثة "صار شعار المجلة : تثقيفية عمرانية أدبية".

كانت مجلة المغرب تصدر بانتظام، وتعالج بشيء غير قليل من الاعتدال والحذر مواضيع تهم ماضي المغرب وحاضره، ويغلب عليها طابع التجديد والإصلاح والحيوية. يشارك في تحريرها نخبة من شيوخ المغرب وشبابه، كمفتي سلا أبي بكر زنيبر ومندوب المعارف محمد الحجوي والشاعر الفاسي محمد غريبط، إلى جانب محمد الفاسي ومحمد حصار وسعيد حجي وأحمد بلافريج وعبد الكبير الفاسي.

كان محمد الصالح مُيسة يحرر في كل عدد افتتاحية أو مقالة رئيسية لا يوقعهما باسمه الصريح وإنما بحرف "م". أسلوبه متين سليم خال من الحشو والاستطراد، وأفكاره نيرة قومية لا تشوبها إلا ما تستلزمه الظروف من مجاملة ومرونة قد تبدو لنا اليوم مبالغاً فيها.

آخر عدد وقفت عليه من مجلة المغرب هو الصادر ضمن السنة الخامسة في رجب - شعبان 1355 / شتنبر - أكتوبر 1936. ويبدو أن تطور أزمة 1937 وما أسفرت عنه من اعتقال الوطنيين والتضييق على الحريات العامة دفع بمدير المجلة إلى توقيفها إن لم تكن قد أوقفت بقرار عسكري. وتغيّب عنا أخبار محمد الصالح مُيسة بعد ذلك إلى أن توفي بالدار البيضاء حوالي عام 1363 / 1943.

م. الصالح مُيسة، مجلة المغرب، المجموعة : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3182.

محمد حجي

الجزر المغربية. هناك أقاليم أرخبيلية في العالم

تشكل الحياة فيها من تداخل وثيق بين اليابسة والبحر،

من أهمها مجتمعات في شرق آسيا وبحر الكرايبي والمحيط الهادي والهندي وأقربها منا في شرق البحر الأبيض المتوسط.

لا يوجد المغرب من ضمن هذه البلاد بحال من الأحوال !

بل وإن موضوع الجزر عندنا يمكن أن يبدو من الغرائب، لا يُشار إلا للقول بأنها غير موجودة. والواقع أن اعتباراً من هذا القبيل صحيح إلى حد بعيد، حيث لا شيء يبرر معالجة الموضوع حقيقة إلا كتكملة للدراسات البنوية حول التراب المغربي، تركز خاصة على سواحله محاولة التبرير العلمي لخلوها من ظروف التجزير. الاستثناءات قليلة جداً، تتمثل في تلك الشذرات المتواضعة التي تظهر محلياً على الساحل المتوسطي والصخور المعزولة في عرض الواجهة المحيطية، التي لا تصير أكثر وضوحاً إلا في ما اصطلح عليه بأرخبيل الصورة، ثم المجمع الحقيقي للجزر الخالدات.

أكيد أن باستثناء الجزر الخالدات، فإن الجزيرات العائمة قبالة السواحل المغربية ضعيفة الأهمية من الوجهة الاقتصادية والبشرية، تكاد تنحصر أدوارها في الميدان الاستراتيجي والبيئي. لذا فإن هذا المدخل العام لموضوع الجزر هو أساساً معالجة طبيعية للأساليب البنوية التي يفتتح بها المغرب على مياهه الإقليمية في واجهته البحرية والمحيطية.

1) مناقشة عامة لظروف التجزير في السواحل المغربية.

كلما وُجد ظرف من ظروف التجزير إلا لازمه عامل يخفف من مفعول أو يلغيه بالمرّة. فانطلاقاً من القاعدة العامة التي تربط الجزر بالمحاولات الفتية والنشطة بنانياً، صار من المنتظر العثور عليها قبالة الساحل المتوسطي بصفة تفضيلية. لكن عامل الإلغاء هنا هو أن المحاور البنوية للريف والأعراف الناحجة تمتد بموازاة تامة مع الساحل مسهمة في تنعيمه. الاستثناء الوحيد يخص المضيق الذي تتعارض الأعراف فيه مع الساحل الشيء الذي جعل من اليابسة المغربية عنا عنقا ممتدة في اتجاه البنات الأندلسية.

العكس صحيح بالنسبة للساحل الأطلنطي الذي يقطع جل البنات القارية لكنها مع ذلك لم تستطع أن تبرز في عرضه لأنها إما قديمة، ضعيفة الأشكال البنوية، مثل محاور الهضبة الوسطى والأطلس الصغير، أو أنها تكون قد فقدت من عنفوانها قبيل الساحل فتغوص تحت البحر دون أثر بارز كما هو الشأن بالنسبة للأطلس الكبير الذي لم يفلح في أن يشكل أكثر من النتوء الساحلي لرأس إغير.

على هذا الأساس، فإن العوامل المورفوبنوية لم تستطع أن تكون فاعلة. فماذا عن التطور العميق لحركة صفائح القشرة الأرضية وتأثيرها في ظاهرة التجزير ؟

الحوض الشمالي، الغني بالجزر الكبيرة، كان في الماضي جزءاً من أوروبا، فصلته بعد ذلك البنائية الأليغوسينية عن القارة الأم مقطعة إياه إلى جزر أهمها كورسيكا، ساردانيا وأرخبيل الباليار.

أما حوض البرهان فهو متكون من منخفضات واسعة يتوسطها مرتفع جزيرة البرهان ذو الطبيعة البركانية وهو يوافق ما اصطلح عليه بالميدان الداخلي المرتبط بناثيا بالميدان الخارجي المتمثل في جل السلسلتين الجبليتين الريفية بالمغرب والبييتية بالأندلس

انطلق النشاط البنائي ابتداء من الإوسين، وقد تمثل في انغراز الصفيحة الإفريقية تحت صحيفة البرهان والتنضيق التدريجي للحوض البحري. نجم عنه انتهاض السلاسل الجبلية في الهالة الخارجية، وتحويل الميدان الداخلي، هنا حوض البرهان، إلى حوض "داخل قوس" نشط بركانيا على الخصوص خلال الميوسين معطيا البركنة الأنديسيتية في وسط البحر (جزيرة البرهان) وكذلك في العديد من النقاط القارية القريبة من الساحل الإفريقي.

2.2 تصنيف الأشكال بالساحل المتوسطي

على أساس هذه التطورات جاء الساحل الريفي متشكلا من رؤوس وخلجان صغيرة وقدرات صخرية داخل البحر ناتجة جزئيا عن البركنة وكذلك على الصدوع البنيوية في القواعد الصخرية المكونة للقشرة.

جرد هذه الأشكال من الغرب إلى الشرق ينطلق من رأس الميناء بشبه جزيرة سبتة ثم رأس الطيفور (الرأس الأسود) وجزيرة بوزرع (جزيرة يگرشميت). فرأس الصيادين، وجزيرتا قوس قزح، وصخرة غمارة، ثم الجزيرات الصغيرة داخل خليج الحسيمة بين الرأس الجديد ورأس الطرف، ثم شبه الجزيرة الكبيرة للناضور - مليلية المنتهي إلى رأس وجزر المذراة ويجواره شبه الجزيرة الرملية التي تغلق سيخة بوغرق المسماة بالبحر الصغير. وأخيراً الجزر الجعفرية قبالة رأس الماء (شكل 2).

يمكن تصنيف هذه الأشكال إلى ثلاث حالات رئيسية : الأولى في الغرب وهي مرتبطة بالكتلة القديمة، الثانية في الوسط ولها علاقة بكارست الحقب الثاني، والثالثة في الشرق وجلها من أصل بركاني.

1.2.2 القطاع الغربي

يرافق الساحل المتوسطي الغربي شريط من المنكشفات القديمة والمتحولة على طول حوالي 120 كلم، من سبتة إلى رأس الصيادين، وعرض يتراوح بين عشر وعشرين كلم. تشرف عليه من الداخل السلسلة الكلسية الممتدة من حلقة الحوز الموالية لضفة المضيق إلى القمم المطلة على شفشاون وباب تازة من علو يزيد على 2000 م. بين هذه الأعراف وخط الساحل، أعطت الصخور القديمة والمتحولة جبالا متوسطة وتلالا كثيرا ما تسيطر مباشرة على صفحة البحر. غالبا ما توافق نتوءات الساحل صخورا من نوع خاص

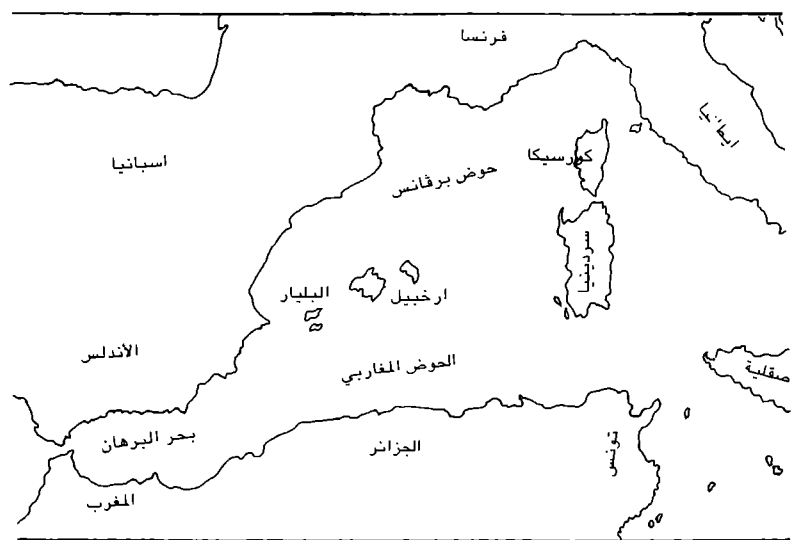
معقول أن يكون الساحل الأطلنتي خاليا من الجزر لأنه ناتج عن عملية فتق للقشرة الأرضية. هذه العملية التي بدأت بالنسبة للمغرب إبان النظام الترياسي. لكن من المنتظر أن يكون نصيب الساحل المتوسطي غير ذلك، حيث يصادف نطاق رتق وتصادم للصفائح المفروض أن تكثر فيه مظاهر الانتهاض والبركنة. وقد ارتبطت هذه العملية بتكوين السلاسل الجبلية جهة الساحل المغربي والأوروبي المقابل على السواء منذ النصف الأول من الحقب الثالث. لكن بعد ذلك انتابت بحر البرهان، وهو الحوض المتوسطي المحصور بين المغرب والأندلس، انهيارات رباعية عنيفة جعلت منه هوة سحيقة تكاد تكون نظيفة من الجزر. ومن المؤشرات على هذا الوضع أن الرصيف القاري، وهو الشريط البحري الضحل الموالي للساحل والذي يقل عمقه عن 200م، يتراوح عرضه جهة المحيط ما بين عشرين ومائة كلم، في حين يمكن أن يقل هذا العرض عن الكيلومتر الواحد جهة البحر المتوسط وهو لا يزيد فيه أبدا على العشرين كلم.

لذا فإن مظاهر التجزير في الساحلين معا هي مجرد فلتات من قبيل الاستثناء، أذنت بها بعض المستويات الرباعية المفصلة مباشرة عن الساحل، وهي قريبة وصغيرة، وبعض الأشكال البركانية.

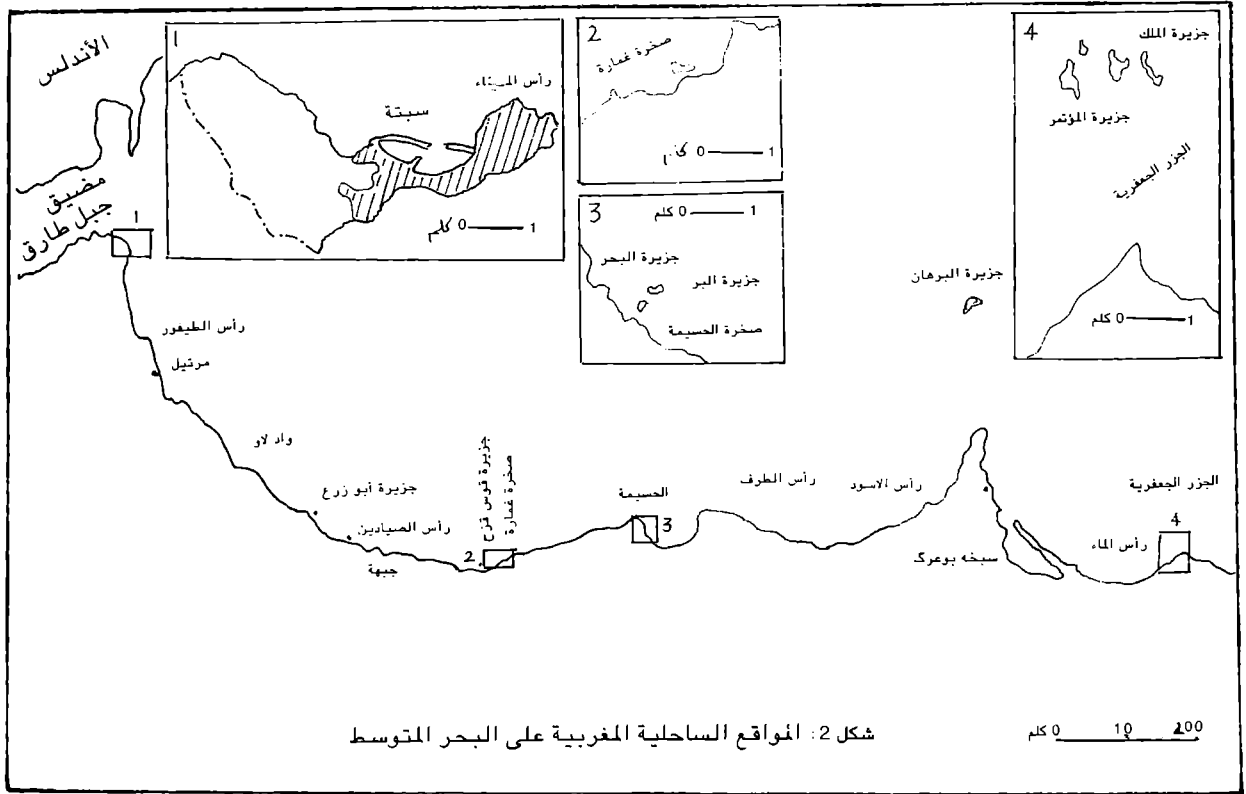
2) الوضع الخاص بالساحل المتوسطي المغربي.

1.2 عوامل التجزير في الساحل المتوسطي

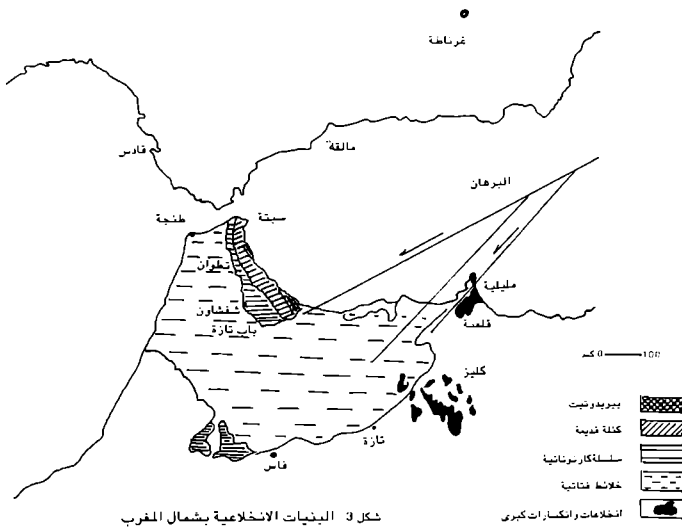
يطل المغرب الشمالي على جزء يسير من البحر الأبيض المتوسط الغربي، لكنه جزء تام التميز. ذلك أن البحر المتوسط الغربي ينقسم إلى حوضين مختلفي الأصل والتركيب : حوض شمالي اجتمعت فيه أسباب التجزير ويسمى بحوض البيروفانس وهو محصور بين سواحل فرنسا وإسبانيا وكورسيكا وساردانيا وجزر الباليار. وحوض جنوبي يوجد بين الحوض الأول وساحل الجزائر والمغرب. الواجهة المغربية منه تهتم بحر البرهان، وهو الامتداد الغربي للحوض المغاربي، الذي يغسل سواحل الريف والأندلس (شكل 1).



شكل 1 تقسيمات الحوض الغربي من البحر المتوسط



انخلاع مباشر ذي مضرب ش ش - ج غ. يربط خط الانخلاع هذا بين باب تازة ورأس الصيادين ويمتد داخل البحر. وقد ترتب عنه انهيار للصلب الكسي وتحول زحزحه عن موقعه الداخلي تجاه الساحل، حيث تسبب في نتوء رأس الصيادين، وكون إلى الشرق منه كتلة بقوة إلى حدود الحسيمة. ثم يغوص في البحر فلا يظهر إلا في إقليم القبائل الجزائري (شكل 3).



- رأس الصيادين يبدو كجسم دخيل متقدم في البحر، طبيعته الكلسية الصلبة الشبيهة بمواد الصلب الكلسي الكبير، معزولة هنا بين آخر منكشفات شبست الحقب القديم غربا، والفليش الكريتاسي المنتمي لطية تيزرين الزاحفة شرقا.

تسمح صلابتها أو بنيتها المعزولة بتقدمها على حساب البحر أو تشظيتها بداخله.

كذلك الحال بالنسبة لشبه جزيرة سبتة في الزاوية الشرقية من المضيق، والرأس الأسود الذي يوجد بموازاتها على بعد ثلاثين كلم من الجنوب. كلاهما متكون من الغنيس، الصخر المتحول ذي الخاصيات الكرانيتية، المدعم بعروق اللبنتيت الناتج من أعلى درجات التحول الإقليمي.

يتميز موقع سبتة باختراق الغنيس من طرف بروز صغير من البيريدوتيت، وهو من الصخور النارية النادرة جدا في المغرب حيث لا يكاد يوجد إلا في هذا المجال الشمالي الأقصى مع أكبر منكشف له في بني بوزرع.

أما في الرأس الأسود (كابونيكرو أو رأس الطيفور) خمادة الغنيس الصلبة تشكل كتلة دائرية لا يربطها بالقارة إلا منكشف من الميكاشيست القابل للتعرية السهلة.

- رأس بني بوزرع والجزيرة المقابلة هي عبارة عن نتوءات صغيرة مكونة من أكلاص مرجانية صلبة ورصيص ينتمي للحقب الأول، على الهامش الخارجي لمنكشفات البيريدوتيت الواسعة لبني بوزرع.

2.2.2 القطع الأوسط

يمتد القطع الأوسط من رأس الصيادين في الغرب إلى أجدير وسط خليج الحسيمة.

يتميز هذا القطع بكونه الوحيد في الساحل المتوسطي المغربي الذي يغطي عليه التشكيل الكلسي. ذلك أن الشريط القديم والمتحول الذي كان يرافق الساحل في الشمال الغربي يختفي نهائيا كمجال متخصص. والسبب أن الصلب الكلسي المتميز الذي كان يشرف عليه من الداخل في مجالات تطوان وشفشاوان قد تعرض إلى عملية

عن ثلاثة رؤوس كبرى ناجمة عن التقاطع المتعامد بين رسم الساحل واتجاه المحاور العرفية الرئيسية للريف الغربي. أكثرها توغلا صوب الشمال رأس اللبوة الذي يمثل نهاية الأعراف الشرقية. هنا ينتهي جبل موسى الكلسي في البحر على هيئة "أعمدة هرقل" البارزة على الضفة الريفية قبالة صخرة جبل طارق في الضفة الأندلسية. أما الرأسان الآخران (رأس ملاباطا ورأس سبرطيل) فإنهما يدينان بعنفوانهما للتسليح الحثي الذي يربص القواعد الشيستية والصلصالية، وبخاصة الحث النوميدي السليسي المقاوم للتفسخ.

على العموم، ساحل البحر المتوسط وعر متزلف، مرصوف بالجبال والتلال. من ذلك ضعف البنيات التحتية للمواصلات به، إلا ما كان من بعض السهول الضيقة الموجودة عند مصاب السيول الرئيسية المنحدرة من الجبال كوادي مرتيل ووادي لاو، وأكبر منها وادي غيس والنكور. كما أن الملاء بالرواسب ينال الزوايا المجاورة للرؤوس.

فمثلاً، شبه جزيرة بوغرق هي من نفس القبيل محاولة لتلطيف الزاوية الكبيرة المحتلة لإبط رأس الناصور - مليلية (المذاري الثلاثة). لكن التعبئة لازالت غير كافية، منها الشريط الرملي الضيق الذي يمتد على مدى 25 كلم بين عرض البحر وجوف الخليج الذي تحول إلى هور واسع هو سبخة بوغرق (أو البحر الصغيرة).

(3) الوضع الخاص بالساحل الأطلنطي المغربي

(1.3) عوامل تطور الساحل الاطلنطي

- السبب الأول في تعدد وجود أية جزر في الساحل الاطلنطي مرتبط بأصله الفتقي، حيث إن خط الانفصال عن أمريكا بقي سليماً من الشوائب. لكن العديد من الأحداث البنائية والغمرية الرسوبية قد طرأت بعد الترياس، تاريخ الفتق، وقد تركت آثاراً حاسمة داخل القارة لكنها لم تؤثر بصفة واضحة على الساحل. أهم هذه الأحداث التعبئة الجوراسية لمخدرات صدوع التحويل المتعامدة مع حد الفتق الرئيسي وأهمها الحدة الأطلسية، ثم الغمر الواسع الكريتاسي الأوسط فالبنائية الأطلسية التي أسست خلال الحقب الثالث الجبال الالتوائية ورفعت الهضاب والكتل القديمة.

الواضح أن هذه العمليات الانتهاضية لم تحدث في الساحل الأطلنطي إلا خليجين واسعين : الأول بين الريف والميدان الأطلسي، بما فيه المسيطا، وهو خليج الغرب واللكوس، والثاني بين الميدان الأطلسي والدرع الإفريقي وهو خليج سوس.

- السبب الثاني، هو طبيعة التطور الرباعي الذي عمل بانتظام على تنعيم الساحل وتلطيف هوامشه بواسطة خاصة في الترميم والصيانة. وقد تم ذلك على إيقاع تواتر الغمر والانحسار الحاصلين بفعل تضافر عاملي تغير المنسوب العام لمستوى سطح البحر من جهة والبنائية من جهة أخرى.

- أما مجموعة الجزر الصغيرة المحيطة بكتلة بقوة وهي من الغرب إلى الشرق : صخرتا قوس قزح، وصخرتا غمارة، والجزيرات الصغيرة لخليج الحسيمة، فهي على ما يبدو بروزات لتشكيل كارستي مغمور من طرف البحر. يؤيد ذلك أن بقوة ذاتها هي الجزء المكشوف فقط من كتلة أكبر بكثير قوامها الكلس والدولومي والترياسي واللياسي، يوجد جلها تحت البحر.

يشكل الطرف الشرقي من كتلة بقوة الكاربوناتيّة الرأس الغربي من خليج الحسيمة (الرأس الجديد)، على أن الرأس الشرقي من الخليج مكون من بروزات بركانية تشير إلى الانتقال إلى القطاع الشرقي (رأس الطرف).

(3.2.2) القطاع الشرقي

كل الجهات المتقدمة داخل البحر في هذه الجهة، كانت رؤوساً أو جزراً، لها علاقة بالتظاهرات البركانية الحديثة، الميو - بليو - رباعية. وتدور في فلك مجموعة قلعية البركانية الكبيرة.

ومن أهم مظاهرها : رأس الطرف، في النهاية الشرقية من خليج الحسيمة، ورأس المذراة، شمال الناصور، ثم الجزر الجعفرية بالإضافة إلى جزيرة البرهان. هناك علاقة بين نوع الأدفاق البركانية من الوجهة الصخرية والتحقيب، وبين طبيعة الأشكال الظاهرة على السطح. ذلك أن تدفقات البازلت المائعة المنتمة للبليوراعي قد أعطت مساحات واسعة مسلحة بهذا الصخر الشديد الصلابة. في حين أعطت طفوحات التراكتيت والأندسيت الأكثر لزوجة أجهزة بركانية واضحة المعالم.

- رأس الطرف، كتلة بركانية عريضة مرتبطة بحادث النكور وهو ثاني أهم الصدوع التي تفلق القشرة في الشمال المغربي بين انخلاعي رأس الصيادين في الغرب ومليلية في الشرق.

- مجموعة رأس المذراة (رأس المذاري الثلاثة) وتوابعها ومنها الجزر الجعفرية، تنتمي كلها لنفس الوحدة التطورية. فهي على تشبتها، تنتظم حسب نطاق هائل ج غ - ش ش، يمتد من جهاز كليز شمال غرسييف إلى حدود رأس القطة بجوار مدينة المرية الأندلسية عبر قلعية وجزيرة البرهان في وسط البحر، وذلك على مدى حوالي 500 كلم.

الأصل في هذا النطاق هو الانخلاع المياسر للمليلية (شكل 3) كما أن نفس الترتيب بزيادة ممال التغاير الكيماوي والعداني للصحور البركانية، المعتبرة حسب الجهات، يوحي بوضع شبيه بالأقواس الجزيرية الموجودة حول المحيط الهادي والتي تسبب كل هذه التظاهرات البركانية داخل نموذج رتق بين الصفيحة الإفريقية وصفيحة البرهان، وإن كان هذا النموذج لازال مثار أخذ ورد من حيث التفصيل.

- الأشكال الخارجة عن التصنيف الثلاثي للساحل

المتوسطي

أهمها توجد بصفة المضيق بين سبتة وطنجة وهي عبارة

ففي فترات الانحسار، تعمل التيارات البحرية الغالبة، ويبدو أن غالبيتها من الشمال الشرقي، على إقفال المخاببيء والخلجان من الخارج بتوفير مغاليق رملية. في حين تساعد العاليات الجبلية المجاورة المناخ المتوسطي المتفاوت الرطوبة، الغالب على الرباعي، على تعبئة دواخل الخلجان بواسطة التفرين النشط المعهود فيه. وبما أن فترات الانحسار هاته توافق، حسب النموذج التطوري التقليدي بعض الترطيب المناخي، فإن الجهات الداخلية من الأشرطة الرملية تعرف تحجراً بواسطة المياه القارية المشبعة بالكلس، فيتحقق تصلب الحث والكلكارنيت. وبهذا تكون الرسوم الأساسية للسواحل على شكل حمالات قد تهيأت.

أما في فترات الغمر فيحصل تحت الأشرطة الحثية على شكل أجزاف متفاوتة الحدة، وترصيفها بمواد فتاتية متفاوتة الخشونة. يتم ذلك بصفة متوازية مع الرسم الأساسي يدعمه ويؤكد.

تواتر هذه العمليات، يراكم مستويات الرباعي بالتراكب أو يسببها على شكل مدرج يؤرخ بوضوح لمختلف فترات الرباعي.

يمكن التمثيل لهذا النموذج بجلاء تام على ساحل الدار البيضاء أو ساحل البدوزة شمال أسفي، وغيرهما كثير. تحقق آليات من هذا القبيل يوفر الترميم المستمر للسواحل، ويحول دون تكون الفراغات والانفصامات المهيئة للتجزير. تعبئة الفراغات الممكنة يُساعد عليها كذلك تكوين المتقنات والمعشبات الساحلية التي تعمل على إلغاء الأهور الساحلية الضحلة، وضّمها إلى القارة كما هو الشأن بين طنجة وأصيلة أو بداخل الوجة بين الجديدة وأسفي. فاعلية دور المعشبات في إطماء الأهور تزيد عندنا بفعل الإشباع الكلسي الغالب لكل مياه السيلان، الشيء الذي يسرع برصصة العشب الساحلي أو المصبّي وتحويله إلى أكلاس محشوة بالمواد الفتاتية المتنوعة.

2.3 مبادئ في تصنيف الأشكال بالساحل الأطلسي

طول الساحل ووفرة البنيات يُعدّدان عناصر التصنيف لكن يمكن إجمالها في فئات كبرى هي: السواحل الرملية على الشاطئ السهول، السواحل الجرفية على هامش الجبال والمرتفعات، والأرصفة الرملية الحثية على طول الهضاب.

1.2.3 السواحل الرملية على شاطئ السهول توجد أساساً على مستوى السهول الفيضية الوظيفية مثل اللكوس والغرب، أو السهول الفيضية الحائلة مثل سوس. الأشرطة الكثيفة الرملية عندها عريضة وسميكة وتعرف حركة مهمة كما هو الشأن في سوس حيث إنها تهدد المنشآت البشرية. المستويات الساحلية حديثة على مدي واسع. حمولة المحور الفيضي (نهر سبو مثلاً) دقيقة تشكل مخروطاً تحت بحري يمتد الأبعاد تتوزع رماله وأطماؤه بانتظام بفعل التيارات.

إمكانيات التجزير منعقدة

2.2.3 السواحل الجرفية على هامش الجبال المرتفعات

وهي أنواع منها:

ذات الأجزاف النشيطة المتقاطعة مع الأعراف

الأطلسية من جنوب الصويرة إلى أكادير. ضعف انتهاض البنيات في هذه النهاية الغربية للأطلس الكبير لم يعط أكثر من رؤوس متقدمة إزاء المحيط على مستوى أهم الأعراف الجبلية: رأس الحديد (شمال الصويرة)، رأس تافلني ورأس إغير.

* ذات الأجزاف الميتة المتقاطعة مع كتلة الأطلس الصغير في محيط إفني التي لم تعط أية نتوءات بارزة إذ يوافق الساحل قُطر بهرة قديمة مفرغة، هي نصف بهرة إفني.

* ذات الأجزاف المتوسطة والصغيرة والمساطح الصخرية الممتدة على ساحل الهضبة الوسطى بين الرباط وجنوب الدار البيضاء. تُوجد في عرضها قِدادات صخرية ينتمي بعضها لمنكشفات الحقب الأول، تتعلق بها محلياً بقايا من الحث الرباعي.

3.2.3 الأرصفة الرملية - الحثية على طول الهضاب

وهي ممثلة على مدى واسع، تهم جهتين رئيسيتين:

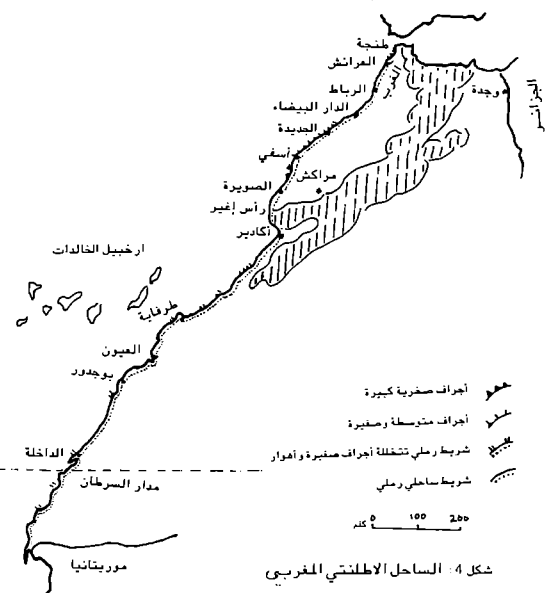
* ساحل المسيطا من جنوب الدار البيضاء إلى أسفي، وهو يخص هنا الشكل النوعي للوجة الذي يتجلى في وضعه النموذجي بين الجرف الأصفر ورأس البدوزة. أضف إلى ذلك سواحل رملية أوسع في الامتداد الجنوبي من أسفي إلى جنوب الصويرة.

* الساحل الصحراوي من قم درعة إلى النواذيبو.

على العموم تظهر بجلاء في هذه الأرصفة محاور الكثبان الرملية المتصلة والموازية للساحل، والتي تنتظم بصفة متفاوتة وحسب نماذج مختلفة عبر البليوسين والرباعي. بتر هذه المحاور من طرف البحر وإغراق بعضها والتسرب إلى المنخفضات البيكثبية استطاع خلق بعض فرص التجزير المتواضعة وخاصة أشباه الجزر والخلجان.

4.2.3 الجزر البركانية: نموذج أرخبيل الخالدات (كناريا)

وهو موافق لوضع الفتق الذي يعرفه الساحل الأطلسي، وإن كانت له خصوصيات نوعية. كما أنه مرتبط بتوقيت الأحداث البنائية في القارة (شكل 4).



3.3.3 نماذج من حالات التجزير وشبه التجزير بالواجهة الأطلنتية

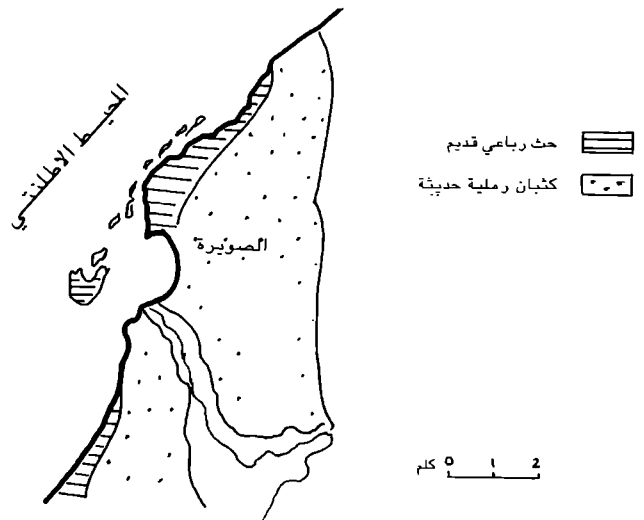
يبدو من تصنيف التشكيل على السواحل أن حظوظ التجزير، الضعيفة عموما، ليست بذات أثر إلا في مجالين : على هامش الهضبة الوسطى، وهي الأضعف، وعلى طول الهضاب الكلسية الحثية، زيادة على أرخبيل كناريا.

1.3.3 فلتات التجزير جلهما قذات من الكتلة القديمة معزولة أو ملحومة إلى القارة بالحث الرباعي على شكل أشباه جزر ورؤوس. الأمثلة متعددة وتخص مثلا في مجال الدار البيضاء - المحمدية تضاريس متخلفة منها المنحوت في كوارتزيت وشيست الكمبري. كما هو الشأن بالنسبة لرأس فضالة (المحمدية) رأس العنق، عين الذئاب، سيدي عبد الرحمان، دار بوعزة... بزيادة شذرات الصخور السوداء، عكاشة.

2.3.3 الأشكال المتخلفة عن بتر الأشرطة الكثيفة المتصلبة هذه الأشكال أكثر وأكبر من السابقة منها الناتج عن غزو البحر للأعراف الكثبية المتحجرة وفي هذه الحال قطع متخلفة محاطة بالماء مرصوفة على مدى خطي يعطي فكرة عن الرسم الأصلي للمحور الكثبي. من هذا النموذج أمثلة السلاسل الصخرية في عرض تمارة والصخور جنوب الرباط، وخاصة مجمع الأشكال المرتبطة بالصورة.

هناك أشكال أخرى حافظ فيها المحور الكثبي الموازي للساحل على نقطة ارتكاز قارية، مشكلا شبه جزيرة تضم خليجا، يتراوح عمقه ما بين 20 و25 كلم، كما هو الأمر بالنسبة لخليج وادي الذهب المحمي بواسطة شبه جزيرة الداخلة، وخليج السلوقيين المحمي بشرط النواديبو - لگورة.

أهم هذه الإرهاصات التجزيرية على الإطلاق ما اصطلاح على تسميته بأرخبيل الصويرة (شكل 5).



شكل 5: ظروف التجزير بالصويرة يتكون الأرخبيل من مجموعة صخور، ستة منها ترقى إلى مستوى جزيرات صغيرة. يعتبر الأرخبيل الصغير

موقعا بيثيا ذا بال. حيث اختير من بين المواقع المغربية ذات القيمة البيولوجية والإيكولوجية (SIBE) وهو يأوي جالبة من الصقور الجزيرية كما يشكل محطة بالنسبة للطيور المهاجرة.

3.3.3 أرخبيل كناريا : عناصره وحدها تستحق كناية الجزر بصفة واقية. عددها سبعة قبالة مدينة طرفاية. وهي كتل بركانية صرفة الأصل تضم بداخلها مواد رسوبية من النوع الفتاتي القاري المشتق من القواعد البركانية، وكذلك رواسب الغمر البحرية. أهم أزومات البركنة حدثت خلال الميوسين، البليوسين والرباعي. أنواع الصخور البركانية ليست من طبيعة الأدفاق التي تخرج من محور الفتق الرئيسي الذي يوجد في وسط المحيط (بازلت طوليتي) ولكنها من نوع المواد المنبعثة من هوامش القارات (بازلت أقي، روليت...).

جل فترات البركنة مزمنة لفترات البنائية المعروفة في القارة، وكذلك مضارب خطوط الضعف وحتى أهم فترات الغمر البحري كالفتره الساحلية المسماة بالمغربية التي عمّت جل الساحل الأطلنتي المغربي خلال البليوسين الأوسط.

الدراسة البنوية لظروف التجزير على السواحل المغربية هي في الواقع دراسة التشكيل في هذه السواحل انعدام أو ضعف ظروف التجزير مرتبطة بتوفر الشروط المناقضة التي قضت بترميم وتنعيم السواحل فجاءت جل قطاعاتها مستوية ارتباطا بأليات تطور الحقب الرابع وبالتالي كانت السواحل ضعيفة المخابئ لا توفر المواتية لإنشاء الموانئ وتنشيط حركة صيد بحري تقليدية وانفتاح كبير على البلاد الأجنبية، رغم غنى المياه الاقليمية بالثروات السمكية فلم تنشط هذه الحركة إلا بعد توفر وسائل التجاوز المالية والتقنية.

معلوم كذلك أن عددا من هذه المواقع اللصيقة بالساحل أو الشديدة القرب منه تابع للنفوذ السياسي الأجنبية. لا شك أن في البنيات الطبيعية للبلدان ما يفسر ولو في منطلقاتها بعض السلوكات الحضارية للشعوب.

J. Andrien, J.M. Fantboté et M. Mattauer, *Sur un modèle explicatif de l'arc de Gibraltar. Earth Plan. Sc. Lett.*, 12, 1971 ; J.M. Auzende, J. Bonnin and J.L. Olivet, *The origin of the western Mediterranean basin. J. Geol. Soc.*, London, vol. 129, 1973 ; G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures. étude géomorphologique.* Rabat, 1969 ; Ch. Délarue et R. Brousse, *Volcanisme miocène en subduction au Maroc à l'extrémité orientale de l'Arc de Gibraltar. C.R. Acad. Sci.*, 279 D, 1974 ; M. Durand-Delga, L. Hottinger, J. Marçais, M. Mattauer, Y. Milliard et G. Suter, *Données actuelles sur la structure du Rif. Soc. Géol. Fr.*, 1960 - 62 ; A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule tingitane.* Paris, 1981 ; M. Gigout, *Etudes géologiques sur la Méséta marocaine occidentale - arrière-pays de Casablanca, Mazagan et Safi.* Paris, 1951 ; A. Guilhaeher et E. Joly, *Recherches sur la morphologie de la Côte atlantique du Maroc.* Paris, 1954 ; E. Jérémme et J. Marçais, *La région volcanique des Beni Bou Yahi. Soc. Géol. Fr.*, hors sér., 1960 - 62 ; D.E. Karig, *Origin and*

development of marginal basins in the Western Pacific. *J. Geophys. Res.*, 76, 1971 ; *Structural history of the Mariana Island or system. Geol. Soc. Am. Bull.*, 82, 1971 ; J. Lietz and H.U. Schmincke. *Miocene - Pliocene sea-level changes and volcanic phases on Gran Canaria, Canary Islands in the light of new K-Ar ages. Palaeogeogr., Palaeoclimatol., Palaeoecol.*, 48, 1975 J.C., Vidal. *Structure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaîne rifaine partie sud de l'arc de Gibraltar. Bull. Soc. Géol. Fr.*, t. 19, n. 4, p. 789 - 796.

إدريس الفاسي

الجَزَرُ أو "خيزو" بالعامية المغربية أو جَعْدَة "بشمال المغرب أو "اسفنارية" بالشرق العربي على دوكوس كاروتا *Daucus carota* النوع النباتي من الخضر الذي ينتمي إلى فصيلة الخيميات *Umbelliferae*.

والجزر نبات عشبي ذو جذر وتدي، ثنائي الحول في الأصل لكنه ينضج في سنة واحدة قبل البدء في الإزهار. أوراقه مركبة ريشية وأزهاره مجتمعّة على شكل خيمية. وهو أصناف عديدة تختلف في الشكل واللون والمذاق.

زرع الجزر في حوض البحر المتوسط منذ أكثر من ألفي سنة. وعرفه الفينيقيون والإغريق والرومان. ثم انتشرت زراعته بكل أصنافه في جميع أنحاء العالم، كما هو الشأن بالمغرب، حيث يزرع في جميع الأراضي المسقية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.

وتعطي التربة المكونة من الطمي الرملي أحسن النتائج، وذلك ما يجده في ساحل دكالة مثل منطقة الوليديه على سبيل المثال.

يعتبر الجزر من الخضر المفضلة عند المغاربة الذين يأكلون جذره الوتدي نيثا أو مطهوا في السلاطة أو الطاجين أو كمشروب مع عصير البرتقال. كما يستعمل في شكل مُرَبِّي.

بالإضافة إلى هذا تعتبر أوراق الجزر من الأعشاب المفضلة عند الحيوانات المدجّنة مثل الأرانب والأغنام والأبقار.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، تر. د.

ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد الملك بنعبيد

الجزّار، عبد الله السلوي ← حجّي عبد الله الجزار

الجزّار، عبد الله المكناسي، صوفي كبير ذو أحوال غريبة، وكرامات عجيبة، عاش خلال القرن الحادي عشر (17 م)، واشتهر في بداية أمره بين ذويه وغيرهم من سكان جبل زرهون وحاضرة مكناس بممارسته لمهنة الجزارة، كما عرف بين الجزارين والزبناء "بورعه في البيع والشراء،

فلا يشتري الغنم إلا من قوم عرف طيب مكسبهم ثم يذبحها فيبيعها بأرجح ميزان، وما فضل له من الربح يذهب به لزاوية الشيخ عبد الله الخياط (بجبل زرهون) فيفرقه على الفقراء" (جواهر، 77 ب).

وبعد ذلك، انقطع عبد الله الجزار لحياته الصوفية، وتختلف المصادر في تحديد سنده الصوفي، فبعضهم يرى أنه زروقي الطريقة، أخذ مبادئها عن الشيخ عبد الله الخياط الرفاعي الزرهوني عن الشيخ أحمد بن يوسف الملباني عن الشيخ أحمد زروق الفاسي، (جواهر، 77 ب). بينما اعتبره البعض الثاني جزولياً بحكم أخذه عن الشيخ الحارثي ابن موسى دفين بهت بحوز مكناس عن موسى بن علي دفين بهت أيضاً بسنده إلى الشيخ أحمد الحارثي دفين مكناس وأحد كبار تلامذة مؤسس الطريقة الجزولية الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (نشر، 3 : 59).

ونحن نرجح الرأي الذي يعتبره جزولي الطريقة ؛ لاعتبارين اثنين : الأول كونه لم يدرك الشيخ عبد الله الخياط، لأن التاريخ يأبى ذلك، فالشيخ الخياط توفي سنة 939 هـ / 1533 م، بينما توفي الشيخ عبد الله الجزار المترجم له سنة 1061 / 1651 (إتحاف، 4 : 511)، أي بفارق زمني يصل إلى 122 سنة، ومن جهة أخرى، أن السند المنقوش في لوح خشبي ملصق بجدار ضريح المترجم له يعتبره ينتهي إلى الشيخ الجزولي عبر الشيخ الكانل مَحْمَد بن عيسى الفهدي دفين مكناس، (إتحاف، 1 : 510).

هذا، ورغم انتساب عبد الله الجزار للطائفة الجزولية وسلوكه طريقتها، فإن ذلك لا يمنع من القول بأنه سحب شيوخاً من أتباع الطريقة الزروقية على سبيل التبرك، على غرار كثير من صوفية المغرب في عصره الذين كانوا جزوليين - زروقيين، طالماً أنهم جميعاً ينضون تحت لوا، الشاذلية. كما لا يبعد أن يكون قد تبرك في هذا الصدد ببعض شيوخ أو أتباع الزاوية الخياطية نفسها خلال القرن الحادي عشر (17 م) أي بعد مرور عقود كثيرة من السنين على وفاة مؤسسها الشيخ عبد الله الخياط.

وقد وُصِفَ الشيخ عبد الله الجزار بأنه "كان من كمال العارفين المتبرك بهم ... (وأنته) كان ورعا سنيا (جواهر، 77 ب ؛ إتحاف، 4 : 509)، بينما انفرد صاحب نشر الثاني بالقول "إنه من الصلحاء الملامتية" (نشر، 3 : 59)، ورغم أن القادري لم يوضح طبيعة ملامتيته، فإننا نعتقد أن الشيخ الجزار تبني في مسلكه هذا - وعلى غرار كثير من ملامتية عصره - الأصول الأولى للتعاليم التي وضعها المؤسسون الأوائل لهذا التيار، والقائمة على أساسين تلخصهما في التعريف المتداول للملامتي وهو "من لا ينفسه ولامه الناس على ما يظهر، وهو من أظهر ما لا يبطن"، دون تفريط في التكاليف الدينية، عكس بعض

شستية، يتدرج عليها الغطاء النباتي تبعاً لكمية التساقطات ما بين غابات وأحراش إلى سهوب من الحلفاء والنباتات شبه الصحراوية، علماً أن أغلبية السفوح الرطبة قد تم تشجيرها بأشجار الكروم والتين والزيتين في إطار مشروع تنمية الريف.

لا يخلو بيت من بيوت كزناية الحالية من مهاجر أو أكثر إلى خارج الوطن وخصوصاً إلى هولندا وألمانيا بقصد العمل، أما الباقون فهم في الغالب من العجزة والمتقاعدين العائدين ومن النساء والأطفال، وقلة من الشباب الذين لم يجدوا إلى الهجرة سبيلاً، وهم يتعاطون إما للزراعة المسقية على ضفاف الأودية وعلى المدرجات، وإما للزراعة البورية الضيقة وتربية الماشية من أبقار وماعز في الغالب.

كانت كزناية نظراً لموقعها وصعوبة تضارسيها مأوى للكثير من الهاربين والمضطهدين على مر التاريخ، ومن ذلك مثلاً عددٌ من الشرفاء الأدارسة الفارّين من بطش موسى بن أبي العافية الذين استوطنوا المنطقة وتنازلوا فيها وانصهروا مع أهلها وأصبحوا في عدادهم، فتكونت من مجموع هؤلاء وأولئك ساكنة تنقسم إلى عدة أقسام هي: بني يونس وأمزدورار وبني عاصم وبني محمد وأولاد بنعيسى وأكنول والجبارنة ومغراوة ...

ذكر لي بعض شيوخ المنطقة وأعيانها أن بني يونس فرعان: بني يونس العليا، ومن دواويرهم أزرو وتيزي وسلي وتاغلاست والحمام وحضرية وأولاد علي وإبحورثن؛ وبني يونس السفلى، ومن دواويرهم: العرقوب وهم شرفاء أدارسة وتاسنيت وبوعنقود وبني حازم وخبابة وسيدي علي بورقية وإزولال.

ومن دواوير إمزدورار: عين الحمراء وأجدير وإغناجن وتاسلويين وأفرزاز. وتامجونت وبورد والماء علي وبوزينب ولعزيب ...

ومن دواوير بني عاصم: هيبيل وإخوانين وإيهروشن وبني زروال وإهرسن وإبقرين وأكعبونن وإقروغن وأبرارت وإزكريتن وإبار وحُدود وهؤلاء شرفاء أدارسة.

ومن دواوير بني محمد: أولاد زيان ودراج وأيت تاير وبني بوجطو وأيت مسعود ...

أما أولاد علي بنعيسى، وكلهم شرفاء، فمن دواويرهم: أولاد عيسى وتيفزة ولحفائير والدواوير وتيزي ثري، وقد كانت مقرأً لجيش التحرير لكثرة كهوفها ومخابئها. وأوتكور وسيدي أحمد وموسى والدواوية وشعشعو عن والعرفات ...

ومن دواوير أكنول: إزمورن وبوسلي وأولاد عبد الله والناصور وتغزرتين - المريج وتاشربانت وعمارت وصاغور وتغمبوسين ...

وكذلك الجبارنة من دواويرهم: حمو بن عمر والجبارنة، وكانت تعرف بدار القائد المذبح، والعشامنة وأولاد حدو وسيوكان والسياح، وهم شرفاء أدارسة، وبرزغت وملال وبوحدود ...

الملامتين ممن كانوا ساقطي التكليف في المغرب والمشرق على حد سواء. وما شجعنا على وصف ملامتية المترجم له بالاعتدال هو تصنيف كتب التراجم له ضمن خانة التصوف السني، كما رأينا. والظاهر أن تأثيره بتعاليم ومبادئ التصوف الشاذلي الملتزم الذي مثلته الزرقية والجزولية في عصره كان وراء اعتداله في مسلكه الملامتي. وحسبنا علماً أن الشيخ عبد الله الجزار، سلك طريق الشاذلية قبل أن يكون ملامتياً، وتَشَّعَّ مبادئ التصوف الزروقي - والجزولي قبل أن يتأثر بتعاليم الملامتية.

وهذا كله يَسْمَحُ لَنَا بأن نقول إن التعاليم التي تبنها الشيخ عبد الله الجزار السالك الملامتي، سنية سنناً وأصولاً. بل لعل هذا المسلك هو الذي جعل من ترجم له لا يهتم بملامتيته. بل إن صاحب نشر الثاني، الذي أثار هذه المسألة، لم يشر إليها إلا عرضاً في ترجمة تلميذه الشيخ الشهير أبي العباس أحمد حجي دفين سلا، والمتوفى سنة 1103 / 1692 (نشر، 3، 58، 59).

ولم نقف على زائد يتعلق بترجمة هذا الصالح المكناسي غير ما هو منقوش في الخشب على ضريحه نقلناه من كتاب *إتحاف أعلام الناس* (4: 510-511) ومنه:

هذا ضريح سامي المقادر من قد شاع في الآفاق والأقطار
قف ضارِعاً متذللًا تلقَى المنى تُكفّ النوايب تحفظ بالأوطار
إن الوقوف ببابهم أصل الغنى ما في وقوفك ساعة من عار
وإذا قصدت لشل عبد الله ذا فاقصد وسل مولان بالجزار
توفي الشيخ عبد الله الجزار أواخر ذي الحجة عام
1061 / دجنبر 1651. وقبره شهير بمدينة مكناس بالقرب من
الجامع الأعظم.

م. الخياط، جواهر السماط في ذكر مناقب سيدي عبد الله الخياط، مخطوط؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*؛ م. القادري، نشر الثاني، ج 3، الرباط، 1407-1986؛ ع. عفيفي، الملامتية والصفوية وأهل الفترة، القاهرة، 1956.

أحمد الوارث

جَزَنَايَة أو زَنَايَة - بحذف أولها - والنسبة إليها جَزَنَائِي. ويُنطق بها اليوم كزَنَايَة - بتشديد النون - والنسبة إليها أَكزَنَائِي. وهي قبائل ذات أصل عربي يمني حميري انصهرت في قبائل نفزاوة الزناتية فصارت في عدادها. هذا الأصل العربي ذكره ابن خلدون في معرض حديثه عن نفزاوة ويطونهم وتصاريف أحوالهم.

تشغل قبائل كزناية مجالاً جغرافياً واسعاً في الريف الأوسط الداخلي، يمتد على طول حوالي مائة كلم من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. تحيط بها مجموعة من القبائل هي بني ورياغل وبني توزين في الشمال والشمال الشرقي والمطالسة في الشرق، وبني عمارت والبرانس في الغرب، وهوارة في الجنوب. تضاريس كزنانية في أغلبها جبلية ذات صخور

عرفت جزّانية منذ القدم بكثرة مساجدها وتعاطي أهلها لحفظ القرآن وتدارس العلوم الشرعية، ومن مساجدها العتيقة مسجد العرقوب ومسجد تاستيت ومسجد تاغياست ومسجد الدواير ...

وقد ذكر لي بعض المسنين أن حوالي ثمانية أعشار من أهل جبل العرقوب كانوا قبل الاستقلال يحفظون القرآن، وأن عدداً كبيراً من إناث نفس الجبل في أولاد علي بنعيسى يحفظونه كذلك، وهذا أمر ينفى الافتراءات التي ادّعاها مولييراس Moulieras في كتابه *المغرب المجهول Le Maroc Inconnu*.

ولعل ما يدعم فكرة انتشار التعليم أن التاريخ يحفظ أسماء عديدة لعلماء أجلاء من أبناء المنطقة نذكر منهم : أبا الحسن علي الجزناني صاحب كتاب جنى زهرة الآس، ومحمد ابن شعيب الجزناني من العلماء الذين اصطحبهم أبو الحسن المريني معه من تازا في حملته إلى إفريقية (تونس) ؛ وكذلك الشيخ الفقيه المشارك الحيسوبي الناظم الفرضي عمر بن عبد العزيز بن يوسف الجزناني، ذكره العلمي في *نوازل* وقال عنه *محققها* : "له رجز في علم الأوقاف ؛ وشرحه ؛ وله *نوازل* فقهية، أخذ عنه أبو الحسن بن موسى بن هارون المطفري ..."

لا نعرف بالضبط متى استقر بطن من بطون جزّانية في جبال بني إزناسن الجنوبية وانصهر مع سكانها وأصبح يُشكل اليوم قسماً مهماً من أقسام قبائل بني ادرار التي تشكل بدورها مع أهل تاغجّيرت وأولاد الغازي مجموع قبائل بني خالد اليزناسنية المتاخمة للحدود مع الجزائر ؛ إلا أن الغالب على الظن أن مكوّن هذا البطن قد هاجر إلى المنطقة في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وذلك حسب ما تجمع لدي من معلومات خصوصاً تلك التي استقيتها من تقايد اثنين من حفده المتأخرين، وهما : الفقيه موساوي محمد بن بنعيسى والشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد القادر الغول رحمهما الله، وفيها يذكران أن هذا الجد المهاجر هو محمد أحجار المعروف ببلاد أمسيردة الجزائرية على الحدود مع المغرب لأنه نزل بها أول الأمر قبل أن يستقر ببني إزناسن عندما قدم مهاجراً من العرقوب بجزّانية الريف.

وفيما يتعلق بنسبه فإن الراجع عندي حسب المعلومات المشار إليها هو أنه أحد أبناء علي بن عزوز جدّ الحجّارين الذين ما زالوا يقيمون بالعرقوب، وعلي بن عزوز هذا يوجد ضريحه غير بعيد عن العاصمة التونسية، مات هناك ودفن عند رجوعه من الحج، وقبره مزاراة إلى اليوم. وهو علي بن عزوز ابن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن يحيى بن محمد ابن يوسف بن داود بن عبد الله بن الطالب بن أحمد بن إبراهيم بن خلف الله بن المنير بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة بنت

رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبذلك يكون الجزنانيون المستقرون حالياً في بني إزناسن والمعدودون ضمن قبائل بني ادرار من أصل إدريسيّ شريف.

ترك محمد أحجار ولدين هما عمرو ومحمد الملقب بِشُو، ومن هذين الفرعين تنسّل هؤلاء الجزنانيون اليزناسنيون، علماً أن سلالة يشُو تجمع كلها تحت اسم أولاد يشُو أو بنيشُو، ومنهم الطائفة التي تحمل لقب "يشُوني".

أما أولاد عمرو فهم طائفتان كبيرتان : أولاد موسى وأولاد سليمان، تفرعت عنهما طوائف صغرى كثيرة وذلك لأن جدّهم عمرو ترك خمسة ذكور هم : عبد الله وقدر وسليمان وموسى ومحمد فلم ينتجب منهم إلا موسى وسليمان.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 135 ؛ م. العلمي، *النوازل*، 1 : 374 والهامش ؛ م. القادري، *نشر المثنى*، 1 : 264 ؛ م. المنوني، *ورقات*، 324 ؛ محمد العباسي، *شجرة الإدريسيين*، 1 : تقايد خاصة.

Moulieras. *Le Maroc inconnu*, 118 - 121 ; De Lacroix - De Lamartinière. *Documents*, 1 / 338 ; Voinot, *Oujda et l'Amalut*, 195.

محمد مرزاق

الجزناني، بيت قديم في فاس، أصلهم من الريف الأوسط الداخلي، وكان منهم فقهاء وأدباء ومؤلفون.

الجزناني، أحمد بن محمد بن شعيب التازي الدار الفاسي الاستقرار، يكنى أبا العباس ويرجع نسبه إلى قبيلة جزّانية المستوطنة ببلاد الريف الغربي، غلبت عليه النسبة إلى جده فعرف بابن شعيب:

وإذا كانت المصادر التي ترجمت للجزناني لم تذكر تاريخاً لولادته فإنها على العكس من ذلك قدمت لنا معلومات كثيرة تخص جوانب هامة من حياته الفكرية والعلمية.

تتلّمذ ابن شعيب الجزناني بفاس على مجموعة من كبار أساتذة عصره أمثال أبي عبد الله محمد بن أجروم في النحو، وأبي عبد الله محمد بن رُشيد في الحديث والفقه، وأخذ علوم الطب والهيئة بتونس عن الشيخ الطبيب يعقوب ابن أحمد راس.

وقد أجمعت نفس المصادر على وصفه بالفقيه الأديب، الكاتب الفيلسوف، الطبيب النباتي، المنجم الميقاتي، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تشيد بقدرته الفكرية وبراعته الأدبية ومشاركته في علوم متنوعة عقلية ونقلية، وتؤكد على مكانته العلمية بين علماء وقته.

كان المؤرخ الأندلسي أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر من أشد المعجبين بشخصية ابن شعيب الجزناني، وعبر عن

اندھاشه من درايتہ - وهو البربري الأصل - بمدارك الإعراب، وإتيانه من الفصاحة بما يشير الانتباه والإعجاب. وأنه لو كان من الأعراب لشمل في شعرائها، وحمل راية الكلام في أمرائها. كما اعترف ابن خلدون بما كان لابن شعيب الجزنائي من شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين، وأكد على إمامته في نقد الشعر. وبالفعل برع الجزنائي في قرض الشعر إذ حفظت لنا المصادر بعض قصائده في فنون متعددة كالرثاء والمناجاة والوجدان والشعر الفلسفي. وله أيضاً محاورات شعرية بينه وبين الفقيه العالم أبي جعفر بن صفوان (أو ابن رضوان) حول علم الصناعة (الكيمياء).

ومن الأبيات المأثورة عنه بيتان كان السلطان أبو الحسن المريني يحفظها وينشدهما عند العطاء والبذل وهما (من الرمل) :

يا إلهي يا إلهي ليس يخفي الحال عنكما
كلهم يطلب منسي وأنا أطلب منكنا

إلى جانب ذلك مارس ابن شعيب كتابة العلامة واشتغل بالتطبيب لدى كل من الملكين المرينيين أبي سعيد عثمان وأبي الحسن علي. وإذا كان هذا يبرهن على منزلة صاحبا عندهما وخاصة عند أبي الحسن، والعلاقات الطيبة التي كانت تجمع بينهما فإن ابن مرزوق يشير - مع ذلك - إلى أن السلطان كان ينفر من كاتبه الجزنائي لأسباب لم يذكرها صراحة، لكننا نفهم من كلامه أن أبا الحسن كان يمقت أهل التنجيم والناظرين فيه، وابن شعيب - كما نعرف - يعد واحداً منهم بالإضافة إلى اشتغاله بالعلوم الفلسفية، ولعل هذا هو السبب الرئيسي في حدوث تلك النفرة. وقد حاول ابن مرزوق أن ينفي عن صاحبه كل ما يطعن في اعتقاداته كاشتغاله بالعلوم الفلسفية حيث امتحنه بنفسه وذكره ويأحشه أكثر من مرة دون أن يكشف شيئاً يחדش في اعتقاده، فإننا نجعل اليوم كل شيء عن مؤلفاته وكتاباتة في الفلسفة والطب وغيرهما. وحتى قصائده الشعرية لا نعرف منها إلا أبياتاً معدودة متناثرة في المصادر.

توفي أحمد بن شعيب الجزنائي بعيداً عن بلده بتونس يوم عيد الأضحى من سنة 749 / فاتح مارس 1349 م بسبب الطاعون الأسود الذي جرف بلاد شمال أفريقيا وغيرها وأهلك كثيراً من العلماء الذين رافقوا السلطان أبا الحسن المريني في حملته إلى أفريقيا في نفس التاريخ.

ل. ابن الخطيب، ربحانة الكتاب، تج. م. عنان، القاهرة، 1982، ج

2، ص 407 : أوصاف الناس في التواريخ والصلوات، تج. م.

كمال شبانة، المحمدية، د. ت. ص 106-107 : الإحاطة، تج. م.

عنان، الطبعة الثانية، القاهرة، 1973، ج 1، ص 272-277، م.

ابن مرزوق، المسند الصحيح، تج. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر،

ص 375، 437، 439 : إ. ابن الأحمر، نشير فرائد الجمان في نظم

فحول الزمان، تج. م. رضوان الداية، بيروت، 1967، ص 240.

340-335-243 : نشير الجمان في شعر من نظمنا وإياهم الزمان،

تج. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص 254-255 : ع. ابن

خلدون، التعريف، تج. ابن تاويت الطنجي، 1951، ص 48 و 49 :

أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص 119-121.

303-186 : درة المجال، تج. م. الأحمدى أبو النور، القاهرة، ط

1، 1970، ص 45 : أ. بابا التبنكتي، نبيل الابتهاج، مصر، 1351،

ص 68 : أ. المقرئ، أزهار الرياض، تج. ع. الهراس وسعيد أحمد

أعراب، المحمدية، 1980، ج 5، ص 67 : ع. گنون، ابن عبدون،

أحمد بن شعيب الجزنائي، ضمن سلسلة ذكريات مشاهير رجال

المغرب، العدد 16، تطوان، د. ت.

رشيد السلامي

الجزنائي، علي، اشتهر بكنيته أبي الحسن، وكتبته

جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، وعلى الأصح فإن كتابه هذا يزيح عن شخصية بعض ظلال النسيان والإهمال الذي تسبب فيه معاصروه رغم كونهم نقلوا عنه، وأجمعوا على أن الكتاب من تأليفه. وقد مكنت إعادة قراءة مصنفه المذكور من العثور على إشارات كانت - على بساطتها - كفيلاً بكسر الصمت، واستحضار صورة الرجل.

وأول ما نعرف عنه أنه ينتمي إلى قبيلة جَزْنَاية (أَكْرَنْيَاية) الريفية المستقرة شمالي تازا. كما أنه عاش في القرن الثامن (14 م) إذ عاصر الاضطرابات التي عمت المغرب بعد نكبة السلطان أبي الحسن المريني بالقيروان وغرق أسطوله أمام ساحل بجاية (750 / 49-1350). ويظهر أن الكتاب ألف في حدود هاته المرحلة، فأخر سنة وردت فيه هي سنة 766 / 64-1365. أما معلوماته فيسوقها في إطار منهج لَمَح إليه في الخاتمة، وهو أن عمله لا يعدو التقييد لما سمعه من الناس، أو اختصره من المؤلفات التي نلاحظ أنه حرص على تعيين المعتمد منها ثم أضاف مشاهداته وما وقف على وصفه بنفسه، وبذلك نستطيع أن نضفي عليه صفة المؤرخ إلى جانب صفة الفقيه القادر على مناقشة الفتاوي والأديب المشارك في قرض الشعر.

وعلى الرغم من كونه فقيهاً متوسط الأسلوب، لا تخلو كتابته من أخطاء فإن كفاءته ظهرت أكثر في قوة تعبيره أثناء وصف الأشكال والألوان، وعند تسمية الأشياء الفنية والتقنية حتى ليحسبه الإنسان من أهل الحرفة. والجزنائي حسب مقدمته كان متطوعاً إلى الوظيفة إن لم يكن فعلاً قد شغل منصباً في الدولة، كما أنه عاش قريباً من مجال سيطرة الوزراء، فهو يهدي كتابه إلى الوزير عمر الياباني وينعته في مستهله بأضخم النعوت وأفخم الأوصاف. ويتضح أنه لم يستخ هذا التمجيد إذ نراه يحذف هاته المقدمة بعد اختفاء هذا الوزير المستبد. ولذلك أصبحت للكتاب نسختان أكثرهما رواجاً هي النسخة المختصرة. أما النسخة المطولة فهي التي اعتمدها عبد الوهاب ابن منصور في تحقيق الكتاب، وفي إعطاء هاته الصورة التي استقينها منها ملخصاً يحل علي الجزنائي محلّه بين أعلام وطنه.

ع. ابن منصور، ع. الجزنائي، جنى زهرة الآس، مقدمة هذا

الكتاب، الطبعة الثانية، 1411 هـ / 1991 م.

نفيسة الذهبي

الجزنائي، عمر بن عبد الرحمان أو بن عبد العزيز بن يوسف الفاسي. ذكره ابن القاضي في جذوة الاقتباس في جملة فقهاء فاس، وحلّاه بـ"الفقيه الحيسوبي الناظم الناثر الفرضي". كما ورد في المعيار بعض فتاويه. ومن أخذ عن الجزنائي الفقيه علي بن موسى ابن هارون المطغري. أُلّف الجزنائي مسائل فقهية، ونظماً في الأوقاف وشرحه.

توفي بعد سنة 911 / 1505.

أ. الونشريسي، المعيار، 1: 344، 355 و357 و360 و361؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 2: 495؛ درة المجال، 3: 204؛ أ. باب التبتكي، نيل، 197؛ م. ابن تاويت، الوافي بالأدب العربي، 2: 613.

محمد حجي

جزولة، - بالجنوب - قبيلة تاريخية كبرى، تستوطن

وتراقب سلسلة جبال الأطلس الصغير وبعضاً من مسالك الصحراء المجاورة. هكذا يورد الجغرافيون العرب هذه الصيغة من حيث هي كتسمية، إلا أنه من اللازم لفهم الإشكال الذي تطرحه هذه التسمية، الانتباه إلى أن الأمر لا يتعلق بقبيلة تاريخية أكثر مما يتعلق بصيغة تحريفية أسهمت في تعقيد رموز التاريخ المحلي، شأنها في ذلك شأن كلمة جيتول Getules التي أوردتها المصادر القديمة.

إننا إذا أخذنا فصائل شعب لايمتلك إلا لسانه الأصلي، ولا يمكن للكلمة أن تكون بالنسبة إليه إلا كلمة ذلك اللسان، وهو بالتالي غير معرض للكلمة الغربية المطلسة، سنجد أن فصائل كهذه لا يمكنها أبداً الخروج عن قاموسها النابع من نظامها اللسني. من هنا فإن صيغة إيكزولن تعد هي الصيغة الأمازيغية الوحيدة الضرورية لفك رموز التاريخ المحلي، لارتباطها بعدة معانٍ يختلف كل منها باختلاف الاصطلاحات المحلية.

تفيد كلمه إيكزولن الإنتاج وتربية الأغنام (De Foucauld, Dictionnaire, II. 543, 787 - 908 ; III. 1065 : E. Laoust, Mots, 474 - 483) أما صيغة إيكسولن فتفيد سكان سلسلة جبال الكست (الأطلس الصغير) التي تستمد بدورها تسميتها من جودة ووفرة أصواف أغنامها. أما صيغة إيكزولن فتعني صفار القامة المرتبطين عادة بسكنى الجبل. على أن لهذه الصيغة معنى رابعاً مستمداً من مفهوم توركرة الذي يفيد معنى الشجاعة والرجولة.

نرى إذن أن الصيغة الأصلية تدرك بشكل مغاير تماماً، وبدقة أكثر، فالمسألة لاتتعلق بقبيلة تاريخية أكثر مما تتعلق بتحريف لتسمية أخذتها فصائل وتجزئات محمّلة بكل التصنيفات المقولية الممكنة. وهذا ما يعني في كل الحالات أن معنى التسمية لايفيد معنى إثنيا بقدر ما يكشف عن نمط معيشي. ما يؤكد هذا المعطى هو شروط التداخل

والتلاقح بين فصائل بشرية عرفت حسب المؤرخين القدامى تحولات مجتمعية ومجالية حتى في المناطق التي بزغت فيها وحيث اتخذت شكل فصائل متميزة بعضها عن بعض. هذا ما أوضحه بُوليب Polybe الذي ميز "قبائل الأوتولول الجيثوليين" عن "الجيثوليين الدرعيين" وعن "الإثيوبيين الدرعيين". أما بِلِين Pline الذي يعد أكثر الكتاب القدامى ذكراً للجيثول في كتابه الخامس وبالفرقة 201 من كتابه السادس، فإنه يعتبر الأوتولول (إيوليتين - إذا أولتيت) وحدثهم أقوى "القبائل الجيثولية" مضيفاً أنهم يمثلون دون غيرهم اتحادية قليلة. تكمن أهمية هذه المقولة في كونها تكتسي بعداً أساسياً يكشف عن شمولية الاستعمال اللفظي لصيغة الجيثول التي تتجاوز كما نرى منطقة الأطلس الصغير إلى امتداد الصحراء الأطلسية. وهو طابع دلالي يدفع بمختلف فصائل واتحاديات إيزناكن (صنهاجة عند الجغرافيين العرب) تحت صيغة الجيثول القدامى. فحتى إذا فصلنا هذه الاتحاديات عن باقي الإثيوبيين الأحباش، تأكدنا من أن صيغة إيكزولن كانت تهيمن في ميدان الدلالة اللسانية ذات الطبيعة التصنيفية. هذا ما يؤكد الباحث Vysyehil الذي استطاع أن يثبت انطلاقاً من مقارنة لسانية الارتباط الفعلي بين صيغتي إيكزولن وإيكدالن (كدالة) مزكياً فكرة انتمائهما إلى نفس الأصل. لم يكن من شأن ممارسة إيكزولن وإيكدالن أن تختلف عن ممارسات القبائل الصنهاجية الأخرى كإيليمضن (لمطة) وإبوليمضن (لمتونة) وإيسوفن (مسوفة) الخ. وإذا كنا نجهد بالضبط إلى أي مدى يمكن دمج الأحباش الحراطين بهذه التقسيمات الجيثولية، فإن شروط التلاقح والتداخل تتبلور وتتقوى انطلاقاً من إشارات ابن حوقل (صورة، 99-100) وابن خلدون (العبر، 3، II. H.B.). إن وجود لسان تصاقبي (Onomatopique) بدائي مشترك يعد أمراً واقعياً ومعيارياً قاراً لتغليب حقيقة تاريخية مشتركة من الجوار والتداخل.

إننا إذا اعتمدنا مصادر الجغرافيين العرب خلال عهد المرابطين استخلصنا الارتباط العضوي الذي كان يجمع مجالياً بين جزولة ولمطة وهوارة. فالتحالف كقاعدة للتعامل يحلنا إلى معيار يصلح كأرضية لتحديد النزعة المشتركة. لم تكن هذه النزعة تقتصر على مراقبة الأطلس الصغير وباني ووادي نون، بل كانت تمتد حسب أبي عبيد البكري إلى ملتقى جميع مسالك الصحراء الأطلسية بوانوزمين لغزو القوافل والإبل. إلا أن هذه النزعة لاتكفي وحدها لتلمس واستكشاف المبادئ الأساسية لنظام التحالفات. هذا ما أكده عبد الواحد المراكشي حين أضاف بأن مجال القبيلتين جزولة ولمطة يعد حكراً على أبنائهما. فبينما لم يكن يسمح لغير جزولة بالإقامة طويلاً بالمحمدية وإيگلي، كانت نول لمطة ممنوعة على غير اللمطين لا يسمح للغرباء بالإقامة بها إلا المدة الكافية لإبرام عمليات تجارية. نرى

من هنا أن مثل هذه المقاييس العملية تفصح عن احتكار تام ومستمر للمجال يبدو يومها المبدأ الأساسي للنزعة الذاتية. على أنه يصعب جداً الوصول من خلال هذه المصادر إلى قوانين اجتماعية مكملة لهذه السمات الرئيسية ولنسقي من الممارسات المشتركة. يجب انتظار الغزو الموحد للمنطقة لنكتشف عن مواقف مختلفة. فبعدما تمكن الموحدون من غزو حصون جزولة ومدنها بالأطلس الصغير بعد محاولات متكررة، يفيد البيدق وابن عذاري أن توحيد القبيلة قد شق جبهة تحالفها مع لمطة التي واصلت صمودها إلى سنة 547 / 1153. فبعدما كانت القبيلتان قد شكلتا عنصرين هامين اعتمدهما المرابطون في سياستهم الهجومية إلى ما وراء تلمسان، جاء التسلط الموحد ليضعهما أمام محك الخضوع السياسي والهجرة والتفكك التدريجي.

نصل من هنا إلى صيغة جديدة تكشف أن ما كان مبتدأه المصلحة المشتركة أصبح منتهاه انعدام التطابق في المواقف أمام الغزو الموحد. إذا حاولنا أن نعرض لخصائص ما بعد هذا الغزو خلال منتصف القرن السادس (12 م)، سنسجل أنه بينما حافظت فصائل إيگزولن على هيكلتها بحكم استسلامها، تسبب التقتيل الجماعي والهجرة إلى الصحراء في تفكيك فصائل إيليميضن المحلية. هذا ما سيؤكداه ابن سعيد ابتداء من بداية القرن الموالي ليكشف عن وجود قرائن تثبت عدم انصهار ما تبقى من الفصائل اللمطية في قبيلة جزولة (إيگزولن) وقيام كل فصيلة منها على الذاتية الفردانية. على هذا الأساس سيتبلور المحيط المجتمعي الجديد كتغيير خالص عن بداية استقرار إيگزولن بتاكاوست وتغاجيجت عاصمتي وادي نول بعد نول لمطة.

ومع ابن خلدون سيتحدد السياق الأوسع الذي كونته مجموع شروط الحياة بالأطلس الصغير وباني ووادي نون الساقية الحمراء منذ وصول المعقلين الشبانان وذوي حسان إليها. لقد تكالبت الكوارث الطبيعية والاجتماعية على هذه المناطق خلال القرن الثامن (14 م) لتجعل من صيغة جزولة إيگزولن النواة المركزية للغور السكاني اللمطي - الجزولي - الحارطاني. وإذا كان تبني المشجرات العربية وخاصة منها الشريفة قد بدأت تربط منذ ما قبل هذه الحقبة أشكال التفاعل القبلي بشروط مجتمعية، فإن الوصول المعقلي تسبب بشكل واضح في تقلبات وتموجات المناخ المجتمعي. هكذا تتراكم داخل نفسية إيگزولن تغييرات وانزلاقات لا تكاد تحس والتي تجد تعبيراً لها بعد أمد طويل، في وفرة مشجرات الشرف (م. السوسي، إيليغ، 3-10). وإذا نحن حاولنا دراسة نفسية جزولة خلال القرنين التاسع والعاشر (15-16 م) وجدناها محصورة فيما تتضمنه من أغراض.

أهم هذه الأغراض يعد هو تلك التحولات المجتمعية التي اتخذت ببلاد جزولة منذ نهاية الموحدين شكل صراع مذهبي بين السنيين وبقايا المتشبهين بالمذهبي الشيعي

والخارجي. كانت مختلف أشكال هذا الصراع تتفاعل بكيفية محسوسة جداً مع كل تقلبات وتموجات المناخ العام بمدينة تامدولت. هذه المدينة ظلت إلى حدود بداية القرن الثامن (14 م) بمثابة العاصمة الدينية والثقافية التي عرفت ببلاد جزولة تراكمات عقائدية بطئية دونت منذ المرابطين مراحل انتقالية أكثر قوة من باقي الجهات الأخرى. وإذا كان الصراع العقائدي يبدو السبب الأساسي في تخريب هذه العاصمة، فكل الذين ينسبون أنفسهم اليوم ببلاد إيگزولن لجعفر بن علي بن أبي طالب يرون أن أصلهم من تامدولت (م. السوسي، المعسول، 18-167). كما أنه إذا لم يتسن لسكان تامدولت المحافظة على خصوصياتهم المذهبية، فإن مالم يقع توضيحه هو الدور الخصوصي للرواية الشفوية في الكشف عن خبايا هذه الفترة الحاسمة. إن خصائص الرواية الشفوية بوصفها دليلاً لاواعياً تجعل منها أكثر الأدوات ملائمة لتوجيه البحث. لم تصل الأبحاث الميدانية الحالية إلى سر تعدد الاحتمالات بشأن تشكل لفي تاكوزولت وتحاكات على امتداد الأطلس الصغير وباني. فمشكله صراع المذاهب تعدد من أعقد الأسباب في بلورة هذين اللفين لا توفر إلا صورة منفصلة لاتسمح بأكثر من رؤية ساذجة ومجردة. يبقى دور طاعون عام 749 / 1348 الجارف كأساس لمرحلة من الصراع المفتوح بين الغور السكاني الأقدم والواردين عليه تحت ضغط المد المعقلي من أيت أ مريبط وإدا أ وحربيل وسكتانة. تحتل بذلك الهجرة إلى بلاد إيگزولن حيزاً شاسعاً لا يمكنه أن يجيب عن كثير من الأسئلة حول تنوع العلاقات الفردية والجماعية بين فصائل وقبائل اللفين.

لم يكن حمل اللثام والتحلي بالخناجر مقصوراً على صنهاجة الصحراء دون باقي أهالي الأطلس الصغير. فكتابات Polybe و Pline تشتهد على أن إذا اولتيت (ولتيتة) كانوا يتميزون بنفس الموصفات كزراعة أغنام يراقبون جبل الكست. أما إيجاضن (مجاط)، فإن تعدد فصائلهم بالصحراء وبجبال الأطلس الصغير يشهد على مدى حجم انتشارهم. فنحن إذن أمام صيغ قرابية وأشكال متميزة تكشف للمدقق عن تنوع العلاقات التحالفية داخل كيان شبه متحول يجسد الحراطين الغور السكاني الجزولي الأقدم. لايسعنا في هذه المنظومة إلا أن نتعرض لقضايا ملموسة تحدثنا عن نوعية العلاقات بين مكونات إيگزولن. فنحن إذا توجهننا إلى أكرض القريبة من مكان ولادة عبد الله بن ياسين الجزولي مؤسس دولة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) (انظر مادة تججگگالت ايت تيكني بالمعلمة)، وجدنا نظاماً من المعايير المجتمعية يكذب على امتداد القرون كل النماذج السائدة حول سلم التراتب الاجتماعي بين هؤلاء وأولئك. فقد وصل إلى عين المكان سيدي محند أوبراهيم الشيخ قطب سوس الثاني خلال القرن العاشر (16 م) ليجد أكثر المحليين احتفاءً بمقدمه هم

الحراطين وأشدهم تدمراً هم المرابطون. أدى تناقض المصالح تدريجياً إلى بلورة تحالف دائم بين القطب والحراطين في مواجهة المرابطين. ومن القرائن التي تكشف حقاً مدى عمق التحالف بين الطرفين استئثار الحراطين إلى يومنا هذا بقسم من الذبائح الموجهة إلى ضريح الشيخ (المسول، 18 : 170) إننا إذا ما حاولنا من وجهة نظر موضوعية حقاً تحديد معالم الهوية الجزولية بمنطقة أفا القريبة مثلاً، وجدنا الحراطين يستعملون السلاح الناري إلى مابعد جمادى الثانية عام 1130 / أبريل - ماي 1718 في قتال المرابطين، مساندين في ذلك من طرف حفدة القطب محمد بن مبارك الأقاوي (م. السوسي، خلال جزولة، 3 : 65). فهل يمكن اعتبار هذه الخصائص المحلية ذات أهمية نسبية؟ إن نوعية العلاقات القائمة بمجمل بلاد جزولة بين الغور الحرطاني والغور المتبقي من جزولة ليكمل هذه الصورة بما يحد بشكل حاسم من السائد المعيارى حول وضعية الحراطين المتردية. فالمنظور السائد من خلال الدراسات الحديث بهذا الشأن يعد ساذجاً ودون أي أساس في واقع الأحداث.

إن التداخل والتلاقح بوصفهما أداة أمثل للتعبير عن كيان من القبائل والفصائل ليعكسان نظام الصيغ التكاملية بين فصائل جزولة. ومن الملائم أن نوضح هنا دور الأقطاب الصوفيين الجزوليين وغيرهم الذين رأيناهم يتخذون مواقف تحالفية مع الحراطين الذين لم يرد أي تمييز لهم خلال المصادر عن باقي الفصائل المحلية. فإذا كان محمد بن مبارك المصمودي الأقاوي الذي تصفه المصادر المعاصرة بالولاية الكبرى والخصوصية العظمى، قد جعل من التساكن والسلم أدواته لتثبيت سلطته الروحية والسياسية على الغور السكاني، فذلك لعلمه بقواعد المعاملات المحلية. لقد كان يدرك أنه مهما كان عمق الاختلافات ذات الطابع السياسي والحربي والتاريخي، فإن من شأن الرئيس أن يثبت السلم ويعيد إلى الأسواق أمانها. لم تكن أفا بعيدة عن تمارت حيث ولد مؤسس دولة المرابطين الذي كان يمثل رمزاً حياً يومها ونموذجاً يقتدى به. لقد نقل محمد بن مبارك ويلغ ما فهم من علم واستكشف أو ورث من عادات. وهو بذلك ينهج نهج الإمام الذي يرفض الإمارة ويعين لها ويؤسس أرضيتها السياسية والدينية. لقد تمت وترعرعت دولة جزولة على يديه بعد أن عين لها من يراه أميراً لائقاً. (مناهل الصفا - الدوحة). كان من بين أشياخ محمد بن مبارك الأقاوي القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي. وبعد هذا القطب أكبر وجه للجهاد ضد المد المسيحي. فهو الذي وضع تردد وحيرة جزولة في سياقها الجهادي. ويكمن خطابه الأساسي في قدرته على تحريض الجزوليين ضد الإيبيريين وحلفائهم المحليين. كانت أشكال بث الخطاب الجزولي قد اعتمدت الصرامة والنزعة السلطوية التي ميزت الإمام عبد الله بن ياسين. وبهذا يكون الخطاب المباشر للإمام الجزولي في تقديم الأثر الحلي المتولد عن إمام المرابطين قد طبع محمد

ابن مبارك الأقاوي. ندرك من هنا لماذا استطاع هذا الأخير أن يمثل الرمز الكبير الذي عكس اتجاهات وأشكال التعامل الممكنة مع النموذج المرابطي الأمثل.

مثل الحرطين الوارد ذكرهم بصورة الأرض لابن حوقل قسماً من جيش وأمراء المرابطين قبل وبعد ابن ياسين. وهي حقيقة لا يمكنها إلا أن تحدد هوية إيكزولن الشاملة في إطار من التنوع والخصوصيات المتعددة. لقد حددت التيارات الإسلامية لحيوية الوجود الحرطاني تعبيرها المحلي في صيغة تاكوشت. وهي صيغة تقوم عند تخوم القواعد الكلامية حول الهوية الجزولية. فعلى عكس ما يذهب إليه المتعلمون من أبناء المنطقة في رواياتهم المكتوبة، نجد التحدث العفوي عن تاكوشت لا يستعصي بسبب فردانية ما أو أية خصائص مميزة أخرى. بل إن في صيغة تاكوشت نفسها ما يقتضي مقارنتها بصيغة تاكوزولت في تأكيدها علي وجود عالم داخلي خاص يتوفر على ما يكفي من الطاقة الحيوية لاستمراره بعد القرون. فالصيغة تعد وطيدة العلاقة بظروف الاستعمال الشفوي العفوي حيث تبدو كمن يجسد وضعية اجتماعية متماسكة. أية رواية حول تاكوزولت مهما كانت دالة وتامة بذاتها لا تكون سوى جزء من تيار التواصل اللفظي المستمر بصيغة تاكوشت.

هذا ما يمكن أن يتأكد منه أي متفحص للوثائق المحلية بالمنطقة الممتدة من رأس الوادي إلى المحيط الأطلسي مروراً بجبال الأطلس الصغير ووادي درعة. كان الارتباط العضوي بالمكان يعتبر المكمل اللفظي الذي يصوغ المكونة البشرية علي صيغة (أيت المكان الفلاني). وهي صيغة قد تجمع بين عدة وحدات قرابية متفاوتة الارتباط النسبي مما يسلب كل وحدة هويتها الخاصة. كما لم يكن من شأن التقسيمات على الأثلاث أو الأرباع أو الأخماس أن تؤثر بشكل حاسم في تيار التواصل القرابي بين تجزأت الوحدة القرابية الواسعة الانتشار. بل نجد صيغ تاكوشت وتاكوزولت وتحككات تظل وحدها المستوى الأعلى للانقسامات الذاتية. فنجد السلطان أحمد المنصور الذهبي سنة 988 / 1580 وقد حرر إذا اوزدوت وإذا أوكنسوس من الوظائف المخزنية لأنهم كانوا في "فتنة" مع من كانت تنسبهم الرواية المحلية يومها إلى عبد الله بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب (ديوان قبائل سوس، 110). كما نجد في نفس الديوان فصائل ايت موسى أوداود وأهل تاحكات وغيرها من الفصائل المناهضة للهوية الجزولية ضمن جرد يتعمد الخلط بين هؤلاء وأولئك. وهو بذلك يجبر الخطاب السعدي على التجسد والتحقق في تعبير مخزني محدد يندمج مباشرة في السياق غير المعبر عنه. نسجل هنا بأن أشكال التصاير الإثني لا يمكنها أن تبدو جلية في الحالة الغالبة التي تربط الفصيلة باسم مكان استقرارها. أما حين تتحدد الهوية من خلال جد اسمي، فإنها تعبر عن نواة صلبة ودائمة للتوجه المجتمعي القبلي.

318-332 : R. Roget. *Le Maroc chez les auteurs anciens*. Paris, 1924 ; M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane*, Paris, 1877 ; Albert (Lieutenant), *Renseignements sur la tribu des Halen Sous*. *Anti-Atlas*, Arch. S.H.A., 1914, 13 p. ; Id. *Les Ida Ubaqil*, Arch. S.H.A., 1915, 9 p. ; Aubert (Capitaine), *Les Harratine de l'annexe de Tafingoult*, Arch. S.H.A., 1913 ; Lieutenant Bourguignon, *Tiznit*, Arch. S.H.A., 10 p., 1913 ; Id. *Reconnaissance aux Ida ou Zekri*, Arch. S.H.A., 20 p., 1917 ; Capitaine Bullé, *Les Ahl Tata*, Arch. S.H.A., 15 p., 1938 ; Id. *Les Id ou Blal*, Arch. S.H.A., 15 p., 1938 ; Capitaine Chotté, *Aït Ouuribete*, Arch. S.H.A., 1950 ; Lieutenant Deléris, *Les Ahl Tissint*, Arch. S.H.A., 17 p., 1915 ; Capitaine Gascon, *Etude sur les "Ieffs" Tahougat et Igouzoulen dans les tribus de l'annexe des Aït Baha*, Arch. S.H.A., 27 p., 1946 ; Id. *Les Aït Ouadrin*, Arch. S.H.A., 7 p., 1916 ; Capitaine Moureau, *Les sociétés des Oasis. Une race : Les Harratin*, Arch. S.H.A., 18 p., 1955 ; Capitaine Parent, *Confédération des Ammeln*, Arch. S.H.A., 39 p., 1953 ; Capitaine de Reure, *Les Ahl Aglou*, Arch. S.H.A., 1938 ; P. de Cenival et T. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès 1506 - 1507*, Paris, 1938 ; G.S. Colin, *Des juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au XVIe siècle*, *Mélanges Lopez-Cenival*, 53-66, Paris, 1945 ; C. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883-1884*, 2 vol., 188 ; Jacques Meunié D., *Greniers-citadelles au Maroc*, 249 p., Paris, 1951, 2 vol. ; Id. *Hiérarchie sociale au Maroc présaharien*, *Hesp.*, 1958, 3-4, 239-269 ; Id. *Sur l'histoire des populations sahariennes*, *ROMM*, n° 11, 1er sem. 1972 ; L. Justinard, *Poèmes chleuhs recueillis au Sous*, *R.M.M.*, 1925, 2ème trim. ; Id. *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe s.*, *Hesp.*, 1925, 3 ; 1926, 4 ; Id. *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe siècle*, *A.M.*, XXIX, 1933 ; Id. *Notes d'histoire et de littérature berbère*, *Hesp.*, 1949, 3-4 ; A. de La Porte Des Vaux, *Notes sur le peuplement juif du Sous*, *BESM*, XV, 1952, n° 54, n° 55, 629-632 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVIIe s. : Tableau géographique d'après Léon L'Africain*, Alger, 1906 ; R. Montagne, *Les berbères et le makhzen*, Paris, 1930 ; Id. *La limite du Maroc et du Sahara atlantique, VIIe congrès de l'IHEM*, Paris, 1930 ; V. Monteil, *Gens et choses du Bani*, *Hesp.*, 1946, 3-4 ; B. Rosenberger, *Tamdukt. H.T.*, 1970.

مصطفى ناعمي

جزولة، - بالشمال - حسبما ورد شكل اللفظ بالوثائق

المخزنية. وينطق بها محلياً إگزولن وإيزولن. فرقة تحتل المرتبة الثانية من حيث عدد سكانها ضمن قبيلة بني بوفورور القلعية بعد بني بوغمرن. تشغل المداشر المكونة لها التلال الجنوبية الغربية من كتلة جبل وكسان. موزعة حول مجرى واد سوق خميس جزولة من لدن منبعه بعين بوهرارة إلى مدخله في سهب براقه عند جبل أفرا (العافية).

ليست لدينا معلومات أولية عن سبب إطلاق اسم جزولة على التجمع السكاني الأصلي الوارد على أرض بني بوفورور، وما إذا كانت له علاقة بجزولة الجنوب المغربي. وكل ما أمكن التوصل إليه أن الاسم ذا الدلالة البشرية جد قديم، وربما وجدنا العلة في وصول أولى فيالق جيش

نرى إذن تداخل الأشكال المركبة لفصائل جزولة إگزولن يتولد عن طبيعة تنظيمية لأنماط السلوك إزاء الجار، ونسجل بأن هذه الصيغة غالباً ما تدخل في السياق اللفظي للإفصاح عن قوة الشعور الجماعي في حالة تعرض أي تجزئة للغزو، وكأن هذا الغزو قد شمل مجمل إگزولن. إلا أنه يصعب انطلاقاً من هذا الشعور الجماعي الوقوف على الفرق بين معاملة إگزولن لبعضهم البعض ومعاملتهم مع غيرهم كتحركات مثلاً. فثمة منهجية لم تعن بها حتى الآن الدراسات هي البحث في الروابط المتضمنة داخل مختلف الصيغ المنبثقة عن إگزولن. ذلك لأن من شأن هذا الحوار الداخلي أن يخضع للدرس مجمل الأدوات المقروءة والمسموعة في حدود مقالات وتحديثات معينة. وبناءً على ذلك، فإن كل العلاقات بين مختلف الصيغ تعالج أشكال التكون المفهمي الأولي. بهذه الكيفية يصير تاريخ الصيغ اللسانية تاريخاً للأشكال المنفصلة التي تنمو بالرغم عن كتلة الهياكل المتداخلة في مجموعها.

ع. الأدوزي، اليعقوبيون، مخطوط : محمد الإكراري، روضة الأفتان، مخطوط : م. البعقلي، مناقب البعقلي، تح. م. المختار السوسي، 1987 : ع. التمنارتي، الفوائد الجمّة، مخطوط : علي ابن حزم، جمهرة أنساب العرب : إبراهيم الحساني، ديوان قبائل سوس في عهد السلطان المنصور الذهبي، تح. عمر أفنا، 1989 : عبد العظيم الزموري، بهجة الناظرين، مخطوط، خ. ع 1622 : عبد العظيم الزموري الأصغر، تقييد حول الشرفاء بالمغرب، مخطوط، خ. ع 1512 : م. المختار السوسي، الإلغيات : إيلغ قديماً وحديثاً : الترياق الداوي : خلال جزولة : رجالات العلم بسوس : سوس العالمة : مدارس سوس العتيقة : المعسول : من أنواء الرجال : محمد العثماني، ألواح جزولة والتشريع الإسلامي، مخطوط : ح. الزوزان، وصف أفريقيا : أ. ابن القاضي، درة الحجال، القاهرة، 3 أجزاء، 1970. 1974 : م. الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، 1958 : الحبيب البوسليمان، روضة الأزهار ونزهة الأبصار، مخطوط : أحمد بن المهدي الغزال العيساوي الجزولي، النور الكامل في مناقب فحل الرجال الكامل سيدي محمد بن عيسى، مطبعة مصر، بدون تاريخ : محمد سالم ولد الحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، جوامع المهمات في أمر الرقيبات، تح. مصطفى ناعمي، 1992.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc Maurétanie tingitane*, *A.M.*, 1904, p. 342 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id. *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique*, *Vle av.-IVap J.C.*, Rome, 1978 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien controversé - le périple de Polybe*, 146 av. J.C., *Hesp.*, XXXVI, 1949 ; M. Naïmi, *Nul Lamta ou l'éveil du sens étymologique*, in *Le Nom Géographique : Patrimoine et communication*, actes du premier colloque national sur les noms géographiques, Rabat, 1992 ; P. Pedech, *Un texte discuté de Plin - Le voyage de Polybe en Afrique*, *Histoire Naturelle*, tomes V, IX, X, *R.E.L.*, XXXIII, 1955.

الموحدين إلى قلعية سنة 535 هـ بقيادة عبد الرحمان بن زگو الذي استنزل قائد المرابطین ماكسن بن المغز من قلعة مليلة (ح. الفكيكي، قلعية، 1 : 40). وحجنتا على قدم استقرار جماعة جزولة بالمكان تحول الدلالة البشرية إلى مجرد دلالة جغرافية وإدارية قبل سنة 939 / 1533، حسب المستنقح من تقييد نسب قبيلة قلعية.

يبين التقييد إطار التشكيلة السكانية الجديدة المكونة آنذاك لفرقة جزولة نتيجة اندفاع فلول بني مرين وأحلافهم نحو أراضي الشمال الغربي المغربي. هكذا سجلت وثيقة نسب قبيلة قلعية هجرة الأسرة الخرياشية (إخرياشن) وهي من قبيلة سجع الهلالية، استقرت بين مجرى واد الخميس بمقربة من تل إدْمُرُون. ثم الحمر (إحمرن) الهلاليين الذين حلوا بالمكان خلال القرن السابع (13 م)، استقروا بموضع تحاضيت. وإعراصن (أولاد أعراص) الواردين من مدشر العرص الكائن بيني يطوفت مع بداية الدولة الوطاسية. أول من نعرف منهم بقلعية قائدها علي أعراص (معلمة المغرب، 2 : 512) استقروا بجوار تل أفرا. وكذلك أولاد يحيى إعلاتن الذين هاجروا من بني توزين قبل القرن العاشر (16م) موطنهم جنوب تل أفرا. ونضيف إليهم أولاد زكري (إزكرياتن) ويوجدون حالياً أيضاً بجوار أفرا. ثم سلطانة (إسلطانن). الذين أشار التقييد المذكور إلى أصلهم الفكيكي، استقروا بإبركانن بموضع تالانيجضاض. ثم بني محمد كانوا مستقرين بجوار تل أفرا. وأولاد يعيش (بولعيش) هاجروا إلى فرقة جزولة من بني مسارة.

وقد أشار مولييراس (A. Moulieras) إلى سوق خميس جزولة (Le Maroc inconnu, 166) الوارد بالمصادر الإسبانية العائدة إلى بداية القرن الحالي أن فوقة جزولة تكونت آنذاك من ثلاثمائة كانون أي نحو ألف وخمسمائة نسمة. وإلى غاية 1931 لم يطرأ على هذا العدد أي تغيير ملحوظ (Vademecum, 53).

ويتتبع الوثائق المخزنية نتعرف على دور الفرقة في سياق أحداث قلعية على عهد السلطان الحسن الأول، ومن خلال ذلك التتبع وجدنا أنها هي التي تزعمت التمرد على قائد قبيلة قلعية المعروف المختار ألغم، وبه انتزعت استقلال خمس بني بويرفور لصالح أحد أعيانها المعروف حميدة بن شلال العلاتي سنة 1298 / 1881 (معلمة المغرب، 6 : 1903). ونعلم كذلك أن النزاع الذي احتدم بين ابن شلال والأمين محمد المحرق كان من ورائه بعض أعيان فرقة جزولة، وهي نفس الفرقة التي تولت العصيان على قائدها ابن شلال سنة 1306.

ونعرف منذ سنة 1308 شيخين من شيوخ جزولة هما : عمر بن الكنش الجزولي ومحمد بن الدريوش الجزولي، استدعاهما الحسن الأول للمشاركة، ضمن أعيان الريف كافة لحضور مراسم تعيين حدود توسعة أراضي مليلة المحتلة، ومراقبة سير عمليات الرسم وفق الاتفاق المبرم بين

المخزن المركزي والإسبان في تلك السنة. ومن أعيان جزولة كذلك أولاد حوجة.

مرت تجمعات فرقة جزولة بمرحلة جد خطيرة منذ بداية القرن الحالي، ابتداء من التجاء بوحمارة الزهوني إلى قلعية عام 1905 أولاً، وخلال الزحف الإسباني على أراضيها سنة 1909 ثانياً، وأثناء الثورة الريفية في المقام الثالث.

لعبت فرقة جزولة البويرفورية دوراً أساسياً خلال ثورة بوحمارة بالشمال الشرقي منذ توصله ببيعة أهل الخمس عام 1903 واستقراره بقصبة سلوان ابتداء من 25 أكتوبر سنة 1905 ومساندة قائده محمد بن حميدة بن شلال العلاتي (مذكرات التراث المغربي، 5 : 37).

ولم يطل ولاء الفرقة لقائدها ولبوحمارة، إذ سرعان ما استجابت لنداء المجاهد الشريف أمزيان والالتفاف حوله لمناهضة حركة الثائر بوحمارة. ففي أكتوبر 1908 جمع الشريف جيشاً مؤلفاً من قبائل ناحية الكرط، زحف به نحو خميس جزولة، وتمت له هناك مبايعة المولى عبد الحفيظ لأول مرة، بعد دخوله إلى مدينة فاس أول يونيو 1908. وتلك القوات انحلت قوات بوحمارة عن قصبة سلوان وانكشف الخطر عن أراضي جزولة.

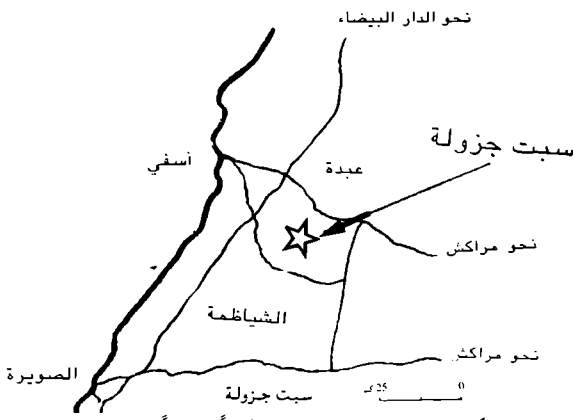
خرجت فرقة جزولة من نطاق محنة وجود بوحمارة لتندمج كلية في حركة مقاومة الزحف الإسباني خاصة، إذ أن سوق الخميس كان نقطة تمركز المجاهدين المنضوين تحت لواء الشريف محمد أمزيان، كما أن معدن جبل وكسان الذي ظل مصدر إغراء أساسي للقوات الحربية الإسبانية. يقع بأراضيها.

دق ناقوس الخطر بالنسبة لجزولة منذ مستهل خريف سنة 1909، إذ أن الجيش الإسباني احتل مدينة الناظور يوم 25 شتيمبر السنة، وحل بقصبة سلوان بعد سهب بوغرگ، كما أنه بنى قلعة تينگمرت (Touima) في نفس السنة على تل بارز جنوب جزولة مشرف على بحيرة بوغرگ (معلمة المغرب، 7)، وغدت أراضي الفرقة مطوقة من جهاتها الثلاث باستثناء الشمال. ولكن الوقت الحاسم تمثل في الزحف الإسباني بلفيفه الاجنبي نحو سوق الخميس يوم 30 شتيمبر 1909، لتتم بساحته معركة كبرى بقيادة الشريف محمد أمزيان، كان من نتائجها مقتل الجنرال ديبسث فيكاريو (Diez Vicario) وتأخير وصول الإسبان لأزغنفان إلى يوم 26 نوفمبر 1909 (مذكرات التراث المغربي، 6 : 58).

ونسجل خلال هذه المرحلة الأولى من مقاومة جزولة للإسبان، إثر استشهاد الشريف محمد أمزيان (15 ماي 1912) هجرة تجمعات فرقة جزولة وتوزعها على مختلف جهات الريف الشرقي، سيما إلى ناحية كرت وبنو بويحيى والمطالسة. وتعرف حركة الهجرة من ميدان القتال محلياً بلفظ : "تيرولوين".

والإسمنت... ويشمل نفوذهم بلاد الشياظمة وعبيدة، ويمارسون منافسة قوية بالنسبة لتجار أسفي والصويرة حتى داخل المدن. ولسبت جزولة أيضاً دور كبير في ميدان تجميع المواد الفلاحية من حبوب وخضر وفواكه قصد توجيهها نحو الأسواق الاستهلاكية مثل أكادير. وأسفي والدار البيضاء ومراكش أو نحو التصنيع بأسفي وخاصة الزيتون وزهرة الكبر.

يعتبر مركز سبت جزولة أيضاً مركزاً مهماً للحرف الإنتاجية في بلاد عبيدة. فهو يضم ما يزيد عن مائة وحدة للإنتاج في ميدان الخشب والحديد والرخام والزيت ومواد البناء والنسيج والبلاستيك والفضة... ويتم تسويق إنتاج هذه المواد مباشرة في أسواق عبيدة والشياظمة أو عبر مدن أكادير وأسفي ومراكش.



يشكل سبت جزولة كذلك مركزاً كبيراً للخدمات. فهو عبارة عن محطة طرقية نشيطة ليل نهار بين البوادي ومدنية أسفي وعلى محور الدار البيضاء - أكادير. وبالإضافة إلى التركيز الكبير لسيارات الأجرة والحافلات الذي يرتبط بهذا الدور فهو يشكل أيضاً تمركزاً أكبر للخدمات المرتبطة بالطريق من مقاهٍ ومطاعم ومختلف خدمات الصيانة والإصلاح.

يعتبر أيضاً سبت جزولة مركزاً إدارياً لا يخلو من أهمية داخل عبيدة. فهو مقر دائرة جزولة ومرافق إدارية واجتماعية تشغل 400 موظف. ويتوقع أن تتصاعد مكانتها في ميدان الشغل مع ترقيته سنة 1992 إلى رتبة بلدية، ومع تزايد حجمه الديمغرافي حيث انتقل عدد سكانه من 4555 نسمة سنة 1982 إلى 10363 سنة 1994.

M. Antona, *La région des Abda*, Rabat, 1931, 211p. ; R. Fosset, *Le réseau urbain des bas plateaux atlantiques moyens du Maroc*, Tours, 1977, p. 165 - 175 ; *Société rurale et organisation de l'espace - Les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen*, Thèse d'Etat, Montpellier, 1979, 970 p. ; J. Pegurier, *L'intégration urbaine dans le Sud-Ouest marocain*, BESM N° 131 - 132, 1976, p. 133 - 163 ; *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981, 443 p.

المصطفى شويكي

جَزُولِيَّت، أو كزوليت أسرة رياطية أندلسية، ورد ذكرها في مراجع منها تاريخ رياط الفتح لعبد الله

وسيعود اسم جزولة إلى الظهور مرة أخرى في مستهل الثورة الريفية، ذلك أن الإسبان كانوا قد اتخذوا من سوق الخميس مركزاً لقواتهم لمراقبة تحركات المجاهدين المتمركزين بسوق جمعة قبيلة بني سعيد، بجبل ماورو، فبمجرد الإعلان عن انتصار المجاهدين في معركة أنوال (22 يوليوز 1921)، هب المجاهدون للانتفاض على حاميات الجيش الإسباني. فبالنسبة لفرقة جزولة دبر رجالها الهجوم على ثكنة تينغمرت يوم 25 يوليوز 1921 وعلى مركز سوق الخميس يوم 28 يوليوز من نفس السنة، وتم الاستيلاء عليهما، إلا أن الإسبان عادوا إلى التمكن منهما ثانية في ديسمبر السنة (معارك الثورة الريفية، 83-114).

يؤكد فرار تجمعات جزولة وعودة الإسبان إلى احتلال مدينة أزغنغان تاريخ انتهاء انعقاد سوق خميس جزولة بمكانه المعتاد، إذ أن الإسبان جعلوا من أزغنغان المركز العسكري والإداري الرئيسي لعموم خمس بني بوفور. وقد ترتب عن هذا الإجراء نقل سوق الخميس إلى المركز المذكور.

احتل موضع سوق خميس جزولة وأواسط أراضي الفرقة بطلعة المختار، وهو معروف اليوم بسوق الخميس القديم، قصده آنذاك علاوة على أخماس قبيلة قلعية أهل الكرط من بني وكيل العساري وأولاد شعيب خاصة.

مجهول، تقييد نسب قبيلة قلعية، مخطوطة خاصة؛ وثائق الخزانة الحسينية، بالرباط؛ كناش 192؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية؛ ح. الفكيكي، قلعية؛ معلمة المغرب، ج. 3 و 6؛ العربي الوريثي، الكشف والبيان؛ م. ابن عزوز حكيم، معارك الثورة الريفية، ومضات مضيئة عن الحرب الريفية؛ ضابط الأمور الوطنية؛ خريطة طبوغرافية لسنة 1935؛ رواية شفوية ويحث ميداني؛ مذكرات التراث المغربي.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu* ; E. Maldonado, *El Rogui ; Historia de las Campanas de Marruecos ; Nomenclator. Cabilas* ; M. Campos, *Espana belica* ; A. Riera, *Espana en Marruecos* ; E.L. Alarcon, *Melilla 1909* ; G. Calvo, *Espana en Marruecos* ; A. S. Orts.

حسن الفكيكي

جزولة (سبت -)، يقع مركز سبت جزولة على الطريق

الرئيسية رقم 8 الرابطة بين الدار البيضاء وأكادير على بعد 27 كلم من أسفي نحو الجنوب. وبحكم موقعه فهو يؤدي عدة وظائف داخل بلاد عبيده.

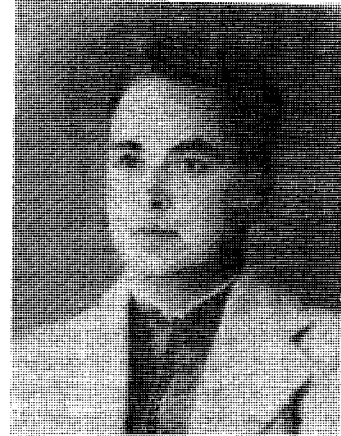
يشكل سبت جزولة مركزاً تجارياً كبيراً باعتبار سوقه الأسبوعي الذي يعد أكبر سوق بمنطقة تانسيفت ومن الأسواق المهمة بالمغرب على العموم. فهو يستقطب أكثر من 3000 تاجر من الشاوية إلى سوس. ويتوافد عليه الزوار من عبيدة والشياظمة وبلاد احمر. وترجع أهميته كمركز تجاري أيضاً إلى تجارته القارة التي تتكون من ما يزيد عن 500 متجر منها 25 للبيع بالجملة. ولتجار الجملة بسبت جزولة نشاط كبير في بيع المواد الغذائية وعلف الماشية

السويسي، وفي وثائق بمكتبة المكي جزوليت وابنه أحمد. يستبعد انتماء آل جزوليت لأصل عربي، كما أن انتماءها إلى أصل أمازيغي غير وارد. ويرجع أنها موريسكية من المهاجرين من الأندلس بعد سقوط غرناطة. ومعلوم أن عائلات منهم استوطنت مدن الشاون وتطوان والقصر الكبير وفاس وسلا والرباط؛ ولعل أصل جزوليت من قلعة كاسوليس. وعرف منهم مجاهدون بحريون أمثال:

جزوليت، محمد الرباطي من رئاس أسطول الجهاد بمصّب أبي رقراق خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م). وقد تعرضت سفينته لهجوم مركب حربي هولندي تحت إمرة القبطان يانسن B. Janssen وكاد العدو يستولى على السفينة وقائدها جزوليت لولا مراوغة هذا الأخير واتجاهه نحو أعالي البحار. كان هذا الحادث موضوع شكاية مغربية إلى الولايات العامة بلاهاي بسبب معاهدة السلم القائمة آنذاك بين البلدين.

H. De Castrie, *S.I.H.M., Pays-Bas*, 1ère série, 4 : 326 - 327.

جزوليت، المختار بن المكي بن محمد بن المكي بن الجيلالي الرباطي مقاوم شهير، وهو سبط محمد بن عبد الرحمان فرج من ابنته زهراء. ولد بمدينة الرباط سنة 1914، وهو صغير إخوته وأخواته. وتربى في وسط أسرة محافظة، كان والده تاجراً مولعاً بقراءة كتب التاريخ، وكانت والدته أما لستة أبناء وثلاث بنات.



تيمم المختار وهو ابن ثمانية أعوام بعد وفاة والده سنة 1922، فحضنته أمه وخاله عمر فرج، وكفله أخوه أحمد الذي أشرف على تربيته ورعايته، فأدخله الكتاب حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن، ثم تابع دراسته بثانوية مولاي يوسف، كما انتهل من الفكر السلفي على يد الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي كان يلقي دروسه بالزاوية الناصرية، ثم انكب المختار طوال حياته على المطالعة والتحصيل والتكوين الذاتي المستمر حتى غدا من أبرز الشباب المثقف بمدينته.

نشأ المختار جزوليت وسط جو من المواجهات الداخلية والصراعات الدولية، فقد ولد بعد سنتين من عقد الحماية الفرنسية على المغرب، ومع بداية الحرب العالمية الأولى، ونشأ في فترة كانت فيها حركة المقاومة المسلحة المغربية ضد الوجود الاستعماري الفرنسي والإسباني في عنفوانها، كما عاصر مرحلة المقاومة السياسية انطلاقاً من أحداث صدور الظهير البربري سنة 1930 إلى ظهور التنظيمات السياسية ما بين سنتي 1933 و1937، وما صدر عنها من جرائد ومجلات وطنية أغنى خزائنه منها، وشارك وهو شاب يافع في الأحداث التي أدت إلى توقيع وثيقة المطالبة باستقلال المغرب يوم 11 يناير سنة 1944.

تأثر المختار بالمبادئ الوطنية والأفكار التحررية، وانخرط في كتلة العمل الوطني وأصبح عضواً نشيطاً فيها، فكان مسامراً ومرشداً وخطيباً...

وفي سنة 1935 أصبح مدرساً بالمدرسة الغازية الحرة التي تخرجت منها الأفواج الأولى من مدرسي وأساتذة مدينة الرباط.

وفي سنة 1937 عندما أقدمت الإقامة العامة الفرنسية على إغلاق المدارس الحرة والقاء القبض على مسيرها، تشجع المختار جزوليت وتحمل مسؤولية المؤسسة التي كان يعمل بها كمدرس، فأصبح انطلاقاً من هذا التاريخ متابعاً من لذن أعوان السلطات الاستعمارية وجواسيسها.

وعلى إثر تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال، وبعد تأطيره ومشاركته في المظاهرات التي أقيمت بمدينة الرباط يوم 29 يناير 1944، أُلقي القبض على الشاب جزوليت وأودع في سجن لعلو داخل الزنزانة رقم 12 لينتظر مصيره المحتوم، ألا وهو الحكم بالإعدام الذي صدر في حقه عن المحكمة العسكرية الفرنسية.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء 11 ربيع الأول سنة 1363 / 7 مارس 1944 ليلة عيد المولد النبوي نفذ حكم الإعدام رمياً بالرصاص في الشاب المختار جزوليت بساحة الرماية على شاطئ المحيط الأطلسي بالقرب من الهرهوررة، ودفن في مقبرة يعقوب المنصور.

خليل بن أحمد جزوليت، المختار جزوليت شهيد انتفاضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، مخطوط.

خليل بن أحمد جزوليت

الجزولي، أسرة بسوسية عريقة تنتسب إلى قبيلة جزولة الكبرى التي تكون شطراً مهماً من سكان سوس. ولها فروع في فاس والرباط وغيرهما. ذكر في جنى زهر الآس أن بيت الجزولي بفاس بيت علم وثروة وحسب كان منهم شيوخ كثيرون ستاتي تراجم بعضهم، وكذلك بيت الجزولي بالرباط من أعرق بيوت هذه المدينة، وسيذكر كذلك بعض رجالهم.

كان يأخذ عنه من المُشَرِّقِينَ والمُغَرَّبِينَ ؛ أبو محمد عبد الله بن بَرِّي بن عبد الجبار المصري (ت. 582 هـ)، وهو أجل شيوخه في العربية ؛ أبو محمد الحجري، شيخ في القراءات والحديث، تخرج به جمع من العلماء المغاربة (ت. 591 هـ) ؛ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الإشبيلي أصلاً، البجائي داراً ومنشأً، كان متحققاً بالأصول، واشتهر بذلك فعرف بالأصولي، وكان عنده تهمُّ بعلم الأوائل فالتجهد إليه التهم من ذلك، فجفاه سلطانه، وارتابت به العامة، وكان عاقبة أمره أن مات مهجوراً ببجاية سنة 612 هـ ؛ أبو الطاهر إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي، من نبلاء العلماء المصريين عارف بالقراءات ماهر بالعربية، إلى دين متين، (ت. 623 هـ) ؛ أبو حفص عمر بن أبي بكر بن إبراهيم التميمي الصقلي، أخذ عنه أبو موسى بالإسكندرية عندما ما قفل من حجة ؛ أبو محمد ابن عبيد الله الذي سمع منه صحيح البخاري. وفي الظن أن له شيوخاً كثيرين غير من نسيهم التاريخ.

تكاثر تلاميذ أبي موسى لما كان عليه من حسن الإلقاء، وجودة التفهيم، وبركة الإقراء، فأخذ عنه أعلام، منهم - بسياق التاريخ - أبو الحجاج يوسف بن يحيى بن عبد الرحمان التادلي المعروف بابن الزيات (ت. 627 هـ)، فقيه أديب لغوي، له كتاب التشرف إلى رجال التصوف وله نهاية المقامات في رواية المقامات وهو شرح على مقامات الحريري، ومنهم زين الدين أبو زكرياء يحيى بن معط بن عبد النور الزواوي (ت. 628 هـ)، وهو من أنبه تلاميذ أبي موسى، وأشدهم تأثراً به، وأحرصهم على نشر آرائه، وهو صاحب الأرجوزة المسماة بالدرة الألفية، في علم العربية التي كانت طبيعة أليفه ابن مالك المسماة بالخلاصة، وأبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الحميري، من أعيان الأندلس فصاحة وعلماً وتصنيفاً، توفي شهيداً في واقعة "أنيسة" وهو يحمل راية المسلمين بيده سنة 634 هـ، وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن منداس، المتوفى بالجزائر سنة 643 هـ، كان واسع الاطلاع على النحو، عارفاً بأقوال النحاة، مواظباً على الإقراء، وكان قانون أبي موسى في جملة ما يدرسه من المتون النحوية، ومنهم أبو جعفر أحمد ابن محمد الموروري، (ت. 650 هـ) كان متحققاً بالنحو، ومعه حظ من اللغة، وكان قد لازم أبا موسى حتى كاد يستنفد ما عنده، وأبو النصر فتح بن حماد الجزيري، فقيه أصولي منطقي نحوي بعد ذلك عروضي، طوف بالآفاق، ودرس بالنظامية، وعمر أوقاته بإقراء النحو، ثم كانت وفاته بمصر سنة 663 هـ، ومنهم آخرون ذكرهم مترجموه، أو الذين ألفوا في طبقات النحاة، فلم نرد أن تأتي بهم على الاستقصاء.

أفاد أبو موسى مجالسه في حياته، ثم أفاد بعد وفاته بمؤلفاته التي عرفنا منها عن مترجميه ما يأتي :

١ - القانون، وهو أعرف مؤلفاته، ويأتي الكلام في التعريف به عن قريب.

الجزولي، إبراهيم (الحاج -) بن محمد الرباطي، من بيت أولاد ليمرو الأندلسي. من أعلام الموسيقى والطرب، من مواليد منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، كان أديباً فاضلاً إلى جانب تعاطيه للنشاط التجاري، قبل أن تنصرف همته إلى فن الموسيقى، وصنعة الانشاد والتلحين الصوتي، فشغف بذلك وانقطع له حتى برع فيه براعة لم تعرف لغيره، مما بوأه صدر مجالس الأمداح النبوية، فكان لا يتقدم عليه غيره عند حضوره ؛ وظل كذلك إلى وفاته سنة 1325 / 1907.

م. بوجدان، الاغتباط، ص. 262. 263.

حسن أميلي

الجزولي، أبو موسى النحوي، عيسى بن عبد العزيز بن يَلْبَحْت بن وماريلي، نسبة إلى جزولة، اليزْدَكْتَنِي عزواً إلى اليزدكتن، وهم فخذ من جزولة، من أمه تيلمان بنت تيفاوت، من موضع يدعى "إيد أوغردا" من أرض جزولة، وفي هذا النسب كَلِم من اللسان البربري تحتاج إلى ضبط وتفسير تولى شأنهما ابن عبد الملك في الذيل والتكملة، فنحى عليه في ذلك تخففاً منه واختصاراً فيه. فأما أبو موسى سليل هذا النسب البربري الصميم من طرفيه فقد شاء له قدره أن يكون رئيس النحر العربي في الغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري (12 م)، ولم يكن في ذلك خروجاً مما عليه الحال، ذلك أن الشأن في النهضة الكبرى أن تكون معالمها متكافئة المستويات، متكاملة العناصر، وعليه فإن العهد الذي يوجد فيه فيلسوف كابن رشد، وطبيب كابن زهر، وجغرافي كالشريف الإدريسي، ومفسر كالحراكي، وصوفي كأبي العباس السبتي، وما ضاهى ذلك، تقتضي الحال أن يكون كبير النحاة فيه من طراز أبي موسى حتى لا يكون من الفلتات أو من الشذوذ.

ولد أبو موسى الجزولي عام 540 / 1145 وشرق بعد أن شدا بموطنه من أوليات العلوم ما يتأهل به للقاء الأشياخ الكبار، وإنه لمن جزاف الكلام أن نقول عنه إنه ابتدأ رحلته خاوي الوفاض إلا من محبة العلم، فإذا هو في الزمن القليل - يجادل المتمرسين في دقائق النحو بمجلس ابن بري شيخ العربية لوقته في مصر، أو يجادل تارة أخرى في مسائل الأصول بمجلس أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الإشبيلي البجائي الملقب بالأصولي لقوته واقتداره في علم الأصول، اللهم إلا أن يكون الأمر فتحة، وأيا ما كان فإن أبا موسى أخذ عن ثلثة من الأشياخ ذاهباً ومقيماً وأديباً، منهم بترتيب الوفيات : مهذب الدين أبو المحاسن مهلب بن الحسن بن بركات المهلبى المصري البهنسي النحوي اللغوي (ت. 572 هـ) ؛ صدر الدين أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي (ت. 576 هـ)، أخذ عنه بالإسكندرية فيمن

2 - شرح أبي موسى عليه، بسط فيه الكلام عن مسائله، وانتهى فيه إلى باب التوكيد، ومات قبل إقامه، وهو في حكم المفقود إلا نقولاً منه جاءت في بعض شروح القانون الباقية.

3 - شرح إيضاح الفارسي إجمالاً، (مفقود).

4 - شرح شواهد استقلالاً، (مفقود).

5 - شرح أصول ابن السراج، (ضائع).

6 - أمال في النحو، ذكرها ابن خلكان في الوفيات، وقال بشأنها ما نصه : "سمعت أن له أمالي في النحو، ولكنها لم تشتهر".

7 - تعليقات على كتاب سيبويه، (ضائع).

8 - تنبيهات على مفصل الزمخشري، (مفقود).

9 - اختصار شرح ابن جني على ديوان المتنبي المسمى بالفسر، قال عنه ابن خلكان في وفياته : "ورأيت له اختصار الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي".

10 - شرح قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير، نشر بعناية المستشرق روني باسيه بالجزائر سنة 1910 م، ثم هلم إلى الحديث عن القانون :

تعددت أسماء القانون في الكتب التي ترجمت أبا موسى، فهو المقدمة، وهو الجزولية، وهو المقدمة الجزولية تارة أخرى، وهو الكراس، والكراسة بالتأنيث، وهو الاعتماد، والتقييد، والتعليق، وكل ذلك أسماء لمسمى واحد ليس إلا، والظاهر أن أبا موسى كان يميله من غير كتاب، فغيره بالنقص والزيادة وتبديل الشكل اعتباراً بالمستويات ورعيًا لمقتضى الأحوال، فاختلقت أسماءه لذلك عند الآخذين والمدرسين والشارحين.

ضغط أبو موسى في قانونه مسائل النحو ضغطاً قلل كثيرها، ثم زاد على ذلك فأعراه من الأمثلة، وأخلأه من الشواهد إمعاناً منه في الإيجاز، فأدى ذلك الاكتناز البالغ إلى عسر فهمه حتى على المتخصصين في النحو، وذلك ما جرأ أحدهم على أن يقول فيه : "أنا ما أعرف هذه المقدمة، ولا يلزم من كوني ما أعرفها أني لا أعرف النحو"، فاقتضت الحال أن توضع عليه الشروح التي تيسر منه العسير، وذلك ما انتدبت له طائفة من جلة النحاة، عرفنا منهم زهاء العشرين، منهم - بنسق التاريخ - : تلميذه زين الدين أبو زكرياء يحيى بن معط الزواوي، وأبو إسحاق العطار، واسم شرحه عليه : المشكاة والنبراس، في شرح الكراس، منه مخطوطة بمكتبة القرويين بفاس، ولأبي علي عمر بن محمد ابن عمر الأزدي الإشبيلي النحوي الملقب بـ "الشلوين" عليه ثلاثة شروح : أحدها سماه التوطئة وهو وجيز ميسر، وقد طبع محققاً بعناية الدكتور يوسف مطوع من الكويت، والثاني منها يقال فيه الشرح الصغير، وقد قام بتحقيقه الشيخ ناصر الطريم من كلية اللغة العربية بالرياض ومنح به درجة جامعية، والثالث يعرف بالشرح الكبير ومنه بقية مخطوطة في أوراق وشرحه جمال الدين أبو عمرو عثمان بن

عمر الكردي المصري المعروف بابن الحاجب، ومنه مخطوطة بمكتبة القرويين بفاس، وشرحه علم الدين أبو محمد القاسم ابن أحمد بن الموفق اللورقي (ت. 661 هـ)، وسمى شرحه المباحث الكاملية، وهو أكمل شروح القانون وأوفاه، منه مخطوطة بدار الكتب بخط جمال الدين أبي محمد الحسين ابن بدر المعروف بابن إياز، والشرح هذا حققه وأعدده للطبع الدكتور شعيبان عبد الوهاب محمد، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وشرحه محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي صاحب الألفية، وسمى شرحه المنهاج الجليلي، في شرح القانون الجزولي، وشرحه علي بن محمد الخشنبي الجرناطي المنسوب بالأبدي، ومن شراحه أبو بكر محمد بن علي الجذامي الأندلسي المعروف بابن الفخار، ومنهم بدر الدين أبو محمد الحسن بن القاسم المرادي المراكشي المعروف بابن أم قاسم نزيل مصر، (ت. 749 هـ) : وقادى العمل في شرح القانون دواليك حتى مطلع القرن العاشر، فعرفنا عندها شارحاً هو السيد علي ابن ميمون المغربي الفاسي (ت. 917 هـ).

وعلى القانون أعمال أخرى تشير إلى مزيد من التهمم به، من ذلك عقده نظماً من قبل أبي عمرو بن غياث الشريشي (ت. 619 هـ)، ونظمه أيضاً شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبي (ت. 709 هـ)، واختصره أبو منصور الشيعي (ت. 626 هـ)، ولأبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي التميمي القلعي عمل عليه سماه : حدق العيون، في تنقيح القانون، وكان القلعي هذا فقيهاً نحوياً لغوياً، وكانت وفاته سنة 709 هـ. رزق القانون الحظوة عند العلماء، وأتبع الثناء الحسن على مدى الأعصار، من ذلك قول ابن خلكان في الوفيات بشأنه : "وصنف فيه (يريد النحو) المقدمة التي سماها بالقانون، ولقد أتى فيها بالعجائب، وهي في غاية الإيجاز مع الاشتمال على كثير من النحو، ولم يسبق إلى مثلها"، وقال عنه ابن مالك صاحب الألفية من مقدمة شرحه عليه مانصه : "إن كتاب القانون في النحو لشيخ الإسلام الفاضل عيسى أبي موسى الجزولي وإن كان صغير الحجم، لكنه كثير العلم، مشتمل على لباب الأدب، منطو على سر كلام العرب، متضمن للنكات الغربية التي خلا منها أكثر شروح النحو..."، وقرظه مجد الدين ابن الظهير الإبلي شعراً فقال :

مقدمة في النحوات نتيجـة تناهت فأغنت عن مقدمة أخرى
حبا بنا بها بحر من العلم زاخر ولا عجب للبحر أن يقذف الدرأ
وقال فيها ابن حوط مادحا :

كراسة في النحو لكنهنـا تحوي من العلم كراريسـا
صغيرة الحجم وقد أسست قواعد الصنعة تأسيسـا
قد مخض الزبد بها نحسوه فاستوجب الشكر أبو موسى
من القانون مخطوطة بدار الكتب المصرية، وهي ضمن المكتبة التيمورية، برقم (363 نحو) في 73 صفحة، تمت

كتابتها عام 1318 هـ، وهي منتسخة من مخطوطة باستنبول كان انتساخها سنة 738 هـ.

حُقِّقَ الْقَاتُونَ بعناية الذكَّتور شعبان عبد الوهاب محمد، واعتمد في تحقيقه مخطوطة المكتبة التيمورية، واستعان فيه بمخطوطة من شرح اللورقي عليه المسمَّى بالمباحث الكاملة على المقدمة الجزولية، واستعان فيه أيضاً بمخطوطة من الشرح الصغير عليه لأبي علي الشلوبين، وطبع هذا التحقيق بالقاهرة سنة 1988 م.

لم يكن النحو علم أبي موسى الذي لا يحسن سواه، بل كانت له مشاركة في جملة من العلوم نوه بها ابن عبد الملك في الذيل والتكملة، فقال: "كان كبير النحاة غير مدافع، حافظاً للغة، وافر الحظ من الفقه، بارعاً في أصوله، متعلقاً بطرف من الحديث." ويضيف ابن خلكان في الوفيات إلى ذلك علم القراءات فيقول: "وكان إماماً في القراءات"، ثم يتبع ذلك بقوله: ذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده ليقراً عليه قراءة أبي عمرو، فقال له بعض الحاضرين: أتريد أن تقرأ على الشيخ النحو؟ قال: فقلت: لا، فسألني آخر كذلك فقلت: لا، فأنشد الشيخ وقال: قل لهم:

لست للنحو جنتكم لا ولا فيه أرغب
خل زيدا لأشأنه أينما شاء يذهب
أنا مالي ولا مـرئى أهد الدهر يضرب

ولكن ابن الجزري قال في غاية النهاية بعد إيراد هذه الحكاية: قلت "لا أعرف على من قرأ ولا من قرأ عليه"، كأنه يتشكك في علم أبي موسى بالقراءات، وهو كان يشتغل بالمنطق، بآية ما كانت عليه بحوثه من صحة تقسيم، ودقة تبويب، وقوة استدلال، وحسن تعليل، ووجاهة تأويل.

طوَّفَ أبو موسى في الآفاق يتعلم ويعلم، ثم كانت مراكش خاتمة تطوافه، فانتصب فيها للتدريس، فانشال الطلبة على مجالسه من داخل المغرب ومن خارجه، وكان أبو موسى ما كان من سعة الاطلاع على دقائق النحو وغريبه وشاذه، إلى ما كان عنده من جودة تفهيم وحسن إيراد، وبركة تعليم، فعرف أهل العلم قدره، وكان إلى ذلك متين الديانة شديد الورع، بالغ الأمر في الزهد، يخشوشن في عيشه، ويتبذل في لباسه فأحبهته العامة، واعتقدت فيه، والمتوقع من الساسة وقتئذ أن يوجسوا من مثله خيفة، وذلك ما كان من المنصور الذي ارتاب فيه، وخشي أن يكون منظوباً على شر يبتغيه به، فامتحنه، فوجده على سلامة، فأدناه منه، ووالى عليه إنعامه، وأحسن الظن به، وصلى خلفه، وأوصى في مرض موته أن يتولى أبو موسى غسله، وتولاه ابنه الناصر من بعده فكان يحضره مجالسه، ويستصحبه في أسفاره، ويبعثه في المهمات.

توفي أبو موسى عام 607 / 1210، وهو في سفارة من قبل الناصر الموحيدي إلى أزمور في تهدئة نزاع قبلي بين بعض الصنهاجين، فتفاوض أهل الرأي هناك في تعيين

مدفنه، فقال بعضهم يُدفن في تربة الشيخ أبي شعيب السارية عساه يجد بركة أبي شعيب، وكان آخرون منهم على خلاف تلك النية فقالوا: يدفن إزاءه لعل أبا شعيب يجد بركة أبي موسى، فإنهما يتماثلان في الصلاح، ثم يزيد عليه أبو موسى بفضيلة العلم.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9: 307؛ القفطي، إنباء الرواة، 2: 378-380؛ ابن الأبار، التكملة، 2: 650؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3: 488-450؛ ابن عبد الملك، القسم الأول من السفر الثامن من الذيل والتكملة، 246-254؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 5: 633؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13: 67؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 1: 611؛ الدلبي، الفلاحة والفلوكون، 91؛ السيوطي، بغية الوعاة، 2: 236؛ ابن العماد، الشذرات، 5: 26؛ ابن أبي شنب، دائرة المعارف الإسلامية، 6: 445-450؛ في الترجمة العربية، إسماعيل الباباني، هدية العارفين، 2: 807-808؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 5: 349-350؛ من الترجمة العربية؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 9: 404-412؛ خ. الزركلي، الأعلام، 5: 104؛ ع. گنون، ذكريات برقم 19؛ م. المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، 62-63؛ الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد، الباب الأول من تحقيق المقدمة الجزولية، 1: 83؛ أحمد الزواوي، أبو موسى الجزولي، عرض لحياته العلمية، ومنهجه في البحث، وتأثيره في حقل النحو، المحمدية (المغرب) 1984 م؛ ابن المعلم التاورتي، تفهيمات في أبي موسى الجزولي (مخطوط).

أحمد الشراوي إقبال

الجزولي، يوشعيب (الحاج -) بن محمد الرباطي

أخو إبراهيم الجزولي المتقدم الترجمة وموسيقي مثله. كان شيخاً تقياً صالحاً ذاكراً خاشعاً، أهلته مكانته الصوفية ليصبح مقدماً للطريقة الحراقية بالرباط، وذاع صيته في مجال المديح النبوي في محافل الأخيار، ومجامع الأذكار، متأثراً بشقيقه إبراهيم، حتى أصبح مقدماً في مجالس الأمداح بعد وفاة هذا الأخير، لا يضاويه أحد إلى حين وفاته سنة 1327 / 1909.

م. بوجدار، الاغتباط، ص. 263.

حسن أميلي

الجزولي، الحسن بن عيسى وقيل بن عبد الله

الفاصي، صوفي زاهد، لقي عدة مشايخ، منهم ابن عسكر الشفشاوني الذي ذكر أنه انتفع به، ونسبه في الطريق لعبد العزيز التباع، وعلي الهيري الوارثيني دفين داخل باب الفتوح، وعاصر أحمد بن موسى المرابي الذي نعته بإمام أئمة وقته وبأنه كان راعي دواب الشيخ الغزواني ونسبه له في الطريق. وقد استبعد المهدي الفاسي في كتابه تمتع الأسماع نسبة الحسن الجزولي للتباع وأكد على صحة نسبته للغزواني. ورجح ابن عيشون أن يكون قد أخذ عن الشيخين معاً.

الجزولي، عبد الرحمان بن عفان الفاسي، ذكر الونشريسي في وفياته أنه ولد سنة 650 هـ ووصفه ابن مرزوق في مسنده - وهو معاصر له - بشيخ الفقهاء سنا وحفظا، وشيخ الشيوخ وواحد وقته.

تلمذ عبد الرحمان على ثلثة من كبار علماء زمانه، وأخذ عنهم ما تيسر له من علوم الفقه والحديث وخاصة ما يتعلق بمذهب مالك كالمدونة ورسالة ابن أبي زيد القيرواني. فقد أخذ المدونة عن عبد الرحمان الرجرجي وأبي الفضل راشد الوليدي وأبي عمران الجوراني، وعبد الصادق الصبان ويوسف بن موسى بن أبي عيسى الغساني السبتي وأبي محمد عبد الصمد. وقرأ عليه الفقه وغيره نخبة من علماء المغرب من أمثال الشيخ الحافظ أبي عمران موسى ابن محمد بن معطي العبدوسي، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التّسلي الكُرسوطي. كما أخذ عنه أبو الحسن الصُّغَيْرُ الزرولي، وسعيد بن محمد الهسكوري ثم خالد بن عيسى البلوي صاحب رحلة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، سمع عليه كثيراً من رسالة ابن أبي زيد ومن التهذيب وغيرهما. وما يؤكد علو كعب عبد الرحمان الجزولي في المذهب المالكي وفروعه أن مجلسه كان يحضره أكثر من ألف فقيه جلُّهم يستظهر المدونة.

اقتربت شهرة الجزولي بشروحه على الرسالة القيروانية حيث قيدت عنه في مجالس تدريس الرسالة بفاس تقايد عديدة نذكر منها ثلاثة : الأولى في سبعة أسفار وهي المعروفة بالمُسَبَّح، والثانية في ثلاثة أسفار والثالثة في سفرين. وقد ذاع صيت هذه التقايد في كل أنحاء المغرب وانتفع الناس بها وحفظها الطلبة. ويذكر المقرئ في هذا السياق، نقلاً عن القاضي عبد الواحد الونشريسي عن والده الشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي مؤلف المعيار أن "سَنَ مَلِكِ المُسَبَّحِ من الجزولي، وتقييد الحمدي عن أبي الحسن (الصغير)، أو حصلت له عناية بنقلها، فهو عالم العالم بأسره، وحائز مذهب إمام دار الهجرة على التمام، والقائم بأمره" (أزهار الرياض، 3 : 36). وهذا الاهتمام البالغ بشروح الجزولي للرسالة لم يكن مقتصرًا على القرن الثامن (14 م) فحسب، بل تعداه إلى فترة الحكم الوطاسي ومابعده، إذ يؤكد أحمد الونشريسي (ت. 914 هـ - 1508 م) أنه شاهد طلبة حضرة فاس يتهافتون على تقايد الجزولي ويتنافسون في اقتنائها بالأثمان الباهظة (المصدر السابق، 3 : 36).

أجمعت المصادر على أن الجزولي عُمر وطعن في السن فلم يحل ذلك دون استمراره في التدريس بجامع القرويين إلى أن وافته المنية. لكن هذه المصادر نفسها اختلفت في أمرين : الأول حول المدة التي عاشها، إذ تشير مرة إلى أنه

توفي عام 992 / 1584 وقد جاوز المائة سنة ودفن خارج باب الفتوح.

م. ابن عسكر، دوحه الناشر : م. المهدي الفاسي، تحفة أهل الصديقية، ص. 16 : تمتع الأسماع، 73 : م. ابن عيشون، الروض العطر الأنفاس (مرقون)، ص. 209 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 279، 2.

زهرة النظام

الجزولي، عبد الرحمان السوسي شيخ جماعة مجاهدي جزولة التي حلت بميدان سبتة المحتلة تلبية لنداء رئيس المجاهدين عبّو بن محمد المجكسي. وصل الجزولي وجماعته في آخر عام 819 - 1416. وعن وصولهم يقول الإخباري البرتغالي "كومس إيانس دي زورارا" (Gomes de Zurara) : "جاء أولئك المسلمون من جهة جزولة، ولم ياتوا بأكثر من اثني عشر أو ثلاثة عشر فارساً، استجابة لنداء عبّو"، وسمى رئيسهم عبد الرحمان (Auderane). وقد أخبرنا زورارا بعد ذلك أن الشيخ الجزولي عاد إلى موطنه جزولة إثر مأساة الحصار المريني لسبتة المحتلة عامي 1418 - 1419 واستشهاد عدد كبير من رؤوس الجهاد، ليعود إلى الميدان بمعية نحو مائة فارس وألف من المشاة. وكانت الجماعة الجزولية القوة الجهادية الوحيدة الحاضرة بميدان سبتة خلال سنوات 1420 و1424.

بتتبع العمليات الجهادية التي قادها الشيخ عبد الرحمان الجزولي، وجدنا أن الجماعة كانت تنطلق من جبل ومدشر مرتبطين باسم جزولة، نقدر حسب الأوصاف الطبوغرافية المستخلصة من تحركاتها، أن المكان كان بمقربة من جبل شندر الحالي الذي سماه البرتغاليون Oteyro dos Gazulus أي كدية الجزوليين.

لم تختلف طريقة الجزوليين عما علمناه من خطة عبّو ابن محمد الحربية المعتمدة على نصب الكمائن. وقد سجل لنا زورارا من الغارات الجزولية مثالين، وتمت الغارة الأخيرة سنة 1424، واستغل الشيخ عبد الرحمان للوصول إلى الميدان طالعي بريش وبرج أويات. وقد كانت العمليات الهامة التي قادها مرتبطة بوصول مجاهدي جبل حبيب بقيادة مقدمه الحسن الأنجيري، أحد مساعدي عبّو بن محمد منذ عام 822 / 1419.

اختفت عنا أخبار الشيخ عبد الرحمان ومعه جماعة جزولة بعد سنة 828 / 1424 ولم نعرف عنهم شيئاً بعد ذلك، وربما دلنا هذا الاختفاء على مغادرة الجماعة الجزولية لميدان سبتة بعد ثمان سنوات من وجودها به.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الايبيري بالشغور الشمالية المحتلة، 147 : 1

G.E. de Zurara, *Crónica de don Pedro de Meneses*, T. I, chap. 47, p. 187-189 ; chap. 82, p. 340 ; T. 2, chap. 2, p. 486-489 ; chap. 7, p. 499-502 ; *Crónica de don Duarte de Meneses*, p. 55 ; *Collecção de libros inéditos*, p. 539 -

عمر أكثر من مئة وعشرين سنة، وتذكر مرة أخرى أنه مات عن تسعين سنة. أما الأمر الثاني فيتعلق بتاريخ وفاته إذ يلاحظ أن أغلب الروايات لم تحدد سنة معينة لذلك، بل أوردت تواريخ مختلفة ومتباعدة نسبياً مثل سنة 740 هـ و741 هـ و745 هـ و746 هـ. ومن المفيد هنا أن نشير إلى الحادثة التي وقعت للجزولي وكانت سبباً في وفاته لعلنا نصل إلى تاريخ مرجح.

فقد ذكر ابن مرزوق، وهو شاهد عيان، أن الجزولي لما التقى بالسلطان أبي الحسن المريني على وادي سبو حين قدومه من تلمسان بعد فتحها وترده في أحوازها بين سنتي 737 هـ و738 هـ، اقترب منه وحاول النزول عن دابته التي كان يركبها لكنه سقط، فنزل أبو الحسن بدوره عن فرسه إجلالاً له وتعظيماً واحتراماً لشيخه، فاحتضنه وعانقه ثم تولى بنفسه حمله على دابته. أما ابن القاضي وأحمد باب التنبكتي فقد اعتبرا أن هذا اللقاء تم عند رجوع السلطان من وقعة طريف سنة 740 هـ، وأن سقوط عبد الرحمان على الأرض أدى إلى ضعضة عظام جسمه المنهوك مما تسبب في موته بعد ذلك بسنة واحدة أي عام 741 هـ، وأصح الأقوال أنه توفي لعشر بقين من ذي قعدة عام أربعين وسبعمئة. بل ويشير التنبكتي إلى أن محمد المقرئ الجد كتب في بعض تقابله أنه دخل يوماً على عبد الرحمان الجزولي وهو يجمود بنفسه ويعاني من الألم فسأله عن السبب فأخبره بتفاصيل لقائه بالسلطان وما وقع له أثناء ذلك. وبهذا يكون تاريخ وفاته حوالي تسعين سنة.

م. ابن مرزوق، السنن، الجزء 1، ص 131؛ ابن قنفذ، أسس الفقير، الرباط، الإحاطة، القاهرة، 1975، ج 3، ص 131؛ ابن قنفذ، أسس الفقير، الرباط، 1965، ص 24؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص 186، 401، 402، 519، 554؛ أ. بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، مصر، 1351 هـ، ص 166، 165؛ أ. المقرئ، أزهار الرياض، المحمدية، 1980، ج 3، ص 23، 24، 29، 36؛ م. حجي (محقق) ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب، الرباط، 1976، ص 80، 111، 193.

رشيد السلامي

الجزولي، عبد الرحمان أبو قصبه. تزعم ثورة قوية

ضد الموحدين في السنوات الأولى لخلافة محمد الناصر (595 / 1198) وأنت هذه الثورة في سياق عدد من الثورات والانشقاقات التي عرفتتها الدولة الموحدية في أوج قوتها، حيث عبرت كثير من قبائل المغرب الأقصى عن رفضها للحكم الموحد، لكن الموحدين فضلوا خيار المواجهة الحاسمة لاستئصال كل محاولة للخروج عن سلطتهم أو تهديدها، وتمكنوا بذلك من المحافظة على وحدة البلاد وإفشال حركات التمرد التي قام أغلبها من دون برنامج أو تصور واضح.

أعلن الجزولي ثورته سنة 597 / 1200 - 1201 بمنطقة

السوس، وتحديدًا بحصن تيونين الذي يصفه ابن عذاري بأنه "على قديم الزمان مجبول من فيه من أهله على الشقاق والارتداد" (البيان، قسم الموحدين، 348).

نلاحظ أن عبد الواحد المراكشي هو المؤرخ الذي أعار أخبار هذه الثورة أهمية في حين اختزلت باقي المصادر أخبارها أو أهملتها، ومن خلال الإشارات المقتضبة حولها نلمس أنها شكلت تهديداً فعلياً للدولة الموحدية نظراً لاتفاق جموع غفيرة من أهل منطقة السوس والقبائل المجاورة حول الجزولي وتمكنهم من هزم عدة حملات عسكرية موحدية، فلم يزل الموحدون "يجهزون إليه العساكر بعد العساكر، وفي كل ذلك يهزمهم إلى أن بعثوا بعثاً من الموحدين والغز وأصناف الجند" (المعجب، 449).

لا ندري هل كانت تلك الهزائم بسبب قوة أتباع الجزولي وإحكام تنظيمهم، أم أن الأمر يعود إلى سوء تقدير الموحدين لقوة هذا التمرد، واكتفائهم بإرسال حملات صغيرة.

لقد جاء قيام هذه الثورة في وقت كان فيه الخليفة محمد الناصر منشغلاً بالحركة إلى بلاد رجرجة (البيان، 239 و348)، مما جعله يكتفي بإرسال حملات ربما كان الهدف منها هو التشويش على هذه الثورة في انتظار حملة قوية، وفعلاً نظمت حملة تطلبت أعداداً ضخمة وتجنيداً لمختلف فرق الجيش الموحد، ويؤكد ابن عذاري أنه "لم يبق من الموحدين أحد في حال ثورته إلا استقر بهذه البلاد في قتاله" (البيان، 348).

سارت الحملة إلى بلاد السوس وبدأت بإبذار المصامدة وغيرهم من القبائل المجاورة لهم وتحذيرهم من عواقب مساندة الجزولي، وتم ترغيبهم في لزوم الطاعة للمخزن الموحد. فتحركت كثير من القبائل وانضمت إلى الجيش الموحد مسهلة عليه نسبياً مهمة القضاء على ما تبقى من قوة أبي قصبه الجزولي، وقد أثر ذلك سلباً على البناء البشري لحركته، فوقع فيها تصدع أدى إلى انفضاض أغلب الجموع من حوله، ووقع قتل كبير فيمن تبقى من أتباعه، وقبض عليه وقتل واحتز رأسه وحمل إلى مراكش وعلق على باب الشريعة.

لا نعرف شيئاً عن المضمون الثوري لهذه الانتفاضة التي لم يظهر لنا من خلال الإشارات القليلة حولها إلا وجهها القبلي، في حين يقدم ابن عذاري إشارة سريعة مفادها أن الجزولي كان مولعاً بالسحر، مما يدفعنا إلى التساؤل هل كان للتأثير النفسي والتركيز على الغيبات دور في إخضاع الجزولي لأتباعه، أم أن الأمر يتعلق بنموذج زعيم قبلي اعتمد على عصبيته القبلية، وربما دمويته، كما بدا على ذلك اللقب الذي كان يطلق عليه باللسان الأمازيغي والذي معناه "ابن الجزيرة" (المعجب، 449) ؟ وبالمقابل فإن الموحدين لم يكن أمامهم سوى خيار المواجهة لهذا التحدي الكبير في منطقة كانت حساسة

بالنسبة لدولتهم، باعتبار أن القبائل المصمودية كانت تشكل العمق القبلي للدولة ومصدر قوتها البشرية.

ورغم قصر المدة التي استغرقتها هذه الثورة فإنها شغلت الموحدون وشوشت على بعض مشاريعهم في ضبط الأمن خاصة بالأندلس وإفريقية، ومع ذلك فقد تم فتح جزيرة ميورقة أسبوعاً واحداً بعد القضاء على ثورة الجزولي. وكان انهيار ثورة الجزولي ومقتله سنة 598 / 1202.

ع. المراكشي، المعجب، الدار البيضاء، 1978؛ ابن عذاري، البيان المغرب (تسم الموحدون) الدار البيضاء، 1985؛ ع. ابن خلدون، كتاب العبر (ج 6) بيروت، 1956؛ النوري، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (نهاية الأرب) تج. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988.

محمد الفراوي

الجزولي، محمد بن سليمان الشخير سيدي

ابن سليمان، من أعلام التصوف المغربي الإسلامي، إليه انتهت الطريقة الشاذلية في عصره، وعنه تفرعت جملة من الطرق التي يكثر أتباعها في المغرب بصفة خاصة: كالطريقة التباعية والغزوانية والفلاحية والبكرية والعيساوية والشرقاوية والبوعمرية. اشتهر بالنسبة إلى جده الثاني سليمان. فهو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان السملالي السوسي.

يرجع المؤرخون نسبه إلى علي بن أبي طالب، وقد اعتمدوا على قوله: "ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحسن الجاه، وإنما العزيز من تعزز بالشرف والنسب. أنا شريف في النسب، جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (متمتع الأسماع، ص. 5؛ إظهار الكمال، ص. 236). وقد نظم عبد السلام بن الطيب القادري هذا النسب في كتابه الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف (ص. 31-32) وعرض للخلل الحاصل فيه وهو عدم اتفاق النسابين على وجود ابن لعبد الله اسمه جعفر مشيراً إلى سقوط اسم عدي بينهما.

ويستبعد محمد المهدي الفاسي انتساب الجزولي إلى الأشراف الحسينيين حسب ما ورد في نسخة "معتبرة" - كما قال - من دلائل الخيرات، بل يرجح انتسابه إلى الحسينيين، خاصة وأن المعروف أن سليمان بن عبد الله الكامل بن حسن نزل بتلمسان ودخل أكثر أولاده إلى لمطة وسوس الأقصى، فلا يبعد أن يكون اسمه قد سقط في تسلسل النسب (متمتع الأسماع، ص. 3).

يكتنف سيرة الجزولي كثير من الغموض: فالمراحل غير واضحة، والآراء فيها متضاربة. كما يطفئ الجانب الأسطوري على الواقع مما يجعل الخروج من هذا كله برسم موضوعي لسيرة الشيخ من الصعوبة بمكان.

رأى الجزولي النور في مدشر تأنكرت في سوس ببلاد

الساحل على واد يعرف بهذا الاسم. ولا نعرف متى كان ذلك على وجه التحديد (أواخر القرن الثامن). ويصعب التقدير ما دامت المصادر لم تشر إلى عمره عند وفاته، واختلف في تحديد تاريخ وفاته نفسه.

خرج الجزولي من بلاده لقتال وقع بها (الاستقصا، 4: 122)، فقد عرفت سوس في آخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع صراعات داخلية، إذ كانت من أكثر المناطق خروجاً على المخزن الوطاسي ورفضاً لسלטته من جهة، ومواجهة للاستعمار البرتغالي الذي تسرب إلى المنطقة (R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 827).

قصد الجزولي مدينة فاس لطلب العلم فنزل بمدرسة الصفارين. وكان يعيش حياة عزلة وتأمل، إذ لم يكن يُدخل أحداً إلى غرفته التي كان يخلو فيها بنفسه بعدما نقش على جدرانها كلمات: الموت - الموت... وهذا مظهر من مظاهر عدم الاستقرار، والبحث عن شيخ مرب يمكن السلوك على يديه. لذلك اضطر الجزولي للسفر إلى المشرق للاتصال بالعلماء والشيخ الميرين. وتحدد الروايات المدة التي قضاها في سياحته بسبع سنوات، طاف فيها مدن الحجاز ومصر، ومدينة القدس وأخذ بالأزهر على عبد العزيز العجمي (متمتع الأسماع، 22).

ويبدو أنه لم يعثر على ضالته، مع طول أمد جولته، وتنوع أماكن زيارته، فعاد إلى المغرب وحل بفاس من جديد، وإن كان الأمر قد اختلف على بعض المصادر، فلم تميز بين رحلته الغلمية الأولى، وهذه السفر الثانية إلى فاس. وفيها ألف كتابه دلائل الخيرات معتمداً في مصادره على كتب خزنة القرويين (إظهار الكمال، 238) والتقى بالإمام زروق الذي أرشده إلى الشيخ الميرين، والمعين على سلوك الطريق؛ وهو أبو عبد الله محمد أمغار الصغير بتيط (تحفة الكرام).

نزل الجزولي عند شيخه أمغار، وأخذ عنه ورد الشاذلية ودخل في فترة خلوة وتأمل وعبادة بإشارة منه. حسبما قيل - إلا أنها طالت حتى بلغت أربع عشرة سنة. فلم يخرج منها إلا وقد أخذت الكرامات تصدر عنه، حسب تعبير صاحب متمتع الأسماع (ص. 11).

وكان مشدداً على نفسه يمضي الليل والنهار في تلاوة أوراده، وهي: سلكتان من دلائل الخيرات، ومائة ألف من بسم الله الرحمن الرحيم، وسلكتة وربيع سلكتة من القرآن الكريم يختمها كل ليلة (إظهار الكمال، 270)، وقديرة من بسم الله الرحمن الرحيم.

وتختلف الروايات حول توقيت زيارته لمراكش وتعريفه بها إلى مريده عبد العزيز التباع وأسرته بحي القصور. فهناك من يجعلها بعد خلوته وعودته من تيط، وهناك من يجعلها بعد رجوعه مباشرة من فاس. وفي الحالتين يبقى تحديدها الزمني غير ممكن ما دما نجهل كذلك تاريخ ميلاد التباع الذي كان طفلاً صغيراً آنذاك.

واهية إذ لم يزرها إلا مرة واحدة في حياته، حيث التقى بتلميذه عبد العزيز التباع، فإنه اعتبر واحداً من رجالها السبعة، بعد ما نقل إليها جثمانه، ويعود هذا الاختيار إلى ما أدركته طريقتهم من شهرة ومكانة في المغرب وخارجه، فحلت محل الطريقة الشاذلية وتفرعت إلى طرق عديدة كما ذكرنا.

آثاره : دلائل الخيرات، النسخة السهلية منقولة عن المؤلف مخطوطة الخزانة اليوسفية براكش (عدد 377)، وللدلائل عدة طبعات ؛ عقيدة الجزولي، مخطوط الخزانة الحسينية بالرباط ضمن مجموع (رقم 7245 من 24 إلى 36) ؛ رسالة التوحيد، توجد أوائلها في خزانة ابن يوسف (تحت عدد 587 من ص. 41 إلى 43) ؛ كتاب الزهد ؛ توجد أوائله في خزانة ابن يوسف براكش (رقم 587 من 43 إلى 44) ؛ أجوبة في الدنيا والدن : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم 731 ق ص. 15 . 16) ؛ من كلام الشيخ الجزولي : في تمتع الأسماع، ط حجرية وفي بادرة الاستعجال. مخطوطة خاصة بالرباط ؛ حزب الشيخ أو الحزب الكبير مخطوط خ ع بتطوان (رقم 447) ؛ حزب الفلاح أو الحزب الصغير مخطوط خ ع بتطوان (رقم 447). وقد جمعت آثار الجزولي في ملحق كتابي محمد بن سليمان الجزولي : مقارنة تحليلية لكتابه الصوفية ط. مراكش 1993.

م. ابن غازي، فهرس ابن غازي، تح. محمد الزاهي الرباط 1979 ؛ م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماع، ط. حجرية 1305 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ط. الدار البيضاء ؛ ع. القادري، الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف، مخطوط خ ع رقم 310 ؛ ع. ابن إبراهيم، إظهار الكمال في تميم مناقب أولياء مراكش السبعة رجال، مخطوط خ ع رقم 232 ؛ الإعلام، ط. الرباط 1974 - 82 ؛ حسين بن مصطفى المنفلوطي، تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الأنام قطب جزولة، مخطوط خ ع، رقم 925.

حسن جلاب

الجزولي، محمد بن العباس (الحاج -) بن

الحسن السوسي. درس بمسقط رأسه سوس وبفاس حيث يعد من أبرز تلامذة الشيخ التاودي ابن سودة. كان عالماً مشاركاً ذا نزعة صوفية، وألف فهرساً سماه المواهب القدوسية في بعض المشايخ الصوفية مع بعض المصنفات البهية والمسلسلات النبوية ذكر فيه بتفصيل أسانيد في مختلف الطرق الصوفية كالقادرية والخلوتية والزروقية والشاذلية وغيرها، وأثبت فيها نصوص إجازات شيوخه. وقد لخص هذا الفهرس صاحب الإعلام في نحو سبع صفحات.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 6، 163، 170 ؛ ع. ابن سودة، إبحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7، 2495.

ويبدو أن فترة الخلوة والتأمل كانت كافية لاكتمال الطريقة وروزها لدى الجزولي. فشرع في نشرها بين مريديه وتلامذته. وكانت أسفي من المدن الأولى التي ظهر فيها نفوذ الجزولي، ساعد على ذلك استعداد أهلها لتقبل الطريقة ؛ فقد انتشرت فيها من قبل طريقة أبي محمد صالح، وبالقرب منها كان رباط كوز وهرتنانة، هذه الزاوية التي كانت تعرف تعاليم الشاذلية. فشيخها أبو سعيد عثمان الهرتناني هو شيخ أبي عبد الله محمد الصغير أمغار الذي أخذ عنه الجزولي، إضافة إلى وقوعها في منطقة لها تاريخ عريق في التصوف وتقديس الأولياء ؛ وهي رگراغة. فبعض رجالها مدفونون عند مصب تانسيفت بالقرب من المدينة. لهذا بلغ مريدوه بها خمسة وستين ألفاً وستمائة واثنى عشر، الشئ الذي جعل السلطات المرينية تتضايق منهم، خاصة وأن الفترة كانت فترة ضعف السلطان المركزي بفاس مع ما يترتب على مثل هذه الحالة من ظهور الدويلات الطامعة في الحكم. فأمره الوالي بمغادرة المدينة. كان مصير الجزولي المضايقة في كل المدن والقرى التي زارها ولنفس الأسباب. وبالمقابل ازداد مريدوه وأنصاره بعد انتشار خطر الاحتلال الأجنبي للشواطئ المغربية، وبأس الناس من قدرة الدولة الحاكمة الضعيفة على مواجهة الأحداث.

ففي ماسة بسوس تم إجبار الجزولي بعد فترة قصيرة من حلوله بها على الخروج، فنزل بأفوغال من بلاد الشياظمة، وتمكن روبري مونتاني، ويير دوسنيقال R. Montagne et P. de Cénival من التعرف إلى القرية التي نزل فيها الشيخ وصارت تعرف باسم أحد ذرا (Les Berbères et le Makhzen) وفيها اتجه نحو التعليم وتربية المريدين. وقضى زهاء سبع سنوات متنقلاً بينها وبين تازروت، فكثرت أتباعه وتلامذته بهما. وسمه حاكمها بعدما تضايق منهم.

وقع الاختلاف حول تاريخ مقتله إذ جعلوه بين تسع وستين وثمانمائة وخمس وسبعين وثمانمائة للهجرة. ويرجع الشيخ زروق سنة سبعين وثمانمائة لأن الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم القوري تلقى سؤالاً في شأن عمرو المغيطي الذي قام بعد مقتل الجزولي طالبا بثأره. وبما أن القوري قد توفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة (فهرس ابن غازي، ص. 75) فان الشيخ يكون قد توفي قبل هذا التاريخ بالطبع (تمتع الاسماع، ص. 11-12).

ومما يثار عند ذكر وفاة الجزولي مصير التابوت الذي يحوي رفاتة بعد وفاته، والصراع الذي دار بين الشياظمة وحاجة حول امتلاكه، وتقديهم له أثناء حروبهم يحصل لهم النصر، ثم نقله السعديون إلى مراكش بعدما دفن مدة بأفوغال، وبنوا ضريحه الموجود في الحي الذي يحمل اسمه (سيدي ابن سليمان).

وبالرغم من أن علاقة الجزولي بمدينة مراكش كانت

الجزولي، محمد بن عرفة الفاسي، فقيه صالح من رجال القرن العاشر (16 م) وهو دفين باب الفتوح بحومة الجيزيين عن يمين المار إلى باب الحمراء حيث يجوز لوادي الزيتون.

إ. ابن الأحمر وغيره، بيوتات فاس، 42؛ م. الكتاني، سلوة، 2؛ 105؛ ع. الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

محمد حجي

الجزولي، محمد بن علي بن عبد الرزاق الفاسي، عرف أيضا بابن الحاج أو ابن أبي حاج وابن عبد الرزاق نسبة إلى جده رأس بيت بني عبد الرزاق أحد بيوتات فاس. اشتهر محمد الجزولي، إلى جانب الجاه المادي، بتصدره في علوم اللغة والأدب والفقه والتصوف. كان جده عبد الرزاق تلميذ أبي مدين الغوث أحد كبار صوفية المغرب في العصر الموحي (التشوف، 327، 330). كما كان والده علي من أبرز فقهاء فاس وصلحاتها ومحدثيها وحفاظها اشتهر بالرحلة إلى الحج والأخذ عن علماء المشرق.

نشأ محمد الجزولي في هذا المناخ العلمي والصوفي وأخذ يقتفي خطوات والده وجده في اعتماد نفس وسائل التكوين الذاتي والقيام بالرحلة إلى مختلف البلاد الإسلامية للاتصال بعلمائها والرواية عنهم. فأخذ عن محمد ابن عمر بن رشيد الفهري السبتي علوم الحديث. وارتحل إلى تونس حيث لقي القاضي أبا إسحاق بن عبد الرقيق وأبا عبد الله النقاوي ومحمد بن الحسين الزبيدي وابن جماعة وابن سرور وغيرهم من مشايخ عاصمة الدولة الحفصية، فأخذ عنهم. كما أخذ التصوف عن والده وليس منه الخرقه، وعن شيخ التصوف بتلمسان أبي عبد الله محمد الإمام.

انعكس هذا التكوين العلمي المتين على شخصية الجزولي وثقافته فوصفته المصادر بالعالم الكبير، وركزت على براعته في الترسل وجودته في الأدب وقدرته على الخطابة والإقناع وتفنته في المعارف كالفقه وعلوم الحديث وخاصة علم الأصول الذي كان له فيه التقدم، وكان يعقد له مجلساً بجامع القرويين يحضره الطلاب والأساتذة على السواء.

أخذ عن الجزولي مجموعة من العلماء بفاس، أمثال القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي الزقندري والخطيب ابن مرزوق والفقهاء محمد بن سعيد بن عثمان الشهير بانقشابو والمؤرخ عبد الرحمان بن خلدون والأديب لسان الدين بن الخطيب وغيرهم كثير.

حظي الجزولي بثقة ملوك بني مرين فقلدوه مناصب غاية في الأهمية كالقضاء والخطبة والإمامة لمدة زمنية تستغرق فترة حكم ثلاثة ملوك هم أبو سعيد وأبو الحسن وأبو عنان. غير أن المصادر اختلفت حول هذا الموضوع، فإذا كان صاحب بيوتات فاس قد أشار إلى أن الجزولي تولى الخطبة

والقضاء معا بفاس في عهد كل من الملوك الثلاثة المذكورين، فإن ابن مرزوق ذكر أنه كان قاضي الجماعة بحضرة فاس وخطيب جامع القرويين بها أيام السلطان أبي الحسن فقط. أما ابن القاضي فقد أكد أنه تولى الخطبتين معا في عهد السلطانين أبي سعيد وأبي الحسن، مقابل ذلك ذكر علي الجزنائي وكذلك ابن القاضي أن الجزولي عزل عن القضاء بعد وفاة السلطان أبي الحسن واستبدل به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ فيما استمر يزاول مناصب الخطبة بجامع القرويين خلال بداية حكم أبي عنان إلى أن ظهر عجزه الصحي وعض في هذا المنصب أيضا بالفقيه عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الصبر في يوم الجمعة الرابع عشر لجمادى الأولى من سنة 758 / 1357.

لكن ابن خلدون والقاضي النباهي خالفا هذا الرأي وبيننا أن الجزولي عزل من جميع مهامه بعد ثورة أبي عنان على والده أبي الحسن واستبداده بملك المغرب، فلزم بيته مع استمرار عناية السلطان الجديد به وبقاء الجراية عليه إلى حين وفاته. على أية حال لم يكن هذا الجانب الرسمي في حياة الجزولي طابعا عاما لشخصيته ولعلاقته بالسلطة، فكل المصادر التي ترجمت له أجمعت على أنه كان معظما محبوبا عند السلطانين أبي الحسن وأبي عنان، وكانت له معهما علاقات طيبة واتصالات مباشرة. فقد ذكر عن السلطان أبي الحسن أنه كان يقربه في مجالسه العلمية التي يعقدها بقصره، ويقرأ بين يديه الموطأ ومختصر ابن الحاجب وكتاب التهذيب. كما كان يشاوره في بعض القضايا المهمة، وعينه مع القاضي المفتي أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى وكبير الشرفاء أبي عبد الله محمد ابن عمران وثلة من الفقهاء للنظر في قضية تهم أحد الأشخاص الذين ادعوا الانتماء إلى النسب الشريف، والإشراف على ضبط وإحصاء الشرفاء بالمغرب في ذلك الوقت. كما يعرف عن الجزولي أنه كان ضمن وفد ضم أيضا إبراهيم بن أبي حاتم العزفي، توجه إلى تونس من طرف السلطان أبي سعيد عثمان المريني سنة 731 / 1331 وكلف بخطبة ابنة السلطان الحفصي أبي يحيى للأمير أبي الحسن المريني. كما لقي الجزولي اهتماما كبيرا من طرف السلطان أبي عنان حيث كان يستدعيه كذلك إلى مجالسه العلمية الخاصة ويأخذ عنه علوم الحديث ويقرأ عليه القرآن برواياته المختلفة.

ومما يؤخذ على المترجم أنه كان له ولد يرتشي من المتقاضين ولا ينهائه حتى قال فيه محمد بن يحيى العزفي أبياتا منها :

فتحت لنجلك باب الفتوح وأغلقت للناس باب الشريعة

وتختلط ترجمة محمد بن علي الجزولي في بعض كتب التراجم بأخر يماثله اسماً ونسباً وعصراً، ويظن البعض أنهما شخص واحد.

توفي بمدينة فاس عن سن عالية في رابع ذي القعدة عام 758 / 19 أكتوبر 1357.

البربري، ووقع على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال، وتعرض خلال أزمة سنة 1953 إلى مدهامات عسكرية وسجن عذب.



نشر الجزولي مقالاً مطولاً بعنوان لا طرقت في الإسلام رد فيه على كتاب غاية الانتصار ونهاية الانكسار لمحمد الشرقي الرباطي الذي دافع عن التصوف والمتصوفة. ونشر ديوانه في كتاب ذكريات من ربيع الحياة. توفي بمسقط رأسه بالرباط في تاسع رمضان عام 1393 / 6 أكتوبر 1973.

محمد الجزولي نفسه، ذكريات من ربيع الحياة، الرباط، 1971؛ م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع. 19، 1994؛ ع. ابن سوادة، إنحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9: 3449؛ حزب الاستقلال، قائمة الشرف، الرباط، 1988.

محمد حجي

الجزولي، الناجم (الناشر على الموحدين) من المعلوم أن جزولة هي إحدى القبائل الصنهاجية الكبرى التي كانت مواطنها تمتد من جنوب سهل سوس إلى الشرق من حوض نهر درعة عبر السفوح الجنوبية للأطلس الصغير الذي يسميه ابن سعيد جبل جزولة. هذه القبيلة ظلت مرتبطة بالحكم المرابطي إلى سنواته الأخيرة (رسائل موحديّة، عدد 2، 4)، وعندما قامت الثورات ضد الموحدين في جنوب المغرب الأقصى كانت جزولة إحدى القبائل المهمة التي دعمتها، فكانت من مؤيدي القائد المرابطي الصحراوي وابن هود الماسي (الذي يسميه البيذق، فيما يبدو، عمر الخياط ص، 67)، وساهمت في الاضطرابات التي قامت ضد الخليفة عبد المومن الموحدي خلال غيابه بالمغرب الأوسط سنتي 547. 548 هـ (البيذق 77، 84) ... لكن أهم ثورات الجنوب هي التي أخذت تظهر منذ عهد الخليفة الناصر مثل ثورة عبد الرحمان المكنى بأبي قصبه (سنة 597)، فقد "دعا لنفسه واشتد خوف الموحدين منه، وهزم لهم بعموثا عدة، إلى أن وجهوا إليه قوات عسكرية مهمّة تعاونت معها بعض القبائل المجاورة، فانهزم وقتل، وحمل

ي. الجزائني، جنى زهرة الآس، الرباط، 1967، ص. 64؛ ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تج. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، د. ت. 2: 63؛ م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، تج. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 125، 138، 147. 148، 153، 262، 263، 368، 486؛ النباهي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، بيروت، ص. 135، 136، 170؛ ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1968، 7: 524؛ التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تج. محمد ابن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951، ص. 65، 66؛ إ. ابن الأحمر، روضة النسرين، الرباط، 1962، ص. 26؛ بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 50. 51؛ نثير الجمان، تج. محمد رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 355، 357؛ أ. ابن قنفذ، أنس الفقير، تج. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965، ص. 35، 36؛ أ. الونشريسي، المعيار، الرباط، 1981، 7: 172؛ 8: 9؛ م. ابن غازي، التعلل برسوم الإسناد، تج. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 108؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ص. 64، 65، 229. 230، 300، 461؛ درة المجال، تج. محمد الأحمد أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1971، 2: 240، 241، 266؛ أ. باب التنبكتي، نيل الابتهاج، مصر، 1351، ص. 249، 271؛ أ. المقرئ، أزهار الرياض، تج. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، ج. 2: 316؛ م. الكتاني، سلوة الأنفاس، المطبعة الحجرية الفاسية، 1316، 3: 275، 276؛ م. حجي (محقق)، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976، ص. 82، 122، 209.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*. Paris, 1986, p. 268.

رشيد السلامي

الجزولي، محمد بن محمد بن محمد بن شيخ المادحين الحاج بوشعيب الرباطي. ولد عام 1306 / 1889 ودرس بمسقط رأسه على والده وعلماء المدينة وفي مقدمتهم الشيخ أبو شعيب الدكالي. كان أديباً شاعراً جزل العبارة فياض الشعور طويل النفس في الشعر. انتقل إلى العرائش واستقر بها فيما بين عام 1332 و1338 / 1913 و1919 لغرض لم يفصح عنه. ولما رجع إلى الرباط انخرط في سلك الوظيفة وعين كاتباً بالمحكمة العليا. وبقي يعمل خمس سنين كانت أخصب سني حياته الأدبية، نظم خلالها قصائد طنانة في انتصار الأتراك على اليونان، ومدح الشيخ شعيب الدكالي وختماته للبخاري، ونظم مولدتين مدح فيهما السلطان المولى يوسف، بالإضافة إلى مساجلات شعرية مع كبار الأدباء أمثال أحمد ابن المواز وأحمد بن المامون البلغشي، ومحمد بوجندار الذي كانت تربطه به صداقة حمية. وقد شارك الجزولي في الاحتجاج ضد تهجمات المستعمرين وتطاولاتهم على المغاربة، واضطر من أجل ذلك إلى التخلي عن الوظيفة ليشتغل في الأعمال الحرة، فنجح وأخفق وكان عاقبة أمره يسراً. كانت له مواقف مشرقة ضد الظهير

31-32 : المراهب القدسية، 408-409) ونظم العلماء هذا السند تسهيلاً لحفظه. (التشرف الصغير، ص. 75 ب).
وقد بنى الشاذلي طريقته على المواظبة على الذكر والصلاة على النبي، ولم يشترط اتخاذ الشيخ إذ بوسع السالك أن يصل حتى إلى القطبانية بدون وساطة، كما أنه لم يشترط اتخاذ رباط أو زاوية. لكن عرفت الشاذلية تغييراً على أيدي تلامذة أبي الحسن الشاذلي، ولخص ابن الخطيب مبادئ الشاذلية في عبارة (لا إله إلا الله) وجعل سلوك السالكين تسعة أصناف يبدأ من أفراد كلمة الإخلاص باللسان وتنتهي بمرتبة الفناء أي التوحيد وإسقاط التدبير مع الحق (روضة التعريف، 2 : 629). وأحصى جورج دراگ تسعة عشرة طريقة متفرعة عن الشاذلية في المغرب العربي (*Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*) أشهرها الطريقة الجزولية والطريقة الزروقية اللتان خصص لهما محمد المهدي الفاسي مؤلفه تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية، تحدث فيه عن مبادئها وطبقاتها وأتباع كل طبقة.

تقوم الطريقة الجزولية على المبادئ التالية :
- الدعوة إلى التوحيد ومعرفة الذات الإلهية : اهتم الجزولي بهذا الموضوع اهتماماً كبيراً فخصص له رسالة التوحيد، وعقد فصلاً من عقيدته تحت عنوان : في معرفة الله. وكان محور إحدى مراسلاته : أين الله ؟ وفي هذه الموضوعات يورد الآيات الدالة على التوحيد والتنزيه : ليس كمثله شيء، قل هو الله أحد، الله لا إله إلا هو الحي القيوم.

والتوحيد في نظره يتكون من أربعة أقسام من الصفات هي : الصفات الذاتية، والصفات المعنوية، والصفات السلبية، والصفات الفعلية. وينتهي إلى أن الصفات والذات شيء واحد - كما هو مذهب أهل السنة - : فالله عالم قادر بذاته، متجنباً الوقوع في الجسمية (الصفات الزائدة على الذات) أو في التعدد (الصفات المستقلة عن الذات).

وقد بنى جزءاً من حزيه الكبير على فكرته هذه في التوحيد (رسالة التوحيد، 43-44 : وعقيدته، 33-34).
يختم الجزولي حديثه عن معرفة الخالق بقوله : المعرفة أنوار تلمع في القلوب لأنها مهدة للإيمان، فمن عرف الله آمن به، والإيمان محله القلب، (رسالة التوحيد، 43-44 : وعقيدته، 33-34).
ويجيب على سؤال العامة (أين الله ؟) بقوله تعالى : وهو معكم أينما كنتم. قريب من غير اتصال، ويعيد من غير انفصال وتطرح هذه الأسئلة البسيطة التي يوجهها العامة والمريدون المبتدئون إلى الشيخ بعض المشكلات الكلامية : فالقرب والبعد يتصلان بالمسافة، والمسافة في حقه تعالى محال، والقول بوجوده داخل الأشياء أو خارجها اعتراف بوجوده في جهة معلومة، لهذا يلجأ الجزولي إلى التأويل، فلا هو داخل الأشياء ولا هو

رأسه إلى مراکش سنة 597 (المعجب). وفي سنة 600 ظهر الشائر الأندلسي المعروف بابن الفرس الذي ادعى أنه القحطاني الذي يعيد العدل إلى الأرض، وكثير أتباعه من جزولة ولمطة إلى درعة ودعوه بالخليفة، ثم أمكن لجيوش الناصر التغلب عليه قبل الحركة إلى إفريقية. وهذا الثائر - ابن الفرس - لم يذكره صاحب المعجب مما جعل البعض يعتبره هو أبا قصبه، إلا أن هذا اسمه عبد الرحمان ومن جزولة، وابن الفرس اسمه عبد الرحيم ومن غرناطة وهو أحد فقهاء عصره، وتُقل عن ابن عبد الملك المراكشي صاحب الذليل أن رأس أبي قصبه المعلق بأحد أبواب مراکش هو الذي حفز ابن الفرس لينحو منحاه لطلب الحكم.
وخلال غياب الناصر في حملته إلى إفريقية (601-603) ظهرت ثورة جديدة بالجنوب على يد شخص ادعى أنه عبيدي، ثم تحرك إلى الشمال إلى أن قُضي عليه.

وربما كانت أخطر ثورة ضد الموحدين بإقليم السوس هي التي قادها من تسميه المصادر بثائر جزولة أو الناجم بجزولة الذي استغل هزيمة العقاب وتمزق الجيش الموحد بعد موت الناصر وتولي ابنه المستنصر وهو صغير السلطة تحت كفالة وزرائه، إذ نجد لهذه الثورة أصداء في كتاب المعجب وفي بعض الرسائل الموحدية لكن بدون تفاصيل. ولعل ما يبين خطورة هذه الثورة هو ما أظهره الموحدون من الأفرار بعد مقتله سنة 612، فعمت "البشرى في أواسط البلاد وأطرافها" (رسائل موحدية، ع 99)، وهو ما لاحظته المراكشي الذي كان بالأندلس آنذاك (المعجب، 329). وكان لثورة الناجم الجزولي ذبول طويلة، استمرت بالجنوب الغربي في العهد الموحد بما يسمى بثورة بني يدر التي وجدت في جزولة وقبائل أخرى بالمنطقة دعماً لها جعلها تستمر بشكل متقطع إلى أواخر عهد هذه الدولة.

أ. البيذق، أخبار المهدي : ع. المراكشي، المعجب (315-317) : ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ق 2 / ص. 111، القاهرة 1964 : بسط الأرض في الطول والعرض أو كتاب الجغرافيا، بيروت 1970 (ص. 58) : ابن عذاري، البيان المغرب، ط - تطوان، ص. 215، 243 : ابن الزبير، صلة الصلة، ق 3 / ص. 228، تج. الهراس : ع. ابن خلدون، العبر، 6 : 522، 523 : أ. عزراوي، رسائل موحدية القسم 1، عدد : 2، 4، 97، 98، 99، 100، 101 (كلية الآداب بالقيظرة) القسم، 2 د. د. ع. مرقونة) ص. 139، 140، 149، 151.
أحمد عزوي

الجزولية (طريقة صوفية) تكاد كل كتب الطبقات

والسلسلات تتفق على اتصال الطريقة الجزولية بالشيخ أبي الحسن الشاذلي، فقد أخذ محمد بن سليمان الجزولي عن محمد أمغار (من رباط تيط) عن سعيد الهرتاني (من رباط هرتانة) عن عبد الرحمان الرجرجاني. عن أحمد عنوس البدوي. عن أحمد القرافي. عن محمد المغربي. عن أبي الحسن الشاذلي (دوحة الناشر، 3-4 : سلسلة الأنوار،

المسلم الحقيقي هو الذي : "يلبس حلة الإيمان على باطنه وقواعده المألوفة التي بين المومنين معروفة" (العقيدة ، 25 . 28).

وللإيمان دعائم وشروط وحقيقة ومراتب :
- دعائمه : النظر إلى الأشياء - لقوله تعالى (أفلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) .

- شروطه : منها التقوى لقوله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) . وعلم دون جهل، وإخلاص دون شرك، ويقين دون شك واستواء الظاهر والباطن.

- حقيقته : المحبة، لقوله صلى الله عليه وسلم "لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه".

- مراتبه أربعة : لكل واحدة منها قواعد :

الإسلام (بقواعده المعروفة) السلامة ؛ والإيمان (بقواعده المذكورة) ؛ والإحسان، ومعناه أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك حيث لا تراه.

وأصوله أربعة : الصبر والشكر والرضى والتوكل (العقيدة ، 35) .

بعد الشروط التوضيحية لمفهوم الإسلام والإيمان وقواعدهما يلتقي الجزولي مع مضمون حديث جبريل الذي يجعل الدين قائماً على ثلاث مقامات، هي الإسلام والإيمان والإحسان.

أما شيخ التلقين فاعتبره شيخ الجزولية ضرورة لا بد منها، بل لقد عانى بنفسه في سبيل الاهتداء إلى الشيخ المري، وزار الشرق والمغرب قبل مصادفة شيخه ومربيه في "تيط"، لذلك ورد في كتاباته : من شرط التائب أن يقتدي بشيخ عالم بالظاهر والباطن (متمتع الاسماع، 23 ؛ إظهار الكمال، 256) . ويعتبر السير إليه واجباً مهما كلف ذلك من متاعب ومشاق (فعليك بالمشي إليه ولو كان في بغداد . المشي إليهم - الأقطاب - نور ورحمة وسر في القلوب) (متمتع الاسماع، 6 ؛ بادرة الاستعجال، 49) وهذا السير في حد ذاته بداية فعلية في التربية وجزء منها، فلا يأتي فوقهم إلا النور المحمدي : (أقطاب هذه الأمة أنوارهم مع الصحابة رضي الله عنهم، ليس فوقهم إلا نور المصطفى صلى الله عليه وسلم". (متمتع الاسماع، 5 ؛ بادرة الاستعجال، 49) ويميز بين نوعين من الشيوخ :

- المقطوع : وهو الذي سلك طريق المجاهدة ولم يصل إلى طريق المشاهدة فرجع إلى الخلق يدعهم إلى الله، فدعاؤه على الحقيقة إنما هو للمجاهدة فقط لأنه لم يصل إلى المشاهدة، ومن تعلق به انقطع.

- الواصل : هو الذي وصل إلى مقام المشاهدة وغاب في أنوار الكمال ولم يشغله شيء عن الملك الحق، وهو الذي إن رجع إلى الخلق رجع بأنوار وعلوم وأحكام، من تبعه تعلم وتنور، وفهم مالم يفهمه غيره من أتباع المقطوعين (متمتع الاسماع، 24 ؛ إظهار الكمال، 258) فالمجاهدة مقام

خارجها لقوله تعالى (ليس كمثله شيء) والقول بوجوده في السماء يؤول بعلوه وجلاله وأنفراده بصفة الكمال التي لا تدرك بالعقل والقياس. والقول بوجوده في الأرض يؤول بتعظيمه وذكره وهيبته ومحبته والاستئناس به في قلوب العارفين الذين لا يفترون على ذكره. جل الملك الحق عن الحلول في القلوب والاستقرار والتمكين في المكان (عقيدة الجزولي، 33 ؛ أجوبة في الدنيا والدين، 15) وفي هذا التأويل إقرار بوحدة الخالق وتنزيهه وتعظيمه، وقد دعا شيخ الجزولية إلى جعل هذا التعظيم هدفاً مقصوداً بالعبادة قبل أي شيء آخر (لا تشتغلوا بالنفوس ولا بالقلوب، واشتغلوا بتعظيم علام الغيوب ... فمن اشتغل بمخالفة نفسه أو تصفية قلبه فليس يعابد لله تعالى (متمتع الاسماع، 23. 24 ؛ بادرة الاستعجال، 51 ؛ إظهار الكمال، 157) والعناية بالله تسبق ما عداها (ليس العناية من تعنى بالأموال والأولاد. وإنما العناية من تعنى برب الأرباب، وليس العزيز من تعزز بالقبيلة والأموال والأولاد وإنما العزيز من تعزز بالله وصفته) (متمتع الاسماع، 5 ؛ بادرة الاستعجال، 50 ؛ إظهار الكمال، 236) .

ولعل المقصود هنا مناهضة ما كان يعرفه عصر الجزولي من تحزبات قبلية ومنافرات لاسبيل إلى إزالتها إلا بجمع كلمة القبائل على صعيد واحد : عبادة الله والإخلاص له ليتم التدرج بعد ذلك في مدارج السلوك والطريق.

- المعرفة الصوفية : لم يخرج بشيخ الجزولية عن مقولات الصوفية في المعرفة، فهي حدسية بالمقارنة مع المعرفة الفقهية البرهانية، تتميز بقوة اليقين، وكشف الحجاب، ومحو الشكوك والأوهام، الشيء الذي يؤدي إلى الاقتراب من الله، وقد ميز بين علم الأرض - وهو علم الفقهاء أو ماسماه بعلم الظاهر وهو المأخوذ من الانبياء وأصله الوحي، وبين علم السماء أو علم الباطن وهو المأخوذ من الله تعالى بواسطة الإلهام وسواطع الأنوار (أجوبة في الدنيا والدين، 15) مبيناً أن علمه من النوع الأخير (الباطن) : لا تقولوا رحمكم الله إنني أخذ العلم من الأرض أو من السماء، بل أخذه من غير أرض ولا سماء. (متمتع الاسماع، 6 ؛ بادرة الاستعجال، 50) ، بمعنى أنه يستمده مباشرة من الخالق. وفي إحدى مناجاته إشارة إلى ذلك : وألهمتكم الاستماع مني (متمتع الاسماع، 26 ؛ إظهار الكمال، 260) .

- الإسلام والإيمان : أولى الجزولي في رسالة العقيدة هذا الموضوع أهمية كبيرة، وحلل فيها تفاصيل قواعد الإسلام والإيمان مما يدل على أنها كانت موجهة لعامة الناس والمبتدئين من المريدين. فهو يسمي غير المسلمين "بالمجانين أعداء الله" "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه" . ويوضح الجزولي معنى الإسلام بتفسير مبسط لأركانه الخمسة محلاً معاني وشروط الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج، ويأتي الإيمان بعد الإسلام ومكملاً له، إذ أن أركان الإسلام تهم الظاهر، فالعامل بها مسلم، إلا أن

المبتدئين، أما المشاهدة فمقام المنتهين الواصلين (أجوبة في الدنيا والدين، 15) ويصل الشيخ إلى هذه المرتبة بعد التدرج في مقامات الطريق: الإخلاص والتمكن والمشاهدة والفناء والأنس (ممتع الأسماع، 26؛ إظهار الكمال، 260) ويبلغ الذروة عندما يصل إلى ما وصل إليه الجزولي عندما قال في بعض مناجاته الإلهامية: اكتبوا ما سمعتم مني فإنني واسطة بينكم وبين الحق. الحق يُلهم، والعبد يفهم، ومن ألهم إلى الصواب وجب عليه النطق، لأن فيه منفعة الغير. (ممتع الأسماع، 25؛ إظهار الكمال، 258) أي عندما يبلغ درجة المشاهدة وتكشف دونه الحجب آنذاك يعتبر نفسه قطب الأقطاب (من لم يُفتح له على يدك لا يُفتح عليه أبداً) (ممتع الأسماع، 27؛ إظهار الكمال، 261).

ولا بد للمريد الراغب في سلوك الطريق - عند الجزولية - من البدء بالتوبة، فعلى التائب أن ينتهي عما كان يفعله من شر، ويقوم بأعمال الخير ما استطاع، ويجتهد في ذلك ويهجر الفجار، ويحب الأخيار، ويتبع سنة محمد عليه السلام، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداءه، ويداوم على ذكر الله والصلاة على نبيه، ولا يترك الصلاة في وقتها، ولا يفسد العمل بالرياء، ولا يعجب بنفسه في أعماله وأقواله وأفعاله، ويكون كلامه حكمة، وصمته تفكراً، ونظرة اعتباراً، ويتعلم العلم الذي يقربه إلى الله سبحانه (ممتع الأسماع، 23؛ بادرة الاستعجال، 50).

يعتبر الجزوليون التوبة حدثاً مهماً، وخطوة أساسية في سبيل الهدى إلى طريق الله، والالتزام بالجادة، لذلك دأب الشيخ وأتباعه من بعده على قص بعض شعر التائب إعلاناً لتوبته، وقد انتقد الفقيه الخروبي عند مجيئه إلى المغرب ذلك، ورد عليه أبو عمرو المراكشي وابن أبي محلى. وعلامات التوبة تسع: الحسرة والندامة والإنابة والخشوع والتواضع والابتهاال والمداومة على الذكر والرضا بالقضاء وحسن الظن بالمولى.

وهناك سبعة أشياء تفسد التوبة وتحول دون ارتقاء التائب وتحقيق هدفه، وهي الحقد والحسد والعجب والرياء والكبر وحب المَحَمَدَة ولذة الرياسة.

قال الجزولي: وأعلم أن من كان في قلبه ثلاثة أمور وهو يدعو إلى الله بالتوبة فهو زنديق. الاقتحار بالعلم وسوء الخلق وسوء الظن بالخلق (ممتع الأسماع، 24؛ بادرة الاستعجال، 51).

ويحدد الجزولي العلوم التي يجب على المريد أن يتعلمها وهي قبل كل شيء تلك التي تُعَرِّفه بخالقه ودينه، وبعد ذلك ما يتصل بالتصوف وأدابه، لهذا تناول قواعد الدين بالدراسة والتحليل في عقيدته قبل غيرها من الموضوعات الصوفية.

وهو يرى أن العلوم الناجعة العلمُ بالله وصفاته، ثم العلم بأحكام الله وبأمره، ثم العلم بأفات الأرواح والأسرار والنظر، ثم العلم بأداب المجالسة والمراقبة والمشاهدة

والمحادثة والمكالمة والاستماع (ممتع الأسماع، 23؛ إظهار الكمال، 257). فيكون البدء بمعرفة الشريعة أو علم الظاهر، وهو العلم بما هو حلال وحرام، ثم معرفة الحقيقة والطريقة أو علم الباطن وهو علم السلوك إلى الله ومعرفة أسرارهِ وموَاهِبِهِ في مخلوقاته.

ولا بد أن تعترض المريد عراقيل وعقبات لا يتغلب عليها إلا باتباع إرشادات الشيخ وتعليماته، أخطرها الشك، والوسواس الذي يأتيه من مجالسة أهل السوء. وقد وضع الجزولي آداباً تُمكن المريد من تجاوز هذه الصعوبات والاستفادة من علوم شيخه المربي.

آداب المريد: تحدد الطريقة الجزولية هذه الآداب في علاقة المريد بشيخه وبغيره من المريدين، وبعامه الناس وصدقه في سلوك الطريق والسبل المؤدية إلى التدرج فيها:

أ - آدابه مع شيخه: يجمع الصوفية على ضرورة احترام الشيخ والامتنال لأوامره وخدمته، ولا نكاد نجد قطباً من الأقطاب لم يتفان في خدمة شيخه في انتظار أن يأذن له بالانصراف لفتح زاويته في مكان معين. ويعتبر الجزولي تأدب المريد مع شيخه كتأدبه مع ربه، لأن حرمة كحرمة النبي. قال: من تأدب مع شيخه تأدب مع ربه، وحرمة الشيخ على المريدين كحرمة النبي مع الأصحاب. وقد كان الجزولي أكثر دقة بوضع قانون محدد لهذه العلاقة في مختلف أحوال المريد، بنوده عشرون:

خمس منة في حال الجلوس وهي: السكنينة والوقار والهيبية والحياء والخوف؛ وخمس في حالة الغيبة، وهي: المراقبة نحوه والافتقار إليه والتواضع والاستمسك بعنايته والمداومة على ذكر فضائله في قلبه بالتعظيم؛ وخمس في حال ذكره، هي: النظر إليه والرجاء فيه والاستنصار ببركته والنظر فيما بينك وبينه من العقيدة؛ والخمس التي في حال المحبة، هي: مداومة الحب ومداومة الشوق والحمى نحوه والهيج، والاندھال من الاشتياق إليه (ممتع الأسماع، 27؛ إظهار الكمال، 261).

وهذه الآداب تسهم في تربية المريد وتمكنه من تذوق المعاني الواردة في المنازل؛ كالإخلاص والاستقامة والصدق والصبر والحب...

ب - المجالسة والمخاطبة: يحث الجزولي مريديه على اختيار المجلس، فما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح، ولاهلك من هلك إلا بمجالسة من هلك، لذلك فإن في مجالسة الأخيار نجاة وفوزاً، وللمجلس تأثير مباشر على التدرج في مقامات التصوف (فمن جلس مع الفجار قسا قلبه، ومن جالس الأبرار استنار قلبه) وينصحهم بتفادي العموم وعدم مخالطتهم في فترة التلقين، لأن هذه المخالطة تذهب بنور القلب وهيبته الوجه، وعلى العكس من ذلك يدعوهم إلى الاجتهاد في مخالطة الخصوص، ففي مخالطتهم فوز بثلاث خصال: اكتساب العلم وصفاء القلب وسلامة الصدر (ممتع الأسماع، 27؛ إظهار الكمال، 261).

وللمجلس في حد ذاته آداب يجب التقيد بها، وخاصة عند انتهائه، بأن يتلو القائم هذا الدعاء (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) (متمتع الأسماع، 28؛ إظهار الكمال، 262) فيتم ذكر الله وحده عند الشروع في المجلس وعند الانتهاء منه:

ج - الصدق : ولا يمكن لطموح المرید أن يتحقق ولجهوده أن تثمر بدون التزام الصدق في الحال والمآل، والإخلاص في كل عمل وحركة، وبأتيان في المقام الثاني بعد التوبة والاستقامة، وهما المفضيان إلى المراقبة والمشاهدة لدى الصوفية. وعلاوة على ذلك يعتبر الجزولي الصدق نوراً، في لزومه فلاح وفوز، وفي تركه غفلة وخسران، ويقول : غلبيك بالصدق والرعاية، والصدق مع الله نور، والمعرفة برهان، والالتفات إلى غيره بهتان، وضياح حقوقه حرمان؛ والغفلة عن ذكره خسران (متمتع الأسماع، 28؛ إظهار الكمال، 263).

د - المداومة على ذكر الله والصلاة على رسوله : فيهما تطمئن القلوب وتعرف الطريق إلى الله.

والذكر من أنجع وسائل التطهير وتصفية الفؤاد، به تطمئن القلوب، وترتفع الحجب، ويرتقى المرید في مقامات التصوف، وقد عبر الجزولي عن هذه المعاني بقوله : القلوب أجنة والأذكار أشجار ومعرفة معاني الأسماء ماء، ومشاهدة الجلال والجمال والكمال ثمار ... (متمتع الأسماع، 28؛ إظهار الكمال، 261) فثمار الذكر إذن هي بلوغ درجة المعرفة أو المشاهدة، وهي أعلى المقامات. وآداب الذكر ثلاثة : معرفة المذكور : وهو الخالق تعالى، وتكون بالتدبير عند القراءة والذكر بالقلب لا باللسان، والهيجان في الذكر قد يبلغ حد الجذب. والتفكر في الغيب.

ومن صيغ الذكر المعتمدة في الطريقة الجزولية : الهَيْلَلَةُ وَالْحَوْقَلَةُ والاستغفار والصلوات على النبي بصيغها وأنواعها، وهي التي جمعها الشيخ في أحزابه وكتابه دلائل الخيرات. وللهيللة مكانة كبيرة بين صيغ الأذكار عند الجزولية وسائر الصوفية لذا تحدثوا عن مزاياها وثمراتها ولعل مرد ذلك إلى الحديث الذي روى فيه علي بن أبي طالب تلقين الرسول له ذكر (لا إله إلا الله).

ويتدرج المرید في ذكره من ذكر اللسان مع انشغال القلب وهو البداية، إلى ذكر الجوارح الذي يؤدي إلى الفناء في الصفة أو الاسم، وتسليم الأمر لله إثبات الصفة القديمة لله إلى ذكر القلب الذي يؤدي إلى الفناء والاستغراق في الذات الإلهية، وقل من يعرفه، ويصير فيه الصوفي قادراً على المشاهدة ويتم هذا بتدرج المرید : من ذكر مع وجود غفلة الي ذكر مع وجود يقظة وإلى ذكر مع وجود حضور وإلي ذكر مع غيبة عما سوى المذكور فيصير الذاكر مذكوراً، والطالب مطلوباً، والواصل موصولاً، وهو المقام الذي يشير إليه الحديث الذي أوله : "ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..." وهي النتيجة التي وصل

إليها عبد الرحمان بن محمد الفاسي في شرحه لأقوال الجزولي السابقة الذكر : فحينئذ يكون ذاكرةً ربه من غير شعور بوجوده ولا بكسبه، وإنما يجري ذلك عليه (متمتع الأسماع، 26؛ إظهار الكمال، 260). ويقوم على قراءة البسملة ودلائل الخيرات والقرآن الكريم ليلاً ونهاراً.

أما المقامات فهي مراحل يسلكها الصوفي للوصول إلى مرحلة الفناء في الذات الإلهية بموت الروح البشرية من حيث طبيعتها العارضة وانبعائها في الروح الأصلية، وتنتهي كلها بما يسمونه المعرفة الصوفية أو المشاهدة، حيث تُزال الحجب وتتجلى الأشياء، ولم يتناول شيخ الجزولية موضوع المقامات بتفصيل، لكنها وردت عرضاً في بعض مراسلاته نلخصها كالتالي :

- التوبة : فالمرید لا بد له أن يبدأ بالتوبة عما بدر منه والكف عن الشر ويقدم على فعل الخير ويصاحب الأخيار ويداوم على الذكر.

- الزهد : لا تتم التوبة إلا بدفع الدنيا من القلب ولا تدفع الدنيا إلا بالزهد الحقيقي، ولا يقوم الزهد ويرسخ في القلب إلا بالصدق الوافي. والزهد الحقيقي يكون بعد وجود الدنيا، فإذا كان القلب عامراً بربه، واثقاً به، متوكلاً عليه لا يلتفت إليها إلا إذا أراد بذلها لله مخلصاً، وكذا الملبس والمسكن. ذلك لأن القلب لا يجد شفاءه ولا دواءه في الإسراف في الطعام ووسط الجوارح، وإنما في الجوع (كتاب الزهد، 44).

- المجاهدة : والزهد هو بداية المجاهدة ومحور الصفات المذمومة، وبالمجاهدة تتم مخالفة النفس والهوى، واكتسابها للصفات المحمودة، وتلونها بها صفة بعد صفة، وترك الراحة وهجران الشهوات، وموافقة السنة، وكثرة البكاء على مافات وهو مقام المبتدئين.

- المراقبة : هي حفظ الروح من ارتكاب الإثم، ويسمي الجزولي هذا المقام مقام الحياء والامتنان، وهو مقام المتوسطين، وعنده أن المجاهدة والمراقبة مقامان مكتسبان للعبد، فيعطيها مرتبة المقام كما ورد عند الصوفية والمتصف بالثبوت والاستقرار لأن المرید يبلغه بجهده.

- المشاهدة : عبارة عن وجود الحق من غير ريب ولا تهمة .. وهي لأرباب التمكن ويعتبرها الجزولي مقام المنتهين، وهي جذب ليس للعبد فيه اكتساب (أجوبة في الدنيا والدين، 15).

وهو ما يدعو الصوفية "بالحال" أي هبة إلهية يهبها الله لعبيده تتخذ أشكالاً بوسع السالك وحده إحصاؤها ووصفها. ويُجمل الجزولي مفهوم السعي الصوفي أو السفر من مبنى الكون إلى معناه ومن الظاهر إلى الباطن (الظاهر المجاهدة والباطن المشاهدة). وهو الانتقال من مقام المبتدئين إلى مقام المنتهين بعد معاناة وجهود، ويعطي لهذه المقامات الثلاثة دلالة أخرى، فيسميها :

- مقام التوحيد : (أو علم اليقين) وهو تجريد الذات

جزيرة المليحة (معركة -)، في سنة 1489 حاول الملك البرتغالي جواو الثاني، الذي شغلته الكشوف الجغرافية والبحث عن طريق بحري للوصول إلى الهند عن التوسع بالمغرب، تحصين موقع هذه الجزيرة وترك حامية به. ويمكن إرجاع ذلك التحول في السياسة البرتغالية إلى الأوضاع التي كانت الثغور الشمالية الأربعة (سبتة والقصر وطنجة وأصيلا) تعاني منها بسبب حالة الحصار المفروضة عليها، وبسبب فشل المحاولات الرامية إلى خلق مناطق آمنة حولها تزودها بالأقوات وتدفع الضرائب وتقبل على أسواقها، وبذلك مثلت تلك الثغور عبئاً مالياً أرهق ميزانية الدولة، إذ كانت حسب تقديرات البعض تبتلع لوحدها عشر مداخيل الدولة البرتغالية (سنة 1477). كما اعتقد المسؤولون أن التحكم في ذلك الموقع المحمي طبيعياً يقلل من خطورة العمليات الجهادية التي كانت تنطلق من مدينة القصر الكبير، ويمنع الإمدادات الوطاسية من المس بالمكتسبات البرتغالية بمنطقة الهبط. وإذا كانت تلك العوامل المالية والاستراتيجية قد تحكمت في اختيار الموقع، فإن عاملاً آخر تحكمت في التوقيت. لقد توصل الملك البرتغالي من البابوية ابتداءً من إعلان قرارها بتاريخ 18 فبراير 1486 بمساعدة مالية وجبائية سخية مقابل تعهده بإعلان الحرب الصليبية بالمغرب والهجوم عليه خلال الثلاث سنوات اللاحقة. وقد انتهت المدة في فبراير 1489، الأمر الذي حتم على العاهل البرتغالي تنفيذ التزامه ليتسنى له تقديم طلب مساعدة جديدة. وبالفعل أصدر البابا قراراً جديداً في 19 فبراير 1491 بعد أن اقتنع بما ذكره الملك البرتغالي الذي حول هزمته إلى انتصار، إذ ادعى أن الوطاسي ألح في طلب إمضاء الهدنة وإعلان الصلح، وقدم مقابل ذلك تنازلات ترابية كثيرة.

ويبقى الحسن الوزان المؤلف المغربي الوحيد الذي أورد معلومات تفيد إلى حد ما في معرفة الظروف التي فشلت فيها المحاولة البرتغالية، بينما يغطي الغموض على ما أوردته الكراسي عن الواقعة. ومن حسن الحظ أن الرسالة التي بعثها العاهل البرتغالي يوم 21 شتنبر 1489 إلى البابا لتبرير فشله في محاولته تلك تعطي معلومات وتفاصيل عن الموقع وما شيد البرتغاليون به، وكذا عن ردود الفعل التي واجهتهم وظروف انسحابهم منه. كما أن تلك الرسالة لا تترك أدنى شك بشأن توقيت المحاولة التي تمت في شهر يونيو وليس فبراير كما يدعي البعض.

وتجمع المصادر على كون الحصار الذي ضربه محمد الشيخ الوطاسي على البرتغاليين حال دون إتمام تحصين الموقع الذي كان لا يزال بسيطاً ومن الخشب. كما حال

الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان.

- مقام التفريد : (أي حق اليقين) وهو الاستدلال بالصانع على المصنوعات، وهو عبارة عن فناء العبد في الحق، والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً، لاعلماً فقط (أجوبة في الدنيا والدين، 15).

وقد عبر الجزولي عن قطعه هذه المقامات، ويلوغه الهدف المنشود في كثير من مناجاته، كقوله : تهت ووصلت وصولاً لم يصله أحد قط، وقوله : غبت في أنوار كماله ومشاهدة جلاله وجماله. وقوله : كماله قد أفناني عما سواه. (ممتع الأسماع، 6.5 ؛ بادرة الاستعجال، 49-50).

ولعل من أهم ما تميزت به الطريقة الجزولية الدعوة إلى الجهاد ومواجهة الدخيل الأجنبي خاصة بعدما ظهر عجز السلطة المركزية أواخر العهد المريني وفي العهد الوطاسي عن أخذ زمام الحكم وإخماد الثورات والتمردات الجهادية، فدعا الشيخ الجزولي إلى الجهاد وكان يقول : دولتنا دولة المجتهدين المجاهدين في سبيل الله. (ممتع الأسماع، 6.5) وكان نشاطه مركزاً على شواطئ ماسة بفضل ما توفر له من مرابين وأتباع هناك. واتسع عمل الجزوليين في ميدان الجهاد بعد وفاة الشيخ.

وقد قسم محمد المهدي الفاسي أتباع الشيخ الجزولي إلى طبقات تكون أهم فروع الطريقة الجزولية في كتابه *تحفة أهل الصديقية* وهم : طبقة أبي عبد الله محمد السهلي الملقب بالصغير، كان قرب وادي اللبن بفاس وتوفي سنة 1512 / 918 هـ ؛ وطبقة عبد العزيز التابع الحرار - توفي بمراكش سنة : 914 هـ / 1508 م ؛ وطبقة أبي العباس أحمد الحارثي السفيناني، توفي بمكناس في العشرة الأولى من القرن العاشر الهجري (16 م) ؛ طبقة أبي محمد الحسن بن عمر أجانا ؛ وطبقة أبي عبد الله محمد الأمين ؛ وطبقة سلامة بن أبي سلامة ؛ وطبقة أبي عثمان سعيد بن محمد الدكالي ؛ وطبقة سعيد الراعي. وعن هؤلاء وتلامذتهم تفرعت طرق أخرى هي الغزواتية والبوعمرية والفلاحية وغيرها.

مؤلفات الجزولي الواردة في ترجمته بهذا الجزء من المعلمة : ل.

ابن الخطيب، روضة التعريف، تح. محمد الكتاني الدار البيضاء 1970 ؛ م. ابن عسكر، دوحه الناشر، تح. محمد حجي، الرباط ؛

أ. ابن عطية، سلسلة الأنوار، مخطوط خ. ع. 2458 ك ؛ م.

الصومعي، الثغور الصغير، مخطوط خ. ع. 1103 د ؛ م. المهدي

الفاسي، تحفة أهل الصديقية، مخطوط خ. ع. 79 ج ؛ تمتع

الأسماع، ط. حجرية ؛ محمد بن العباس الجزولي، المواهب

القدسية، مخطوط خ. ع. 97 ج ؛ محمد الغالي بن المكي، بادرة

الاستعجال في مناقب السبعة رجال، مخطوط خ. ع. بالرباط ؛ ع.

ابن إبراهيم، إظهار الكمال، مخطوط خ ح 232 ؛ ح. جلاب،

محمد بن سليمان الجزولي، ط مراكش 1993.

الذي عينه الباحث البرتغالي بيير دي سنفال (Pierre de Cenival)، وسار على نهج الباحث الإسباني تماش غرتيا فيكيراس (Tomas Garcia Figueras). ومعلوم أن الباحثين المذكورين عينا لحصن غراسيوسا موقعا متوسطا بالمرحلة الفاصلة بين العرائش والقصر الكبير، في الوقت الذي نرى البحث عن الحصن في نقطة غير بعيدة عن مصب واد اللكوس حيث يرسم مجراه ثنيات ثلاثا بارزة على شكل أشباه الجزر.

لقد سرنا في تحقيق الموقع باتباع طرق ثلاث : اعتبار المسافات الفاصلة بين المصب والحصن ؛ تتبع عمليات تزويد الحصن بمواد البناء والعتاد الحربي عن طريق مصب اللكوس ؛ تتبع الوصف المرافق للحصار المغربي لتحديد موقع مرابطة الجيش الوطاسي. وفق ذلك كان علينا ترجيح الموقع الذي حدده الإخباري البرتغالي برناردو رودريغيس (Bernardo Rodrigues)، صاحب حوليات أصيلا (Anais de Arzila) القريب من سنة الحدث، سيما وأنه وقف عند آثار غراسيوسا خلال إحدى زيارته لمدينة العرائش حوالي سنة 1538 ذاكراً أن قرية جديدة قد تكونت بالمكان تدعى "فونشال" (Funchal).

وأمام كل تلك التحريات لن يسعنا سوى الإشارة إلى موقع حصن الجزيرة في نقطة واقعة من قوس الثنية النهرية الثانية لواد اللكوس مما يقابل مدينة تشمس الأثرية شرقا وقرية الهوتة الواقعة على الضفة اليسرى من نفس الثنية النهرية الثانية غربا، وسوق الخميس الذي كان موضعه آنذاك على الضفة اليمنى من مصب الواد مقابل قرية الركاذة.

وبهذه النتيجة نصح الموقع الي أشار إليه بيير دي سنفال، إذ أنه خص للحصن موقعا قريبا من القصر الكبير عند نقطة ما قبل التقاء واد المخازن بواد اللكوس، وهذا الموقع لا يبعد عن القصر الكبير إلا بنحو أربعة فراسخ (.....). كما أن الآثار المكتشفة المعلن عنها من طرف "تماس غراسيوسا فيكيراس" موضحا بأنها خرائب حصن غراسيوسا البرتغالي هي حتما من الآثار التي لا تمت للجزيرة بصلة.

اتفقت المصادر على أن سنة الغزو البرتغالي لحصن جزيرة اللكوس هي 895 هـ / 1489 م، بدءاً من شهر شعبان / يونيو إلى أن تم الجلاء عنه قبل يوم 25 شوال / 21 شتمبر السنة. ونعلم عن الحصار المغربي أن محمد الشيخ الوطاسي حضر بقوات مكونة من فرسان الشاوية والخلوط بلغ عددها نحو أربعة آلاف ومن عدد من المشاة لم تذكر المصادر تقديراتهم. وكان برفقة السلطان ابنه الأكبر يحيى، وعلي بن راشد من قواد الهبط، ولا يمكن استثناء حضور طلحة العروسي قائد القصر الكبير آنذاك.

تمكن الجيش الوطاسي من إحباط المغامرة البرتغالية بجزيرة اللكوس، بعد أن ضرب الحصار على مر الإمدادات

إغلاق النهر برمي الحجارة وجذوع الأشجار فيه دون توصل البرتغاليين بما كانوا في حاجة إليه من إمدادات. ومن جهة أخرى، تفشت الحمى بين رجال الحامية البرتغالية بسبب المستنقعات. وبذلك اضطر البرتغاليون إلى التفاوض للتمكن من الانسحاب. ويبدو أنهم دفعوا الثمن غالبا فقد ذكر الوزان أنهم لم ينسحبوا إلا بعد دفع "غرامة حربية ضخمة".

وتشير رسالة جواو السابقة الذكر، إلى أن محلة الوطاسي كانت تضم أربعة آلاف فارس، فضلا عن عدد لا يحصى من المشاة. وأضافت أن السلطان قسم جيشه إلى قسمين، خيم كل واحد منهما على ضفة من ضفتي النهر، وأنه أمر بسد النهر وبتحصين "كل ضفة بحائط متين من الحجارة والخشب، حيث وضعوا على كل جانب آلات موجهة نحو النهر، ومنعوا السفن من الدخول إليه، وحالوا بذلك دون وصول الزاد إلى جنودنا". واعتمدت الحامية المكونة حسب نفس الرسالة من 1500 شخص على المدفعية وعلى التحصينات والخنادق التي حفرت حول الموقع، إلى حد أنه خلال الأربعين يوما التي دامها الحصار، "لم يجرؤ لا ملك فاس، ولا رؤساء جنده على الاقتراب منه أو مهاجمته من أية جهة، ولكنهم بتمديدهم للحصار كانوا يعتقدون أنهم سيرغمون رجالنا على الاستسلام تحت وطأة المرض". وأكدت الرسالة الملكية على الوباء الذي تفشى بين البرتغاليين، والذي "سبب لجلهم الحمى، الأمر الذي كنا نخشاه أكثر بكثير من أي شيء آخر" وأرجع الملك البرتغالي قرار تخريب الحصن والجلاء عنه إلى ذلك الوباء. كما أرجعت الرسالة الملكية ميل الوطاسي إلى السلم وطلب التفاوض إلى علمه باستعداد الملك البرتغالي لعبور البحر في شتبر.

ولم يحقق محمد الشيخ الذي كان يواجه ثورة الشاوية، والذي كان جيشه يفتقر للمدفعية، أي مكسب عسكري أو سياسي من ذلك الانتصار، بل على العكس من ذلك، بادر إلى تجديد العمل بالهدنة التي كان قد أمضاها لمدة عشرين سنة بعد سقوط أصيلا، مضيفا إليها مدة عشر سنوات أخرى (معاهدة تشميش، 27 غشت 1489).

ح. الوزان، وصف أفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، ط. 2، ص. 309-310؛ م. الكراسي، عروسة المسائل، الرباط، 1963، ص. 15-17؛ أ. بوشرب، وثيقة برتغالية جديدة تتعلق بواقعة المليحة، مجلة كلية الآداب، فاس، ع. 2-3، 1979-1980، ص. 376-387.

C. M. Witte. Une lettre inédite du Roi Jean II au Pape Innocent VIII sur l'affaire de Graciosa. Studia. Lisboa. 1958. p. 91 - 100 ; D. Lopes. Os Portugueses em Marrocos. in História de Portugal. Dir. D. Peres. Barcelos. 1931. Vol. III. أحمد بوشرب

* * أما موقع جزيرة المليحة والحصن البرتغالي بها Forte Graciosa فإن تحرياتها أرشدتنا إلى تعيين موقع آخر غير

البرتغالية بالمصب من موقع سوق الخميس بعد أربعين يوماً من الحصار، مما أدى في النهاية إلى استسلام قوات جواو الثاني وتوقيع هدنة الجلاء يوم 25 شوال 895 / 21 ستمبر 1489.

أ. ابن القاضي، لقط الفراند، 271-272؛ م. الكراسي، عروسة المسائل، 15-17؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، 1؛ 239؛ مارمول، إفريقيا، 2؛ 195-196؛ م. العربي الفاسي، المرأة، 145-146؛ ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالشغور الشمالية المحتلة، مرقون د. الدولة، الرباط، 1991.

Garcia de Resende, C. *De D. Joao 2 e Mescelanea*, p. 100 - 101 - 103 - 120 - 124 - 127 ; Rui de Pina, C. *De D. Joao 2*. chap. 28, p. 78. Chap. 31, p. 81 - 96 - 97 - 100 - 101 ; *Collecao de libros ineditos para a Historia de Portugal*, p. 96 - 101 ; Bernardo Rodrigues. *Anais de Arzila*, 2 : 91 - 93 - 94 - 96 - 101 - 105 - 155 - 156 - 204 ; P. Cénival, *S.I.H.M., Portugal*, T.1, p. 15 ; T. G. Figueras. *Expedition de los portugueses al rio de Larache, y fundacion de la fortaleza Graciosa*.

حسن الفكيكي

الجزيري، أو الكزيري أسرة تطوانية هاجرت من الجزائر، وهي على غير قياس، وتطلق على كل مهاجر من الجزائر إلى تطوان بعد الاحتلال الفرنسي عام 1246 هـ. وقديماً كان الجزيري يُطلق على أهل الجزيرة الخضراء بالأندلس بعد سقوطها وهجرتهم منها. وفي عام 1130 هـ ورد ذكر الحاج محمد الجزيري الأندلسي. وقد انقرضت هذه العائلة الآن، أعني الأندلسية.

ومن اشتهر بهذه النسبة من مهاجرة الجزائر الفقيه العلامة الأديب النايب السيد عيسى الجزيري التطواني وابنه السيد أحمد الجزيري من سكان الربيض الأسفل، ورد ذكره عام 1191 هـ.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، ج 3، حرف ج مخطوط : م. داود، عائلات تطوان، حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزائنه.

محمد بوحيزة

الجزيري، العربي، ريس بحري من أصل جزائري، انخرط في صفوف العاملين بالأسطول المغربي على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكان أحد خمسة رياس معتمدين بمرسى طنجة، مرتباً ضمن طائفة أهل المشرق من رجال البحر. وكان في سنة 1187 / 1773 يقود غليوطة مجهزة بأربعة مدافع، وستة وعشرين مجذافاً، ويسير طاقماً مكوناً من خمسين بحاراً، وهي السنة التي تلقى خلالها من باطونيه (Pathonier) نائب القنصل الفرنسي شينيني (Chenier) جواز مرور لاتقاء الملاحقة الفرنسية.

Chenier, *Journal du Consulat Général de France à Maroc*, p. 142.

حسن أميلي

الجزيري، علي بن محمد بن رزين أو محمد بن عبد الله، عالم نائر أندلسي من أهل الجزيرة الخضراء. أخذ بقسط وافر من العلوم، وكان يعنى بشكل خاص "ب حفظ المتشابهات وما يؤول منه إلى الروايات" حسب ابن عذاري. تُقدم المصادر روايتين مختلفتين عن شخصية الثائر الجزيري، فرواية ابن عذاري التي ينقلها عن مؤرخ رسمي للدولة الموحدية هو ابن صاحب الصلاة، تقدم الجزيري في صورة غامضة. أما رواية ابن سعيد المغربي فتبدو أكثر هدوءاً في التعرض لشخصية هذا الثائر جاعلة منه أحد الناقمين على الموحدين بسبب ما آلت إليه الأوضاع في دولتهم من ظهور الترف ومظاهر الأبهة والانحراف عن تعاليم المهدي ابن تومرت التي كان الجزيري أحد الغيورين عليها ! ومن ثم تعطي هذه الرواية عنه صورة عالم ذي نزعة إصلاحية وطموح إلى أحياء تعاليم المهدي. وتورد بعض الأبيات التي يعلن فيها الجزيري جانباً من طموحه، حيث يقول :

في أم رأسي سرُّ يبدو لكم بعد حين
لأظن مرادي إن كان سعدي معيني
أولاً فأكتب ممن سعى لإظهار ديني

حاول الجزيري أن يقوم بمغامرة شجاعة حيث إنه لم يعلن ثورته على الموحدين من مناطق الأطراف كما يفعل الثوار عادة، ولكنه فضل مواجهة السلطة الموحدية في عاصمتها، حيث انتقل إلى مراكش، مستغلاً وجود الخليفة المنصور باشبيلية، وفيها بدأ دعايته. وقد أصدر الخليفة أمراً بطرده من مراكش، فبدأ يتجول في المدن والمناطق المغربية وبيث دعوته سرّاً لاسيما بين العامة حيث كان يخاطبهم ببراءة وتأثير حتى عظم أمره وتبعه خلق كثير، فأصبح بذلك يشكل خطراً حقيقياً على الدولة، ونشطت حركة البحث عنه وترصدته العيون في كل مكان، لكنه كان ينجح في الإفلات من المطاردة.

ثم ظهر بمراكش زينة، فأمر والي المدينة السيد أبو حفص بمطارده والبحث عنه أينما وجد، فغادرها وظهر بمدينة فاس، وأخذ يختلط "بعامتها وأباشها"، فتبعه منهم أعداد، ورفع خبره إلى واليها ابن ومازير الذي ألقى القبض على عدد من أتباعه وقتلهم. في حين تمكن الجزيري من الفرار مرة أخرى، واختفى ولم يعد يوقف له على أثر.

ونظراً لتحرك هذا الثائر داخل المدن الكبرى في الدولة الموحدية وعلى أعين مسؤوليها، فإنه اتبع طريقة في الدعاية تنطوي على قدر من الخيلة، فأشاع بين الناس أنه ساحر عليم، وأنه يظهر في صور الحيوانات كالحمير والقطط والكلاب وغيرها.

ويظهر أنه بعد قتل مجموعة من أتباع الجزيري بفاس، استشعر الخطر، فتمكن من العبور إلى الأندلس. وكتب المنصور الذي كان موجوداً بها إلى سائر ولاياتها وعمالها

بأوصاف وامارات الجزيري لإلقاء القبض عليه. واجتهد المسؤولون في البحث عنه، فشاخ أنه أُلقي عليه القبض في مالقة، وقبض على كثير من التف حوله بمن فيهم أحد إخوانه، وأُحضروا إلى إشبيلية، لكن الجزيري تمكن من الفرار من جديد عن طريق إرشاء القاضي المكلف به. وفعلاً تم قتل كل أتباعه وكان عددهم تسعة وتسعين شخصاً، وقتل القاضي أيضاً على تفریطه، وتتبع الموحدون بالقتل كل من اشتبهوا بصلته بالثائر الجزيري.

لم تتوقف مطاردة الجزيري بعد ذلك حتى أُلقي القبض عليه ببعض قرى مرسية، وأُخذ إلى إشبيلية وحُمل إلى مكان جلوس الموحدين وطيف به على الحاضرين، وهو ينكر ما نسب إليه، وانتهى الأمر بتعذيبه وصلبه، وأرسل رأسه إلى مراكش سنة 586 / 1190.

ومما يؤكد أن حركة الجزيري كانت تحدياً للدولة الموحدية وهي في أوج قوتها، فقد سارع الشعراء إلى نظم القصائد في استمداح المنصور وتهنئته بالقضاء على "فتنة الجزيري"، فمن ذلك لانية الشاعر أبي العباس الجراوي التي مطلعها :
جد الجزيري في إتلاف مهجته حتى تورط في ورث بلا صَدْرٍ
لا تقدم لنا المصادر أسماء شخصيات معروفة سواء من العلماء أو زعماء القبائل أو غيرهم ممن ساندوه، والعالم الوحييد الذي اتهم بمساندته هو أبو الحسين ابن الفخار المالقي، ثبتت براءته من ذلك إلى جانب من أُلقي عليه القبض بمالقة.

يلاحظ إذن أن أتباع الجزيري وزعماء حركته كانوا من العامة، إلى حد أن المئات ممن قتل من أتباعه لا نجد ذكراً لأسمائهم في المصادر، مما يترك انطباعاً بأن هذه الحركة كانت في الواقع حركة عوام مأخوذين بما كان الجزيري يشيعه عن نفسه من معرفة للغيب، ولانستبعاد مع ذلك أن تكون المصادر الرسمية في العصر الموحي قد ركزت من جهتها على وجهة النظر الرسمية دون سواها.

ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، القاهرة، 1978، 1 : 323 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين) الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج 4 - بيروت 1964 ؛ ع. ابن خلدون، العبر (ج 6) بيروت، 1956 ؛ أ. المقرئ، نفع الطيب (ج 4) بيروت 1968 ؛ ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين (ج 2) القاهرة، 1964.

Ferhat Halima. *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles : les siècles de la foi*. Casablanca. 1993.

محمد المقرائ

الجزيري، عيسى (مولاي -) التطواني، لعل أصله من الجزيرة الخضراء بالأندلس، ولكن سكيرج وصفه بالحسني، يعني أنه شريف النسب. الفقيه العلامة الأديب المتفتن البارع المقرئ الحكيم صنّاع اليد، جميل الخط. ذكر سكيرج من أعماله الفنية أنه كتب المصحف الشريف كله في صفحة واحدة بخطه الرائع. كما كان يكتب بالخط

الشرقي، كتب به سورة طه في إطار مزخرف غاية في الإبداع والجمال، وتقدّم إلى نساج بنسج لواء لمخدومه الباشا أحمد فعجز، فأخذ المنسج وباشر ذلك بنفسه، فتم اللواء على صورة الإطار المذكور.

كان عيسى الجزيري مختصاً بالباشا أحمد بن علي الريفي. وهو الذي كتب له الكتابات والأشعار المنقوشة على جدران قصره (القصر الملكي الآن بالمشور السعيد بتطوان) كما أنه هو الذي كتب الكتابات الموجودة إلى الآن على المآثر التاريخية بتطوان ومازال معظمها موجوداً يشهد ببراعة المترجم له في الأدب والصناعة.

وبعد انتصار الحاج عمر لوقش على خصمه الباشا أحمد طلب المترجم له ليعاقبه ففر منه إلى مخدومه بطنجة. وظل معه إلى أن قُتل ومات لوقش بتارودانت، فعاد الجزيري إلى تطوان واتصل بالقائد الحاج محمد لوقش بن الحاج عمر المذكور وخدمه واختص به، ومدحه ببديعية دالية من الكامل وشرحها بشرحين يوجدان بالخزانة الداودية بخطه، وعلى الشرح الكبير تقاريط، منها للأديب محمد مفضل الأندلسي، والقاضي محمد ابن طريفة. كما ألف الجزيري كتاباً عجيباً في القرائات السبع.

توفي بتطوان أواخر ربيع الثاني عام 1169 / أواخر يناير 1756.

سكيرج، نزهة الإخوان، مخطوط ص. 50 ؛ م. داود، تاريخ تطوان، ط. تطوان 3 / 61 ؛ مختصر تاريخ تطوان، ص. 288.

محمد بوخيزة

الجزيري، فاتح بن حمادة القصري، الشاعر الأديب. ولد بالجزيرة الخضراء بالأندلس وانتقل إلى مدينة القصر الكبير، وأخذ عن علمائها وتصدر لتدريس الأدب بها بالمسجد الذي خلد اسمه بالمدينة وهو مسجد الجزيري الذي مازال موجوداً بحي الشريعة، فانتقل رحمه الله إلى المشرق وتولى القضاء بأسبوط بالقطر المصري وتوفي هناك عام 663 / 1265. وقد أصبح شافعي المذهب وله عدة مؤلفات ومنظومات شعرية، منها نظم المفصل للمزخشري، ونظم سيرة بن هشام، يوجد المجلد الخامس منه بالخزانة الملكية تحت رقم 1688، ويحتوي على 8185 بيتاً من الشعر، كما أن له نظماً آخر لكتاب الإشارات لابن سينا، ومنظومة في العروض.

محمد بوخلفة، المدارس والتعليم بمدينة القصر الكبير من بداية القرن السادس الهجري وما بعده، ضمن الملحق التاريخي والثقافي لجمعية البحث التاريخي والاجتماعي، الذكرى 28 لعيد العرش، مارس، 1989.

الحسين البعاوي

ابن جزري، بيت شهير بالأندلس والمغرب، وهم عرب قحطانيون من بني كلب من كهلان. سكنوا غرناطة، وانتقل

بعضهم إلى فاس منذ عهد قديم، وكان منهم علماء وكتاب وأدباء، وانقضوا اليوم من فاس.

ابن جزري، محمد بن أبي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي ثم الفاسي. أديب كبير شاعر ناثر، ولد بغرناطة في شوال عام 721 / أكتوبر - نونبر 1321. قال عنه إسماعيل ابن الأحمر: "طلع في سماء العلوم بَدْرًا مُشرقًا، وسارت براعته غربًا ومشرقًا، وسما شعره فوق الفرقدين، كما أرى بنثره على الشعري والبطين، له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب والفقه والنحو والبيان والآداب بصيرا بالأصول والفروع والحديث، عارفًا بالماضي من الشعر والحديث... ومع تَفَقُّته في العلوم فهو في الشعر قد نَبَغ، وما بلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ؛ بل سَلَمُوا التقدُّم فيه إليه، وألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه؛ ودخلوا تحت راية الأدب التي حمل، إذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس بالحَمَل".

كتب لبني الأحمر ملوك غرناطة ثم تنكروا له فانتقل إلى فاس، وحظي في بلاط السلطان أبي عنان المريني، وفيه لقي الرحالة ابن بطوطة وأملى عليه رحلته تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، فألفها ابن جزري ورتبها بأمر من أبي عنان.

توفي ابن جزري بداره من المدينة البيضاء (فاس الجديد) قرب المغرب من يوم الثلاثاء 29 شوال عام 757 / 25 أكتوبر 1356 ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقي بالجامع الأعظم.

ل. ابن الخطيب، الإحاطة، 2: 186، 195؛ أ. ابن حجر، الدرر الكامنة، 4: 165؛ ابن الأحمر، نثر الجمان، تح. م. الداية، 292. 307؛ أ. المقرئ، أزهار الرياض، 3: 189، 203؛ نفع الطيب، 5: 526، 539؛ م. الكتاني، سلوة، 3: 222؛ ع. الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

جَسُوس، أسرة من أقدم وأعرق البيوتات الفاسية التي اشتهر رجالها، عبر الحقب والسنين، في ميادين العلم والتدريس والتجارة والدبلوماسية والأمانة في المراسي. وبالرغم من عدم تمكننا من الوقوف على موطنها الأصلي قبل الاستقرار بمدينة فاس أولاً، ثم الرباط وتطوان فيما بعد، وهل هي من هذه الأسر الأندلسية العديدة النازحة من "الفردوس المفقود"، بعد سقوط غرناطة؟ أم هي من هذه المجموعات البشرية التي استوطنت مدينة المولى إدريس، شأنها شأن سائر الأسر الفاسية الأخرى؟ فإننا نجد ذكراً وآثاراً لبعض أفرادها، ابتداء من القرن العاشر (16 م).

على أن هناك احتمالاً آخر، يُفيد بأن هذه الأسرة من البلديين الذين اعتنقوا الإسلام. وفي هذا الصدد، أورد الضعيف الرباطي، في سياق حديثه عن الخلاف الحادث بين

السلطان المولى إسماعيل وبعض علماء فاس وفقهائها، في مسألة جمع العبيد وتقليك الحراطين، ما يلي: "...وكانت بينه وبينهم مُحاورَة، وفي آخر المجلس قام مولانا إسماعيل مُغتاضاً فقبضه السيد عبد السلام جسوس من طرف ثوبه وقال له: اجلس تسمع ما قال جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنثر ثوبه وخرج، فقال له محمد بن قاسم عليلش: ما فعل بك ذلك إلا لأنه حديث عهد بالإسلام، وذلك منه كراهة فيك وفي جدك؛ فقبضه وأمر بتعذيبه كما تقدم..."

ومهما يكن من أمر، فإن بيت آل جسوس كان يتكون من عدد من الفروع والفرق، نورد فيما يلي بعض مشاهير هذه الفرق بفاس، وفي مقدمتهم، فرقة الفقيه الشيخ عبد السلام بن حمدون جسوس (ت. 1121 / 1709). والفرقة الثانية من آل جسوس يمثلها شيخ الجماعة في وقته محمد ابن قاسم جسوس (ت. 1182 / 1767) ابن أخي عبد السلام المذكور آنفاً. والفرقة الثالثة يمثلها الفقيه الصوفي محمد بن عبد اللطيف جسوس (ت. 1273 / 1855). وتعرف الفرقة الرابعة بعائلة ناظر القرويين، التاجر حماد بن عبد العزيز جسوس الذي كان يشغل منصب النظارة في أواسط شهر محرم من سنة 1272 هـ / أواخر شتنبر 1855. أما رأس الفرقة الخامسة، وتُدعى عائلة شيخ ركب الحجيج بفاس، فهو عليّ جسوس. ورئيس الفرقة السادسة التاجر محمد بن العباس جسوس، وكان حياً في حدود سنة 1340 / 1921. 1922، وكان له أولاد ثلاثة هم محمد وأبو بكر وعبد الرحمان. ويتكون الفرع السابع من هذه الأسرة التي لم نأت على ذكر كل فروعها من الإخوة التجار محمد وأحمد وأبي بكر، أبناء محمد جسوس. وكان هذا الفرع من أغنى وأنشط الأسر الفاسية في القرن الثالث عشر (19 م)، وعرفت تجارتهم رواجاً داخل البلاد وخارجها. وقد توفي الابن الأول وهو محمد عن غير عقب ذكور. وأمّا الثاني، أحمد، فقد خلف أربعة أبناء ذكوراً، هم عبد السلام وعبد الكريم اللذان تُوفيا في سنّ الشباب عن غير عقب، وعبد القادر ومحمد العيساوي اللذان كانا على قيد الحياة في حدود سنة 1340 / 1921. 1922. وأمّا ثالث الأبناء، وهو أبو بكر، فقد أنجب من الأبناء الذكور تسعة وهم في السن على التوالي، محمد وإدريس ومحمد وعبد المجيد وابن سالم وعبد الوهاب وعبد الواحد وعمر وعبد الرحمان. وكان جميعهم على قيد الحياة في حدود سنة 1340 / 1921. 1922.

وبعد الحاج حدو جسوس وسعيد بن أحمد جسوس الذي قد يكون ابن الحاج حدو، من أبرز رجالات جسوس. ولعلهما من الفرع الذي استوطن مدينة تطوان أو مدينة الرباط. وقد عرفت تجارة كل من الرجلين، في بداية أمرهما، نجاحاً كبيراً ورواجاً واسعاً، داخل المغرب وخارجه، وأقبلت عليهما الدنيا واستُخدما في وظائف مخزنية عليا.

فالأول عُيِّن قُنصلاً للمغرب بمدينة جبل طارق سنة 1256 / 1841، ثلاث سنوات بعد أن عزل السلطان المولى عبد الرحمان يهودا ابن عليل من هذا المنصب الذي تولاه بعده الحاج حدو جسوس إلى غاية سنة 1273 / 1856، وعندها عُيِّن مكانه الأمين التاجر الكبير محمد الرزيني التطواني حتى سنة 1274 / 1857. وفي هذه السنة تقلد مهام القنصلية المغربية بالمدينة الأنجليزية المذكورة الحاج سعيد بن أحمد جسوس إلى غاية سنة 1307 / 1890، حيث وافته منيته وأقبر بمدينة تطوان، كما دفن قبله بنفس المدينة الحاج حدو جسوس.

ومعلوم أن منصب قنصل المغرب بجبل طارق كان يكتسي أهمية بالغة لا يُسند إلا لكبار التجار الذين لهم إلمام ببعض اللغات الأوربية ومكنتهم تجارتهم الرابحة وإقامتهم في مدن أوربا من الاطلاع على عادات وأحوال أهل هذه الديار.

هذا وقد ورد كثيراً ذكر العديد من أفراد آل جسوس في الوثائق والسجلات المخزنية، سيما أولئك الذين استخدموا في الأمانة بالمراسي المغربية، طيلة القرن الماضي، من بينهم الأمين مصطفى جسوس في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، والأمين عبد السلام جسوس وولده محمد اللذان كانا من أبرز أمناء المراسي المرقوقين في عهدي السلطان المولى الحسن وخلفه المولى عبد العزيز.

خ. ح : الوثائق الزيدانية، عدد 12607 ز، المجلدان 19 و 25 ؛ كنانيش بنفس الخزانة، رقم 46 و 370 و 404 و كنانيش بليمني. م. و. م. ر، مع طنجة ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف، الجزء 2 و 3 ؛ معجم طبقات المؤلفين، مخطوط خ. ح، رقم 12564 ز ؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، مرقون، خ، ح، رقم 10651 ز ؛ م. بوجندار، الاغتباط، مخطوط خ. ح، رقم 1287 د ؛ م. داود، تاريخ تطوان، 1959-1979، الأجزاء 2 و 3 و 5 و 8 ؛ ع. الكتاني، زهر الآس في بيوتات فاس، مخطوط، خ. ح، عدد 1281 ك ؛ أ. الناصري السلوي، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954-1956، الأجزاء 7 و 8 و 9 ؛ م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، الرباط، 1984، 83 : 1

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1963, t. 2 et 3.

جسوس، أحمد بن قاسم الرباطي، من الفرقة التي هاجرت من فاس إلى مدينة الرباط للاستقرار والعيش بها بعد نكبة ومقتل الشيخ عبد السلام جسوس بفاس، في سنة 1121 / 1709. وقد ترجم له تلميذه، مؤرخ الرباط، محمد بوجندار، في الاغتباط ومحمد بن علي دنية، في مجالس الانبساط، كما ذكره، عدة مرات، مؤرخ مكناس عبد الرحمان بن زيدان في إتحاف أعلام الناس... وحلاه بوجندار بقوله : "شيخنا العلامة الأديب المجيد... فخر الرباط وشاعره وناظم دره ونشره...".

ولد أحمد بن قاسم جسوس بالرباط في حدود سنة 1270 / 1862-1863، في أسرة ميسورة، نشط أبناؤها في ميادين العلم والتجارة والخدمة المخزنية. وقد سهر أبوه الذي كان يعمل أميناً في الجهاز المخزني، على تربيته وتكوينه تكويناً أصيلاً، ارتكز بالأساس على الدراسات القرآنية والفقهية واللغوية والأدبية. وخلال المرحلة الأولى من تعلمه بمسقط رأسه رباط الفتح، تمكن المترجم من حفظ القرآن الكريم، وحفظ منظومات النحو وماشابهها من المتون التي كان يتسلح بها كل مقبل على الدراسة في عصره ؛ ومن بين كبار الأساتيد الذين أسعفه الحظ بالتلمذ عليهم، شيخ الجماعة في وقته بمدينة الرباط إبراهيم بن محمد التادلي (1242-1311 / 1827-1892)، والشيخ العربي بن السائح (1229-1309 / 1813-1891-1892)، والعلامة الصوفي عمر بن محمد عاشور (ت. 1314 / 1896-1897).

وفي فترة ثانية شد الرحال إلى مدينة فاس، طالباً المزيد من المعرفة والعلم، فتسنى له حضور دروس بعض مشاهير علماء مدينة فاس، ومن بينهم أحمد بن أحمد بناني كلاً، ومحمد بن المدني گنون (ت. 1302 / 1885)، ومحمد بن التهامي الوزاني (ت. 1311 / 1894)، ومحمد بن قاسم القادري (ت. 1331 / 1913)، والطبيب بن أبي بكر ابن كيران (ت. 1314 / 1896).

وبعد قضاء وطره من السماع والحفظ والتحصيل، تاققت نفسه إلى التجوال والترحال، أولاً في المغرب، وثانياً خارجه. وهكذا قام برحلة طوف فيها بمراكش وطنجة وتطوان، حيث التقى بعلماء وأدباء هذه الحواضر. ثم بعد ذلك، سافر سنة 1304 / 1887، إلى بلاد الكنانة وأدّى بالمناسبة فريضة الحج. يقول بوجندار عن سفره هذا "...وتلاقى بعلماء الكل وأخذ وسمع واستجاز واستفاد...".

ولا شك أن فترة التكوين والتحصيل وإشباع نهم وقضول المثقف بلغت منتهاها لدى أحمد بن قاسم أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، أي عندما بلغ من العمر حوالي ثلاثين سنة.

وبعد العودة إلى الرباط، اشتغل أول الأمر في الإسهاد والتوثيق مع القاضي علي بن أحمد دنية الرباطي (ت. 1325 / 1907). ثم اشتغل عدلاً في أمانة المراسي بالدار البيضاء وطنجة وفي البنيقة المراكشية (أي الجهاز المالي المكلف بالصوائر المخزنية). إلا أن الرجل سرعان ما أنف من العمل في الوظيفة المخزنية، متعللاً بضعف بنيته وبعدم القدرة على الاشتغال باستمرار في المهام المسندة إليه. ولهذا عاد إلى بلده، وتفرغ للتدريس والتأليف. ومما يُنسب إليه من مصنفات وتآليف، نذكر ما يلي : تعليق على الموطأ ؛ الإغراء بمسائل الاستبراء ؛ افتتاح البخاري وختمه ؛ ختم السمائل الموسوم بزهر الخمائيل أو زهر الخمائيل من دوحة السمائل". وله كذلك أشعار كثيرة لو جمعت

لجاءت ديوانا. وما يؤكد شاعرية الرجل ذوقه الرفيع، وولعه بالموسيقى إلى درجة أنه كان يتقن العزف على بعض آلاتها.

وأما في حقل التدريس، فكان يلقي دروسه في الزاوية التجانية لأنه كان تجاني الطريقة، وله اعتقاد كبير في شيخها، وكذلك بالمسجد الأعظم بمسقط رأسه. وكان موضوع درسه شرح ألفية ابن مالك، والمختصر الخليلي بشرح الدردير، وشمائل الترمذي، والأربعين النووية، وهمزية البوصيري، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، والموطأ... ويبدو من شهادة تلميذه المؤرخ بوجندار، أن الفقيه جسوس كان بارعاً في طريقة تبليغ معلوماته، موقفاً فيها، حيث يقول في هذا الصدد : "... كان عذب الإلقاء، أنيق التعبير، حسن الإدراك والفهم...".

ومن أوجه النشاط الأدبي والثقافي، السائد في وقت المترجم له، تلك المحاورات والمساجلات التي كانت تجري بين أدياء الوقت، فيتبادلون التهاني والتحيات، ويتداولون بعضاً من القضايا الفكرية والأدبية التي كانت تشغل بالهم وتشير قريحتهم وذلك بواسطة تبادل قصائد شعرية أو نصوص نثرية، وهي طريقة التواصل والتحاوور الوحيدة السائدة في وقتهم، بسبب انعدام وسائل التواصل الحديثة التي لم يعرفها المثقف المغربي إلا في حدود الثلاثينات من قرنتنا الحالي. وعلى هذا النحو كان أحمد بن قاسم جسوس يربط الاتصال ببعض الأدياء والفقهاء المرموقين في وقته، كالقاضي أبي حامد محمد المكي بن محمد البطاوري (ت. 1354 / 1936)، والقاضي أحمد بن المامون البلغيثي (ت. 1325 / 1907)، والأديب عبد القادر بن عبد الله لُبريس (ت. 1332 / 1914)، والقاضي أحمد الزعيبي (ت. 1329 / 1911). وما قاله المترجم له في إحدى الجلسات الحميمية المنعقدة بحضور بعض هؤلاء، وخاصة أحمد بن المامون البلغيثي المذكور، والفصل فصل ربيع في بدايته، نونية رائعة جاء فيها :

بواكر الزهر جاءتنا تحيينا أحب بها نفحة بالروح تحيينا
جاء النسيم بها صبحاً على مهل وظل يهدي لنا ورداً ونسرنا
كما أورد له مؤرخ مكناس، في إتحافه، قصائد من نظمه، قالها بمناسبات شتى، إنسانية وفكرية وسياسية.

ويفيد صاحب الاغتباط، من جهته، بأن المترجم له كان ذا "جسم نحيف وجسد نحيل" معلقاً على حالته الصحية وما اعتراه من مرض، في آخر حياته، حيث لزم الفراش مدة طويلة.

هكذا كان أحمد بن قاسم جسوس، فقيهاً معلماً، وأديباً شاعراً، بل فناناً، جماعة للكتب والمؤلفات، حتى تكونت لديه خزانة كانت تعد من أغنى الخزانات الخاصة في وقته، ولا شك أنه يمثل أحسن تمثيل هذا الجيل من المثقفين المغاربة النشطين والفاعلين في الحقل الثقافي بالمغرب، في فترة ما قبل الحماية.

وافاه أجله المحتوم في 13 ذي القعدة 1331 / 14 أكتوبر 1913، ولم يعقب وأقبر بالزاوية الناصرية برباط الفتح.

م. بوجندار، الاغتباط، الرباط، 1987 : ع. ابن زيدان، إتحاف، الرباط، 1929. 1933، الجزء 1 و 2 : معجم طبقات المؤلفين في عهد الدولة العلوية، مخطوط خ. ح. رقم 12564 ز، جذاذة رقم 56 : محمد بن علي دنية، مجالس الانبساط، الرباط، 1986 : .. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، تاريخ العدوتين، تح. مصطفى بوشعراء، الرباط، 1986.

مصطفى الشابي

جسوس، بنسالم بن أبي بكر الفاسي (1919 - 1991).
نشأ في بيت من بيوتات فاس المرموقة بنشاطها في التجارة، فلقد كانت أسرته من تلك الأسر القليلة التي هاجر بعض أفرادها إلى إنجلترا وإلى مدينة مانتشستر بالضبط منذ سنة 1884 لتوطيد أسباب المبادلات التجارية مع ذلك البلد خاصة ومع القارة الأوربية على وجه العموم. وتلقى بنسالم جسوس دراسته الأولى في الكتاب ثم التحق بشانوية المولى إدريس في فاس وكان من تلامذتها من سنة 1934 إلى سنة 1942 ومنها انتقل إلى مدينة استراسبورك شرقي فرنسا لمتابعة دروسه في كلية الصيدلة فمنها تخرج صيدلياً سنة 1947 فعاد لوطنه ومسقط رأسه وفتح أول صيدلية عصرية يشرف عليها صيدلي مغربي في فاس فإنه كان من تلك الشلة المعدودة من المثقفين المغاربة الذين تخرجوا من الجامعات الفرنسية على امتداد حقبة الحماية، وتخرج أمثاله على قلتهم آنذاك كان مما يثلج صدور المغاربة ويخفف من غبن الاحتلال الأجنبي لما كان يثبت من قدرة أبناء المغرب على مجاراة أبناء المعمر في أرقى وأعصى الحلبات.



كان بنسالم جسوس على بينة من ذلك واعياً بما كان على جيله من المسؤوليات، فكان نضاله ملموساً في حزب الاستقلال، وما أن صار يمارس مهنته حتى انتخب عضواً في المجلس البلدي في فاس سنة 1948 في تلك الفترة التي أبت فيها الحركة الوطنية إلا أن تجرب مدى استعداد سلطات الحماية للتعامل السليم مع الوطنيين، ولكن التجربة سرعان ما باءت بالفشل لما بدا من خداع أساطنة الاستعمار ومن مكروهم، فإنهم أقدموا على نفي الملك الشرعي للبلاد وكان لا بد أن يؤدي بنسالم جسوس ثمن جبروت الحماية شأنه في ذلك شأن كل الوطنيين، فإن الإقامة العامة التي كان الماسك بزمامها يومئذ الجنرال كيوم أمرت باختطافه في دجنبر 1953 وظلت متكئة على ذلك

إطار منظمة الأمم العربية كما شارك في مفاوضات "الكاط" وهي الاتفاقية السابقة حول حرية المبادلات التجارية في العالم وكان عضواً في لجنة العشرين المقامة للنظر في إصلاح النظام النقدي العالمي، هذا إلى جانب ما كان يدير من الشركات التجارية والصناعية الخاصة التي كان يرأس مجالس إدارتها، وكان يؤدي تلك الهام كلها بمتتهى الحيوية والمثابرة، وكان يجتذب قلوب جميع من كان يتعامل معه بما حباه الله به من اللفظة واللباقة وخفة الروح، وكانت مجالسته مما يستحيل أن يحصل منها الملل فإنه كان آية في النكتة والفكاهة الطريفة الراقية، ولذلك نال رضى كل من ساقته مهامه الكبرى إلى معاملته من الملوك ورؤساء الدول، فأعدقوا عليه الجوائز والأوسمة، فكان له أوسمة مغربية وبلجيكية ولوكسمبوركية وإيطالية وأردنية وإفوارية وفرنسية.

توفي يوم السبت 25 جمادى الثانية عام 1411 / 12 يناير 1991 مذكوراً في جميع الأوساط بلسان الخير.

Charle-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes. 1415 - 1956*, Paris 1978.

إبراهيم بوطالب

جسوس، عبد السلام بن حمدون الفاسي، علامة مشارك في اللغة والفقه والحديث والتفسير والأصول والبيان إلى غير ذلك من العلوم التي كانت تكون أساس البرنامج الدراسي والمعرفي لرجال عصره.

وبما أنه كان ينتمي إلى هذه النخبة الحضرية المحظوظة، فإنه تتلمذ على كبار الشيوخ ومشاهير العلماء في وقته، منهم العالم عبد القادر الفاسي، وميارة الأكبر والحسن اليوسي وأحمد ابن الحاج وأبو سالم العياشي... يقول صاحب زهر الآس في بيوتات فاس: "إن معاصره كانوا يستشيرونه في الأمور الدينية والدنيوية"، مما يعني أن الرجل كان عالماً مرموقاً مشاركاً، يحظى بتقدير وثقة معاصره ولا يتردد في الإدلاء برأيه فيما كان يعرض على الجماعة من أمور مستعصية، سياسية واجتماعية، جاهراً ومنذراً بما كان يراه منافياً للشرعية الإسلامية أو مُضراً بالجماعة. وهذا ما جعله يتزعم في مدينة فاس، بل في المغرب كله، حركة الاحتجاج والإدانة التي حدثت، حين أمر السلطان المولى إسماعيل، سنة 1120 / 1708 - 1709، بجمع العبيد والحراطين، أينما وجدوا، وتقليعهم للدولة، كيفما كانت وضعيتهم الاجتماعية، ليجعل منهم قوة عسكرية رادعة، تدين له بالولاء وحده، (جيش عبيد البخاري)، يسخر أفرادها كما شاء في تطويع البلاد، وإسكات القوم والعباد، ولكن في نفس الوقت للدفاع والذب عن حوزة الوطن وطرد الإبييريين من المراكز والثغور التي مازالوا يحتلون منذ زمن الفوضى وضعف الحكم في القرن التاسع (15 م). فكان الفقيه عبد السلام جسوس أول من عارض علانية مشروع السلطان، وندد به، معتبراً إيّاه منافياً للشرعية الإسلامية لما تضمنه من قهر وحيف وظلم لجماعة كبيرة من المسلمين، الأمر الذي اغتاط له السلطان ولم ينعج التهديد والترهيب، ولا اللين والترغيب. في حمل الفقيه

بناء على رواية المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان مدعية أن لا علم لها بمصيره، وكان ذلك من الأعمال الإرهابية شبه الرسمية للانتقام من عمليات الفدائيين المغاربة ولكن إخفاء شخصية من مستوى بن سالم جسوس لم يكن من الأمور الهينة سيما وأنه كان متزوجاً من سيدة فرنسية، ولكل ذلك اضطر المختطفون إلى إطلاق سراحه في شهر ماي 1954 بعد أن أعطوا مرة أخرى في شخصه مثالا عن اسخفافهم.

ولما استعاد الوطن كامل سيادته كان بن سالم جسوس من تلك الأطر القليلة التي عليها المعول لبناء الاستقلال فإنه جعل حياته منذ 1956 إلى تاريخ وفاته وقفا على خدمة مصالح بلده تارة في الأجهزة الحكومية العليا وتارة في ميدان المقاومة الخاصة، وهكذا فإنه كان فيما بين 1956 و1960 عضواً في المجلس الوطني الاستشاري ورئيساً للجنة الاقتصادية في تلك المؤسسة، كما كان عضواً في مجلس التخطيط بصفة كونه رئيساً للمجلس الوطني للصيدلة ورئيساً للفرقة التجارية والصناعية في فاس، كما كان في ذات الوقت مندوب الحكومة لدى شركة الطاقة الكهربائية ولدى شركة السكك الحديدية وهما في طور الانتقال من الأيادي الفرنسية إلى الأيادي المغربية. ثم إن المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه عينه عاملاً على مدينة فاس سنة 1961 وعينه صاحب الجلالة الحسن الثاني عاملاً على مدينة طنجة سنة 1962 ومنها أسند إليه وزارة الأشغال العمومية سنة 1963 فلم يقض فيها إلا بضعة أشهر حيث عين سفيراً للمغرب لدى دول البينيلوكس الثلاثة وهي هولاندا وبلجيكا ولوكسمبورك ومعتمداً لدى المجموعة الاقتصادية الأوروبية ومارس تلك المسؤوليات من شهر 1963 إلى أكتوبر 1972 فكان ذلك أطول ما أسند إليه من المهام الرسمية العليا، وهو الذي قاد جولات المفاوضات التي انتهت باتفاقية الشراكة الأولى مع المجموعة الاقتصادية الأوروبية المبرمة في الرباط يوم 31 مارس 1969 وما عاد من سفارة بروسيل إلا ليتبوأ منصب وزير المالية فتحمل أعباء تلك الحقبة إلى سنة 1974 ثم عين رئيساً مديراً عاماً للشركة الوطنية للاستثمار فهو الذي أرسى قواعدها وظل يشرف عليها إلى سنة 1978. وكان من آخر ما قام به من المهام الرسمية أو شبه الرسمية رئاسته للصدوق المهني المغربي للمعاشات وذلك من 1977 إلى أن وافاه الأجل المحتوم، وأيضاً رئاسته للكونفدرالية العامة الاقتصادية المغربية وهي نقابة أرباب المعامل والمقاولات في المغرب وذلك فيما بين 1985 و1988.

هكذا كان بنسالم جسوس تشخيصاً ناصعاً لجيله وهو جيل بناء صرح المغرب الجديد الذي كان عليه أن يفند الدعاية الاستعمارية القاضية بقصر همم المغاربة ويعجزهم عن مسابقة تيارات ومتطلبات المعاصرة، فلم يكن بنسالم جسوس من أول صيادلة المغرب بل كان واضع اللبنة الأساسية لصناعة الصيدلة في المغرب، ولم يكن رجل الدولة ورجل الأعمال والمقاولات بل كان رجل فكر وإطلاع ومشاركة ممن لا يغلب لديه النظر على العمل ولا العمل على النظر. وقد شارك في العديد من الملتقيات الدولية في

جسوس على الإقلاع والتخلي عن موقفه المتصلب في مسألة العبيد. فسجن وأمتحن، وصودرت أمواله وممتلكاته، وهو مصيرُ عرفه سائر أفراد عائلته بفاس، وقد تكون هذه الفترة منطلق هجرة عدد من أبناء عمومة الفقيه عبد السلام جسوس، إلى جهات مختلفة من البلاد، وبالأخص إلى مدينتي الرباط وتطوان.

يقول محمد بوجندار في الاغتباط متحدثاً عن أحد أفراد العائلة الجسوسية بالرباط، وهو عبد الله بن الطيب جسوس (ت. 1188 / 1774 - 1775) ما يلي: "... انتقل والده الطيب مع أخيه الفقيه السيد عبد العزيز لما وقعت لابن قاسم جسوس (ابن أخ الفقيه عبد السلام جسوس) القضية الشهيرة في التاريخ...".

وقد كتب عبد السلام جسوس قبل اغتياله بيومين شهادة وجدت بخطه يبين فيها تمسكه بالحق والشرعية في موقفه الثابت اقتداءً بأئمة السلف الذين لم يؤثروا أموالهم ولا أيدانهم على دينهم حين أكرهوا على ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع (نشر الثاني، 3 : 208) وقد وُجد مقتولاً في ليلة 25 ربيع الثاني عام 1121 / 4 يوليو 1709، بسجن القلعة بفاس، وبوفاته انتهت معارضة علماء فاس لمسألة جمع وتقليد العبيد.

جسوس، عبد الله بن عبد السلام بن حمدون الفاسي، كان - كأبيه - فقيهاً مشاركاً أديباً، توفي عام 1136 / 23 - 1724. ولم يعقب، فانقرض بموته هذا الفرع من آل جسوس بفاس.

م. القادري، نشر الثاني، 3 : 207، 208 و 280؛ ع. الكتاني، زهر الآس في بيوتات فاس، مخطوط خ. ع : م. بوجندار، الاغتباط، الرباط 1987، ص. 387.

مصطفى الشابي

جسوس، محمد بن عبد اللطيف الفاسي، فقيه صوفي مدرس مؤلف، له في التصوف نصرة الفقير ؛ وفي الذكر والسماع كتاب النصح العام لمن قال ربي الله ثم استقام، فرغ منه في أواخر عام ستين ومائتين وألف. وله أيضاً كفاية علمية حافلة.

توفي بفاس في عاشر رجب عام 1273 / 6 مارس 1857. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، دليل، 2 : 466؛ إتحاف المطالع : موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2607؛ م. الكتاني، سلوة، 1 : 194 و 3 : 26.

جسوس، محمد بن قاسم بن عبد السلام الرباطي الذي تنسب إليه مدرسة جسوس الحرة بالرباط، ولد وترى مع إخوته في دارهم بحي مولاي إبراهيم بالرباط. وهو واحد من خمسة إخوة هم أحمد الشاعر سابق الترجمة والحاج أبو بكر والحسن والحسين.

أصهر مَحْمَد جسوس إلى آل والزهر فتزوج السيدة رحمة بنت مَحْمَد والزهراء، وكانت امرأة صالحة، يذكر محمد حسن الوزاني في أحد مؤلفاته أن لها أيادي بيضاء في الحركة الوطنية أسدتها لرجالها عندما كانوا يجتمعون مع ابن أخت زوجها أحمد بلافريج بدارها، فكانت تحسن استقبالهم ورعايتهم. وفي سنة 1304 / 1887 حجَّ مَحْمَد جسوس مع أخيه أحمد واصطحب معه إلى الديار المقدسة على نفقته ثلة من أقربائه وأصدقائه مثل خاله الحاج عمر ابن جلون والحاج محمد بن إدريس بوهلال الملقب بالميزان، ومحمد بن يحيى بلامينو .

كانت أسرة جسوس من الأسر الموسرة بالرباط. ومنذ عهد السلطان المولى سليمان اكتسبت غنى وافرأ بعدما اشترى منهم المخزن الأراضي التي شيد عليها السلطان الملاح. ومنذ ذلك الحين نمت ثرواتهم وامتدت أملاكهم العقارية فانتشرت على مساحات كبيرة وخصوصاً بحي الليمون بالرباط. وبفضل غنى مَحْمَد جسوس وإخوته تمكنوا من القيام بأسفار كثيرة إلى أوروبا والشرق، وأصبحت لهم صلات مع مصر والشام وتركيا والحجاز فملكوا بعض العقارات هناك كما جعلتهم أسفارهم يفتحون على الحضارات الأخرى فكانوا من أوائل المتفتحين التقدميين.

كان مَحْمَد جسوس مع عدد من أعيان الرباط يساهمون في أعمال اجتماعية خيرية وإحسانية لفائدة العائلات الرباطية المحتاجة، يخصصون صدقة كل خميس سميت "خبز الخميس". ولهم جماعة مشرفة على "بستان الحرمين" بالرباط كانت تُرسل ريع هذا البستان إلى المشرفين على الحرمين الشريفين لتغطية بعض المصاريف كشراء الزرابي اللازمة وتسديد أجور عبيد الحرم (الأغوات).

لم يرزق مَحْمَد جسوس - مثل أخيه الشاعر أحمد - أولاداً لذلك اعتبر ابن أخته الوطني الشهير أحمد بلافريج ابنه الروحي فاهتم به وأعانته على دراسته سواء بالمغرب أو بالقاهرة أو بفرنسا. ووهب له ثلث ما يملك، ومن جملة ذلك عرصة جسوس التي بنيت عليها المدرسة التي حملت اسم مَحْمَد جسوس وذلك سنة 1934 وقد بنيت هذه المدرسة بمساهمة عدد من أهلي الرباط مثل آل التازي، كالحاج مَحْمَد والحاج عبد القادر التازي ومحمد بن الحاج أحمد بناني المدعو حميدو بناني وآخرين. أما الذي أشرف على البناء وراعاه بالجهد والحضور فهو الحاج عباس التازي.

لم ير مَحْمَد جسوس هذه المؤسسة لأنه كان هاجر إلى المشرق وتوفي بالمدينة المنورة ودفن هناك في حدود عام 1354 / 1935.

م. بوجندار، الاغتباط، الرباط، 1987، ص. 62؛ ع. الجراري، من
أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، 1969؛ م. دينية، مجالس الانبساط،
الرباط، 1986، ص. 302؛ روايات شافية لمحمد الأمين بلكناوي،
ومحمد الصباحي مدير مدرسة جسوس.

عبد الإله الفاسي

جسوس، محمد بن قاسم بن محمد الفاسي. الأزه
الفيقيه العلامة المحقق المحدث الصوفي الموفق المشارك
الحجة... ولد في سنة 1089 / 1678 - 1679 بفاس، وهو ابن
أخي الفيقيه عبد السلام جسوس، السابق الذكر. وابن قاسم
هذا، كان معاصراً للفيقيه العلامة عبد القادر بوخريص،
قاضي فاس الشهير، وله عدة مصنفات في الفقه والتفسير
والحديث، منها: شرح خليل في تسعة أجزاء؛ وشرح رسالة
ابن أبي زيد القيرواني، في أربعة أجزاء؛ وشرحان على
حكم ابن عطاء الله؛ وشرح الشمائل. وهو من العلماء
الذين استشارهم السلطان سيدي محمد ابن عبد الله (1171.
1204 / 1757 - 1790) في مسألة إقرار ضريبة المكس على
أسواق مدينة فاس وغيرها من الحواضر المغربية.

أخذ عنه عدد من كبار العلماء والفقهاء في وقته، نذكر
منهم إدريس بن محمد بن إدريس العراقي ومحمد التاودي
ابن سودة. وقد خلف ولدين محمداً وعبد الرحمان،
وكلاهما كان على قيد الحياة في رجب 1197 / 1782، وتوفي
أولهما مؤخفاً ولدين من عقبه وهما محمد وعبد العزيز.

توفي المترجم بفاس في 4 رجب 1182 / 26 نونبر 1767.
م. القادري، نشر المثاني، 4: 188؛ م. الكستاني، زهر الآس،
مخطوط خ. ع؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام
المغرب، 7: 2393 - 2394.

مصطفى الشابي

ابن **جشّار**، بيت قديم في فاس، أصلهم من قبيلة
مغيلة، ويقال لهم في بعض الرسوم "أجشّار". وقد
انقرضت هذه الأسرة اليوم في فاس.

ابن **جشّار**، محمد بن أبي غالب المغيلي الفاسي.
فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، كان ينوب عن
قاضي مدينة فاس، ويخطب في بعض مساجدها. توفي سنة
898 / 1492 ودفن خارج باب الفتوح.

إ. ابن الأحمر، بيوتات فاس، 68؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 1: 243 -
244؛ لقط الفرائد؛ ألف سنة من الوفيات، 153 و273؛ م.
الكستاني، سلوة، 3: 88؛ ع. الكبير الكستاني، جنى زهر الآس،
مخطوط.

جشّم، قبيلة عربية من قيس غيلان بن مضر. أورد

كل من ابن حزم وابن خلدون نسب جدهم معرفين باسمه على
النحو التالي: جشم بن معاوية بن بكو بن وتزن بن منصور
ابن عكرمة بن حصفة بن قيس غيلان بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان (جمهرة أنساب العرب، 269 و482؛ العبر،
6: 38).

انضم بنو جشم إلى بني هلال بأفريقية، واستوطنوا
معهم البلاد الغربية منها في الوقت الذي استوطن بنو سليم
البلاد الشرقية. ولكون جموعهم كانت وفيرة العدد، مقارنة
مع من سواهم، إلى جانب جموع الأتيح من هلال بن عامر،
علت أيديهم على الجميع، وتغلبوا على الضواحي والأمصار
في أفريقية، وصارت لهم عزة على دولة الزيريين
الصنهاجيين (العبر، 6: 28؛ الاستقصا، 2: 168).

يعود تاريخ أول اتصال بين العرب الهلاليين والموحدين
إلى عهد عبد المؤمن بن علي الكومي. فهو أول من ألحق
عددًا لا يستهان به منهم بجيشه سنة (الأخماس) 555 /
1160 في منطقة وهران لما طلبت منه شيوخ عرب بني رياح
وبني جشم وبني عدي الإذن بالرجوع إلى أفريقية فأذن
لهم، ونقل منهم إلى المغرب ألفاً من كل قبيلة بعيالاتهم
وأبنائهم (القرطاس، 199؛ المن بالإمامة، 90). ثم استغل
بعد ذلك الخليفة أبو يعقوب يوسف طبيعتهم الحربية
ووظفها في جهاده بالأندلس، كما استعان بهم السيد أبو
حفص عمر في حروبه ضد ابن مردنيش بمرسية سنة 560 /
1165 (المن بالإمامة، 199).

لكن انتقال الأعداد الوفيرة منهم إلى المغرب الأقصى
لم يتم إلا في سنة 584 / 1188 على عهد يعقوب المنصور،
الذي أوقع بجموعهم بعد حروب عديدة وشردهم في
صحاري المغرب الأدنى، عقاباً لهم على مناصرتهم لعدو
الموحدين علي بن غانية منذ خلوته بيجاية قادماً إليها من
جزر البليار سنة 581 / 1185.

أنزل المنصور قبائل جشم بعد تغريتهم ببلاد تامنا،
ما بين سلا ومراكش، فلم ينتجعوا بعدها قفراً ولا أبعدهم
رحلة (العبر، 6: 37؛ الاستقصا، 2: 168 - 169). في
حين أنزل رياح التي رافقتهم في الرحلة ببلاد الهبط
وأزغار، أي بمنطقتي جباله والغرب. وكان قصده من هذا
الترحيل كسر شوكة إخوانهم بأفريقية من جهة، وتقوية
جيشه بهم من جهة ثانية (قبائل المغرب، 1: 408؛ أثر
القبائل العربية، 67 - 84).

استفادت دولة الموحدين من هؤلاء الأعراب استفادة
كبيرة في فترة قوتها. ثم انقلبوا عليها في مرحلة التراجع
وكان لهم دور كبير في إضعافها والقضاء عليها بما سببه
من مشاكل للخلفاء المتأخرين. ولما أقام المرينيون دولتهم
على أنقاض الحكم الموحد لم تكن في المغرب الأقصى
حامية أكثر نفوذاً وشوكة منهم لوفرة أعدادهم وشدة بأسهم،
فاضطروا إلى شن الحرب عليهم تارة ومهادنتهم تارة أخرى
إلى أن استكانوا لعزمهم وصلوتهم (العبر، 6: 37 - 38).

غلب اسم جُشم على من انضاف إليها من القبائل من بني هلال التي انتقلت إلى المغرب بانتقالها وأنصهرت فيها وصارت في عداها بعد شغل مجالات تامسنا، وهي قبائل قرّة والعاصم ومقدم والأثبيج والخلط (العبر، 6 : 37). ثم تميز جمهور هذه القبائل بعد حلولهم بالمغرب الأقصى إلى أربع مجموعات قبلية كبرى هي مقدم والعاصم، وبني جابر، وسفيان، والخلط (العبر، 6 : 37 : الاستقصا، 2 : 170 - 171).

تنسب قبيلة قرّة إلى قرّة بن عبد مناف بن أبي ربيعة ابن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة (الاستقصا، 2 : 170). لم يرد اسم هذه القبيلة بين أسماء القبائل القوية في جُشم في القرن السابع (13 م) أي في فترة الاعتزاز على خلفاء بني مرين. وقد يفهم من ذلك أنه لم يكن لها حضور قوي ولا تأثير كبير في مجريات تلك الأحداث. لكن ابن خلدون ذكر في معرض حديثه عن نسب أولاد جرمون، شيوخ عرب سفيان، أن بعض المؤرخين يزعمون بأنهم من بني قرّة هؤلاء (العبر، 6 : 38). وبذلك تكون هذه القبيلة قد انصهرت في سفيان حتى صارت منهم، ثم اختصت بعد ذلك بالزعامة فيهم.

أما العاصم ومقدم فهما من أبناء مشرف بن أثبيج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة (العبر، 6 : 33 : الاستقصا، 2 : 170). كان لهم عدد وقوة بين الأثابج في إفريقية بل كانوا أشرف العرب وأنبههم شأنًا (وصف إفريقيا، 1 : 42). ثم انصهروا في جُشم بعد تغربتهم، وأسكنهم المنصور دكالة. وصاروا في عداد عساكر الموحدون كباقي إخوانهم من جُشم، وأدوا للخلفاء من بني عبد المومن الجبايات قبل أن ينقلبوا عليهم في مرحلة الضعف.

ناصر زعيم العاصم حسن بن يزيد يحيى بن الناصر في صراعه ضد الخليفة المامون وابنه الرشيد. ولما هلك يحيى سنة 633 / 1236 أمر المنصور الرشيد بقتل زعيم العاصم مع شيوخ بني جابر قائد وفائد ابني عامر. وصارت زعامتهم بعد ذلك لأبي عياد وبنيه الذين اشتهر منهم عياد بن عياد لما كان له من دور في الجهاد بالأندلس إلى جانب يعقوب بن عبد الحق المريني، وما عرف به من تأرجح بين الطاعة والعصيان لسلطين بني مرين. ذلك أنه فر إلى أعدائهم بني عبد الواد سنة 690 / 1291، كما فر إلى بلاد السوس سنة 707 / 1307. واستمرت الزعامة في بنيه إلى أن ضعفت شوكة قومه من العاصم ومقدم وانصهروا في غيرهم من جُشم (العبر، 6 : 43). وعموما فإن العاصم ومقدم لم يكن لهما تأثير قوي في مجريات الأحداث ولا ظهور متميز على الساحة السياسية بعد مجيئهم إلى المغرب الأقصى، لأن عزتهم تراجعت بمجرد انضمامهم لجُشم.

أما عرب الخلط فهم بطن من عقيل - بالتصغير - وهو من بني عرف ومن بني معاوية ابني المنتفق بن عامر بن

عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة المذكور في الأنساب المتقدمة لكل من قرّة والعاصم ومقدم. فالخلط، إذن، تجتمع مع هذه القبائل الثلاث في عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر. وعليه فإن هذه القبائل إنما نسبت في المغرب إلى جُشم تخليطا في النسب (العبر، 6 : 40 : وصف إفريقيا، 1 : 42 : الاستقصا، 2 : 170).

صار للخلط عزة ونفوذ على الموحدون بعد استقرارهم بتامسنا وساهموا إلى أبعد الحدود في إضعاف نفوذ الخلفاء من بني عبد المؤمن في المائة السابعة للهجرة بفعل تحالفهم مع شيوخ هسكورة وأمراء بني مرين من جهة ثانية. ولا يمكن فهم طبيعة العلاقة التي جمعت بين الخلط والموحدون في القرن السابع (13 م) إلا على ضوء صراعهم مع ذوي عصبيتهم عرب سفيان الذين كانت لهم الغلبة والجاه والسيادة على مجموع القبائل المندرجة في جُشم في العصر الموحد.

كان شيخ الخلط في عهد العادل بن المنصور الموحد هو هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج. فخالف على العادل وألحق الهزيمة بجيوشه، ثم بعث إلى المامون سنة 625 / 1228 واتبعه الموحدون في ذلك. في حين انحاش عرب سفيان إلى يحيى بن الناصر، لأنه لم يحدث أن اجتمعوا مع الخلط على طاعة أمير واحد. وبقي هلال على خدمته للمامون إلى أن هلك هذا الأخير سنة 629 / 1232، فبايع لابنه الرشيد وجاء به إلى مراکش وألحق الهزيمة يحيى بن الناصر وحلفائه من عرب سفيان (العبر، 6 : 40).

تولى زعامة الخلط بعد هلال بن حميدان أخوه مسعود الذي عرف بصداقته وتحالفه مع عمر بن وقاريط شيخ هسكورة. ولما أعلنت هسكورة خروجها عن طاعة الرشيد أغرى شيخها زعيم الخلط بالخلال فخالف. ثم استدرجه الرشيد حتى تغير ما بينه وبين الهسكارة من ود فقدم عليه إلى مراکش في جماعة من قومه فقتله سنة 632 / 1235 (العبر، 6 : 40).

خلف مسعوداً على الزعامة يحيى بن هلال بن حميدان فأعلن مناصرته ليحيى بن الناصر انتقاما مما فعله الرشيد بعنه مسعود وأبقى على تحالف قومه مع هسكورة، وشارك في محاصرة مراکش سنة 632 / 1235 حتى خرج الرشيد عنها. ولما تمكن الرشيد من العودة إلى عاصمة ملكه سنة 633 / 1236، بعد أن قضى سنة كاملة في سجلماسة، وفر ابن وقاريط إلى الأندلس خوفا من عادية الخليفة، عاود الخلط طاعتهم للموحدون وقاموا بطرد يحيى بن الناصر حتى يضمّنوا بذلك عفو الرشيد عنهم. لكن هذا الأخير ألقى القبض على علي ووشاح ابني هلال بن حميدان وسجنهما بآزمور سنة 635 / 1238، ثم أطلق سراحهما بعد ذلك وعمل على استدراج مشيخة الخلط إلى أن تمكن منهم فقتلهم جميعا (العبر، 6 : 41).

أثرت هذه النكبة على قوة الخلط وأضعفت نفوذهم، لكنها زادت بالمقابل في قوة أعدائهم عرب سفيان. ثم تعرضوا لنكبة أخرى زمان حكم الخليفة المرتضى عقاباً على ما فعلوه بالخليفة السعيد في حملته على تلمسان، لأنهم كانوا السبب في إضعاف صفوف الموحدين نتيجة الحروب التي شنوها على عرب سفيان أثناء الحملة، كما كانوا أول المبادرين إلى نهب المحلة بعد سماعهم بمقتل السعيد على يد بني عبد الواد سنة 646 / 1248 لذلك عمل المرتضى على استدراج شيوخهم حتى قدموا عليه إلى مراكش سنة 652 / 1254 فقتلهم جميعاً إلا عواج بن هلال الذي فر إلى بني مرين، ثم عين عليهم علي بن أبي علي الخلطي. أما عواج ابن هلال فعاد إلى الطاعة وقتل فور وصوله إلى مراكش (العبر، 6 : 41-42).

لم يستمر علي بن أبي علي الخلطي على وفائه للمرتضى وقتاً طويلاً، ويرجع السبب في ذلك إلى علو كعب مسعود بن كانون شيخ سفيان لدى هذا الخليفة، ففر إلى بني مرين في وقعة أم الرجلين التي دارت رحاها بين الموحدين والمرينيين بوادي أم الربيع سنة 659 / 1261، أو في السنة بعدها. وصارت جموع الخلط منذ ذلك الوقت شيعة لبني مرين ثم تعززت العلاقة بينهما بعد أن أصهر يعقوب ابن عبد الحق المريني لأحد أشياخهم، وهو مهلهل بن يحيى ابن مقدم، في ابنته عائشة أم السلطان أبي سعيد عثمان الثاني. ولم يزل مهلهل زعيماً عليهم إلى أن هلك سنة 695 / 1261 فتولى الزعامة بعد ابنه عطية الذي عاصر كل من السلطانين أبي سعيد عثمان وابنه أبي الحسن علي. وبعثه هذا الأخير سفيراً إلى سلطان مصر محمد الناصر بن قلاوون (القرطاس، 302 : العبر، 6 : 41 : الاستقصا، 2 : 175).

قام بأمرهم من بعده ابنه عيسى بن عطية ثم ابن أخيه زمام بن إبراهيم بن عطية الذي بلغ أعلى المبالغ من العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه إلى أن هلك. فتولى بعده أخوه أحمد بن إبراهيم ثم أخوه سليمان ابن إبراهيم ثم أخوهما مبارك بن إبراهيم ثم ابنه محمد. فتلاشت عصبيتهم ولحق نفوذهم الوهن في أواخر القرن الثامن (14 م) قال ابن خلدون : "إلا أن الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين (العبر، 6 : 41 : الاستقصا، 2 : 175-176).

ولما انقرضت دولة بني مرين وجاءت دولة الشرفاء السعديين انحاش عرب الخلط إلى أبي عبد الله محمد الشيخ المعروف بالمهدي ثم جرّوا عليه الهزيمة في حربه ضد أبي حسون الوطاسي وأنصاره من الأتراك. ولما استقل محمد الشيخ بالأمر أبعدهم عن الجندية ووظف عليهم الخراج ومحا اسمهم من ديوان الخدمة، ونقل أعيانهم إلى مراكش واتخذهم رهائن عنده. ثم أعاد أحمد المنصور نصفهم إلى الجندية بعد أن رأى قتالهم وإبلاءهم بالبلاء

الحسن يوم وادي المخازن، ونقل النصف الآخر إلى أزغار (سهل الغرب) فاستوطنوه. لكنهم أكثروا الفساد وكثرت الشكاية بهم فضرب عليهم مغرماً سبعين ألفاً فلم يزيدوا إلا شدة. ثم قرر إبعادهم إلى منطقة تگراين ببلاد الصحراء فامتنعوا من ذلك. فبعث إليهم القائد موسى بن أبي حمادة العمري فانتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة وحكم فيهم السيف. قال الناصري : ثم ختموا أعمالهم بفعلتهم الشنعاء وهي قتلهم ولي الله المجاهد أبا عبد الله سيدي محمد العياشي، فما زلنا نسمع أن قبيلة الخلط إنما سلّبو العز منذ قتلهم للولي المذكور سنة 1051 / 1641 (الاستقصا، 2 : 176-177).

أما بنو جابر، وهم القبيل الثالث من حيث الأهمية في جمهور جشم بعد الخلط وسفيان، فيقال إنهم من سدراته، إحدى بطون قبيلة لواتة. وربما كان السبب في نسبتهم إليهم أنهم تميزوا بعد ضعف شوكتهم، كما هو الحال بالنسبة للعاصم ومقدم، إلى سفح الجبل بتادلا تاركين بسائط تامسنا الفسيحة لغيرهم من البطون القوية في جشم. وصاروا يترددون على السهل تارة وبأوون إلى الجبل تارة أخرى كلما أحسوا بالخطر يداهمهم على عادة جيرانهم الجدد من قبائل صانغة. فاستدل من قال بنسبتهم لسدراته بموطنهم وجوارهم لهؤلاء، وقال بأن ورديفة التي كانت فيها زعامة بني جابر ليسوا من جشم (العبر، 6 : 42 : قبائل المغرب، 420).

انحاش بنو جابر إلى يحيى بن الناصر في صراعه ضد المامون وابنه الرشيد، ولما أمر الرشيد بقتل شيخهم قائد بن عامر وأخيه قائد سنة 633 / 1236 رفقة حسن بن يزيد شيخ العاصم ومقدم، كما مر معنا، تولى أمرهم بعدهما يعقوب ابن محمد بن قيطون. ولما تولى المرتضى الخلافة أمر باعتقاله وعين عليهم يعقوب بن كانون بن جرمون من غير عصبيتهم، وهو من سفيان. ثم تولى مشيختهم بعده إسماعيل بن يعقوب بن محمد بن قيطون (العبر، 6 : 38 و42). وعموماً فإنه لم يكن لبني جابر دور مهم في تطور الأحداث بمنطقة تامسنا في القرن السابع (13 م) كما لم يكن لهم تأثير كبير في التوازنات التي تحكمت في طبيعة العلاقة بين بطون جشم والموحدين، لأن قوتهم لم تكن في مستوى قوة غيرهم من القبائل ذات العصائب.

ظهر بنو جابر بفعالية على مسرح الأحداث السياسية في النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) مع شيخهم حسين ابن علي الورديفي وابنه الناصر. التجأ إليهم الوزير المريني الحسن بن عمر بعد خروجه عن طاعة السلطان أبي سالم إبراهيم سنة 760 / 1359 فأزروه. ثم نهضت إليهم عساكر السلطان فأمكنوا منه. كما لحق بهم الأمير أبو الفضل بن السلطان أبي سالم بعد فراره من مراكش سنة 768 / 1367، وإعلانه العصيان للسلطان عبد العزيز المريني فلم يجيبوه إلى دعوته، فاضطر إلى اللحاق بجيرانهم برابرة

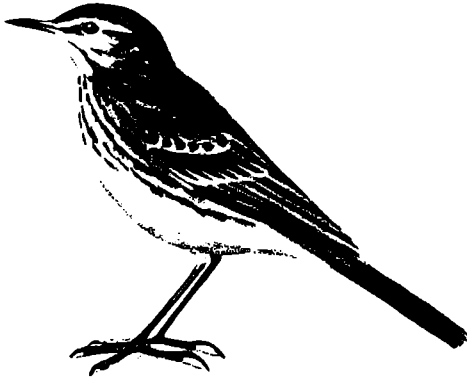
علاقات القربى التي جمعتهم بذوي السلطان في القرن الثامن (14 م).

ولما ضعفت شوكة سفيان في العهد المريني بقي منهم من كان ينتجع أرض سوس وقفاره كبطن الحارث والكلابية، فبقيت فيهم لذلك شدة بأس لاستمرارهم على حياة البداوة. وكانت رياستهم في أولاد مطاوع من الحارث. ومن أشهر شيوخهم منصور بن يعيـش الذي قتله عبد الرحمان بن أبي يفلوسن علي بن أبي علي عمر المريني بمراكش سنة 1374 / 776. وذكر الوزان أن الحارث كانوا ينتجعون سهول حاحة مع الشياظمة في القرن العاشر (16 م) وكانوا يتقاضون خراجاً من أهل تلك المناطق.

ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، بيروت، 1983؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، بيروت، 1987؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1970؛ ع. ابن خلدون، العبر، ج. 6، بيروت، 1988؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج. 1، الرباط، 1982؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 2، البيضاء، 1954؛ ع. بن منصور، قبائل المغرب، ج. 1، الرباط، 1968؛ مصطفى أبو صيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين (524-876 / 1130-1472)، البيضاء، 1982.

حسن حافظي علوي

الجُشْنَة، جنس من الطيور الصغيرة القد، الحسنة الصوت، تشبه القنابر والدُّعْر في الحجم واللون وطريقة المعيشة، ينطق بها في الشرق عزيزاً، وكذلك هي في المعاجم، ويسمى الجنس علمياً Anthus وبالفرنسية والأنجليزية Pipit وبالإسبانية Bispita، ويضم اثني عشر نوعاً كلها من القواطع، معظمها يشتق في ضواحي إفريقيا الاستوائية الشمالية ويتوالد في أوربا في بداية فصل الصيف. تتخذ ستة أنواع منها مضيق جبل طارق ممراً لها أثناء الهجرة مما يجعل عدة وحدات منها تتوزع على معظم بقاع المغرب خلال شهور شتنبر وأكتوبر ونونبر، وقبل العودة إلى أوروبا، ابتداء من مارس إلى يونيو. عدم استقرار هذه الطيور في المغرب لم يعط للأصناف أسماء خاصة بها من طرف العامة فمنهم من يشتبه له بالذُّعْر أو سيسي" لكثرة اهتزاز ذيلها، ومنهم من يسميها القُبْرَة "القُورِع".



صناكة. كما لحق بهم في أثناء هذه الفتنة الأمير عبيد الرحمان بن أبي يفلوسن علي بن أبي علي عمر المريني، فطالب الوزير عمر بن عبد الله شيخ بني جابر بطرده عنهم فطرده.

مكنت هذه الأحداث الناصر بن حسين بن علي الوردغي من الدرية والمراس على الفتنة، وكان ذلك سبباً في فساد علاقته بالسلطين المرينيين والوزراء المستبدين عليهم ودخوله سجن المرينيين ومكوثه به سنتين. ثم تم العفو عنه بعد ذلك، فتوجه إلى المشرق برسم أداء الفريضة. وبعد عودته أودعه الوزير أبو بكر بن غازي السجن مرة ثانية ونقل رياسته بني جابر إلى بني علي هؤلاء (العبر، 6 : 42؛ قبائل المغرب، 1 : 420).

وتعد سفيان أهم بطون جشم وأقواها على الإطلاق. كانت لهم الرياسة بين جميع هذه القبائل عند مجيئهم إلى المغرب الأقصى، وكان الخلط ينازعونهم تلك الرياسة، واستمروا على ذلك طيلة فترة حكم الموحدين. ولما ضعف أمر بني عبد المومن بعد معركة العقاب سنة 1212 / 609، وأعلنت الكثير من مناطق بلاد المغرب استقلالها عن دار الخلافة بمراكش، اعتمد الخلفاء عليهم في جميع حروبهم ضد أعدائهم فكان لهم عزة ودالة واعتزاز عليهم لكثرتهم وقرب عهدهم من البداوة.

ولا يمكن فهم علاقة عرب سفيان بالموحدين في القرن السابع (13 م) بمعزل عن خلافتهم مع عرب الخلط. فقد كانوا يحالفون الخلفاء طالما بعد هؤلاء أعداءهم الخلط عن الخدمة ثم يخالفون عليهم كلما قربوهم منهم. وهذا ما يفسر تأرجح طاعتهم بين يحيى بن الناصر والرشيد وبين المرتضى وأبي بكر بن عبد الحق المريني ثم يعقوب بن عبد الحق من بعده (انظر مادة ابن جرmon).

كان شيخ سفيان في عهد الخليفة المامون وبنيه، جرmon ابن عيسى، فناصر يحيى بن الناصر ثم انقلب عليه لما تقرب من شيخ الخلط مسعود بن حميدان. كما خلع طاعة الموحدين على عهد الخليفة الرشيد، بعدما كان مقرباً لديه، والتجأ إلى بني مرين سنة 1240 / 638. وكانت وفاته سنة 1241 / 639 (العبر، 6 : 38). وسار أبناؤه وحفدته من الذين خلفوه على الزعامة على هذا النهج في تعاملهم مع الخلفاء الموحدين، محكومين في ذلك بطبيعة العلاقة التي كانت تجمع بين كل خليفة وشيوخ عرب الخلط (انظر تطور الزعامة في أولاد جرmon في الرسم أسفله، وانظر مادة ابن جرmon).

ارتبطت فترة قوة عرب سفيان وسيادتهم على جميع عرب جشم بالعصر الموحد. ومع حلول العصر المريني انتقلت الزعامة في جشم إلى عرب الخلط بعد أن أصره السلطان يعقوب بن عبد الحق لبني المهلهل منهم وقدمهم على جميع عرب المغرب. وانحازت جموع سفيان منذ ذلك الحين إلى أطراف تامسنا مما يلي أسفي، كما فعل العاصم ومقدم وبنو جابر قبلهم، تاركة مكانها للخلط الذين صارت لهم سورة غلب على كل ذوي عصبيتهم من جشم، بحكم

الجعايبية، حرفيون متخصصون في قتل خيوط القطن والحريز المعروفة بالصابرة، يديرونها حتى تنبرم، فتجمع على جعاب خاصة من قصب من أجل استعمالها في توشية الملابس الأهلية. ويسميهـم بعض الناس في عدة حواضر : "الطراينية". إلا أن الطراينية يختلفون عن الجعايبية في اعتمادهم على أداة حديثة لإدارة الخيوط مستوردة من أوربا تدعى الطورنو Torno، وهي كلمة إسبانية الأصل تعني ناعورة القتل والإدارة الحلزونية.

يقوم الجعايبية بمهمة القتل بعقد عدة خيوط من حريز في مكان قار، ومباشرة إدارته بواسطة مغزل يشبه مغزل الصوف، وإعادة إدارته كلما توقف إلى أن يصل ذلك إلى حد مطلوب، فتجمع الخيوط ويحكم وثاقها وتلف على الجعاب القصبية وتعوض بغيرها. ومازلنا نرى البعض من هؤلاء الجعايبية إلى يومنا هذا يقومون بنفس العمل في كل حي يتوفر على خياطين للملابس التقليدية، إلا أنهم لا يشكلون حرفة كما كانوا، بل غالباً ما يتبعون الخياطين.

وترتبط حرفة الجعايبية ارتباطاً وثيقاً بتفصيل الملابس وخياطتها. وتستعمل الخيوط المحضرة بدقة وإتقان لتوشية ملابس الذكور والإناث وتزيينها، لكن أكثرها تستهلكه الأردية النسوية. وقد يكون الجعايبي هو نفسه خياطاً وجعايبياً، وقد يستعين في الغالب بعدة متعلمين. في هذه الحالة يحدد لهم الخياط المواصفات المطلوبة ويقدم أدوات العمل ومادته الأولية، وعادة ما يكون هؤلاء المتعلمون أنفسهم مساعدي الخياط وعاملين تحت إمرته.

S. Ben Khalifa, *Le Costume dans la tradition, Echanges*, n° 3 vol. 1, année 1979 ; J.P. Bernes, *Arts et objets du Maroc, ABC Décor*, n° hors série, 1974 ; P. Champiop, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; J. Galloti, *Les Métiers d'art au Maroc, France - Maroc*, n° 4 ; N. Lakhlifi, *L'Artisanat de production à Meknès*, thèse de 3ème cycle, Toulouse 1985.

محمد بوسلام

الجعايدي ← الجعدي

جعفر رايس، من العلوج الأنجليزّي الأصل العاملين في الأسطول الجهادي بمصب أبي رقراق خلال القرن الحادي عشر (17 م)، تحت إشراف مراد رايس. اختص جعفر بالعمل الجهادي في بحر المانش والمياه الإقليمية لانتجترا ؛ وقد نجح خلال موسم عام 1039 - 1040 / 1630 في الاستيلاء على غنيمة مهمة من القماش ؛ وقد شيعها صوب مرسى أبي رقراق تحت إشراف ثلاثة علوج من طاقمه، لكن سفينتين أنجليزيتين تمكنتا من اعتراض غنيمته والاستحواذ على محتوياتها، بما فيها أسراد الإسيان الستة، وعلوجه الثلاثة وقد دفع هذا التجاوز بديوان سلا إلى الشكاية كتابة لدي العاهل الانجليزي شارل

الاناث شبيهة بالذكور، ويتراوح طولها حسب الأنواع ما بين 14.5 و17 سم، ولا يتعدى وزنها 21 غرام. يبلغ طول بسطة الجناحين 26 سم. الذيل والأقدام طويلة. المنقار بُنيّ داكن ورقيق. الصدر والجوانب محززة بخطوط طويلة رمادية وسوداء أو صفراء أو بنية حسب الأنواع. تتغذى من الحشرات والعناكب والديدان، تلتقطها عادة وسط الحقول والمزارع، ولا تقترب من الغابات إلا نادراً. تبني عشها على الأرض تحت الأعشاب أو تحت الأحجار. تبتدئ مرحلة التوالد في شهر أبريل، وأحياناً تتوالد مرتين في السنة ما بين أبريل ويونيو. تضع الأثنى من 4 إلى 5 بيضات، ونادراً ستة، منقطة بالبني والرمادي، يبلغ طولها 21.6 × 15.7 ملم. تدوم مدة الحضانة 13-14 يوماً ولا تغادر الصغار الأوكار إلا بعد 12-14 يوماً.

جشنه الحقول Pipit Rousseline = *Anthus campestris* هو النوع الوحيد الذي يتوالد في المغرب بصفة منتظمة في المناطق الجافة وشبه الجافة من البلاد. تتوالد عدة وحدات منه في أوروبا الجنوبية والوسطى، ومجموعات أخرى تتوالد في الجزائر وتونس، وكلها تعود إلى إفريقيا لتشتو. من بين الأنواع التي تقضي في المغرب ما بين شهرين وأربعة أشهر : جشنه الأشجار *Anthus trivalis* وجشنه المراعي *Anthus pratensis*. يكثر عددهما في معظم المناطق المغربية في شهر شتنبر وفي شهري مارس وأبريل لدى عودتهما إلى أوروبا قصد التوالد وقضاء فصل الصيف في أواسط أوروبا وشمالها.

تعتبر الأنواع الأخرى من الطيور العابرة للمغرب أثناء الهجرة، ولا تقضي فيه إلا بضعة أيام، مما يقلل من مشاهدتها ويجعل منها طيوراً نادرة في البلاد. منها جشنه الصخور *Anthus spinoletta* التي تقضي معظم أوقاتها في أوربا، ومنها بضعة أفراد تشتو في السهول الساحلية الغربية والشمالية من المغرب. جشنه ريشارد *Anthus novaeseelandae* وجشنه شقراء العنق *Anthus cervinus* تتوالدان شمال الدول الإسكندنافية وسبيريا، ويشاهد منها عدة مجموعات في المغرب خلال شهري مارس وأبريل، وأحياناً في شهر شتنبر.

تمت مشاهدة زوجين من نوع *Anthus leucophrys* بضواحي ورزازات في شهر أبريل من سنة 1981، ويتطلب الأمر من المختصين في علم الطيور المزيد من المشاهدة للتأكد من عبور هذا النوع لبلاد المغرب خلال هجرته.

أ. الملعوف، معجم الحيران، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc, janvier 86-87-88*, Doc. Inst. Sci., Rabat, 1988 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe With N. Africa and Middle East*, London 1984 : 208 - 211.

محمد رمضان

الأول، لاسيما وأن روح التذمّر أخذت تسود في أوساط الرياس وموئلي السفن الذين أصبحوا يطالبون بمصادرة ممتلكات التجار الأنجليز المقيمين بالرباط كرد فعل على الحرق المتكرر لاتفاقية السلم الموقعة سنة 1036 / 1627 .
De Castries, S.I.H.M., 1ère série - Angleterre, T. III, p. 91.

حسن أميلي

الجعفري، أسرة سلوية قديمة كانت تتعاطى خطة العدالة واشتهر أفرادها بحمل العلم والفقه والخطابة بالمسجد الأعظم. وقد انقرضت اليوم من سلا، ولم أقف إلا على اثنين من رجالها وهما :

الجعفري، الطاهر (الحاج -) بن عثمان، كان من فقهاء سلا يباشر خطة العدالة بسلا سنة 1180 ويعدها، وكان خطيب جمعة وتوفي سنة 1219 هجرية.

الجعفري، عثمان بن الحاج الطاهر بن عثمان، كان فقيهاً كأبيه، منتصباً للعدالة بسلا وكان ما يزال بقيد الحياة سنة 1233 لأنه نسخ في تلك السنة بعض الكتب.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تج. أحمد العماري، ص. 337 ؛ م. حجي، فهرس الخزانة الصبيحية، ص 215 و460 ؛ رسوم الخزانة الصبيحية.

مصطفى بوشعراء

الجُعَيْدِي، أسرة تطوانية تنتسب للشرف وقد نوزعت فيه. ومنها مَنْ يُنسب للأندلس كما في رسوم عدلية، ومنها من ينسب لأبي الجعد مركز الزاوية الشرقاوية بتادلا. والجعبيدي تكتب هكذا بدون ألف في الوثائق والكتب، وينطق بها بمدوة العين "الجعايدي" وقد تكتب هكذا. استوطنت هذه الأسرة تطوان قديماً، وكان منها عدول وحرفيون وأثرياء ؛ واشتهر منها الشيخ أبو الحسن علي بن مسعود الجعبيدي الصوفي الشهير صاحب الضريح المعروف بحي العيون من تطوان. وأقدم منه أبو زكرياء يحيى بن زكرياء الأنصاري الجُعبيدي من مدينة (بلنسية) ؛ كان من العلماء الصالحين توفي سنة 619 هـ.

أما الجعبيدون السلاويون فينحدرون من الشيخ علي بن مسعود الجعبيدي دفين تطوان المتوفى بها عام 1030. ويذكرون في بعض الرسوم أسماء جدود علي المذكور متصله بإدريس بن إدريس باني فاس، تتخلها أسماء بربرية مثل تلكال ويجعد ويلمان، وهي إلى ذلك لاتصح من حيث العدد إذا طبقنا قاعدة ابن خلدون في الموضوع. والذين نزحوا إلى سلا من حفدة الشيخ علي بن مسعود الجعبيدي جاؤوا في القرن الثاني عشر (18 م). وانتقل بعضهم إلى المقام بالعدوة الأخرى، رباط الفتح.

ومما يذكر أن عبد القادر بن العباس الجعبيدي كان أميناً للطبجية والبحرية بمرسى العدوتين وأميناً لديوان الجهاد عام 1203 / 1788، وهو جد الجعبيدين السلاويين الحاليين. وكان من الفرع السلاوي بجميع أفراده حرفيون من دباغين وفلاحين وتجار وفقهاء وعدول وبحريون ومجاهدون.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، ج 3 حرف ج، مخطوط ؛ م. داود، عائلات تطوان، نسخة المؤلف بخطه بخزانتة بتطوان ؛ رسوم عدلية في خ. ص ؛ م. بوشعراء، الملحق الثاني لكتاب الإنحاف الرجيز، مخطوط ؛ التعريف، الجزء الثاني.

محمد بوخيزة ومصطفى بوشعراء

الجعبيدي، إبراهيم (الحاج -) بحار، كان سنة 1292 / 1875 من بين رجال البحرية بسلا، وكان حتى سنة 1311 / 1894 لا يزال حياً يشتغل في البحر، وهو غير إبراهيم بن عمر الجعبيدي آتي الترجمة.

الجعبيدي، إبراهيم بن عمر بن عبد القادر، ولد بسلا حوالي عام 1297 / 1880، ومات أبوه وهو صغير فكفله جده لأمه الصوفي المقدم الحاج عمر جلزم، ولم يمكث بالكتّاب القرآني إلا يسيراً وتعلّم صنعة الحصر التي



كان لها نفاق بسلا آنذاك، وأصبح في النهاية من أكبر صناع الحصر بل وأمين هذه الخنطة لمدة طويلة، واستغنى بها، إذ أصبحت مصنوعاته تسوق إلى خارج سلا ؛ واشتغل إلى جانب ذلك بالفلاحة، وحج مرتين، واقتنى دار المفتي الشيخ أحمد بن الفقيه الجريري بحي رأس الشجرة من طالعة سلا، وعاش فيها إلى أن وافته المنية بعد أن عمّر نيفاً ومائة سنة.

وقبيل وفاته سجلت معه مندوبية جريدة الميثاق الوطني حديثاً طويلاً شيقاً حول حياته وذكرياته عن عهد الطفولة وعادات السلاويين في الزواج والعلاقات العائلية، وحياة الصانع والتجار والرقيق وعموم الأسواق وأجواق الطرب. توفي إبراهيم الجعبيدي بسلا صبيحة يوم تاسع شعبان عام اثنين وأربعمائة وألف / 2 يونيو 1982.

وثائق أبي بكر الجعدي : تحريات ومعرفة شخصية : جريدة الميثاق الوطني، 18 ماي 1979.

مصطفى بوشعراء

الجعدي، إدريس بن محمد بن إدريس بن عبد

القادر بن الحياض بن علي بن عبد الله بن علي بن مسعود (الجد -) ولد بمدينة سلا في أواخر الأربعينات من القرن الثالث عشر (19 م).

نشأ صاحب الترجمة في جو صلاح وعلم وادب متميز كانت تعيشه مدينة سلا. ومما لاشك فيه أن إدريس الجعدي لما يوصف به من شغف بالعلم وحب لأهله، قد درس هو الآخر على نفس الأساتذة الذين درس عليهم رفيقه المؤرخ السلواوي أحمد الناصري، غير أن إدريس اهتم بدراسة الرياضيات وعلم الفلك والهندسة، وبرع في ذلك كاختصاص، كما جاء عند ولده عبد القادر في إحدى أوراقه المخطوطة : "أن والده (إدريس الجعدي المترجم) كان تبرز في هذا الفن وغيره، وتميز تحقيقاً وتدقيقاً وتنظيراً واستخرج الكنوز الغامضة من قعر معادنها، وقد أخذ هذه العلوم عن عدة علماء ... منهم سيدي الجيلالي الرحالي بمكناس ... ثم أخذ والذي أيضاً على الشريف المتفتن سيدي عبد السلام العلمي، وله تأليف عديدة وصنع رخامات ... كما أخذ والذي عن مولاي أحمد الصوري الذي قرأ هذه الفنون بأوربة بأمر مولوي، وأخذ عن علماء أربعة قرأوا بإيطاليا وغيرها، منهم الحاج إدريس الشاوي الذي برز في الهندسة وعلم الرماية بالمدافع وغيرها، وعن السيد المختار الرغاي وعن السيد أحمد بناني الفاسي الذي كلف آخر عمره بمكنة ضرب السكة بفاس، وعن والده. كان يأخذ عنهم ويباشر معهم العمل ؛ كما أخذ عن العلامة أحمد بورقية الذي كان يدرس تأليف اقليدس في الهندسة برياط الفتح. وإذا أصابه عذر كالمرض يستتبع والذي في الدروس بالرباط ... وأخذ عن الحاج محمد التركي الرباطي وهلم جرا، كما أخذ أيضاً عن الحبابي الكبير الموقت بالقرويين عام 1303 هـ ...".



شهد المؤرخ الناصري للمترجم بذلك حيث قال عنه "...الفقيه الأديب فلكي العصر وحاسبه الشريف أبو العلاء

إدريس بن محمد الجعدي السلواوي ... " وبنفس الوصف ذكره العباس بن إبراهيم، وقال عنه أحمد الصبيحي "... وكان رحمه الله بارعاً في الأدب والعلوم الرياضية، إليه المنتهى في الهندسة وأحكام النجوم والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض وغير ذلك، مع مشاركة في فنون شتى؛ وجمال في بلاد الشرق وحج عام 1277 هـ ... " مما لاشك فيه أن إدريس الجعدي استفاد من سفره هذا إلى الشرق العربي الناهض. كما سجل مشاهد رحلته السفارية إلى أوربا صحبة السفير الحاج محمد الزيبي الذي عينه السلطان الحسن الأول لزيارة أربعة دول أوربية، هي فرنسا وبلجيكا وإنجلترا وإيطاليا في صيف سنة 1876م. ويقول صاحب الترجمة إنه بعد تعيينه كاتباً في سفارة الزيبي : اقترح عليّ المؤرخ الناصري ... أن أجعل رحلة في سفري ... تكون جامعة لكل خير غريب ولما نراه في الأوطان من كل أمر عجيب ... " وبالفعل سجل الجعدي في رحلته السفارية هاته التي سماها إتحاف الأخبار بغرائب الأخبار الأشياء التي يفتقدتها في مجتمعه الأصلي، وعالج الكثير من الأمور التي كانت تشغل الفكر المغربي في ذلك العصر، وتعامل مع الحضارة الغربية بلهجة إيجابية توحى بالتبني بعيداً عن الانبهار الغيبي. كما يكشف تفاصيل تحركات سفارة الزيبي ويجعلنا نعيشها من أولها إلى نهايتها. وتعتبر رحلته هذه أكبر وأغزر رحلة مغربية سفارية إلى أوربا بقيت مخطوطة أكثر من قرن من الزمن قابعة داخل خزانة عائلته بسلا مجهولة حتى كشف عنها حفيده محمد الجعدي فزودنا بها مشكوراً، فقمنا بتحقيقها لتتهيئ دبلوم الدراسات العليا وهي اليوم مرقونة محققة بخزانة كلية الآداب الرباط.

أما عن باقي مؤلفات الجعدي فيذكرها الأديب أحمد الصبيحي بقوله "... له اختصار بعض مقالات اقليدس في الهندسة، وكتاب الرحلة المسمى تحفة الأخبار بغرائب الأخبار وهي نسختان صغرى وكبرى، اشتملت الصغرى على أخبار سفره من بلاد الغرب إلى بلاد الفرنج ... والكبرى على ذلك أيضاً وعلى أخبار الفرنج من لدن الهجرة النبوية إلى عصر مؤلفها، وضم لذلك أخبار الدولة العلوية من أولها إلى أواسط مدة مولاي الحسن رحمه الله ... مختصر مقالات اقليدس في الهندسة موجود بالخزانة الصبيحية بسلا. أما الرحلة الكبرى فلم أعثر عليها رغم البحث الطويل، كما ترك لنا الجعدي العديد من القصائد الشعرية نشر المؤرخ الناصري بعضها بعد أن أدخل عليها بعض التلقيح والتهديب حتى جعلها في مستوى القصائد الموزونة، فالجعدي لم يكن شاعراً بالمعنى العروضي التقليدي. كما كان الجعدي يتراسل مع المؤرخ الناصري الذي أشار في فهرسته بالخزانة الناصرية إلى أن الجعدي وجه له رسالة حول فن الموسيقى مازالت مجهولة.

توفي إدريس الجعدي عصر يوم الأحد 22 صفر عام

1308 / 7 أكتوبر 1890 ودفن بضريح ولي الله تعالى سيدي علي المليح من بلده سلا كما جاء في كفاية أحمد الصبيحي الفالودج.

م. داود، تاريخ تطوان، القسم 3 من المجلد الأول، ص. 332؛ ع. ابن زيدان، إتحاف اعلام الناس...، 3: 306؛ م. القادري، التقاط الدرر...، ج 1: 140؛ أ. الناصري، الاستقصا، 9: 151 و170؛ ع. الجراري، اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، 2: 175؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 3: 39؛ أ. الصبيحي، الفالودج، كفاية علمية مخطوطة خ. ع. سلا رقم 426؛ كشكول (الصبيحي) ج 3 رقم 428 بالخزانة الصبيحية بسلا.

عز المغرب معينو

الجعدي، إدريس بن محمد بن إدريس (الحفيد)
ولد بمدينة سلا عام 1318 / 1900 وكان كجده صاحب الرحلة فقيهاً حيسوبياً موثقاً ولوعياً بالرصد والفلك، عمل مدة عدداً بسلا، ثم انتقل إلى العضوية بمجلس الاستئناف الشرعي بالرباط. له تأليف في نسب الجعديين وتراجم أعلامهم.

توفي في حادثة سير مع جماعة من أعيان مدينة سلا سنة 1360 / 1941.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، 1360؛ دليل، 1: 48 رقم 254؛ غ. الجراري، من اعلام الفكر المعاصر، 2: 275؛ جريدة السعادة، عدد 5108.

الجعدي، التهامي بن العباس، لعله كان يشتغل
بالجنديّة قبل أن يصبح مؤثماً بأحد مساجد سلا. له رسائل إلى ابن عمته محمد بن عزوز الجعدي الذي كان يقطن بفاس بحومة العيون، ومنها رسالتان مهمتان كتبتهما التهامي إليه سنة 1268 / 1851، يصف فيهما مقاومة أهل سلا لقصف الأسطول الفرنسي في هذه السنة وما خلف من خسائر في الأرواح والبنائيات. وكان حياً سنة 1278 / 1862.

م. بوشعراء، الملحق الثاني لكتاب "الإتحاف الوجيز" لمحمد بن علي الدكالي، ص. 200، 204؛ التعريف، ج 2 ص. 52 و54 و60 و155 و225.

مصطفى بوشعراء

الجعدي، علي بن مسعود بن تكال الأندلسي
الأصل، يُنسب للشرف من ذرية زكرياء بن إدريس وتوزع فيه، وهناك وثائق متعارضة بين الإثبات والنفي.

الشيخ الصوفي الكبير، المعتقد الشهير، قدم تطوان بعد الألف من الهجرة، وصادف خروج بقية المسلمين من غرناطة ونواحيها، فنزل خارج تطوان بموضع سُمي بعد يحي العيون، ووجد المكان فارغاً فاشترى أرضاً واسعة تمتد فيما سُمي بعد شارع الوطية إلى باب النوادر، وجعله من أوقاف

الجامع الذي بناه ثمة (ومازال ماثلاً عامراً شهيراً) واجتزى منه ومن بعده من النظار من بنوا هنالك دورهم وأطرزتهم، ويطول الأمد تنوسي الجزاء واستقل الناس بالملك، وكان بدء بناء الجامع عام عشرة وألف، وتم بناؤه عام ثلاثين وألف، وعاش الشيخ علي بعد تمامه عامين. وعمر مائة وعشرين سنة. وكان سكناه هناك بدرج يسمى باسمه (درب الجعدي) ومازالت داره موجودة به بالقرب من ضريحه ودار ضيوفه.

كان موضع المسجد مجزرة بها عُشب، ويقال إنّ الموضع كان دار دباغة (ولعل هذا هو الصواب لما هناك من ماء غزير يجري تحت جدران المسجد ويلاطه الأول. اكتشف بعضه في الإصلاح الأخير. ولتساقط ملاط الجدران من جراء الملح وشدة الرطوبة). وسبب بناء الجامع أن الشيخ يوسف الفاسي أمر مريديه أن يبنوا لهم رباطاً (زاوية) هناك فشرعوا في البناء في موضع المسجد، فقدم عليهم المترجم له من قبيلة أنجرة وكان له بها أراض وضياح ومواش (ومازال بعض ذلك في أوقافه) فسألهم عن شيخهم. فقالوا: سيدي يوسف الفاسي، فقال لهم: أنا شيخي سيدي يوسف التليدي، وشاركهم في البناء وقال إنني أريده جامعاً للخطبة، فكتبوا لشيخهم الفاسي بذلك، فأمرهم أن يتركوه يتم البناء جامعاً كما أراد، وأن يبنوا زاوية بمكان آخر، فابتعدوا بنحو رمية سهم وبنوا رباطهم قبالة (القنا الكبير). ولما أكمل المترجم بناء الجامع بعث له سيدي يوسف خشب السقوف وبابا. قال الفقيه الرهوني: ومازال الباب موجوداً إلى الآن قبالة ضريح سيدي أحمد بوسلهم.

قلت: وقد أدركت أنا هذا الباب الضخم وآخر أقل منه، ثم أزيلا عند ترميم المسجد الأول. أخذ علي الجعدي عن الشيخ منصور بن عبد المنعم الصنهاجي وغيره، وأخذ عنه أبو الحسن علي المصمدي صاحب المسجد المشهور باسمه غير بعيد عن جامع شيخه يسمى الآن: جامع الميندي، وهو تصحيف المصمدي تصغير المصمودي.

وللمترجم تائبة طويلة من بحر الطويل في التعبير عن أذواقه ومقاماته وشطحاته، وهي سقيمة الوزن اشتهرت وتداولها الصوفية، وشرحها الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة، شرحه موجود بأيدي الناس مخطوط.

توفي الشيخ علي الجعدي في 18 ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين وألف / 19 فبراير 1623، ودفن قرب جامعته، وضريحه مشهور، ورثاه أبو حامد العربي بن أبي المحاسن الفاسي بمرثية طويلة تدل على ماله من الفضائل والمزايا أوردها عبد الرحمان الفاسي في إبتهاج القلوب وهي طويلة، كما ذكر الفقيه داود مرثية أخرى فيه جيدة لم يعرف قائلها.

م. الإفرائي، صفوة من انتشار، ص. 78 ط حجر: م. القادري، نشر الثاني، 1: 260، تح، حجي والتوفيق؛ أ. ابن عجيبة، شرح

تائية الجعدي، مخطوط : ج. سكيرج، نزهة الإخوان، ص. 4
مخطوط : أ. الرهوني، عمدة الراويين، 71 / 4 مخطوط : م. داود،
تاريخ تطوان، 1 : 330.

محمد بوخبزة

الجعدي، عمر مقاوم ولد سنة 1912 / 1331 بمدينة طنجة، التحق بصفوف المقاومة المسلحة السرية بمدينة الدار البيضاء عقب نفي ملك البلاد، حيث قام بتنفيذ عدة عمليات فدائية بتأطير من المقاومين السادة البصري وبالنعيالات وحسن الأعرج وغيرهم إلى أن أطل فجر الاستقلال، وقد ظل من الرجال المخلصين لوطنه حتى فاجأته المنية بالدار البيضاء يوم 4 شتنبر 1995.
وثائق الندوية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.

الجعدي، عمر بن العباس بن المكي. ولد بفاس عام 1290 / 1873، وبها نشأ وتلقى تعليمه الموسيقي على يد جهايزة الفن أمثال عبد السلام البرهبي، وعازفي الكمان الشهيرين المعلم سعيد والمعلم منصور. وقد اتخذ من بيته ملتقى مهرة الحفاظ والمنشدين فكان يستمع إليهم ويحفظ عندهم، إلى أن بلغ مكانة مرموقة. وقد شكل إلى جانب معاصريه محمد بن عبد السلام البرهبي ومحمد بن إدريس المطيري الثالث الشهير الذي اجتمع عنده من مستعملات الموسيقى الأندلسية ما افترق عند تعريهم.

وقد عمت شهرة الجعدي الآفاق، فاستقدمه السلطان مولاي عبد العزيز إلى قصره بالرباط لتدريب جوق الخمسة والخمسين وتلقين الإمام والخادم أصول الموسيقى الأندلسية عزفاً وإنشاداً. ولما أفضى الملك إلى المرحوم محمد الخامس عام 1347 / 1927 عين عمر الجعدي على رأس الجوق الأندلسي بالقصر الملكي.

كان عمر الجعدي من بين أعضاء الوفد الذي مثل المغرب في مؤتمر الموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة عام 1351 / 1932 بصفته رئيساً فنياً للبعثة.

ومن منجزاته الفنية ترتيب وتنسيق أنغام المشالية الكبرى.

توفي عمر الجعدي وهو رئيس للجوق الأندلسي بالقصر الملكي بالرباط عام 1372 / 1952.

ع. ابن سودة، إتحاف الطالع، 1372 : معرفة شخصية : روايات شفوية.

الجعدي، محمد بن عمر بن العباس، ولد بمدينة فاس في بداية العقد الثاني من هذا القرن، ونشأ في أحضان أسرة مفعمة بحب الفن والعلم معاً، فالتحق بالقرويين حيث أخذ عن شيوخها نصيباً من علوم اللغة والدين. وكان في ذات الوقت يخضر مجالس والده الفنية

فينهل من مواردها المعارف الموسيقية. ولما انتقلت أسرته إلى الرباط عين الابن موظفاً بوزارة العدل، ثم لما توفي والده خلفه في منصبه كرئيس للجوق الأندلسي بالقصر الملكي، فتفرغ حينئذ للعمل الموسيقي وأصبح مسؤولاً عن جوق الخمسة والخمسين، فكان محط تقدير الفنانين، يرجعون إليه في ضبط الميادين وتحقيق الصناعات النادرة والنواعر " المثقلة بالشغل والأنغام. وبذلك عدت طريقته امتداداً للرواية الجعديّة مثلما تعد اليوم طريق الحاج عبد الكريم الرايس امتداداً للرواية البرهية.

وقد أغنى محمد بن عمر الجعدي الرصيد الموسيقي للإذاعة الوطنية بتسجيلات كثيرة من أروعها تسجيله ميزان قائم ونصف الحجاز الشرقي، وقوامه خمس وعشرون صنعة قدم لها بتوشية. وهو إنجاز هام أحيى من خلاله ذكرى والده عمر الجعدي، وسد به نقصاً ظل يعاني منه كناش الحايك الذي يخلو من هذا الميزان.

توفي محمد بن عمر الجعدي سنة 1399 / 1978 عن عمر يناهز الستة والستين عاماً.
معرفة شخصية : روايات شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الجعدي، محمد القاسي عامل تطوان على عهد السلطان مولاي سليمان. ولاء عمالته بعد عزل سلفه السيد عبد الكريم اللواجري. كان محمد الجعدي مستقلاً بهذه العمالة، ولم يكن نائباً عن العامل السيد محمد السلاوي كمن قبله. وجه إليه السلطان مولاي سليمان (1202 - 1238 هـ) رسالة غفلاً من التاريخ إليه وإلى أربعة من قواد أيت يوسي بناحية صفرو يقول لهم فيها "فإنمركم أن تردوا على حملته أولاد عبّاد متاعهم، وقولوا لأولاد الشيخ سيدي الحسن اليوسي : أبوكم ساد بالورع، وأنتم يهلكهم الله بالطمع".

لم يلبث محمد الجعدي أن عزّل بالعامل السيد أحمد العرايشي لأنه كان يأتي أعمالاً مخالفة للمروءة، وكان ذلك في حدود عام واحد وعشرين ومائتين وألف.

صورة الظهير

الحمد لله الذي جعلنا من أولاد عبّاد متاعهم، وقولوا لأولاد الشيخ سيدي الحسن اليوسي : أبوكم ساد بالورع، وأنتم يهلكهم الله بالطمع.



حينئذ القاب...
صلاة عملي...
حمله أولاد عبّاد متاعهم وقولوا لأولاد الشيخ سيدي الحسن اليوسي : أبوكم ساد بالورع وأنتم يهلكهم الله بالطمع

الوثائق الملكية : ج. سكيرج، نزهة الإخوان، ص. 43 (مخطوط) ؛
أ. الرهوني، مختصر عمدة الراوين، ص. 79 مخطوط ؛ م. داود،
تاريخ تطوان، 3 : 242.

محمد بوخيزة ومصطفى بوشعراء

جغالف، أسرة سلوية نبيلة أنجبت عدداً من الفقهاء والأمناء وكبار موظفي المخزن، وهي تَزُورُ أخذت اليوم في الانقراض. وكان منها أفراد يتعاطون خطة العدالة بسلا والأمانة بالمراسي المغربية، كما كان منها تجار كبار يستوردون البضائع الأوربية في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

جغالف، أحمد كان أميناً يبرس العرائش وغيرها من المراسي المغربية وقبّل أن يتولى هذه المناصب المخزنية كانت له تجارة واسعة بمدينة سلا وبخاصة في المواد المستوردة. واشتهر بقاعته الأنيقة التي كانت تضم جميع أنواع الساعات الحائطية في ذلك الوقت، فكانت قبلة الزوار من المغاربة والأوربيين.

توفي بسلا حوالي عام 1341 / 1922.

جغالف، الطاهر بن عبد الله كان سنة 1205 أميناً بمرسى العدوتين، وكان ما يزال بقبدة الحياة عام 1219.

جغالف، عبد الله بن أحمد تاجر ثري خلف أباه سابق الترجمة في التجارة لما عين أميناً ابتداءً من سنة 1318 / 1900 وتكاثر شركاؤه واتسعت معاملاته حتى عدّ من كبار التجار السلاويين في عصره، وعليه وعليهم قرئ ظهير التحذير من المخاطرة بمتاعهم بالتعامل مع الولاة.

جغالف، عبد الله بن أحمد، فقيه كان سنة 1180 من عدول سلا المنتصبين للشهادة في المعاملات والأحوال الشخصية.

جغالف، محمد بن أحمد، لعله شقيق عبد الله بن أحمد الفقيه المذكور آنفاً، وكان سنة 1214 من عدول سلا المنتصبين للشهادة، ومن أمناء المخزن في المرسي.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح. أحمد العماري، ص 366 و368 ؛ رسوم عدلية في خ. ص. م. بوشعراء، الذيل الجديد من الإتحاف الوجيز، مخطوط ؛ التعريف، 2 : 220 و258 ؛ وثائق آل بنسعيد ؛ إحصاء كتب خزانة المسجد الأعظم بسلا سنة 1219.

مصطفى بوشعراء

الجغرافيا بالمغرب، تطور البحث، تعتبر الجغرافيا مادة حديثة داخل دائرة المعارف الأوروبية. وقد وُصفت بأنها أحدث من ذلك في بلداننا على أساس ظهورها المتأخر في ظل الفترة الاستعمارية. والواقع غير ذلك تماماً. إذ أن الجغرافيا الأوربية المرتبطة بالكشوفات والمصاحبة للتوسع الاستعماري هي نوع خاص من الجغرافيا لم يُشمر في الواقع أية منهجية علمية تُذكر، بل ربما أنتج سلوكات معرفية طالما عرقلت تحول المادة إلى علم قائم الذات. ظهرت قبلها بكثير، دراسات جغرافية متنوعة في سياق بدايات تطور العلوم خلال القرون الأولى لانتشار الإسلام بالمغرب. وقد اعتمدت هذه الدراسات مسارا تصاعديا سما بها إلى مراتب منهجية رفيعة. لكنها عرفت انتكاسا واضحا في غمرة الحركة التوسعية الأوروبية التي طبعت العصر الحديث.

1 - عرف تطور الجغرافيا بالمغرب بين القرنين الثالث والثامن (9 و14 م) ثلاث مراحل بدأت بالوصف الغالب للأقوام والأمصار وانتهت إلى محاولة تفسير البيئات المندمجة.

1.1 - تميزت المرحلة الأولى باستكشاف وعرض مظاهر الشمال الإفريقي والمناطق المجاورة بإفريقيا جنوب الصحراء وأوروبا وباقي العالم مع التركيز على البلاد الإسلامية. حصل تجميع المعلومات عن طريق الأسفار كما كان الشأن بالنسبة للتاجر الأندلسي إبراهيم بن يعقوب (القرن الرابع / 10 م) الذي خبر شخصيات أوربا الغربية وبلاد الصقالية وكذلك عن طريق الاطلاع الواسع على المراجع الأصلية والوثائق واستشفاف الأخبار بهاجس التأكد منها باستعمال مناهج المحدثين، وقد اعتمد هذه المعالجة البكري الغرناطي (القرن الخامس / 11 م) في تأليفه المسالك والممالك حيث حاول وصف العالم المعروف آنذاك بما في ذلك التنظيمات السياسية والحياة الاقتصادية.

بالإضافة لهذا المجهود في التعرف على البلدان وتدوين خصائصها، الذي سبق عهد الكشوف الأوروبية الأولى بستة قرون، هناك محاولات لخلق أدوات تربوية تسهل عملية الاطلاع يدل عليها إنشاء البكري لمعجم جغرافي.

2.1 - خلقت المرحلة الثانية الأدوات الحقيقية للمعرفة الجغرافية الحديثة. وذلك على الخصوص من خلال أعمال الشريف الإدريسي السبتي (القرن السادس / 12 م) الذي كرس جهده لإحكام المطابقة بين المعلومات والمجال الجغرافي. وهي نقلة حاسمة من مستوى التركيب الصرف للمعلومات إلى مستوى تنظيم الوقائع وحصرها داخل الحيز المجالي. وقد أتقن الإدريسي تصوير المعلومة الجغرافية كما جاءت في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وتبسيطها للعرض بالاستعمال المكثف للخريطة إلى حد يمكن اعتباره معه كأول عالم أبدع منظومة المعلومات الجغرافية.

بموازاة مع هذا التطور المنهجي، تواصلت تقاليد الاستكشاف المباشر بفرض الإمداد بالمرجعية المعلوماتية المتجددة.

وقد وصل هذا التقليد إلى أوجه مع ابن بطوطة (القرن الثامن / 14 م) الذي أنفق حوالي ثلاثين سنة من عمره لقطع مسافة مائة وعشرين ألف كيلومتر عبر إفريقيا وآسيا وأوروبا، على امتداد العالم المعروف.

3.1 - عرفت المرحلة الثالثة تنامي الدراسات المتدمجة مع إرهابات تنظير الظواهر الجغرافية، وقد تربع ابن خلدون (القرن الثامن ومستهل (التاسع / 14. 15 م) وتميز بوصفه قطب التنظير في العلوم الإنسانية عامة حيث حاول فهم تطور المجتمعات البشرية انطلاقاً من تفصيل كل العوامل ومن ضمنها العوامل البيئية واضعاً بذلك قواعد الدراسات الحديثة. وقد جاءت المقدمة منهجية ضبط السببية البيئية. اختص الجزء الأول منها مثلاً بدراسة الوسط الطبيعي وتأثيره على التجمعات البشرية وتعرضت الأجزاء الخمسة الأخرى لجغرافيات الأرياف والمدن والجغرافيا الثقافية وأشكال الحكم والاقتصاد السياسي. اعتمدت المعالجة النهج الاستقرائي بصفة منتظمة على أساس الملاحظة الميدانية والوقائع الملموسة، مستبعدة التأمل الفلسفي لحساب التحليل البيئي الطبيعي والنفسى، بما فيه معطيات المناخ وعلوم الإنسان والأجناس والسكان.

خلال القرن الموالي، تزامنت النهضة والمد الأوروبيان مع مرحلة اختلال مزمّن انتاب العالم العربي، أنهت الفترة الكلاسيكية للجغرافية بالمغرب.

ظهور أعمال من نوع الجغرافيا العامة أو وصف إفريقيا على يد الحسن الوزان (القرن العاشر / 16 م). رغم زخم المعلومات فيها ورصانة تناول وأهمية الشيوخ التالي في أوروبا. قد برهنت من خلال عزلتها وتتمها على نكوص الحركة العلمية في بلداننا.

2 - انحرافات البحث الجغرافي في القرن العشرين

قضى السطو الاستعماري بتجاهل التراث المعرفي الوطني، مؤسساً حركة اكتشاف جديدة للمغرب كامتداد متأخر لعصر الكشوف الذي انطلق منذ (القرن التاسع / 15 م).

اضطلع بهذه المهمة أفراد الجيش ورجال الأعمال والاطلاع من بين الفرنسيين النازحين منتهجين دراسات مُغرقة في الوصفية والانتفاعية. تبنى العمل الجغرافي الناتج إذاك في حلة عصرية تدعى اعتماد النهج العلمي وإن كانت تتوخى بث أفكار مُسبقة قوامها أن التدخل الأوربي في الشمال الإفريقي يهدف إلى إنعاش الإنتاجية الفلاحية وإرجاع الإقليم إلى سابق عهده حين كان خزان الحيز بالنسبة للأميراطورية الرومانية، وإزالة آثار المغرب الإسلامي باعتباره في زعمهم مسلسل مُطاحنات قبلية خربت الاقتصاد الوطني.

انتظم مختلف المهتمين الأجانب في إطار مجتمع جغرافي فرنسي مقفل اتخذ له مجلة متخصصة منذ سنة 1916 تحت ريادة الجغرافي العسكري القبطان دي سوغونزك، الذي أعلن في العدد الأول من المجلة أن "المغرب بلد رائع اكتسبه المعمرون وأعدوه لحصاد وشيك". لكن الأراضي الخصبة، القابلة للاستغلال المكثف، حظيت وحدها بعناية المعمرين حيث ظهر منذ البداية تقسيم عملي للبلاد "مع مفهوم المغرب النافع".

استمرت المجلة في الصدور بصيغتها الأولى إلى حدود 1949، عوضتها نشرة "المذكرات المغربية" بين 1952 و1961 بأسلوب جديد دال على الفترة الانتقالية السابقة مباشرة واللاحقة لحدث الاستقلال.

3 - الاختيارات المنهجية في جغرافيا المغرب المستقل.

ربما أمكن اعتبار العشر سنوات اللاحقة لتأسيس الجامعة هي الأكثر إيجابية بالنسبة للمادة منذ بداية القرن. ذلك أن الجامعة المغربية العصرية كانت قد تأسست سنة 1958 بالرباط وشرعت في بناء هياكلها. وأصبحت الجغرافيا مادة نشيطة في شعبة متخصصة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية وكذلك بشعبة الجغرافية الجيومرفولوجية "بالمعهد العلمي" المجاور. في هذه الأثناء وقد على المغرب أساتذة فرنسيون لاعلاقة لهم بالماضي الاستعماري، حاولوا ترسيخ التكوين الجغرافي على الأسس المعمول بها في جامعاتهم. فسخرت خبراتهم التربوية والمعرفية في تنشيط التدريس والبحث ورفعوا من مستوى النشرة التي أصبحت مجلة جغرافية المغرب ابتداء من سنة 1962.

ورث المغرب المستقل عن هذه التجربة، بالإضافة إلى أنشطة التربية والبحث بالكلية والمعهد ومجموعة من الأطر المغربية المكوّنة، والجمعية والمجلة، بنية أساسية أخرى هي "اللجنة الوطنية للجغرافيا" التي أنتجت بصفة خاصة عدداً من اللوحات الخريطة المؤلفة للأطلس الجغرافي للمغرب والتي تعالج مواضيع شتى منها: الاقتصاد المعدني، الصيد البحري، التساقطات المطرية، الغابات، ولوحات مختلفة متعلقة بالنشاط الفلاحي والسكان.

أهم حدث وقع بعد ذلك يهّم ضبط الهوية التنظيمية للمادة حيث تمّ تعريب الدراسة الجغرافية ومغربة التأطير سنة 1973. كما أن التأطير الجمعي السابق الذي كان عبارة عن نادٍ أجنبي غير اسمه بصفة معبرة إلى "الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة"، ثم بدأ صدور مجلة جغرافية المغرب (السلسلة الجديدة) منذ سنة 1977 بإشراف هيئة تسيير وتحرير مغربية وظهور أولى المقالات باللغة العربية إضافة إلى البحوث باللغة الفرنسية التي يشترط أن تتوفر على ملخصات موسعة بالعربية.

شاع تدريس الجغرافيا بصفة ملحوظة بتعدد الجامعات على مدى التراب الوطني إضافة إلى تلقين المادة في العديد من المؤسسات الأخرى كمادة أساسية أو تكميلية، كما هو

لشأن معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة والمعهد الوطني للتهيئة ومعهد السياحة وكليات الحقوق والمراكز التربوية الجهوية ...

وقد أنتج الطلبة المتقدمون ركاما من رسائل السلك الثالث وأطروحات الدولة في مختلف تخصصات الجغرافيا الطبيعية منها والبشرية، غطت مناطق واسعة من المغرب مرفوقة بالتحاليل المختبرية والإحصاءات والاستطلاعات الميدانية والخرائط المتنوعة. حيث بدأت شعب الجغرافيا تتحول تدريجيا إلى قِيَمٍ على التراب الوطني يَحْبُرُ مختلف جوانبه ويحسُّ أحواله ويتتبع تطوراته.

لكن مع ذلك تَبَيَّنَ أن الجغرافيا الموروثة عن التكوين الأجنبي، حتى في أبهى مظاهرها، مادة وصفية إخبارية، بقيت متأثرة بوقع الكشوف وطبيعتها الأولى كأداة للتوسع الاستعماري. كما أنها عانت من امتناع أصحابها بالذات، أو بالأحرى عدم قدرتهم، على تأسيس آليات الحتمية الجغرافية الكفيلة وحدها بأن تُحوَّلَ المادة إلى علم قائم الذات مَبْنِيٌّ على السببية العلمية. وسبب هذا التأخر المنهجي المحلي أن الإرهاصات الأولى لوضع الحتمية الجغرافية كانت من فعل روادٍ لازالوا لم يمتلكوا التكوين الكافي في قوانين المجال، فجاءت النظريات ضعيفة، لاشك قابلة للتحسن. وجاء الحكم عليها متسرعاً حيث عَوَّضَ الحث على التمكن من المناهج واكتساب الأدوات العلمية المواتية، كانت إداة المبدأ ذاته المستعمل للسببية في التحليل الجغرافي. وكان بذلك الحكم على المادة بأن تبقى تقريرية، في موقع مهتز لا هو من الأدب المقبول ولا هو قد تمكن من أسسه العلمية حتى يصبح قابلاً للتطبيق النافع. اكتست الأزمة جدة خاصة لما اكتمل إشباع كل المنافذ في قطاع التعليم. وطُرحت الغاية من التكوين بإلحاح. وبدأت الظروف تُحْتَمُّ اختيار المناهج القابلة للتطبيق مروراً بضبط الأسس العلمية للمادة. من المحاولات الجادة في ابتداء أسلاك تطبيقية لتكوين الإطار النافع.

ظهرت الحلول الحقيقية مع انفتاح الجامعيين على عالم التهيئ والإنتاج والتطبيق. واتضح الدور الذي يمكن أن يلعبه الجغرافي داخل مجموعات متعددة الاختصاصات في مشاريع تهيئة المجال وإحصاء ومراقبة توازنات الثروات. كما تَبَيَّنَ أن نزعة التخصص المبالغ فيه والفاصل بين ما هو طبيعي وما هو بشري لا يستجيب دائماً للمتطلبات العملية لتهيئة المجال. وأصبح الجغرافيون المتمرسون، من ذوي التكوين المشارك، يلعبون الأدوار الأولى في مجموعات التهيئة المتضمنة للمهندسين الزراعيين والغابويين وأصحاب الاقتصاد والاجتماع. وقد سارع الجغرافيون إلى تكملة معارفهم ومهاراتهم بالانفتاح المتزايد على مختلف الجامعات الأجنبية. والقيام بمشاريع مشتركة وتنوع لغات العلم والتعامل من عربية وفرنسية وأنجليزية وإسبانية ...

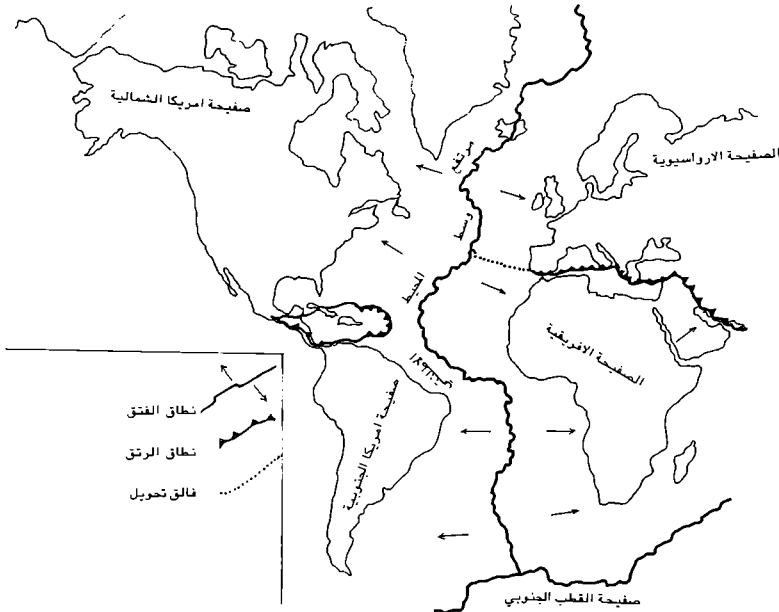
وهكذا وبدون سابق إصرار، يعود البحث الجغرافي المغربي إلى المنظور التقليدي الذي ساد خلال العصور الذهبية من أجل تطويره، مُحَاكَاةً للإدريسي في التركيز على الجانب التجريبي، ولابن خلدون في التعميم والتنظير. صحيح أن تحويل الاتجاه المنهجي الذي تعرضت له الجغرافيا بالمغرب خلال القرن الرابع عشر (20 م)، قد تسبب في خلق مشاكل مجانية مرتبطة بتاريخ أوروبا، لكنه مع ذلك أخرج أنظمة التعليم من تقوقعها وأطلعها على ما يروج في العالم. أما الاختيارات الحاسمة فإنها لم تتحقق إلا خلال العشرين سنة الأخيرة، تحت ضغط المشاكل البيئية المطروحة بكل المقاييس والتي توجد في صلب الاهتمام الجغرافي لكونه يُعْنَى بتعريف عوامل المجال من حيث طبيعتها وتفاعلها في منظومة متفاوتة التوازن هي ذاتها صورة المجتمعات والحضارات.

مصطفى عياد، الشريف الإدريسي، معلمة المغرب، صفحة، 279، 1989؛ محمد زبير، ابن بطوطة، معلمة المغرب، الجزء الرابع، ص، 1268، 1991؛ حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، 1983.

D.J. Zeigler and D. Fassi, *Rediscovering the roots of moroccan geography in era of interdependence*, *The Geographical Bulletin*, 1996؛ J. Vattier, *Au Maroc utile*. *B.G.M.*, 3, 1923, 314؛ Le Comité de Rédaction, *Editorial - Revue de Géographie du Maroc*, 10, 3-5, 1986.

الجغرافيات القديمة للمغرب، الاطلاع على

الجغرافيات القديمة للتراب المغربي، زيادة على أنه يفيد في معرفة البنيات الرئيسية التي تهيكل المجال وظروف ومظاهر تطورها، فهو كذلك يُعِين على فهم جانب مهم من التحولات الشاملة التي شهدها العالم عبر تاريخه الطبيعي نظراً للموقع الأساسي والأدوار الحاسمة التي لعبتها بنياته في تفصل الصفائح القارية (شكل 1).



شكل 1 موقع المغرب من التقسيمات الصفيفية الكبرى للقشرة الأرضية

الذي طبع الصفحة الجليدية العظمى التي كانت تغطي آنذاك الصحراء الإفريقية.

يُعتبر ذوبان الصفحة الجليدية هو المسؤول عن الغمر البحرية الواسعة التي غطت المغرب بعد ذلك خلال السيلوري.

الدفء الذي تحقق خلال الديفوني سمح بتحول المجال إلى تناثر هائل للحشقات المرجانية، مع تباير محسوس للسحبات من الغرب إلى الشرق. السبب في هذا التباير راجع لأهمية البنائية الأكادية التي قضت بالإبراز النهائي للسلسلة الأبلاشية، معطية توضع أكثر فتاتية في غرب المغرب الموالي مباشرة للسلسلة الجبلية الأمريكية الحديثة الانتصاب آنذاك.

2.1 - البنائية الهرسينية ضمن أحداث النصف الثاني من حقبة الحياة القديمة. الحدث الرئيسي هو تحول الأسلوب البنائي السائد من الحركات التمددية التي طبعت النصف الأول من حقبة الحياة القديمة إلى نظام انضغاطي شامل انضحت معالمه ابتداء من الديفوني العلوي. ترتب عن هذا التحول تكون سلاسل التوائية تتخللها أحواض رسوبية ذات أصل انخلاعي في المغرب كما هو الشأن في شرق أمريكا الشمالية، تتفق مضارب الحوادث البنائية في كونها شمالية شرقية جنوبية غربية. كما أن هذه الأحواض الديفونية الكاربونية اشغلت كأحواض فتاتية، قارية في أمريكا، بحرية في المغرب.

لكن من خصائص البحار الكاربونية المغربية أنها انسحبت تدريجياً في اتجاه الشرق مُقفلت الأحواض الغربية الواحد تلو الآخر. الشيء الذي يفسر أن كل هذه الأحواض في الريف الميسيط أو الأطلس، غير منتجة للفحم باستثناء الأحواض الشرقية التي بقيت بحرية في جرداة حتى أدركت الفحمي القستفالي المنتج.

وقد حصلت نفس التطورات في المناطق الجنوبية حيث ارتفعت الجهات الغربية التي كانت بحرية في الدينانسي، طاردة البحار إلى الشرق في اتجاه حوض بشار منذ الناموري وإلى القستفالي.

من الملاحظ إذن أن هناك تفاوتاً واضحاً في توقيت البنائية الهرسينية. تفاوت آخر ينتاب أساليب التشويه. الاختلاف واضح بين منطقتين كبيرتين :

منطقة الأطلس الصغير الوسطي والشرقي، وهي ضعيفة التشويه، منعدمة التحول ؛

والمنطقة الشمالية (الميسيط والأطلس) التي تعتبر حقيقة ميدان البنائية الجبلية الهرسينية الحقيقية.

يفصل بينهما النطاق الانخلاعي الأولي للأطلس ذو الحركة المباشرة النشطة في الشق الشمالي الغربي. يعرف هذا المجال النشط تعقيدات، منها على الخصوص أن المحاور البنيوية في الشمال منقلبة جهة الغرب في حين أنها في الجنوب منقلبة إلى الشرق.

أهم الأحداث الطبيعية هي أولاً البنائية الهرسينية التي ترجع للحقب الجيولوجي الأول (حقبة الحياة القديمة) والتي وإن عفى عنها الزمن كسلاسل جبلية حقيقية حطمتها التعرية، فإنها لازالت تشكل بنايات عميقة مؤثرة.

جاء بعدها تعمق واحد من أهم الشروخ التي أصابت قارة غوندوانا الأصلية، تسربت إليه المياه في مستهل الحقب الثاني (حقبة الحياة الوسطى) ليكون البداية المتواضعة للمحيط الأطلسي.

تخلل الحقب الثالث والرابع (حقبة الحياة الحديثة) الأزمات البنائية الكبرى التي أسهمت في تشييد أهم الجبال المغربية، ومعها بعض التقلبات البيومناخية التي أكملت المشهد الطبيعي العام الذي يشكل المجال المغربي الحالي.

لا يمكن التعامل المعقلن مع التراب المغربي، شأنه في ذلك شأن كل المجالات الأخرى، بدون معرفة كافية لجسمه الطبيعي ماضياً وحاضراً.

1 - حقبة الحياة القديمة والبنائية الهرسينية. لا تتوفر الأزمنة قبل الكمبرية في المغرب إلا على معلومات قليلة هي الأوضح في المغرب الجنوبي : الأطلس الصغير والمناطق الصحراوية التي هي أقدم المناطق المغربية على الإطلاق. حركات بنائية موهلة في القدم بدأت تأسيس شذرات متقطعة لما سيكون عليه المغرب في الهامش الشمالي للراسخ غرب إفريقيا.

من الوجهة المناخية، هناك شواهد تدل على تحقق فترة جليدية على أن أزمنة ما قبل الكمبري قد انتهت في ظروف أكثر حرارة تشهد عليها السلسلة البنفسجية للأودوني.

1.1 - أهم أحداث النصف الأول من حقبة الحياة القديمة. آثار البنائية الكاليدونية غير واضحة وصعبة الفصل عن البنائية الهرسينية التي تلتها.

لكن جل المؤشرات تدل على خاصيتين طبعتا النصف الأول من الحقب الأول.

- الخاصية الأولى هي نوع من الارتباط بين المغرب (أو شمال غرب إفريقيا) وشرق أمريكا الشمالية وجنوب غرب أوروبا.

- الخاصية الثانية هي تباير واضح في الأوضاع المناخية عرف تطرفات عنيفة.

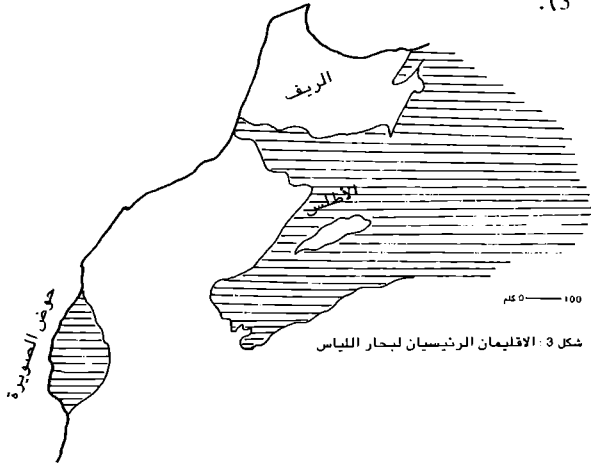
كان المغرب على العموم، في هذه المرحلة عبارة عن مسطحة تغمرها في الغالب بحارٌ ضحلة لكنها تعرف فترات بروز وانغمار متلاحقة. أهمها في وسط الكمبري على ما يبدو ظهور صلب ميسيطي مغربي أدت التعرية النشيطة فيه إلى تركيب مواد سميكة في النطاق الأبلاشي.

انعكست الآية في الأوردوفيسي حيث أصبح النطاق الأبلاشي هو الذي يزيد غرب المغرب بمواد فتاتية تتشابه سحناتها ومستحقاتها مع وسط إيبيريا والهضبة الأرمورية الوسطى بفرنسا.

احتتم الأوردوفيسي في ظل مناخ بارد جمدي. ذلك أن المغرب والأقاليم المحيطة كانت توجد في العروض العليا المحادية للقطب الجنوبي متأثرة بالرواسب والنشاط الجليدي

2.2 - انزلاق القارة الإفريقية في اتجاه الشرق. من أجل التكونات في التنظيمات الصخرية المغربية الثنائي المتناقض السحجات : الترياس الفتاتي الأحمر، البركاني الهش واللياس الكاربوناتي الغالب التجانس والصلابة. ومع ذلك، فإن اللياس لا يعتبر غمراً مستقلاً ولكن تعميقاً واضحاً لحجم البحار التي همت الترياس العلوي واتساعاً لمجال انتشارها. حيث لم يسلم من التغطية البحرية إلا الميدان الصحراوي والمسيطا.

تتنمي المجالات البحرية اللياسية إلى إقليمين مختلفين : أطلنتي، لازال ضيقاً، في الجنوب الغربي والغرب، تغلب عليه الأكلاس؛ متوسطي (من التيتس) يشمل الهضاب العليا، الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الوسطي والشرقي، بها تفوق للسحجات الدولومية (شكل 3).



عرف الجوراسي الوسيط انحساراً عاماً للبحار، كشف عن مجموع الأراضي باستثناء الريف، حتى في الأخدود الأطلسي، فإن معالم الإطماء قد بدأت تغلب بتزايد سحجات الأوساط الضحلة، عقبته البحيرات والمستنقعات ثم الأرض اليابسة.

كان التحريك البنائي حاسماً في هذه الفترة في المجال الأطلسي عامة، وقد بلغ أوجاً في الأطلس الوسطي حيث تهيكلت المحاور الكبرى للسلسلة مصحوبة بتدفقات بركانية وعمليات تحول واسعة. وقد بقي الوضع على هذه الحال في معظم الحيز الأطلسي حتى الكريطاسي.

3.2 - مظاهر التقارب البنائي لإفريقيا وأوروبا بين حقب الحياة الحديثة والوضع الراهن. يشهد الكريطاسي السفلي استمرار توسع المحيط الأطلنتي، فبعد الانفتاح المتتالي للمحيط جهة الشمال، تدشن القارة الإفريقية بحركتها ضد الساعة وانفراج المحيط الأطلنتي الجنوبي، انزلاقها صوب الشمال وارتطامها بالقارة الأوروبية (شكل 1).

نتج عن هذه الحركات القارية الكبرى، بداية بنائية انضغاطية شملت جل التراب المغربي. يواصل الأطلس الترسيب القاري الذي بدأه في الجوراسي العلوي. تتعمق النطاقات الخارجية في الريف،

خلال هذه العمليات التي ميّزت بين جهات المغرب الهرسيني، عرفت مجموع القارة الكوندوانية القديمة حركة شمولية في اتجاه الجنوب جنوب غربي محدثة مع الراسخ الشمال أمريكي انخلاقاً ميامناً.

2 - انفتاح الغالق الأطلنتي والتشيد الجبلي الأطلسي خلال حقبي الحياة الوسطى والحديثة.

1.2 - بداية الانغلاق الأطلنتي. يكاد الترياس السفلي والوسطي أن يكون منعدم الأثر في مجموع التراب المغربي. جل المواد الترياسية هنا تنتمي للترياس العلوي وهي توجد على محورين اثنين :

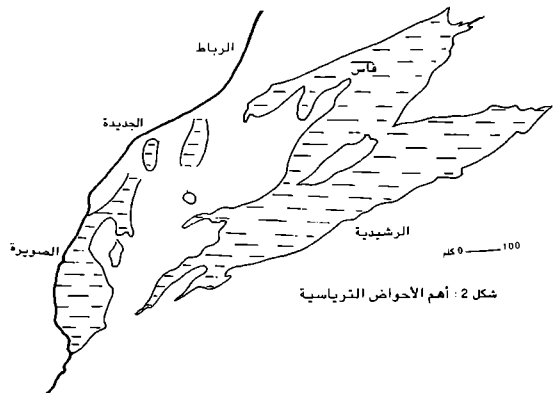
محور أول يجمع بين الأطلس الكبير الغربي والأطلس المتوسط؛ ومحور ثان يهم الواجهة الأطلنتية. وقد استمدت موادها أساساً من غمر ضحل متفرع عن بحر التيتس.

هذان المحوران هما سلسلة من الحسفات توضع بها مواد فتاتية مثل حث الأوكايمدن في الأطلس الكبير، من أصل قاري، تلتها سلسلة بحرية من الأطيان والأطماء والإبخارات تتوسطها في غالب الحالات اندساسات واسعة من الصخور البركانية أهمها البازلت الدوليريتي التوليتي. انتشار المواد البحرية يتعدى بكثير القواعد الفتاتية الأولى، وتغلب الحمرة على كليهما.

تحتل التطورات الترياسية موقعاً متميزاً في انطلاق تكوين الشخصية الحقيقية لجغرافية بنايات المغرب. حيث إن الحسفة الأطلنتية ذات المضرب الشمال شرقي - الجنوب غربي كانت هي أول معلمة في انفتاح المجال البحري الأطلنتي. أما الحسفة الثانية فإنها لعبت دوراً حاسماً في هيكلية المغرب بوصفها رسمت مواقع السلسلة الأطلسية.

من خصائص البنائية الترياسية كذلك أن بوادر الانفتاح الذي شق المحيط الأطلنتي قد انطلقت ابتداءً من الجنوب في اتجاه الشمال على أساس انكسار أصلي. خط بنائي ثان هو الحادث الجنوب أطلسي (شرق شمال شرق - غرب جنوب غرب). يفصل بين ميدان مغربي شمالي يتميز بغناه الإبخاري عن ميدان جنوبي تغلب فيه الفتاتيات.

أما النطاقات الريفية الداخلية فهي وحدها خالفت بوضوح الوضعية في باقي المغرب حيث تضم تراساً ذا سحنة "البيبة" بحرية تغلب عليه المواد الكاربوناتية، بالإضافة إلى أدفاق بركانية تنتمي إلى فترات مبكرة (شكل 2).



ويستقبل حوض كتامة البحري مقادير هائلة من المواد الفتاتية.

أكبر حدث عرفه الكريطاسي الوسطي هو الغمر البحري الكاسح الذي ربط بين الأطلنطي والبحر المتوسط. لم يبق مكشوفاً من الأراضي المغربية إلا بعض الجزر الموافقة تقريباً لأقاليم السائس، الرحامنة، الجبيلات، والأطلس الصغير.

بحار هذه الفترة ضحلة، استقبلت رواسب دقيقة وغنية بالمواد العضوية، أدت في نهاية الكريطاسي إلى توضع نسقين متزامنين: النضيد الحُمري (الشيست البتوميني) المعروف حالياً في أطلس متوسط تمحضت كمناجم محروقات ممكنة؛ والتراكومات الفوسفاطية الواسعة الانتشار في الهضاب الداخلية.

استغرق التراجع البحري والشخص التدرجي للمجال القاري جزءاً كبيراً من النصف الأول من الثلاثي مع تسارع ملحوظ خلال الإيوسين الوسطي حيث بدأت سيادة التطورات القارية مع حصول فترات متميزة احتلت فيها بحيرات المياه العذبة أجزاء من المناطق الداخلية.

تفاقت مع مرور الزمن، نتائج التلاقي الإفريقي الأوروبي المستمر والمتزايد حيث حصلت بنائية تقصير سرت في جل الأراضي انطلاقاً من الشمال، وانعكست خلال النيوجين بالرفع الشامل للأطلس.

يمكن اعتبار النظام الميوسيني الفترة التي حصلت فيها الجغرافيا المغربية على أهم عناصر تقسيمها الحالي وإن كانت لازالت خافتة، أما البليوسيني والرابعي فقد أبدعا المعالم النهائية. ذلك أن البليوسيني الذي ميز بوضوح بين الوحدات المرورونيوية شهد اكتمال مواصفات المنخفضات البيجيلية مثل تلك التي تتخلل الشمال الشرقي والأخدود جنوب الريفي وتادالا والحوز والبلاد الوطينة جنوب الأطلس. وقد شهدت هذه المناطق ظاهرة هامة تجلت في تكاثر البحيرات على شكل حمالة واسعة تكاد تكون متصلة في اختراقها البلاد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. ساعد عليها ولاشك التقلبات المناخية الحاسمة التي عرفها المغرب في هذه الآونة حيث اختلفت السلسلة الطويلة للمناخات المدارية الحارة والتي كان أن ارتفعت في أواخرها وتيرة الفترات الجافة، وعوضتها سلسلة المناخات المتوسطة ممتددة بفترة قريبة من الاعتدال سهلت ولاشك تجميع المياه العذبة داخل بحيرات واسعة.

منذ أواسط البليوسين وحتى الآن، أصبح الاصطدام بين القارتين أعنف إلى حد توقف انزلاق هامشي الصفيحتين وإرتاج الحركة بينهما بصفة نهائية. طاقة الانضغاط التي كانت تتبدد جزئياً بفعل الانزلاق أصبحت توظف بأكملها في رفع القارة. من ذلك أن البليورباي هو الذي أكسب المغرب أهم أحجامه الجبلية بعد أن اكتفت الأدوار السابقة بهيكلتها وتشخيصها تشخيصاً متواضعاً.

تميز الرباعي بتناوب العمليات في كل شيء. ذلك أن المناخ المتوسطي الغالب عليه قد عرف ذبذبات مختلفة تعاقبت فيها الرطوبة والجفاف. وهكذا فقد تفاقمت ظاهرة

الجفاف في المراحل الأولى من الرباعي القديم (المليوياتي) وأواخر الرباعي الأوسط (التانسفتي) إلى حد تعميم القشرة الكلسية في مجموع الأتربة المغربية الموروثة عن هاتين المرحلتين. كما أن الرطوبة قد عرفت تزايداً قياسياً في الدور الأول من الرباعي الأوسط (العميري) والدور الأخير من الرباعي قبل الحالي (السلطاني) مع امتياز خاص للحقبة الأخيرة حيث تميزت، على ما يبدو من الدراسات العدانية على الخصوص، باعتدال حراري واضح إضافة إلى الترطيب الشامل.

كذلك تحققت العمليات البنائية على مراحل متتابعة تخللتها أزمات ضمن الأدوار المليوياتي، والعميرية والسلطانية.

بناءً على هذا الشريط العام من الأحداث، فبالرغم من أن المغرب يتوفر على بنيات متنوعة جداً بها منكشفات من كل الحقب ومن جل الأدوار، فإنه يُعتبر من المجالات ذات الأشكال الفتية المطبوعة بالأنشطة الحديثة السريعة التطور.

معرفة التطور الجيولوجي للمغرب الذي يعرض لتواتر الجغرافيات القديمة تُفيد ولاشك في تمثيل الخطوط العريضة لمكامن المعادن والفرشات المائية الجوفية، ولتنوع الأتربة والتشكيلات النباتية، ولأنظمة التشكيل على السفوح واستنباط قواعد سلوكيات ذوي القرار الاقتصادي والتنموي حتى لا تأتي مُخلّة بالتوازنات البيئية التي تحكّم استقرار وازدهار الحضارات.

H.M. Salvan, *L'évolution du problème des évaporites et ses conséquences sur l'interprétation des gisements marocains. Mines et Géologie*, Rabat, 27, p. 5 - 30, 1968 ; R. Du Dresnay, *Extension et développement des phénomènes récifaux jurassiques dans le domaine atlasique marocain, particulièrement au Lias moyen*. Bull. Soc. Géol. Fr., (7), 13, p. 46 - 56, 1971 ; A. Michard, *Éléments de géologie Marocaine. Notes et Mém. Serv. Géol.*, Rabat, 252, 408 p., 1976 ; Tarbuck and F.K. Lutgens, *The Earth. An introduction to physical geology*, C.E. Merrill Pub. Company, 1984 ; A. Pique, *Géologie du Maroc. les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 284 p., 1994.

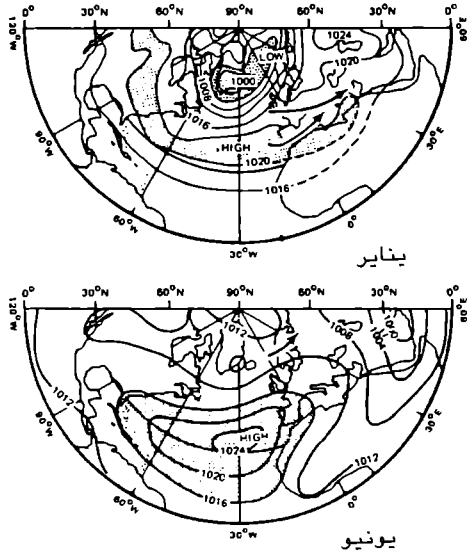
إدريس الغاسي

جفمي، أحمد مقاوم من مواليد 1340 / 1921

بتافراوت، انخرط في صفوف جيش التحرير بمنطقة أيت باعمران ضمن المقاطعة الثانية عشرة بمركز حانوت بيلا تحت مسؤولية إدريس الحارثي. وقد شارك في عدة معارك وهجومات خاضتها فرق جيش التحرير ضد قوات ومراكز الاستعمار الإسباني بالمنطقة، خصوصاً أثناء اندلاع انتفاضة قبائل أيت باعمران يوم 23 نونبر سنة 1959 / 11 والتي حقق فيها المجاهدون نصراً كبيراً.

توفي بتاريخ 18 جمادى الثانية عام 1416 / 13 نونبر 1995.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.



الرسم رقم 1 : يظهر الرسم التغيرات التي تحدث على نظام الحركة الهوائية عند السطح وتأثيرها على الحالة الجوية والتساقطات في المغرب خلال شهري يناير ويوليوز تبعاً لحركة الشمس الظاهرة (P. Lamb et Alix)

انتقال نظام الضغط خلال الصيف نحو الشمال وبالأخص خلية الضغط المرتفع الشبه المداري يسفر عن انتقال مسارات الاضطرابات نحو الشمال أيضاً، لذلك تعرف هذه العروض جفافها المميز خلال هذه الفصل الذي يكون إحدى الخصائص الأساسية للمناخ المتوسطي، في حين أن استقرار هذه الخلية خلال الفصول الأخرى عند عرض السواحل المغربية الجنوبية يمكن من فسخ المجال أمام المسارات المختلفة للاضطرابات لكي تهم هذه العروض، ومن ثمة تحقيق نظام مطري تتركز فيه التساقطات أساساً خلال الفترة الممتدة من أكتوبر إلى ماي تبرز خلالها نهاية عظمى أولى للتساقطات خلال نهاية الخريف وبداية الشتاء أي في نونبر ودجنبر، ونهاية عظمى ثانية خلال بداية الربيع أي في مارس وأبريل.

الحديث عن ظاهرة الجفاف في المغرب يؤدي بنا إلى الحديث عن الخصائص العامة لهذه التغايرية، فبوجه عام يظهر تتبع التطور البيسنوي للتساقطات في المغرب أن منذ بداية القرن الحالي إلى حوالي الثلاثينات كان مجمل الكميات المتساقطة إلى حد ما وفي الغالب أقل من المعدل العام بلغ خلاله العجز نسبة مهمة في الجنوب بوجه خاص، تلتها فترة شبه رطبة حول الأربعينيات تخللتها فترة جفاف خلال 44-1945 وتعتبر هذه السنة من بين أجف السنوات التي عرفتتها عموماً جل المحطات المغربية (الرسم رقم 2) والتي استمرت نسبياً إلى نهاية الخمسينيات باستثناء بعض السنوات المتفرقة التي كانت نسبياً جد رطبة همت بوجه خاص المناطق الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الأطلس الكبير خلال سنوات 1950 و1960.

الجفاف المناخي هو خصائص في كميات

التساقطات خلال مدة زمنية، وهو ظاهرة تهم المناخات الرطبة والشبه الرطبة بالأساس، إذ يجب التمييز هنا ما بين الجفاف والقحولة التي تهم المناطق التي يتميز مناخها بندرة التساقطات، فالجفاف بعبارة أخرى ظاهرة استثنائية بالنسبة للمناخات الرطبة بينما القحولة هي خاصية تلازم المناخات الجافة.

التعاريف المناخية لكلمة جفاف تركز على مدى العجز في التساقطات التي يكون لها طبعاً وقع على عناصر الميزانية المائية، والكلمة غالباً ما يتضمن مدلولها لدى عامة الناس خصائص تهم في نفس الوقت الأسباب والنتائج.

استأثرت الظاهرة باهتمام الدراسات المناخية عقب ظهورها واستفحالها في منطقة الساحل الإفريقي في بداية السبعينات، وازداد هذا الاهتمام غداة تعدد حالات الجفاف خلال الثمانينات لاسيما وأنه أصبح منذ ذلك الحين يُتوفر على إمكانيات للتتبع والتعرف على عدد من خصائص هذه الظاهرة، فكان من نتائج ذلك بداية ظهور دراسات متخصصة تناول من خلال مناهج وطرق نوعية الظاهرة في محاولة لفهمها وتفسيرها تشكل اليوم ما يصطلح على تسميته بعلم مناخ الجفاف.

الخصائص العامة للمناخ المطري المغربي : يتميز المناخ المطري المغربي بتغايرية هامة تجعله يعرف تعاقب فترات رطبة وأخرى أقل رطوبة أو جافة حيث تسجل الكميات عموماً نقصاناً كبيراً بالنسبة للمعدل العام.

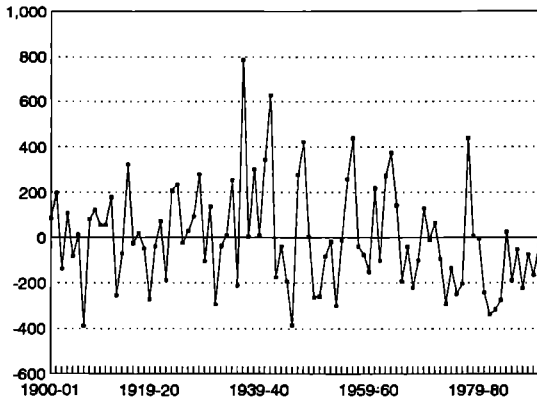
فقد شهد هذا المناخ المطري منذ بداية القرن تردد فترات قلت فيها التساقطات السنوية عن المعدل العام أو العادي بنسب متفاوتة تجعل ما يصطلح عليه بالسنة العادية لا يتحقق.

فاذا وضعنا المناخ المغربي في إطاره العام أي إنتمائته إلى النوع المتوسطي نجد أن من بين خصائصه العامة عدم الانتظام الكبير لتساقطاته، ولعل أبرز مثال لهذه الخاصية هو أن نمر مثلاً من سنة جافة جداً سنة 94-1995 إلى سنة رطبة جداً خلال السنة الموالية 95-1996.

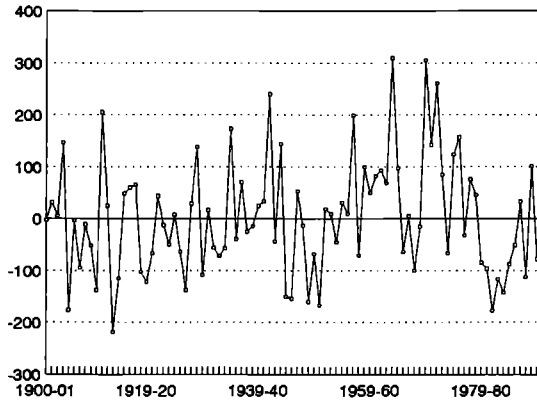
يرتبط المناخ المطري المغربي إلى حد كبير بظروف الحركة الهوائية العامة عند هذا العرض التي تظل شديدة التأثير بتزحزح نظام الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تبعاً لحركة الشمس الظاهرة.

هذا التزحزح الفصلي هو الذي يحكم أليات الدورة الهوائية العامة عند عرض المغرب (رسم رقم 1) الذي يشكل طبعاً إحدى الخصائص المناخية لهذه المنطقة باعتبارها منطقة انتقالية أو هامشية بالسنة للمؤثرات المناخية السائدة في العروض المعتدلة، ومن ثمة تميز المناخ المطري لهذه المناطق بخصائص نوعية يلعب فيها هذا التزحزح دوراً أساسياً يعطى لنظام التساقطات إيقاعه الفصلي ويحدد نمط توزيعه.

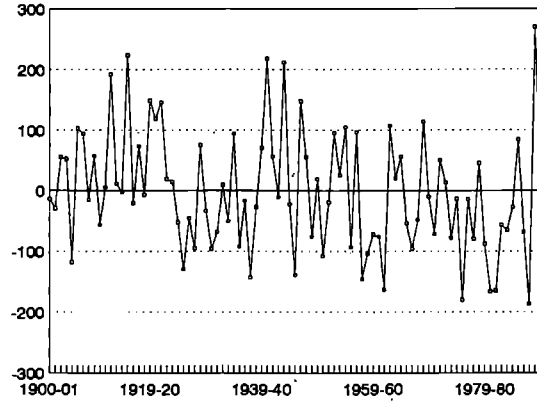
طنجة



الدار البيضاء



الصويرة



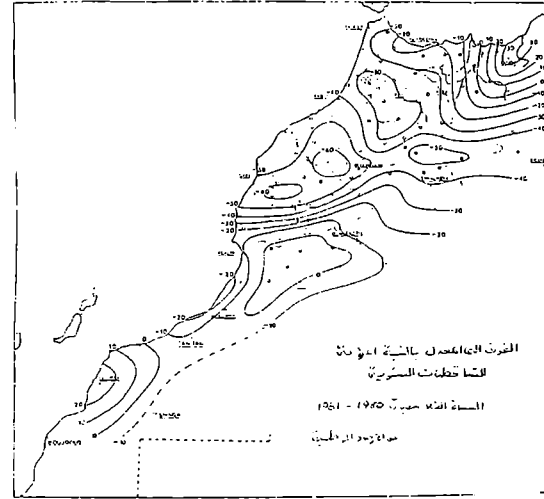
- سنة 1982 . 1983 جافة في كل المناطق المغربية بدون استثناء .

- سنة 1983 . 1984 عجز في كل المناطق المغربية باستثناء منطقة ضيقة من الشريط الساحلي الأطلسي .

- سنة 1984 . 1985 سنة شبه عادية في الجنوب الغربي وجافة في باقي المناطق .

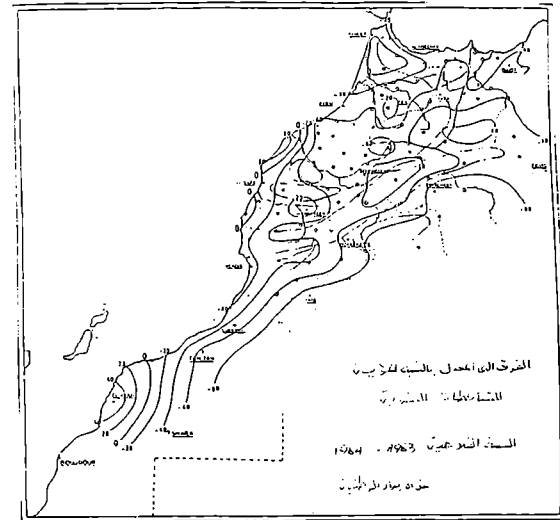
وهكذا وعلى الرغم من حدة سنوات الجفاف فإنها هاته ليست ظاهرة فريدة في المناخ المغربي، فإذا إعتبرنا العجز خلال سنة واحدة مثلاً أو خلال بضعة شهور كفترة يناير - أبريل مثلاً فإنا نلاحظ أن هناك حدة مماثلة من حيث العجز خلال سنوات : 1935 . 1945 . 1950 ، كما إن هناك فترات سنوات متتالية كفترتي 1935 . 1938 و 1958 . 1961

إنطلاقاً من بداية الستينات إلى حوالي السبعينيات تعاقبت على المغرب سنوات جد رطبة استمرت في بعض المناطق إلى نهاية السبعينيات وخاصة في منطقة الساييس . مند نهاية السبعينيات والمغرب يعرف استقرار ظروف مناخية تتميز على وجه الخصوص بسيادة فترات جفاف شبه



عامة تهم بحدة متفاوتة جميع المناطق المغربية لاسيما وان هذه الحدة تتمثل في امتدادها الزمني على مدى سنوات متتالية استمرت خلال الثمانينيات من 1979 . 1980 إلى 1984 . 1985 وبلغت ذروتها خلال 1982 . 1983 وتكررت مرة أخرى خلال النصف الأول من التسعينيات بلغت أيضاً ذروة أخرى خلال سنة 1994 . 1995 .

حتى تكون لنا فكرة تامة عن حالة الجفاف في المغرب نورد خرائط تظهر نسبة العجز في الكميات السنوية للتساقطات خلال هذه الفترة (الرسم رقم 3) .



- سنة 1980 . 1981 عجز في كل المناطق المغربية بنسب متفاوتة باستثناء الشمال الشرقي الذي عرف نسباً تعدت المعدل .

- سنة 1981 . 1982 عجز في كل المناطق المغربية باستثناء الجنوب الشرقي .

اللتين عرفنا على الأقل ثلاث سنوات متتالية سادت فيها ظروف الجفاف.

أما إذا إعتبرنا السنة الفلاحية أو المناخية من شتنبير إلى غشت فإن جفاف الثمانينيات يبدو من حيث المدة الزمنية التي استغرقها ظاهرة فريدة من نوعها، وعلى الرغم من أن فترة جفاف الثمانينيات بحدتها قد أعقبتها فترة أخرى لها تقريباً نفس الحدة بل فاقتها أحياناً خلال بعض سنوات التسعينيات فإنه ليس هناك ما يؤكد على أن هناك دورات تمر بها هذه التغيرات نستطيع من خلالها أن نتعرف على نظام هذه الدورة.

إنه لمن السهل جداً أن نقول أن تردد فترات الجفاف يخضع لدورة يمكن التكهن بها لكن من الوجهة المنهجية والعلمية فإن كانت هناك دورات فهي ذات فائدة لمعرفة تردد الظاهرة في الماضي لكن ليس لها قيمة تكهنية يقينية ولا يمكنها أن تعبر في الواقع إلا على جزء صغير من مدى التغيرات التي تهم التساقطات. فقد طبقت Sh. Nicholson (1984) على معطيات التساقطات السنوية والفصلية لحوالي 20 محطة مغربية تتوفر على مدة ملاحظة تبتدئ من سنة 1931 طريقة التحليل الاحصائي المسماة Analyse Spectrale والجدير بالذكر أن هذه الطريقة هي المعمول بها في الطرق الاحصائية عامة لتحديد الدورات أو Cycles ولم تحصل إلا على نتائج جد متواضعة لها مدلول إحصائي، لكن تؤكد كذلك على أن هذه النتائج تظل ذات قيمة مناخية محدودة مادام ليس لها الامتداد الجغرافي اللازم حتى تكون خاصة أساسية تشترك فيها منطقة معينة.

من ناحية أخرى إذا اعتبرنا الخمسين سنة الأخيرة يبدو أن ليس هناك نزعة لا لارتفاع التساقطات ولا لانخفاضها في المغرب، لكن عندما نعتبر مدة أقصر فإن هناك فعلاً تطوراً نحو انخفاض الكميات بالنسبة للسنة الفلاحية منذ سنة 71 - 1972 ويعزى ذلك إلى الرطوبة الغير العادية التي عرفتها السنوات ما بين 68 - 1969 - 70 - 1971.

تبيّن دراسة توزيع التساقطات على مستوى الفصول أن كميات الشتاء (دجنبر - يناير - فبراير) والربيع (مارس - أبريل - ماي) سجلت إلى حد ما تزايداً في الكميات المسجلة، لكن بالمقابل كميات الخريف (شتنبير - أكتوبر - نونبر) هي في تناقص مستمر.

وعليه يمكن القول بأنّ ليس هناك مؤشر واضح يظهر أن المناخ المطري المغربي هو في تطور مستمر نحو ظروف قحولة متميزة. فانخفاض تساقطات الخريف يقابلها ارتفاع للكميات خلال فصول الشتاء والربيع، فحدة جفاف الصيف المميزة للمناخ المتوسطي بوجه عام والمناخ المغربي بوجه خاص هي التي ازدادت وازدادت معها استمراريته النسبية داخل فصل الخريف لكن دون أن يؤدي ذلك إلى التأثير على الكميات السنوية.

ترتبط التساقطات في المغرب بالوضعية التي تكون

عليها الحركة الهوائية العامة في عرض المغرب التي تؤدي إلى جعل التيارات الهوائية في الاجواء العليا تأتي من الشمال وتمكّن من جعل الرطوبة في السطح ملائمة لتقدم المنخفضات الجوية والاضطرابات المرتبطة بها نحو الجنوب لكي تهم المناطق المغربية. فإذا لم تتحقق هذه الظروف الجوية واستظّرت أخرى معاكسة لها تمتع من تقدم مسارات الاضطرابات نحو الجنوب عقب استقرار الضغوط الجوية المرتفعة الشبه المدارية فوق المغرب أو في عرض سواحله الغربية لفترة طويلة خلال الفصل الممطر فاننا نكون في ظروف حالة جفاف.

الأسباب الكامنة وراء استقرار مثل هذه الحالات ولفترة غير عادية في المغرب ليست معروفة لحد الآن، وإن كانت هناك بعض المحاولات لتفسير الظاهرة التي تأخذ بعين الاعتبار نوعية المقاربات المعتمدة في هذا النوع من الدراسة والقائمة على نوعية الترابط الموجودة بين مختلف عناصر النظام المناخي مع التركيز بالأساس على العلاقة الموجودة بين حرارة مياه سطح المحيط والهواء الملاصق له وعمليات تحول الطاقة الحرارية إلى طاقة حركية داخل الهواء تكون هي العامل الأساسي داخل دينامية الحركة الهوائية انطلاقاً من كونه يخلق الطاقة الحركية التي تؤثر على بنية الهواء.

وقد ركزت دراسات عديدة في هذا المجال على مفعول حرارة مياه سطح المحيط ودورها داخل التغيرات بوجه عام وعلى ظاهرة الجفاف بوجه خاص. فاعتبار حرارة مياه سطح المحيط كسبب مباشر للتغيرات المناخية يأتي من كون أن طبقات الهواء السفلى الملاصقة لهذا السطح تتأثر من خلال التغيرات التي تحدثها هذه الحرارة على طاقة الهواء على حمل الرطوبة التي تسفر بدورها على تعديلات على مستوى البنية العمودية للهواء ومن ثمة على التغيرات الزمانية والمكانية للحركة الهوائية العامة.

وهكذا فإن ظاهرة الجفاف تحدث مثلاً في منطقة الشمال الشرقي البرازيلي حسب S. Hastenrath (1977) كلما تميزت حرارة مياه سطح المحيط بارتفاع نسبي على كل من المحيط الأطلسي الشمالي وشرق المحيط الهادي ومياه باردة بصفة غير عادية عند جنوب المناطق الاستوائية من المحيط الأطلسي.

واعتبار الظروف الحرارية لسطح المحيط من جهة أخرى كنتيجة تتمثل في دور الوسيط الذي يلعبه المحيط ليس فقط في المكان وإنما أيضاً في الزمان، فإبصال الحرارة يحدث من مكان لآخر ومن وقت معين لآخر، فالعلاقة هنا ليست ثابتة في الزمان ولكنها علاقة فيزيائية لنقل الطاقة، تنظم التفاعل الذي يحصل ما بين المحيط المداري والغلاف الجوي، وبالتالي يكون لها دور في التغيرات المناخية الشيء الذي يؤدي إلى سلسلة من الانعكاسات على دينامية الهواء، وهذا النوع من العلاقات يعرف داخل ما

وذلك خلال سنوات 1877 . 1899 . 1918 . 1972 . 1979 لم تصل خلالها ظاهرة El Niño ذروتها إلا خلال سنة 1979 ، كما أن خلال سنوات جفاف أخرى كسنوات 1905 و1920 لم يحدث خلالهما وجود ظاهرة El Niño وعلى النقيض من ذلك فقد حدث أن بلغت هذه الظاهرة حدة قصوى خلال سنة 1844 و1937 لكن دون أن يصادف ذلك حدوث جفاف في الهند.

وعليه فان هذا يوحى بأن البحث في هذا النوع من العلاقات الذي هو جد متداول الآن قد أفرز جانباً آخر ألا وهو التعقيد الكبير الذي يطبع تغايرية الحركة الهوائية العامة في المناطق الاستوائية والذي يفهم أن الأمر قد حسم فيها مع نظرية "المدخنة الاستوائية"، فكثير هي تفاصيل هذه العلاقات التي هي غير مفهومة إلى حد الآن، لكن الذي يمكن أن يسلم به هو دور هذه الظاهرة بالنسبة للجفاف في وسط وجنوب أمريكا أي المناطق التي هي تحت التأثير المباشر، فالعلاقة الطبيعية ما بين ارتفاع أو انخفاض حرارة مياه المحيط بشكل غير عادي ونظام الحركة الهوائية المحلية والتساقطات في الأراضي القريبة منها يمكن إثباتها بسهولة.

وفيما يتعلق بالمغرب لا تتوفر في الوقت الراهن إلا على دراسات قليلة جداً البعض منها يكاد يكون عبارة عن حالة إثبات للظاهرة، وعدد قليل منها يعمل على التركيز على محاولة فهمها وتشخيصها.

أهم تصور نظري يحاول تفسير التغايرية العامة للتساقطات وحالات الجفاف الذي يعرفه المغرب يرتبط بظاهرة NAO أو الذبذبات الشمال الأطلنتي قوامها من الناحية المناخية أن هناك حالة تناوب جوية عند السطح ما بين مناطق الضغوط المرتفعة الشبه المدارية والمركزة عند جزر الأسور، والضغوط المنخفضة الشبه القطبية عند جنوب وشرق كرويلاند. والتناوب الذي يحصل في الوضعية الجوية عند هذه المنطقة يتلخص في كونه يتميز بحالة تناسبية عكسية ما بين الخليتين : ارتفاع غير عادي للضغوط الجوية المرتفعة الشبه المدارية للأسور يقابله انخفاض غير عادي للضغوط المنخفضة الشبه القطبية أو العكس.

وحالة ذبذبات الشمال الأطلنتي تحدد حدة اتجاه المجال الضغطى باتجاه القطب، ومن خلاله سرعة واتجاه الرياح الغربية للعروض الوسطى التي تؤثر بالتالي على مسارات الاضطرابات عند هذه العروض وعلى الرغم من أن هذه الذبذبات الشمالية الأطلنتية قد اكتشفت مع مثيلاتها من طرف G. Walker إلا أن الاهتمام العلمي بها لم يبرز إلا في السنين الأخيرة حينما أصبحت اليوم الموضوع الرئيسي لمجموعة من الدراسات المناخية حول الاختلافات الحرارية خلال فصل الشتاء ما بين كرويلاند وشمال أوربا، وقد أدى تطور هذه الدراسات بالنسبة لهذا الموضوع بالذات إلى أن استخراج دليل هو عبارة عن الفرق في معدل الضغط خلال

يسمى بعلم مناخ الجفاف بـ Téléconnexion وهو تعبير عن التفاعل الحاصل ما بين حرارة سطح مياه المحيط والغلاف الجوي الذي يُنظر إليه من خلال هذا المنظور على أنه في آن واحد نتيجة لحادث سابق وسبب لآخر لاحق.

البحث في هذا النوع من العلاقات والتركيز خاصة على العلاقات المتداخلة ما بين المحيط المداري والغلاف الجوي واعتباره كسبب رئيسي للتغايرية المناخية والجفاف في مختلف بقاع الأرض أضحي اليوم من المسلمات، وان كان يجب إيجاد هذه العلاقة أولاً.

والجدير بالذكر أن الفكرة في حد ذاتها ليست وليدة اليوم بل إنها اعتُمدت كمحاولة للتنبؤ بحدة الموسميات في الهند خلال القرن الماضي حيث اقترح Blanford سنة 1884 أن سبب التغير في الظروف المناخية في السهول الشمالية الغربية للهند إنما يعود إلى تأثير مفعول امتداد وسمك الثلج على الهيمالايا وذلك أن التزايد في كمية الثلج واستمراره حتى خلال فصل الربيع يؤدي إلى أمطار أقل خلال فصل الصيف.

كما أن الفكرة ذاتها ارتبطت أكثر باسم G. Walker (1928) وخاصة ما يتعلق بما يسمى اليوم بدورة Walker فقد ربط هذا الأخير ما بين تساقطات يونيو - شتبر في الهند والضغط عند السطح خلال فترة أبريل - ماي التي تسبقها، وذلك عند خط عرض 30 من أمريكا الجنوبية.

علاقة التفاعل هاته أصبحت اليوم أيضاً مرادفة لكلمة ENSO وهي مركبة من الحروف الأولى لكلمة El Niño وظاهرة مرتبطة بدورها بتتار بحري حار يهيم السواحل الشرقية من المحيط الهادي جنوب الإكوادور وشمال البيرو، وهي مناطق في الحالات العادية تكون تحت تأثير مفعول تيارات باردة. وهذه الظاهرة تظهر تقريباً خلال كل سنة بحدة متفاوتة خلال فترة أعياد الميلاد المسحية ومن تمّة سميتها El Niño (تعني الرضيع بالإسبانية) والظاهرة إذن هي تغيير جذري في حرارة مياه سطح المحيط عند هذه المناطق حيث تصبح حرارة المياه نسبياً مرتفعة بصفة غير عادية، فتحدث انقلاباً في بنية الهواء عند هذه المناطق، وبالتالي عكس ظروف الدورة الهوائية ولذلك تقرر بكلمة أخرى Southern Oscillation أي الذبذبات الجنوبية وهي تسمية اقترحها G. Walker (1932) تعبّر عن هذا العكس في ظروف الدورة الهوائية داخل المنطقة الاستوائية، وهي تغييرات شبه منتظمة لنظام الضغط عند هذه العروض، وسميت بالجنوبية لأن هناك مثيلات لها في شمال المحيط الهادي North Pacific Oscillation (NPO) وأخرى في شمال المحيط الأطلسي تسمى North Atlantic Oscillation (NAO) Oscillation ويمكن القول بأن إيجاد هذا النوع من العلاقة الترابطية ما زال يكتشفه هو الآخر بعض الغموض، حيث إن حدة هذه الظاهرة نفسها متغيرة كثيراً. فخلال المائة سنة الماضية حدثت حوالي خمس حالات جفاف حادة في الهند

* * * لمزيد فهم ظاهرة الجفاف بالمغرب يمكن تحليل العوامل المناخية والأحداث التاريخية على المقابلة بين منهجين مختلفين في تقصي الماضي المناخي : بعض الوثائق التاريخية منها على الخصوص : نشر المثاني للقادري والاستقصا للناصرى والمجاعات والأويثة في مغرب القرن 16 و17 للتركي وروزنبرجي، من جهة، ومن جهة أخرى التحقيب المناخي الذي وضعه ستوكتون على أساس الحلقات السنوية لنمو الأشجار تحت تأثير التساقطات المطرية والذي يشمل القرون العشرة الأخيرة من تاريخ المغرب باستعمال جذوع الشجر المأخوذ من شعاب الزاد وتونفيت.

يشارك جانب من التحليل المناخي والتحليل التاريخي في هاجس تفسير تواتر الأحداث على أساس تطور دوري محتمل، له في علم المناخ أهمية قصوى إذ لو تأكد وجوده لأصبح هو الأساس في التنبؤ بأحوال الطقس على المدى المتوسط والبعيد، ولأعطى للهيئة الهائمة للحالات الجوية عبر السنين منطقاً داخلياً يخضعها للتحليل العلمي ويطوعها للتخطيط الاستراتيجي.

وإن كان لم يكتمل بعد، فإن البحث في هذا المنهج قد قطع أشواطاً بعيدة في بلدان مثل الولايات المتحدة والسويد وإنجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان. أما في ما يخص المغرب، فإن دراسة ستوكتون في علم مناخ الأشجار قد مكنت من وضع جدول زمني للتساقطات المطرية والجفاف لعدة قرون. وبالطبع، فإن لهذه الطريقة حدودها المنهجية إضافة إلى أن البحث فيها عندنا لا زال في بدايته.

تأتي بعد ذلك المسألة الحاسمة في العلاقة بين الظروف الطبيعية وتاريخ المجتمعات. فإذا كانت الحتمية التي يتعلق بها الجغرافيون الكلاسيكيون قد تم تجاوزها، فإن التساؤل... حول هامش الحرية التي يتمتع بها الإنسان تجاه ضغوط الطبيعة، يظل مطروحاً. وبعبارة أخرى، هل هناك تزامن تام بين المناخ والمجتمع في تطورهما المطرد ؟ أو هناك عوارض تعوق هذا التطور التزامني ؟ لا يمكننا سوى تقديم بعض عناصر الإجابة بالنسبة لحالة المغرب لأن البحث حول تاريخ المناخ مازال في بدايته، والأرشفات، وإن وجدت، فهي غير مدروسة كما أنها مفقودة بالنسبة لفترات معينة، ولا تسمح بالجواب القاطع عن الأسئلة المطروحة. وفي الحقيقة إن التأخر في دراسة تاريخ المناخ بالمغرب يشكل عائقاً كبيراً للتعرف على ماضي مجتمعاتنا.

(1) تتحدث المصادر الموجودة عن ثلاث كوارث في القرن الخامس عشر : وباء قاتلان في 1441. 1442. و1468. 1469. وقد ساهم سقوط غرناطة في عودة الوباء سنة 1493

فصل الشتاء (دجنبر - يناير - فبراير) ما بين محطة Delgadas في جزر الأسور ومحطة Akureyri في إسكلندا، ومن ثمة بدأ الاهتمام أيضاً بالاختلافات في مظاهر الضغط في الأجواء العليا وبالأخص عند سطح 500 ملبار. وضع R.A. Pepler و P. Lamb (1987) اعتماداً على دليل Rogers (1984) ثلاثة دلائل بالنسبة للتساقطات في المغرب تأخذ بعين الاعتبار أهم المحطات المغربية. ومن خلال هذه الدلائل يتبين أن التساقطات في المغرب وخلال ستة أشهر الشتاء هي ذات علاقة تناسبية عسكية بحالات الذبذبات الشمال الاطلنطي، فأعلى الكميات المطرية في المغرب تتناسب والقيم السلبية لهذا الدليل، أي في الوقت الذي يكون فيه هذا الأخير في حالة انخفاض غير عادي للضغط المرتفع الشبه المداري للأسور وارتفاع غير عادي للمنخفض الشبه القطبي لإسكلندا، وهي نفس الوضعية التي تتميز بضعف في قوة الرياح الغربية، بينما انخفاض كميات التساقطات في المغرب تنزع للارتباط بالحالة المعاكسة.

هذه العلاقة العكسية ما بين التساقطات في المغرب وNAO تكون نسبياً قوية عند المناطق الساحلية الأطلسية وبالأخص في الشمال، وذلك طبعاً لكون هذه المناطق هي التي تكون أكثر مواجهة لمسارات الاضطرابات القادمة في أغلب الأحيان من الغرب والشمال الغربي.

تؤكد هذه النتائج على أن التساقطات في المغرب لا ترتبط فقط بالضغط المرتفع الشبه المداري لجزر الأسور، إنما أيضاً بالضغط المنخفض الشبه القطبي لإسكلندا. معنى ذلك أنه متى كانت هناك ظروف جوية تعمل على تقوية المجال الضغطي ما بين الخلتين أي في الحالة القصوى لNAO أي ارتفاع غير عادي للضغط المرتفع الشبه المداري وانخفاض غير عادي للضغط المنخفض الشبه القطبي سيسفر ذلك عن مجال ضغطي قوي ما بين الخلتين مما يؤدي إلى تقوية سرعة الرياح الغربية عند المنطقة المعتدلة تكون من نتائجها المباشرة أن تبقى مسالك مسارات الاضطرابات أكثر فأكثر شمالية، وعندها تستقر في المغرب ظروف جفاف تتمثل في سيادة ضغوط جوية مرتفعة لفترة طويلة وغير عادية.

H. F. Blanford, *On the connection of the Himalya Snowfall and seasons of drought in India. Proceedings Royal Society London*, 37 03, 1884 ; S. Hastenrath - L. Heller, *Dynamics of climatic hazards on northeast Brazil Quarterly, journal of the royal Meteorological Society* 103, (0) 77 - 92, 1977 ; P.J. Lamb - R.A. Pepler, *North Atlantic Oscillation - Concept and an Application. Bulletin Am. Meteo. Society* Vol. 68, n° 10, 1987 ; S.E. Nicholson - T.M.L. Wigley, *La Sécheresse au Maroc. II Analyse Statistique des années pluviométriques. Rapport au Conseil Supérieur de l'eau*, 1984 ; J.L. Rogers, *The Association between the north Atlantic Oscillation and the Southern Oscillation on the Northern Hemisphere. Month. Wea. Review*, 112, 1984, 1999-2015 ; G.I. Walker, *World weather, Quarterly, Jour. of the Roy. Meteo.*

في فاس، حيث هاجر إلى المغرب عدد كبير من الأندلسيين الذين يحتمل أن يكونوا سببا في وقوع الكارثة.

أما فيما يخص التحولات المناخية فإن المساهمة الهامة لعلم تحقيب الأشجار (Dendrochronologie) تتيح تقديم بعض عناصر التفسير.

بماذا تخبرنا عن القرن الخامس عشر؟ إنه قرن مبارك من السماء! في 1415 احتل البرتغاليون مدينة سبتة إلى 1521. 1522 بداية سنوات الكوارث الطبيعية في القرن السادس عشر لم تحدث إلا كارثة جفاف واحدة. فعلم تحقيب الأشجار (Dendrochronologie) يعكس بكل أمانة ما نعرفه من دراسة الوثائق فسنوات 1461-1469، كانت فعلا سنوات جافة تلثها أوبئة. (انظر الرسم البياني الذي أعده ستوكوتون وفريقه) وباستثناء هذه السنة فإن الرسم البياني للتساقطات يظل فوق المتوسط. وهذا أمر مثير حقا، لأنه القرن الوحيد الذي شهد هذه الأحوال المناخية الجيدة.

(2) الكوارث الديمغرافية في القرن السادس عشر.

ويتعلق الأمر على الخصوص بالأزمة التي انطلقت مع جفاف 1521-1522 والتي ميزت التاريخ الديمغرافي خلال ثلاثة قرون.

يقول روزنبرجيه والتريكي بخصوص هذا الجفاف: "سيعرف المغرب مجاعة فظيعة، ستظل ذكراها عالققة بالأذهان لمدة طويلة (...). وسيتحالف الطاعون مع الجفاف في هذه الكارثة القاتلة". (انظر رسم 1).

ما هو ميكانيزم هذا الحدث؟

- عرفت سنة 1520 جفافا قاسيا، لكن المناطق المسقية لم تتضرر كثيرا.

- خريف جاف في 1521، المجاعة وارتفاع أسعار المعيشة.

- 1522-1523 كانت سيئة للغاية بحيث تبدو السنة التي قبلها أحسن منها.

- توقف الجفاف في 1524، لكنه ترك وراءه الأسي، ماتت الأشجار وجفت المراعي، وتقلص حجم قطعان الماشية.

بين 1524، نهاية الجفاف، والوباء في 1552-1558 حدث تحسن محسوس في أحوال المناخ، غير أنه ظل تحت المتوسط، مع بعض فترات الجفاف الخفيفة في 1545. ولم ينقلب هذا الاتجاه إلا في 1552، حيث شهدت السهول الأطلسية مجاعات في 1521-1522، باستثناء سوس.

غير أنه يحدث إصابات وبائية سنة 1557-1558، فإن آثار هذا الجفاف المستمر طيلة 35 سنة، وجد أرضية خصبة لاستفحال الطاعون.

وبالمقابل كان النصف الثاني من القرن السادس عشر طبيبا، على الرغم من أنه عرف وباءين في 1580 ومن 1597 إلى 1610. وفي الحالتين لم تكن هناك علاقة سببية بين الجفاف والوباء، لأن الرسم البياني للتساقطات يخبرنا أن

سنوات 1552 إلى 1600 كانت فوق المتوسط. ولا تخبرنا النصوص إلا عن مجاعة بسبب جفاف 1604-1608.

في هذه الظروف كيف يمكن الفصل بين آثار الجفاف ووباء الطاعون؟ إذا كان الجفاف والوباء يفعلان بشكل منفصل، فإن آثارهما تختلف في الاتساع وحدود المجال. ومازال البحث التاريخي غير قادر على تحديد مختلف هذه الأبعاد. تخبرنا المعطيات المأخوذة عن دراسة حلقات الشجر أن النصف الثاني من القرن السادس عشر كانت أحواله المناخية طيبة.

غير أنه من سنة 1550 إلى 1610 شهد المغرب ثلاثة أوبئة متتالية. وسواء كان هناك تزامن في الظاهرتين أو تقارب في التتابع، فإن آثارهما تكاثفت ونتائجهما كانت مريعة، كان الوهن قد اشتد بالناس من جراء المجاعة، فجاء الوباء ليقتضي عليهم.

بماذا يخبرنا علم تحقيب الأشجار (Dendrochronologie)؟ إذا كانت هذه المعطيات مطابقة لما نعرف عن جفاف 1521 و1522 وامتداداته، فإنه ليس هناك ترابط بين الجفاف والأوبئة خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر (انظر رسم 2).

انطلاقا من هذه الاعتبارات، يمكن أن نحدد بعض الاتجاهات أو بعض المؤشرات:

- عندما يسود عنصر الوباء تحصل نتيجتان أساسيتان: الأولى على المستوى الديمغرافي: يؤدي التراجع العنيف للسكان بفعل الأوبئة إلى فوضى شاملة من جراء الوفيات الكثيرة. عدم صمود أية بنية: جهاز الدولة، السلطات المحلية، مختلف الفئات الاجتماعية من الأعلى إلى أسفل السلم الاجتماعي. تآكل المجتمع.

- أما على المستوى البسيكولوجي: فإن الوباء يشير هلعا لا مثيل له في وسط السكان. في أحوال الجفاف، يحافظ الناس على ديناميتهم ويحاولون البحث عن مصادر التغذية أو يعوضوها بحركيتهم وهجرتهم عن ندرة المواد ولا يفقدون الأمل. كما يُصَلُّون طلبا لغيث السماء أما في حالة الوباء، فإن الناس يستسلمون للقدر وللصوت دون حراك.

- بعض النتائج القطاعية:

- موت ثلث أو نصف السكان حسب المناطق. كانت الإصابات قليلة في سوس والصحراء والمناطق الجبلية. بينما كانت الخسائر كبيرة في الشاوية ودكالة. والقول بأن 100 ألف شخص قد ماتت، تقدير متواضع. كما نتج عن هذا الوضع فراغ سكاني كبير في بعض المناطق لمدة طويلة. ففي نهاية القرن الخامس عشر لم يكن عدد سكان المغرب يتجاوز 3.5 مليون إلى 4 ملايين نسمة. وفي بداية القرن السادس عشر لم يتجاوز عدد السكان هذا القدر. ولم يزد عدد السكان إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

. حدث توزيع جديد للسكان عبر حملات هجرة متعددة وكان الاتجاه السائد هو النزوح القوي من المناطق الصحراوية والجبالية إلى السهول. وكان الفراغ الناتج عن الكوارث الديمغرافية يلعب دور الجذب.

. مع تقلص عدد السكان يلجأ الإنسان لتعويض النقص في الأيدي العاملة إلى الرعي على حساب الزراعة.

هكذا ازدهر الاقتصاد شبه الرعوي في السهول الخصبة. وجذب هذا الفراغ سكان الصحراء والجبالي، فنتج عن ذلك شغب قبلي، واضطرابات وغياب الأمن مما عرقل حركة الناس والمنتجات كما أن الاختلافات الإقليمية اختلفت، فقد مست الأزمة أيضا مناطق الريف والسهول القارية كالحوز وتادلا. وارتفعت الأثمان، مما ضاعف الخصاص وهدد تومين المدن، وحدث شبه شلل في نشاطها الاقتصادي، فضعفت الصناعة التقليدية والتجارة الخارجية، ولم تعد المناطق الغنية تقوى على مد يد المساعدة لما حولها.

. تزايد دور الصلحاء والأولياء والزوايا في ظروف الأزمة. فأمام عجز الوطاسيين (1471 - 1554) عن تنظيم تومين الناس استطاعت مؤسسة الزاوية أن تؤطر أعمال الخير والإحسان، وتنظم التضامن بتوزيعها للموارد. وكان هذا أحد أسباب صعود الزوايا منذ القرن الخامس عشر وتعزيز نفوذها في القرن السادس عشر.

فالاتقيا يمكنهم القيام بدور فعال في أحوال الأزمة : دور التحكيم ودور اجتماعي لتعويض ضعف أو انعدام جهاز الدولة. لكنهم عملوا بالأساس على تأجيج مقاومة المحتل البرتغالي. لقد ساعد عملهم الديني وبركتهم على تقوية الصوفية، وانتشار تدين شعبي يتمحور حول المعيش اليومي للناس. فتطور الصوفية كان بلا شك مرتبطا بوضعية الأزمة التي كانت تفسر باعتبارها عقابا لإهيا.

. النتائج السياسية على البناء الاجتماعي للدولة : أثبتت أزمة 1521 - 1523 وجود علاقات بين الكوارث وسلطة الدولة. فقد ساعدت على ظهور سلالة حاكمة جديدة وهي سلالة السعديين، في حين انهارت دولة الوطاسيين. لم تتأثر إسبانيا كثيرا بالأزمة، لأن جهاز الدولة بها استطاع المواجهة سواء عن طريق استيراد القمح أو بتنظيم توزيعه على السكان.

بينما لم تصمد البرتغال كثيرا أمام الأزمة لأنها كانت منشغلة باحتلال شواطئ الأطلسي. إن تراجع الدخل الضريبي الذي كانت البرتغال تستخلصه من السهول الأطلسية التي أصابها الجفاف، وضرورة تومين المراكز البرتغالية انطلاقا من البرتغال التي أصبحت عبءا كبيرا كل ذلك حد من الخطر البرتغالي. وكان ضعف البرتغال أيضا ناتجا عن هذا الوضع ولذلك لم يستفد كثيرا من ضعف المغرب زمن الاحتلال.

كانت موازين القوى مختلفة لصالح دول شبه الجزيرة الإيبيرية. وكان ضعف البنى السياسية والإدارية للمغرب لا

يسمح له باستيراد القمح من الخارج. بينما استطاعت إسبانيا أن تصل إلى تركيا لمواجهة مصائب الجفاف. أما الوطاسيون، حسب ليون الإفريقي فكانت تعوزهم الإمكانيات المالية، وكان تنظيمهم الإداري ضعيف السيطرة على مجموع البلاد. فلمواجهة كوارث المجاعات لم يكن الوطاسيون يتوفرون لا على السلطة السياسية، ولا على جهاز الدولة القادر على تنظيم التومين.

فقد المغرب احتكاره للتجارة الصحراوية بعدما تحولت الطرق للجزائر وتونس، وحوصرت شواطئه من طرف الإسبان والبرتغال، مما منعه من ممارسة التجارة عبر البحر، وعانى من خسارة ديمغرافية كبيرة. وأدى تظافر هذه العناصر إلى إضعاف السلطة السياسية كما ضعفت السلطات المحلية من جراء المجاعات والأوبئة، وأصبح جهاز الدولة عاجزا عن الفعل. وهذا ما يفسر انطلاق أعمال العنف. كما أن الصراعات الأهلية، بعد سقوط دولة الوطاسيين وصعود السعديين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، ستكون بداية مرحلة جديدة في تاريخ المغرب، مختلفة عن القرون الوسطى، حيث ستتميز بانتهيار الحياة الحضرية وظهور مراكز قروية مرتبطة بالزوايا وازدهار دور الشرفاء. وستتمتد مميزات هذا الوضع إلى نهاية القرن التاسع عشر.

(3) الدولة كضابط لآثار الجفاف خلال النصف الثاني من القرن XVII

إذا كان القرن السادس عشر قد عرف جفاف 1521 - 1523 ووباءين في 1557 - 1558 و1579 - 1580، فإن القرن السابع عشر لم يقلت من هذه الكوارث الطبيعية : سبع وعشرون فترة جفاف أصابت المغرب في هذا القرن، وإحدى عشرة فترة في القرن السابق ويعكس علم تحقيب الأشجار هذا التفاقم بصورة واضحة.

وبالإضافة إلى الجفاف، فإن سنوات 1597 - 1608 شهدت وباءً فظيعا حل بالبلاد وكانت آثاره متعددة انهيار سلطة السعديين التي عرفت صراعات داخلية للطامعين في الحكم، وظهور أبي محلي، مهدي آخر ساهم إلى جانب المجاعة والفوضى والعنف في اضطراب النفوس. وقد تلت هذه الفاجعة، بعد 15 سنة، فترة جفاف قاسية استمرت ست سنوات من 1626 إلى 1631 وستؤدي المجاعة والفوضى إلى تعميق أزمة الدولة. في هذه الظروف، ستتشكل شيئا فشيئا، وخلال هذه العقود المضطربة، مباشرة بعد الجفاف في 1660 و1662، دولة جديدة، هي دولة الشرفاء العلويين.

وسواء في مراحل التأسيس في عهد مولاي رشيد أو عند إرساء دعائم الدولة في عهد مولاي إسماعيل، فإن المغرب شهد فترات الجفاف من 1672 إلى 1727. عرف عهد السلطان الكبير - مولاي إسماعيل - خمس فترات جفاف، الأولى لم تكن طويلة من سنة إلى سنتين 1672 - 1673 و1679 - 1680 و1682 - 1683. بينما كان في

بداية تقوية هيكل الدولة ومحاولة إخراج البلاد من حالة الفوضى والانحيار الاقتصادي. وشهد المغرب بعد ذلك فترتين من الجفاف استمرت الأولى ثلاث سنوات والثانية أربع سنوات، من 1693 إلى 1695 ومن 1714 إلى 1717. وتدل دراسة حلقات الشجر التي قام بها ستوكتون على هذه الفترات بدقة لا مثيل لها، ومن الطبيعي أن تكون لهذه الكوارث آثار سلبية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. على أن عهد المولى إسماعيل كان عهداً قوياً، فهو عهد الاستقرار والتقدم حيث إن مجهود إعادة بناء الدولة أعطى ثماره المتمثلة في عودة الأمن وضمان المبادلات وتموين الناس بسهولة.

كيف نفسر هذه المفارقة؟ إنها ترتبط بالدور الذي تلعبه الدولة في مواجهة الكوارث. فدور السلطان في تنظيم السوق ومراقبتها وارتفاع أسعار الحبوب والمواد يكون حاسماً. فالسلطان يتدخل للحد من ارتفاع أسعار الحبوب عن طريق إنزال ما تحتويه مخازنه للسوق من أجل تلبية الطلب والحفاظ على سعر مناسب.

يفيدنا جوزي دي ليون بشهادات مهمة بهذا الخصوص حيث يقول: "أمر المولى إسماعيل في إحدى فترات الغلاء التي تسببت في موت الكثير من الناس (ربما كانت 1679-1680) كل الذين يمتلكون خزائن من الحبوب أن يخرجوها للسوق. وبدأ بأبنائه، على أساس أن يكون السعر أقل سبع أو ثمان مرات مما هو موجود في السوق، وضعف سعر سنوات الصعبة. وقد عزز أمره هذا بتهديد المخلين به، بالإعدام ونزع ممتلكاتهم. وكان لهذا الأمر تأثير مباشر على الأسعار حيث نزلت في السوق إلى قرابة 23 ريال وقاربت الأثمان العادية".

كما تم إعدام أحد الباشوات المحتكرين، ونزعت ممتلكاته لتوزع على الفقراء. هكذا قضى على الاحتكار، وبدا السلطان كضابط حاسم ليكاتبزمات السوق بتدخله وتوزيعه للمخازن التي يملكها كبار الشخصيات في فترات أزمة التعذية.

إن أهم خلاصة تتعلق بأهمية البحث العلمي في ميدان التاريخ المناخي فالمعرفة المنهجية لتاريخنا المناخي تمكننا من معرفة أفضل لأنفسنا ولإمكانياتنا ومحدوديتها.

لقد لعب الجفاف في الماضي، بالإضافة إلى الأوبئة، دوراً خطيراً في النزيف الديمغرافي الذي أصاب البلاد مدة أربعة قرون وشكل عائقاً في طريق تطورها. ويأتي الجفاف اليوم في البلاد في ظروف مغايرة، إنه لا يهدد التوازن الديمغرافي غير أن النمو الديمغرافي المتزايد يعمق من الآثار السلبية للجفاف ويهدد الناس في طريقة عيشهم، كما يهدد البيئة المغربية والتوازن البيئي - مناخي في بلادنا، هذا التوازن قد يصير غير قادر على تلبية الحاجيات الغذائية للأجيال؛

محمد الناصري

الجغريات، قصائد من شعر الملحن، تعدّ من صور النقد السياسي ومتابعة الأحداث والوقائع بعين أخرى ترتفع عن رؤية العامة لهذه الأحداث، كما تعدّ الجغريات أيضاً مظهراً من مظاهر التنبؤ والإرهاصات التي تجري في محيط شاعر الملحن، وما يعايشه في مجتمعه من قريب أو من بعيد. ويلاحظ المتأمل في "أدب الجغريات" أن الصور الشعرية التي يعدها شاعر الملحن كانت - هي الأخرى - تخترق الغلاف الضيق عند الجماهير لتنادي أعمق أعماق الوجدان المغربي ومشاعر الغافلين.

وفي عهد الاستعمار لعبت الجغريات دوراً مهماً في إثارة مشاعر الذين يهرهم الوجود الاستعماري بمظاهره الحديثة وما نصبه العدو من أشراك للبسطاء، فكانت كلمات الجفر تخرج من بين الشفاه هديراً يحدث القلق والاضطراب، ويضع حداً للمكابد والأهوال لأن بها تتيقظ مشاعر الجماعة الشعبية.

وبهذا كان فنّ الجغريات في الشعر الملحن، فناً أصيلاً، وهو عبارة عن قصائد و"عروبيات" يتأمل فيها شاعر الملحن أحوال مجتمعه ذاكراً فيها عيوب وقته، مشيراً إلى مناكر أهله المنتشرة هنا وهناك، معتمداً في نفس الوقت على "الرمز" بالحيوان، والتلميح والإشارة، وعلى التشبيه والمقارنة وضروب أخرى من التحايل الذي كان يستخدم فيه إيهام القارئ بكثير من الدلالات والرموز وغير ذلك من وسائل فنّ الخطاب في أشكاله البلاغية المختلفة وما كانت تدعو إليه الحاجة أيضاً من تقيية وهروب من المسؤولية. وفي هذه الأشكال الخطابية كان شاعر الملحن متأملاً في أحوال مجتمعه، يتنبأ بما ستفضي إليه هذه الأحوال من وقائع وأحداث. فهو ينظر إليها نظرة استكشافية تنبأ بما سيحدث وتبسط للجمهور العريض ما صعب عليه فهمه وإدراكه.

كانت نصوص هذه "الجغريات" علي تلقائيتها بمثابة الصاعقة فوق رؤوس الحبايرة وأعداء البلاد، التجأ فيها الشاعر الشعبي إلى الصياغة الرمزية في معالجته لقضاياهم عامة المواطنين.

من الصعب تحديد الزمان لبعض "الجغريات"، إلا من خلال ما يروى حولها من روايات شفاهية، لتقدم عهدها وتداولها في ساحة الإنشاد عند "الجوالاة" في بعض الأسواق، وعند شيوخ الكريحة في محافل أهل الملحن. باستثناء جغريات قليلة يشار فيها إلى تاريخ النظم، وبه يعرف العهد الذي عاش فيه الناظم. ومن أشهر شعراء الجغريات المتأخرين الشيخ محمد النجار الذي عاش في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171-1207)، والشيخان قدور العلمي وولد رزين، والمتصوف عبد الله وعلي دفين الصحراء المعروف بجفريته (فَرَعَنْتِ الْبُوم) وقد اختلفت الروايات في تحديد الفترة التي عاش فيها، والظاهر من بعض نصوص الملحن أنه توفي في نهاية القرن

الثاني عشر (18 م). ومطلع جفريته :

فَرَعَنْتُ البُومَ عَلَى البِيرَانِ ثَرَلَاتٌ

بَيَّنْتُ نَيْسَابَهَا وَدَرَكْتُ الصُّولا

والسبعُ حُشَى مَن الضَّبَعِ بعد الرُّهْرَاتِ

الرِّمِّ التحذيرُ خَافَ مَن وَلَدُ الفُولا

... هذا قولُ الأُفْخَارِ، يارواي الأبياتِ

فيه معاني، لَمَن ذراها مقبولاً

مَن عَلِمَ الغَيْبِ، يا السَّامِعُ منقولاً

ومن روائع الجفريات المتداولة حتى اليوم بين شيوخ الملحنون :

أ - جفريّة : "عام حُصَّاشُ"

ب - جفريّة : "الزَّمانُ الحَمايِبُ"

ج - جفريّة : "كَلْبُ الرُّومِ"

د - جفريّة : "أشُّ يَصِيرُني"

هـ - جفريّة : "بان حقَّ العَيَّارُ"

م. الفاسي، معلمة الملحنون، الأجزاء الثلاثة الأولى : ع. الملحوني، سلسلة ديوان الملحنون، العدد الأول، 1990 : زائد الأعداد 2 و3 و4. كنانيش الملحنون مخطوطة.

عبد الرحمان الملحوني

جَكَرَانْدَا، مِيمُونُفُولِيَا *Jacaranda mimosifolia*

نبات شجري من فصيلة البغنونيات Bignoniaceae قد يتجاوز علوه 15 م. تاجه مستدير وقليل الكثافة. قشرة جذعه ذات لون رمادي داكن. أوراقه نفضية متقابلة، مركبة، ريشية. تحتوي كل ورقة على 16 زوجاً من الريشات على الأقل. وكل ريشة مركبة من 14 زوجاً من الوريقات البيضوية الشكل.



جكرندا



تجتمع أزهار جَكَرَانْدَا على شكل عشكول هرمي. ذرفية كأس الأزهار ذو خمسة أسنان. وتُوجها أنبوبي أزرق اللون. الثمرة عليية ذات فلتقتين خشبية تشبه في شكلها المحار، رمادية اللون، وتحتوي على بذور مجنحة. أصل هذا النوع من البرازيل. أُدخِل في بلدان يشبه مناخها المناخ المتوسطي.

أما في المغرب فيستعمل نبات جَكَرَانْدَا كشجرة زينة في الحدائق والشوارع بجبل مدن السواحل والسهول المغربية. وهكذا نجد مزينا لشوارع غليز في مراكش وابن بطوطة الذي يمر بجانب المعاهد والكليات ووزارة التعليم بالرباط. يستعمل جَكَرَانْدَا للزينة نظراً لجمال أوراقه وأزهاره وثماره. وهو يتحمل التقليم (الزبير).

أبحاث خاصة.

Metro et Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora : La Nature du Maroc, Soc. des Scien. Natur. et physique du Maroc*, 1955.

عبدالمالك بنعيد

ابن جلال، أسرة علمية فاسية أصلها من تلمسان. دخل جدهم محمد بن عبد الرحمان ابن جلال المغراوي التلمساني إلى فاس عام 958 / 1550، في جملة من العلماء الذين هاجروا من الجزائر بعد استحكام الحكم العسكري التركي. فتصدر بها للإمامة والخطابة والإفتاء والتدريس، وكان من جملة الآخدين عنه كبار مشايخ العلم والتصوف الفاسيين أمثال الإمام أحمد المنجور والشيخين رضوان الجنوي وأبي المحاسن يوسف الفاسي. وعقب الشيخ ابن جلال أبناء وأحفاداً تسلسل فيهم العلم، وكادوا يستبدون بإمامة وخطابة جامع القرويين وجامع الأندلس إلى غاية انتصاف القرن الحادي عشر (17 م)، زيادة على تقلدهم مناصب الإفتاء والنظارة والتدريس والانتصاب للشهادة، وكان بعضهم الواسطة المعتبرة في الأساسيد العلمية للعديد من مشاهير بني الجد الفاسيين. ويمتد هذا الطور النشيط من تاريخ هذه الأسرة من عام 958 إلى عام 1079 / 1550. 67- 1668، ويدخل هذا القبيل بعد ذلك في طور الخمول حتى لا نكاد نجد ذكراً في مطلع القرن الثالث عشر (19 م) إلا لإحدى حفيدات الشيخ ابن جلال وابنتها تحيسان مالهما على إمام وطلبة مسجد كائن بحومة العيون بفاس، ولما صنف عبد الكبير الكتاني (ت. 1350 / 1932) كتابه زهر الآس في بيوتات فاس كان أولاد ابن جلال قد انقرضوا من الحاضرة الفاسية.

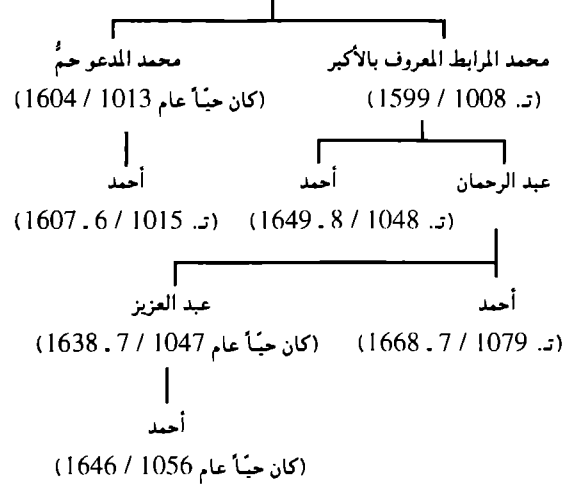
أعلام الفقه والتصوف التلمسانيين الوافدين على المغرب على عهد السعديين، وقد دخل إلى فاس في صدر خلافة السلطان محمد الشيخ المهدي عام 1550 / 958، بعد نهوض ماهد دولة الشرفاء الزيدانيين إلى تلمسان واستيلائه عليها وعلى أعمالها إلى وادي شلف عام 1549 / 957. وتتصل وفادته بحركة الهجرة الواسعة التي همت أعيان الحضرة الزيانية، الذين سيتلاحقون بالحاضرة الإدريسية في هجرتين كبيرتين، تمت أولهما أيام السلطان المذكور عام 961 / 1554، وحدثت الثانية على عهد نجله وخليفته السلطان عبد الله الغالب عام 968 / 1562؛ وذلك في سياق التنافس حول تلمسان بين الدولة السعدية الناشئة وأتراك الإيالة الجزائرية في ضم المغرب الأقصى إلى الامبراطورية العثمانية، والوصول بحدودها الغربية إلى المحيط الأطلسي.

وكما امتاز الشيخ محمد ابن جلال في دخوله إلى المغرب بالتفرد والسبق عن الجماعتين التلمسانيتين اللتين ستلحقان به، فإن علاقته بالأتراك تختص كذلك عن العلاقة التي نظمت بين هؤلاء وبلدييه: وإذا كان خاصة تلمسان من أهل الفقه والتصوف من شيعة الأتراك، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من فقهاء وفقراء حواضر وبوادي المغرب الأوسط، فإن الشيخ ابن جلال يتصل بالترك من طريق أوسع يفيض عن تاريخ مملكة تلمسان، ويسبق معتمتها التي تجابه فيها العثمانيون والإسبانيون، وانتهت ببيعة أميرها للسلطان سليم؛ كما يغطي نفوذه المنطقة الغربية بأكملها من المغرب الأوسط، ويمتد إلى جهات كثيرة من المغرب الأقصى؛ ونعني بذلك انتسابه إلى الطريقة الراشدية، التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 1524 / 931)، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16م)، وتفرعت عنها طوائف وزوايا عديدة في المغرب الأوسط والأقصى. وقد وصل الشيخ أحمد بن يوسف حبله بالأخوين عروج وخير الدين ماهدي دولة الأتراك بالمغرب الأوسط منذ أولية ظهورهما به، وأزرهما في حربهما ضد الزيانيين وحلفائهم الإسبانيين، وخاض معهما معمة تلمسان، التي أسفرت عن استشهاد عروج (1518 / 924)، وسجن الشيخ أحمد بن يوسف، ولم تزد علاقة أتباعهما من بعدهما إلا وثوقاً ورسوخاً، ودامت حتى تاريخ الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830 / 1245.

وقد رأى الشيخ ابن جلال النور هو والطريقة الراشدية في وقت متقارب من فجر المائة العاشرة للهجرة، وشب في بيت من البيوتات الراشدية الشهيرة طينا ودينا: فوالده الشيخ عبد الرحمان بن أحمد ابن جلال من أعلام الطبقة الأولى في هذه الطريقة، ومن كبار صحب الراشدي وملازميه، فهرع على أثر أبيه في النسبة إلى الراشدية والمحبة في شيخها، ونيف على العقدين من عمره يوم أهيل الثرى على نعش الشيخ أحمد بن يوسف.

محمد بن عبد الرحمان ابن جلال

(ت. 1574 / 981)



الناهبون من أسرة ابن جلال الفاسية

ابن جلال، أحمد بن عبد الرحمان بن محمد المرابط (ت. 1668 . 7 / 1079)، تتلمذ على علماء أسرته كما أخذ عن الشيخين محمد العربي الفاسي (ت. 1642 / 1052) وعبد القادر الفاسي (ت. 1680 / 1091). فتضلع في النحو والفقه وشارك في غيرهما، وتصدر للتدريس، ومن تلامذته الأعلام المؤلفان الكبيران عبد الرحمان الفاسي (ت. 1096 / 1685) وابن عمه محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698).

ابن جلال، أحمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان ابن محمد المرابط، كان حياً عام 1646 / 1056، معدوداً في جملة العدول المبرزين بسماط فاس.

ابن جلال، أحمد بن محمد المدعو حم (ت. 1607 / 1015)، تولى مثل جده ووالده خظة الخطابة بجامع الأندلس بفاس، وربما تكون النية قد أدركته في حياة أبيه.

ابن جلال، أحمد بن محمد المرابط (ت. 1649 / 1048)، فقيه متمكن تولى الخطابة والافتاء والتدريس بفاس، ومن بين تلامذته ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمان المترجم أنفاً.

ابن جلال، عبد العزيز بن عبد الرحمان بن محمد المرابط، كان حياً عام 1638 . 7 / 1047، معدوداً من عدول سماط فاس المبرزين.

ابن جلال، محمد بن عبد الرحمان المفراوي. أحد

ولما كان لرجال التصوف من أهل المغرب الأوسط يد في زوال ملك الزيانيين، وقيام دولة الأتراك بهذا الصقع، فقد قيل قياساً بصلوح نفس اليد في الدسائس والمؤامرات التي مهد الترك بها لبسط نفوذهم على المغرب الأقصى، وتم تعيين إخوان الطريقة الراشدية بالذات، وجُعِلوا معارل هدم وتخريب مسخرة من قبل حكام الإيالة الجزائرية، لتقويض الدولة السعدية الناشئة، والمنافسة لهم على تلمسان وأعمالها.

والواقع أن تاريخ الطريقة الراشدية في المغرب الأقصى حكمته الجراءة الفكرية التي اتبني عليها المذهب الصوفي الذي ابتدعه الشيخ أحمد بن يوسف، ولا أثر لتنافس العثمانيين والسعديين في مجرياته : وإذا كان مشكل الطائفة اليوسيفية المتفرعة بالمغرب الأقصى عن الراشدية، سيبليغ ذروته أيام استقرار الشيخ ابن جلال بفاس، وبالضبط خلافة السلطان عبد الله الغالب (965-982 ، 1557-1574)، حيث شكل أحد أحداث حكمه البارزة، وإحدى القضايا الفكرية التي شغلت بال علماء فاس على هذا العهد، والذي انتهى بامتحان المخزن السعدي لاتباع هذه الطائفة : فإن الأمر لا يزيد على التأريخ لطور من أطوار مكافحة الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً، من لدن دخولها إلى المغرب الأقصى في حياة الشيخ أحمد بن يوسف إلى هلم جرأً، وهذا من قبل كل من الوطاسيين والسعديين ثم العلويين من بعدهم.

وقد حاق مكر الأتراك بالسلطان محمد الشيخ المهدي، وغدر به صالح الكاهية ورهطه من الانكشارية، وفصلوا رأسه عن جسده (29 ذو الحجة 964 / 23 أكتوبر 1557)، وحملوه في مخللة، وعلقوه بالقسطنطينية إلى أن تلاشى ؛ فما تأثرت سيرة الشيخ ابن جلال بهذا الحادث، ولا نقصت منزلته عند نجله وخليفته السلطان عبد الله الغالب، الذي حفظ له نفس العناية والرعاية اللتين تمتع بهما منذ دخوله المغرب، وأقره على الخطط التي ولاه إياها والده، من فتيا وإمامة وخطابة وتدريس، وهي أرفع المناصب بالحاضرة الفاسية على وجه الخصوص، وفي المغرب السعدي على وجه العموم، والتي تكفل رخاء وتوفر سعة الرزق ؛ بل وأنعم عليه بالإمامة والخطابة بجامع القرويين فقام بهما خير قيام ثلاث عشر سنة، بعد أن خطب بجامع الأندلس ثمان سنين، وفي ذلك رفعة في القدر وزيادة في الأجر ؛ كما استصحبه الغالب معه في رحلته إلى سوس عام 980 / 1572، فأقام معه مدة من سنة، قدمه خلالها للإقراء بالجامع الكبير في المحمدية.

ومن الحق أن العامل السياسي لا يفسر وحده حظوة الشيخ ابن جلال، إذ كان مثله مثل بقية العلماء التلمسانيين المهاجرين إلى المغرب على شيء من التقدم في عدد من العلوم، وقد اختلف هو بالامتياز في عمل أهمل بالمغرب اهمالاً يكاد يكون تاماً، وهو علم الكلام الذي

ازدهر بتلمسان على يد كل من الإمامين محمد بن يوسف السنوسي (ت. 895 / 1490) وأحمد ابن زكري (ت. 899 / 1493) ؛ وقد عمل الشيخ ابن جلال وبلديوه على نشر مصنفتيهما بين المغاربة الذين اعتمدها وراجت بيتهم وكتبوا عليها شروحا وتعليق عديدة ؛ وسند الشيخ ابن جلال فيها سند عال، إذ أخذ عن الشيخ أبي عثمان سعيد الشهير بالكفيف، الذي صحب الشيخين السنوسي وابن زكري ؛ وظل هذا السند من الأسانيد المعتمدة في كتب الفهارس المغربية إلى هلم جرأً.

وأخذ الشيخ ابن جلال كذلك على الشيخ عبد المالك البرجي، خاتمة العلماء التونسيين، الذي ورد على تلمسان واستقر بها إلى أن توفي في صدر العشرة الرابعة من المائة العاشرة للهجرة ؛ كما تلمذ على شيخ الجماعة بتلمسان محمد ابن موسى المتوفى في أول العشرة الخامسة من نفس المائة، وعلى الشيخ أحمد بن أطاع الله، وعلى الشيخ سعيد المقرئ.

فقد الشيخ ابن جلال معاصريه المغاربة من مشايخ وطلبة بسمته الحسن وتؤدته وسكينته ووقاره وحفظ مهجته وهمته وسخائه، وإن لم ينظر بعضهم بعين الرضى إلى أناقته في اللبس وركوبه الفرس الذكر، على خلاف عادة فقهاء فاس المعاصرين ومن قبلهم في التقشف وعدم التنعيم والبعث عن الرئاسة، فاتهموه بتبديل السيرة العلمية، ورأوا في اقتداء أبناء جنسه به موت العلم وإهانة من انتسب إليه.

وعندما وفد الشيخ ابن جلال على فاس كان يبلغ من العمر خمسين عاماً، وخلال ما يزيد على العشرين سنة التي قضاه بها، ستعترف له الحاضرة السعدية بالرئاسة العلمية، وبعمادة علمائها، ومشيخة الجماعة بها. وقد تنافس معاصروه في علومه والاقتباس من فهمه، وكان من بين تلامذته الأعلام الشيخ رضوان الجنوي (ت. 991 / 1583)، والإمام أحمد المنجور (ت. 995 / 1587)، والشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1013 / 1605).

توفي محمد ابن جلال بفاس عام 981 / 1574 ودفن بقرب ضريح الشيخ علي أبي غالب من عدوة الأندلس.

ابن جلال، محمد المدعو حم بن محمد بن عبد الرحمان، كان حياً عام 1013 / 1604، خلف أخاه محمداً المرابط على خطابة وإمامة جامع الأندلس، وبه صلى على الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي بعد وفاته (ت. 18 ربيع الأول 1013 / 14 غشت 1604)، ولعله كان لا يزال على قيد الحياة عام 1020 / 1611، وأن نظارة أحباس فاس قد آلت إليه.

ابن جلال، محمد المرابط بن محمد بن عبد الرحمان (ت. 10 محرم 1008 / 2 غشت 1599)، ويدعى كذلك بمحمد

الأكبر تمييزاً له عن أخيه الأصغر محمد حمّ المذكور قبله. تتلمذ على أبيه وعلى أبي القاسم بن محمد ابن إبراهيم الدكالي المشنزاني (ت. 70 / 978 - 1571) وغيرهما. ولي بعد وفاة والده (ت. 981 / 1574) الخطابة والإمامة بالقرويين، وبقي بها نحواً من ستة أشهر، ثم نقل إلى جامع الأندلس، وبها صلى على الشيخ رضوان الجنوي بعد وفاته (ت. 991 / 1583)، وقد دفن محمد المرابط بروضة أبيه.

م. ابن عسكر، دوحه، 117، 120، 123، 129، 130؛ أ. المنجور، فهرس، 78؛ م. ابن مريم، البستان، 260، 261؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 1؛ 325، 324؛ درة، 2؛ 214، رقم 663؛ لقط، 312؛ أ. بابا، نيل، تج. ع. ع. الهرامة، طرابلس، 599، رقم 733؛ م. العربي الفاسي، مرآة، ط. حجرية، 9، 10، 20، 72، 175؛ ع. الفاسي، ابتهاج، تج. ح. الداوي، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 41، 96، 202، 226، 227، 323، 333، 334، 347، 349؛ م. المهدي الفاسي، تحفة، مخطوط خ. ع. 76 ج. 68؛ تمتع، تج. ع. العمراوي وع. مراد، 93؛ م. الطيب الفاسي، أسهل المقاصد، مخطوط خ. ع. 2843، د. 86؛ م. الافراني، صفوة، ط. حجرية، 8، 43، 93، 101، 102، 212؛ م. القادري، نشر، 1؛ 75، 92، 93، 138، 372؛ 2؛ 179، 180، التقاط، 2؛ 34؛ م. الحفناوي، تعريف الخلف، 2؛ 413، 415؛ م. الكتاني، سلوة، 2؛ 26، 28؛ م. مخلوف، شجرة النور، 185، رقم 1085؛ ع. الكتاني، زهر الآس، مخطوط خ. ع. 1281 ك، 445، 451، 462؛ ع. الكتاني، فهرس الفهارس، 2؛ 890، 982، 999؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 2؛ 357؛ م. المنوي، ملامح من تطور المغرب العربي، 83؛ م. مزين، فاس وياديتها، 1؛ 23؛ ع. نجمي، عكاكرة، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 233، 239.

A. Cour. L'établissement des dynasties des chérifs, 97, 127, 139; J. Berque. Un maître de l'heure renoncé, in "L'intérieur du Maghreb", 100, N° 1.

عبد الله نجمي

الجلباب (لباس) ← الجلابَة

الجُلْبَان، وينطق عامة أهل المغرب (الجَلْبَانَة) ويدعوه المشارقة البازلاء هو بيسوم ساتيفوم Pisum sativum وهو نوع نباتي ينتمي إلى فصيلة الفراشيات Papilionaceae. أصل الجُلْبَان المغروس يرجع إلى أنواع وأصناف عديدة توجد طبيعياً بحوض البحر المتوسط. إنه نبات حولي أخضر متسلق بالمعاليق أو زاحف. أوراقه مركبة. أزهاره بيضاء أو ملونة فراشية الشكل. ثماره على شكل قرون محتوية بداخلها على بذور مستديرة لمساءً أو مجمدة وذات ألوان مختلفة حسب الأصناف. زرع الجُلْبَان منذ أقدم العصور في حوض البحر المتوسط. وقد عرفه الفراعنة والإغريق والرومان، لكن زراعته لم تتسع على نطاق واسع إلا بعد العصر الوسيط. تزرع في المغرب أصناف عديدة من الجُلْبَان. منها

التي تنضج باكراً ومنها التي تتأخر في نضجها. وتنتشر زراعة الجُلْبَان في الأراضي المسقية أو البورية من السهول والهضاب والجبال المتوسطة الارتفاع، أي في الطوابق تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي، واستثنائياً فوق المتوسطي. أما من حيث البيومناخات بالنسبة للزراعة البورية فإنها تصادف في المناطق الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة واستثنائياً الجافة في السنوات الممطرة.

لكن أكثر الكميات من الجُلْبَان تنتج في السهول شبه الرطبة وشبه الجافة حيث يزرع الجُلْبَان مسقياً أو في الأراضي البورية.

يزرع الجُلْبَان من أجل بذوره التي تستخدم للاستهلاك الآدمي أو الحيواني. كما تستعمل أوراقه خضراء أو يابسة في العلف أو التسميد الأخضر. توكل البذور خضراء طازجة أو معلبة، أو يابسة أو على هيئة دقيق أو مفصصة.

يكثُر إنتاج بذور الجُلْبَان الطازجة في المغرب بصفة متواصلة ما بين نهاية فصل الخريف ونهاية فصل الربيع. تعرف صناعة تعليب الجُلْبَان بالمغرب نمواً متواصلاً في السنوات الأخيرة، وذلك نظراً للطلب المتزايد لهذه المادة التي يسهل استعمالها في تهييب الأَطعمة وخاصة في المطاعم العمومية.

أبحاث خاصة؛ ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

الجُلْجَلَان، يدعى السَّمْسَم بالمشرق العربي، هو بذور النوع النباتي سيزأموم إنديكوم Sesamum indicum الذي ينتمي إلى فصيلة الخيميات Umbelliferae.

إنه نوع عشبي وحولي يزرع لبذوره ذات القيمة الغذائية الرفيعة ولكونه يساعد على الشفاء ويعطي الحليب للأم المرضعة. وقد عرف بالهند والصين منذ أقدم العصور ومنها امتد انتشاره إلى مناطق حارة أخرى من العالم. ويزرع اليوم في بلدان عديدة بآسيا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا كالمغرب.

تستعمل بذور الجُلْجَلَان ذات الحجم الصغير في عدة أشكال من الأَطعمة والحلويات والسلطة والخبز والفظائر. كما يستخلص منها "زيت الجُلْجَلَان" أو "زيت السَّمْسَم" الذي يستعمل في الطبخ والأغراض الطبية وفي صناعة المارجرين ومنتجات غذائية أخرى، والصابون والطور.

ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعيد

الجلد، صناعة من أقدم الصناعات بالمغرب. ومن أسسها وفرة جلود المعز والغنم وحتى البقر. فسكان المغرب

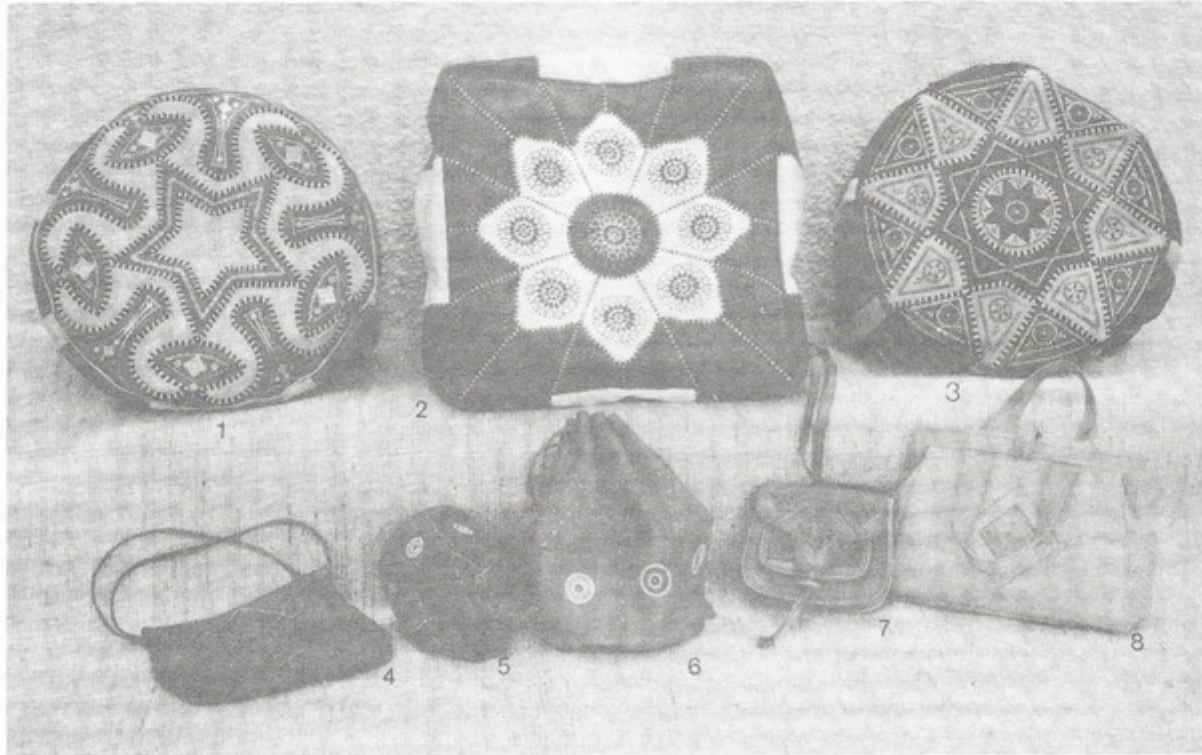
يضاف إلى ذلك إشارات في نصوص التراث تدل على العناية بالجلد ومكانته في صادرات المغرب خاما أو مذبوغا أو مصنوعا. ومن آيات هذه الصناعة التاريخية ما تجده في تفسير بعض الكتب وتغميد بعض السيوف وإبداع بعض الجرابيات النفيسة التزييق أو بعض أسرحة الخيل الرائقة التوشية، والأرائك وهذا بالإضافة إلى الأحذية والأحزمة التي يزين النسائي منها بخيوط مذهبة في الغالب، كما يكون بعضها مبطنا بالحرير.

وتعتبر طائفة صناع الجلد من دباغين وخرازين وطرافين وسماطين من أهم الحرف في صناعات المغرب التاريخية، وذلك بكثرة من يشتغلون بها ويعيشون منها، وبالتقليد المراعاة فيها وقواعد حسبتها والطرائف والعوائد المرتبطة بها.

مند منافسة المصنوعات البلاستيكية وغيرها لصناعة الجلد في المغرب في هذا القرن وهي تتراجع، ولكن عهد ما بعد الاستقلال عرف عودة النشاط إلى هذا القطاع وتجدد حيويته بل وبروز العاملين فيه في ميدان المنافسة والقدرة على التطور سواء في ميدان المصنوعات التي تستعمل في الحياة اليومية أو في مصنوعات يُحتاج إليها في المناسبات الخاصة أو من مصنوعات فنية وجمالية على أذواق أهل البلد أو أذواق السياح على السواء.

وقد تخطت صناعة الجلد من الوراثة التقليدية بالنسبة لبعض المصنوعات إلى عصر المعامل التي تستخدم الآليات وتشغل أعدادا وافرة من اليد العاملة. ومن الأمثلة على ذلك صناعة الجاكيتات الجلدية العصرية.

إذا كانوا من الرجل أو أنصاف الرجل كان غالب معاشهم على تربية الحيوانات، وإذا كانوا من المستقرين زاوجوا بين الزراعة وتربية الماشية في توازن حكيم بالنسبة للمقتضيات الجهوية. وقد اشتهر المغرب في حوض البحر المتوسط وأوروبا وبلاد السودان (إفريقيا جنوبي الصحراء) بصناعة الجلد حتى إن كلمة Maroquin التي تعني جلد الماعز المذبوغ الملون أو أشياء مصنوعة منها قد دخلت في الاستعمال اللغوي الأوربي مند القرن التاسع (15 م) مقترنه باسم المغرب المشتق من مراكش في هذه اللغات. ومن الشواهد على هذا القدم وهذه الشهرة كثرة دور الدباغة في جميع المدن التاريخية ومواضعها في أقدم الحومات الحضرية.



ومن أجل مساعدة الصناع على تطوير أساليبهم أحدثت وزارة الصناعة التقليدية مراكز للتكوين المهني في هذا الفن ومركبات للصناعة والعرض والبيع.

ويظل اللون المحلي مرتبطاً بصناعة الجلد حيث تشتهر مدن دون غيرها بمصنوعات متميزة على أنماط معروفة. ومن أهم مراكز هذه الصناعة مدن فاس ومراكش وتطوان والدار البيضاء. ولبعض البوادي ميزتها في هذه الصناعة مثل الريف والواحات الصحراوية. وفي كل مكان يحاول الصناع الاستجابة لطلب الزبناء ومراعاة أذواق المستهلكين.

يبلغ عدد وحدات صناعة الجلد بالمغرب حوالي 15.000، تشغل ما يزيد عن 50.000 صانع (لا يدخل في عددهم الأولاد المتعلمون). أي معدل 3.3 صانع لكل وحدة والعاملون في السكافة 40٪ من هذا العدد وصانعو الأحذية و30٪ وصانع المتبكرات الأخرى حوالي 15٪ ويصنع بفاس 27٪ من الإنتاج ومراكش 27٪ وبالدار البيضاء 23٪ واليد العاملة من صناعة الجلد بالدار البيضاء حوالي 20.000 صانع وفي فاس حوالي 14.000.

ح. الوزان، وصف إفريقيا؛ ر. لوتورنو، فاس قبل الحماية؛ وثائق وزارة الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية بالرباط.

G. Deverdun, Marrakech des origines à 1912 ; Ministère de l'Artisanat et des Affaires Sociales, Les arts du cuir.

* * كان الجلد في العصر الوسيط، إلى جانب الصوف، من أكثر المنتجات الحيوانية التي اشتهر المغرب بها منذ القدم، وقد استمر المغرب منتجاً ومصدراً لهذه المادة طيلة العصر الوسيط، حتى إن ابن خلدون - وهو من العصر الوسيط الأدنى - اعترف للمغرب بالتفوق في هذا المضمار، بل إنه اعتبر ديبغ الجلود ونسج الصوف الصناعة الوحيدة التي برع فيها المغاربة لكثرة موادها الخام ببلادهم، غير أن أسباب هذا الازدهار في اعتقادنا لا يرتبط فقط بكمية المواد الخام بل ويقانون العرض والطلب ووجود يد عاملة ماهرة في الدباغة والصناعة، ووفرة المواد اللازمة للدباغة، بدليل أن الرعي وتربية المواشي قد ازدهر في فترات تاريخية مختلفة وفي جهات كثيرة من المعمور ولم تقم صناعة مزدهرة للجلود إلا في مراكز معينة وجد محدودة؛ والقصد هنا إلى الدباغة الصناعية الموجهة للسوق والصناعة الجلدية الاستهلاكية، أما الدباغة المحلية والإنتاج العائلي المحدود فهو أكثر انتشاراً في الزمان والمكان.

وردت الإشارات الأولى لكثرة الجلود في المغرب وخاصة جلود الأغنام في بداية العصر الوسيط، حيث كان تعسف بعض العمال سبباً في ثورة السكان. ومن أمثلة تلك التعسفات ذبح الكثير من الأغنام بصفة عشوائية بحثاً عن الجلود العسلية (الاستقصا، 106).

وذكر المقدسي في حسن التقاسيم (ص 238) ما يفيد أن المغاربة لايهتمون بجلود الأغنام لكثرتها، أما الإشارات الأولى عن الدباغة والجلود المدبوغة فقد جاءت عند صاحب معجم البلدان إذ قال عن مدينة أغمات إنها تصدر الجلود المدبوغة، وقد اشتهرت بجودة صناعتها طيلة العصر الوسيط الأعلى والأوسط، أي إلى نهاية الدولة الموحدية، وقد أكد ذلك صاحب كتاب التشوف (ص 238) عن مدينة مراكش التي استطاعت أن تتفوق على مدينة أغمات في هذه الصناعة؛ وإلى جانب مدينتي أغمات ومراكش وجدت مراكز أخرى ازدهرت فيها صناعة الجلود إما بشكل متواصل خلال العصر الوسيط أو في فترة من فتراته، مثل مدن فاس - تازا - سبتة - سلا - نفيس - ماسة - نول - إيجلي. وفي العهد الموحدى ازدهرت هذه الصناعة في العاصمة مراكش ونفقت لدرجة أن إنتاجها لم يعد يفي بحاجياتها فجلبت الجلود والصناع من هسكورة، وفي مدينة فاس ارتفع عدد المدايع لدرجة أنه أصبح يقلق راحة الناس بروائح الجلود النيئة وتلوث المياه وبضايق المارة في الأزقة بأحمال الجلود الخام والمدبوغة، فتم إخراج المدايع إلى أرياض المدينة (القرطاس، 48؛ جني زهرة الآس، 44)؛ فالمسألة هنا خاضعة بالأساس لتزايد الطلب على الجلود، فازدهار هذه الصناعة أو تدهورها مرتبط بالأساس بقانون السوق، إذ بعد انخفاض الطلب بسبب التخريب الذي تعرضت له المدن في العصر الوسيط الأدنى والتراجع الديموغرافي والفلاحي الذي عرفته الفترة، وتدني المستوى المعيشي للسكان الذي عرفته البلاد أواخر العهد المريني، كل ذلك أثر بشكل مباشر على الصناعة الجلدية فلم تبق من المراكز العديدة التي عرضنا لها أعلاه سوى منطقة هسكورة ومدينة فاس، رغم ازدهار الرعي على حساب الزراعة.

وتحدث الحسن الوزان عن هذين المركزين بتفصيل (وصف إفريقيا، 129، 132، 134) ففي مدينة فاس عرفت صناعة الجلود (دباغة وتصنيعاً) تطوراً كبيراً في مطلع القرن العاشر (16 م) حتى إن دور الدباغة تنوعت وتخصصت في دباغة نوع من الجلود (مدايع جلود الماعز، مدايع جلود البقر، مدايع جلود الأغنام) وعن قبيلة هسكورة قال: يكاد كل سكانها يشتغلون بالدباغة ويقصدها تجار فاس وغيرهم لشراء الجلود.

من أشهر أنواع الجلود المدبوغة الجلد الغدامسي والجلد القرطبي، وهي أنواع سميت باسم المناطق التي صنعت فيها أول مرة، لكن المغرب كان منتجاً لها بكميات كبيرة فاقت ماتنتجه تلك المناطق إذ كان مصدراً لها، وما يستدل به علي جودتها أنها بعثت في الهدايا السلطانية إلى الخارج (البكري، المغرب، 152؛ المسند الصحيح، ص 453؛ وصف إفريقيا، 1، 32، 129، 248).

ارتبطت صناعة الجلود والدباغة إضافة إلي ما سبق بوفرة المواد المساعدة مثل الحناء وتكاووت ولحاء بعض

الجلد : الدباغة والصناعة في القرن العاشر (16 م)
حسب الحسن الوزان

| الانتاج | المكان | الزمان والعهد | المصادر والملاحظات |
|--|--------------|------------------|--|
| اسكافيون | تدنست | الوطاسي - السعدي | وصف افريقيا 1 / 77 |
| نعال من جلد الجمال والبقر | اداوزگواغن | | وصف افريقيا 1 / 81 |
| اسكافيون يهود | أيت داود | | وصف افريقيا 1 / 83 |
| الجلد القرطبي | تبيوت | | وصف افريقيا 1 / 92 |
| الجلود المدبوغة | ناحية هسكورة | | وصف افريقيا 1 / 129 |
| بين الجلود في فاس ومكناسة | تكوداست | | وصف افريقيا 1 / 132 |
| الدباغون | مدينة الجمعة | | وصف افريقيا 1 / 133 |
| تصدير الجلود | مدينة بزو | | وصف افريقيا 1 / 134 |
| جلد اللمط | جبل تنزيتة | | قيمة الواحد بفاس 8 مثاقيل، وصف افريقيا 137 / 1 |
| الجلد القرطبي | مدينة تفضة | | تفضة حاضرة تادلا، وصف افريقيا 1 / 139 |
| بانعو الأحذية | مدينة فاس | | 150 دكانا، وصف افريقيا 1 / 184 |
| الخرازون لأحذية الأطفال | مدينة فاس | | 50 دكانا، وصف افريقيا 1 / 184 |
| صانعو النطق الجلدية والخفاف والأزمة | مدينة فاس | | 50 دكانا، وصف افريقيا 1 / 184 |
| بانعو اللجم والسروج | مدينة فاس | | 80 دكانا، وصف افريقيا 1 / 184 |
| صانعو الدلاء الجلدية للأبار | مدينة فاس | | وصف افريقيا 1 / 188 |
| صناعة الأحذية الخشنة للفلاحين | مدينة فاس | | 150 دكانا، وصف افريقيا 1 / 188 |
| صناع التروس والدركات الجلدية | مدينة فاس | | 150 دكانا، وصف افريقيا 1 / 188 |
| صانعو جلود السروج من جلد الماعز | مدينة فاس | | وصف افريقيا 1 / 189 |
| الخرازون صانعو أحذية الاعيان | مدينة فاس | | وصف افريقيا 1 / 189 |
| الدباغون يؤدون عن كل جلد دبغوه | مدينة فاس | | يجتمع من هذه الضريبة ألف مثقال، وصف افريقيا 1 / 204 |

حصار مراكش، كاتَّب أشياخ الموحدين يدعوهم إلى بيعته فتلقته وفود العرب، ثم بايعه ابن جلداسن وأظهر الحماس لمطالبته، مما جعل أبا دبوس يتوجه من فاس إلى جبل هسكورة وينزل عند ابن جلداسن في صفر سنة 663 / نونبر - دجنبر 1264. وهناك أصبح الناس يقدون إليه فيعدهم بالإحسان والإنعام، فطاعت له قبيلة هزرجة وجميع قبائل هسكورة بتشجيع ابن جلداسن، وتوافدت عليه وفود العرب والموحدين والجند، وكذا فرقة الروم التي كانت في الجيش الموحي. وكان استقرار إدريس أبي دبوس بجبل هسكورة مدة سنة كاملة استغرقها في اعداد العدة للهجوم على مراكش التي تمكن من دخولها يوم 22 محرم 665 / 23 أكتوبر 1266.

إن سوء تفاهم ما - لا نعرف سببه - قد حصل بين الخليفة الموحي الجديد إدريس الواثق وبين ابن جلداسن أحدث وحشة بينهما، مما جعل إدريس الواثق يعزم على تنظيم حركة لجبل هسكورة لتأديب ابن جلداسن في شعبان سنة 665 / أبريل - ماي 1267. وأثناء مسيرته أرسل الواثق أبا فارس عبد العزيز بن عطوش رسولا إلى مسعود ابن جلداسن لاختبار أحواله، فعاد الرسول يحمل أخباراً سارة مُطمئنة تؤكد أن ابن جلداسن لا يزال على السمع والطاعة، فاكتفى الواثق بذلك وتركه في جبله، وتنحى عن جهة هسكورة قاصداً السوس.

لكن ابن جلداسن أظهر الطاعة ليحول دون مهاجمة الموحدين له، أما موقفه الحقيقي فقد بقي رافضاً للواثق حيث سنجده يسارع مرة أخرى إلى مساندة عبد العزيز بن السعيد الموحدين في رغبته في الخروج عن طاعة إدريس الواثق، وجرت بين ابن جلداسن والأمير الموحي مراسلات واتصالات، ومن سوء حظ هذا المتطلع إلى الخلافة، فإن الرسالة التي وجهها إلى ابن جلداسن يعلن فيها نواياها وقعت في يد الواثق الذي لم يتردد في إعطاء أوامره للسيد أبي زيد عبد الرحمان بن أبي عمران عامله على مراكش بقتل عبد العزيز بن السعيد الموحي، وانكشفت بذلك نوايا ابن جلداسن، فامتنع في منطقته الجبلية متمرداً على سلطة الخليفة الواثق الذي لم تسعفه الظروف، فقتل بعد أقل من سنتين، وانتهت بنهايته دولة الموحدين.

ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين) الدار البيضاء، 1985 :
ابن أبي زرع، الذخيرة النية، الرباط، 1972 : ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، 1964.

ابن جلداسن، يلول، يكنى أبا داود وينتمي إلى إحدى القبائل الأمازيغية التي ناصرت الدعوة الموحدية، ولعلها قبيلة هسكورة. ولاتذكر المصادر شيئاً عن ابن جلداسن في المغرب، وتهتم فقط بنشاطه بالأندلس، حيث كان من الأطر المغربية التي اعتمدت عليها الخلافة الموحدية في القيام بالمسؤوليات الإدارية والعسكرية بالأندلس نظراً لما عرف

الأشجار، وقد كان المغرب منتجاً لها بكميات تفوق حاجياته فيصدر الفائض منها مثل الحناء (المغرب، 152 : نزهة المشتاق، 1 : 22) ؛ لكن تقلص هذه الصناعة في نهاية العصر الوسيط واستمرارها في مراكز محدودة لا يعني أن المواد الخام انعدمت أو قلت، بل يرجع بالدرجة الأولى إلى الاضطرابات السياسية والاجتماعية وتراجع الإنتاج الفلاحي وتدهور المستوى المعيشي وسيادة الرعي والتنقل، فالمراكز القليلة التي احتفظت بالإنتاج استطاعت أن تكون ثروة كبيرة بسبب الأرباح التي تُدرها عليها دباغة الجلود، وقد لاحظ الحسن الوزان في هذا الشأن أن قبيلة هسكورة قد تفوقت مادياً على دكالة بسبب صناعتها الجلدية (وصف إفريقيا، 1 : 129)، وأشار بالأرقام إلى "أن جبل بني فنزكار في إقليم الهبط" يغل ستة آلاف مثقال سنوياً لتصديره الشمع وجلود البقر إلى جنوة والبرتغال (وصف إفريقيا، 1 : 248). وبدخول المغرب تحت النفوذ الأمبريالي والاستعماري أي منذ الاستعمار البرتغالي والإسباني إلى الامبريالية الأوروبية كانت الجلود الخام والمدبوغة من أبرز صادراته إلى هذه البلدان، ويظهر الآلات والمدابغ العصرية جمع المغرب منذ بداية هذا القرن ما بين المدابغ العصرية ودور الدباغة التقليدية، وتنتج عن ذلك ازدواجية في المنتجات الناجمة عن النوعين منتجات جلدية تقليدية ومنتجات عصرية.

من المفارقات الطريفة أن لباس الجلد اعتبر قديماً رمزاً ودلالة على مستوى اجتماعي متدن فلم يكن يلبس الجلود الساذجة أو المدبوغة سوى الفقراء، أما اليوم فلباس الجلد يدل على العكس، ولباس الفراء كان وما يزال زمراً ودلالة على الغنى والمستوى الاجتماعي الراقى.

ع. ابن خلدون، العبر، ج 1. المقدمة، بيروت : أ. الناصري السلاوي، الاستقصا، ج 1 الدار البيضاء، 1954 : المقدسي، حسن التقاسيم، 1957 : ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصر، 1906 : ي. التادلي، التشوف، الرباط، 1958 و 1984 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972، الجزناني، جني زهرة الآس، الرباط، 1967، ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : ابن مرزوق، المسند، الجزائر، 1987 : الإدريسي، نزهة المشتاق، ط. نابولي.

محمد حجاج الطويل

ابن جلداسن، مسعود، يكنى أبا عثمان، أحد أشياخ قبيلة هسكورة بجبل درن في أواخر عهد الموحدين، وقد قويت سلطته على هذه المنطقة في مرحلة ضعف الدولة وفي خضم الصراع بين الموحدين والمرينيين، ويظهر أنه كان ميالاً إلى الاستقلال عن سلطة الخليفة الموحي المرتضى، حيث سارع إلى دعم إدريس أبي دبوس عند إعلان انفصاله والدعوة إلى نفسه سنة 663 / 1264.

فبعد انصراف أبي دبوس من فاس التي توجه إليها طالبا العون من أمير المسلمين أبي يوسف المريني على

عن الموحدين من تحفظ وصراحة في التعامل مع شؤون هذا القطر.

ففي سنة 557 / 1161 أي في أواخر خلافة عبد المومن قام وإلى إشبيلية الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن بتعيين ابن جلداسن في خطة "أشغال الموحدين" بإشبيلية، أي شؤونها الإدارية والمالية، ومحمد ابن المعلم الأيلاني في "شغل المخزن" بها. وكان ابن جلداسن وابن المعلم يعملان معاً تحت نظر "صاحب أشغال المخزن" أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي، ونلاحظ من خلال أسماء هؤلاء المسؤولين الثلاثة انتماءهم إلى القبائل المصمودية والصنهاجية.

كان ابن جلداسن يقوم في مهمته هذه بالتنسيق مع ابن المعلم حيث كانا "يجتمعان كل غدوة على المصالح، ويفترقان إلى النصائح، وأقاما على هذا من تاريخ مشي السيد الأعلى أبي يعقوب إلى الحضرة بالاستدعاء مدة إلى أن كانت وفاة الخليفة (عبد المومن)" (المن بالإمامة، 207).

ويعد تولي يوسف للخلافة، أقر ابن جلداسن على نظره في الأشغال، وأضاف إليه "النظر في الأسهم"، بينما أقرد أبا عبد الله ابن المعلم الأيلاني "بإشراف الأعمال" بإشبيلية. وبصفتها مسؤولين رسميين في إشبيلية نجدهما سنة 561 / 1165 في طليعة مستقبلي الوالي الجديد لإشبيلية أبي عبد الله بن أبي إبراهيم (المن بالإمامة، 295) ويبدو أن ابن المعلم قد صدر منه تفريط أوجب إخضاعه للمحاسبة ومراجعة أعماله ثم عزله، وأسندت المهام التي كان يتولاها إلى ابن جلداسن الذي تدل ترقياته المتعددة على أنه كان أقدر على إثبات كفاءته في القيام بما كان يسند إليه من مسؤوليات، وتم هذا التغيير أثناء زيارة الخليفة يوسف بن عبد المومن إلى إشبيلية في شوال سنة 566 / يونيو - يوليو 1171 (البيان المغرب، 121).

هكذا أصبح ابن جلداسن "مشرف إشبيلية وأمين أمير المؤمنين"، مما يدل على مدى الثقة التي كان يحظى بها لدى الخليفة الذي كلفه بالإشراف على مشروع زراعي هام تمثل في غرس مساحات شاسعة من الأراضي بضواحي إشبيلية حول قصور البحيرة بأنواع جيدة من الزيتون وأشجار الفواكه المختلفة، وذلك سنة 567 / 71 - 1172، فكان تحت نظر ابن جلداسن "وعمله تقييد الإنفاق في الاغتراس والبناء في الشهادة على ذلك كل يوم" (المن بالإمامة، 467).

وعندما أمر الخليفة يوسف ببناء المسجد الكبير بإشبيلية كلف أيضاً ابن جلداسن نظراً لثقتة به حتى وصفه ابن صاحب الصلاة "بخاصة أمير المؤمنين ومشرفه على الأعمال" (نفس المصدر، 476)، فكان مسؤولاً عن تقييد الإنفاق على المشروع، ويظهر أن ثقة الخليفة بابن جلداسن كانت في محلها، إذا عرفنا أن هذا المشروع عرف تقصيراً وخيانة من بعض المساهمين فيه من العلماء والشخصيات الأندلسية مثل أبي بكر ابن زهر وأبي بكر اليناقي و"عبد

الرحمن بن أبي مروان بن سعيد العنسي الغرناطي، فظهرت على كتابه وأصحابه خيانة فعزل وعزلوا واستبدلوا، ورجع النظر إلى أبي داود (ابن جلداسن) واستبد مع خاصته تحت أمر إبراهيم الدباغ مع مشاركة ابن زهر المذكور" (المن، 476).

ولم يزل ابن جلداسن يترقى في سلم الإدارة الموحدية بالأندلس حتى أصبح عاملاً على إشبيلية، وعند عبور الخليفة يوسف إلى الأندلس برسم الحملة على شنترين في صفر عام 580 / ماي - يونيو 1184، نزل إشبيلية، وعند توجهه للجهاد كلف عامله ابن جلداسن بمشروع معماري ضخم تمثل في بناء سور حصين على قسبة إشبيلية، وبناء صومعة للمسجد الكبير تكون في اتصال مع السور المذكور، وبناء دار صنعة للقطائع، فبدأ أبو داود ابن جلداسن في هدم مجموعة من الدور التي تقع في موقع المشروع، وشرع في حفر أساس السور لكن المنية عاجلته بعد شهر ونصف من ذلك سنة 580 / 1184، ثم توفي الخليفة يوسف متأثراً بجراحه في غزوة شنترين بعد مدة قليلة، فلما بويع الخليفة المنصور عين عاملاً جديداً على إشبيلية خلفاً لابن جلداسن، وتعطل مشروع بناء صومعة جامع إشبيلية إلى أن زارها الخليفة المنصور سنة 584 / 88 - 1189 فأعطى أوامره بإصلاح المسجد الجامع وإتمام بناء صومعته الذي استغرق سنوات من العمل.

ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تج. ع. التازي، بيروت، 1964 :
ابن عذاري، البيان المغرب، تج. مجموعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1985 : ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين، عصر الموحدين، القاهرة، 1964.

محمد المغراوي

الجلسة، مصطلح فقهي مغربي، وهي حسب العمل

الفاصي : "عقدة خاصة بديكان أو كل مكان في ملك الأوقاف وضع فيه المكتري تجهيزات معينة". ويعرفها ميبو (ص 70) بأنها كراء دار أو حمام أو حانوت أو فندق. وعلى المكتري أن يرمم ما تلاشى بالشيء المكري أو يزينه. وقد شاعت الجلسة في أملاك الأوقاف بصفة خاصة، ولذلك اعتبرها الفقهاء ضرباً من إجارة الوقف ونوعاً من أنواع الانتفاع بالأعيان الموقوفة واستغلالها والتصرف فيها. ولم تكن خاصة بدور السكنى بل نجدها غالباً في الدكاكين والمطاحن والمعامل والمدابغ والفنادق. وهي كراء لأمد معلوم.

لم تكن كلمة الجلسة معروفة في كل أنحاء المغرب، بل كانت شائعة في مدن فاس ومكناس وسلا والرباط وتطوان وشفشاون والعرائش والقصر الكبير وغيرها من مدن الشمال، في حين يقابلها اسم الحلاوة في مراكش. ومنشأ الجلسة حسب تفسير الفقهاء إنما سببه تجزئة المنفعة، بحيث إن مالك المنفعة إذا شارك غيره فيها، فمن كان منهما

متى أمكن التنصل منها أزيلت .. فالحزم غلق أبواب
الجلس إن أمكن الوصول إليه" (حوالة كبرى مكناس (5)
ص 143 . 144).

ومع أن هؤلاء العلماء لم يؤكدوا على الجلسة وتحفظوا
في قبولها فإنها أصبحت عرفاً جارياً العمل به خاصة في
ممتلكات الأحياس وبالأخص في الدكاكين، قال الشيخ
القاضي بنسودة في جواب بين فيه العرف الجاري وما وقع
عليه العمل "الجلسة جارية مجرى الغرس في أراضي
الأحياس وهي على التبقية في حوانيت الحبس" (المصدر
السابق) ويضيف المجاطي: "والجلس ... عمت بها
البلوى، ودخلت بيد ملاكها بالثمن الوفار وطال الأمر فيها
في الأزمنة الكثيرة" (محمد بنعبد الله، ناظر الوقف 12،
ص 47).

وعن أصل المجلس يتحدث القاضي العربي بردلة (ت.
1133 هـ) بقوله: "ليعلم الواقف عليه أن أصل المجلس
ومصلحتها التي روعيت في إحداثها هي أن الذي تملك له
الجلسة ويمكّن منها، وحاصلها المربوط عليه، ومعناها الذي
يرجع إليه حالها هو كون الكراء له على التبقية لا يخرج إلا
إن رضي بالخروج أو يخل بالمصلحة التي روعيت في
إحداثها" (حوالة أحياس كبرى مكناس، رقم 5 ص 142).
فللجلسة شروط تتخلص في: "أن يكون من تملك له
الجلسة ويمكّن منها أن يجعل الأصل بيده على التبقية
بكراء المثل، يكون على الحانوت مثلاً بمثابة الناظر عليها،
ويقوم بأمرها ويحوظها، ويناضل على حقوقها ومرافقتها،
ويسعى في عمارتها، ويقف لإصلاحها وقوف المالك على
ملكه العزيز عليه، ويكون مع ذلك متكفلاً بوجيبتها
للحبس على النصف غير محاط ولا مسوف، عمرت الحانوت
أو خلت نفقت أو كسدت، كان مرغوباً فيها أو مرغوباً
عنها" (حوالة كبرى مكناس (5) ص 142).

إذن يعدّ صاحب الجلسة بمثابة المالك، له حق التصرف
التام بالبيع والشراء، والهدم والبناء وجميع تصرفات أرباب
الملك، وليس لصاحب الأصل الحق في مراجعته أو إخراجه
مادام قائماً بمصلحة الملك مراعيّاً له محافظاً عليه، فإذا
أخل بشروط من شروطها كما إذا تغافل صاحب الجلسة عن
الملك وأهمله وتركه عرضة للخراب والتهديم أو إذا لم يلتزم
للحبس بالوجيب أو نحو ذلك فلا يبقى له فيه جلسة.

والجلسة كما سبق الذكر كراء لأمد معلوم. وقد جعل
القاضي أبو هبّد الله محمد بن الحسن المجاصي هذه المدة
سنة واحدة فقط - (خلافاً للجزء الذي قد يكون كراء لأمد
طويل أو على التأييد) - فإذا انقضت المدة التي وقع عليها
العقد وقع التشاح. يقول القاضي ابن سودة: "ألزم ذو
الجلسة بكراء وسط على المعروف وقت التشاح، وألزم ذو
الأصل قبوله، وإن اتفقا على تقويم الجلسة قومت قيمة عدل
لاعلى أنها نقض منفصلة عن الأصل، وإن شاء ذو الجلسة
رفع أنقاضه التي لاحق لغيره فيها فله ذلك، ولا مقال لرب

سلازماً للجلوس بها سمي مالك الجلسة، وسمى الآخر مالك
المنفعة تمييزاً بينهما، فالأساس المصطلح عليها في ذلك
يرجع لجانب المنفعة فقط. فإذا باع ذلك الجالس حصته
يسمى بائع الجلسة أو المفتاح، وإذا باع الآخر حصته يسمى
بائع المنفعة بالاسم العام أو الزينة باعتبار الاسم الخاص،
ولاتقويم للجلسة إلا برضى صاحبي المنفعة والجلسة معاً،
فلا يختص أحدهما برأي دون الآخر، ولا يلزم أحدهما الآخر
بما يراه من الكراء ولا من رفع اليد والأنقاض ولو اندرست
العدة التي هي لصاحب الجلسة، إلا أن الكراء الواجب لذي
الأصل لازم لذي الجلسة سواء انتفع أم لا (ع. گنون، جنى
زهرة الآس في شرح نظم عمل فاس، ص 70). وبالرغم من
أن الجلسة لاتستند إلى نص شرعي فقد صارت متداولة
نتيجة للعادات المتكررة وسكون النفوس إليها.

كذلك الجلسة والجزء جرى على التبقية القضاء؛
وقد أثار مشروعية الجلسة جدلاً بين الفقهاء خاصة
فيما بين القرنين العاشر والحادي عشر (16-17م)، واعتبر
البعض أن الأصل في مشروعيتها - وغيرها من المنافع
الوقفية - هي فقط المصلحة ببيع منفعة الوقف المعطل
والتلاشي بثمن مقسط على الشهور أو السنين بيعاً معبراً
عنه بالجلسة، وفي هذا يقول عبد القادر الفاسي (ت. 1091)
: "إن الأصل فيما ذكر إنما هو المنفعة المتملكة بعقد الكراء
ولا فرق في ذلك بين الحوانيت والفدادين وغيرها، إذ كل
منها عقد كراء وإن كانت المدة والأجل مختلفة" (حوالة
كبرى مكناس، ص. 140).

إلا أن بعض الفقهاء لم يجيزوا العمل بالجلسة
واعتبروها من الباطل المضاد لنصوص الشرع، بدعة لا يوجد
لها ذكر عند الفقهاء المتقدمين:

والجلسة التي جرت بفاس لدى الحوانيت بلا التباس
ليس لها في الشرع أصل يُعلم ولا قياسُ قاله من يفهم
وفي هذا الإطار قال عبد الواحد ابن عاشر (ت.
1040 هـ) ما يفيد أن الجلسة ليست لها زكائز وقواعد
شرعية: "إن الجلسات ومن جملتها عدة الأرحى كل ذلك لا
أصل له، ولكن جرت عادة أهل فاس باعتبارها والاعتماد
عليها" (ع. گنون، شرح نظم عمل فاس، ص 70). وقد
أجاب الشيخ محمد ميارة (ت. 1072) حينما سئل عن
الجلسة التي جرى بها عمل الناس في الحوانيت هل جائزة أم
ممنوعة؟ وما وجه منعها إن كانت ممنوعة؟ فأجاب: "أما
مسألة الجلسة، فلم أقف على نص فيها ولا أظنه يوجد
لأنها محض اصطلاح من المتأخرين".

ونفس الشيء ذهب إليه مفتي فاس وقاضيها محمد بن
الحسن المجاصي (ت. 1103 هـ) في نوازله، من كون الجلسة
من الوسائل الرديئة التي أمكن للأشخاص بواسطها التمتع
بمنافعها.

وأضاف: "وقد أفتى جماعة من المحققين كابن جلال
وابن عاشر والمقري وغيرهم أن الجلسة بدعة باطلة ويلية

الأصل في إلزامه المكث بكراء وسط ولا تقويم عليه ولا قلع لأنها جارية مجرى الأجزية وعقودها. ولا يخفى حكمها الجاري في الأحباس ... (ع. گنون، العمل الفاسي، ص 71).

وإذا مات صاحب الجلسة يرثها ورثته ويقومون مقامه على القدر المقرر. فلا يحق لناظر الأحباس كان أو غيره أن يحوز المفتاح من الورثة، وللورثة حق التصرف في المفتاح المعبر عنه في العرف بالجلسة بأن يقتسموه على فرائضهم أو أن يتخلوا عنه لبعضهم بعضاً أو لغيرهم بعوض أو بغير عوض كما أنه يباع ويوفى منه دينه ويصير إلى بيت المال إذا لم يكن له وارث.

ويشوب الغموض تاريخ ظهور الجلسة وكيفية ظهورها، ويمكن التأكيد أن ظهورها مرتبط بضعف سلطة المخزن، فالاضطرابات التي عرفها المغرب وأواخر العصر المريني وما تعرضت له الأحباس من نهب وسلب وما ترتب عن ذلك من تساؤل لمداخيل الأحباس كانت إحدى أسباب ظهور الجلسة، فالراجح إذاً أن هذه الأخيرة، بدأت في الظهور مع نهاية الحكم المريني في القرن التاسع (15 م) خاصة وأن أحمد بن يحيى الونشريسي (ت. 914 هـ) في المعيار في القسم المتضمن لنوازل الأحباس لم يتطرق إلى الجلسة، في حين تحدث عن الجزء والكراء في صفحات عديدة من كتابه.

وحدد ميليو نشوء الجلسة في ظرف ثلاثة قرون بين القرن الثامن والعاشر الهجريين، ففي تلك الحقبة نشأت وتطورت وأخذت شكلها النهائي. إلا أن الفترة التي صارت فيها الجلسة عرفاً معمولاً به شابها الغموض. وبمقارنة بسيطة لمضمون النصوص التي تحدثت عن الجلسة مع العصر الذي عاش فيه مؤلفوها يمكن تحديد هذا التاريخ بالتقريب وإن كانت غير بعيدة من بداية العصر العلوي، ففي الفترة بين القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ناقشت مدرسة فقهاء فاس بامعان ودقة شرعية الجلسة وانتهت بالاتفاق على شكلها (القانوني)، وصارت فيما بعد كما يقول محمد بن الحسن المجاصي، بعدد الأملاك الحبسية (ميو، تجزئة الأحباس، ص 42).

وفي عهد المولى إسماعيل أثير جدل حول الجلسة، وأعيد النظر فيها لما ثبت لدى قاضي الحضرة المكناسية أبي مدين محمد بن الحسين السوسي (ت. 1120 هـ) ضررها بالنسبة للأحباس فحكم "بإبطال حكم الشركة بين أصحاب المجلس المالكة لجميع الأصل في جميع الحوانيت الموقوفة إبطالاً كلياً" (حوالة أحباس كبرى مكناس (5) ص 183). إلا أن ذلك لم يحل دون استمرارها وصار الناس في العهود التالية يتنافسون في شرائها، وأحقوها بالأصول، حتى إنها كانت تشتري للأيتام والمهاجر لكونها مأمونة، والراجح أن سبب ذلك يعود إلى ضعف الجهاز المشرف على الأحباس، وتهاون النظار الذين لم يعودوا قادرين على النظر بجهد فيما يعترض سير مؤسساتهم من مشاكل، واستولى الخواص على

الأملاك الحبسية ولم تعد الأحباس تملك سوى الاسم لأن المجلس صارت تباع وتشتري وتورث دون علم النظار أحياناً.

إن نشأة الجلسة وتطورها في الظروف السالفة الذكر أدى إلى تجزئة المنفعة وإخراج بعض الأملاك من يد الأحباس مما كانت له عواقب وخيمة على مداخيل الأوقاف وسير المرافق التي كانت تمون من تلك المداخيل. وقد تمت محاولات لتدارك ذلك في بداية عهد الحماية فصدرت عدة ظهائر ضبطت الجلسة وغيرها من المنافع منها ظهير 27 يراير 1914، وظهير 2 يونيو 1415 وظهير 8 يوليوز 1916، كما صدر في 31 مارس 1938 ظهير في شأن تصفية الأملاك الحبسية من شوائب الجلسة وغيرها... وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن الجلسة تفرعت عنها أنواع أخرى من المناقع كالزينة والمفتاح والاستغراق.

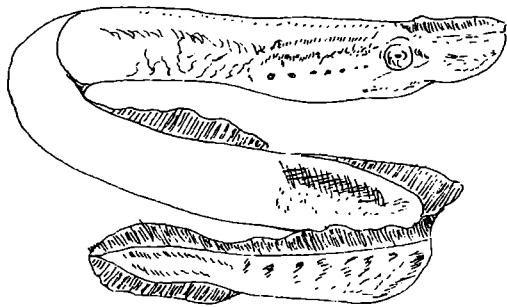
حوالة أحباس كبرى مكناس، رقم 5، ص 138. 144 : النصوص التشريعية التنظيمية الخاصة بالأوقاف : 1973 : ع. گنون، "جنى زهر الآس في شرح نظم عمل فاس"، القاهرة، د. ت. ص، 70. 71 : بلقند رقية، أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل، الجزء الأول، ص. 108. 116، الجزء الثاني، ص. 465. 484.

E. Michaux Bellaire, *Le gza et la guelsa, R.M.M.*, 1911. p. 217 - 248 ; L. Millot, *Demembrement des Habous*, Paris, 1918.

رقية بلقند

الجلكا أو **الجلكى** Lampraie، سمكة تنتمي إلى الفقريات، وهي من أكثرها بدائية لا من حيث التكوين ولا من حيث طريقة العيش، وقد صنفها العديد من العلماء القدامى من بين الأسماك إلا أن الدراسات الحديثة خلقت لهذا النوع ولأمثاله مجموعة تصنيفية جديدة أطلق عليها اسم "Agnather" وما يمكننا نحن نسميه "اللافكيات" أي الحيوانات الفقريات التي لها فم مستدير كالمحجم لا يتحكم في تحريكه فكأن.

للجلكا جسم ثعباني الشكل قد يصل طوله ما بين عشرين سنتمترًا وحوالي متر تقريباً مدعوم داخلياً بجهاز عظمي عضرفي يمتد من مقدمة الرأس حتى مؤخرة الذنب. تتحرك الجلكا بواسطة أربعة زعانف اثنان منها ظهرية (مؤخرة الظهر) والثالثة ذنبية والرابعة إستية.



كبير العباءة المتداولة في مصر المعروفة بالجلابية (بجيم مقعودة) لكنها تختلف عنها في أنها مخيطة من الأمام من العنق إلى الرجلين ولها قب خاص بتغطية الرأس. يتخذ الجللاب من جميع الأثواب والألوان، ويختلف قماشه وحجم نسيجه وحجم قبه وعرض أكمامه واتساع كسده باختلاف المناطق والفئات الاجتماعية وفصول السنة. كان في بداية أمره لباساً خاصاً بالذكر ثم انتقل استعماله إلى عالم النساء، وسرعان ما أصبح الجللاب النسوي متميزاً عن جلاب الذكور بجودة قماشه ورشاقته أشكاله وتعدد أنواع خياطته وتوشيته وتهذيبه، وكان الجنسان معاً ذكوراً وإنثاءً يتخذونه من أقمشة الصوف المتينة الدافئة في الفصول الباردة، ومن ملف خفيف أو قطن أو كتان في الفصول المعتدلة والحارة.



يقتني الشخص، ذكراً أو أنثى، قماشاً يختاره من سوق القيسارية أو يشتريه من عند الدراز "خرقة" واحدة ويأخذ إلى الخياط ليباشر تقطيعه وتفصيله علي مقياس القد والأطراف. وبعد الانتهاء من عملية الخياطة يصبح القماش جلباباً صالحاً للارتداء اشتهر عند الناس بأن له سبع فتحات : فتحة القب والعنق ومدخل اليد اليمنى واليسرى وفتحة في الجانب الأيسر والأيمن وفتحة الأسفل (حاجبتك علي اللي تبدأ بالجيم والجيم صنعوها الفهّام، وداروا لها سبع قَام، بحال جهنّم).

وقد كان الجللاب في بداية أمره واسعاً فضفاضاً ثم أصبح فيما بعد أكثر اقتراباً من الجسم دون أن يحدد ملامح البدن أو يحصرها. وإذا كان "الحسيبون" و "الزمنيون" لمدة طويلة إلى فترة مابعد الخمسينات لا يرتدونه إلا مهوى واسعاً فضفاضاً، فإن شباب الجيل الجديد أصبحوا لا يلبسونه إلا مقدوداً ملامساً للأعضاء (sur mesure).

وتذكر كل المصادر التاريخية دون استثناء أن رداء الجللاب بشكله المعروف اليوم لم يكن متداولاً بين الناس قبل القرن الثالث عشر (19 م) ويؤكد البعض منها بأن انتشاره

تتغذى الجلجا معظم حياتها كالعلقة على دم ضحاياها من الأسماك وتنفس بواسطة سبعة فتحات جانبية. ولا تتوالد الجلجيات بالوسط الخارجي سبعة فتحات جانبية. ولا تتوالد الجلجيات إلا مرة واحدة طوال حياتها حيث أن دُنُو الوقت التي تعطي فيه الحياة يعتبر في نفس الوقت دُنُوًاً لنهاية حياتها. وبالفعل عندما يقترب وقت التجانس يبدأ الذكور بالهجرة نحو المياه القارية (الوديان والأنهار) حيث تتغير ألوانها وسلوكها، فيبدأ كل واحد منها بالبحث عن كثنان رملية يشق فيها خطوطاً يدفن فيها نفسه في انتظار وصول الإناث. بعد حضور هاته الأخيرة مثقلة ببيضها يتم جلها من طرف الذكور إلى تلك الخطوط لتضع فيها بيضها قبل أن تخصب من طرف هؤلاء ليختفي بعد ذلك الكل إناثاً وذكوراً وإلى الأبد.

بعد نَقْف البيض تخرج الصغار في شكل مغاير بالنسبة للكبار، فتطمّر نفسها في الوحل وتتغذى بالحيوانات الدقيقة الحجم، وكذلك بالمواد العضوية الموجودة في الوحل وفي الماء إلى أن تكبر قليلاً فتبدأ بالهجرة إلى البحر عبر مصبات الأنهار، فتبحث لنفسها عن أسماك تلتصق بها بواسطة فمها الدائري الشكل والذي يُوظف كمحجّم يمكنها من امتصاص دم ضحاياها خاصة أن لسانها بخشونة المبرّد يمكنها بحركاته من تمزيق جلد الضحايا وتفطيت لحمها والاستفادة من دمها وفتات لحمها.

يوجد في المغرب نوعان اثنان من الجلجيات، ولا شك أن أشهرها هو *Petromyzon marinus* الذي يبلغ حوالي المتر طولاً والذي ينتشر في المنطقة المتوسطية والأطلسية الشمالية.

قد يستفيد الإنسان من لحم الجلجيات في عاداته الغذائية كما يستفيد من لحوم الأسماك إلا أن تناولها يفرض طبخها لمدة طويلة تسمح بتطهير دمها من السموم التي تؤدي إلى أمراض الجهاز العصبي عند الإنسان.

H.W. Fowler, *The marine fisher of west Africa*. Bull. Am. Mus. Hist. vol. LXX, fasc 1 - 14, 1936, 93 p. : P. Bougis, *Les poissons marins*, Tome 1 / 2, p. 201-234 : A.C. Camprell et Nicholls, *Guide de la faune et de la flore littorales du mers d'Europe*, Genève, 322 p., 1968 : H. Ph. Dollfus, *Première contribution : l'établissement d'un fichier ichtyologique de Maroc atlantique de Tanger à l'embouchure de l'Oued Dra*. Trav. Inst. Sci. chérif., Zoologie, 6 : 226 p., 1955.

محمد منيوي

الجلابية، أو الجللاب أو الجلابية، لباس معروف محرف على ألسن عامة الناس من أهل المغرب هكذا عن لفظة الجلاب العربية الأصل. وهو عباءة واسعة عريضة تتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية يندمج بعضها في بعض بواسطة الخياطة اليدوية. غطاء الرأس ويسمى "القب" وغطاء اليدين يعرف بالأكمام وغطاء البدن ويدعى "الكسدة". وهي لباس خارجي يوضع فوق الملابس الداخلية، يشبه إلى حد

بين عموم السكان لم يبدأ إلا في نهاية القرن المذكور. وقد حل ارتداؤه بالتدريج محل "الكسا"، الذي كان يوضع فوق اللباس الداخلي كرداء خارجي، وبدأ يتراجع وحلّ الجلباب شيئاً فشيئاً محل "الكسا" بعد أن كان أمره لا يتعدى أوساط المخزن والأقلية من ذوي اليسر والثراء. وباستمرار التطور، أُقصي "الكسا" من التداول وعوّضه "الجلاب" الذي أصبح يرتدى فوق الملابس الداخلية إمّا مع السلهام أو بدونه.

وما كاد ينتهي النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م) حتى خرج "الكسا" من التداول، إلا في حالات نادرة ولم يحافظ على استمراره كرداء يلبس تحت السلهام إلا في بعض الحفلات الرسمية خاصة لدى أوساط المخزن. وقد أصبح "الكساء" حالياً مجرد قطعة متحفية وعوضه الجلاب الذي تطورت أشكاله وألوانه وساد استعماله عند جميع طبقات المجتمع.

وفي مغرب عهد الحماية أصبح الجلباب رمزاً أساسياً من رموز الهندام المغربي. لذلك استعملته الحركة الوطنية في معركة معاكسة الاستعمار كوسيلة من وسائل المقاومة وصيانة الهوية الوطنية والدفاع عن الذات بالإضافة إلى رديفه الطربوش.

عبد الله التليدي، *المطرب في مشاهير أولياء المغرب*، طنجة 1987؛ م. المختار السوسي، *المغسل، الجزء الأول، الدار البيضاء* 1960؛ م. شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته، الرباط 1980*؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الجزء الأول، الرباط 1976*؛ *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، عدد 3625 بتاريخ 13 يوليوز 1993.

R. Montagne, *Où en est l'évolution sociale du Maroc. L'Afrique et l'Asie*, n° 9, 1er trim. 1950 ; R. Landau, *The beauty of Morocco*, London 1951 ; L. Brunot, *Au seuil de la vie marocaine*, Casablanca, 1950 ; A. Sefrioui, *Le costume citadin*, in *La Grande Encyclopédie du Maroc*, vol. 2, Rabat 1987 ; *Archives marocaines*, tome 15, année 1909 ; W. Marçais, *Djellab, E.L.*, 1ère éd., tome 1, année 1913.

محمد بوسلام

جلول، محمد مقاوم ولد سنة 1903 بمدينة بركان

تاويرت، وكان من رجال الحركة الوطنية المجاهدين ومن المسؤولين الرئيسيين عن ثورة 17 غشت 1953 التي اندلعت بمدينة بركان ومركز تافوغالت حيث انتفضت قبائل بني ازناسن انتفاضة عارمة ضد الاستعمار، الأمر الذي عرضه للاعتقال والحكم عليه بالسجن لمدة سنتين قضاها بسجن العادر، وكان بيته في بركان منتدى لعقد الاجتماعات وتنظيم اللقاءات السرية للوطنيين.

توفي بمسقط رأسه في 8 شعبان عام 1415 / 10 يناير 1995.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.

ابن **جلون** أو ابن جلول - باللام - أو بنجلون - كلمة واحدة - أسرة كبيرة في المغرب تتألف من عدة فروع، قلما يعرف فرع منها ما يربطه بالفروع الأخرى، ويميز بعضها أحياناً بنعوت خاصة، مثل ابن جلون الأندلسي - التومي - الجبينة - الضخامة، الخ... ويبقى القاسم المشترك بين هؤلاء وأولئك هو اعتبارهم جميعاً من أصل فاسي وإن كان بعضهم يكوّنون أسراً كبرى بأسفي وتطوان والرباط وغيرها.

أورد عبد الكبير الكتاني في زهرة الآس أن أصول هذه الأسرة بربرية، وجعلها تنتمي إلى قبيلة گومية الموجودة بالمغرب الأوسط، وذكر أن عناصر عديدة من هذه الأسرة رحلت إلى الأندلس في عهد عبد المؤمن الموحدّي، وتكاثروا وتفرّعوا ونسوا أصولهم البربرية. ولما كانت النكبة الأندلسية نزحت منهم أفواج هامة إلى المغرب على الخصوص، بينما استوطنت بعض الأسر منهم الجزائر وتونس وبعض أقطار الشرق العربي.

نعلم بناء على الواقع الملحوظ وحسب الأخبار المنقولة أنهم اختاروا الإقامة بفاس، وهي يومئذ قبلة الأندلسيين الأولى، وبعضهم نزل بطنجة وآخرون بتطوان، قبل أن يستوطنوا مدناً أخرى بالمغرب، مثل وجدة وأسفي والجديدة والصويرة، إمّا للتجارة وإمّا استجابة لداعي المخزن الذي عينهم في وظائف هناك، مثل القضاء أو نظافة الأوقاف أو أمانة المرسى، فأسسوا فروعاً للأسرة الكبرى في هذه المدن.

ومن الملاحظ أن بعضهم يضيف نسبة "الگومي" إلى اسمه العائلي، ومنهم من اتخذ لأبنائه أسماء لها رنة بربرية كما فعل والد العالم بعلم الحساب والموسيقى الشيخ حدو بنجلون الذي كان يلقن فنونه بالقرويين في غضون النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، وقد كان يلازمه تلامذة كثيرون نذكر من بينهم الشيخ إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي المتوفى عام 1311 هـ. وعلى غرار والد الشيخ حدو، أذكر أحد أجدادي الذي سمى أحد أبنائه حمّ الذي كان في وقته من أقطاب أسفي.

وفي تطوان، سمى بعض عناصر هذه الأسرة بناتهم بأسماء تارة ذات رنة بربرية مثل "رقوشة" و "فامة" وتارة ذات رنة إسبانية مثل "رانيا" و "رينة" وغيرهما، علماً أن هذا الاسم الأخير يعني ملكة.

وسألني أكثر من واحد هل اسم الأسرة يكتب في الختام باللام أو بالنون وما هو الأصح، وهل اسم الأسرة المسبوق بـ "ابن" و "بن" يكتب في كلمة واحدة أو في شقين؟ إن الموجود في كتب التراجم هو ابن جلون. - وأحياناً باللام في الأخير، لكن ادماج الكلمتين في اسم واحد "بنجلون" إنما حدث مع استحداث الحالة المدنية، وهذا ما وقع فعلاً عام 1952 بفاس والدار البيضاء مع الاتفاق الضمني على أن اسم الأسرة يختم بـ "النون" مع الحفاظ باللام لمن ألح في ذلك ممن يعنيه الأمر. إن اسم هذه الأسرة المختوم باللام

ابن **جلون**، **أحمد بن الطاهر** الرباطي، وصفه صاحب
الاعتباط بالفقيه العلامة النزبه الناسك البركة الأبر، كما
حلاه تلميذه الأديب ابن عمرو في فهرسته بعبارات متقاربة.
أخذ العلم عن شيخه القاضي أبي العباس الحكمي، ومارس
التدريس ونظم الشعر الملحون في الأمداح، حسب ما ورد
في تقييد معاصريه. واشهر قصيدة ملحونة طويلة أنشأها
كانت في مدح مكة المكرمة. وله كذلك شعر موزون في
الغزل، تميز برشيق البراعة وأنيق العبارة، مثل الميمية التي
مطلعها :

خليلي، ما بال الفزاد مكلّمُ وعقلك حيرانٌ وهو متيمٌ
فان كان من فرط الصباة والهوى فان قاتل الحب لاشك يُرحمُ
توفي يوم الأربعاء 25 جمادى الثانية عام 1234 / 21
أبريل 1819.

ابن **جلون**، **أحمد بن محمد بن الهاشمي** التطواني،
حفظ القرآن بمسقط رأسه ثم رحل إلى فاس وتلقى نصيباً
من العلم على شيوخ القرويين، ورجع إلى تطوان عام 1322 /
1904 واشتغل بالتدريس في الزاوية الدرقاوية وكان متأثراً
بالشيخ الصوفي أحمد ابن عجيبة.
توفي بتطوان عام 1344 / 1925.

ابن **جلون**، **إدريس** (الحاج -) ← ابن **جلون** التومي

ابن **جلون**، **إدريس** بن محمد بن بناصر، ولد بأسفي
عام 1287 / 1871، وبعدما تلقى تكوينه الأساسي بكتّاب
مشهور بدرب الصومعة، انخرط في سلك طلبة الشيخ
محمد المطاعي الذي كان يلقي دروسه بالمسجد الأعظم.
وموازة مع ذلك، مال إلى ممارسة التجارة، وتعلّم مبادئ
الموسيقى كان أديباً محبباً للشعر الغنائي الأندلسي يحفظ
كثيراً من موشحاته.

إلى جانب ذلك كان يجالس أهل العلم وخاصة منهم
أصحاب الطريقة الدرقاوية التي كانت زاويتها عامرة
بأسفي، هي زاوية النخبة والأسر المرموقة، وكان مشهوراً
بكرمه ينفق يوماً على عدد من الأسر الفقيرة.
وأفته المنية بالجديدة عام 1353 / 1934.

ابن **جلون**، **بناصر** بن حمّ بن الطيب الأسفي. تلقى
تعليمه القرآني بأسفي، ثم رحل إلى مراکش طلباً للعلم،
ومنها ذهب إلى فاس لنفس الغاية، ولما عاد إلى أسفي
انتصب للعدالة وتلقى الشهادات إلى أن تولى أمانة مرسى
أسفي عام 1281 / 1864، خلفاً لوالده حمّ بن الطيب ابن
جلون.

توفي في شهر شعبان 1286 / نونبر 1869.

أحمد بنجلون

موجود بفاس ووجدة والرباط ومدن أخرى وحتى في
البوادي، ذلك أن لفظ جلول كان يستعمل وما يزال، لتسمية
الجيلالي الذي ينادي جلول كعبد العزيز الذي ينادى عزوز
وعبد القادر قدور وخديجة خدوج وغير ذلك من الأسماء
التي تُحرّف تحريفاً، إما تكريماً لحاملها وإما تحقيراً لهم.

وجاء في زهرة الآس كذلك : "بني جلول بيت قديم
يفاس ينسب إلى الشيخ الشهير والولي الصالح سيدي عبد
الجليل المدعو جلول بن الحاج العيساوي، من أولاد عيسى
القبيلة المعروفة بالغرب والحاج الذي ينسب إليه ليس هو
والده وأبوه حساً، وإنما والده المعنوي وشيخه سيدي الحاج
الرامي التواتي دفين خارج باب عجيسة، وقد عاصر
السلطان السعدي محمد الشيخ الملقّب بالمهدي". ثم
أضاف : "كان صاحب الترجمة مجذوباً هائماً، مولها غائباً
في الله لم يهتم بأي شيء من متاع الدنيا ولم يتزوج (...)
كان يمشي في الأزقة ويقول : "انصروا جلول، الله ينصر
السلطان جلول. ان بن جلول تاكيدة الغرب (يعني عمدته)
وتوفي جلول هذا يوم 17 شوال 1037 هـ / 20 يونيو 1628م
وضريحه معروف بداره الكائنة بأقصى دربه المشهور به،
وقبره مزار متبرك به".

إلى جانب جلول، ذكر مؤلف زهر الآس بعض الأسماء
من أسرة ابن جلون - بالنون - دون أن يتعرّض لأصولهم ولا
إلى إشكالية الخط بخصوص اللام أو النون. ويذهب اليوم
مؤيدو كتابة الاسم بالنون إلى قيناسه على ابن زيدون وابن
خلدون وابن حمدون ... بدعوى أن آل بن جلون نزحوا إلى
المغرب قادمين من الأندلس على إثر النكبة التاريخية
المعروفة. بقي أن أقول كلمة عامة في حق جميع فروع هذه
الأسرة وهي : أن الحياة المغربية تزخر بأسماء لامعة من
جميع عناصر آل ابن جلون وأن التصور العام لدى الناس هو
أن آل بنجلون "أصحاب تجارة أساساً" وهذا غير صحيح
مطلقاً، لأن منهم كذلك رجال علم وفكر، ومنهم قضاة
ورجال قانون، ومنهم أصحاب حرف وصناعات.

عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، مخطوط، خ. ع : أ. بنجلون،
بحث خاص، مخطوط.

ابن **جلون**، **أحمد بن أحمد بن محمد** التطواني ولد
عام 1335 / 1917 وتلقى تعليمه بكتّاب كان يحادي
المسجد الأعظم، ثم تابع تكوينه بمدرسة حرّة وبمعهد إسباني
بتطوان. انخرط في سلك الحركة الوطنية مع أصدقائه الذين
أسسوا حزب الإصلاح الوطني، عام 1355 / 1936، بزعامة
عبد الخالق الطريس. في عام 1383 / 1963، انتخب أحمد
ابن جلون عضواً في أول برلمان بعد الاستقلال، وذلك باسم
حزب الاستقلال وهو الذي أسس مدرسة "الحياة" الحرّة
بتطوان.

توفي في شهر ذي الحجة 1412 / يونيو عام 1992
بمرتيل.

أحدثتها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية خلال الستينات إلى جانب الحاج عبد الكريم الرايس ومحمد العربي التمسسماني والمرحوم مولاي أحمد الوكيل، وتم بالفعل تسجيل ثمان نوبات.

وبالإضافة إلى ما سبق شارك في أشغال المؤتمر الثاني للموسيقى العربية الذي انعقد بفاس عام 1969 الذي كان موضوعه "وصول الفن الموسيقي العربي إلى المغرب". كما حضر المؤتمر الدولي للموسيقى العربية المنعقد ببغداد سنة 1964، وكان من بين الموقعين على المذكرة التي رفعها المؤتمر إلى جامعة الدول العربية لحثها على إنشاء المجمع العربي للموسيقى. وقد حرص على تمثيل المغرب في مؤتمرات المجمع منذ تأسيسه، فشارك في دوراته الخمس الأوائل : يناير 1971 بطرابلس ؛ يبرابر 1972 بالقاهرة ؛ يوليو 1973 بالجزائر ؛ يبرابر 1974 ببغداد ؛ أكتوبر 1977 بالرباط، أغنى هذه المؤتمرات ببحوث ودراسات أنجزها حول الموسيقى الأندلسية خاصة. وقد كرّمه المؤتمر السادس المنعقد بطرابلس في أبريل 1981 عندما قرر قبوله عضواً منتسباً في المجمع، وهي درجة تخول لمن أثبت إسهامه في إثراء المجمع العربي للموسيقى.

وبعد حياة حافلة بالعمل المتواصل أسلم الحاج إدريس ابن جلون روحه إلى بارئته في 29 محرم عام 1403 / 16 نونبر 1982 عن عمر يناهز الخامسة والثمانين.

إ. ابن جلون نفسه، الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية : التراث العربي المغربي في الموسيقى 1981 ؛ معرفة شخصية : روايات شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **جلون التومي، عبد الكريم بن بناصر**. ولد بفاس عام 1329 / 1911، وبها تلقى التعليم الابتدائي، والثانوي في ثانوية مولاي إدريس، ثم انتقل إلى الرباط لتابعة تكوينه في معهد الدراسات العليا المغربية حيث حصل على بروفي الدراسات القضائية والإدارية المغربية، وواصل تكوينه إلى أن حصل على الإجازة في الحقوق والإجازة في الآداب.



ابن **جلون التومي، إدريس (الحاج -)** ولد بفاس عام 1315 / 1897. وبها تلقى تعليمه الأولي. تفتت موهبته الفنية وهو ما يزال يافعا، فأخذ يتعلم على شيوخ المدينة فنون الإنشاد والعزف، وهكذا تتلمذ على محمد بن العربي ابن جلون، ومحمد البرهبي، وعمر الجعيدي، ومحمد المطيري، والمنشد أحمد زويتن. ولما بلغ السابعة عشرة من عمره انتقل إلى مدينة الدار البيضاء حيث تابع تعليمه الثانوي بانتظام، ثم انقطع إلى بعض مشايخ العلم والدين يأخذ عنهم.



وجد الحاج إدريس في مسكنه الجديد ما حفزه على الاهتمام بالموسيقى الأندلسية، فكان من دعاة تأسيس "جمعية هواة الموسيقى الأندلسية" عام 1355 / 1937 وفي عام 1378 / 1958 عمل بتعاون مع ثلة من رجال الفن لعقد مؤتمر وطني للجمعية، حضره ولي عهد المملكة المغربية يومئذ، وشارك فيه هواة من مختلف المدن المغربية. وكان لهذه الجمعية إشعاع فني كبير، تمثل في تأسيس مدرسة لتعلم موسيقى "الآلة"، وإنشاء جوق "أصدقاء زرياب".

أنجز الحاج إدريس ابن جلون أعمالاً جلية في مجال التعريف بمستعمالات الموسيقى الأندلسية وتعليمها، واستكمال ميازينها. وأهم تلك الأعمال : تأليف كتاب الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية في جزئين تضمننا مجموع الصناعات والميازين التي قررت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية تلقينها بالمعاهد الموسيقية ؛ وتحقيق كتاب الحايك وإصداره في كتاب تحت عنوان التراث العربي المغربي في الموسيقى - مستعمالات نوبات الطرب الأندلسي المغربي : شعر - توشيح - أزجال - براول. وكان ذلك عام 1401 / 1981. وقد مهد له بمقدمة استعرض فيها بعض ما أنجزه المؤتمر الثاني للموسيقى العربية بفاس عام 1388 / 1969 بخصوص ضبط طبع الموسيقى الأندلسية ؛ وإعادة تركيب ميزان قائم ونصف الحجاز الشرقي في تسعة وعشرين صنعة مستعينا بما تفرق في الكنائس وصدور الحفاظ ؛ وإعادة تركيب ميزان قائم ونصف الرصد من ستة وعشرين صنعة. وقد عمد الحاج إدريس ابن جلون إلى تلحين أغلب صناعات هذين الميزانين، وذلك وفق الأسلوب المتوارث.

شارك المترجم في لجنة تسجيل النوبات الأندلسية التي

في عام 1934، عيّن قاضياً بالمحكمة العليا الشريفة. وفي 11 يناير 1944، كان من بين الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال، وشارك في مظاهرة أمام القصر الملكي يوم 29 يناير 1944 وعلى إثر ذلك تم فصله عن الوظيفة العمومية ابتداءً من فاتح فبراير 1944.

تم انتخابه عضواً في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، وأخذ يمارس المحاماة بفاس ابتداءً من أبريل 1948 إلى أن أُلقي عليه القبض عام 1950 بسبب نشاطه الوطني فحكّم عليه بثلاثة أشهر حبساً بالرباط. وبعد خروجه من السجن مُنح من ممارسة مهنته بفاس. ثم سمح له بذلك ابتداءً من يونيو 1952، إلى أن القي عليه القبض مرةً أخرى يوم 10 دجنبر 1952 فحكّم عليه بالسجن في أغبالو جنوب المغرب. وأُفرج عنه يوم 5 أكتوبر 1954.

بعد استقلال المغرب، عيّن عبد الكريم ابن جلون وزيراً للعدل في أوائل حكومة مغربية، ثم وزيراً للتربية الوطنية والشبيبة والرياضة من عام 1958 إلى عام 1960. وبعد ذلك رجع إلى ممارسة المحاماة بفاس وعين نقيباً للمحامين ثم انتخب رئيساً لمكتب النقباء بالمغرب. رافع في كثير من القضايا سواءً بمراكش أو بالدار البيضاء أو بفاس في المحاكمات السياسية التي أعقبت بعض الاضطرابات في المغرب. وخلال هذه الفترة، كان يشارك في الندوات القانونية والثقافية، فتترك تدخلاته أثراً حميداً لدى المتتبعين لهذا النوع من الأنشطة.

توفي بفاس يوم 15 محرم 1397 / 26 دجنبر 1977.

أحمد بنجلون

ابن جلون الجبينة، عبد القادر بن محمد. ولد بفاس يوم 6 ربيع الأول عام 1326 / 11 أبريل 1980. تابع تكوينه الأساسي بالكتاب ومدرسة عربية حرة. وبعد نيله شهادة الدروس الابتدائية، درس في ثانوية مولاي إدريس. وعندما حصل على شهادة الدراسات الثانوية الإسلامية وشهادة بروفي دراسات السلك الأول الذي كان خاصاً بالتعليم الفرنسي توجه إلى فرنسا لتمام دراسة فدخل إلى ليسي جانسون دوسايي حيث نجح في البكالوريا بقسميها



الأول والثاني، شعبة الآداب الكلاسيكية، وفي عام 1929، شرع في الدراسات القانونية وسجل في نفس الوقت في المدرسة الحرة للدراسات السياسية، وتخرج منها في شعبة "المالية الخاصة".

تميز عبد القادر ابن جلون بنشاط كبير في جمعية طلبة شمال إفريقيا، إلى جانب عدد من خيرة شباب المغرب والجزائر وتونس، وكان مقر الجمعية المذكورة بباريس. وفي عام 1931، شارك بجمعية محمد حسن الوزاني وأحمد بلافريج ومحمد الفاسي ومحمد الخلطي، في تأليف كتاب بالفرنسية عنوانه: *عاصفة تحتجّاج المغرب تطرق إلى السياسة الحرقاء التي تنهجها فرنسا بالمغرب خصوصاً بعد صدور الظهير البربري*، وتضمن نقداً لاذعاً لهذه السياسة. وفي نفس الوقت كان ينشر مقالات سياسية تحت اسم مستعار وهو "مسلم بربري" وفي عام 1932، شارك مع محمد حسن الوزاني والاشتراكي الفرنسي رويسر جان لونكي R.I. Longuet في انشاء مجلة مغرب وهي دورية فرنسية شهرية، يوقع فيها مقالاته مرةً بالحرفين "ع - ب" ومرةً باسم "قدور" وتارةً أخرى تحت لقب "الزنبور". وبعد أن أوقفت السلطات الفرنسية هذه المجلة أنشأ عبد القادر ابن جلون وأصدقائه المغاربة والفرنسون مجلة *أطلس*.

وفي سنة 1934، حصل على الإجازة في الحقوق من جامعة باريس، فعاد إلى المغرب قصد العمل في المحاماة. وتدرّب على المهنة تحت إشراف محامين فرنسيين مشهورين وبعد ثلاث سنوات (1937) استقل بعمله في الدار البيضاء. إلى جانب المحاماة، كان لعبد القادر ابن جلون أنشطة موازية، منها أنه انتخب رئيساً لفريق الوداد البيضاوي لكرة القدم عام 1948، وقد عاش مع هذا الفريق بعض سنوات مجده، إذ هو الذي قاده إلى الجزائر للمشاركة في دوري الفرق البطلية لشمال إفريقيا وكان اللقاء تاريخياً بفضل الصبغة الوطنية - في مدلولها السياسي - التي كانت لفريق الوداد.

في عام 1946، انتخب نائب الأمين العام لحزب الشورى والاستقلال وهو المنصب الذي سيحتفظ به مدة عشر سنوات وفي عام 1947، ساهم بقسط وافر في إنشاء جريدة *الرأي العام* لسان حزب الشورى والاستقلال، فكان أحياناً يحرر الافتتاحيات وانطلق منذ عام 1951، يحضر بعض أعمال هيئة الأمم المتحدة بباريس (قصر شايبو) ونيويورك، وكان يتناول الكلمة بصفته مقرراً لحزب الشورى والاستقلال، مطالباً بحقوق المغرب في السيادة والاستقلال.

أثناء قيامه بالمحاماة وفي عهد الاستعمار ظل مجتهداً للدفاع عن الوطنيين والمقاومين المغاربة أمام المحكمة العسكرية بالدار البيضاء. وذاع صيته في هذا المجال، وتميز بفصاحة اللسان وسداد الرأي ومهارة المرافعة، فحظي بتقدير المواطنين ويا احترام سلطات الحماية.

لكن بعدما تأزمت العلاقات المغربية الفرنسية على إثر

نفي المغفور له الملك محمد الخامس، لم ينج عبد القادر من شراسة الإرهاب الفرنسي بالمغرب المعروف بـ "الوجود الفرنسي" وهو التنظيم الذي تأسس بالدار البيضاء بعد انفجار قبيلة السوق المركزي. فأخذ يتلقى منه تهديدات بالقتل، ومعاكسات في الطريق واستفزازات من بعض الفرنسيين. وتؤكد له أن التهديدات حقيقية يوم أُلقيت قبلة على منزله، لكنه لم يصب منها إلا بخسارات مادية، ويوم قررت الشرطة الفرنسية مراقبة تحركاته ومكالماته الهاتفية. فهاجر إلى سويسرا واستقر بمدينة لوزان. وفي شهر غشت من عام 1955، انتدبه حزب الشورى والاستقلال لعضوية الوفد المغربي الذي تشكل لإجراء محادثات تمهيدية مع السلطات الفرنسية بمدينة إيكس لي بان قصد إيجاد حل للأزمة المغربية الفرنسية.

ويعد رجوع محمد الخامس من المنفى في منتصف نونبر 1955، شارك عبدالقادر ابن جلون في المفاوضات المغربية الفرنسية بباريس لإنهاء عقد الحماية واسترجاع المغرب لسيادته واستقلاله.

وفي مارس 1956، بعد الإعلان عن الاستقلال عُين عبد القادر وزيراً للمالية في أول حكومة مغربية برئاسة مبارك البكاي. وفي أوائل عام 1957، انتخب بالإجماع أول نقيب مغربي للمحامين بالدار البيضاء.

ومن عام 1961 إلى عام 1967، عُين وزيراً للشغل والشؤون الاجتماعية، ثم وزيراً للعدل. وبعد عام 1967. فضل الابتعاد عن الحقل السياسي ليتفرغ إلى المحاماة، وفتح مكتبه للمتدربين، فاستقبل العديد منهم. وانعكس هذا النشاط في المحاماة على سمعته وخبرته وثقافته. فارتفعت مكانته بين المحامين، في المحافل الوطنية والأجنبية، وصار يمثل المغرب في المناظرات الدولية التي لها علاقة بالمحاماة والحقوق، ثم وقع عليه الاختيار من السلطات المغربية ليكون مستشاراً ومرافعاً عن حقوق المغرب في ملفات المنازعات المغربية الفرنسية.

وقد أنط به الملك الحسن الثاني مهمة تقديم الملف المغربي المتعلق بالقضية الموريتانية في جمعية الأمم المتحدة، كما أوفده فيما بعد إلى باريس في إطار قضية الدليمي.

كان عبد القادر بنجلون موازاة مع انشطته السياسية والمهنية عضواً في "النادي الفرنسي المغربي" لكنه انسحب منه احتجاجاً على السياسة الفرنسية القمعية. وعضواً "بنادي الحلفاء" في باريس، و "نادي الاسد" بالمغرب، وجمعية قداماء طلبة مدرسة العلوم السياسية (فرنسا) و"جمعية المحامين العرب".

توفي بالدار البيضاء يوم الجمعة سادس ذي القعدة عام 1409 / 8 ماي 1992 ووضع جثمانه في كهف أسرته بمقبرة الشهداء بالدار البيضاء .
وثائق عائلية خاصة.

لطفة بنجلون - العروي

تعريب أحمد بنجلون

ابن جلون الجبينة، محمد بن محمد بن المفضل الفاسي، كان تاجراً كبيراً - كأبيه آتي الترجمة - إلا أنه بدد ثروته بالتزلف إلى الحكام حتى اضطر إلى بيع داره وأصبح خليفة لباشا فاس. ثم عين أميناً لمرسى الدار البيضاء، وظل بها إلى مات يوم الأحد خامس جمادى الثانية عام 1374 / 30 يناير 1955.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3298.

ابن جلون الجبينة، محمد بن المفضل الفاسي، لعله أول من لُقّب بالجبينة من أولاد ابن جلون. كان تاجراً كبيراً ومثرياً شهيراً. توفي بفاس يوم الأحد متم قعدة عام 1322 / 5 فبراير 1905.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 8 : 2836.

ابن جلون، الحبيب بن الطالب الفاسي. كان أبوه شيخ ركب الحجاج، واشتغل هو بالتجارة فاستغنى وتأثّل مالا. قُتل بجامع القرويين أثناء خطبة الجمعة ربيع الأول عام 1282، هجم عليه سوسي وطعنه بسكين على حين غرة، فقام أبناء الضحية وقتلوا السوسي في الحين، وقام هرج بالمسجد بحيث لم يسمع الخطبة ذلك اليوم إلا القليل من المصلين. واختلف الناس في سبب الاغتيال، فقيل إن السوسي طلب منه مالا فمعه، وقبل غير ذلك.

توفي منتصف ليلة السبت خامس ربيع الأول عام 1282 / 29 يوليوز 1865.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2628.

ابن جلون، حدو (الحاج -) شيخ جماعة الموسيقين بفاس في القرن الثالث عشر (19 م). تخرج على يده نخبة من مهرة هذا الفن في مجالات العزف والغناء والتلقين. تلقى تعليمه عن الفنان عبد الحق الجابري. وقد أخذ عنه الموسيقى عالم الرباط إبراهيم التادلي ونعته بقوله : "كان أشيب، لا أحد في وقته يعرف ميزان الموسيقى سواه بصوته ويده، ويجلس مع صغار أرباب الموسيقى فيتميز صوته لحسنه. وكان آية في ضرب العود لاغير، وفي ضرب الطر الذي هو لجام الموسيقى وأساسها" وقد نسب إليه أنه أعاد تلحين أشعار ميزان القائم ونصف من نوبة غريبة الحسين الذي كان قد ضاع من قبل.

إ. التادلي، أغاني السقا، آخر الباب السابع.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن جلون، الحسن (الحاج -) وُلد في 20 محرم عام 1319 / 9 ماي 1901 بفاس، وبها نشأ ودرس دراسة مزدوجة : في القرويين وفي المدارس العصرية، وكان من

"بنجلون". أحد التجار البارزين بمدينة فاس خلال عهد السلطانيين المولى سليمان (1207 . 1238 . 1792 . 1822) والمولى عبد الرحمان بن هشام (1238 . 1276 / 1822 . 1859). استطاع هذا التاجر أن يجمع ثروة هائلة من تجارته مع تنبكتو والسودان، كما كانت له علاقات تجارية مع أوروبا وبعض بلدان البحر المتوسط. ويقول عنه صاحب زهر الآس في بيوتات فاس إنه أدرك من الأصول مالا حصر له، سواء بالمدينة أو بأحوازها. وكان السلطان المولى سليمان قد عينه أميناً بفاس وأسند إليه مهمة الإشراف على بيت المال بالمدينة. وعلى الرغم من المكانة الخاصة التي كان هذا التاجر يتمتع بها ضمن خدام الدولة فإن ذلك لم يمنعه من المشاركة في "فتنة فاس" (1820 . 1822) التي كادت أن تعصف بحكم المولى سليمان.

ولما وصل المولى عبد الرحمان إلى الحكم في سنة 1238 / 1822 لم يواخذه على مشاركته في تلك الفتنة ولم يعاقبه كما فعل ببعض أعيان فاس الضالعين في التمرد، بل قربه السلطان إليه وجعله وزيراً له ومنحه امتيازات تجارية هامة سمحت له باحتكار تجارة بعض المواد المصدرة. ويقول عنه عبد الكبير ابن هاشم الكتاني إنه كانت له مع المولى عبد الرحمان "اليد الطولى ... والمكانة العظيمة والكلمة المسموعة النافذة". ومن المهمات التي كلفه بها السلطان كذلك رئاسته لركب الحجاج نظراً لمروءته وتوفره على ما يقوم به الركب ذهاباً وإياباً. ويقال عنه إنه كان آخر شيوخ الركب إذ أدّى احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين إلى تعطيل الطريق البرية التي كان يسلكها الحجاج المغاربة. توفي الطالب ابن جلون في حدود سنة 1260 / 1844 . 1845.

ع. الكتاني، زهر الآس في بيوتات فاس، مخطوط، خ. ع. رقم 1281ك؛ وثائق وزارة الخارجية البريطانية.

محمد المنصور

ابن جلون، الطالب بن إدريس بن محمد الأسفي، ولد عام 1326 / 1908، وكان من الرعييل الأول الذي ولج المدرسة الفرنسية المغربية دون الانفصال عن التكوين العربي



مؤسسي جمعية قداماء ثانوية مولاي إدريس التي تعتبر أول جمعية أسست في عهد الحماية وأسهمت في إذكاء الروح الوطنية. شارك في أول بعثة تعليمية إلى الخارج، كما شارك في تأسيس مدرسة مولاي الحسن الحرة بالدار البيضاء، وأسس عدة شركات تجارية وصناعية. وكان من الموقعين على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال. وبعد نفي محمد الخامس سنة 1953 أبعده المترجم إلى سويسرا هو وعائلته وظل بها إلى أن رجع محمد الخامس إلى عرشه.

توفي بالدار البيضاء ليلة الأحد رابع محرم عام 1418 / 11 ماي 1997 ودفن بها عصر يوم الأحد الموالي، في موكب سار فيه حشد حاشد من الوطنيين والتجار وغيرهم. حزب الاستقلال، قائمة الشرف، الرباط، 1988، ص. 38؛ جريدة العلم، العدد 17180 يوم الاثنين 5 محرم 1418 / 97.5.12.

ابن جلون، الحسن بن عبد المعجيد الفاسي ولد عام 1290 / 1873 وبها درس على أعلام فقهاء عصره، فتخرج مشاركاً في مختلف العلوم اللغوية والشرعية، متخصصاً "في الحساب والفرائض والمحاسبة، تخرج على يده عدة من الطلبة في هذا الفن".

من مؤلفاته شرح على كتاب القلصادي في الحساب والجبر والمقابلة. توفي بفاس صباح يوم عيد الفطر فاتح شوال عام 1370 / 6 يوليوز 1951، ودفن بروضة الشاميين بالقباب.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9: 3262.

محمد حجي

ابن جلون، حمو بن الطيب الأسفي، كان من أعيان مدينة أسفي ومن أهل الفضل. أتى ذكره في الوثائق العدلية بأنه كان من كبار تجار أسفي ملاكاً للعقارات منجياً للفقراء والفقهاء تولى أمانة مينا أسفي في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان من عام 1260 إلى عام 1267 / 1844 . 1850 حيث انقطع عنها بطلب منه. لكنه أعيد إليها مرة أخرى بعد عشر سنوات في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان من عام 1277 هـ إلى عام 1281 (1860 . 1864).

يوجد بمدينة أسفي زقاق يحمل اسم ابن جلون لأن حمو المذكور كان يسكنه، وله به عدة منازل في ملكه، وأبوه الطيب هو الجد المعروف لحد الآن لكل أفراد أسرة ابن جلون بأسفي.

توفي بمسقط رأسه عام 1281 / 1864.

رسوم عدلية خاصة بمدينة أسفي.

أحمد بنجلون

ابن جلون، الطالب الفاسي، اشتهرت كتابته مدمجاً

الأصيل الذي تلقاه على يد الفقيه المشهور في وقته المعطي العبيدي الدكالي. وما كاد يُنهى المرحلة الابتدائية حتى أبدى اهتماماً بأخبار ثورة الريف ومضى يعرب عن سخطه على الاستعمار الفرنسي، ويدعو للتخلص منه، ورفض التوظيف في الإدارة الفرنسية.

لم تكن السلطات الحاكمة تعبأ بما تصفه من تهور في سلوكه، إلا أن الباشا كان يحذر أولياءه من مغيبة هذا السلوك الذي بدا غريباً لدى شاب من أسرة معروفة قدمت خدمات للمخزن.

كان ردُّ الطالب على هذه التحذيرات أن شكل فرقة موسيقية هاوية، اتخذها وسيلة للتضليل، فتركته السلطات يمارس "هوايته" في حين كان هو وجماعته يتناقشون سبل استرجاع السيادة الوطنية، ويتبادلون الرأي حول أخبار الريف ونشاط المقاومة في الجبال والصحراء، والسعي سرياً لإيقاظ الوعي المحلي، لاسيما بعدما أخذت ترد إلى أسفي نشرات سرية عن الحركة الوطنية وهي تحمل كلمات الزعيمين محمد حسن الوزاني وعلال الفاسي وشيوخ القرويين.

إلى جانب الاهتمام بالسياسة، كان الطالب ابن جلون مهتماً باستكمال تكوينه. وعزم على الذهاب إلى مصر، لكن سلطات الحماية لم تسمح له بذلك وتضايقت السلطات المحلية منه، لاسيما بعدما أخذ الناس يلقبونه "بالوطني" وهو الذي ما فتئ يتردد على فاس مروراً بالرباط. ونصحه باشا المدينة بالرحيل إلى مدينة أخرى قبل أن يصاب بأذى، فعظم عليه الأمر وأحزنه فراق رفاقه وهم من خيرة شباب المدينة، فذهب إلى أقرب مدينة من أسفي وهي الجديدة حيث كان له أصدقاء "وطنيون" مثل قاسم العراقي والغالي المسفر وغيرهما، فساعده على الاستقرار وفتحوا له مكتباً لما يسمى "كاتب عمومي" لتحرير بعض الشهادات والعقود باللغة الفرنسية.

كانت عيون الشرطة تحصي أنفاسه، فكفَّ بمضض عن أي نشاط سياسي إلى أن يتعرف على البيئة التي هو فيها. لكن انتفاضة الحركة الوطنية بفاس والرباط وسلا، عام 1937، دفعته إلى التحرك، فقام ببيت الروح الوطنية في زيناته وجيرانه وبين تجار الجديدة، فألقي عليه القبض ورمي به في السجن، بل في خلية تقع تحت الأسوار البرتغالية وتعاني الكثير من الرطوبة والعفن. وبقي بدون محاكمة في هذا الوضع أكثر من شهرين، إلى أن وقعت تدخلات أعيان الجديدة، المسفرين والعراقيين والقادريين وآل الخطيب والدكالي المعروف في وقته، محمد بوملحة، ومحمد بوجبار الذي كان وزيراً للمالية في حكومة محمد بن عبد الكريم الخطابي والذي صار، بعد نفيه إلى الجديدة، من وجهاء هذه المدينة. أسفر تدخل هؤلاء عن الإفراج عن الطيب ابن جلون بقرار من المراقب المدني، ونفيه إلى مدينة الصويرة، وهي يومئذ بمثابة جزيرة قارية بعيدة عن أي حركة وطنية.

ومن حسن حظ الطالب ابن جلون أن كان له بالصويرة صهر - هو عمر البونجيمي - من كبار تجارها وأحد "هيئة الأريين" الذين كانت سلطات الحماية تدعوهم من حين لآخر إلى الاجتماع وتستشيرهم في شؤون المدينة التي كانت كالعلية، جوانبها ليست قابلة للتخطيط، "وفيها ما يمكن أن يكون فيها".

وعن طريق صهره، تعرف الطالب على أعيان آخرين تجار وأغنياء، مثل محمد بوضاض ومحمد بن الحاج بوشعيب الشعيبي والحاج بوهلال ومحمد بوانكال وغيرهم، فمنحوه تقديرهم وعطفهم وأعربوا عن تفهمهم لمقاصده، ولكن بينوا له عدم جدوى أي حركة وطنية بالصويرة لأن موقعها الجغرافي حكم عليها بالانعزال عن باقي مدن المغرب حتى عدت بمثابة سجن لسكانها ومنفى للذين غضب عليهم الاستعمار.

تعرف الطالب ابن جلون هناك أيضاً على القائد حدو من جماعة محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي كان بدوره منفياً بالصويرة. وكانا يلتقيان ويتحدثان في أي موضوع قد يخوض فيه منفيان سياسيان لهما عدو مشترك، هو الاستعمار. ويقدر ما كان الطالب سياسياً في حديثه، بقدر ما كانت "الخبرة" تنقص حدو فيطلق العنان للسان وتصل عباراته إلى آذان السلطات الفرنسية. وتدخل قائد شياظمة الكبير، سعيد خبان، فعرض على الطالب أن يشغله بحظيرة قصره بمسكالة، مع ضمان المأوى وكل الحاجيات، معلماً لأبنائه اللغتين العربية والفرنسية. ولئن كانت عائلة خبان من الذين أطاعوا النظام الجديد، فإنها مع ذلك كانت تكن منذ القرن الماضي حباً وولاء للوطن والعرش.

وفي أوائل عام 1940، أشعر الطالب في منفاه باسترجاع حرية تنقله، فعاد إلى الجديدة رغم إغراءات القائد خبان. واستأنف عمله المهني بالجديدة بعدما التزم شفويةً بالابتعاد عن السياسية. لكن أحداث عام 1944 التي اهتزت لها كبريات المدن، أغرته "بنقض العهد"، ففضى يحرك المشاعر خفية وواصل نشاطه السياسي الخفي إلى عام 1947، وهو العام الذي تقلد فيه الطاغى الجنرال جوان الولاية الاستعمارية على المغرب، خلفاً لإيريك لابون (Erik Laboune) المنفتح شيئاً ما. وأشعره شرطي مغربي من قدماء المحاربين الذين قاتلوا بجانب الجيوش الفرنسية ضد الألمان، أنه مهدد بالاعتقال. فلم يلبث إلا قليلاً حتى انتقل إلى الرباط حيث ساعده الوطنيون على ضمان عيشه، فكانوا يأتونه بأعمال إدارية ينجزها في بيته ويتقاضى عليها أجراً، مثل حسابات الضرائب ومراجعتها، وضبط مدخولات الأملاك المخزنية. وقد أوصى له بهذه الأعمال، كل من أحمد بللمليح، ومحمد التازي وهما يومئذ بالجديدة، من موظفي المخزن في المالية والأملاك المخزنية.

وفي عام 1949، لبى الطالب ابن جلون داعي الواجب الوطني فانتقل إلى سطات، عاصمة معمري الشاوية فراح

يعمل على توعية القوم مع فئة قليلة لا تتجاوز عدد أصابع اليد.

المناسبة الوطنية الوحيدة التي كان الشعب المغربي يحتفل بها وهو يتطلع إلى الحرية والانعقاد، هي عيد العرش. وعشية كل يوم 18 نونبر، كان الطالب يعتقل ويتعرض للضرب والإهانة في مخفر شرطة سطات قبل أن يقدم إلى الباشا الذي يواخذه بالقذف في فرنسا ومحاولة إثارة الفوضى والشغب، ثم يخلي سبيله. وكم من مرة كان الباشا يستدعيه وينهاه بأمره بالكف عن "السياسة"، إلى أن ألقى عليه القبض في أوائل نونبر 1952 بسبب مهرجان خطابي وطني نظمه بسطات على إثر حوادث الدار البيضاء الدامية. فحكم عليه بعام سجننا وبالأشغال الشاقة بسجن "علي مؤمن" في ناحية سطات.

وفي دجنبر 1953، بعدما أنهى مدة الاعتقال، منعه الباشا من الإقامة بسطات، فاستقر بالدار البيضاء، وهناك، نشط مع المقاومة. وكان يقدم إلى سطات مستتراً في زي النساء، بتواطئ مع سائق لحافلة نقل، معروف باسم حميدو، وكانت الحافلة في ملك أحد السطاطيين. وكان يتردد على سطات في مهام لها صلة بالمقاومة.

ومع استرجاع المغرب استقلاله، عاد الطالب ابن جلون إلى سطات وساهم في تنظيم الشبيبة الاستقلالية محلياً، رافضاً كل منصب إداري وكل راتب، قائلاً بأنه خلق للعمل الحر، وجهاده كان في سبيل الله والوطن. وبقي يعيش كريماً معزراً لم يطالب بمقابل لما قدمه من خدمات للوطن. وليس له أي ملف لدي "الندوية السامية لشؤون المقاومين وقدماء جيش التحرير". كان فاضلاً، ذكياً، كريم الأخلاق جميل السيرة، كريم المائدة جواداً مع أهله والغير. وإذا ما نصحه أحد أقرابه بالتوفير، أجابه: "لك الساعة التي أنت فيها". وعندما وافاه الأجل المحتوم يوم الجمعة 24 رجب عام 1398 / متم يونيه 1978 لم يترك لأهله مالاً ولا عقاراً.

أحمد بنجلون

ابن جلون، الطيب بن بوجيدة الرباطي، أصله من فاس. "الفقيه العلامة العاكف على عبادة الله البركة المسنّ المحدث المفضال" (الاغتباط). كان معاصراً للعالمين الرباطيين الأديب محمد ابن عمرو الذي ذكره في فهرسه وأثنى عليه، والقاضي أحمد الحكمي الذي صحبه إلى آخر حياته وأوصى أن يكون المصلي عليه.

توفي بالرباط عام 1226 / 1811.

م. بوجندار، الاغتباط، 317 : م. ابن عمرو، فهرس، مخطوط : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2485.

ابن جلون، عبد القادر ← ابن جلون الجبينة...

ابن جلون، عبد الكريم بن بناصر ← ابن جلون، التومي...

ابن جلون، عبد الكريم بن محمد بن الهاشمي التطواني، انتقل إلى فاس بعدما تلقى تكوينه الأساسي بمسقط رأسه تطوان لتلقي العلم بالقرويين. ولما رجع إلى تطوان عام 1295 / 1878 اشتغل بالتجارة حتى صار له فيها باع طويل، وقد اشتهر بمهارته وذكائه، الأمر الذي جعل المخزن يكلفه بمهام لدى ممثلي الدول الأجنبية بطنجة بواسطة مندوب السلطان، ومارس مهمة العدالة بميناء طنجة، ثم ميناء الصويرة وغيرها، كما أنه كان يتردد على أسفي في مهمات إدارية أو لزيارة صهره محمد بريشة (التطواني) ناظر الأوقاف.

توفي بتطوان عام 1339 / 1920.

ابن جلون، عبد المجيد الفاسي أصلاً. ولد بالدار البيضاء عام 1337 / 1919، ورحل مع أسرته إلى انجلترا وعمره خمسة أشهر، وهناك تلقى جزءاً من دراسته الابتدائية وأتمها بفاس بعد رجوع أسرته، وعمره يومئذ تسعة أعوام. ثم التحق بالقرويين. وفي عام 1355 / 1936 سافر إلى القاهرة للدراسة فالتحق بالجامعة المصرية وحصل على الإجازة في الآداب ثم حصل على الدبلوم العالي من معهد التحرير والترجمة والصحافة.



شارك عبد المجيد ابن جلون في تأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة، وظل يشغل منصب مدير المكتب من عام 1949 إلى عام 1956. وفي هذا المكتب، قام بنشاط مكثف من أجل التعريف بقضية الشمال الأفريقي عامة والقضية المغربية خاصة، وذلك إلى جانب عدد من أقطاب الحركة الوطنية المغربية.

وشارك في تدبير استقبال البطل الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة عندما مرت بقتال السويس الباخرة التي كانت تقله من منفاه بجزيرة لارينيون إلى فرنسا.

عاد عبد المجيد ابن جلون إلى المغرب في سنة 1956 حيث تولى رئاسة تحرير جريدة "العلم" لسان حزب الاستقلال. والتحق سنة 1958 بوزارة الخارجية، ليعين أول قائم مقام ثم أول سفير للمغرب في باكستان، وبعد ذلك

رجع إلى المغرب حيث سُمى سفيراً بالإدارة المذكورة بوزارة الخارجية، وبقي في هذا المنصب إلى أن أدركنه الوفاة. من مؤلفاته : مارس استقلالك ؛ في الطفولة ؛ وادي الدماء ؛ معركة الوادي ؛ المغرب في الأدب الانجليزي ؛ جولات في مغرب أمس ؛ براعم ؛ لولا الإنسان.

يتجلى من كتاباته، أنه وطني ملتزم، يدعو على طريقته إلى التحرر من الاستعمار. وقد شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات الدولية، مثل مؤتمر باندونك باندونيسيا الذي تمخضت عنه وحدة الشعوب الإفريقية والآسيوية.

توفي بالرباط في شهر شوال عام 1401 / غشت 1981. ع. ابن جلون نفسه، مؤلفاته المذكورة أعلاه ؛ جريدة العلم، وصحف وطنية أخرى.

محمد حجي

ابن جلون، عبد الوهاب بن محمد المراكشي وُلد بمراكش عام 1323 / 1905 وبها حفظ القرآن ودرس العلوم اللغوية والشريعة بجامعة ابن يوسف على الشيوخ أحمد بن الحاج المحجوب المراكشي والحسن بن الحفيان السعيد الشاوي ومحمد بن إسماعيل الدكالي، ثم رحل إلى فاس لإكمال دراسته، عام 1348 / 1929 وقطن بمدرسة الصغارين ودرس بمعهد القرويين دراسة حرة قبل التنظيم ودرس بعده أيضاً على مولاي عبد الله الفضيلي والحسين العراقي والطانع ابن الحاج السلمي محمد بن الحاج السلمي وغيرهم.



وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه صار يتطوع بإلقاء دروس فقهية بجامعة ابن يوسف والزواوية الناصرية وعين ضمن لائحة العدول ثم ساهم في ميازة التدريس النظامي بكلية ابن يوسف فنجح وسمي أستاذاً بها عام 1365 / 1945 وبقي قائماً بمهامه بها إلى أن أُحيل على التقاعد سنة 1370 / 1950 فاستأنف انتحال خطة العدالة بمراكش إلى أن أدركنه الوفاة مساء يوم الاثنين 23 شوال عام 1412 / 20 أبريل 1992 عن سن يناهز التسعين ودفن بمقبرة باب دكالة بمراكش.

عبد العزيز بن عبد الوهاب ابن جلون

ابن جلون، العربي بن عبد الكريم التطواني، ولد عام 1326 / 1908، وتلقى تعليمه الأولي بتطوان في نفس الكتاب القرآني الذي تعلم فيه الأمير مولاي الحسن بن المهدي وعبد الخالق الطريس فنشأت صداقة متينة بين الثلاثة، لاسيما وأنهم متقاربو السن ومن حي واحد. وعندما أتم الأمير تعليمه القرآني استكمل تكوينه داخل القصر وكان العربي ابن جلون من بين الجماعة القليلة الذين وقع عليهم الاختيار لمرافقة الأمير الفتى. أما الطريس وآخرون فإنهم آثروا متابعة دراساتهم باسبانيا أو مصر أو غيرها.

عندما آلت الخلافة السلطانية بتطوان إلى الأمير مولاي الحسن عام 1344 / 1925، خلفا لوالده المهدي المتوفى، قرّب الخليفة الجديد الفتى زملاءه في الدراسة، وهكذا ظل العربي ابن جلون يتلقى تربية مخزنية ولا يفارق القصر، إذ عينه الخليفة الشاب عضواً في ديوانه مما جعله يحتك برجال السلطة الإسبانية وبعلماء تطوان من بينهم عبد السلام بنونة ومحمد داود. كما كان يلتقي بشخصيات من أقرباء الخليفة.

بعد الأحداث الدامية التي شهدتها تطوان عام 1368 / 1948 على أيدي القوات الإسبانية، عينه مولاي الحسن بن المهدي خليفة للباشا وهو المنصب الذي بقي فيه إلى أن نال المغرب استقلاله وتوحدت المنطقتان الشمالية والجنوبية.

كان العربي ابن جلون ذكياً ذا بصيرة كبرى مستقيماً نزيهاً كريماً فاضلاً، متأثراً بالتربية المخزنية والقومية التي تلقاها إلى جانب الأمير. وعندما غادر المنصب الإداري، بقي منزله قبلة للزوار من عليّة أهل تطوان ومن طرف كل الذين كانوا يلجؤون إليه لمساعدتهم على قضاء حاجاتهم.

توفي في غصون محرم عام 1412 / يوليو 1992. وثائق عائلية وروايات شفهية.

ابن جلون، عزوز بن الطيب. ولد بأسفي وبه نشأ وحفظ القرآن، ثم تعاطى التجارة في المنتجات المستوردة من أوروبا إلى أسفي، وكان له وكلاء بمراكش والصويرة، ممّا جعله يرقى إلى رتبة كبار التجار في النسيج المعروف "المُلف" و "ساركة" التي تنسب إليه (ساركة ابن جلون) استغنى وامتلك عقارات عديدة. كان سخياً معطاءً بغير حساب للفقراء ويلقى ضيوفه بالجود والكرم.

توفي عام 1289 / 1872 حسب ما ورد في عدة الإراثة المتعلقة به.

رسم تركته العدلي ؛ روايات شفهية.

أحمد بنجلون

ابن جلون، علال بن محمد الفاسي، عالم مشارك، أُلّف في التفسير والحديث. له تعاليف على تفسير الكشاف

للزمخشري، وتعاليق على إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم للأبني، وتقاييد على مصابيح السنة للبغوي، إلى غير ذلك.

توفي بفاس صبيحة يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى عام 1292 / 20 يونيو 1875. ودفن بالروضة المجاورة لزاوية سيدي الخياط بدارب الحرة من حي الطالعة.

ابن جلون، علي الفاسي. أديب كاتب اشتغل بالسياسة وألف كتاباً في ترجمة الأمير اليزيد ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله سماه طلوع البدر السعيد بوزارة مولانا اليزيد، مخطوط بالخزانة العامة.

توفي حوالي عام 1230 / 1814.

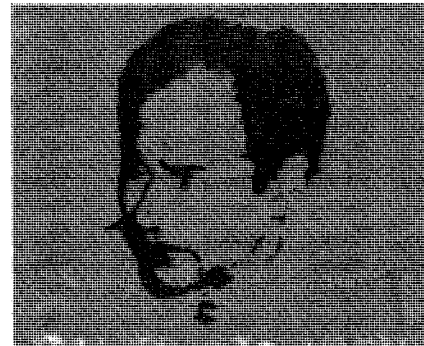
ع. ابن سوادة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2496 ؛ دليل، 1 : 155. 156.

أحمد بنجلون

ابن جلون، عمر، وجه بارز من وجوه المعارضة السياسية الوطنية، وقائد فذ من قادة حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ازداد صيته السياسي وشهرته الوطنية ذيوفا وانتشارا بعد حادث اغتياله الشنيع قرب منزله بمدينة الدار البيضاء.

ولد الفقيه بركنت، ناحية وجدة، عام 1934، من أب عامل بالمكتب الوطني للكهرباء، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية في مسقط رأسه ثم في وجدة، حيث حصل على البكالوريا. التحق بعد ذلك بباريس حيث تابع دراسته العليا، فحصل على الليسانس في الحقوق ثم دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، وبعدهما دبلوم المدرسة العليا للبريد، حيث نال الدرجة الأولى في فوج المتخرجين سنة 1959. 1960.

ولقد عرفه المغاربة بفرنسا خلال إقامته الدراسية بباريس، شابا مناضلا لا يفتر عن العمل من أجل التبشير بمبادئ التقدم والعدالة ؛ كافع في أوساط الطلاب والعمال بفرنسا، وتحمل مسؤولية الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، كما انتخب رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي ظل رئيسا شرفيا لها. ويصفته رئيسا لهذه الجمعية كرس جهدا كبيرا لإسناد ومناصرة الثورة الجزائرية.



ويعد التحاقه بالمغرب، عين مديرا إقليميا للبريد بالنيابة في الدار البيضاء، ثم مديرا إقليميا في الرباط، حيث عرفه عمال وموظفو البريد مناضلا نقابيا بينهم، اضطلع بالنصيب الأكبر في تنظيم وفي قيادة كفاحهم من أجل تحقيق مطالبهم.

- يمثل عمر بن جلون، بانخراطه الكامل في الحقل السياسي، وبحيويته الطافحة في ممارسة الكفاح وبالترامه الدائم بقضايا الفئات الاجتماعية الواسعة المهضومة الحقوق، وبإشعاعه الفكري، تحليلا للإشكالية السياسية - الاقتصادية الوطنية، وتأملا في العضلات النظرية والفكرية واستيعابا ذكيا لانعكاسات وتفاعلات المحيط الجهوي والدولي مع القضايا الوطنية الخاصة - يمثل بحكم كل هذه الأبعاد لنشاطه، نموذجا حيا لجيل جديد تواصل به مسيرة الحركة الوطنية في ظل الاستقلال.

بيد أن الظرف السياسي الدقيق الذي اكتنف عقدي الستينات والسبعينات، والذي أطر نشاط وكفاح هذا الجيل الوطني المتحفز على شاكلة عمر بن جلون، قد أحاط هذا الكفاح الوطني المشروع بشروط صعبة مشحونة بشتى المخاطر والملمات. وقد نال عمر ابن جلون حظه من هذه المخاطر وتحمل فعلا في سبيل مبادئ وأفكاره تضحيات جمة، فقد تعرض عام 1961 لعدد من المضايقات والإيذات المختلفة، بسبب نشاطه في صفوف الطبقة العاملة، حيث لعب دورا رئيسيا في التحضير لإضراب الموظفين في يوليو 1961، ثم في إضراب قطاع البريد في دجنبر من نفس السنة. ثم اعتقل يوم 16 يوليو 1963، ضمن حملة الاعتقالات الواسعة النطاق التي تعرض لها قادة ومسؤولو ومناضلو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وحكم عليه بالإعدام يوم 14 مارس 1964 ثم ما لبث أن أطلق سراحه يوم 14 أبريل 1965. وبمجرد استئناف نشاطه السياسي تم إيقافه من جديد يوم 16 مارس 1966، وبقي في السجن مدة عام ونصف حيث أفرج عنه يوم 21 شتنبر 1967.

- ولقد عرف نشاطه النقابي وكفاحه السياسي وإشعاعه الفكري وصيته الوطني خطا تصاعديا متواصلا خلال الفترة الممتدة من شتنبر 1967 - دجنبر 1975. فقد انخرط بقوة وحماس في إعادة تنظيم صفوف الطبقة العاملة، فأشرف على إعادة هيكلة قطاعي البريد والتعليم وذلك في اتجاه إعادة هيكلة كافة القطاعات النقابية الأخرى.

كما احتضن بقوة وحماس قضية الشعب الفلسطيني التي هزت ضمير العرب والعالم كله، على إثر المواجهة العسكرية المباشرة ما بين مقاتلي فتح وجيش الاحتلال الاسرائيلي في بلدة الكرامة بالأردن، في ربيع 1966. فوظف عمر الشهيد كل طاقاته الفكرية والسياسية والنضالية لدعم شعب فلسطين والتعريف بقضيته وكفاحه وبطلواته، عبر جريدة "فلسطين" التي أصدرها حزبه وتولى هو توجيهها وتغذية صفحاتها.

على ضمير المواطنين ولما كان يمكن أن يكون لها من تأثير على إيقاع التحول والتبدل بالبلاد.

محمد الاخصاصي

ابن جلون، أبو عياد الفاسي ولادةً ونشأةً وقراراً وتربيةً، قال في النشر: "وهو ورياغلي الأصل، وربّي عند ابن جلون الفاسي فدعي به. وليس هو في الأصل ابن جلون. كان في أول أمره مولعاً بالذنن، وله صوت حسن، ويضرب على العود. لقي الشيخ الصوفي الحاج الخياط وصحبه، فكان يطلب منه أن يعطيه مما أعطاه الله، والحاج الخياط يقول له: إنك لاتطبق!"

ولما توفي الحاج الخياط تغير حال أبي عياد. وبقي ملازماً لزاوية شيخه بالشرشور، وأكثر الزيارة والانحياش إلى أهل وزان ومن ينتسب إليهم حتى عظم أمره. وغلبت عليه أوصاف الجذب والملازمة وأصبح بهلولاً ساقط التكليف. يفعل أفعالاً ينكرها الشرع. وعامة أهل فاس مطبقون على ولايته، وكثيراً ما يقصدونه في مهماتهم.

كانت لصاحب الترجمة كرامات كثيرة. ذكر بعضها معاصره محمد الزيادي في كتابه سلوك الطريق الوارية... لزم أبو عياد - في آخر عمره - داراً بحومة الصاغة من عدوة فاس القرويين، يفد الناس عليه بها لزيارته ويأتونه بالصدقات.

وتوفي في أول رجب في ويا عام 1163 / 6 يونيو - 1750 ودفن بدار القباج من حومة الصاغة بعدوة فاس القرويين، وقبره بها مشهور مزخرف بنقوش.

م. القادري، الإكليل، تع مارية دادي؛ الالتقاط، ص 410، ع

535، ص 280، ع 726؛ نشر الثاني، 4: 67، 68؛ م. الزيادي،

سلوك الطريق الوارية، 276، 281؛ م. الكتاني، سلوة، 1: 150.

دادي مارية

ابن جلون، محمد بن إدريس بن محمد الأسفي، ولد عام 1328 / 1910 وكان من الأفواج الأولى التي ولجت المدرسة الفرنسية المغربية. وبعدما حصل على شهادة الدروس الابتدائية، اختارته السلطات المحلية ضمن عدد من



وفي نفس الوقت انقطع عمر إلى جانب ثلة من صحبه، إلى إعادة تنظيم وهيكلته حزبه - الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، بما يضمن له مزيداً من التماسك التنظيمي والممارسة الديمقراطية والتطور الفكري والفعالية السياسية، وهو المجهود الذي توج بانعقاد المؤتمر الاستثنائي، في يناير 1975، هذا المؤتمر الذي شكل تحولاً سياسياً وفكرياً هاماً في مسيرة هذه المؤسسة السياسية الوطنية.

وعلى امتداد هذه الحقبة الزاخرة بنشاط وعطاء عمر بن جلون، تحمل الفقيه مخاطر ومعاناة في ذاته، وذات رفاقه وذات حزبه. فقد توصل الفقيه بطرد ملغوم لم ينفجر لحسن الحظ، يوم 13 يناير 1973، ثم اعتقل يوم الجمعة 9 مارس 1973، ضمن العديد من رفاقه الاتحاديين المعتقلين، وأطلق سراحه في 16 غشت 1974.

لكن هذه الاضطهادات والمعاناة لم تفت في عضده، فقد واصل نضاله السياسي بحزم وقوة، وعلى كافة المستويات. فقد استأنف إصدار جريدة المحرر التي تولى إدارتها منذ 1972، يوم 23 نونبر 1974، وانخرط بإيمان وتفان في معركة الصحراء المغربية التي رفع لواءها جلاله الملك الحسن الثاني، وقاد معركة سياسية وفكرية، دفاعاً عن الأفكار والمبادئ التي يحملها. فقد كان إيمانه راسخاً بحتمية التطور والتغيير بالبلاد، كما كان الفكر الاشتراكي والنهج الديمقراطي والمجال المغربي والتضامن الأممي، تشكل بالنسبة إليه المرتكز الرصين والإطار الضروري لسياسة بديلة، جديرة بإحداث التطور والتحول اللذين تنشدهما البلاد. ولئن كان الإسهام الفكري والاجتهاد النظري لعمر ابن جلون كبيراً ومؤثراً في حظيرة جيل كامل من الشباب والأطر والمناضلين في صفوف حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، فإن حرص الرجل أن يظل ملتصقاً بالشعب، ومتقمصاً روحه، مستوعباً مشاكله ومشاغله وأحاسيسه لا يعدوه شيء آخر.

عرفت الفقيه مؤمناً أعمق الإيمان بربه وبمقدسات شعبه، كريم الأخلاق، خالص الطوية، طافحاً بالحماس والتفاؤل والمحبة، لا تعرف الضغينة ولا التعصب إلى فؤاده سبيلاً، ولا ينال من تسامحه ودمث أخلاقه أي اعتبار، سواء كان سياسياً أو سلوكياً أو فكرياً. فقد كان يمارس النضال كنوع من الصوفية السياسية. فلطالما ردد على مسامع القوم: "إن النضال هو مسألة أخلاق. وكل من انحطت أخلاقه واستسلم لملاذاته فلا يحق له أن يكون مناضلاً. إن من انحرف أخلاقياً وسياسياً لا يمكنه أن يعيش وراء قضبان السجون...."

ولا مراء فإن يد الإجرام التي أقدمت على اغتياله في الساعة الثالثة والنصف بعد زوال يوم الخميس 14 حجة عام 1395 / 18 دجنبر 1975، إنما رامت بالأساس اغتيال هذه التأليفة العجيبة في كيان مناضل سياسي.. تأليفة الإيمان بالله والشعب وبالتقدم وذلك اعتباراً لما كان لها من وقع

أبناء الأعيان ليلتحقوا بالمدرسة العسكرية بمكناس التي أسست سنة 1916 لاستقطاب نخبة من الشباب المغربية، يتلقون فيها تربية حسب التقاليد الفرنسية. ولكنه لم يقض فيها إلا بضعة أشهر حتى اتفق مع فريق من زملائه على مقاطعة المدرسة العسكرية ورجع إلى أسفي وجعل يتردد على الحلقات الدراسية التي كان ينظمها الشيخ عبد الله بن محمد بنهيمة وغيره. ولم يطل به هذا الوضع حتى دفعته الضرورة إلى العمل. فالتحق بمكتب التسجيل والتبصر بأسفي.

سرعان ما تألق في عمله واكتسب من الخبرة والحكمة ما جعل القاضي والعدول وغيرهم يسمونه "الترجمان" ولا يشيرون إليه إلا بهذا الاسم. وعدته الإدارة الفرنسية من جملة الأوفياء لها. لكن الشاب محمداً لم يكن يكشف في البداية عن مكنونات نفسه ولا عن آرائه وهو يتأجج حماساً لما يرد من أخبار عن المقاومة المغربية في الريف والأطلس والصحراء. كانت جماعته تتألف من شبان واعين، مثل عبد الرحمان بن عبد الله الشقوري والمهدي الكراوي ومحمد بلكاهية والتهامي الوزاني محتسب أسفي، كانوا في أواخر العشرينات يتجاوبون مع الاتجاه السلفي الإصلاحية المغربي، كما راحوا يتعاطفون مع الحركة الوطنية الناشئة. ولما شعرت السلطات الاستعمارية بعواطفهم الوطنية فرقتهم عام 1933 وذلك بنقل محمد بن إدريس ابن جلون إلى الجديدة، والمهدي الكراوي إلى مراكش ومحمد بلكاهية إلى أكادير. غير أن الجماعة بقيت ملتحمة الأوصال رغم تباعد المسافات، فبقي أفرادها يلتقون في كل مناسبة موأثية بدعوى إحياء صلة الرحم بينهم. وكم من تدخل عائلي يربطهم ! وإذا ما اجتمعوا في الجديدة كان العلامة السلفي محمد الراقعي يزيد في تنوير عقولهم الفتية ويذكي حماسهم الوطني.

ساند محمد بن إدريس ابن جلون وأصحابه كتلة العمل الوطني عندما تأسست، وكانوا يواظبون على مطالعة جرائدها ويبدون إعجاباً كبيراً بمحمد حسن الوزاني. وعندما انشقت الكتلة، أعلنوا انضمامهم إلى "الحركة القومية" فصاروا يُعرفون "بالقوميين". واستمرّوا طيلة حياتهم أوفياء لمبادئ الشورى. وكان محمد بن إدريس ابن جلون من مؤسسي خلية قومية بالجديدة بعضوية محمد الهلالي وأحمد التباري والفقير المختار خليل وغيرهم.

في يناير 1944، نقل محمد بن إدريس ابن جلون إلى الصويرة في نفس مهمته الإدارية وبترقية هامة في اختصاصه، وأدرج في رتبة أعيان المدينة. وفي عام 1949، نقل إلى سطات ونشط مع الخلية القومية هناك قبل غشت 1953 وقد كان يشرف عليها العالم المجاهد أحمد أيت البهلولي وظل في نشاطه إلى أن توفي بنفس المدينة يوم 22 رجب عام 1373 / 28 مارس 1954.

ابن جلون، محمد بن بناصر بن حَمْرُ أحد أعيان مدينة أسفي في عصره، كان يجمع بين ماكسبه من معرفة في الدين والشريعة والعقود والالتزامات، وممارسة تجارة رابحة في الحبوب وتصدير المنتجات المحلية إلى أوروبا. كان مثالا في النزاهة والاستقامة والفضل، أسندت إليه مهمة أمانة المرسى، فلم يلبث فيها إلا زهاء سنتين حتى التمس إعفاء منها، وواصل ممارسة التجارة الحرة إلى أن توفي بعد إصابته بظاعون ضرب أسفي عام 1289 / 1872.

أ. بنجلون، عائلات أسفي، مخطوط : تاريخ أسفي، مخطوط : م. الصديقي، إيقاظ السيرة لتاريخ الصويرة.

أحمد بنجلون

ابن جلون، محمد بن الطيب بن بوجيدة الرباطي، الفاسي أصلاً. حلاه الأديب محمد ابن عمرو في فهرسه بقوله : "الفيقه العلامة الأديب الزكي الدراكة الأوحده ذو الشمانل الباهرة الالباب، والنسبة النافعة إذا ما انقطعت الأسباب". تولى الخطابة على التوالي في جامع القصبه وجامع مولاي سليمان بالسوقة والجامع الأعظم، ثم صرف عنها واشتغل عدلاً في مرسى الرباط وامتحن بالسجن في جملة من امتحن من أمنائها وعدولها إلى أن سُرحوا بعد حين.

توفي يوم الأربعاء سابع قعدة عام 1230 / 11 أكتوبر 1815 وراثه الأديب ابن عمرو برائية طويلة أثبت نصّها كاملاً في الاغتباط.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح. م. البيوزيدي، 2 : 617. 619 : م. بوجندار، الاغتباط، 141-143 : م. ابن عمرو، فهرس، مخطوط : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2493.

محمد حجي

ابن جلون، مَحْمَد بن محمد الرباطي نشأ وتعلم في مسقط رأسه وأخذ على مشايخ هذه المدينة قبل أن يسافر في طلب العلم إلى فاس ومراكش ووزان، وكان من خواص الأديب ابن عمرو الرباطي الذي ذكره في فهرسته وقال إنه من جملة من أخذوا نصيباً من العلم عن القاضي أبي العباس الحكمي ووصفه "بالمحدث الأديب، الفقيه العلامة السري الأسمي النزبه الأوحده". كان من المستخدمين بمرسى الرباط إلى أن أقاله من هذه المهمة الوزير محمد السلاوي في عهد السلطان مولاي سليمان. وكان خطيباً بالجامع السليمانتي في عهد الناظر العربي ملين، ومن جملة الذين امتحنوا بسبب تهمة ألصقت بهم في عهد السلطان المذكور، وهم الناظر، وعدول وأمناء المرسى. وغضب السلطان عليهم وعلى أهل الرباط الذين ناهضوا القائد عشعاش، فوثقهم جميعاً بما فيهم قاضيه عبد القادر مورينو.

ثم إن السلطان تراجع وأمر باحضار الفقيه محمد بن محمد بنجلون وأجلسه عن اليمين وأخذ يلاطفه ويكلمه بلين. وغداة هذا الحادث، ولأه السلطان خطة القضاء بالرباط. وكان كثيراً ما ينوب عنه في هذه المهمة الأديب ابن عمرو المتقدم الذكر. إلى جانب ذلك كان محمد ابن جلون يلقى دروساً في الجامع الأعظم بالرباط يحضرها عدد كبير من الناس من بينهم الأمير إبراهيم ابن السلطان. كما كان يجالس الأديباء. وله مساجلة شهيرة مع أديباء العدوتين. قاموا بها في ضريح عبد الله ابن ياسين، وكان ممن حضرها أوب محمد صالح بن الشيخ أحمد الحكمي، والفقيه أحمد ابن خضراء، محمد بن التهامي وغيرهم.

توفي المترجم له يوم الأربعاء 12 شوال 1234 / 4 غشت 1819.

م. بوجندار، الاغتباط : م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة.

أحمد بنجلون

ابن **جلون، محمد العدني** بن علال الفاسي. ولد عام أربعة وستين ومائتين وألف / 1848 ودرّس في مسقط رأسه على والده وغيره من علماء القرويين، فتخرج "علامة" مشاركاً مطلعاً مدرساً محصلاً "اشتغل بالتدريس وبرز فيه على صغر سنه، وأخذ عنه جم غفير من العلماء، منهم محمد بن جعفر الكتاني مؤلف سلوة الأنفاس الذي قال عنه : "ما رأيت قراءة أعجب من قراءته ولا أشد تحقيقاً ولا أعظم تلخيصاً وجمعاً". له مؤلفات كثيرة، منها جزء في الأحاديث المتواترة ؛ وآخر فيمن غير المصطفى اسمه ؛ وانتشاق الفرج بعد الأزمة من حضرة المسمى عين الرحمة ؛ والطفرة العتيقة المهداة لخير الخليقة ؛ ونزهة ذوى العقل السليم في بعض علوم باسم الله الرحمان الرحيم ؛ وحديقة الأزهار المهداة لسيد الأبرار في التحذير من تعاطي علم الكيمياء والكنوز والنار ؛ والآلئى اليتيمة فيما يتعلق بالفاحشة العظيمة ؛ وسفر الإجازات فصل القول فيه صاحب فهرس الفهارس، إلى غير ذلك.

توفي بمسقط رأسه في منتصف ليلة الرابع عشر من ربيع الثاني عام 1298 / 16 مارس 1881، ودفن بروضة أولاد ابن جلون بالقباة خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، سلوة، 363 2 : ع. الكتاني، فهرس الفهارس، 2 : 1053-1054 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 7 : 36-37 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2669 : دليل، 325 و331.

محمد حجي

ابن **جلون، الهاشمي** (الحاج -) تشيير الوثائق العدلية التي بين أيدينا إلى أنه كان على قيد الحياة عام 1265 / 1848 يمارس التجارة بأسفي وتطوان، وأنه كان من

كبار التجار. ولدينا كذلك وثيقة أخرى حرّرت بأسفي عام 1325 / 1907 يتبيّن من خلالها أنه توفي قبل هذا التاريخ الأخير لأنها تذكر أسماء ورثته وتجدد الإشارة إلى أن الحاج الهاشمي هذا هو الجدّ المعروف لحدّ الآن لفرقة آل بنجلون بتطوان.

مراسلات مخزنية ؛ وثائق خاصة ؛ وأبحاث شخصية ؛ أ. بنجلون، عائلات أسفي، مخطوط ؛ م. داود، تاريخ تطوان، الجزء 5. أحمد بنجلون

الجمارك أو الديوانة المشتقة من كلمة ديوان. وقد كتب ابن خلدون في المقدمة ضمن الفصل الرابع والثلاثين في مراتب الملك والسلطان وألقابها أن ديوان الأعمال والجبايات يعدّ من الوظائف الضرورية للملك لأنه يقوم بأعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وتسطيرها ضمن كتاب شاهد بتفاصيل ذلك، ينبني على الحساب ولا يقوم به إلا المهرة من أهل الأعمال ويسمى هذا الكتاب بالديوان.

ولقد عرفت البشيرة النظام الجمركي (الديوانة) منذ القدم، كما تحدّثنا بذلك الكتب التاريخية، منذ عهد فرعون، مروراً بالقرطاجنيين فاليونان والرومان ثم أوروبا. أما فيما يتعلق بالتنظيم المالي والجمركي العربي الإسلامي فيجب التأكيد على خصوصية هذا النظام وقوته وأصالته حيث تذكر كتب التاريخ إجراءات عمر بن الخطاب الضريبية في السواد والشام والجزيرة وإجراءات الأمويين والعباسيين ومميزات كل التدابير المتخذة في هذا السياق منذ الفتح الإسلامي.

يمكن أن تعالج الأسس التنظيمية للجمارك بالمغرب في إطارها التاريخي من خلال رصد ثلاث مراحل رئيسية من تاريخ المغرب : قبل الحماية، خلال الحماية، بعد الاستقلال.

1 - الأسس التنظيمية للجمارك قبل الحماية.

كانت المبادرة الأولى للمبادلات التجارية الدولية منذ سنة 585 / 1189 حيث أبرم المغرب مع مدينة بيزا بايطاليا اتفاقية كمبادرة تجارية أولى تخضع للشروط الجمركية. وابتداء من القرن السادس (12 م) سنّ السلاطين المغاربة الرسوم الجمركية على النصارى الذين يفدون على الموانئ المغربية وذلك بنسبة 10٪ تطبق على الضريبة الدينية أو ما يعرف "بالذمة". وتاريخ 13 / 9 / 1631 وقع المغرب اتفاقية مع فرنسا بشأن الواجبات الجمركية، تخضع بمقتضاها البضائع المستوردة لرسم 10٪ من القيمة عن الاستيراد و5٪ عن التصدير. كما عقد في نفس السياق اتفاقية مع اسبانيا سنة 1799 ومع حكومة البلاد المنخفضة بتاريخ 18 / 5 / 1856 ومع بريطانيا العظمى بتاريخ 9 / 12 / 1856 ومع اسبانيا بتاريخ 20 / 11 / 1861 ومع بلجيكا في 4 / 1 / 1862 ومع ألمانيا بتاريخ 1 / 1 /

1890 ومع فرنسا سنة 1767 ويتاريخ 24 / 10 / 1892
تحددت الواجبات المستحقة للتصدير والاستيراد.

ويندرج إصلاح إدارة الجمارك (الديوانة) بالمغرب ضمن الجهود التي بذلها السلاطين في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) للتغلب على الأزمة المالية والاقتصادية التي كانت تعرفها البلاد. ويتجلى هذا الإصلاح في تنظيم جديد لهيئة "أمناء المراسي" كانت له انعكاسات إيجابية على باقي دواليب الدولة، وخلال هذه الفترة كان المغرب يمارس التجارة البحرية الخارجية عبر مراسي الصويرة وأسفي والجديدة والدار البيضاء، والعدوتين والعرائش وتطوان وطنجة بالإضافة إلى المركز البري المفتوح للتجارة الخارجية بليلية. وكان يعهد لأمناء المراسي بمراقبة هذه التجارة.

وقد عرفت أمانة المراسي تنظيماً دقيقاً في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1278 / 1872 الذي حاول ضبط مداخيل الجمارك من خلال ضبط أمانتها بعدما ثبت لديه ما يقع بالمراسي من تساهل في الواردات والصادرات حتى ادى ذلك، استاذاً إلى ظهير السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى الوزير محمد بركاش بتاريخ 21 مارس 1862 (موافق متم رمضان 1278) إلى ضياع مال بها له قدر ريال.

ومن مميزات مقتضيات إصلاح 1862 الذي ادخله السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان على إدارة الجمارك نذكر :

- تعيين أمينين بكل مرسى يتصفان بالاستقامة، أحدهما ينتسب إلى المرسى والثاني أجنبي عنها.

- استقلال الأمينين في الإشراف على المداخل الجمركية دون تدخل العمال

- تعيين أمين أعلى يراقب أمناء المرسى ولقد كلف بهذه المهمة الحاج محمد بنيس

- تخصيص راتب شهري للأمناء مقداره تسعون ريالاً للأمين الأجنبي عن المرسى وستون ريالاً للأمين الذي ينتمي إليها

- تحريم مزاولة التجارة على الأمناء بالمرسى التي يعملون بها

وفي عهد السلطان المولى الحسن الأول (1873 - 1894) تم تعزيز تنظيم الجمارك باتخاذ مجموعة من الإجراءات تتمثل في ازدياد عدد الأمناء، حيث تم تعيين أمينين أو ثلاثة أمناء في كل المراسي، كما أصبح جهاز الأمانة يتألف من أمينين أجنبيين عن المرسى في جل الحالات، والثالث هو وحده الذي يكون من أهل المرسى، علاوة على ضبط أماكن وأوقات العمل.

ينص الفصل الأول من قانون تنظيم الديوانة سنة 1862 على أن الديوانة تغلق على الساعة الثالثة بكل الزوال ويعمل الأمناء في مكان خاص بهم يعرف بـ "دار الاعشار" ويطلق عادة على الديوان كل المجمع الجمركي المتكون من

دار الأعشار وملحقاتها. وتتكون هذه الملحقات من خزائن لحفظ البضائع المصدرة والمستوردة، ويجري توسيعها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وأمام استفحال العجز المالي عمل السلطان مولاي الحسن الذي لم يرث خزينة فارغة فحسب بل ورث دينا ثقيلا كان تسديده يكلفه نصف مداخيل الجمارك المغربية لمدة تزيد عن عشر سنوات لفائدة الإسيان علاوة على الدين الذي ظل يسدده للأتليز إلى غاية سنة 1881. فضلا عن ذلك هناك النفقات التي يجب تخصيصها للفرق العسكرية الحديثة التي أنشأها على النمط الأوربي تكوينا وتدريباً.

أمام هذا الوضع المزري فكر السلطان في حلول تستهدف عقلته تدبير وترشيد الإدارة الجمركية بالعمل على رفع إيرادات الدولة دون تغيير مقادير الضرائب وتستند هذه الاجراءات إلى العناصر الجوهرية الآتية :

- اختيار الأمناء وتعيينهم بناء على معايير محددة : يتم تعيين الأمناء بظواهر سلطانية مصدرة بطابع كبير. وكان الأمناء ينتمون إلى فئات اجتماعية موسرة ومشهورة. ويبدو أن انتقاء الامناء من بين الاغنياء يشكل ضمانة مادية للدولة التي قد تم إلبهم يدها كلما صدرت عنهم مخالفات أو اختلاسات. كما أن يسر الامناء المادي من شأنه أن يكف أطماعهم في مال الرعية والدولة.

- تحديد رواتب وهيكل تنظيمي لإدارة الجمارك : تتميز إدارة الجمارك بتسلسلها الإداري حيث تشمل :

- الجمركيين : تضم هذه الفئة الامناء والعدول ومعرب بيانات السفن والناسخ والواقف بالديوانة على الماركة - والمشرفين على سير المرسى : وهم القبطان أو رئيس الديوانة وخليفته وكاتبه.

- والفنيين : وهم المقيد بالخزين ومسير الرافعة ومصالح القوارب ومقلب الدرهم أي الذي يعبر النقود ويقوم بفرز زائفها وردئتها وصاحب الميزان.

- والحراس : تشمل هذه الفئة المخازنية والعساسين. بلغ الراتب الشهري لأمناء مرسى العدوتين سنة 1893.

1894 أربعة وثمانين ريالاً لكل من الأمينين الأجنبيين عن المدينة وأربعين ريالاً واثنى عشر بليوناً للأمين الذي ينتمي إليها. أما العدلان فكان يتقاضى كل واحد منهما عشرين ريالاً بينما كان راتب أمين ديوانة مليلية سنة 1894 لا يتجاوز ثلاثين ريالاً للواحد، وراتب العدلين الذين معهما يبلغ عشرة ريال لكل واحد. ولعل تخصيص رواتب منتظمة للأمناء هو للحيلولة دون توليهم بأنفسهم استخلاص هذه الرواتب لما في ذلك من أخطار الابتزاز. كما يستهدف تحديد فترة توليهم في المراسي حتى لا يدفعهم طول مقامهم بالمنصب إلى الميل إلى الاستبداد. فضلاً عن ذلك كان المخزن يختار أمناء المستفاد وأمناء المراسي على الخصوص من التجار الذين هم أعرف بالسوق والمبادلات وأكثرهم اتصالاً بالأجانب لأن مزاولتهم التجارة تكسبهم حنكة وخبرة

مالية ودرية في المعاملات كان المخزن في حاجة ماسة إليها. بحكم ندرة أطره المتخصصة. وهكذا تمكنت أسر حضرية معروفة من ولوج أمانة المراسي. ففي سنة 1887 عين السلطان بمرسى طنجة السادة :

الطالب عثمان ابن جلون التومي الفاسي والحاج عبد المجيد بركاش الرباطي والحاج محمد العسال الطنجي. كما عين بمرسى الصويرة الطالب أحمد التازي الفاسي والطالب عبد السلام غرسية التطواني والطالب عبد الرحمان بن الحسن الصوري، ومرسى أسفي عين الحاج بناصر الحلو الفاسي والحاج محمد عواد السلاوي، ومرسى الدار البيضاء عين الطالب عبد الوهاب بن الحاج محمد بنيس الفاسي والطالب محمد فرج الرباطي.

ويسجل المؤرخون أن المناصب المخزنية وخاصة منها أمانة المراسي كانت عاملا في اغتناء الأمناء مؤكدين أن هذا الغنى المكتسب كان في الواقع لاحقا لغنى الأسرة التي يرشح أفرادها لهذه المناصب ؛ وربما كان الحصول على هذا المنصب نفسه يقتضي تقديم مقابل مالي لا يستطيع تحمله إلا من اتسعت يده.

- تحديد فترة التدريب ومدة التولي : استطاعت الأستاذة نعيمة هراج التوزاني أن تقدر الفترة التي كان ستفرقها تدريب أمناء المراسي بالمقارنة بين تاريخ إعفاء بعض الأمناء من مهامهم وتاريخ تسليم وثائق ومخزونات إدارتهم للأمناء الذين خلفوهم فلا حظت أن مدة التدريب تتراوح ما بين شهرين ونصف وأربعة أشهر وقد يكون سبب اختلاف فترة التدريب ناتجا عن تفاوت نشاط الديوانة.

أما مدة التوالي فهي تختلف حسب أصناف الأمناء، فهي على العموم أقصر بالنسبة لأمناء المراسي والصائر والمستفاد منها بالنسبة لغيرهم.

فمن خلال لائحة بأسماء أمناء مرسى الدار البيضاء وأخرى بأسماء أمناء مرسى العرائش لاحظت الأستاذة التوزاني أنه وقع تغيير الأمناء بالمدينتين سبع مرات في الفترة ما بين 1874 و1880 أي بمعدل سنة لكل تولية. لكن هذه المدة صارت تطول، بل تنتظم ابتداء من سنة 1880 ليصبح تغيير الأمناء يتم كل سنتين. فقد عين أمناء لكل المراسي المغربية في يناير 1887 واستمروا في مناصبهم إلى أواخر سنة 1889، وقائمة أمناء المراسي للعرائش تبرز أن التغيير تم بانتظام سنة 1889 تم سنة 1891 و1893.

- وضع قوانين ومساطر تنظيمية مكتوبة رهن إشارة أمناء المراسي. يمكن أن نسوق مثال كتاب شروط الخدمة بالمرسى، والتقييد الذي يشمل كيفية خدمة الأمناء مرتبا على ثمانية وعشرين فصلاً.

- أهداف ووظائف أمناء المراسي : عمل السلطان مولاي الحسن الأول على تنظيم الجهاز الجمركي وذلك بتشكيل الهيكل التنظيمي لإدارة الجمارك وتعيين مجموعة من

أعيان التجار كامناء حيث عهد إليهم بالقيام بعدة مهام تتمثل في العناصر الآتية :

أ - مراقبة الواردات والصادرات : يعهد إلى الأمناء بمراقبة التجارة الخارجية حيث لا يسمحون إلا بتصدير أو استيراد البضائع التي لا تحظر الدولة المتاجرة فيها، كما يخضعون بعضها لشروط تصدير الحبوب وبعض أصناف المواشي لمدة ثلاثة أشهر من كل سنة خلال فترة لا تتجاوز ثلاث سنوات. وكان السلطان يحدد قدر البضاعة الجائز تصديرها والمرسى الذي تصدر منه والهدف الذي تصدر من أجله.

فعلى سبيل المثال عندما أمر السلطان سنة 1883 بتصدير الثيران لصالح الولايات المتحدة أخبر بذلك أمناء مرسى طنجة : "أنا أنعمنا على دولة الماركان بتسريح وسق ستة آلاف رأس من الثيران في كل سنة (...). على شرط أن يكون وسقها من مرسى طنجة، وعلى شرط أنه إذا كملت السنة، وبقي لهم شيء من الستة آلاف، يلغون وسقه ويتركونه أصلا في السنين التي بعدها، وعلى شرط أن يسبقوا ذلك لعسكرهم ومراكبهم لا لتجارهم (...). فنأمر خدامنا أمناء مرسى طنجة أن يسرحوا لهم وسق ذلك على الشروط المذكورة".

واحتراماً لهذه الشروط رفض أمناء مرسى الصويرة سنة 1885 تصدير بقرة واحدة، وعندما تغاضى رئيس المرسى عن تهريب البقرة في غيبة الأمناء ليلا كان عقابه العزل والسجن.

أما فيما يتعلق بمراقبة الواردات، فإن الأمناء يمنعون كل البضائع المحظورة على الخواص مثل السلاح الذي لا يستورده إلا المخزن، وهناك سلع أخرى يبيح استيرادها لحساب الأجانب كالتبغ والخمور ولكن وفق تقنينات وشروط خاصة.

ب - فرض وجباية الرسوم الجمركية : تعد الرسوم الجمركية المغربية رسوماً اتفاقية. وتسمى الرسوم التي تفرض على الواردات باسم الأعشار لأنها تساوي عشر ثمن البضاعة. ويعتمد على أسعار السوق المحلية في تقدير قيمة البضاعة قبل فرض رسم يبلغ 10٪ من هذا الثمن، وتدعى رسوم الصادرات الصاكة وهي رسوم نوعية تختلف باختلاف نوع البضاعة.

وعلاوة على تقدير الرسوم على السلع المصدرة والمستوردة يقوم الأمناء بجباية هذه الرسوم مقابل تقديم "توصل" لصاحب البضاعة. وكانت تعفى من كل رسم السلع التي تنقل بحراً من مرسى مغربي إلى آخر. كما تصدر كل بضاعة ضبطت غير خاضعة لهذه الرسوم الجمركية. وتشير الأستاذة التوزاني إلى مجموعة من سجلات مداخيل ديوانة مليبية التي تضبط المقادير المتحصلة من البضائع المهربة التي وقعت مصادرتها.

غير أنه يجب أن نسجل أن تسديد هذه الرسوم الجمركية

لم يكن دائما يتم على الفور بل قد يؤجل بناء على امتياز كان السلطان يمنحه لكبار التجار.

وفضلاً على جباية الرسوم الجمركية على البضائع كان الأمناء يجيبون رسوما على السفن التجارية التي ترسو بالميناء تدعى "واجب المخطاف".

ج - تسلم أعشار الحبوب العينية من القبائل المجاورة : كانت المراسي تستعمل كذلك مستودعات للأعشار العينية من الحبوب القادمة من القبائل المحادية لهذه المراسي، والقصد من توجيه الخرص إلى هذه المراسي هو لتصديرها من أجل الحصول على العملة اللازمة لتسديد بعض الديون المترتبة على المخزن.

د - النيابة عن المخزن في الإشراف على عمليات الاستيراد والتصدير :

تتمثل هذه النيابة في قيام أمناء المرسى باستيراد أو تصدير بعض البضائع لحساب المخزن كاستيراد ثياب لصنع لباس الجيش المغربي أو استيراد بضائع تستلزم تعاقداً خاصاً كالسلاح. أما دورهم في التصدير فيتمثل في تسليم البضائع إلى الطرف الذي تعاقد معه المخزن لتصدير القمح والشعير لبعض الدول التجارية الأجنبية.

هـ - الإنفاق على المرسى والمدينة والنواحي المجاورة لها : يقوم أمناء المراسي بإداء رواتب موظفي المرسى بكل درجاتهم كما يؤدون كل النفقات المتعلقة بسير المرسى وتجهيز مرافقه الضرورية كالموازين والقوارب وأرصفت الميناء وأسواره وبرجه.

كما كان الأمناء ينفقون على املاك المخزن ومنشآته العمومية وعلى رجاله.

وتشتمل النفقات المنشآت الدفاعية كالأبراج، والمدنية كالسجون. أما النفقات على رجال المخزن فهي إما نفقات دائمة كالنفقات الخاصة بالجيش ورواتب بعض الموظفين بالمدينة كالعاملين ورواتب الشرفاء من حاشية السلطان، أو نفقات طارئة كجعالات الجيش التي تقيم مؤقتاً بالمرسى وأكسية الجيش وصلات كتاب العمال والشرفاء.

و - النفقات على مستوى البلاد : وهي تشمل نفقات مرصودة على نطاق البلاد عامة، كتسديد الديون الخارجية وتمويل بعض المشاريع العامة كسك العملة الفضية وتمويل التجهيزات العسكرية (المعدات، التكوين، البعثات المغربية للخارج).

وأخيراً نذكر أن سلطة الأمناء وإن اتسعت كانت تخضع لرقابة محكمة تتمثل في متابعة تصرفها بواسطة المراسلات وطلب الكشوف الحسابية والتفتيش في عين المكان. وكانت المحاسبة تشمل كل فترة قضاها الأمناء في مناصبهم وتمتد إلى فحص الكنتانيس واختبار سلامة كل العمليات الحسابية.

وقد ارتبط إصلاح إدارة الجمارك في العهد الحسني بتعيين أمناء المراسي الذين يجمعون الأموال، كما سبقت

الإشارة إلى ذلك، الناتجة عن الرسوم الجمركية وينفقون تلك الأموال جزئياً أو كلياً لسد الحاجات المحلية وفق اللامركزية التي طبعت هذا النظام. ويعزى صرف أموال الدولة في المكان الذي جمعت فيه دون أن يرسل إلى بيوت المال المركزية إلى تخلف النظام النقدي الذي لم يعرف إلا القطع المعدنية دون الأوراق أو غيرها من الوسائل العملية التي تسهل نقل القيم.

وتنطوي ملامح هذا الإصلاح على أصالة في المبادرة المغربية طالما أنكرتها الكتابات الغربية المهمة للاستعمار ككتابات الفرنسي ميشو بليير Michaux Bellaire حول تنظيم المالية بالمغرب، وكتاب المؤلف الأمريكي J. Waterby حول "أمير المؤمنين" حيث يخلص المؤلفان إلى أن التنظيم المالي بالمغرب قبل الحماية كانت تطبعه القوة والفوضى والتعسف في جمع الضرائب وعسكرتها من أجل دفع رواتب الجيوش وقمع ثورات القبائل، علاوة على عدم ملاءمة الإدارة في تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية.

غير أنه يجب أن تذكر أن من خصائص النظام المالي المغربي تركيزه على أسس أخلاقية لجهاز الأمانة الحسنية وهو ما تفادت الأبحاث الأجنبية التعرض له واستخراج مميزات الرائدة.

* * *

2 - الأسس التنظيمية للجمارك خلال الحماية :

أما النظام الجمركي إبان الجماعة فقد تشكل كما لا حظنا ذلك نتيجة عدة اتفاقيات أبرمها المغرب مع القوى الأجنبية في وقت كان يعاني من وضعية مالية سيئة بسبب ثقل الديون ونقص المداخيل وإلحاح النفقات وانخفاض قيمة العملة. الشيء الذي جعل هذه الاتفاقيات تمهد للتدخل السياسي بالبلاد. ولقد عمل عقد الجزيرة سنة 1906 على ترسيخ شرط الدولة الأكثر رعاية، لتستفيد منها جميع القوى العظمى، كما اهتم بهيكله النظام الجمركي وذلك بتحديد تعرفه الرسوم الجمركية في 10٪ من القيمة إضافة إلى 2.5٪ على البضائع المستوددة كما حدد جزاءات عن المخالفات الجمركية والتهرب، وأخيراً أحدث ما يعرف بلجنة القيمة في الجمر كتحديد قيمة البضائع وتمكن الإصلاحات العميقة التي عرفها النظام الجمركي المغربي أثناء الحماية نتيجة لهذا التطور في التوفيق بين التصنيف التقليدي لثلاثة أشكال من الضرائب الدينية (الزكاة، العشور، الهدية) ضرائب السيادة (الجزية، الخراج، المؤونة، السخرة، الغرامة) وضرائب تجارية (المكوس والجمارك) وتكييف العادات التقليدية الجبائية مع الجبايات الحديثة بإحداث مجموعة من الضرائب غير المباشرة التي تدخل ضمنها حقوق الجمارك.

ويستند النظام الجمركي المغربي إلى عدة مبادئ أهمها :

- الحرية التجارية والمساواة الاقتصادية

- الوحدة الجمركية لمجموع تراب الدولة المغربية

- التعرفة الجمركية الموحدة على أساس قيمي

ونتيجة لتراكم الديون على المملكة المغربية إبان الحماية قامت فرنسا بمراقبة إدارة الديون، استناداً إلى عقد الجزيرة الخضراء ابتداء من سنة 1918.

ومن جهة أخرى حدد ظهير 9 يونيو 1917 ومرسوم 16 أبريل 1926 أسس التشريع الفرنسي المتعلق بتنظيم المالية العامة ورقابتها.

وبتاريخ 28 أبريل 1918 ارتبطت مصلحة الجمارك بالإدارة العامة للمالية. وتاريخ صدر ظهير 16 ديسمبر 1918 الذي نظم إدارة الجمارك المغربية. وتاريخ 9 شتنبر 1939 صدر الظهير الشريف المتعلق بتنظيم قواعد الحماية الاقتصادية وتحديد البضائع التي يمكن استيرادها.

* * *

3 - الأسس التنظيمية للجمارك بعد الاستقلال.

حرص المغرب منذ حصوله على الاستقلال على تبنى تنظيم شامل لإدارة الجمارك ينسجم مع وضعيته الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، وهكذا منذ صدور الظهير الشريف بتاريخ 5 يونيو 1957 المتعلق بإحداث التعرفة الجمركية بمقادير مختلفة تبعا للمواد المستوردة وعلى أساس قانون موحد للاستيراد بنسبة 10٪ إضافة إلى رسم خاص بنسبة 2.5٪. وبعد هذه المرحلة توالى النصوص التشريعية والتنظيمية لإدارة الجمارك. ومن أهم المحطات المهمة في هذا الإصلاح نذكر :

- انخراط المغرب سنة 1969 في اتفاقية مجلس التعاون الجمركي المعروف بمصنف بروكسيل 1950 الذي يتم بموجبه تصنيف البضائع على أساس نوع الصنف وأصل البضاعة ومصدرها.

- إصدار سنة 1972 تعرفة جمركية تتضمن وثيقتين منفصلتين : التعرفة والمدونة العامة للمواد.

- اتخاذ مجموعة من الاجراءات لتشجيع الصادرات والاستثمار في إطار مخطط التنمية 1973 - 1977 بمقتضى ظهير 17 أبريل 1973 الذي يسن ما يعرف بالأنظمة الاقتصادية في الجمر.

- صدور مدونة الجمارك والضرائب غير المباشرة في يونيو 1994، وبذلك اكتمل الصرح التنظيمي والتشريعي لهذه الإدارة الذي يستمد فلسفته من خصوصيات البنيات الاقتصادية والاجتماعية والحاجيات الوطنية وما تستلزمه من تكييف مستمر يساير تطورات التجارة الدولية والعولمة والاتفاقيات والمعاهدات الدولية.

وفي خضم هذا التطور أصبحت إدارة الجمارك تقوم بعدة مهام فهي تعد رافداً من الروافد المهمة للخرينة بفضل المبالغ التي تغذي بها الخزينة والمحصل عليها من الرسوم والمكوس المفروضة على الصادرات والواردات والضرائب غير المباشرة. كما تقوم بمراقبة التبادل الخارجي للدولة قصد توفير الحماية اللازمة للإنتاج الوطني من المنافسة الأجنبية بفرض رسوم

جمركية أعلى وتخفيضها بالنسبة لأدوات التجهيز أو المواد الأولية.

وعلى المستوى الوظيفي تسهر إدارة الجمارك على مراقبة البضائع الداخلة والخارجة عبر الحدود الجمركية ومدى مطابقتها وخضوعها للاجراءات القانونية الصحية والأمنية والمالية. واستناداً إلى المدونة يمكن أن نسوق الادوار الآتية :

- تطبيق تعرفة الجمارك على الواردات والصادرات

- مراقبة البضائع والأشخاص

- السهر على التدابير الصحية والأخلاقية بمراقبة تهريب المخدرات وتهريب السلع.

- مراقبة جودة بعض المواد الفلاحية.

- مساعدة رجال الشرطة في إلقاء القبض على الأشخاص المبحوث عنهم عند اجتيازهم الحدود.

- مراقبة التدابير المتعلقة بالصيد في البحار والأنهار.

- مراقبة البواخر بالمياه الإقليمية والتأكد من سلامة وثائق ملكية الباخرة.

- مراقبة الإرساليات بواسطة البريد.

- مراقبة هوية الأشخاص.

ولبلوغ هذه الأهداف نصت مدونة الجمارك في الفصول من 24 إلى 45 على مجموعة من الشروط التي يجب توفيرها في ميدان عمل الإدارة ترتبط بمكاتب ومراكز الجمارك وسلطة أعوانها ووظائفهم وخاصة الحضانة والحماية التي يجب ضمانها لهم أثناء قيامهم بمهامهم.

ع. ابن خلدون، المقدمة، بيروت : إ. حركات، النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، الدار البيضاء، 1996 : د. غيداء خزنة كاتبي، الحجاج، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994 : م. حركات، الاقتصاد السياسي، مراحل تكوين المعرفة الاقتصادية، الرباط، 1996 : نعيمة هراج التوزاني، الأمتاء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن، بالرباط، 1979 : محمد براءة غزبول، مدونة وتنظيمات الجمارك والضرائب غير المباشرة، 1995.

Abdellah Laroui, *Histoire du Maghreb*, T. 1 et T. 2, Paris 1976 ; My Larbi El Alaoui, *Le droit douanier au Maroc*, 1997 ; Mohamed Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du XX siècle*, Casablanca, 1975 ; Kacem Taj, *Dédouanement des marchandises au Maroc* ; J. Bastid et H. Demunieux, *Les douanes*, Paris ; Paul Bradinet, *Le régime douanier du Maroc*. Thèse de Doctorat, Bordeaux 1932 ; *Memorandum sur le régime du commerce extérieur du Maroc réalisé par l'administration des douanes* ; M. Hajji, *Les droits de douane au Maroc*. Thèse, Paris 1981 ; M. Hosni, *La repression des fraudes commerciales en droit marocain*. Thèse, Paris X, 1985 ; J.L. Miège, *Le Maroc d'Algésiras et la souveraineté économique*, Tanger, 3 T, 1957 ; *Le Maroc et l'Europe*, 4 tomes, Rabat 1975 ; Bequet, *Contrebande et contrebandiers*, Paris ; H. Tremeau, *Le droit douanier*, Paris 1988 ; Mohamed Haraqat, *Le droit de contrôle supérieur des finances publiques au Maroc*. Rabat 1992 ; *L'audit dans le secteur public au Maroc*, Rabat, 1994.

محمد حركات

الجماعة الحضرية والقروية، شخص معنوي

عمومي ترابي يتمتع بالشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي ويدبر شؤونها مجلس جماعي منتخب مباشرة من سكانها.

والجماعة في المغرب لها جذور تاريخية ضاربة في القدم إذ ترجع إلى "جماعة" التي كانت تهتم بشؤون سكان القبيلة وتنظم أمورهم المشتركة وينفذ قراراتها زعيم يطلق عليه أمغار أو الشيخ.

ولما جاءت الحماية نظمت المجالس الحضرية بنصوص قانونية على رأسها ظهير 8 أبريل 1917 وكان أعضاء هذه المجالس معينين كما كان على رأسها سلطة مزدوجة : الباشا ورئيس المصالح البلدية في المدن والقائد والمراقب المدني أو العسكري في القيادات.

وقم تم تنظيم المجالس الجماعية الأولى بعد الاستقلال بواسطة ظهير 28 ذي الحجة 1379 (23.6.1960) بشأن نظام الجماعات، وكان هذا النص يميز بين المجالس الحضرية والقروية، ولم تكن لها نفس الاختصاصات ولا نفس الموارد المالية. وقد بقي هذا النص مطبقاً مدة ست عشرة سنة إلى أن حل محله ظهير 5 شوال 1396 (30.9.1976) بمثابة قانون يتعلق بالتنظيم الجماعي. وقد اختلفت نظرياً التفرقة بين المجالس الحضرية والقروية في هذا النص على الأقل على مستوى الاختصاصات.

ووصل عدد المجالس الحضرية (البلديات) إلى 248 بينما وصل عدد الجماعات القروية إلى 1298 جماعة وهذا حسب التقسيم الجماعي لغشت 1992.

وقصد الإحاطة بهذا الصنف من الجماعات المحلية يجدر استعراض طريقة انتخاب أعضائها والأجهزة التي تتكون منها المجالس الجماعية ثم توضيح اختصاصاتها التي نص عليها القانون، ونسأل بعد ذلك عن مواردها المالية ونختم بالوصاية التي تمارسها الدولة على المجالس الجماعية.

يتكون المجلس الجماعي من عدد من الأعضاء يتفاوت حسب عدد سكان الجماعة فالحد الأدنى 11 عضواً إذا لم يتعد سكان الجماعة 7500 نسمة والحد الأقصى هو 41 في الجماعات التي يزيد سكانها على 300.001 نسمة. ويتم انتخاب هؤلاء الأعضاء بواسطة الاقتراع الفردي بالأغلبية النسبية في دورة واحدة، وتدوم العضوية ست سنوات.

- يسير المجلس مكتب يتكون من رئيس المجلس وعدد من المساعدين يتفاوت حسب سكان الجماعة، وأقله مساعدان في الجماعة التي لا يزيد سكانها على 7500 نسمة ويصل إلى سبعة في الجماعات التي يزيد سكانها على 225.000 نسمة.

وينتخب الرئيس ومساعدوه بالاقتراع السري والأغلبية المطلقة في الدورتين الأوليين ويكتفي في الدورة الثالثة بالأغلبية النسبية.

ويضم المكتب كاتباً أو عدة كتاب لتحرير محاضر

الجلسات وضبطها، ومقرراً للميزانية وأحياناً مقررراً مساعداً مهمته تقديم التقديرات المالية والحسابات الإدارية.

وتنشئ المجالس على الأقل لجتين دائمتين هما : لجنة المالية والميزانية ولجنة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وتنشأ لجن أخرى حسب الحاجة في ميدان التعمير والسكنى، والثقافة، والمحافظة على البيئة إلى آخره ...

يعقد المجلس الجماعي أربع دورات عادية في السنة (فبراير وأبريل وغشت وأكتوبر) ويمكن أن تسترسل كل دورة أسبوعين، وعملياً فإنها لا تستغرق إلا بضع ساعات، ويمكن بمبادرة من الرئيس أو ثلث الأعضاء أو بطلب من السلطة المحلية عقد دورة غير عادية.

ويهيئ الرئيس جدول الأعمال بتعاون مع أعضاء المكتب تم يرسل للسلطة المحلية التي لها أن تضيف إليه نقطاً أخرى داخل أجل 8 أيام. ويهيئ الرئيس بعد ذلك الجدول النهائي الذي يوجهه مع الاستدعاء إلى الأعضاء لحضور الدورة.

لا يمكن أن تفتح الدورة إلا إذا حضر نصف الأعضاء فأكثر بعد الاستدعاء الأول، فإن كان أقل توجه استدعاءات ثانية، وفي هذه الحالة لا تعقد الدورة إلا إذا حضر ثلث الأعضاء وإن لم يحضر توجه استدعاءات ثالثة ينعقد بعدها المجلس أياً كان عدد الحاضرين.

ويتم التصويت على المداولات بالإقتراع العلني وبالأغلبية المطلقة، وعند تعادل الأصوات يرجح جانب الرئيس. ويمكن أن يكون التصويت سرياً إذا طلب ذلك ثلث الأعضاء أو كانت الجلسة مخصصة لانتخاب أو تعيين.

وجلسات المجلس عمومية يمكن أن يحضرها المواطنون إلا إذا قرر الرئيس عقد جلسة سرية إما بمبادرة منه أو بناء على طلب السلطة المحلية أو ثلاثة مستشارين.

يجب التمييز منذ الميثاق الجماعي الصادر في 30.9.1976 بين اختصاصات المجلس واختصاصات الرئيس من جهة وبين اختصاصات هذا الأخير ورجل السلطة المحلية من جهة أخرى.

يمارس المجلس الجماعي عدة اختصاصات تدخل في إطار ما يسمى بالشؤون المحلية، وأولى الأمور التي يهتم بها هي الميزانية لأنها ضرورية لممارسة بقية الاختصاصات الأخرى. وتعرف الميزانية بأنها الوثيقة التي يقرر بموجبها في مجموع تحملات وموارد الجماعة، وتنقسم الميزانية إلى جزئين : التسيير والتجهيز فكما أن للتسيير موارده ونفقاته فكذلك الشأن بالنسبة للتجهيز.

وقد تشمل الميزانية العامة ميزانيات ملحقة وحسابات خصوصية. ويجب أن تكون الميزانية متوازنة بين مداخيلها ونفقاتها، وإذا ظهر فائض في الجزء الأول (التسيير) وجب تخصيصه للجزء الثاني (التجهيز أو الاستثمار).

ويمكن تصنيف موارد الميزانية إلى الموارد الخاصة بالتسيير وأخرى خاصة بالتجهيز، فالأولى تشمل ما يلي :

المداخل الجبائية (الضرائب والرسوم) ومنتوج الخدمات التي تقوم بها الجماعة وكذا مداخيل ممتلكات الجماعة (البنائات الأسواق محطات وقوف السيارات إلى آخره...) ومدخول الامتيازات وحصة الجماعة من الضريبة على القيمة المضافة من أجل توازن ميزانية التسيير.

أما موارد التجهيز فيمكن اجمالها في الآتي :
الاعتمادات المحولة وفائض ميزانية السنة المنصرمة ومنتوج المبيعات والقروض المبرمة ومعونات التجهيز المقدمة من الدولة أو المؤسسات العمومية أو الأجنبية ومساهمات تمويل المشاريع أو التجهيزات. وفيما يخص القروض يجب على الجماعات أن تطلب ذلك من صندوق التجهيز الجماعي الذي أصبح منظماً على شكل مؤسسة عمومية وهي بمثابة بنك الجماعات المحلية يأخذ نسبة 14% من الفوائد على القروض التي منحها للجماعات الحضرية و12% بالنسبة للجماعات القروية.

ويمكن اختزال نفقات تسيير الجماعة في الأوجه التالية:
- تعويضات وأتعاب مكتب وأعضاء المجلس الجماعي؛
- مرتبات وأجور وتعويضات موظفي ومستخدمي الجماعة؛

- تجهيز ونفقات تسيير المصالح الجماعية والمرافق العامة؛

- أداء الحصص السنوية للقروض المبرمة (مع صندوق التجهيز الجماعي)؛

- معونات الجمعيات الثقافية والرياضية والاجتماعية...

- نفقات مختلفة وطارئة؛

ويلاحظ أن نفقات الموظفين والمستخدمين وتعويضات المستشارين تهيمن على أكثر من نصف ميزانية التسيير، وفي الجماعات القروية تصل نفقات التسيير إلى 80% من الميزانية.

وتشمل نفقات ميزانية التجهيز الأمور التالية :

- تغطية عجز السنة السالفة

- اقتناء منقولات (أثاث المكاتب والأدوات اللازمة لها، وكذا الآلات المتنقلة الخ...)

- إنجاز أشغال التأسيس الأول والإصلاحات الكبرى (الطرق، الماء، الكهرباء، الأسواق...)

- اقتناء الأراضي والعقارات

- إنجاز التجهيزات المتكاملة

- استعمال أموال المساهمة

والملاحظ أن كثيراً من الجماعات تعجز عن القيام بتجهيزات جديدة إلا إذا التجأت إلى الاقتراض من صندوق التجهيز الجماعي أو الحصول على مساعدات الدولة وخاصة في إطار حصة الجماعات المحلية من الضريبة على القيمة المضافة.

أما الاختصاصات الأخرى فينص الميثاق الجماعي لسنة

1979 بشأنها على أن المجلس "يفصل... بمداولاته في قضايا الجماعة ويتخذ لهذه الغاية التدابير اللازمة ليضمن للجماعة كامل نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي..." ولتحقيق ذلك يمكن له أن يهيئ مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للجماعة ويحدد برنامج تجهيز مجالها في إطار الوسائل المتوفرة لديها والوسائل الموضوعة رهن إشارتها. كما يقترح المجلس على الإدارة المركزية أو الاقليمية أو الجهوية الأعمال الواجب القيام بها للنهوض بتنمية الجماعة.

كما يقوم المجلس الجماعي بإحداث وتنظيم المرافق العمومية الجماعية وتبدير شؤونها بواسطة الوكالة المباشرة أو الوكالة المستقلة أو الامتياز. ففيما يخص النقل العمومي يتم تبديره بواسطة الامتياز عن طريق الحافلات التابعة للشركات الخاصة، كما تقوم بذلك أيضاً الوكالة المستقلة للنقل الحضري. أما المرفق الذي يتم تسييره بواسطة الوكالة المباشرة فهناك الحالة المدنية والتطهير الصلب والوسائل وما إلى ذلك.

ويساهم المجلس في إعداد مشاريع وثائق التعمير. وتعرض عليه في هذا الإطار مشاريع المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية وتصميم التنطيق وتصميم التهيئة وكذا تصميم النمو لدراسته وإبداء الملاحظات اللازمة.

ويختص المجلس لتحديد شروط المحافظة على الملك الغابوي واستغلاله واستثماره في حدود ما يسمح به القانون.

ويهيئ الأنظمة العامة التي تهم شؤون طرق المواصلات والبناء والمحافظة على الصحة في نطاق القوانين والأنظمة المعمول بها. ويحدد نوع أساس الضرائب والتعاريف وقواعد استخلاص مختلف الاداءات والوجيبات والحقوق المختلفة التي تقبض لفائدة الجماعة.

يلعب الرئيس دوراً بارزاً في حياة المجلس وتسييره، فهو الذي ينفذ مقررات ومداوات المجلس ويتخذ التدابير لهذا الغرض ويسهر على مراقبة تنفيذها، كما أنه يعتبر ممثل الجماعة في جميع الحياة الإدارية والمدنية كإنجاز أعمال الكراء والبيع والاقتناء وإبرام صفقات الأشغال والأدوات وتقديم الخدمات وكذا قبول الهبات والوصايا، ويتخذ القرارات لأجل تحديد الضرائب والاداءات والوجيبات طبقاً للتشريع المعمول به في هذا الميدان : ويقوم بالمحافظة على ممتلكات الجماعة وإدارة شؤونها، كما أنه يمثل الجماعة أمام المحاكم، ويمكن له دون مداولة من المجلس أن يقيم الدعاوي المتعلقة بالحيازة أو بجميع الأعمال التحفظية أو الموقفة لسقوط الحق ويدافع عن التعرضات المقدمة ضد اللوائح الموضوعة لتحصيل ديون الجماعة، كما يجوز له تقديم كل طلب لدى قاضي المستعجلات وتتبع القضية عند استئنافها.

واختصاصات الرئيس في هذا تستقل عن اختصاصات

الجماعي التي هي عامة. أما المسائل التي نص عليها القانون فهي عبارة عن أمثلة الأمر الذي يؤكد على أن المجلس الجماعي هو الذي يجب أن يلعب الدور الأساسي في ميدان التدبير الجماعي وتحقيق المصالح العامة للسكان.

إن الذي يحول دون اعتبار الجماعات المحلية تتمتع بلامركزية حقيقية هو عدم منحها حق النظر في جميع الشؤون المحلية، ومن جهة أخرى الرقابة والرقابة التي تخضع لها ليس فقط لكي تكون مقرراتها قابلة للتنفيذ، بل تفرض رقابة حتى على الأعضاء وعلى الرئيس، والغاية من هذه الرقابة هي ضمان قيام المجالس بوظائفها وعدم خروجها عن مجال اختصاصاتها، لأن الجماعات لا تتمتع إلا باستقلال إداري.

ويعمارس الرقابة السياسية الرأي العام بصفة مستمرة عن طريق الصحافة والنشر وأساليب التأثير المختلفة كما يمارسها عند إجراء الانتخابات لتجديد أعضاء هذه الجماعات.

ولكن الرقابة الدائمة هي الرقابة المفروضة على هذه المجالس وهي تمارس إما على مداوات المجلس أو على أعضائه أو على رئيس المجلس.

ع. الرحمن البكري، *الرجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1990.

Said Benbachir, *L'administration locale du Maroc*, Casablanca, 1969 ; Driss Basri (sous la direction), "Précis de fiscalité des collectivités locales et de leurs groupements", Rabat, 1993.

عبد الرحمن البكري

الجماعة الموحدية، تنظيم أحدثه المهدي بن تومرت في بداية دعوته، يعتمد على انتظام أتباعه طبقات حسب الأسبقية في أتباع هذه الدعوة، بحيث تحتل "الجماعة" المرتبة الأولى، وسمي أعضاؤها أيت عشرة، وهم ينتمون إلى عصبية مختلفة جعل منهم المهدي مجلساً استشارياً في الأمور العظام، وكان يحاول أن يتشبه بما عرف في عهد الرسول عليه السلام (ص) كالأصحاب العشرة والبيعة تحت الشجرة ... فكانت الجماعة أو العشرة أول من بايع المهدي تحت شجرة خرّوب بعد انتقاله من مجال قبيلته هرغة المصمودية إلى تينملل بجبل درن (الأطلس الكبير) جنوب مدينة مراكش إيذاناً ببداية العمل المسلح ضد المرابطين خاصة منذ سنة 518 هـ. أما الطبقة الثانية في تنظيم المهدي فعرفت بـ "أيت خمسين"، هذا إضافة إلى تنظيم قبلي يضع قبيلة هرغة في القمة. ولتجنب مشكل العصبية أحدث المهدي نظام المؤاخاة بين أتباعه الغرباء (المهاجرين) وأتباعه من المصامدة، ومن المعلوم أن لنظام الطبقات هذا امتيازات عامة.

وبالنسبة لأعضاء "الجماعة" يوجد اتفاق حول أغلب الاسماء وهم :

المجلس بمعنى أنه لا يحتاج إلى مداولة من المجلس لأنه يصبح عندما يمارسها ممثلاً للدولة، فهو الذي يسهر على المحافظة على الأمن فيمكن أن يتولى رئيس المجلس تلقائياً وعلى نفقة المعنيين بالأمر طبق الشروط المحددة بمرسوم 26 مايو 1980 تنفيذ جميع التدابير الرامية إلى استتباب أمن أو ضمان سلامة المرور والصحة والنظافة والمحافظة على الصحة العمومية الداخلة في اختصاصه (ف 46).

كما أنه هو الذي يسير المصالح الجماعية، ويعتبر الرئيس التسلسلي للموظفين التابعين لهذه المصالح الجماعية والذين يخضعون في نظامهم الإداري لقانون الوظيفة العمومية مع استثناء المسائل التي ينص عليها مرسوم 27 / 9 / 1977 بمثابة النظام الأساسي لموظفي الجماعات (ج. ر. عدد 3387 ص 1068). وكذلك هو الذي يتولى التعيين في المناصب طبقاً لمقتضيات النظام الأساسي الخاص، كما يعين الأعيان المؤقتين والميامين والعرضيين ويدير شؤونهم، (ف 48).

ويعتبر ضابط الحالة المدنية، ويتخذ قرار التخلي في ميدان نزع الملكية للمنفعة العامة، ويمنح رخص البناء.

لقد حدد الفصل 44 من قانون التنظيم الجماعي الاختصاصات التي تمارسها السلطة المحلية بمعزل عن المجلس الجماعي. وينص هذا الفصل في فقرته الثانية على ما يلي :

"أما السلطة المحلية التي تمثل السلطة المركزية في دائرة نفوذ الجماعة فيبقى معهوداً إليها بمهمة ضابط الشرطة القضائية وتبقى مختصة بالمحافظة على النظام والأمن العمومي بتراب الجماعة. وتحفظ كذلك بالاختصاصات المسندة إليها بموجب النصوص التشريعية والتنظيمية المعمول بها في الميادين الآتية :

الحق في تأسيس الجمعيات العمرمية والصحافة، النقابات المهنية، الانتخابات، تسخير الأشخاص والممتلكات، التنظيم العام للبلاد في حالة الحرب، تنظيم استيراد الأسلحة والذخائر وترويجها وحملها وإيداعها وبيعها ومراقبتها واستعمالها، شرطة الصيد البري، تنظيم استيراد المتفجرات وترويجها وبيعها وإيداعها ومراقبتها واستعمالها، تنظيم استغلال المقاطع، جوازات السفر، تنظيم محاكم الجماعات والمقاطعات، الإكراه البدني، تنظيم الاتجار في المشروبات الكحولية أو الممزوجة بالكحول، زجر السكر العلني، مراقبة الاسطوانات وغيرها من التسجيلات الفونوغرافية، الأشهار بواسطة الاعلانات واللوحات والإعلامات والشعارات، مراقبة الأثمان، المهن الحرة، التشريع الخاص بالشغل ولا سيما النزاعات الاجتماعية، هجرة الشغالين، الوقاية من الأمراض العقلية وعلاجها، الخدمة العسكرية الاجبارية والملك العائلي".

ويتضح من هذا النص أن اختصاصات السلطة المحلية قد وردت على سبيل الحصر عكس اختصاصات المجلس

- عبد المومن بن عليّ الكوميّ الزناتي (من گومية بناوحي تلمسان)، وهو أول خلفاء المهدي ومؤسس الدولة الموحدية ومورث حكمها في سلالته، غير أن صاحب المعجب ذكره في الرتبة الثانية ضمن الجماعة بعد المسمّى عبد الواحد الشرقي.

- أبو حفص عمر بن علي اسمه في المعجب عبد الله الصنهاجي المعروف بأزناك. وقاد أول غزوة بعد موت المهدي ضدّ المرابطين (البيذق، 44)، توفي خلال الحركة الطويلة لعبد المومن ببلاد غمارة (البيذق، 54).

- أبو الربيع سليمان بن مخلوف أحضري، وعرف عند أهل أغمات بابن البقال وابن تاغظميت، تولى الكتابة عن المهدي، ويذكر صاحب المقتبس وفاته في معركة البحيرة.

- أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلاكي الخزرجي (واسمه في القرطاس إبراهيم بن إسماعيل)، تولى مهمّة القضاء أيام المهدي بتينملل، يذكره البيذق ضمن الخمسة الأوائل السابقين لبيعة عبد المومن وبعد وفاة المهدي (ص 45)، وكان سبب نجاة عبد المومن من محاولة اغتيال بالمغرب الأوسط.

- أبو عمران موسى بن قماري الكدميوي، وهو أمين الجماعة في عهد المهدي، لم يرد اسمه عند البيذق ولا عند صاحب الحلل، ذكر صاحب المقتبس أنه استشهد في البحيرة، ولعله غير أبي عمران موسى بن سليمان الضير صهر عبد المومن الذي كان يستخلفه على مراكش خلال غيابه عنها، وهو من أيت خمسين (المقتبس).

- أبو يحيى أبو بكر بن يگيت، وهو عند المراكشي من أهل تينملل، وعند ابن أبي زرع أنه هنتاتي، ولم يرد اسمه عند البيذق. ذكر صاحب المقتبس وفاته في معركة البحيرة التي حدثت مع المرابطين خارج مراكش سنة 524 هـ.

- أبو عبد الله محمد بن سليمان من أهل أنسا، كان يؤمّ الناس في الصلاة خلال غياب المهدي، مات في معركة البحيرة.

- عبد الله بن يعلى الزناتي، من أهل تازا، اشتهر بابن ملوية أو ابن ملويات، ارتد عن دعوة المهدي بعد وفاته فقتله رجال كنفيسة.

- أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي المعروف باليشير، وقد أورد ابن الأثير نماذج من استعمال المهدي للونشريسي في عمليات "التمييز" بين المصدقين بدعوته والمتشككين فيها، فكان سبب هلاك الآلاف من الناس، كما قاد ضدّ المرابطين عمليات عسكرية أخرى وأشهرها معركة البحيرة خارج مراكش (الكامل، 8 : 297 - 298).

- أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي أحد شيوخ قبيلة هنتاتة، واسمه الأصلي فصكة بن ومزال إينتي. قاد أبو حفص عمليات عسكرية هامة سواء خلال الحركة الموحدية أو في دولة عبد المومن وابنه يوسف، وكان له دور أساسي في دعم حكمهما إلى أن توفي بمراكش بسبب الطاعون سنة 571، واحتفظ أبناؤه بمكانة متميزة في الدولة إلى أن توقّرت لهم ظروف إنشاء الدولة الحفصية في إفريقية أوائل القرن اللاحق معتبرينها استمراراً للدولة الموحدية التي آلت إلى الضعف ثم السقوط.

هذا الترتيب لأسماء الجماعة وضعه صاحب المقتبس وأضاف اسمين آخرين هما أبو موسى عيسى بن موسى الصودي (ورد اسمه عند البيذق أيضاً)، وأبو محمد عبد العزيز الغيغائي. أما صاحب القرطاس فسمّى أحد العشرة أبا عثمان بن يخلف، وأورد صاحب الحلل الموشية اسمي أبي إبراهيم وإسماعيل بن موسى، وأكد صاحب المعجب على أولية المسمّى عبد الواحد الشرقي فجعله قبل اسم عبد المومن، ومن المحتمل أن عبد الواحد الشرقي هذا هو الذي سمّاه صاحب القرطاس عبد الواحد الحضري. وذكر صاحب المعجب عضواً آخر في الجماعة هو أيوب الجدميوي الذي تولى قسمة الإقطاع بين الموحدنين في أول أمرهم، ثم قال : وانضاف إلى الجماعة خلق من قبائلهم فعُدوا فيهم ونسبوا إليهم.

أ. البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ط. الرباط 1971 (ص 34 - 35) : مجهول، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، الرباط 1971، ص 30 وما بعدها ؛ ع. الواحد المراكشي، المعجب ط. القاهرة 1950، ص 337 - 339 ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ط. الرباط 1973 (ص 176 - 177) ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8 (أحداث سنة 514) ؛ ع. ابن خلدون، العبر، 6 : 469 - 470، بيروت : مجهول، الحلل الموشية، الدار البيضاء 1979، ص 108 - 109 ؛ ع. عنان، عصر المرابطين والموحدنين، ق 1 (173 - 174) ؛ الفريدبيل، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، تر. ع. الرحمن بدوي، بيروت 1981، ص 253 - 263.

أحمد عزواوي

الجَمْرَة، اسم يُطلق على أنواع نباتية برية أو أنواع مزروعة للزينة، تشبه الأقحوان، ولها أزهار ذات لون أحمر أو برتقالي، ككاليندولاً ألكريسانثيس Calendula arvensis، وهي تنتمي مع أنواع وأجناس أخرى إلى فصيلة المركبات Compositae أو النجميات Asteracae. يحتوي الجنس على أنواع أخرى لها أزهار ذات لون أصفر يختلف كثيراً عن ألوان الجمرة.



والجمرة نبات حولي بالنسبة للنعوين المذكورين أعلاه أو معمر بالنسبة للأنواع الأخرى. لها أوراق بسيطة أو مفصصة وأزهار مجتمعة على شكل رؤس ذات ألوان مختلفة تعطي للحقول والهضاب والتلال منظراً جميلاً.

تكثر أنواع الجمره البرية في البيومناخات الجافة وشبه الجافة وشبه الرطبة من الطوابق النباتية لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي.

أنواع الجمره لا أهمية لها بالنسبة للرعي لكنها تستعمل للزينة أو في التطبيب الشعبي لتوسيع الأوعية الدموية بتخفيض الضغط الدموي ولتنظيف الوجه ولعلاج الأضرار اللاحقة بالجلد من الحروق ولدغات الحشرات إلى غير ذلك.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

الجمعة، مدينة وسيطية بناحية الغرب، تعرف أيضاً

بجمعة القراوش وجمعة الحمام وعين القراوش، وهي من إحداه السلطان يعقوب المنصور المريني في موضع غير بعيد عن موقع تافرطاست، بناها تخليداً لمكان دفن والده الأمير عبد الحق بن محيو المريني وأخيه أبي العلاء إدريس بعد مقتلهما على يد بني رياح الهلاليين في معركة وأجرهان يوم 22 جمادى الثانية عام 614 / 26 ستمبر 1217.

تعود أولى الإشارات المتعلقة بظهور هذه المدينة إلى سنة 684 / 1285 بمناسبة صدور أمر يعقوب المنصور لبناء ضريح والده وإحداث مسجد وزاوية بجانبه، وتخصيص أرض زراعية لهما وقفا لجري الضيافة ومختلف الخدمات.

تقع جمعة القراوش عند حد اتصال سهل الغرب بمقدمة جبال الريف على الضفة اليمنى لنهر ورغة، شرق قيادة جرف الملح بنحو ستة كيلومترات، شمال الطريق المتجه من الجرف إلى مدينة فاس، في مكان هادئ كثير المياه، يغلب على سطحه الانبساط جنوب دوار معارف عين قراوش الحالي من مجاري المياه. أما الواد المشار إليه من طرف مارمول كريخال فالمعتقد أنه هو المسمى واد حمد الله المار من جهة الشرق في اتجاه ورغة، وسماه مترجم الكتاب واد الركيلة. ورغم البعد النسبي لهذا الوادي فقد شكل إلى يومنا المصدر الرئيسي للمجال الفلاحي.

ونظراً للموقع الذي احتلته مدينة الجمعة بالنسبة للطرق التجارية المتصلة بالعاصمة المرينية فإنها لم تلبث أن نالت حظها من الانتعاش الاقتصادي بصفتها إحدى محطات المرور في الاتجاهات الأربع مما زاد في اتساع العمران والسكان. ولاشك أن هناك توسعاً أيضاً في المجال الحرفي.

وقد قلقتنا الحيرة والعجب أثناء زيارتنا للمكان لاخفاء جميع معالم المدينة باستثناء المكتشف من آثارها سنة 1980. فلا يظهر اليوم على السطح سوى رسم قاعة مستطيلة طولها 5.35 أمتار وعرضها 4.90 أمتار تتضمن رسم حوض مربع الشكل. كما كشفت الحفريات عن وجود بعض الأعمدة، ونظام للري ينطلق من الشرق إلى الغرب، إلى جانب بقايا من الصناعة الفخارية الوسيطية. إلا أن

الحفريات لم تكشف الغطاء الأثري بعد عن الجوانب الرئيسية التي شيدت حولها المدينة.

فبناءً على ذلك فليس للضريح والزاوية والمسجد الملحقين به اليوم أي أثر. ولعل تتبع المدينة بما تسمح به المصادر القليلة المتوفرة سيساعدنا على تصور حجمها وأنشطتها.

ونشير إلى أننا لا نتوفر على البيانات الكافية الدالة على تقديرات عدد السكان. ففي الوقت الذي اكتفى مارمول بقوله: "كانت أهلة بالسكان في حياة الأمير (يعقوب المنصور) ومن خلفه" وجدنا الحسن الوزان يقدر العدد بشمانية آلاف كانون أي ما يوافق نحو أربعين ألف ساكن، مما يفهم أن مساحة المدينة امتدت إلى التلال المقابلة لضريح سيدي علي العواج.

ولا شك أن ما زاد في إعلاء مقام مدينة الجمعة أيام أبي الحسن المريني إقدامه على تجديد بناء كل من الضريح والزاوية والمسجد وما أضافه من المرافق الأخرى، بل وبما حرص عليه من رفع مردود وقفها بمضاعفة مساحة الأرض المحبسة من محرت أربعين زوجا المسجلة على عهد يعقوب المنصور إلى محرت ثمانين زوجا وخصصت للوافدين على المزارعة والزاوية الأزواق والفوائد العظيمة كما يذكر ابن مرزوق.

بلغت مدينة الجمعة على عهد أبي عنان أوج ازدهارها، إذ أنه أنفق بدوره بمناسبة زيارته لها سنة 758 / 1259 الأموال على الضريح والزاوية لتجميل بنيتهما وزخرفة جدرانها. وقد ترك لنا ابن الحاج النميري في فيض العباب وصفا حيا لضريح عبد الحق المريني. فمنه نعلم أن بناية الضريح كانت ضخمة تتركب من جامع كبير متصل بالقبة شامخ البنيان تظهر عليه آثار الجلالة ودلائل السعادة.

عمرت مدينة الجمعة بعد ذلك زهاء قرن من الزمن في ظروف لا نعرفها إلا من خلال الفوضى التي عمت البلاد في النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) من جراء التنافس الأسري المريني على العرش، مما أدخل المدينة في مرحلة الإهمال وتعرض أوقافها للسطو إلى أن أعلن الحسن الوزان عن التخريب الذي كان سبب نهايتها واندراسها في نطاق المدن المخربة أثناء الجولات الحربية المتعاقبة الجارية بين السلطان أبي سعيد عثمان وأخيه أو قريبه سعيد المريني في مستهل القرن التاسع (15 م).

تظهر درجة الخراب الذي أصاب المدينة من الأوصاف المقدمة من طرف كل من الحسن الوزان ومارمول كريخال، مما يدل على أن الوطاسيين والسعديين بعدهم لم يلتفتوا إليها بتاتا فزادت معالمها بالتدرج اختفاء واندهارا. فالوزان جعل منها مجرد مكان لا توجد به سوى مظامير العرب تحت حراستهم واحتكارهم. ومارمول أضاف إلى ذلك استمرار وجود بعض الطواحين بجوار النهر القريب منها. وبدلنا المصير الذي آلت إليه مدينة الجمعة بعد تخريبها

أنها أصبحت منتجعا ومجالات لعرب الخلط، وقد اشتهر من شيوخهم القائد قرواش على عهد أحمد الزطاسي وكان بجانيه عام 941 / 1534 في غزوة ضد مدينة أصيلا، ومنذ ذلك ارتبط اسم موضع المدينة بالشيخ الخلطي، إذ أن مارمول كرخال سمي المدينة جمعة قرواش. ومازال المكان إلى اليوم يعرف بعين قرواش، وليس هناك ما يدل على سابق عهدها.

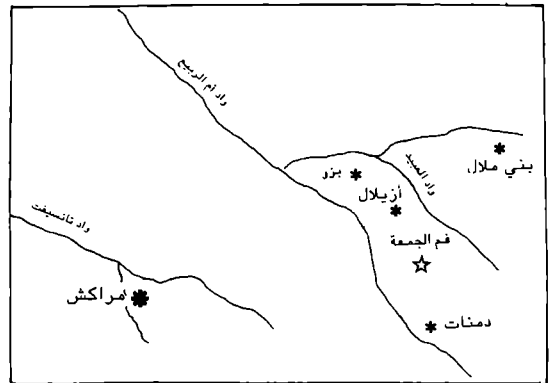
ابن الحاج النميري، فيض العباب، الرباط 1990 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط 1973 : ابن مرزوق، المسند الصحيح، الجزائر 1981 : ابن خلدون، العبر، ج 7، لبنان 1959 : ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط 1980 : مارمول كرخال، إفريقيا، ج 2، الرباط 1989 : أ. الناصري، الاستقصا، ج 4، البيضاء 1955 : ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالشغور الشمالية المحتلة، مرقون، الرباط 1991 : التحري الميداني.

J. Bensliman Hassar, *Ain Karouach un nouveau site archéologique dans le Garb*. B.A.M. 12. 1980 ; M. Kabli, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen âge*. Paris, 1986 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16e siècle*. Alger, 1906 ; Patric Cressier, *Prospection géophysique sur le site médiéval d'Ain Karouach*. B.A.M. 14. 1981.

أحمد قدور

فم **الجمعة**، مدينة تقع على بعد حوالي 130 كلم من مدينة مراكش، في اتجاه شرقيها، غير بعيد عن الطريق التجارية القديمة الواصلة بين فاس ودمنات. وقد كونت في بعض الأوقات - أكبر تجمع بشري، ضمن قبيلة هنتيفة، المنضوية تحت لواء قبيلة هسكورة المندثرة (Répertoire, 468) وتحتل داخل القبيلة المذكورة موقعا وسطا.

أما موضعها فهو شبيه بمواقع مدن دير الأطلس الواقعة عند مخارج الأودية. مثل إم - ن - ن. تانوت وفم الحصن وفم العنصر وغيرها... فهي في مؤخرة دير الأطلس المتوسط الغربي، على ضفتي مخرج شعب من مرتفعات السلسلة الجبلية المذكورة.



يبدو أن بناء فم الجمعة لم يكن وليد إرادة سياسية أو عسكرية، كما أن اختيار موضعها لم يكن عفويا؛ لأنه

يوفر المنعة اللازمة لحمايتها، ويتخلل المجال المحيط بها انبساط وخصب؛ ولاسيما في الجهة الشمالية الغربية. ويخترقها جدول ماء. كما لا يستبعد أنها قد كونت - بعد بنائها - مرحلة في الطريق الواصلة بين دمنات وبزو لاحتلالها موقعا وسطا بين المدينتين. ومن ثم يظهر أن وظيفتها الأولى تجلت في توفير الأمن للقوافل التجارية، التي كانت تتراد تلك الطريق.

أول من أشار إليها - فيما نعلم - هو الحسن الوزان (وصف إفريقيا، 1 : 133)، حيث ذكر أن مدينة الجمعة بنيت في أيامه، وقدر عدد سكانها بنحو خمسمائة كانون. ووصفها بالغنى والنماء قائلاً: "وفيها عيون عديدة وحدائق كثيرة مليئة بكل أنواع الأشجار المثمرة، لا سيما بعدد وافر من أشجار الجوز الضخمة. وجميع التلال المحدقة بهذه الجبال مكسوة بحقول الشعير والكثير من أشجار الزيتون.

كان يستوطنها في ذلك العهد كثير من أهل الحرف والصنائع، ولاسيما الدباغين والسراجين والحدادين. واشتهرت على الأخص، بصناعة صفائح الخيل والدروع التي كانت تصدر إلى مختلف جهات البلاد، ولاسيما مدينة فاس؛ وربما كان تجارها يبادلون سلعهم مع بلاد السودان، إذ يشير الوزان إلى أنهم كانوا: "يستبدلونها بالعبيد والنيلة وجلود بعض الحيوانات التي تعيش في الصحراء". كما كانوا يجلبون الأغذية والملابس وبعض الأدوات من مدينة فاس (م. س).

ولعل بعد فم الجمعة عن بؤر التوتر - في ذلك الوقت - وقربها من مدينة دمنات هو ما جعلها تشهد تلك الحركة التجارية النشيطة بالرغم عن تنكبها عن الطريق التجارية الرئيسية الرابطة بين الجنوب والشمال.

ويتحدث عنها مارمول - بعد ذلك - بنفس العبارة تقريبا. إلا أنه يشير إلى وجود مصانع بها لمعالجة الحديد الذي يحمل منها لبيع على شكل قضبان. وذكر أنها كانت قرية قديمة "فيها مسجد عتيق شهير"؛ ورغم أنها ليست مسورة فإنها شديدة المنعة بسبب موقعها "على صخرة وعرة جداً" (إفريقيا، 2 : 111).

وإذا كنا نجهد كل شيء عن فم الجمعة خلال القرن السابع عشر، فمن المؤكد أن أهميتها قد تزايدت في القرن الموالي، مع دخول الطريقة الناصرية إليها، فقد تأسست بها زاوية ناصرية على يد الشيخ حمزة بن محمد الصغير بن محمد ابن ناصر الدرعي، دعيت منذئذ زاوية سيدي حمزة (طلعة المشتري، 2 : 146 و 15. L. Voinot). وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن بداية زاوية فم الجمعة الناصرية؛ فإن كتاب الدرّة الجبلية في مناقب الخليفة يعطينا بعض الإشارات عن تلامذة ناصريين استقروا بها في تلك الحقبة - القرن الثاني عشر (18 م) - أولهم أحمد بن محمد الهوزالي الذي استوطن بموقع في شمالها الغربي يدعى بوحَم. كان هذا

هنتيفة، في إحصاء سنة 1936، إذ بلغ تعداد سكانها 5728 من بينهم 714 من اليهود (Répertoire, 468). وهكذا يكون عدد سكانها قد تضاعف أربع مرات تقريباً في غضون نصف قرن : من 1500 سنة 1883 إلى 5728 سنة 1936. وهذا ربما كان راجعاً - إضافة إلى العوامل السابقة - إلى شق الطريق الثانوية الواصلة بين بزو ودمنات، الشيء الذي جعل المرور عبر فم الجمعة أمراً إجبارياً ؛ مع ما يترتب على ذلك من رواج تجاري وتوسع عمراني ...

وقد تزايد نمو فم الجمعة بعد سنة 1956 وتوسعها العمراني بتأسيس بعض المنشآت الاجتماعية والإدارية، مثلما حدث في مبادين التعليم والصحة والبريد والداخلية...

ح. الوزان، وصف افريقيا، الترجمة العربية : م. كاربخال، افريقيا، الترجمة العربية : أ. أحمد بن خالد الناصري، طلعة المشتري : محمد بن عبد الله الخليفتي، الدرّة الجليلية، مخطوط.

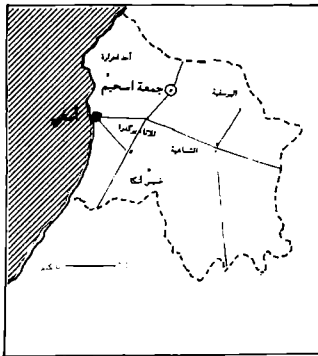
Ch. De Foucauld, Reconnaissance au Maroc : L. Voinot, Les Zaouias de Marrakech et région : Répertoire alphabétique.

أحمد عمالك

جمعة الحمام ← الجمعة

جمعة سحيم، مركز حضري بسهل عبدة يأخذ اسمه عن قبيلة سحيم إحدى أهم فخذات قبيلة ربيعة العربية بعبدة، ويقع على بعد 43 كلم شمال مدينة أسفي على الطريق الوطنية رقم 1 على محور الجديدة - أسفي. ومنذ سنة 1992 رقيت جمعة سحيم إلى مرتبة بلدية بعد أن كانت مركزاً مستقلاً منذ سنة 1957.

تصل مساحة المدار الحضري لبلدية جمعة سحيم إلى 106 كلم²، وتجده الجماعات القروية التالية : من الشمال جماعة لحضّر، ومن الشمال الشرقي احد البخاتي، ومن الشرق جماعتا الكرعاني والمصاييح، ومن الجنوب ثلاثاء بوكدرة، ومن الغرب جماعة سيدي عيسى.



موقع جمعة سحيم

ارتبطت نشأة هذا المركز وتطوره بالسوق الأسبوعي وسط سهل غني وخصب (منطقة التيرس)، حيث يعتبر من أهم الأسواق بالمغرب وأكبر سوق أسبوعي بعبدة.

الرجل عالماً مشاركاً، برع بصفة خاصة في علم القراءات ؛ وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد الخليفة، الذي أمره باستيطان تلك المنطقة. وهناك اشتهر بتدريس كتاب الله، وإطعام الطعام ؛ فانتفع به خلق كثير، وتخرج به تلاميذ عديدون، منهم : محمد الدرعي وإبراهيم الدمناتي وأحمد ابن عياد السكتاني، وإبراهيم بن حسين الابزوي. ولم يزل كذا دأبه في نشر العلم وبشه، ورفع الراية للزائرين حتى وفاته سنة 1134 / 1722 (الدرّة الجليلية، 270 - 271).

وبعده تصدر لتلقين العلم ببوحم من فم الجمعة ولده أحمد بن أحمد الهوزالي، الذي كان عالماً بالمنقول والمعقول ؛ ولاسيما علم القراءات والنحو والفقه والحديث والنوازل. يشير الخليفتي إلى أنه صنف تأليفاً في أحكام القراءات، وأن النوازل كانت تترى عليه من مختلف الجهات.

وثالثهم يدعى إبراهيم أحمد، اشتغل بدوره بالتدريس في بوحم، حتى وفاته بالوفاة الواقع هنالك، سنة 1155 / 1742.

نستنتج مما سبق أن فم الجمعة أصبحت في ذلك العهد مركز إشعاع يؤمه طلبة العلم ومريد والانخراط في سلك الطريقة الناصرية ؛ لاسيما وقد اشتهر بعض رجالها بالعلم والصلاح ؛ الشيء الذي جعلهم يظلمعون ببعض المهام الاجتماعية ؛ كالتوسط في النزاعات والتحكيم في الخصومات، والفصل فيما قد ينزل بالناس من مستجدات تدعو إليها ضرورات معاشهم ومعادهم، وهي أمور لها بالغ الأهمية خاصة في عهد الفترة، حيث اضطرت الأحوال، وعمت الأوجال ؛ وصارت البوادي متروكة بنفسها يأكل قوتها ضعيفها.

ولعل تلاميذ الناصريين وذرية شيخ تامكروت قد استمروا على حالهم فيما بعد، كما يشير إلى ذلك أحمد بن خالد الناصري (طلعة المشتري، 2 : 146).

وحين مر شارل دوفوكو بفم الجمعة، فيما بين 4 و5 أكتوبر سنة 1883 - في وجهته إلى دمنات - لاحظ أن اسم الجمعة لم يعد مطابقاً لها، لأن سوقها الأسبوعي ينعقد يوم الاثنين. ومن ثم دعاها "اثنين نتيبة". (Reconnaissance, 76). وذكر أن ذلك التجمع البشري صار ينقسم إلى ثلاث مجموعات سكنية، تتوزع على ضفتي الجدول المائي الذي يخترقها ؛ وتحيط بها البساتين الغناء، وتكثر حواليتها أشجار الزيتون. وقد عدد سكانها بحوالي 1500 نسمة، من بينهم 200 من اليهود الذين كانوا يمارسون تجارة نافقة، مع دمنات وبزو والقبائل المجاورة.

وفي سنة 1923 يشير فوانو Voinot إلى أن الشيخ المتولى علي زاوية سيدي حمزة بفم الجمعة هو الأمين الناصري ؛ وأن الزائرين ما يزالون يتوافدون إليها من دكالة والشاوية وغيرها ؛ الأمر الذي جعلها تؤثّل كثيراً من الممتلكات التي وقفت جساً عليها (Zaouias, 15).

لكل ذلك صنفت فم الجمعة كأكبر تجمع بشري في قبيلة

على المدينة إعادة هيكلة القرى التي أدمجت في المدار الحضري، وبذل مجهودات جبارة في ميادين متعددة بواسطتها يمكن لها أن تهيكّل ظهيرها الغني.

تحريرات ميدانية : مديرية الإحصاء نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى، الرباط 1971، 1982، 1994.

A. Antona, La région des Abda, Rabat 1950 ;
Chambre Mixte Française d'Agriculture, de Commerce et
d'Industrie de Safi et sa région, Safi et sa région,
Casablanca, 1951.

إسماعيل خياطي

جمعة القراوش ← الجمعة

الجمال، حيوان أهلي من الثدييات العاشبة الكبيرة

الأجسام الطويلة الأعناق والصغيرة الرؤوس. ينتمي إلى رتبة المجترات مزدوجات الأصابع الشثنيات الأرجل Ruminants Artiodactyles. تنتهي القوائم بأصبعين اثنين، لها أظافر ولا حوافر لها كما هو معتاد عند باقي أنواع المجترات الأخرى. ينتمي الجمل إلى فصيلة الإبلات Tylopidae أو الجمليات Camelidae المتكونة من جنس لاما Lama الذي يعيش في القارة الأمريكية و جنس الجمل Camelus. ومنه نمودجان : الجمل ذو سنامين أو الفالج والبختي يسمى علميا Camelus bactrianus وبالفرنسية Chameau وبالإنجليزية Camel ويعيش في القارة الآسوية. والجمال الذي يعيش في الصحراء وفي الجزيرة العربية وفي المغرب وسائر إفريقيا يتوفر على سنام واحد يعلو ظهره يسمى الجمل العربي ويدعى علميا Camelus dromedarius وبالفرنسية Dromadaire وبالإنجليزية Dromedary وبالاسبانية Dromedario وله أسماء كثيرة في اللسان العربي منها الإبل وتطلق على مجموعة من الجمال ذكورها الجمل وأنثاها الناقة وتجمع على نياق ونوق وأنياق وأنوق وأينق وأنوق. وكلمة الجمل تُجمع على جمال وأجمال وجُمل وجُمالة وجمائل. يسمى الصغير بعد الولادة جَدَعًا ومهراً وبعد بلوغه سن الخامسة يدعى بغيراً للذكور والإناث، ويطلق اسم البازل على كل ما تبتت نابه من الإبل وذلك بعد بلوغه السنة التاسعة من عمره.

للجمال عدة أسماء بالبربرية حسب المناطق بالمغرب منها أُلْغَم جِ إلْغَمَان وتالغمت للناقة، آرام وأرغام وأماگور وألْم وأميس يُجمع على إمسان. ضروبه عديدة منها الجمل المهري Méhari نسبة لقبيلة مَهْرَة بن حيدان في اليمن، مشهور بسرعته وبذكائه، يُجمع على مهاري ومهاري.

من الأرجح أن الانسان عرف الجمل منذ ما يزيد عن عشرين قرنا قبل المسيح، ودجّنه ليقدّم له خدمات عديدة في المناطق الصحراوية كحمل البضائع والأسفار والحِث، وما يزال هذا الحيوان يلعب دورا هاما في حياة الانسان

تقدر عدد الخيام التي تنصب فيه أسبوعيا بـ1300 خيمة، إضافة إلى ما يعرض فيه من الأعداد المهمة من الماشية (1200 رأس من الأبقار و1500 رأس من الأغنام)، وتصل مداخيله إلى أكثر من 3.5 مليون درهم سنوياً.

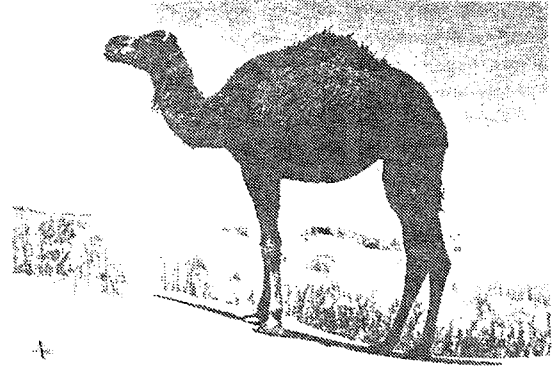
ورغم أن جمعة سحيم صفت مركزاً مستقلاً، منذ عقود، فإن جفاف المنطقة وقربها من مدينة أسفي ومراكز أخرى كسبّت كزولة وثلاثاء بوگدره جنوباً وخميس الزمامرة شمالاً، إضافة إلى عدم توفر الظروف لتطور أنشطة اقتصادية أخرى، لم تجعل هذا المركز يعرف تطوراً ملموساً إلا في العقد الأخير. وهكذا فإن عدد السكان تراجع في الستينات لكنه تضاعف خلال السبعينات وتزايد بنسبة تفوق 150٪ خلال الفترة ما بين 1982 و1994 كما يوضح الجدول التالي :

| السنوات | 1960 | 1971 | 1982 | 1994 |
|------------|-------|-------|-------|--------|
| عدد السكان | 3.265 | 2.482 | 5.157 | 13.548 |

وقد أدى موقع جمعة سحيم على محور مهم للمواصلات بين الشمال والجنوب إلى تحولات مجالية واضحة، ذلك أن المركز يتكون من عدة وحدات مجالية منفصلة على طول الطريق الوطنية رقم 1. فبالإضافة إلى بعض القرى الأصلية التي تحيط بالبلدية هنا وهناك، كدواوير شهدة وأولاد ميمون والعميرات وأولاد عزوز وأولاد التومي والجدبان وغيرها، هناك عدة تجزئات مجهزة طبقاً لتصميم التهيئة المصادق عليه بتاريخ 17 يونيو 1981 كتجزئة الدولة، وتجزئة وادي المخازن، وتجزئة تعاونية عبدة، وتجزئة باكريم... ويعتبر المحي الإداري والشارع الرئيسي أهم هذه الوحدات المجالية. فبالإضافة إلى الإدارات المتعددة المتفرقة بالمدينة، هناك محاولة لخلق نواة إدارية محورها البلدية والباشوية في الشمال الشرقي، ثم هناك الشارع الرئيسي الذي تتركز به أهم الأنشطة التجارية (بجمعة سحيم 150 دكانا و15 مقهى شعبي و12 جزاراً ومحطتان للوقود)، الشيء الذي يعني أننا بصدد محطة طريقية لا تتطور بنفس الوتيرة التي تتطور بها مراكز أخرى في موقع مشابه وبنفس الإقليم كسبّت كزولة مثلاً.

غير أن مركز جمعة سحيم يتوفر على عدة عوامل يمكن أن تساعد على الزيادة من نموه مستقبلاً، من أهمها توفره على بنيات إدارية قادرة على التطور وعلى استيعاب التغيرات المرتبطة بالتحوّل الزراعي للمنطقة موازاة مع تجهيز الشطر الثاني من الدائرة السقوية العليا لقطاع عبدة ودكالة قبل نهاية هذا القرن. إلا أنه يظل مركزاً ناقص التجهيز، حيث لم تعمم بعد التجهيزات الجماعية من كهرباء وماء شروب وواد حار، إذ لا تتجاوز نسبة المستفيدين من هذه التجهيزات 50٪، الشيء الذي يفرض

الاجتماعية والاقتصادية (التغذية واللباس والصناعة التقليدية بواسطة الجلود والوبر).



لا يُعرف لهذا النوع أفراد متوحشة في أيامنا هذه. كثيراً ما يُجعل من الفالج ذي السنامين فحلاً للنوق فتولد منها البختات أو البختي وهو نتاج مركب يسمى في خراسان Boghdi وهو فالج ذو سنامين قابل للتوالد كالفحل الأب مما جعل المصنفين في علم الحيوانات يتضاريون في فصل النوعين ذي سنام واحد وذو سنامين، ومنهم من يعتبرها ضروريا تنتمي إلى نوع واحد.

الجمل العربي وحيد السنام شائع عند مربي المواشي في المناطق الجافة وشبه الجافة في المغرب. يفوق علوه عند الغارب مترين ويبلغ علوه إلى قمة الرأس 2.5 أمتار. يتعدى وزنه أحيانا 500 كلف وشائع بين 350 و400 كلف. وللمقارنة فإن الجمل ذا السنامين يصل وزنه إلى 700 كلف وطوله جمعا بين الرأس والجسم ثلاثة أمتار ونصف وعلوه يفوق المترين.

يعلو ظهر الجمل العربي سنام وهو عبارة عن خزانات دهنية وطاقية تمكن الحيوان من البقاء والصبر على ما يزيد عن أربعة أيام بدون أكل وشرب، وهذا نتاج سيرورة تتكيف مع الحياة الصحراوية والسهبية الشاقة. تنتهي قوائمه الطويلة بأطراف عريضة تساعده على المشي في الأماكن الرملية. يكسو جسمه وبر ناعم متوسط في بعض الأماكن يقي الحيوان من الحرارة اللاسعة في النهار ومن البرد أثناء الليل. تتوفر الجفون على أهداب طويلة، المناخير ذات عضلات بإمكانها الإغلاق بإحكام، وهاتان الخاصيتان من الاحتياطات التي يتمتع بها الجمل لمواجهة الزوايح الرملية في المناطق الصحراوية. النصف الأمامي من الفك العلوي يبدو خاليا من الأسنان حيث لا يحمل إلا نابا وقارضة في كل جانب، صيغة أسنانه كالتالي : 1/3 قوارض، 1/1 أنياب، 3/2 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 34 سنا، وتُقرَّب هذه الصيغة من الغنم والمعر.

تنخفض حرارة الجسم ليلا لتبلغ 33.7 درجة مئوية وترتفع إلى 40.5 درجة مئوية في الأوقات المرتفعة نهاراً وذلك لكي لا تياثر الجمل بالتفاوت الحراري ما بينه وبين المحيط الخارجي. يحتوي الجلد على كمية قليلة من الغدد

العرقية، والعروق الدموية التي تغذي الجلد غليظة تُعرض لتبخر الماء من الدم مما يجعل مكونات الدم قليلة التغيرات ويتماشى هذا مع انقطاع الجمل للأكل والشرب عدة أيام. في استطاعة الجمل أن يتناول 100.90 لتراً دفعة واحدة بعد عطش ثلاثة أيام ولا يمكنه أن يتحمل العطش أكثر من خمسة أيام يقوم خلالها بعمل شاق ويمكنه أن يتخلى عن الماء أكثر من أسبوع في حالة الراحة.

يعمر الجمل حوالي أربعين سنة وتكثر حرارته الحيوانية "Rut" خلال فصل الخريف، فيكثر رُغَاؤُه ويزداد قلقه، وكثيراً ما يخرج من فمه غشاء أحمر كروي الشكل أثناء غضبه. تدوم مدة الحمل 12-13 شهراً وتضع الناقة عادة صغيرها ما بين شهر يناير ومارس، يقف الصغير على أرجله بعد ثلاث ساعات بعد الولادة ويتعلم المشي بعد خمس ساعات.

تعود الناقة إلى قطيع الإبل لترعى مع صغيرها بعد يومين أو ثلاثة فيتغذى من لبن أمه ريثما تنبت أسنانه فيأكل الأعشاب ويُحزَم ضرع الناقة ليبقى الحليب للمالك الإبل ولا يرضع الصغير الحليب إلا نادراً. جل المغاربة في الجنوب ينتجون الجمال ومنها معابشهم وهي أكثر مكاسبهم.

تتكون القطيع من الإبل في المناطق الجنوبية المغربية من عشرة إلى مائة فرد وأحياناً أكثر، تأكل الأعشاب ويُقدم لها أحياناً الكلال وحبوب الشعير ويتراوح عدد رؤوس الجمال في المغرب ما بين 33.000 و46.000 كما يوضح ذلك الجدول الآتي :

| | | | | | |
|-------|-------|-------|-------|-------|-------|
| 1986 | 1985 | 1984 | 1983 | 1982 | 1981 |
| 37421 | 39951 | 41108 | 42559 | 46881 | 46732 |
| | 1992 | 1991 | 1990 | 1988 | 1987 |
| | 38845 | 32563 | 33775 | 35797 | 40778 |

تشتهر المناطق الجنوبية والشرقية من بلادنا بعدة أسواق مخصصة لبيع الجمال نذكر منها سوق غلميم، ويفضل مربي الإبل شراء الأتيق الصغيرة التي لم تُنجب بعد. يعتني الراعي بقطيع إبله فتألفه وبألفها، وكثيرا ما يعود بعض الأفراد إلى صاحبها بعد بيعها رغم المسافات الطوال مما يدل على الارتباط بمكان الولادة.

يتمتع الجمل بحاسة شم قوية حيث يمكنه التعرف والتنبؤ بقطيع الإبل على بعد يتعدى ستة كيلومترات.

يقدم الجمل للإنسان عدة خدمات كاستعماله لحمل البضائع المعروضة في الأسواق ونقلها من سوق لآخر مما أدى إلى تسميتها بالقوافل التجارية المشهورة عند العرب منذ قدم العصور. كما أن الجمل استعمل في حمل السلاح إلى

جانب استعماله في الحرث والسفر وحمل خيام الصحراويين الرحل.

يقطع الجمل مسافات تتعدى 160 كلم في يوم واحد بدون توقف وذلك بسرعة يقدر معدها بستة عشر كلم في الساعة مما يجعل منه حيواناً أسرع من الفرس في المسافات الطوال. تنظم في المناطق الجنوبية مسابقات للجمال وتعطى جوائز تشجيعية هامة لأفضل المربين.

تعيش بداخل أمعاء الإبل عدة أنواع من طفيليات الخيطيات Nematoda يتبادلها مع الغنم والمعز إلى جانب عدة أنواع من البراغيث والقراة تعيش على جلوده، وكثيراً ما تصاب الجمال المسنة باضطرابات مرضية ناتجة عن يرقات الدودة الوحيدة Echinococcus granulosus التي تسبب مرض Hydatitose.

م. الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، بيروت، 1988.

Annuaire statistique du Maroc. 1986, 1990, 1994.

محمد رضاني

* * وعن تاريخ دخول الجمل إلى إفريقيا واستخدامه ببلاد المغرب لا يعرف ذلك بنوع من الدقة. ذكر R. Mauny أن الصحراء الافريقية عرفت وجود نوع من الجمال يعرف باسم Camelus Thomazi منذ البليوليتي Paléolithique الأوسط. وأضاف أن الجمال دخلت بلاد مصر بواسطة شعوب الهكسوس بعد سنة 1680 ق. م، لأن هيرودوت تحدث عن استخدامها في الجيش من طرف المصريين بعد هذا التاريخ. ثم وجدت بأعداد قليلة في غرب وادي النيل منذ بداية القرن الثالث ق. م (Tableau géographique. 287 - 288). وذهب كل من Gidinho و Gautier إلى القول بأنها دخلت بلاد المغرب في القرنين الثالث والرابع الميلاديين (le passé, 182 و l'économie. 100). في حين ذهب آخرون إلى أن ذلك تم في القرن الثاني الميلادي (His. générale de l'Afrique, 384) ومهما يكن من أمر فإن أغلب هذه الآراء تربط بين شيوع استخدام الجمل ببلاد المغرب وسيطرة الرومان على هذه المناطق.

كان لتعاطي عدد كبير من قبائل بلاد المغرب للترحال أثر كبير في تكاثر قطعات الإبل بالصحراء الواقعة بين واحات المغرب الأقصى وحوض وادي السنيغال التي ظلت أهم منطقة لتربية الجمال في الصحراء الافريقية عبر العصور. فقد تعاقبت على شغل هذا المجال جموع صنهاجة الجنوب وزناتة وعرب المعقل، وكلها قبائل اعتمدت الظعن والنجعة ببلاد القفر، وكان الجمل خير معين لها على التأقلم مع هذا الوسط الطبيعي لما يمتاز به من الخصائص مقارنة مع غيره من الحيوانات.

تظل صنهاجة الرمال أكثر هذه القبائل تعاطيا لتربية الإبل. ومرد ذلك إلى قدم عهدتها في الاحتكاك بمناطق

القفر. على خلاف زناتة التي ولت ظهرها لهذا المجال ابتداءً من القرن السابع (13 م) وكذلك الشأن بالنسبة لذوي عبيد الله وذوي منصور من عرب المعقل الذين نزحت أغلب بطونهم نحو مناطق الشمال ولم تعد حاجتهم ماسة إلى الجمل كما كان عليه الحال ببلاد الصحراء. أما ذوي حسان منهم فلم يعجزوا عن الظعن كباقي بني عمومته واستمروا على التنقل بصحراء بلاد المغرب إلى جانب من بقي من بطون صنهاجة بها. فلازموا الجمل واعتنوا بتربيته لما تقتضيه الضرورة وحاجة الإنسان ببلاد القفر. وهذا ما يفسر وجود الجمال بأعداد وفيرة في صحراء بلاد المغرب منذ أقدم العصور وإلى أيامنا هذه.

لا تجود المصادر التاريخية والجغرافية بالكثير من المعلومات عن أعداد قطعان الإبل ببلاد الصحراء. ذكر ابن حوقل في القرن الرابع (10 م) أن سكان صحاري بلاد المغرب الأقصى لهم من الجمال ما لا تدانيها في الكثرة إبل العرب (صورة الأرض، 95) وذكر ابن أبي زرع في معرض حديثه عن استنجد أهل سجلماسة بعبد الله بن ياسين، أن هذا الأخير خرج من بلاد الصحراء في الموفى عشرين لصفرة سنة 447 / الأحد 21 ماي 1055 م في جيش عظيم من المرابطين. ولما وصل بلاد درعة أخرج عنها عامل سجلماسة ووجد في مراعيها خمسين ألف ناقة كانت في ملكية الأمير مسعود بن وانودين المغراوي (القرطاس، 128). وذكر ابن عذاري أنه في مفتتح عام 450 / 1058 م خرج الزناتيون من مغراوة عن طاعة المرابطين فنهض إليهم أبو بكر بن عمر من سجلماسة إلى درعة فقاتلهم وغنم إبلهم ومواشيهم (البيان، 4 : 15). ووردت في بعض المصادر أيضاً معلومات قليلة عن أعداد الإبل المستخدمة في الحروب من طرف صنهاجة الجنوب التي اشتهرت بالبسالمة والجرأة والفروسية على الإبل حتى صار هذا النوع من القتال فناً خاصاً بها وأسلوباً مميّزاً عن غيرها. فقد كان الأمير تيلوتان بن تگلان أمير صنهاجة المتوفى سنة 222 / 837 يركب في مائة ألف نجيب (البكري، 159) وكان يعتمد في حروبه على الإبل لإضعاف صفوف الخصم، بأن كان ينفرها ويصوبها نحو معسكر الأعداء على حين غفلة فتأتي على جميع من بها دوساً لهم ووطناً عليهم (صورة الأرض، 98). وذكر البكري أيضاً أن المرابطين اتجهوا للسيطرة على سجلماسة أول مرة بعد تخطيهم الحافة الشمالية للصحراء في حملة قوامها ثلاثون ألف جمل (ص 167).

تؤكد هذه الإشارات - على قلتها - وجود أعداد كثيرة من الجمال في مناطق واحات المغرب الأقصى والصحراء الواقعة جنوبها. فقد وجد هذا الحيوان في هذا الوسط الطبيعي الظروف الملائمة لنموه وتكاثره بشكل جيد. فالجمل يفضل الأعشاب الشوكية لما فيها من ملوحة، كما أنه لا يوافق إلا الماء المالح. ومعلوم أن أغلب ما ينبط ببلاد

نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا إلى الماء نحرروا واحداً منها وترمقوا بما في بطنه (آثار البلاد، 19 : وصف أفريقيا، 169).

وعموماً فإن الجمال ظل أهم وسيلة للتنقل ببلاد الصحراء وخير معين على تأقلم الإنسان مع سبل العيش بها. لذلك اعتبر البعض أن استخدامه في ذلك الوسط القاحل في العصور الغابرة أحدث ثورة اقتصادية يمكن مقارنة نتائجها بدون مبالغة مع نتائج ما أحدثته استخدام السكك الحديدية والسيارة والطائرة في العصور الحديثة (Le passé, 195).

يوجد اليوم بالمغرب نوعان من الجمال يحمل كل منهما اسم القبيلة التي اشتهرت بتربيته. وهما الجمال الشبانية نسبة للشبانان وجمال الركيبات نسبة للقبيلة التي تحمل نفس الاسم وتسمى أيضاً بالمهاري. وهذه الجمال من ذوات السنم الواحد، والاختلاف بينها في كون النوع الأول له قدرة فائقة على تحمل الأثقال رغم صغر حجمه، في حين يمتاز الثاني بضخامته وسرعته في قطع المسافات (Le Tafilalet, 102).

ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، 1979 : أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، باريس، 1965 : ش. الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957 : ابن عذاري، البيان، ج 4، بيروت، 1983 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1970 : ع. ابن خلدون، العبير، ج 7، بيروت، 1988 : ح. الوزان، وصف أفريقيا، ج 2، الرباط، 1982 : مارمول، أفريقيا، الرباط، 1984.

R. Faure. *Le Tafilalet : étude d'un secteur traditionnel d'irrigation*. Paris, 1969 ; R. Mauny, *Tableau géographique de l'ouest africain d'après les sources écrites : la tradition et l'archéologie*, Dakar, 1961 ; Codinho. *L'économie de l'empire portugais, XV-XVIè*, Paris, 1930 ; *Histoire générale de l'Afrique, II Afrique ancienne*, Paris, 1987 ; Gautier, *Le passé de l'Afrique du Nord*, Paris, 1964.

حسن حافظي علوي

الجمال، (مغارة -) بجبال بني إزناسن في المغرب

الشرقي : تنتشر مغارات عديدة ذات قيمة تاريخية وعلمية وسياحية بجبال بني إزناسن كمغارة - إيفري انتافاغين وإيفري الغولا، ومغارة الحمام ومغارة الجمل، وتعتبر هذه الأخيرة من طرف المتخصصين في ميدان الجيومورفولوجيا أنها كارست باطني من الأحجام الكبيرة.

تقع مغارة الجمل عند ملتقى خط طول 778.6 كلم وخط عرض 475 كلم، وارتفاع 55 م. وتوجد على بعد حوالي 72 كلم من مدينة وجدة، و 12 كلم جنوب مدينة بركان على الطريق الثانوية الرابطة بين بركان وقصرية تافوغالت عبر خوانق واد زكزل وتغاسروت، وتنتفتح مغارة الجمل في السفح الجنوبي لجبل أغيل أعشام، بين خانقي واد

الصحراء يكون زعاقاً لأن أغلب أراضيها سبخة (البكري، 157) لذلك عرف قطاع تربية هذا الحيوان حيوية ونشاط كبيرين مقارنة مع تربية غيره من الحيوانات، حتى إن ثمن الفرس الواحد من خيول الصحراء كان يصل في بعض الأحيان إلى ألف مثقال أو مائة بعير كما هو الحال في القرن العاشر (16 م) حسب شهادة الوزان (وصف أفريقيا، 2 : 263).

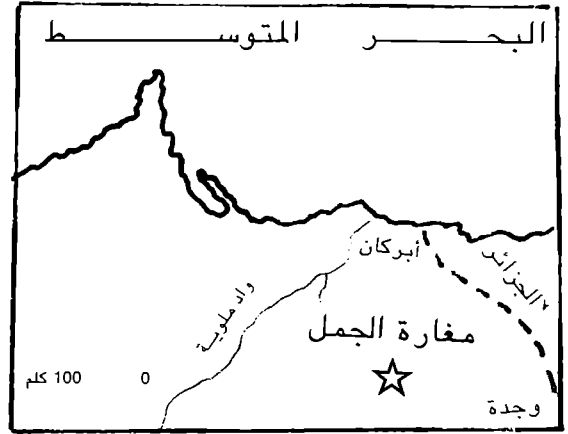
ولاشك أن انتعاش قطاع التجارة الصحراوية عبر المسالك العربية في القرن الرابع (10 م) قد شجع سكان بلاد الصحراء على التعاطي لتربية الإبل بشكل مكثف. فقد تزايد الطلب على هذا الحيوان لأنه كان وسيلة النقل الوحيدة القادرة على إنجاح الرحلة في اتجاه بلاد السودان عبر الصحراء الكبرى. ذكر الإدريسي في القرن السادس (12 م) أن تجار أغصمات الذين كانوا يسافرون إلى بلاد السودان بمختلف أنواع السلع كان منهم في القافلة المائة جمل والسبعون والثمانون جملاً كلها موقورة (وصف إفريقيا الشمالية، 42). كما وصلت أعداد الإبل في بعض القوافل في العصر الوسيط إلى اثني عشر ألف راحلة (العبر، 7 : 70).

كانت سجلماسة في القرن الثامن (14 م) أهم سوق لبيع الجمال ببلاد المغرب حسب شهادة ابن بطوطة (الرحلة، 2 : 773) وليس هناك ما ينفي أن هذه المدينة قد لعبت نفس الدور في المراحل السابقة لهذا التاريخ. بالنظر للمكانة التي كانت لها في الإشراف على التجارة الصحراوية طيلة قرون عديدة من التاريخ الوسيط، وبالنظر لتزايد طلب التجار على هذا الحيوان بعد أن أصبحت المسالك التجارية الغربية تخرق وسط الصحراء للمرور بملاحة تانتال، التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم تغازي، ابتداء من القرن الخامس (11 م).

هكذا مثل الجمال وسيلة النقل الأكثر استعمالاً بمناطق بلاد الصحراء من قبل المشتغلين بالتجارة الصحراوية، فهذا الحيوان يستطيع حمل ما بين 120 و150 كيلوغرام، ويمكنه قطع ما بين ثلاثين وأربعين كيلومتر في اليوم الواحد، واليوم من المشي يتراوح ما بين عشر وإحدى عشرة ساعة، أي يسير بمعدل 3 إلى 4 كيلومتر في الساعة. علماً بأن القوافل كانت تسير الساعات المتأخرة من الليل والساعات الأولى من الصباح ثم تحط الرحال وقت ارتفاع درجة الحرارة لتتابع السير في أول وقت العصر (Tableau géographique, 395 و L'économie, 113 و وصف أفريقيا الشمالية، 18).

وبالإضافة إلى قدرة الجمال على حمل الأثقال وتحمله قساوة الظروف الطبيعية ببلاد الصحراء فإن التجار المتجهين إلى بلاد السودان كانوا يعمدون إلى اصطحاب جمال نارغة من الأحمال ويعطشونها قبل ورودها الماء لتتناول منه الكثير ثم يشدون أفواهها حتى لا تتجتر. فإذا

الفروج وواد مولاي إدريس اللذين يرفدان واد زكزل.



أما من الناحية الجيولوجية فقد تكونت المغارة في الصخور الكلسية - الدولوميتية ذات النفاذية العالية التي ترجع إلى الزمن الجيولوجي الثاني : إلى اللياس الأسفل من عصر الجوراسي، وتشكل هذه المواد هوامش جبال بني إزناسن حيث مواد القاعدة القديمة من شست وكرانيت، الجزء الأوسط.

تعرف مغارة الجمل جهويا بتسراكووت وتعني بالبربرية البئر، أو السرداب الذي يمتص الإنسان فيتيه بداخله، إلا أن هذه التسمية في الواقع لا تتطابق مع الاسم الذي جاءت به "مغارة الجمل" لأن اسم أو مصطلح "الجمل" يقابله بالبربرية "ألغم" وأصلاً أطلق هذا الاسم "مغارة الجمل" لأن بداخل المغارة شكلاً ضخماً على هيئة جمل (الصورة 1) وأهل المنطقة يعرفون هذا جيداً.

والجمل شكل نحت في المغارة لا شكل تساقط، وقد نسجت حوله مجموعة من الأساطير، أهمها أن النساء اللواتي لا ينجبن يزرن هذا "الجمل" ويظفن حوله على أمل الإنجاب.

تتكون مغارة الجمل من ثلاثة مستويات أو طوابق : المستوى الأرضي أو الأسفل، المستوى الأوسط ثم المستوى الأعلى ؛ ويمكن الدخول إليها عبر مدخلين : مدخل أسفل يوجد على مستوى 5 أمتار من سليل واد الفروج ويعتبر أصل "العين" أو النبع La Résurgence الذي تتدفق منه المياه خلال فترة نشاط المغارة، وهي توافق بالطبع الفصل المطير من السنة.

وهذا المدخل الأسفل يأخذ شكلاً دائرياً يصل قطره إلى 5.5 م أما المدخل الثاني فهو المدخل العلوي الذي ينفتح في سفح جبل أغبل أعشام ويوجد على علو 50 م من مستوى سليل واد الفروج وهو نصف دائري يصل قطره إلى 20 م . أ - المستوى الأرضي : وهو المستوى الذي يرتبط مباشرة بالمدخل الأسفل أو النبع وهو ينقسم إلى رواق رئيسي وأروقة أخرى ثانوية متفرعة عنه. ويأخذ الرواق الرئيسي اتجاه غرب - شرق ويمتد على مسافة 40 م، ثم ينعرج ليأخذ اتجاه شمال - جنوب على مسافة 80 م، كما أن جدران

مغلقة بغطاءات من الكلسيت (les draperies) وتراكمات كاربوناتية أخرى مختلفة الأحجام.

وينتهي هذا الرواق في قاعة كبرى تصل مساحتها إلى 750 م. وهي ذات الأبعاد التالية : الطول 30 م والعرض 25 م. والعلو 60 م، ومن هذه القاعة الكبرى تتفرع شبكة من الأروقة الضيقة ذات الاتجاهات المختلفة.

يوجد المستوى الأوسط أو الانتقالي فوق المستوى السابق ويتم الوصول إليه عبر حافة وعرة جد مائلة يصل مداها إلى حوالي عشرة أمتار انطلاقاً من القاعة الكبرى أو القاعة المركزية التي تميز المستوى الأرضي. ويُميز هذا المستوى مدخل طويل يمتد على مسافة 60 م ويأخذ اتجاه شمال - جنوب، ثم رواق ضيق ينتهي بقاعة كبرى تكسو جدرانه غطاءات كاربوناتية ملساء، وأحياناً قد تأخذ هذه التراكمات الكاربوناتية شكل نوازل وصواعد.

المستوى الأعلى : هو آخر مستوى نصل إليه بعد اجتياز حافة صعبة انطلاقاً من المستوى الأوسط. وهذا المستوى الأعلى عبارة عن رواق مستطيل الشكل يمتد على مسافة 65 م إلى غاية المدخل المعلق، وهو يأخذ اتجاه شرق - غرب. ويبقى دور تحمل الكلس جد مهم عند هذا المستوى حيث إن التراكمات الكاربوناتية تأخذ أشكالاً مهمة ومتنوعة. من غطاءات وتغليفات لجدران المغارة، وتدفقات في شكل نوازل وصواعد، وأهمها التدفق الذي يأخذ هيئة "جمل". وأحياناً أخرى نجد سراديب كارستية مهمة.

إن هذا التنوع من حيث الأشكال الباطنية : شبكة وسراديب وقاعات، جعل مغارة الجمل تكتسي أهمية بالغة من الناحية الجيومورفولوجية الكارستية ولاسيما لشيخوتها : إذ أن عمر المغارة بالنسبة لجيومورفولوجية السطح، حيث إن مغارة الجمل عبارة عن مجرى مائي باطني يمكن إرجاعه إلى الظروف المناخية السالفة من التاريخ الجيولوجي للمنطقة خاصة خلال الفترات الرطبة التي سمحت بتكوين مثل هذه الشبكة الكارستية الباطنية.

ومن الناحية الليتولوجية (الصخرية) تتميز المغارة بوجود طاقم كبير من الصخور الكاربوناتية. المثلثة في الصخور الكلسية الدولوميتية - اللياسية / الجوراسية، والكونغولوميرا الميوسيني التي تتميز بالنفاذية العالية.

قد تكون العمليات الميكانيكية لعبت دوراً في إفراغ القاعات، ثم إن المياه العدوانية ساهمت باستغلال الشقوق والانكسارات الموجودة في الصخور محلياً، والتي هيأت وسطاً ملائماً وسمحت بتكوين مختلف الأشكال الباطنية.

تعرف مغارة الجمل حالياً نشاطاً واضحاً خلال الفترات الممطرة من السنة حيث يرتفع مستوى المياه ليصل الصيب عند النبع La Résurgence إلى 80 ل / ث وقد يتعدى إلى 1184 ل / ث كما حدث بتاريخ 7 / 4 / 1972.

أما خلال الفترات الجافة فقد يتحول داخل المغارة إلى مجموعة برك محصورة وقد تجف تماماً.
بحث ميداني.

عبد الخالق غازي

الجمال، أسرة فاسية من ذرية الشيخ الصوفي علي بن عبد الرحمان العمراني الشهير بالجمال المتوفى بفاس عام 1194 هـ / 1780 م. وقد اشتهر من هذه الأسرة علمان بممارستهما لفن الموسيقى الأندلسية أواخر القرن الثالث عشر (19 م) أخذ عنهما بعض مسعلمات هذا الفن عالم الرباط المشارك إبراهيم التادلي خلال إقامته للدراسة بفاس، وأتى على ذكرهما من بين أساتذته في الموسيقى في كتابه *أغاني السيقا*. وهما رشيد والغالي.

الجمال رشيد، تعلم الموسيقى على يد الحاج حدو ابن جلون الفاسي، وفاق استاذة في جمال الصوت، "فقد كانت له في صوته ترنيمات إذا أرسلها أذهلت الألباب" وإلى ذلك فقد كان آية في ضرب الرباب. كان حياً في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

إبراهيم التادلي، *أغاني السيقا ومعاني الموسيقى*، مخطوط، الفصل 5 من الباب 7. ص. 76-77.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الجمال علي بن عبد الرحمان بن محمد الحسني العمراني، صوفي كبير من شرفاء بني عمران، دفين قبيلة بني حسان القريبة من تطوان، ينتهي نسبه إلى عبد الله بن إدريس بن إدريس، اشتهر بلقبه الجمال اسم الحيوان المعروف، لأنه وجد مرة بعييراً راقداً في الطريق فرفعه بقوته ووضع خارج الطريق. فقال من شاهده: هذا هو الجمال حقيقة، فلقب من يومه بالجمال. ومن العجائب قول الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: وهو لقب عند ملائكة الرحمن بالجمال.

استوطن فاساً مدة وأخذ بها عن أبي عبد الله جسوس التصوف، وأولع بعقيدة التوحيد الخاص الذي قد يؤول على مذهب وحدة الوجود وكتبها وقوانينها، وألف كتاباً في ذلك، والتحق بخدمة المخزن. ثم تخلى عنها وهرب خائفاً إلى تونس وأخذ عن صوفيتها، ثم رجع إلى المغرب فلقى بمدينة وزان عام 1153 هـ الشريف الطيب الوزاني وأخذ عنه. ثم أم فاساً واتصل من عامه بشيخه العربي بن عبد الله معن الأندلسي ولازمه للخدمة ستة عشر عاماً، انتقل بعدها إلى تطوان فأخذ بها عن شيخ مغمور يسمى عبد الله الشريف، ولازمه عامين وتخرج به. وعاد إلى فاس فانتصب للتربية الصوفية بعد وفاة شيخه العربي معن وأخذ عنه الجم الغفير، وأشهر تلامذته الشيخ العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية وفروعها بالمغرب وغيره، وأسس زاويته

الشهيرة بحومة الرميطة من عدوة الأندلس بفاس وظل بها إلى أن توفي، له ولمريديه أحوال غريبة انتقدتها عليهم الشيخ ابن عبد السلام الناصري في كتاب المزايما فيما أحدث من البدع بأم الزوايا، له رسائل صوفية مدونة في مجلد مازالت تقرأ إلى الآن بزوايته، سمعت بعضها ثمة من مريديها.

كانت وفاته عشية السبت 29 ربيع الأول عام 1194 / فاتح أبريل 1780 هـ ق وقد جاوز المائة من عمره.

أ. الرهوني، *عمدة الراويين في تاريخ تطوان*، مخطوط، 4 : 53 ; م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 360 طبع حجر بفاس.

محمد بوخيزة

الجمال الغالي شقيق رشيد. سابق الترجمة، وكان جيد العزف على الكمان. وعاش مثله في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

إبراهيم التادلي، *أغاني السقا ومعاني الموسيقى*، الفصل الخامس من الباب السابع، ص. 76-77.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الجمال محمد عامل تطوان من قبل السلطان مولاي سليمان نيابة عن القائد السيد أحمد بن محمد فتاح العرائشي، وبقي المترجم عاملاً بالنيابة إلى أن جمع مالا كثيراً من دار الأعشارو (الصاكة) وغيرها، وسافر به للحضرة السلطانية (فاس) وبقي بها، فولى السلطان بدله القائد الحاج عبد الرحمان اشعاش للمرة الثالثة. كان هذا بعد عام 1220 / 1805.

أ. الرهوني، *عمدة الراويين*، مخطوط، 2 : 47 : مختصر العمدة، ص 79 مخطوط.

محمد بوخيزة

الجمالية، زورق ضخم يتميز بجؤجؤه الحاد وكوثله المربع، كان يستعمل بمرسى أبي رقرق كقفلك لنقل الركاب والبضائع ما بين السفن الراسية عند مدخل المصب ورصيف المرسى معتمداً فقط على المجاذيف. وقد ظل هذا النوع من الزوارق مستعملاً بمصب أبي رقرق حتى منتصف القرن العشرين.

Brunot, *La mer dans les traditions...*, 249.

حسن أميلي

الجماني، (أهل -) إذا كان البحث التاريخي والتخصص الجغرافي يطمح لإنارة المسكوت عنه في تاريخ قبائل وادي نون. فإن الاقتصار على الفخذات بالرغم من أهميته البارزة في حصر النتائج على مستوى أكثر تصغيراً لا يتأتى إلا من خلال تفكيك بنية المكونات إلى

أبسط درجات الانشطار التفصيلي وبالتالي ضرورة الحفر في خصوصيات العائلات منفردة من أجل تكوين صورة أكثر موضوعية وقابلة لتغيير التوجهات والاهتمامات، بمعنى المرور من سطح الميكرو قبلي قصد فهم ميكانيزمات الماكرو قبلي.

وإذ يعد أيت حماد أعلي - بالرغم من صعوبة التدقيق فيهم - أضخم وأهم فصيلة مكونة لقبيلة أزواقيط بوادي نون، في وضع تحتفظ فيه أسرة أهل المعطي بوضعية سيادية ونافاذة منذ مدة من الزمن (معلمة، 2-365)، فتطبيق هذا النموذج عليها يمكننا من رصد أو مخالفة أهم المعطيات الكامنة وراء التجربة التاريخية لعائلة أهل الجُماني، إحدى الأسر المنتمة لأهل المعطي مع استنطاق الظرفية والمتغيرات المجالية والخصوصيات المرتبطة بأفراد هاته العائلة.

إن انتقال أهل المعطي من أوزرولت إلى أسير جاء على ما يبدو وليدا للتنقلات الجيومجالية التي عرفتها قبيلة أزواقيط والتي كرس هذا المدشر كمرکز هام وحيوي للقبيلة تتأطر عبره أهم الوظائف الاقتصادية والسياسية الداخلية والخارجية، لذلك فإن المعطي الذي وفرت له أملاكه الواسعة والمتمثلة في قطعان الإبل ونوبات الماء والمرس بأوزرولت تطلعات متزايدة تفسر انتقاله إلى أسير، وحتى وإن كانت الرواية الشفوية ترجع ذلك إلى صراعه مع أخواله (أهل مبارك أسعيد) فإنها ترى أن التوسع الاقتصادي للمعطي يفسر هذا الخلاف، ويأتي استقراره أيضاً في الحدود بين أيت بلقاسم وأهل حابين المتمتعين بنفوذ حربي وسياسي متزايد آنذاك ليكرس ضخامة الدور الإستراتيجي الذي سيحظى به أهل المعطي لحفظ التوازنات أو الإخلال بها داخل مدشر أسير. وفي صلب هذا الوضع ينفرد الجماني ابن المعطي عن أخواله بخصوصيات بارزة تكاد ضمنياً تخالف المعطيات التي جرى عليها باقي أفراد عائلته، فالرواية الشفوية تتحدث عن الجماني كرحالة كبير مع التركيز خاصة على العمل التجاري الذي كان يوصله إلى تنبكتو وتاوندي، بينما تقتضى نجعته الإقامة دوماً في المنطقة الممتدة بين وادي نون والساقية الحمراء.

ونشير هنا إلى أن روايات أخرى لم تغفل التلميح إلى المقدرة الحربية الهائلة التي تمتع بها الجماني في شبابه والتي رسمت له أبعاداً مميزة داخل الذاكرة الجماعية، إلا أن هذا الاختيار بالرغم مما تحاول الرواية إلصاقه وتثبيته هنا قد تغير مع مرور الزمن، إذ لن يتأخر الجماني في استغلال ذلك لصالح ممارسته التجارية، ولعل زواجه من أولاد دليم يدخل في إطار عام لا يمكن له أن يكون إلا تمثيلاً لهذا العمل من حيث اعتبار هؤلاء حملة كبراً للسلاح على طول منطقة انتجاعه في وقت اتضح فيه تفكك الأهمية العسكرية لقبيلة العروسيين، ويعتبر ذلك طبعاً محاولة لتمتين التحالف الاستراتيجي دون أن يبلغ حد الحماية أو الاحتما،

بل إن مصاهرة الجماني أيضاً مع أهل حابين وخاصة فخذ أهل هيبه تعد تزكية لروابطه على المستوى المحلي لأن تطبيق هذا البعد سيحكم على تطلعاته وخصوصياته لامحالة بالانهيار أمام عنف الصراعات الداخلية على مستوى قبيلة أزواقيط آنذاك والتي لم تمر دون أن تعصف ببعض أبنائه، وقد نفهم أيضاً من مصاهرته مع أولاد بو السباع رغبة في الجمع على مستوى ذاتي وشخصي بين تراكم تجربة حمل السلاح والشهرة التجارية وبين الاستفادة من النهج الديني الذي كان يضطلع به السباعيون كسلطة ناجعة إذا نحن استحضرننا تجارز أنشطته إلى ما وراء الساقية الحمراء، هذا فيما يتعلق بالشطر الأول.

أما من جهة ثانية فالتفوق العسكري والسياسي لأيت احماذ أعليو إضافة إلى القيمة الاستراتيجية الشهيرة التي حظي بها أسير فيما يتعلق بالعمليات الاقتصادية (التجارة - الزراعة - الرعي) علاوة على التمركز البارز للمسالك والمحاور الصحراوية الأطلسية في يد اتحادية ومتانة الهياكل الإدارية والعسكرية لهاته الأخيرة على نفس المواقع، من شأنها أن تنجب نوعاً خاصاً من أوجه التحالفات الاجتماعية يبررها توزيع الأدوار والمعطيات المرتبطة بالأنشطة الاقتصادية المعاشية مع اقتسام هام لميكانيزمات مراقبة المجال في ما اصطلح عليه بالمعاهدات الحمائية المتجسدة في عملية الذبح أو النحر كبروتوكول للمعاملات تنظمه القيمة الخاصة للحامي ومكانته الاجتماعية تخفي تعديداً لأنماط السلوكات المصلحية (جوامع، 67).

وهكذا تتحدث الرواية الشفوية عن حماية الجماني لعدد من الفصائل تأتي في مقدمتها التهالات والفقرا من قبائل الرغبيات (La Chapelle, 76) دون أن يعترضنا في تجربة الجماني نفسه ما يكذب أو ينفي هاته الامكانية نظراً للميزة الكبيرة التي استطاع مراكمتها ضمن مسار من الاختيارات المتنوعة، على أن المحجوب ولد الجماني، الذي تسعفنا وثيقة للتهالات حمايته لتزيد من تأكيدها هذا المعطي، يبدو أنه قد اختار طريق والده مع أن الرواية الشفوية تؤكد على تراجع نسبي في أنشطته التجارية مقارنة مع ماضي والده. غير أن مشاركته الفعلية في العمليات العسكرية ساهمت ولاشك في حفظ هذا الإرث في وقت كان باقي أهل المعطي قد دشنوا إغراق اهتماماتهم في الأعمال السلطوية القائدية على وجه الخصوص، حيث نجد لحبيب وعلى وياهي قد تعاقبوا على هذا التوجه الذي تشهد عليه الرسائل السلطانية للعوليين الأواخر، لدرجة أن الباحث دولاشابيل يرى في شخص أحمد ولد المعطي من بداية القرن زعيماً لكل قبيلة أزواقيط (La Chapelle, 94)، فلماذا قيل أهل بوعيدة من أيت لحسن (الرومييات) تزويج إحدى بناتهم للمحجوب إذا نحن أكدنا على ضوابطهم الخاصة في هذا الصدد ؟ وكيف كان يحظى

ثلاثة أولاد العربي والطيب والحاج أحمد. وما زالت بقيتهم بفاس عن قلة.

ع. الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

جَمُوع، مسعود بن محمد الفاسي داراً، السجلماسي
أصلاً، والسلاوي وفاة ومدفناً، يكنى أبا سرحان، الولي الصالح المحدث الراوية الحافظ الدراكة، كان عالماً بفني المنقول والمعقول من حديث وفقه وتصوف وتفسير وبيان وسير ونحو ولغة، خيراً ديناً ورعاً، لا يرى إلا مدرساً أو تالياً أو ناسخاً، جيد الخط. كان من شيوخه عبد القادر الفاسي وولده محمد، وخلف عدة تأليف في السير والقراءة والرسم والمنطق.

انتقل إلى سلا في أواخر حياته في ربيع الثاني عام 1118 / 1706 م واستقر بزواية سيدي أحمد حجي، وظل يدرس بها وبالمسجد الأعظم إلى أن توفي في جمادى الأولى عام 1119 هـ / 1707 م ودفن بالزواية المذكورة، بعدما استفاد من علمه عدد من تلامذته وعلى رأسهم أحمد ابن عاشر الحافي، وأبو مدين حجي.

م. ابن علي الدكالي، الإتحاف، 107 : ع. ابن سوادة، إتحاف المطالع، 1119 : دليل مؤرخ المغرب.

حسن أميلي

الجَمُون، ضريبة كان سكان سجلماسة وسائر بلاد القبلة يؤدونها للمخزن المريني على النخل والزرع ويجمع من جبايتها أحمال من الذهب. أسقطها عنهم أبو الحسن المريني واقتصرها بعدها على الزكاة والعشر كباقي أهل البوادي ببلاد المغرب الذين أسقط عنهم جملة من الضرائب غير الشرعية اعتادوا تأديتها لمن سبقه من السلاطين كالحرص والبرنس والضيافة والإنزال والقاعة والخطيئة (المسند، 283-284).

ولا وجود لكلمة الجُمُون في معاجم اللغة العربية، غير أنها ما زالت مستعملة في اللسان العامي بمنطقة تافيلالت إلى اليوم وينطقها المحليون بحيم مصرية. أي الجَمُون والجمع الكمامين وتصغيرها الكميمنة بقاء التأنيث. وتعني الفدان بمعنى المزرعة.

يتكون الجُمُون أو الجَمُون من مجموعة من الأحواض، ويستعمل في غالب الأحيان للدلالة على الفدان المغروس بمختلف أنواع الأشجار خاصة النخيل الذي يستغل في ذات الآن لزراعة القمح أو الشعير أو الذرة أو الفصّة أو غيرها. في حين يستعمل لفظ الأحواض للدلالة على المساحة المزروعة بالخضر وتسمى أيضاً البحيرة، وهي غالباً ماتكون ضيقة المساحة وخالية من وجود الأشجار.

م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، الجزائر، 1981 : ابن منظور، لسان العرب، بيروت د. ت : حسن حافظي علوي،

المحجوب ولد الجماني باحترام بالغ يخول له دخول كلميم والرجوع منه في عز الصراع والمواجهة المحلية ؟ في حين نجد محمد سالم ولد الجماني أيضاً يعيد نفس العمل الدائري مع هجرات العمل الحربي والاحتفاظ بطابع سلمي لم يمنعه مع ذلك من إيواء عدد مهم من فصائل قبيلة مختلفة إلى حدود منتصف القرن خاصة أثناء موسم الولي سيدي محمد بن عمرو بأسرير بينما اختار إدريس تزكية مكانته الشخصية والزواج من أهل التركيزي.

وفي الختام يحق لنا التساؤل حول دور كل هاته المعطيات التي تمكننا من رصدها في هاته العجالة، في التحكم في الأنشطة التجارية لأبناء محمد سالم بالسينغال (أحمد والمحجوب) بعد انهيار المسالك التقليدية بشكل واضح بعد التحكم الفرنسي. ثم بموريتانيا (مبارك والمحجوب حالياً) إضافة إلى توجهاتهم الخاصة التي ستجيب بشكل واضح لسلفهم الجماني على مستوى القبيلة ؟ في هذا الصدد نستطيع أن نقول إن التاريخ يملك في شكل لا يدع مجالاً للشك عاملاً حاسماً يتضح معه أنه بمثابة خيط موجه لممارسة دامت أزيد من قرن من الزمن سترجو من ورائها الالتفات إلى أهميه وأخاف المنهج الذي حددناه في مقدمة هذا العرض.

م. سالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحفي، جوامع المهمات في أمور الرقيبات، تحقيق م. ناعمي، البيضاء، 1992 : معلمة المغرب، الجزء الثاني.

F. De La Chapelle, *Les Tekna du S.O. Marocain, étude géographique, historique et sociologique*. Paris, 1934.

أحمد جوماني

جَمُوحَة، فخذة كبيرة تنتمي إلى فرقة أولاد امراح، إحدى الفرق المكونة لقبيلة مزاب، وقُدِّر عدد خيام جموحَة سنة 1914 بنحو سبعمائة وثلاث وتسعين خيمة، وكان عدد دواويرها حوالي أحد عشر دواراً، وإلى هذه الفخذة ينتمي دوار أولاد سيدي حجاج الذي توجد به زاوية سيدي حجاج الذي بلغ عدد خيامه في التاريخ أعلاه حوالي مائة وثمانين خيمة. وقد ولى الفرنسيون عبد السلام بن المكّي الحجاجي قائداً على أولاد امراح بعد احتلالهم للشاوية وتنظيمهم لإدارة مزاب والأعشاش.

Villes et tribus du Maroc, Casablanca et Chaouia, T. II.

علال الحديدي

جَمُوع، بيت من بيوتات فاس العريقة، كان منهم الفقيه العدل الميرز عبد الخالق بن أحمد جَمُوع، من عدول القرن الثاني عشر (18 م) ؛ والحاج الطيب جَمُوع مالك فدان الجزائر خارج باب عجيصة عام 1244 / 1828، وكان له

سجلماة وإقليمها في القرن الثامن (14 م) مساهمة في دراسة
مجتمع الواحات في العصر الوسيط، مرقونة بكلية الآداب بفاس
1989.

حسن حافظي علوي

الجميني، إدريس، ابن عبد الرحمان، صحافي من
الرعايا التونسيين الذين استقروا في المغرب إبان الفترة
الاستعمارية. أصدر جريدة العزيمة بالعربية *La Volonté*
بالفرنسية (1951)، وقد ناصبتا الحركة الوطنية المغربية
العداء الكبير، بإيعاز من الإقامة العامة. وعلى عكس
ذلك، ناصرتا كلا من التهامي الأكلوي وعبد الحفي الكتاني
ومحمد ابن عرفة. وقد تعرضت مكاتب العزيمة لعملية
فدائية، يوم 7 دجنبر 1952، أسفرت عن إلحاق أضرار مادية
بها نتج عنها احتجاب الجريدة لمدة أربعة أسابيع، ويعتبر
الجميني نموذجاً لبعض المرتزقة الأجانب الذين سخرتهم
الإقامة العامة في إطار سياستها "الأهلية".

J. Baïda, *La presse marocaine*, Rabat, 1996.

جامع بيضا

ابن جميل، محمد القصري، كان يعرف بالمعلم لمزاولته
التدريس، على ما يبدو، وكان من أصحاب الشيخ أبي مدين
الغوث دفين تلمسان، صحبه عندما كان مقيماً بفاس، فأخذ
عنه الطريق والعلوم العرفانية. وبروي صاحب أنس الفقير
قصة طريقة عن ابن جميل القصري تبين عن كرمه ومعاشرته
لخيرة القوم. ومن خلال ذكر نفس المرجع لمن عاصره ابن
جميل من أمثال أبي عبد الله الزباني وأبي زكرياء السائح
وأبي عبد الله التاودي وفاطمة الأندلسية يظهر أن ابن
جميل عاش في أواخر العصر الموحد حين بدأت حركة
التصرف تتخذ من القصر الكبير مركزاً لها، وأن ابن جميل
يعد من أهم من خلف أبا الحسن علي بن خلف بن غالب
الأندلسي في القيام بمهمة الدعوة معاصراً في ذلك فاطمة
الأندلسية المتصوفة التي أخذت بدورها عن أبي مدين
الغوث السلوك والطريق.

دفن ابن جميل القصري في رباط أبي الحسن علي بن
خلف بن غالب بالقصر الكبير وشيد عليه ضريح استمر
موجوداً إلى أن هدم من قبل المجلس البلدي عندما قام
بتحويط المقبرة الكبرى بالمدينة في أواخر الثمانينات من
هذا القرن.

م. ابن خليفة، *القصر الكبير، أعلام أدبية، فكرية وتاريخية*،
طنجة، 1994.

الحسين البعاوي

ابن جميلة، بيت عريق بفاس، لم يذكر النسابون
أصلهم، وإنما اشتهر منهم في العصر المريني فقيه زاهد نادر
المثال :

ابن جميلة، سعيد بن محمد الفاسي، أبو عثمان،
فقيه كبير من طبقة الإمامين عبد العزيز القوري وإبراهيم بن
عبد الله اليزناسني. طلبه السلطان أبو الحسن المريني أن
يقلده قضاء مدينة فاس فأبى، وأقسم السلطان إن لم يقبل
القضاء ليجعلن القيد على ساقية فازداد إباءً وقال : الكيل
عليّ أسهل من صعب القضاء، فقيده بالادهم ولم يزل به
على ساقيه إلى أن مات في حدود عام 750 / 1349.

أ. ابن القاضي، جذوة، 2: 519؛ دة *الجمال*، 2: 773؛ م.
الكتاني، سلوة، 3: 317؛ ع. الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.
محمد حجي

الجميل، محمد بن المعطي الشاوي، من أعيان
أولاد سعيد، ينتمي لفخدة مؤالين الحضرة، لعب دوراً كبيراً
في انتفاضة الشاوية بين 1903 و1907. كان الجميلي من
زعماء الانتفاضة الذين يتخذون قرارات الحرب والهدنة.
محارباً شديد المراس، اشتهر باتباعه للمرابط محمد بن
الطيب البوعزاوي. وقد برز الجميلي كمجاهد صلب وقائد
من قواد الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، حيث شارك في
معارك الدار البيضاء، سطات 1907-1908. وبعد فرض
الاحتلال على قبيلته أولاد سعيد سنة 1908، استسلم
للفرنسيين فولوه القيادة على مؤالين الحضرة، وهي فرقة
كبيرة كان عدد خيامها سنة 1913 يصل إلى ألف
وخمسمائة وخمس وتسعين خيمة.
تجريات ميدانية.

Villes et tribus du Maroc. Casablanca et la Chaouia,
T. I-II.

علال الحديدي

ابن جناح، أبو الوليد مروان، هذا هو الاسم الذي
عرف به عند العرب ويعرفه اليهود بيونه ابن جناح أي "يعل
كنفام" وتعني ذا الجناحين، أما النصارى فيعرفونه تحت اسم
"يونه مارينوس" Yona Marinus.

اختلف الدارسون حول مكان ولادة ابن جناح، ففي
الوقت الذي يرجعه مولاي المامون المريني إلى قرطبة في
بحته لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع كتاب *اللمع*
للنحوي اليهودي الأندلسي أبي الوليد مروان بن جناح نقل
النص إلى الحرف العربي تقديم وتعليق (1987 ص. 35).
يرجع ابراهام لريدو في كتابه أسماء يهود المغرب مكان
ولادة ابن جناح إلى فاس، ويوافق في ذلك يوسف بنايم في
كتابه *ملخي غبانان* ص. 55 (ب) الذي ينسب مكان ولادة
ابن جناح إلى فاس أو إلى إحدى المدن المغربية الأخرى.

وسواء ولد بقرطبة أو بفاس فلا يعرف شيء عن تاريخ
ولادته، وإنما يعرف أنه عاش في أواخر القرن الرابع (10 م)
وينحدر من عائلة غنية حرصت على أن يكون تكوينه

نشرت مجموع هذه الأعمال بالعربية والفرنسية على

يد :

Joseph et Hartwig Derenbourg
*Opuscules et traités d'Abul-Walid Marwan Ibn
Janah de Cordoue*, Paris, 1880.
ربيعة رحيم

جنادة، صيغة مشتقة من الجند، تستعمل بمنطقة الريف الشرقي خاصة للدلالة على إداوات القصبات ومحطات حراسة الحدود المشرفة على مراكز الوجود الأجنبي. وهناك عدة جنادات :

جنادة رباط الكرمة، هكذا دعت من خلال الوثائق المخزنية في منتصف القرن الثالث عشر (19م)، ودعي الرباط قبل ذلك برباط مليلة منذ تأسيسه في أوائل القرن العاشر (16م)، وهو واقع على ظهر كدية متوارية عن أنظار جنود مليلة، على الضفة اليسرى من مجرى واد المدور، وهو الذي عناه محمد بن أحمد العشماوي أثناء تعداد أسر ورتديغير النازحة من فكيگ حين ذكر أن فرقة منهم بجنادة تدعى بأولاد ورياش.

بدأ تاريخ رباط الكرمة من توقيع اتفاق 24 غشت 1859 بين السلطان محمد بن عبد الرحمان وإسبان مليلة المحتلة في شأن توسيع حدودها، إذ أن هذا الاتفاق والاتفاقيات التالية له، خاصة اتفاق سنة 1863 نصت على إخلاء جنادة من حمايتها وهدم مباني الرباط وما به من شجر، سيما شجرة التين البارزة بساحتها ومسجدها بصفة خاصة، وهو ما تم خلال السنوات التالية. وإلى غاية سنة 1871 كانت جنادة رباط الكرمة وأراضيها ملكاً للإسبان داخله في حدود التوسعة الممنوحة لهم، وهي السنة التي كثر الجدل فيها بين المخزن والإسبان في شأن تحويل مجرى واد المدور ابتداء من النقطة التي يشرف منها رباط الكرمة. وشيد الإسبان بالمكان برجا سموه "برج يانتياغو" (Fuerte de Santiago) وباختفاء رباط الكرمة أصبح المجال مفتوحاً أمام ظهور جنادة قسبة فرخانة.

محمد العشماوي، التحقيق في النسب الوثيق، مخطوط خ. ع. 1.
ح. الفكيكي، قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة، ج. 1.

جنادة قسبة فرخانة، أودار المخزن حسبما تعرف به محلياً، واقعة بالحوض الأوسط من واد فرخانة (يدعى محلياً واد أضرضور)، أحد روافد واد المدور على ضفته اليمنى بمدشر إجهرتن المندرج ضمن فرقة فرخانة، إحدى فرق خمس مزوجة، حسب تقسيمات الوقت المؤرخ له. وهي عبارة عن قسبة تحتل مساحة مدرج نهري منبسط، اختير لها موضع في نقطة غير بعيدة عن خط الحدود الداخلة إلي

مزدوجاً عربياً وعبرياً حيث قضى ابن جناح فترة شبابه بليسانة تلقى فيها تعليمه العبري على يد مجموعة من العلماء، منهم ابن جقطلة، وابن حيوج إذ كانت ليسانة معروفة بعلمائها اليهود ودراساتها التلمودية. ورغم تفوقه في دراسة التلمود إلا أنه لم يكن يصنف نفسه ضمن رجال التلمود، وذلك لاحتقار هؤلاء لعلم النحو الذي كان ابن جناح يعتبره من أرقى وأرفع العلوم. ولما أنهى ابن جناح دراسته بليسانة عاد إلى قرطبة لينهل من معارفها العربية، فدرس الفلسفة اليونانية والطب والأدب العربية، ثم غادرها بعد سقوط إمارة الحاجب محمد بن أبي عامر واندلاع حرب أهلية ليستقر ابن جناح في سقرسطة التي كانت بالنسبة له منفى حقيقياً إلى أن وافته المنية سنة 442 / 1050 م.

عرفت المرحلة التاريخية التي كان يعيش فيها ابن جناح غليانا على المستوى الثقافي والفكري جاء نتيجة وجود عدة أعلام عرب ويهود، وكذلك نتيجة الجور الديني الذي كان يتسم بالتسامح بين الديانات السماوية الثلاث فضلا عن الحمولة الثقافية التي خلقتها الجدالات الفلسفية والنحوية. وعلى ذكر هذه الأخيرة فقد استفاد ابن جناح من كل من يهودا بان قريش ومناحيم بن سروق ودوناش بن لبراط خاصة يهودا بان داود حيوج حيث يورد تحوم المقدسي في مقدمة معجمه المرشد الكافي (S. Munk, J.A. Juillet, 1850, p. 32) كيف كانت هذه الاستفادة من أسلافه، وذلك في قوله : "وهكذا كان اللغويون المتقدمون يعتقدون جميعهم الأفعال الثنائية والأفعال الفردية (الأحادية) إلى أن ظهر أبو زكريا حيوج وأقام الدلائل والبراهين على أنه لا يوجد فعل على أقل من ثلاثة حروف وبين سر الأحرف اللينة والأحرف المندغمة والأحرف المنقلبة فثبت الحق وبطل كل ما سواه. ثم جاء بعده الشيخ أبو الوليد مروان بن جناح وزاد ذلك بيانا ووضوحا.

كانت هذه هي القاعدة التي انطلق منها أبو الوليد مروان ابن جناح لينقحها ويصححها، ويعتبر من الأوائل الذين وضعوا القواعد العلمية للنحو العبري. ألف ابن جناح جميع مؤلفاته باللغة العربية وترجمت للعربية والفرنسية وغيرها.

أهم مؤلفاته كتاب التنقيح يدور موضوعه حول التراث واللغة العبرية قسمه إلى قسمين الجزء الأول منه يعرف بكتاب اللمع، أما الجزء الثاني من هذا المصنف فيعرف بكتاب الأصول، وقد ترجم هذا الأخير على يد ابن تبون إلى اللغة العبرية تحت عنوان سفر هاشور راشيم أي الجذور. ومن مؤلفاته أيضا : كتاب المستلحق ويدور موضوعه حول النحو ؛ وكتاب التنبيه وهو جدال حول أمور نحوية ؛ وكتاب التسرية وهو عبارة عن جدال في النحو ؛ وكتاب التلخيص في الطب.

وهناك ترجمة فرنسية لكتاب اللمع وهي ل :

Metzger. *Livre des parterres fleuris*, Paris, 1899.

مليلة من جهة فرخانة، وتشرف عليها من جهة الجنوب قبة ضريح سيدي ورياش. وتدعوها الوثائق المخزنية أيضاً ثغر ومرسى جنادة (ذي القعدة 1304).

تأسست القصة بمساعدة سكان أخماس قبيلة قلعية عن طريقة توزيع المساهمة والنوبة بين أخماسها، تحت إشراف قائد القبيلة المعروف وهو المختار أغم على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وبأمر منه. ونجد أصل الفكرة فيما استوجبه الفصل الخامس من اتفاق 24 محرم 1276 / 24 غشت 1859 والاتفاق التالي له في 4 شوال 1276 / 26 أبريل 1860، وبما تم التأكيد عليه في الاتفاقيات الملحقه، إذ أن الاتفاقيين الأساسيين نصا على إحداث حراسة مخزنية دائمة مكونة من غير أهل الريف تحت إشراف قائد من رتبة عالية.

وأغلب الظن أن البناء تم في آخر أيام السلطان محمد ابن عبد الرحمان، إذ أننا نعلم أن القصة كانت قائمة سنة 1291 / 1874 تؤدي وظيفتها التي أوجدت من أجلها، على الرغم من أن الوثائق المخزنية لم تصرح باسمها إلا في 14 حجة 1298 / 1880 (نهليل، رسائل شريفة رقم 55). جاء التصريح باسم جنادة إثر طلب السفير الإسباني بطنجة تطبيق البندين الخامس والسادس من الاتفاقيين الأساسيين المذكورين وتوجيه قائد مع ما يكفي من القوة العسكرية. أما بناء القصة فلم تشر إليه سوى وثيقة واجدة بتاريخ 19 جمادى الثانية عام 1308 / 1890.

تبرز المعالم المتبقية من القصة في مساحة قطعة شبه مربعة الشكل، طولها من الشرق إلى الغرب نحو مائة متر وعرضها نحو ثمانين مترا، حسب المقاييس المقدمة لنا في عين المكان، تشغل مساحتها الداخلية اليوم مندوبية الفلاحة بفرخانة. ولم نتمكن من الكشف عن المساحة الداخلية، والمعول على ما أظهرته الوثائق المخزنية. من جملة تلك المرافق :

1) مرافق سكنية، واحد منها خاص بإقامة كبراء الإدالة، تتصل به غرفة الاستقبالات والاجتماعات، وهو المعروف في الوثائق المخزنية بالدار، وبها سميت بدار المخزن. ويوجد إلى جانب الدار بيوت لانستطيع تحديد عددها ولكنها تفوق الأربعة، منها غرفة مخصصة للاحتفاظ بالمسجونين إلى أن يحين نقلهم خارج القصة. (تم شوال 1310 كناش 679 ص 120). ووجدت كذلك ساحة وراء المسجد خارجة عن القصة، بنى فيها تاجر من فرخانة بيتا يؤدي كراءه (5 شوال 1308 كناش 468).

وتدل كل القرائن على أن عسكر القصة كان مستقراً خارج مساحة القصة، مما يفسر قلة المرافق السكنية. وهناك عدة إشارات دالة على ذلك (19 جمادى الثانية 1308 ك 175). فالمعتقد إذاً أن عسكر إدالة جنادة كانوا موزعين على مختلف دور المحيط الخارجي مقابل الكراء.

2) وبني بجوار القصة مسجد، كان ملتصقاً ببناء

القصة وله مدخلان، الأول يتصل به من داخل القصة وهو الباب الخاص بساكنيها، ويرتبط الباب الثاني بالساحة الخارجة عن محيط القصة، وهو الباب العمومي (10 شوال 1308 ك. 468). كان المسجد في حاجة إلى الإصلاح، فشرع في إصلاحه في ذي الحجة من عام 1304 وأنتهي من أشغاله في ربيع الثاني 1304 (4 رمضان 1305 ك. 362 ص 7).

تم التفكير في إحداث مرافق تجارية للقيام بوظائف المسجد وصيانتها، ولتلك الغاية أقيمت بإزاء المسجد حوانيت محبسة عليه تستغل بالكراء، منها حانوتان داخل القصة وهما بباب المسجد الداخلي (10 شوال 1308 ك. 468. و19 ربيع الثاني 1319).

3) وللقصة قطعة أرض مخزنية صغيرة المساحة لصالحها، وهي محيطة بمساحة المسجد الخارجة عن القصة (23 و29 رجب 1330 ك 353 - 5 رجب 1308 ك 175). وقد عمد المكتري الفرخاني للقطعة إلى بناء عدة حوانيت بها وقهوة مشرفة على المسجد، وقد تم هدم الأخيرة نتيجة اشتغالها بالتهريب من مليلة. (9 جمادى الأولى 1306 - 5 رجب 1308 ك. 175 - 24 ربيع الأول 1309 ك. 468 ص. 250. و19 ربيع الثاني 1319 ك. 671). وتحديث وثيقة عن قطعة أرض ممتدة أمام الباب الرئيسي للقصة من جهة الجنوب لاتزال إلى اليوم معدودة من الأملاك المخزنية.

استوجبت رداءة الطريقة والمواد التي بنيت بها القصة اللجوء إلى الإصلاح من حين لآخر. ونعرف عن إصلاح بناء القصة أن السلطان الحسن الأول كلف به أولا الأمين ميمون ابن المختار الفرخاني عام 1306، خاصة إصلاح دار المخزن (5 قعدة 1307) ثم القائد حم بن الهادي القلعي، فتم ذلك بمساهمات القبيلة، (8 و10 شوال 1309 كناش 193 و23 شوال 1310 كناش 679 ص. 86).

وكان المطلوب إدارة القصة بالسور، إلا أن المولى الحسن لم ير بعد استشاراته في ذلك فائدة (23 شوال 1310) غير أننا اكتشفنا أثناء زيارتنا الأخيرة 14 أبريل 1996 أن القصة محاطة بسور كبير، تبين أن بناءه تم خلال عهد المولى عبد العزيز، قبل عام 1321 وهذا التاريخ الأخير هو الذي تعرضت فيه القصة للتخريب على يد جنود الروكي بوحارة.

ويظهر داعي إنشاء جنادة قصب فرخانة ودورها الذي أحدثت من أجله بوضوح في المقروء من تعيين القواد المتعاقبين بها : فقائد الإدالة أو الحدود بتعيينه يصبح الممثل المخزني الوحيد القائم بدور الوساطة بين حاكم مليلة وعمال قلعية. وهو مدعو كذلك إلى بحث وسائل تحسين الجوار بين الطرفين المتنازعين. (21 شوال 1300) حجة 1308 ك. 468 و20 شعبان 1309 و16 رمضان 1312) ومن واجب رئيس الإدالة أيضاً منع الهجومات التي يقوم بها أهل قلعية ضد حدود مليلة. (24 ربيع 2. 1308) وغالباً

ما كان تعيين القواد وتجديد عدد عسكر الإدالة ناتجاً عن الضغط الإسباني.

إذا استئشنا الفترة التي عرفتها القصبية تحت نظر قائد قلعية المختار ألغم، (10 قعدة 1290) فإن عدد قواد الإدالة القائمين بها بلغ تسعة قواد وكلهم من القوات المخزنية الأجانب عن قبيلة قلعية. وربما كان لزيارة السلطان الحسن الأول لقلعية عام 1291 / 874 علاقة بتعيين أول قائد مخزني لحراسة الحدود، (الاستقصا، 9 : 143).
نعلم أن الحكومة الإسبانية لم تقبل التأكيد على تنفيذ البند الخامس والسادس من الاتفاقيتين إلا بعد أن كانت في حاجة ماسة إلى بناء الأبراج المتاخمة للحدود، سيما بناء برج سيدي ورياش المجاور لقصبة جنادة فرخانة. وإذا كنا نعلم أن طلب بناء تلك الأبراج قد بدأ خلال أواخر سنة 1293 / 1876 وتمت الموافقة المغربية عليه، لم يصعب علينا إدراك طرح الإسبان مسألة تعمير جنادة بالقوات المخزنية (14 حجة عام 1295 / 25 نوفمبر 1878 نهليل، رسائل شريفة، رقم 42).

استمدت قصبية فرخانة قوادها من عدة قصبات وجدنا في مقدمتها : قصبية العرائش (نهليل، رسائل شريفة، رقم 55. 28 جمادى الأولى 1299 / 12 قعدة 1301) وهذه هي المرة الأولى التي نعلم فيها بوجود القوات المخزنية في جنادة قصبية فرخانة ثم قصبية عيون سيدي ملوك التي كان بها الجيش الشرقي وقصبي وجدة وفاس : ومن هذه الأخيرة كان يأتي عسكر الشراردة.

ويمكن التعرف على دور إدالة جنادة من خلال تتبع الضغط الإسباني على المخزن الحسني. فالملاحظ أنه استمر منذ بداية القرن الرابع عشر (شوال 1300 ك. 117 ص. 41. 18 ذي القعدة 1300 ك. 117 ص. 41. 155). و18 ذي القعدة 1300 و25 محرم 1301) وبلغ جدته إثر الإعلان عن اعتراض قلعية على بناء الأبراج وتمثل الدور أيضاً في اتفاق تعيين حدود مليلية (6 رمضان 08) وإصرار الإسبان على بناء برج سيدي ورياش وانعقاد اتفاق يوم 6 رمضان سنة 1311 (12 و14 و15 و17 و18 و19 و20 جمادى الثانية 2 و4 رجب 1311)، المهد لاتفاق 28 قعدة 1311 / 2 يونيو 1894، وتاليه اتفاق 29 شعبان 1312 / 24 أبريل 1895، 1977 وما رده اتفاق مدريد بتاريخ 12 محرم 1313. ومن قواد جنادة في مرحلتها الأخيرة القائد الحاج محمد أنفلوس الحاحي (16 رمضان 1312) والبشير بن سناح الشرقي (7 شعبان 1315 و4 ربيع الأول 1316) الذي بقي بجنادة إلى حين تخريب القصبية على يد جنود بوحمارة عام 1321 / 1903 (19 صفر 1 و3 ربيع النبوي 1316 و3 ربيع النبوي 1316 و3 رمضان 1319).

وفي موضوع نهاية جنادة لَمَّحَ البشير بن سناح بوصول بوحمارة إلى موضع الزبوجة من بني بويحيى، مشيراً إلى ضرورة حماية قصبية جنادة بالمزيد من القوات (فاتح عام

1321) وبالفعل تم حصار جنادة (28 جمادى الأولى 1321 ك. 763 ص. 258) حين قصدها قوات بوحمارة يوم فاتح محرم وتم تخريب أهم مرافقها يوم 20 محرم 1321 / 5 أبريل 1903 (كناش 763 ص. 168. و16 و17 محرم 1321 ك. 763 ص. 167. 168). وهو الوضع الذي ما يزال سائداً إلى يومنا هذا.

وثائق وكتايش الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق بالرباط المدرجة ضمن النص لسنوات : ما بين 1295 و1321 : الناصري، الاستقصا، 9 : 143 : مذكرات المغرب، ج. 5 : ثريا برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، مرقون، الرباط 1984 : زيارة ميدانية في غشت سنة 1975 و14 أبريل 1996.

Documentos presentados a las Cortes en la legislatura de 1891 por el Ministro ; A. Moulieras, Maroc inconnu, 1 : 164, de Estado, Madrid 1891.

جنادة كبدانة، ليست لدينا معلومات كثيرة عنها، إذ

أن دورها كان أقل من سابقتها، فموقعها دال على ذلك. وهي واقعة في أعلى رأس كبدانة المشرف على المرسى وعلى بعد نحو خمسة كيلو مترات عن جزر كبدانة أو الشفارين (Chafarinas) المقابلة لها. وقد وقفنا عند موضع جنادة كبدانة يوم 15 غشت عام 1975 وقمنا باستجواب بعض شيوخ أولاد الحاج، كما تعرفنا على بنينها ويدعى بالبرج. ورباط كبدانة (28 رمضان 1307 ك. 166). وتؤكد الوثائق المخزنية أن لا أثر لقصبة هناك مثلما قد يوحي لفظ البرج، وقد سبق للقائد بوصفية الكبداني أن طلب إذن بناء قصبية بالمكان وتعميرها بالجنود سنة 1307 ولكن لم يتلق أي جواب عن ذلك.

وجنادة كبدانة خلال القرن الماضي، مطابقة لما هي عليه اليوم : بناء بسيط يتكون من مساحة مستطيلة صغيرة مؤلفة حالياً من باحة ومسجد متصل بها وقبة لأحد الصلحاء من الشرفاء الأدارسة المقيمين بالمكان. ويظهر أنهم كانوا القائمين بالشؤون الدينية على الأقل مما نعرفه منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) على عهد السلطان محمد بن عبد الله، ومن هناك نرى أن جنادة كبدانة كانت مجرد محطة صغيرة لحراسة جزر الشفارين بعد تسرب الإسبان إليها عام 1264 / 1847.

تأسست جنادة كبدانة كالعادة على يد القبيلة وبمساهمتها على عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي على أكبر تقدير، كان المشرف على الحراسة مرابط إدرسي تدعوه الوثائق الإسبانية سيدي البشير. وهو المقدم المرابط سيدي البشير بن محمد بن أحمد بن الطاهر. وقفنا على اسمه من المقروء على رخامة ضريح حفيده السيد محمد الهادي بن عبد الرحمان بن محمد بن البشير.

عمل سيدي البشير بالتنسيق مع المجاهد القلعي محمد الرتبي، فقام باعتراض السفن الإسبانية المارة بساحل كبدانة، وقد سماه الإسبان آنذاك بالوحش الرهيب (مليلية

13 فبراير 1786 ملف 4.320 علبه 2 (A.H.N. Estado)
(قلعية : 2 / 347). نجد أخباره في مذكرتي كيبيررو
وميراندا.

وضعت الحراسة بمسجد رباط كبدانة مثلما تسميه
الوثيقة. (21 حجة 1300) من الوثيقة نفسها نعرف الغاية
من إيجاد الحراسة : منع المسلمين من ركوب البحر إلى جزر
"الشفارين" بقصد البيع والشراء مع الإسبان، وكذا منع نزول
القوارب الإسبانية. يدعي أحد أئمة المسجد أن ابن البشير
رتب له السلطان أجراً 50 مثقالاً (8 رمضان 1307 أيضاً 13
و25 رمضان ك. 166 ص. 93 و9 شوال 1309 ك. 1933).

ونظمت الحراسة على يد جماعات قبيلة كبدانة وذلك
بمحصة ثلاثة حراس لكل جماعة من الجماعات الست،
وبذلك بلغ عدد أفراد الحراسة ثمانية عشر حارساً في وقت
واحد. هذا هو المستخلص من اللقاءات مع شيوخ القبيلة
ومن مراسلة القائد محمد بوصفية الكبداني على عهد
الحسن الأول. (15 رجب 1307 ك. 166).

ولمسجد جنادة أرض محبسة (فاتح صفر 1300) رملية
غير صالحة للفلاحة قائمة بجوار الرباط على ظهر الكتلة
الصخرية المغطاة بالرمال.

ولجنادة مرسى أيضاً، فتحه القائد عمر هروفوف في وجه
التجار اليهود والإسبان لتصدير الحلفا، (21 حجة 1300
و14 رجب 301)، ومن أجل ذلك دعيت جنادة ثغراً، وبنيت
بالقرب من جنادة دار المخزن بأرض البرج لسكنى القواد.
كانت الدار مخزناً للحبوب أحدث بها أكثر من خمس
مطامير جماعية لتلك الغاية.

والى غاية 1307 كان بناء جنادة في حاجة إلى إصلاح.
هذا هو ما طلبه رجال الحراسة من ميمون بن المختار
الفرخاني، حين زيارته التفقدية خلال شهر رجب. وقد قوم
الأمين إصلاح بنائها بنحو 330 ريال إن بقيت على حالها
الأول بالطين، وبأكثر إن كانت ستصلح بالجير. ويظهر أن
السلطان قدم لقبيلة كبدانة أمر المساهمة في الإصلاح على
يد قائدها محمد بوصفية (14 ربيع لثاني 1307 ك. 172).

(15 رجب ك. 166 و20 شوال 5 ذي القعدة 1307 ك.
172). ولاتزال حال جنادة على الوضع القديم المنحصر في
بناء المسجد. وهناك خرائب كثيرة منتشرة على ظهر كدية
البرج غارقة في الرمال. أشار إسباني سنة 1911 إلى وجود
آثار برج مشرف على جزر الشفارين يعتقد أنه بني على
عهد المولى عبد العزيز.

جنادة جمعة جبل ماورو الواقعة بقبيلة بني سعيد،

في منبسط يحتل الزاوية الجنوبية الغربية من جبل ماورو
بقبيلة بني سعيد الريفية وعلى الضفة اليسرى من مجرى
واد كرت. وكان الموضع مكاناً لانعقاد سوق يوم الجمعة منذ
ما قبل القرن الرابع عشر (19 م) إلى أن أصبح مركزاً
للمقاومة في بداية القرن الموالي، حينما استولى بوحماره

على قلعية واستقر بقصبة سلوان.

أصبحت جنادة بني سعيد نقطة ارتكاز للشراف محمد
أمزيان لتعبئة قبائل الريف الشرقي، ومن ورائها قبائل بني
ورياغل التي كانت السند الرئيسي للمجاهد في عملياته
الحرية سواء ضد بوحماره أو الإسبان بعده. ومن نفس
جنادة نظم الشريف الزحف نحو قصبة سلوان وطرد بوحماره
من القصبة في عام 1908.

والى جنادة جمعة جبل ماورو تراجع الشريف محمد
أمزيان حين استيلاء الإسبان على قلعية بانتهاء المرحلة
الحرية الأولى المعروفة لديهم بجبل أكرگور (Gurugu) سنة
1909 وبداية مرحلة حروب الكرت سنة 1911. وعند نفس
الموضع سينتهي المجاهدون الريفيون لقيادة حركاتهم
المسجلة ضد الإسبان المتمركزين بسوق خميس جزولة وقصبة
سلوان وقشلة تيغمات المستحدثة. وقد بقيت جنادة الجمعة
قائمة إلى أن تم استيلاء الإسبان عليها بعد استشهاد
الشريف محمد أمزيان يوم 15 ماي 1912.

(5) وهناك أيضاً ما عرف بجنادة بني يطففت بالريف
الغربي. غير أن الغالب عليها هو الاسم المحول إلى سنادة
ويه اشتهرت. ولهذا السبب سترجى الحديث عنها إلى حرف
السين من هذه المعلمة.

إلى جانب التحريات الميدانية راجعنا : محمد العشموي،
التحقيق في النسب الوثيق، مسخوط، خ. ع : ح. الفكيكي،
قلعية ومشكل الوجود الإسباني بلبلة. ج 1 : 109 - 144 - 151 - 120.
161 - 162 - 163 - 182 : ج 2 : 300 - 305 - 327 - 337 - 352 - 353 - 355.
360 - 361 - 364 - 365 - 390 - 391 - 394 - 400 - 404 - 405 : 2 : 345
وثائق وكتائيش خ. ح. ومديرية الوثائق بالرباط المدرجة ضمن
النص لسنوات : ما بين 1295 و1321 : أ. الناصري، الاستقصا، 9 :
143 : مذكرات المغرب، ج 5 : ثريا براءة، الجيش المغربي وتطوره
في القرن التاسع عشر، د. د. ع. مرقون، الرباط 1984 : زيارة
ميدانية في غشت سنة 1975 و 14 أبريل 1996 : وثائق الخزانة
الحسنية ومديرية الوثائق الملكية المدرجة بالنص.

A. Riera, *España en Marruecos : Cronica de la
Campana de 1909*. Buenos Aires, 1910 ; D. Berenguer,
Campanas en el Rif y Yebala, Madrid, 1947 ; Enrique
Lopez, *Yabala*, Madrid, 1947 ; Capitan X, *Verdades
amargas sobre la campana de 1909 en el Rif*, Madrid
1910 ; A. Sierra Artes, *Recuerdos de la guerra del Rif*,
1911 - 1912, Barcelona, 1914 ; Alarcon, *Melilla*, Madrid,
1909.

حسن الفكيكي

جنان الحارثي بمراكش، كانت أرض هذه المدينة قبل

مجيء المرابطين إليها جرءاء، قاحلة (يظير الطائر حولها
فيسقط من العطش والرمضاء) (الاستبصار، 1 : 59).

وبعد تأسيس المدينة بذل المرابطون جهوداً كبيرة في
تغيير بيئتها من مفازة قليلة الماء إلى جنات غناء، واستمر
ذلك المجهود في العصر الموحد، حتى صرنا نسمع شاهد

عيان يقول عنها (ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وساتين وأعنابا وفواكه وجميع الثمرات، وأكثر شجرها الزيتون ...) (الإعلام، 1: 59).

وقد تحدث كل من ابن اليسع والحسن الوزان عن نظام الري بالمدينة وما تزخر به من حدائق وساتين. ومن أشهر حدائق المدينة : أگدال والمنارة والمأمونية وعرصة مولاي عبد السلام، وعرصة ابن إدريس وحنان الحارثي الذي يساق إليه الكلام. ومع تكاثر سكان المدينة واتساع حركة البناء بها تقلص هذا الإرث الكبير وبدأ البناء يزحف على الجنات والعراصي ومازال في كثير من الأحياء يحمل الاسم الأصلي للعرصة : كحومة عرصة إيهري، وعرصة الحامض، وعرصة علي وصالح، وعرصة المسفيوي، وعرصة با سيدي، وسيدي عباد، والرويضات، ومؤخراً عراصي أمرشيش والمَرستَان.

يعتبر جنان الحارثي واحداً من أكبر جنات مدينة مراكش، ولعل اسمه راجع إلى مالكة، كما جرت العادة في تسمية الجنات والعراصي بأسماء مالكيها. يقع خارج الباب الجديد في موقع مهم بوسط المدينة الجديدة. وكانت مساحته واسعة. ارتبط في الذاكرة الشعبية كفضاء للنزهة والاستمتاع بالطبيعة والخضرة والأشجار والمياه.

تقلصت مساحته منذ فترة الحماية بتخصيص جزء منه للاعبين رياضية، منها ملعب الحارثي : لكرة القدم وكرة السلة ... وخصص جانب كبير منه كذلك لإقامة حديقة للحيوانات، كانت مزدهرة خلال الفترة المذكورة، وتضم في بدايات الاستقلال أنواعاً من الحيوانات والطيور يُقبل السكان كباراً وصغاراً على مشاهدتها. وقد تم الاستغناء عنها منذ سنوات ومازالت بيوت القردة والغزلان وأقفاص الوحوش والطيور وروبة أودكاد قائمة بسقوفها وأحواضها وأطلالها حتى اليوم.

كما كان ينظم بين أغصان جنان الحارثي المعرض الكبير للجنوب، تعرض فيه المنتجات الفلاحية والصناعية للمغرب عامة ولجنوبه خاصة. وقد أعيد تنظيمه منذ بضع سنوات بعد توقف طويل. كما كانت تقام بمنتهزه الحارثي وبين أغصانه وسواقيه احتفالات سلطان الطلبة أثناء عطلة فصل الربيع خلال عقدي الثلاثينات والأربعينات يحضرها طلبة ابن يوسف والسلطان، وتتبادل بها الخطب، وتقدم فيها أنواع المأكولات، في جو من المرح والترفيه والاستجمام.

وإلى جانب ذلك شيدت في جنان الحارثي بنايات ومرافق مهمة : كغرفة التجارة والصناعة، والمعهد الموسيقي، وإدارة جمعية الأطلس الكبير، والقاعة الزجاجية الكبرى للمحاضرات والعروض، وغير ذلك من المرافق.

ومع ذلك مازال جنان الحارثي فسيحاً مليئاً بالمنتزهات الجميلة بمراكش، يؤمه عموم سكان مراكش للنزهة والاستجمام في فصل الربيع، وللإحتماء من حرارة الطقس في فصل الصيف، وأكثر أشجاره الزيتون والنخيل والتوت والكالبتوس.

ح. جلاب، الحركة الصوفية بمراكش، الجزء 1، مراكش 1995 ، الجزء 1 : معجم عراصي مدينة مراكش، مجلة التراث الشعبي، عدد 5 : 1981 ؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ط. الاسكندرية 1958 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. الرباط ؛ غ. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط 1974.

حسن جلاب

جنان ابن حليلة ← حديقة التجارب بمكناس

ابن الجنائوي (أسرة) ← بلكنائوي

الجنندور ← الگندوز

الجنندي، اسم عائلة تطوانية أندلسية قديمة انقرضت الآن، عرف منها المعلم علي الجندي الأندلسي كان حياً عام 1089 هـ ومحمد بن عبد الرحمان الجندي الأندلسي كان حياً عام 1197 هـ والفقيه الأديب أحمد بن محمد الجندي الأندلسي من عدول تطوان وعلمائها شاهد الاحتلال الإسباني تطوان الأول عام 1279 هـ وقد نيف على الثمانين في عمره، ورثاها بقصيدة شعرية.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، ج 3 حرف ج : م. داود، عائلات تطوان، نسخة المؤلف بخطه في خزائنه.

محمد بوخيرة

الجندي، أحمد الفاسي أصله من فاس الجديد ثم استوطن الدار البيضاء. تولى وزارة التجارة والصناعة والمعادن والصناعة التقليدية والبحرية التجارية في الحكومة السابعة بعد الاستقلال (من 2 يونيو 1961 إلى 5 يناير 1963). قال عنه في **إتحاف المطالع** : "وقد اكتسب من تلك الوزارة أموالاً وأصولاً كثيرة".

توفي بالدار البيضاء عشية يوم الثلاثاء 27 محرم عام 1389 / 16 أبريل 1969، وبها دفن.

ع. ابن سودة، **إتحاف المطالع**، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3414.

Fatima Abou el Karam, *Répertoire des gouvernements du Royaume du Maroc. 1955 - 1988*, Casablanca, 1988.

محمد حجي

الجنسية في الفقه القانوني المعاصر هي تلك الرابطة القانونية والسياسية التي ينتسب بموجبها الفرد إلى شعب دولة معينة. وقد دأبت التشريعات الوطنية في مختلف الدول على وضع إطار قانوني لتحديد طبيعة هذه الرابطة، وبيان عناصرها، وشروط تحققها، وحالات انتفائها. فوضعت أحكاماً ومقتضيات تنظم الحالات التي يكتسب فيها الشخص الجنسية، إما بصفة أصلية، أو بصفة تبعية. كما حددت الشروط التي يتعين أن تتحقق في الشخص

الأجنبي الذي يرغب في الحصول على جنسية بلد معين، وهو ما يعرف بحالة طلب التجنيس.

وقد دأبت مختلف القوانين على تحديد الآثار القانونية التي تترتب على منع الجنسية، وحالات سحبها وفقدانها وزوالها والتجريد منها، وغير ذلك مما يتصل بوسائل إثباتها.

والمؤكد في سائر التشريعات الوضعية المعاصرة، هو أن تمتع الشخص بجنسية دولة معينة، تترتب عنه جملة من النتائج القانونية التي تحدد نظام الحقوق والالتزامات التي يخضع لها. وبذلك لا يقتصر انتسابه لدولة معينة على مجرد الارتباط السياسي والقانوني، بل يصبح كذلك انتساباً نفسياً واجتماعياً. يصبح الشخص بمقتضاه خاضعاً للنظام الاجتماعي والثقافي السائد في البلد، ويمارس حقوقه الوطنية كباقي المواطنين الآخرين. وترجع الأصول التاريخية لنظام الجنسية إلى فكرة الانتماء التي كانت قائمة في المجتمعات القديمة على أساس صلة القرابة، إذ كان النظام الاجتماعي قبل ظهور الدولة بالمفهوم الحديث، معتمداً في مكوناته الرئيسية على تشكيلات فرعية تتمثل في الأسرة والقبيلة والعشيرة. وكانت الروابط التي تجمع بين أفراد هذه التشكيلات هي روابط الولادة والسلالة والقرابة والعرف ووحدة الأصل. التي يقوم على أساسها انتماء الفرد للنظام الاجتماعي السائد، وفي ضوئها تتحدد مكانته ووظيفته وامتيازاته داخل هذا النظام.

ولعل مصطلح الجنسية نفسه Nationalité، وهو مصطلح حديث يعكس جزءاً من هذه الحقيقة، فهو مشتق من الأصل اللاتيني Natus الذي يعني الولادة من أصل مشترك. وهي أحد العناصر التي كانت تُمنح الجنسية على أساسها في المدن الإغريقية والرومانية القديمة.

لكن التطور الذي عرفته الحضارات الإنسانية في التاريخ قد انعكس بشكل مباشر على العناصر التي يقوم عليها نظام الجنسية، فبعد قيام الدول والامبراطوريات الكبرى القديمة، كالدول المصرية الفرعونية الموحدة في عهد "ميناء" حوالي 3200 قبل الميلاد، ودولة بابل في بلاد ما بين النهرين، والامبراطورية الرومانية الغربية بقيادة الإسكندر الأكبر، لم يعد أساس انتماء الفرد للدولة أو الامبراطورية التي يعيش في كنفها هو العرق أو القرابة أو السلالة، بقدر ما أصبح الانتماء قائماً على أساس الخضوع للسلطة الحاكمة والولاء السياسي لها، وذلك بسبب تعدد اللغات والأعراف والتقاليد والسلالات التي أصبحت خصائص مشتركة تميز شعوب هذه الدول والامبراطوريات.

أما في العصور الوسطى وبالضبط في الفترات التي انتشر فيها نظام الإقطاع. "Régime féodal" اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً فإن فكرة الجنسية أصبحت قائمة إلى جانب الولاء السياسية، على علاقة التبعية القائمة بين صاحب الإقطاعية والرعايا الخاضعة لسلطته وحكمه.

ولكن هذه العلاقة التي شكلت أساس الانتماء والتكتل السياسي خلال فترة سيادة نظام الإقطاع ما فتئت تتلاشى بعد أفول نجم هذا النظام واندحاره. إذ مع بروز عصر النهضة وسيادة الأنظمة السياسية الملكية، أصبحت فكرة الجنسية قائمة على فكرة الخضوع للسلطة الملكية. وبذلك أصبحت الرابطة الجامعة بين أفراد الدولة الواحدة هي رابطة الخضوع لحكم الملك وسلطانه المطلق. ولكن بروز الحركات القومية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقيام جملة من الثورات التي تركت آثارها واضحة في مجرى التاريخ المعاصر، كالثورة الفرنسية سنة 1789، وبروز عدد من النظريات الفلسفية والسياسية، جعلت أنظمة الحكم تقوم على قواعد جديدة، ومبادئ مختلفة لما كان سائداً في الماضي، بحيث أصبحت الدول تقوم على أساس قومي. وأصبح هناك نوع من التطابق بين مفهوم الدولة ككيان سياسي وقانوني، وبين الأمة ككيان اجتماعي. وترتب عن ذلك أن مفهوم الجنسية صار مفهوماً قومياً يستند في قيامه على عناصر اللغة والتاريخ والعرق... الخ ومن ثم أصبح نظام الجنسية قائماً على أساس الانتماء القومي، إذ أن التطابق الذي حدث في لحظات من التاريخ الأوربي على الخصوص بين الأمة والدولة، لم يدم طويلاً، بل حدث بعد ذلك انفصال بينهما جعل الدولة تنظيمياً سياسياً وقانونياً وإدارياً واسعاً يقوم على استيعاب خصاصيات قومية متعددة. وهي واقعة تاريخية أدت إلى تغيير حقيقي في طبيعة العلاقة القائمة بين الفرد والدولة، التي لم تعد علاقة على أساس اللغة أو التاريخ أو العرق. بل أصبحت قائمة على أساس الانتماء السياسي والقانوني الذي تعتبره اليوم التشريعات الوضعية المعاصرة جوهر فكرة الجنسية وقاعدتها العامة، التي دأبت مختلف الدول على تنظيمها عن طريق إقرار قواعد خاصة، تمثل نظاماً قانونياً متميزاً يحدد الأسس التي يمكن للمواطن بناء عليها الحصول بصفة تلقائية على جنسية البلد الذي يقوم فوق أرضه، أو الحالات التي يمكنه فيها المطالبة باكتسابها كالولادة والإقامة والزواج، كما يقر الشروط الواجب توفرها في كل حالة والآثار القانونية المترتبة عنها.

وعلى خلاف هذه الأنظمة القانونية، فإن التشريع الإسلامي من جهته قد وضع جملة من القواعد والمبادئ التي يقوم عليها نظام الجنسية والأساس الشرعي الذي يقوم عليه هذا النظام.

فالبنيان للشرعة الإسلامية، تقوم فكرة الجنسية على أساس عقدي قوامه الانتماء للملة الإسلامية واتباع شريعة الإسلام. ومن ثم فقد ارتبط نظام العلاقة بين الفرد والدولة في تاريخ المجتمع الإسلامي بالتقسيم الجغرافي الذي أملتته ضرورة الواقع من أجل تحديد مجال سيادة الدولة الإسلامية. وهو المجال الذي قام على أساس التمييز بين دار الإسلام ودار الحرب. فدار الإسلام تتمثل في المجال

الجغرافي الذي كانت تطبق فيه أحكام الشريعة الإسلامية، حيث يتكون المجتمع من غالبية مسلمة، وأقلية غير مسلمة.

وإذا كانت الغالبية المسلمة تخضع في معتقداتها وعباداتها ومعاملاتها وسلوكها لشريعة الإسلام، فإن الأقلية من غير المسلمين ومن مختلف الديانات كانت تخضع لنظام تشريعي خاص، يقوم في أساسه على التفرقة بين ما يعرف بأهل الذمة من جهة، والمستأمنين من جهة أخرى.

فالأولون من أهل الذمة، تربطهم بدولة الإسلام رابطة تعاقدية يكون لهم بمقتضاها حق التمتع بعدة امتيازات، من بينها حقهم في التوطن الدائم في دار الإسلام، وحقهم في الحماية التي تضمنها لهم الدولة الإسلامية في أموالهم وأنفسهم وحقهم في إقامة شعائر دينهم وعقيدتهم. ومقابل ذلك، يكون من واجبهم الالتزام بعدم موالات أعداء المسلمين، وعدم الطعن في عقيدة الإسلام، وأداء الجزية في شكل مبالغ مالية أو عينية مقدرة ومحددة لبيت مال المسلمين.

أما الآخرون من المستأمنين، فقد كانوا يدخلون دار الإسلام بموجب عقد أمان، يعفون بمقتضاه من كثير من التكاليف المالية، وتضمن لهم الدولة الحماية فوق أرضها لمدة معينة، كما تكون إقامتهم بها إقامة مؤقتة ولمدة محدودة.

والمستخلص من كل ذلك، أن فكرة الجنسية في المجتمع الإسلامي - على خلاف التشريعات الوضعية - لم تكن قائمة على أساس اللغة والعرق والتاريخ، وإنما كانت مستندة لمبدأ الانتماء للعقيدة الإسلامية، ومبنية على أساس التشبث بأوامرها. كما أن أهل الذمة من غير المسلمين كانوا يُعتبرون من رعايا الدولة الإسلامية بناء على عقد الذمة الذي كان يجمعهم ويربطهم بدولة الإسلام التي يقيمون فوق أرضها ويخضعون لسلطانها، في حين كان المستأمنون يعتبرون في حكم الأجانب، ويتمتعون بحق الإقامة المؤقتة فوق أرض الإسلام، وفق ما تحدده بنود الأمان الذي يربطهم بالدولة، وبذلك كانوا يستفيدون من وضعية خاصة شبيهة بما يعرف اليوم في التشريعات الحديثة بالمركز القانوني للأجانب.

هذا التنظيم المبني على قواعد الشريعة الإسلامية، هو الذي كان سائداً في المغرب إلى حدود فترة ما قبل الحماية الفرنسية والاسبانية التي عرفها المغرب ابتداء من سنة 1912. فخلال أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، وهي المرحلة التي عرفت التوقيع من قبل المغرب على مجموعة من المعاهدات والأوفياء الدولية مع دول مختلفة، أصبح نظام الجنسية موضوع تشريعات خاصة، كما أصبح مرتبطاً بما كان يعرف خلال هذه المرحلة بنظام الامتيازات والحمايات التي كانت تستفيد منها مجموعة من الأجانب في المغرب،

وفئات واسعة من اليهود المغاربة وبعض المسلمين من التجار والمستخدمين العاملين في القنصليات الأجنبية وأصبحوا بموجبه غير خاضعين للمحاكم المغربية.

وقد عرف هذا النظام توسعا وانتشاراً متزايداً دفع حكومة المغرب إلى الاحتجاج لدى مختلف الدول الأجنبية لما صار يتضمنه من انتهاك سافر لحقوق الدولة المغربية وسيادتها، ولا سيما في مجال القضاء، الذي يمثل أحد أهم مظاهر السيادة. وقد تطورت الأوضاع، مما دفع بالمغرب إلى إبرام عدة اتفاقيات مع عدد من الدول الأوربية. وكانت عبارة "رعايا السلطان" أو "رعايا سلطان المغرب" أو "رعايا سلطان مراکش" التي ترد ضمن مقتضيات المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي أبرمها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، هي العبارة السياسية والتشريعية التي يشار بها إلى المغاربة، وأصبح يعرف بها حملة الجنسية المغربية منهم، خلال القرن الثالث عشر (19 م).

ومن ثم لم تعد الديانة الإسلامية المعيار الوحيد لتمتع الشخص بالجنسية المغربية أو منحه حق اكتسابها، بل أصبح المعيار الإقليمي (الانتساب والولادة فوق الأرض المغربية) إلى جانب المعيار السياسي (الولاء للسلطة السياسية) هو الأساس الذي أصبحت تستند إليه الدولة المغربية من أجل تمكين الأشخاص من الحصول على الجنسية المغربية أو اكتسابها.

وفي كل الأحوال، كانت القاعدة المطردة والمشهورة في تاريخ المغاربة منذ القديم، والتي بموجبها "يولد المغربي مغرباً ويموت مغرباً" هي القاعدة المطبقة بالنسبة للمغاربة الوطنيين، وهي قاعدة تستمد مرجعيتها من عقد البيعة المستمرة التي اعتبرت أساساً لبناء شرعية الحكم وممارسة السلطة في تاريخ المغرب، بكيفية متواترة تتجدد مع تجدد أنظمة الحكم وقيام الدول.

وقد أكدت هذه القاعدة أولُ مادة تشريعية مكتوبة تتصل بالنظام الحديث للجنسية المغربية، هي المادة (15) من اتفاقية مدريد المبرمة بين المغرب وثلاث عشرة دولة أوربية في أواخر القرن الماضي حوالي سنة 1880 ميلادية والتي جاء في الفقرة الأولى منها :

"كل رعية مغربي تجنس بجنسية أجنبية في الخارج يتعين عليه، بعد قضاء مدة مساوية للمدة اللازمة للحصول على الجنسية الأجنبية، أن يختار بين الخضوع لقوانين المملكة المغربية وبين مغادرة التراب الوطني، مالم يثبت أن التجنيس المذكور قد تم الحصول عليه بعد موافقة السلطان".

وقد أكدت مضامين هذه المادة مقتضيات الفصل (19) من قانون الجنسية المغربي الحالي، واعتمدها المغرب من بين دفعاته أمام محكمة العدل الدولية بلاهاي إثر عرض قضية الصحراء المغربية عليها سنة 1975.

وخلال فترة الحماية ارتبط نظام الجنسية بنظام الحماية

نفسه، ارتبط به بكل معطياته التاريخية والسياسية والقانونية. فقد نصت معاهدة الحماية الفرنسية الموقعة بفاس يوم 30 مارس 1912 على "أن ممثلي فرنسا الدبلوماسيين والقنصلين مكلفون بتمثيل الرعايا المغاربة وحماية مصالحهم في الخارج".

وقد كرست هذه المقتضيات تقييداً واضحاً على سيادة الدولة المغربية في مجال السياسة الخارجية، فضلاً عما رتبته من نتائج قانونية وسياسية بالنسبة لنظام الجنسية لا سيما بالنسبة للمغاربة الحاملين للجنسية المغربية بصفة أصلية.

فقد أصبح هؤلاء يخضعون لنظامين مختلفين : أحدهما يطبق في الداخل فيعتبرون بموجب رعايا سلطان المغرب، ويتمتعون في ظلّه بالجنسية المغربية الأصلية. وثانيهما يطبق عليهم في الخارج ويعاملون بموجبه معاملة الرعايا الفرنسيين بناءً على قاعدة تمثيلهم من قبل الممثلين الدبلوماسيين والقناصل الفرنسيين العاملين بالمصالح الفرنسية لدى الدول الأجنبية. مما أصبح معه المغاربة يحملون جنسيتهم في بلدهم، ويفقدونها إذا خرجوا منه حتى أضحى من المفارقات الغربية، أن نجد المغاربة والتونسيين مثلاً وغيرهم من رعايا الدول الخاضعة للحماية الفرنسية تطالب فرنسا لدى المحاكم المصرية اعتبارهم رعايا فرنسيين، وذلك بمناسبة قيام بعض النزاعات القضائية. بل أكثر من ذلك لم يبق الأمر في إطار القضاء، بل كرسه اتفاقية وقعت بين فرنسا ومصر في الخامس والعشرين من شهر مارس 1925.

والى جانب معاهدة الحماية نجد أن قضايا الجنسية في المغرب خلال هذه الفترة لم تعرف نظاماً قانونياً موحداً ومنسجماً ومضبوطاً، بل صدرت خلال العشرينات الأولى لفترة الحماية جملة من النصوص والمقتضيات التي نظمت بعض الجوانب المتعلقة بالجنسية المغربية الأصلية وبإجراءات اكتساب الجنسية الفرنسية في المغرب، حكمها التعارض والتناقض. وكرس المنطق الاستعماري فيها امتياز تطبيق التشريع الفرنسي في المغرب من أجل تقوية وضعيتها المتجنسين بالجنسية الفرنسية فوق أرض المغرب.

ففي 29 أبريل 1920 أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوماً يخص تجنيس الأجانب المقيمين في المغرب بالجنسية الفرنسية، واعتمد هذا النص في منح الجنسية الفرنسية فقط على معيار الإقامة في المغرب دون قيد أو شرط آخر، على خلاف ما كان معمولاً به في فرنسا نفسها وفي سائر البلاد الأخرى، وذلك من أجل تقوية الوجود الفرنسي من جهة، وتخفيف وطأة الالتزامات التي تعهدت بها فرنسا للدول المتنازلة عن امتيازاتها من جهة أخرى، متى أصبح رعايا تلك الدول من الفرنسيين. وأكثر من ذلك فإن السلطات الاستعمارية جعلت مدة الإقامة اللازمة بالمغرب من أجل الحصول على الجنسية المغربية ثلاث سنوات في

حين قلصت هذه المدة إلى سنة واحدة إذا كان الشخص قد قدم خدمات جلييلة لفرنسا". وهي إشارة دالة عن النوايا الاستعمارية الدفينة التي لا تخفى مضامينها وأبعادها.

وفي الثامن من نوفمبر 1921 أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوماً آخر خاصاً بالجنسية الأصلية الفرنسية في المغرب، واشترط فيه ثلاثة شروط من أجل الحصول عليها. وهي أن يولد المولود في منطقة الحماية الفرنسية، وأن يكون من أبوين أحدهما تابع كأجنبي للمحاكم الفرنسية في المغرب، وأن يكون أحد أبويه مولوداً أيضاً في المغرب.

ويلاحظ أن المشرع الفرنسي من خلال هذا النص قد أخذ بالأساسين الرئيسيين اللذين يقوم عليهما نظام الجنسية في التشريعات الحديثة، أولهما حق الدم من جهة، وحق الإقليم من جهة أخرى. وقد اعتبر الأجنبي من أجل تطبيق هذا النص هو الشخص التابع لدولة تنازلت عن امتيازاتها في المغرب، وقد كان ذلك من أجل تقوية عدد الجالية الفرنسية بالمغرب في الدرجة الأولى.

وفي نفس تاريخ صدور هذا النص أي الثامن من نوفمبر 1921 صدر ظهير شريف من أجل تنظيم الجنسية المغربية. والنظر في مضمون المادة الفريدة التي يتكون منها هذا الظهير يستنتج أنه ينظم الجنسية الفرنسية بالمغرب أكثر من تنظيمه للجنسية المغربية، فهو يعتبر مغرباً كل من ولد في المغرب من أبوين أجنبيين وُلد أحدهما فيه، مستثياً الفرنسيين الوطنيين والمواطنين والتابعين لفرنسا من غير المغاربة، والحق أن هذا النص لا يقر سوى نوع من الاكتساب الوهمي للجنسية المغربية، كما تم التعليق عليه بحق خلال التحضير لقانون الجنسية الجاري به العمل حالياً في المغرب.

وزيادة على ذلك كانت المحاكم تطبق أحكام المرسوم الفرنسي الصادر في نفس التاريخ وتبعد هذا الظهير عن مجال التطبيق، عملاً بالقاعدة الاستعمارية التي سارت عليها كثير من البلاد آنذاك والقاضية بسريان قانون الدولة الحامية بدل قانون الدولة المحمية في حالة التعارض بين أحكام كل منهما.

وفي سنة 1934 صدر مرسوم فرنسي في الخامس والعشرين من شهر يناير، يستتني رعايا سلطان المغرب من فئة الأشخاص الذين يجوز لهم اكتساب الجنسية الفرنسية بناءً على الولادة في فرنسا من أب أجنبي موطنه في المغرب باستثناء منطقة الحماية الإسبانية.

وأخيراً في 2 أكتوبر 1948 صدر مرسوم فرنسي اشترط من أجل اكتساب الجنسية الفرنسية موافقة سلطان المغرب بالنسبة للشخص المولود من أب مغربي وأم فرنسية وذلك انسجاماً مع أحكام المادة (19) من القانون الفرنسي للجنسية.

وكانت هذه أهم المقتضيات القانونية التي صدرت خلال فترة الحماية المطبقة في المغرب بالنسبة للمنطقة الخاضعة

المتجنس طيلة مدة خمس سنوات، واستفادة الأبناء، القاصرين المنحدرين من الأشخاص المكتسبين للجنسية المغربية من نفس الحق.

الباب الرابع وقد تناول فيه المشرع حالات فقدان الجنسية وأثارها القانونية، وحالات التجريد منها، والمسطرة القانونية المتبعة في ذلك.

الباب الخامس حُصص لاستعراض الإجراءات الإدارية المتعلقة بإيداع الطلبات والتصريحات المقدمة لاكتساب الجنسية المغربية، وحالات عدم القبول، والرفض، والتعرض، ومسطرة دراسة التصريح وإشهار الظاهر والمراسيم المتعلقة بالجنسية في الجريدة الرسمية للدولة.

أما الباب السادس فيحدد مقتضيات المتعلقة بإثبات الجنسية سواء كانت أصلية أو مكتسبة، وإثبات فقدانها والتجريد منها، بما في ذلك الإثبات القضائي إلى جانب الأحكام المتعلقة بالنازعات القضائية المثارة بشأنها سواء تعلق الأمر بالاختصاص أو الدفع بالجنسية قبل البت في نزاع قضائي، وغير ذلك من الأحكام الإجرائية المتعلقة بالدعاوى على اختلاف أنواعها الرئيسية أو القائمة بموجب الإحالة أو المعارضة وما يطبق من مسطرة في حالة قيام هذه المنازعات.

وأخيراً الباب السابع الذي يقرر مقتضيات انتقالية استثنائية وتطبيقية تهم فترة صدور قانون الجنسية، من بينها الأحكام الفريدة التي تضمنتها المقتضيات القاضية بأن كل شخص أصله من بلاد تتألف أغلبية سكانها من جماعة لغتها العربية أو دينها الإسلام، وينسب إلى تلك الجماعة يخول له هذا القانون، مع مراعاة حق وزير العدل في المعارضة طبقاً لأحكام الفصلين 26 و27 أعلاه، أن يصرح داخل أجل سنة ابتداء من تاريخ نشر هذا القانون باختيار الجنسية المغربية.... وقد اشترط المشرع لذلك شروطاً منها أن يكون موطن الشخص وإقامته بالمغرب في تاريخ تشر قانون الجنسية، وأن يثبت زيادة على ذلك إقامة اعتيادية في المغرب لمدة (15) سنة على الأقل، أو ممارسة وظيفة عمومية في الإدارة المغربية منذ (10) سنوات على الأقل، أو الزواج من امرأة مغربية بالإضافة إلى السكن في المغرب منذ سنة على الأقل بشرط أن يكون الزواج غير منحل.

وقد أقرت هذه المقتضيات كذلك، حق الشخص بالتصريح في اختياره الجنسية المغربية إذا كان أصله من منطقة مجاورة للحدود المغربية إذا جعل محل سكناه وإقامته فوق التراب المغربي، وذلك خلال سنة من تاريخ نشر المرسوم الذي تعين بموجبه المناطق المجاورة للحدود المغربية.

وقد صدر تطبيقاً للفصل (33) من هذا القانون قرار عن وزير العدل بتاريخ 27 أكتوبر 1958، جعل وكلاء الملك بالحاكم الابتدائية هم المختصين وحدهم بتسليم شهادات

للحماية الفرنسية، في حين كانت المنطقة الخاضعة للنموذج الإسباني لا تتوفر على أي مرجعية تشريعية بها، وإنما كان السائد عوض ذلك هو نظام البطاقة الشخصية التي يتعين على كل فرد أن يحملها سواء كان وطنياً أو أجنبياً، وهي بطاقة تتجدد كل سنة، وإن كانت لا تكفي في تحديد جنسية حاملها، فقد كانت تستعمل وسيلة للإثبات عند حدوث نزاع أو قيام خلاف. في حين كانت منطقة طنجة الدولية تخضع لمقتضيات الظهير الشريف المشار إليه. باعتبار الملك المغربي كان صاحب السيادة والولاية العامة في المنطقة.

وعند استقلال البلاد، عملت السلطات العمومية جاهدة من أجل إصدار قانون موحد ينظم الجنسية المغربية، وهو العمل الذي توج بصور الظهير الشريف رقم 1.58.250 بتاريخ 21 صفر الخير 1378 (6 سبتمبر 1958) بمثابة قانون الجنسية المغربية متضمناً ستة وأربعين فصلاً مندرجة ضمن سبعة أبواب، تناولت الجوانب التالية :

الباب الأول، ويتضمن جملة من المقتضيات العامة المتصلة بالمصادر القانونية المعتمدة في مسائل الجنسية بما في ذلك المعاهدات والأوقاف الدولية، التي تقع المصادقة عليها ويتم نشرها، كما تهم هذه المقتضيات نطاق تطبيق قانون الجنسية من حيث الزمان، ومن حيث الأشخاص بما في ذلك تحديد سن الرشد القانوني، ثم من حيث المكان من خلال تحديد المقصود قانوناً بعبارة "المغرب" باعتباره مجموع التراب المغربي والمياه الإقليمية والسفن والطائرات ذات الجنسية المغربية.

الباب الثاني ويتعلق بمقتضيات القانونية المطبقة على الجنسية الأصلية ولا سيما تلك التي يتمتع بها الشخص بما في ذلك في حالتين اثنتين، أولاً : حالة الولد المنحدر من أب مغربي، وثانيتهما : حالة الولد المولود من أم مغربية وأب مجهول، ثم بناء على حق الإقليم، وذلك في حالتين، أولاً : حالة الولد المولود في المغرب من أم مغربية وأب لا جنسية له، وثانيهما : حالة الولد المولود في المغرب من أبوين مجهولين، وهذه الحالة الأخيرة تنطبق على وضعية الأطفال اللقطاء الذين اعتبر المشرع أنهم مولودون في المغرب مالم يثبت خلاف ذلك، تفادياً لحالة انعدام الجنسية. وقد وردت في هذا الباب كذلك أحكام مشتركة تتعلق بعلاقة النسب بالجنسية.

الباب الثالث وقد حدد المشرع فيها المقتضيات المتصلة باكتساب الجنسية المغربية ميمزاً بين اكتسابها بقوة القانون عن طريق الولادة أو الإقامة في المغرب وبين اكتسابها عن طريق التجنيس، محدداً لشروطه والاستثناءات الواردة عليه، والاجراءات المتعلقة بوثيقة التجنيس وسحبها، وأخيراً طريقة استرجاع الجنسية المغربية والآثار القانونية المترتبة على اكتسابها والقيود المفروضة على أهمية

الجنسية للأشخاص الذين يثبتون أنهم يتمتعون بالجنسية المغربية، كما صدر في تاريخ 11 نونبر 1958 منشور عن وزير العدل يشرح المسطرة القانونية والإدارية الواجب اتباعها، والإجراءات اللازمة اتخاذها من أجل تنظيم الوثائق المتعلقة بالجنسية، كما صدرت عدة منشورات مماثلة متصلة بالموضوع موجهة إلى السادة وكلاء الملك خلال سنوات 1975، 1979 و1983 تهم بالخصوص التدابير التي يتعين اتخاذها فيما يتعلق بطلبات اكتساب الجنسية، والمنازعات القضائية المثارة بشأنها.

وتعتبر هذه المنشورات إلى جانب قانون الجنسية الصادر لسنة 1958 والمقتضيات المتعلقة بالجنسية والواردة في بعض الاتفاقيات الدولية التي صادقت عليها السلطات العمومية وتم نشرها في الجريدة الرسمية، هي مجموع النصوص والأحكام القانونية المتعلقة بنظام الجنسية المطبقة في المغرب اليوم.

أحمد زوكاغي، أحكام القانون الدولي الخاص في التشريع المغربي - الجنسية، الرباط، 1992؛ وثائق الجنسية المغربية، الرباط، 1994؛ إبراهيم عبد الباقي، الجنسية في قوانين دول المغرب العربي الكبير، تونس، 1971؛ أحمد عبد الكريم سلامة، الميسر في شرح نظام الجنسية، الطبعة الأولى، مصر 1993؛ محمد أحمد بن عبود، مركز الأجانب في المغرب، الرباط، الطبعة الثالثة، المغرب 1988؛ مصطفى بوشعرا، الاستيطان والحماية بالمغرب، الرباط، أربعة أجزاء، 1989.

عبد الإله فونتيير

ومن متأخري هذا الفريق فيما يبدو : التاجر المعتمر بقيسارية البز : الحاج الحسين ابن محمد الجنان، المتوفى عن أولاده : الحاج محمد وأحمد ومحمد والعلمي وعبد السلام والمهدي.

الفريق الثاني : بنو الجنان أحوال الشيخ ابن غازي، فيذكر أنهم الذين اشتهروا بهذه النسبة في زمنه القرن التاسع (15 م) غير أنه لم يوضح مُنتماهم ولم يسم واحداً من رجالهم، وإنما نوه بالمستوى الثقافي لوالدته رحمة بنت محمد الجنان، فكانت - حسب الروض الهتون - قد حفظت كثيراً من الأحاديث الصحاح، وكادت أن تحيط حفظاً بالأدعية الواردة في المصنفات الصحاح، وكانت ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف، وتعلمت كثيراً من تفسير قصصه وأخباره، تلقيا لذلك وغيره من زوجها الأول.

الفريق الثالث : بنو الجنان الذين أصلهم من فاس، ويرجع الفضلي بقبيلهم في فاس إلى الفهريين ويضيف أن أوليتهم من جيان، ثم دخلوا العدو وسكنوا منها فاسا ومكناسة. ومن ساكني المدينة الأخيرة منهم : الطالب السيد عثمان الجنان الفاسي الأصل، وهو والد الطلبة : محمد والهادي وإدريس، والأخير هو أب الأستاذ العالم عبد النبي الجنان المحتسب الحالي بمكناس.

ونختم بالإشارة إلى عالم رياضي من هذه الأسرة دون أن نتيين فريقه، وقد نزع عن بلدته مكناس للسكنى بمراكش، وبهذه المناسبة كتب له القاضي عباس ابن إبراهيم ترجمة. ولا يزال في حي ابن خضرا بمكناس، سكة تحمل اسم "درب الجنان" جوار مسجد الجنان هناك.

م. ابن غازي، الروض الهتون، الرباط، 48، 46، 51، ع. ابن زيدان، إتحاف، 1 : 323 و458 : المنزه اللطيف، وثيقة النسبة الكتانية الشريفة، الدار البيضاء، 2014 : 1. الفضلي، الدرر البهية، 2 : 369.

محمد المنوني

الجنان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي

المكناسي، فقيه، عدل، إخباري، أديب مشارك. يعود فضل التعريف به إلى لسان الدين ابن الخطيب، فقد كان من جملة العلماء الذين لقبهم عند زيارته لمكناس عام 761 هـ وتحدث عنهم في رحلته المسماة : تفاسة الجراب في علالة الاغتراب (طبعة القاهرة، ص. 376، 377) حيث قال : "ومنهم الشيخ الفقيه العدل الأديب الإخباري المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي الجنان، من أهل الظرف والانتطباع والفضيلة، وهو كاتب عاقد للشروط، ناظم نائر مشارك في فنون من العلم، له تصنيف حسن في ثلاثة أسفار اسمه المنهل المورود في شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق ابن القاسم فأرى على الإجابة، بيانا وإفادة، وناولني إياه، وأذن في حمله عنه، وأنشدني كثيراً من شعره".

الجنان، أسرة مكناسية معظمهم من قدماء سكان

مكناس وهم يتفرعون إلى ثلاث فرق : الفريق الأول : فصيلة الأوسيين من الأنصار، ويصفد ذكر أول اسم منهم وهو أبو جعفر أحمد بن محمد الأوسي الجنان إلى أواسط القرن الثامن الهجري (14 م) ينوه به لسان الدين ابن الخطيب في نفاضة الجراب ويبرزه ضمن الجماعة الذين لقبهم بمكناس، في زيارته لها عام 761 / 1360.

ويعد أبي جعفر هذا تتتابع الإشارة لهذا الفريق حسب الإشارات التالية : أ. " وثيقة النسبة الكتانية الشريفة، المؤرخة بأواسط شوال عام 930 / أواسط غشت 1524، فيأتي بين شهودها اسم أبي سعيد بن الشيخ أبي عبد الله محمد الجنان الأنصاري، مع اسم أبي الحسن علي بن محمد ابن الجنان الأنصاري. ثم يأتي عقد زواج أحمد بن عبد الله الجنان الأنصاري، بتاريخ 23 جمادى الأولى 1022 / 11 يوليوز 1613، فوثيقة سكان مكناس في العصر الإسماعيلي، بتاريخ أوائل المحرم عام 1121 / أواسط مارس 1709، حيث ترد بها هذه الفقرة : "أولاد الجنان من الأنصار : أوس".

وأورد ابن الخطيب بعضاً من أشعاره ومحاوارة ومراجعاته له.

وعن ابن الخطيب نقل كل من ابن غازي في الروض الهمتون وابن القاضي في جذوة الاقتباس والمقري في نفع الطيب وابن زيدان في الإتحاف. ويضيف ابن غازي قائلاً إن هذا الجنان ليس من بني الجنان المشهورين في مكناس ومنهم أخواله. ولم يقف أن ترجم له على تاريخ وفاته.

م. ابن غازي، الروض الهمتون، ص. 47 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 1 : 152 : أ. المقري، نفع الطيب، 7 : 272، 273 : ع. ابن زيدان، الإتحاف، 1 : 322، 224.

أحمد الوراث

الجنان، أحمد بن محمد بن عبد السلام

المكناسي. رجل إداري وسياسي محنك تقلب في عدة وظائف إدارية بمكناس، فكان أمين الموارد ثم خليفة باشوياً ثم باشا بنفس المدينة إلى أن عزل خلال الأزمة السياسية سنة 1953 لانحياشه إلى جانب الوطنيين ضد الاستعمار. وبعد الاستقلال رقي إلى منصب عامل بمكناس. وبها توفي عام 1972 / 1392.

الجنان، رحمة ← الجنان، أسرة

الجنان، محمد بن أحمد الغرناطي الفاسي، أحد

العلماء المذكورين في سلسلة الأسانيد العلمية بمدينة فاس، فهو يروي مباشرة عن ابن مجبر، والقُدومي، والمنجور، والسراج وغيرهم. كما أنه تصدر للتدريس، فكانت له مجالس حسنة في علوم اللغة والفرائض والحساب، غير أنه اشتهر كفقيه مالكي متخصص في إقراء الشيخ خليل. وله عليه حاشية مختصرة تداولها الطلبة بكثرة إلى جانب ملازمتهم لدروسه الحديثية وروايتهم عنه.

عايش الشيخ الجنان الهزة السياسية القوية التي عرفتها فاس في آخر العهد السعودي، ورفض المشاركة في إصدار الفتوى التي طالب بها محمد الشيخ المأمون العلماء استبراء لدينه. ويتضح من سيرته أنه لم ينقطع عن التعليم وقيامه بإمامة ضريح مولاي إدريس رغم طعنه في السن.

توفي آخر ذي الحجة سنة 1050 / أوائل أبريل 1641.

أ. ابن القاضي، درة، ج 2 : 236 : ع. الفاسي، تحفة الأكابر، مخطوط، إشارات في ص 51، 57 : م. الإفرائي، صفة، 58 : م. القادري، نشر، 1 : 379 : التقاط الدرر، بيروت 1983، ص. 111 : أ. ابن عجيبة، ازهار البستان، مخطوط، 230 : أ. الناصري، الاستقصاء، الدار البيضاء، 4 : 19، 6 : 22 : م. الكتاني، سلوة، 3 : 58 : ع. الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، 1982، 1 : 301، خ. الزركلي، الأعلام.

نفيصة الذهبي

الجنان، محمد الطايح المكناسي ثم المراكشي.

عالم فلكي ماهر في التوقيت والرياح المجيد والحساب والتعديل، يدرس ذلك بجامعة ابن يوسف. ومن أخذه عنه المحجوب بن محمد الحمري، ومحمد بن الحاج عزوز شنطيط الأندلسي المراكشي موقت جامع ابن يوسف بمراكش وأخر عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وأوائل عهد ابنه الحسن الأول. وصاحب الحصاة التوقيتية التي يتداولها المراكشيون ويعتمدونها.

توفي الجنان عام 1299 / 1881.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 7 : 46.

الجنان، المكّي الفاسي، من شيوخ إبراهيم التادلي

الرباطي، ذكره في إجازته لابن خليفة وقال إنه خاتمة علماء الرياضة والفلسفة، وأنه قرأ عليه الكرة السنوية لابن الشاطر في التعديل وغيرها، ولازمه سنين أيام دراسته بفاس في عشرة السبعينات من القرن الثالث عشر (19 م).

كان الجنان مؤقتاً بجامعة فاس الجديد وتوفي في حدود 1300 / 1882.

إ. التادلي، الإجازة، مخطوطة، خ. ع رقم 1427 ك آخر مجمرع :

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2680.

محمد حجي

ابن الجنان، يوسف بن يحيى ابن الحاج تنقل بين

سكنى قصر عبد الكريم ومالقة وسجلماسة، واستوطن في آخر حياته أغمات وريكة.

كان أديباً شاعراً سيال القريحة في النظم والنثر، وإن كان نظمه متوسطاً، وقد أورد صديقه ابن عبد الملك المراكشي في الترجمة التي خصصها له في "الذيل والتكملة" نماذج من شعره ونثره.

وكان نساخاً ماهراً، جيد الخط، سريع الكتابة مداوماً عليها، لم يخف مترجمه إعجابه بجودة كتابته وكثرة نسخه إلى درجة أنه "قل كتاب يستعمل مشهور إلا نسخه" (الذيل، 8 : 439)، ورأى له "عما نسخ مع اشتغاله بما ذكره زيد من مائة مجلد في مدة ليست بالمديدة" (نفسه).

واشتغل ابن الجنان في الكتابة عن الولاية والقضاة، فكتب أيام سكناه بقصر عبد الكريم لقاضيها عبد الكريم ابن عمران، وكتب بمالقة للمتأمر بها بعد زوال حكم الموحدين عنها عبد الله بن علي ابن زنون. واشتغل إضافة إلى ذلك بعقد الشروط في دكانه، وكتابة "أزمة المجابي السلطانية"، أي سجلات مداخيل جباية الدولة.

كان ابن عبد الملك على صداقة متينة بابن الجنان، يزوره بأغمات وريكة التي كان استقراره بها للكتابة عن واليها من قبل المرينيين أبي عمر المتوسي الملياني.

توفي ابن الجنان في بداية عصر المرينيين في القرن السابع (13 م) لكن تاريخ وفاته طمس في مخطوطة *الذيل والتكملة*.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريف، الرباط، (ج 8) 1984؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط، 1991.

محمد المغراوي

جنون ← جنون

جَنِينُو، أسرة تطوانية أندلسية بربرية موفورة العدد، ذكرت عام 1129 هـ نبغ فيها في التجارة والصناعة أفراد منهم المعلم الحاج العربي جَنِينُو وفي عام 1143 هـ كان السيد علي بن موسى جَنِينُو الأندلسي ناظراً لأحباس جامع العيون بتطوان.

محمد بوخيزة

جنوب إفريقيا والمغرب، بالرغم من أن العلاقات بين المغرب وجنوب إفريقيا لم تبدأ رسمياً إلا سنة 1992، فإن عمرها في الواقع يمتد إلى حوالي أربعة عقود عرفت خلالها ثلاث مراحل تميز كل منها بمميزات خاصة.

المرحلة الأولى ابتدأت مع استقلال المغرب وإلى حدود سنة 1963، وقد تميزت بتحالف المغرب مع الدول والمنظمات الراديكالية الإفريقية التي كانت تلتقي في معارضتها للاستعمار ولنظام الميز العنصري باعتبارهما امتداداً للنظام الرأسمالي ولسياسات القوى الغربية. وقد شكلت هذه الدول مجموعة الدار البيضاء في المؤتمر الذي احتضنه المغرب في يناير 1961 وحضره الرؤساء الأفارقة الذين تزعموا سياسة المواجهة مع الغرب مثل نكروما وسيكوتوري وموديبوكيتا وعبدالناصر. وبالرغم من أن المغرب ظل دائماً يؤيد القرارات المنددة بالأبارتايد في المؤتمرات والمنظمات الإقليمية والدولية، إلا أن انتماءه إلى مجموعة الدار البيضاء سينتهي عملياً بالتغيير الذي عرفته الدبلوماسية المغربية بعد إنهاء مهام حكومة عبد الله إبراهيم، وفشل مجموعة الدار البيضاء في الاستمرار بسبب عجزها عن مواجهة الخلافات بين أعضائها. خلال هذه الفترة، ربط المغرب علاقات مع المؤتمر الوطني الإفريقي المحظور وقتها في جنوب إفريقيا، واستقبل زعيمه نيلسون مانديلا سنة 1962 وقدم له مساعدات مالية وعسكرية.

وابتدأت المرحلة الثانية سنة 1963، على إثر حرب الحدود بين المغرب والجزائر، وتميزت بتحالف المغرب مع الأنظمة الإفريقية المحافظة والمالية للغرب ترجم إلى مشاركة المغرب العسكرية في الزاير في أبريل 1977 وفي ماي 1978. وقد شكل هذا التحالف مع الغرب أرضية

سياسية مشتركة بين المغرب وجنوب إفريقيا. وبالإضافة إلى ذلك فقد اقتصر الخلاف بين المغرب ونظام جنوب إفريقيا على المطالبة بإلغاء القوانين العنصرية، على عكس البلدان والحركات الإفريقية الراديكالية التي كانت تربط نهاية الميز العنصري بالقضاء على النظام الرأسمالي وتأسيس المجتمع الاشتراكي. وقد تميزت العلاقات بين البلدين خلال هذه المدة بالسرية تعرّض المغرب بسببها لانتقادات الدول الاشتراكية والتيارات اليسارية.

المرحلة الثالثة، بدأت بانتخابات 1990 في جنوب إفريقيا التي أعلنت بداية تصفية نظام الأبارتايد، فقد مهد انتخاب ديكليرك لتحول العلاقات المغربية مع جنوب إفريقيا إلى علاقات رسمية بدأت بزيارة هذا الأخير للمغرب سنة 1990، وتبعتها زيارات لمانديلا سنتي 1993 و1994. كما أن هذه المرحلة تميزت ببداية العلاقات الدبلوماسية بين البلدين التي ابتدأت رسمياً بفتح مكتب لرعاية مصالح جنوب إفريقيا في الرباط ومقابله في بريتوريا سنة 1992، ثم إلى رفع التمثيلية إلى مستوى السفارة في مارس 1994. وتتميز هذه المرحلة بسعي دبلوماسية البلدين لحل المشاكل السياسية الإفريقية وبالاهتمام بالقضايا الاقتصادية.

بالنسبة للموضوع الأول، سعى البلدان إلى العمل على إيجاد حل للأزمات الإفريقية على رأسها أزمة أنغولا. وتلتقي دبلوماسية البلدين بالنسبة لأنغولا في علاقات المغرب الوطيدة مع جواتناس سافيمبي رئيس منظمة البونيتا، وفي رغبة جنوب إفريقيا في أن تتحول إلى قوة دبلوماسية فعالة على الصعيد القاري. وكان المغرب هيباً قمة مصغرة حول أنغولا في نهاية نوفمبر 1994 ضمت بالإضافة إلى المغرب كلا من الرئيس مانديلا، وبطرس غالي، السكرتير العام للأمم المتحدة.

أما بالنسبة للقضايا الاقتصادية، فتشكل العلاقات المغربية الجنوب - إفريقية حالة عادية من علاقات بلدان الجنوب، حيث تتميز باللاتكافؤ في إمكاناتهما الاقتصادية وبضعف حجم مبادلاتهما التجارية وصعوبة نموها تتجلى الفوارق الاقتصادية بين البلدين في الناتج القومي الإجمالي الذي وصل سنة 1993 إلى 118.2 مليار دولار في جنوب إفريقيا مقارنة بما يعادل 26.6 مليار دولار بالنسبة للمغرب. كما أن الدخل الفردي لجنوب إفريقيا في نفس السنة بلغ 2.980 دولار وهو ما يشكل حوالي ثلاثة أضعاف مثيله في المغرب. وتميزت العلاقات التجارية بين البلدين في الفترة 1994 - 1995 بضعف حجمها، وفائض ميزان التبادل التجاري لصالح جنوب إفريقيا بالرغم من بوادر تقلص تدريجي لهذا العجز. فحجم المبادلات التجارية بين البلدين بلغ سنة 1994 حوالي 430 مليون درهما، لم تشكل الصادرات المغربية منها إلا 10 ملايين درهما. وتراجعت هذه المبادلات سنة 1995 إلى 255 مليون

درهما، بينما عرفت صادرات المغرب إلى جنوب أفريقيا ارتفاعاً طفيفاً وصل إلى حوالي 13 مليون درهما. وازداد حجم واردات المغرب من جنوب أفريقيا تقلصاً خلال الأحد عشر شهراً الأولى من سنة 1996 في الوقت الذي تضاعفت فيه الصادرات المغربية لتصل إلى حوالي 23 مليون درهما. عبد الحى مودن

جنوة والمغرب، شكلت مدينة جنوة الإيطالية جمهورية مستقلة منذ القرن الحادي عشر الميلادي. وتعود الاتصالات الرسمية بين جنوة والمغرب إلى عصر المرابطين لما وقع الطرفان معاهدة سلم وتجارة سنة 1137 عقب أحداث قرصنة متبادلة بينهما. وتشكل هذه المعاهدة إحدى أقدم المعاهدات المعروفة التي أبرمتها جنوة مع بلاد المغرب (Jehel, *Les Gènois*, p. 21 et suiv.) يلف الغموض العلاقات الجنوبية المغربية قبل منتصف القرن السادس (12م). غير أن معلوماتنا تتراكم عنها أكثر بعد هذه الفترة، وخاصة في جانبها التجاري، بفضل العقود التي كتبها بعض الموثقين الجنوبيين. أقدم هذه العقود كتبها جون سكريب John Scribe (1154 - 1191)، ثم تليها عقود غليوم كاسنس Guglielmo Cassinese (1190 - 1192) وعقود جيوفاني دي غويرتو Giovanni di Guiberto (1200 - 1206) وسنة 1211 (Balleuo, p. 6).

وقد استمرت العلاقات البحرية المتبادلة بين جنوة والمغرب، مع قيام الدولة الموحدية أبرزها عملية سنة 1154، وذلك لما اعترضت سفن للموحدين Massamutins. كما تسميهم المصادر الجنوبية - سبيل سفينة جنوة كانت عائدة من الإسكندرية (Lopez, *Studi*, p. 11). ويمكن القول إن حضور الجنوبيين بالمغرب قبل توقيعهم معاهدة 1161 مع عبد المومن بن علي كان ضعيفاً، إذ كانت معظم الرحلات التي تقوم بها السفن الجنوبية نحو المغرب تتم بعد رجوعها من المشرق (Studi, p. 22).

لقد شكلت معاهدة سنة 1161 منعطفاً في العلاقات الجنوبية المغربية إذ وسعت من أفق التجارة الجنوبية بالدولة الموحدية وكرست تفوق الجنوبيين على حساب البيزيين (Mascarello, p. 65). نصت هذه المعاهدة على تخفيض الضرائب الجمركية المفروضة على الجنوبيين بالموانئ الموحدية من 10٪ إلى 8٪ باستثناء بجاية التي تم الاحتفاظ فيها بها بنسبة 10٪، كما نصت على أن تستفيد كومونة جنوة من خمس الضرائب الجمركية المستخلصة من ميناء بجاية (Krueger, p. 379). امتدت صلاحية معاهدة 1161 لمدة 15 سنة، ثم جدد العمل بها عقب سفارة أو برتودي نيفرو Oberto de Nigro وغليوم زرينو Guglielmo Zerbino (Krueger, p. 379) 1191. الذين وصلا إلى سبتة في سنة 1191. كان ميناء سبتة أهم ميناء مغربي تتراده السفن الجنوبية، إذ كان يستقطب نصف الاستثمارات التجارية

الجنوية ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن السادس (12 م)، وكانت سلا آخر مركز وصلت إليه السفن الجنوبية بالمغرب الأقصى خلال هذه الفترة (339 - 340). واستمرت سبتة في الحفاظ على ريادتها ضمن الموانئ التي تعامل معها الجنوبيون بالدولة الموحدية في الربع الأول من القرن السابع (13 م)، وكان ترتيب هذه الموانئ ضمن الاهتمامات التجارية الجنوبية كالتالي: سبتة، تونس ثم بجاية (Balletto, p. 8).

لعل من أهم ما طبع حضور الجنوبيين بالدولة الموحدية خلال النصف الأول من القرن السابع (13 م) مساهمتهم في بعثات تبشيرية بالمغرب وقيامهم بحملة عسكرية على سبتة.

ففي 10 أكتوبر 1227 قتل سبعة مبشرين فرنسيسكانيين بسبتة لاشك في أن بعضهم كان من الجنوبيين. لقد كان البابا اينوسان الرابع جنوبياً من أسرة فيسكي Fieschi، ومن المعلوم أن عدة بابوات أرسلوا رسائل إلى الخلفاء الموحديين تهم الحضور الديني والتجاري للجنوبيين بالدولة الموحدية. وقد صدرت هذه الرسائل من هنوريوس Honorius III في 1226 وجرغوار التاسع Gregoire IX في 1233 و1237 واينوسان الرابع Innocent IV في 1246 و1251 (Jehel, *Studi Magrebini*, p. 68) أما عن الحملة الجنوبية على سبتة فقد انطلقت مع تدخل الجنوبيين بها لما دب الصراع بين الخليفة الموحد الرشيد وأبي العباس اليانشتي الذي بايعه أهل سبتة حاكماً عليهم. وقد وصل السفير الجنوبي جاكوبودي مارينو Jacopo de Marino إلى سبتة في 1233. غير أن الحوليات الجنوبية لاتفصح عن أهداف ونتائج هذه السفارة. وبدون شك فإنها كانت ذات علاقة مباشرة بوضعية الجنوبيين بسبتة عقب الصراع الذي تجدد بين الموحديين وأهل المدينة الذين بايعوا اليانشتي (Di Tucci, p. 278).

وبينما كانت سبتة تنعم بالاستقرار والرخاء على عهد اليانشتي، تعرضت لهجوم في أواخر ذي القعدة عام 631 / منتصف غشت 1234 من طرف جنود مسيحيين تسميهم المصادر اللاتينية بكلكيرني Calcurini. وقد فر بعض الجنوبيين من سبتة باتجاه مالقة حيث جهزوا سفينتين على متنها 600 فارس للهجوم على سبتة، بينما فر البعض الآخر منهم إلى جنوة. وبموازاة مع ذلك طلب اليانشتي مساعدة الجنوبيين لمواجهة كلكيرني مقابل الالتزام بتغطية نصف تكاليف الحملة (Lopez, *Studi*, p. 13). غير أن كلكيرني انسحبوا من سبتة قبل وصول الأسطول الجنوبي الذي كان قد ألق من جنوة في شتنبر 1234. وبعد هذا الانسحاب اشتط الجنوبيون في مطالبتهم اليانشتي بالتعويض عن الخسائر التي لحقت بهم من جراء مساهمتهم في إنقاذ المدينة (Di Tucci, p. 282). وقد تشكلت اليانشتي في نوايا الجنوبيين الذين راموا السيطرة على سبتة، فاستنفر القبائل المحلية

التي نهبت وأحرقت فندق الجنويين بها (ابن عذاري، ص 350). وبعد فشل المفاوضات بين البانشتي والجنويين بعث هؤلاء أسطولاً مؤلفاً من 120 قطعة تحت قيادة أو غني ليركاريو Ugone Lercario أواخر مارس 1235. وبحكم عدم تكافؤ القوة العسكرية بين الطرفين قبل البانشتي التفاوض مع الجنويين للانتسحاب من المدينة والتوقيع على صلح مقابل 400 ألف دينار ذهبي كتعويض عن خسائر الجنويين (Latic. p. 151). وهكذا ساهمت حملة الجنويين على سبتة في توطيد حضورهم بها أكثر من أي وقت مضى (Schaube, p. 350).

إن أول إشارة إلى تعامل المرينيين رسمياً مع جنوة بعد أن انفردوا بحكم المغرب الأقصى تتعلق برسالة سفارة إلى أبي يعقوب لما كان يحصن تازوطة، يصف ابن أبي زرع هدية السفير الجنوي بأنها "هدية جلييلة فيها شجرة موهمة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل ما صنع للمتوكل العباسي" (القرطاس، ص 382).

ومن المفيد الإشارة إلى أن هذه السفارة قد جرت في نفس السنة (1291) التي قام خلالها الأخوان الجنويان فيفالدي Vivaldi انطلاقاً من أسفي بمحاولتهما الفاشلة لتجاوز رأس بوجدور. ومن المعلوم أن أسفي كانت آخر نقطة وصل إليها الجنويون على المحيط الأطلسي في القرن السابع (13 م) (Ciasca, p. 450). وفي سياق السفارات المتبادلة بين المغرب وجنوة نتحدث وثيقة ميورقية عن تقديم حاكم جزيرة ميورقة سنة 1346 إذناً بالمرور لسفير مغربي كان عائداً من جنوة باتجاه المغرب (Dufourcq, *Aperçu*, p. 730)، غير أننا لا نعلم مرة أخرى الهدف من هذه السفارة.

لقد كان عهد أبي عنان أكثر عهود الدولة المرينية انفتاحاً على الأوربيين، بدليل أن أهم المعاهدات المرينية المبرمة مع الدول والمدن الأوربية تمت خلال فترة حكمه. في هذا الصدد عقد الجنويون معاهدة سلم وتجارة مع أبي عنان حددت نسبة الضرائب الواجب على الجنويين أدائها بالموانئ المرينية، كما نصت على توقيت عمليات القرصنة التي كان يقوم بها الجنويون على المغرب (فيض العباب، ص. 30).

نظراً لحاجة الجنويين المتزايدة إلى الذهب السوداني المجلوب عبر المغرب. ومع منتصف القرن الثامن (14 م) فإن الحضور الجنوي لم يعد مقتصرًا على الموانئ، بل استقر بعض الجنويين بالمناطق الداخلية مثل سجماسة للترزود بالأخبار المتعلقة بتجارة القوافل (Mcunié, T. 1, p. 404).

ورغم الضعف الذي ألم بالمغرب عقب اغتيال أبي عنان، يبدو أن الجنويين استمروا في تأكيد حضورهم به. يذكر الوزان أن التي على الوادي في بني عمير في الطريق إلى فاس "بنيت حسب تصميمات معلم جنوي كان تاجراً مقرباً كثيراً إلى الملك في ذلك العهد" أبو سعيد الثالث (800. 823 هـ) (ج. 1 ص. 220). حرصت جنوة على ربط علاقات تجارية مع المغرب لحاجتها الماسة إلى بعض المواد، وخاصة

منها المواد التي تدخل في الصناعة النسيجية. وتجدر الإشارة هنا إلى نوع جيد من الصوف متميز بليونته يرد بالوثائق الجنوية تحت اسم مريوس Merinos، وحسب بعض الدارسين فإن هذه التسمية مقترنة باسم المرينيين (Renouard, *Etudes*, T. 1, p. 398). كما استورد الجنويون من المغرب الحبوب والتبلة والزيت وشمع العسل والتمور والشب والجلود المدبوغة وغير المدبوغة (Pegolotti, p. 273) et suiv.) والمرجان (Schaube, p. 344) والسكر (Ferhat, p. 273) والذهب (Lopez, *Studi*, p. 55). وقد شكلت الحبوب والجلود ثابتاً من ثوابت الصادرات المغربية نحو السودان. فبخصوص الجلود يذكر الوزان أنه كان يقام بإحدى جبال الهبط "يوم السبت سوق كبير يؤمه مختلف التجار بمن فيهم الجنويون لشراء السلع وجلود البقر لإرسالها إلى جنوة" (ج 1 ص 248). أما واردات المغرب من جنوة فكانت تتمثل في التوابل المشرقية (Krueger, p. 386) والحريز والقنب والزرايب البغدادية (Schaube, 344) والخمور (Jehel, *Les*, p. 344). وقد استمرت العلاقات التجارية بين المغرب وجنوة في العصور الحديثة. ففي القرن الحادي عشر (17 م) كانت سفن جنوة تحمل الثياب وغيرها من منتجات أوريا لتشحن بسلا الحبوب والجلود وغيرها من المواد (حركات، 2 : 432).

ابن أبي زرع، القرطاس ؛ ابن الحاج النميري، فيض العباب، تح. محمد بن شقرون ؛ ابن عذاري، البيان، قسم المرحدين ؛ ج. الوزان، وصف إفريقيا، ج. 1 ؛ إ. حركات، المغرب عبر التاريخ، ج. 2.

L. Balletto, *Da Genova al Maghreb 1222 - 1226*, *archivio storia Sardo di Sassari*, 1982 ; R. Ciasca, *Un centro marocchino del traffico genovese nel Medio Evo*, *Rivista internazionale di scienze sociali*, T. XLIII, fasc. 4, 1935 ; R. Di Tucci, *Documenti inediti sulla spedizione e sulla Mahona dei Genovesi a Ceuta*, Gênes, 1935 ; Ch. Dufourcq, *Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au XIII siècle*, in *Mélanges offerts à E. Perroy*, Paris, 1973 ; G. Jehel, *Les Gênois en Méditerranée Occidentale, fin XI - début XIV siècle* Paris, 1993 ; Ibid, *Gênes et le Maghreb au Moyen Age, Studi Maghrebini*, XXII, Napoli, 1990 ; H.C. Krueger, *Genoese trade with North Africa, Speculum*, VIII, 1933 ; R. Lopez, *Studi sull'economia genevese nel Medio Evo, I Genevesi in Africa occidentale*, Turin, 1936 ; A. Mascarello, *Quelques aspects des activités italiennes dans le Maghreb médiéval*, *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, Alger, N. 5, 1968 ; B. Pegolotti, *La Pratic della meratura*, éd. Allan Evans, Cambridge (Mss), 1936 ; H. Ferhat, *Sabta des origines au XIV siècle*, Rabat, 1994.

الجنوي، أحمد، قائد سلوي تجهل مدى قرابته من القائد الشهير سعيد الجنوي المتوفى سنة 1065 / 1655 ؛ وإن كانت المعطيات تدفعنا إلى الاعتقاد بوجود تلك القرابة، لكونه القائد المتولي أمر مدن مصب أبي رقرق بعد سعد، تحت إشراف الأمير عبد الله الدلائي، والمتولي شؤون القصبه عقب مغادرة هذا الأخير للمنطقة تحت ضغط الخضر

غيلان سنة 1071 / 1661. وقد مكث أحمد الجنوي بالقصبة إلى حين اضطراره لتسليمها إلى غيلان في 24 صفر عام 1073 / 8 أكتوبر 1662.

وقد قام غيلان بترك شؤون القصبة تحت تصرف أحمد الجنوي، بمساعدة الحامية السوسية المستقرة بها منذ سنة 1048 / 1638، إلى أن بدا له اتخاذ إجراءات جديدة لتقوية سلطة أخيه ونائبه عن المنطقة، فقام بطرد الحامية والقائد الجنوي سنة 1076 / 1665.

De Castries. S.I.H.M., 1ère série. Pays Bas. T. VI. p. 625.

حسن أميلي

الجنوي، رضوان بن عبد الله، ولد بتطوان أو فاس عام 912 / 1506 ويسلك مؤرخو التصوف المغربي الشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي ضمن أعلام الطبقة الثالثة من الجزولية، ومقابل هذا اليسر والوضوح في تعيين رتبته من السلسلة الشاذلية، ودرجته في فرعها الجزولي، باعتبار أخذه عن الشيخ عبد الله الغزواني (ت. 935 / 1529)، هناك حيرة عظيمة وتردد كبير في تقدير مكانته ليس في تاريخ التصوف المغربي فحسب، بل وفي تاريخ التصوف الإسلامي بوجه عام : فهذا تلميذه محمد القصار (ت. 1012 / 1604) يقول إن أبا النعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت. 430 / 1039)، مصنف حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، لو أدرك الشيخ أبا النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي لجعله في صدر حليته المقصورة على الخلفاء الراشدين وباقي العشرة المبشرين بالجنة ومن داناهم من زهاد الصحابة وأهل الصفة، أو مع أويس بن عامر القرني (ت. 37 / 657) سيد الطبقة الأولى من التابعين. ويرى معاصر آخر للشيخ رضوان الجنوي من علماء الوقت أن الزمان لم يسمح بمثله من عهد الشيخ محمد بن عباد الرندي (ت. 792 / 1390) أشهر صوفية المغرب خلال المائة الثامنة للهجرة، وهذا رأي يكسف بدر الشياخين محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 1466) وأحمد رزوق (ت. 899 / 1493)، اللذين انتشرت الشاذلية من طريقهما، ويعد الشيخ رضوان الجنوي من أتباع أتباعهما. ويشهد معاصره القاضي عبد الواحد الحميدي (ت. 1003 / 1595) أنه لم ير أحسن منه في الصلاح في عصره، كما يقرر الثائر أحمد بن أبي محلي (ت. 1022 / 1613) أنه ليس في الوقت من يُقتدى به غيره. ولا يشذ عن الإجماع على شهرة دين وصلاح وعلم الشيخ رضوان الجنوي سوى معاصره محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578)، الذي يقصيه من دوحة الناشر التي صنفاها في مشاهير القرن العاشر الهجري، ولا عبرة بهذا الاستثناء المحكوم بظرفه السياسي المحموم، والذي لم يمنع الناس من أفراد المجلدات والأسفار في مناقب وكرامات وأحوال الشيخ رضوان الجنوي.

تتماز سيرة الشيخ رضوان الجنوي بالأثر القوي لحدث

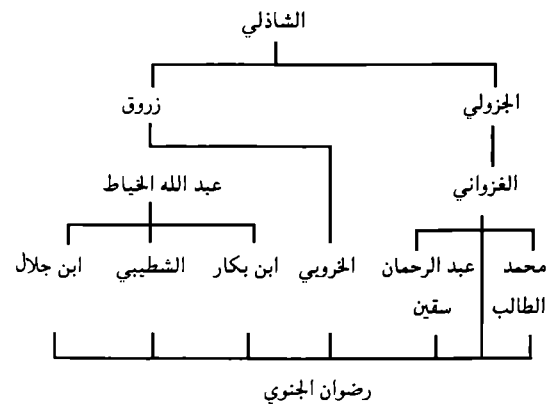
النشأة فيها، وهو أمر قل نظيره في سير أعلام التصوف، التي تظل المراحل المبكرة منها والسابقة للاشتهار بالصلاح هملاً، فما بالك بالنشأة الأولى. وإنها لنشأة عجيبة حقاً : فالأب نصراني من مدينة جنوة الإيطالية، انطلق فرسه ذات ليلة من مريطه وخرج يدور في أزقة المدينة وهو يعدو خلفه، إلى أن دلف إلى كنيسة وجدها مشرعة الأبواب، فدخل باثرة متخوفاً أن يشعر به سدنتها فتلحقه منهم اذابة، فأخرجه وردّه إلى مريطه كما كان، وهو في ذلك لم يتلاق بأحد ولا أبصره أحد : فلما أصبح النهار وجد جنوة تقوم وتقعّد بأهلها والناس في فرح عظيم، فسأل عن ذلك فقيل له إن المسيح جاء البارحة على فرسه إلى الكنيسة المعلومة فرأى فرسه فيها، وأن الناس يزدحمون على ذلك الروث حتى بيع قدر الذرة منه بمال جزيل، فعلم أن النصراني على ضلال، فهجر وطنه في حدود عام 890 / 1485، ونزل بشعر تطوان الذي جدد بناءه في تاريخ قريب المهاجرين الأندلسيون الذين نزحوا إلى المغرب قبيل سقوط مملكة غرناطة، فأسلم وتسمى عبد الله، ثم انتقل إلى فاس واتخذها داراً. أما الأم فيهودية أندلسية، هاجرت إلى المغرب إثر انهيار دولة الاسلام بالأندلس، فأسلمت وتزوجها عبد الله الجنوي، فولد له أولاد عدة، منهم صاحب الترجمة الذي ولد عام 912 / 6 - 1507. ولا نعلم السن التي كان عليها رضوان يوم خروج والده للحج، وهو خروج لم تعقبه عودة، إذ انقطع خبره ولم يقف أحد على حقيقته، فقيل إن النصراني أسروه فعرّفوه وأحرقوه، وقيل حج ومات بالبلاد الشرقية.

وكانت عواقب الانتساب إلى هذا البيت ستكون خفيفة الوطأة، غير بعيدة الأثر، لو لم تختص فاس خلال هذا العصر بظاهرة التعصب ضد حديثي العهد بالإسلام من اليهود والمسيحيين، ولزهم وتعبيرهم بتسميات المهاجرين والإسلاميين والبلديين والعوام والعلاج، ولم يكن الاشتهار بالعلم أو الصلاح ليعلو على النسب، ولبت العلماء الفاسيون الذين عرف أصلهم اليهودي مرهقين تحت ضغطة بني جنسهم المتعصبين الساعين في تأخيرهم وحرمانهم من المناصب الشرعية السامية كالقضاء والفتيا والإمامة والخطابة، ولو تعدد أجدادهم المسلمون، فما بالك بالشيخ رضوان الجنوي الذي لم يسبق الإسلام إلا في والديه فقط، ويتسمى باسم رضوان الشائع في الأعلاج، ويتلقب بالجنوي رغم أنه فاسي الدار والمنشأ والولادة والوفاة. ويعبر الشيخ رضوان الجنوي عن نشأته هاته بقوله "خرجت من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاريين"، وهو اقتباس من الآية السادسة والسنتين من سورة النحل "وان لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاريين"، وفيه تشبيه بين نشأته وخلق اللبن في مكان وسط بين الدم والفرث الذي هو فضالة العلف في الكرش وتقله، وخروجه خالصاً صافياً ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث، مع شدة الاتصال والاكتناف.

وطلب العلم، على خفوت جذوة الحياة العلمية بهذه الحاضرة على هذا العهد.

وستؤذن أوبة رضوان إلى فاس في مطلع عام 937 / 1530 ببيداية طور نشيط من سيرته، انتسب خلاله إلى العديد من الصوفية الأعلام، وتلمذ أثناءه على جملة من العلماء الأعيان، متنقلا ما بين حلقات العلم بالمدارس والمساجد وحلقات التصوف بالزوايا، وزائراً المعاهد العلمية القريبة من الحاضرة الإدريسية، ومكاتباً من بعد من المشايخ الذين يطلب علمهم الظاهر والباطن؛ فاتسعت دائرته في الطريقة الشاذلية، وتعددت الأسانيد التي تصله بالامام الشاذلي (ت. 8 / 656 / 1259)، من طريق الشياخين الجزولي وزروق معاً، وإن كانت أسانيد في الزروقية أوسع من أسانيد في الجزولية. أما السند الذي يذكره له تلميذه القصار في فهرسه، والذي يصله بالشياخين عبد القادر الجيلاني (ت. 561 / 1167) وأبي الحسن الشاذلي، فليس من أسانيد القوم، وإنما هي رواية محضة على العادة في رواية الكتب.

وأول من انتسب إليه الشيخ رضوان بعد عودته إلى فاس الشيخ محمد بن علي الهراوي الزمراني المعروف بالطالب (ت. 964 و 965 / 1557 و 1558)، المتصدر يومئذ لمشيخة زاوية القليعة الغزوانية؛ ثم أخذ عن الشيخ محمد ابن علي المعروف بالحاج الشطبي (ت. 963 / 1556)، المنقطع بمدشر تازغرة من قبيلة بني زروال، وعن يحيى بن بكار الغمدي (ت. 960 أو 961 / 1552 أو 1553)، الذي هاجر إليه بأهله بجبل ويلان فراراً من الفتنة التي اشتعلت بفاس وقد طرد السعديون أبوابها تهيداً لدخولها عام 956 / 1549؛ وعن الشيخ محمد بن جلال المغراوي التلمساني (ت. 981 / 1574)، الذي استوطن فاساً عام 958 / 1550؛ وعن الشيخ محمد بن علي الخروبي الجزائري (ت. 963 / 1556)، الذي دخل المغرب أول مرة عام 959 / 1552.



ولا يجحد الشيخ رضوان الجنوي منة أحد من مشايخه، ورغم أنه يتساوى مع محمد الطالب في الأخذ عن الغزواني، فإنه صحبه حين وجد الفقراء بزواية شيخه الكائنة

وكما لم يكن للشيخ رضوان الجنوي خيار في نسبه الطيني، كذلك لم يكن له خيار في نسبه الديني. وإذا كانت سيرته تنحو إلى القول بسبق الولاية والصلاح له في الأزل، وتحتج برؤيا حصلت لوالده وعبرت بأنه يلد ولدأ صالحاً، وإذا كان العصر عصر روحانية وتصوف، يوافق أمثاله من ذوي النفوس المهرفة، ويرشحهم للصدارة والزعامة، فإن انتسابه إلى التصوف ورجاله، واهتدائه إلى عمدته في الطريق، ولقاءه بشيخه الذي لم يتشوف لمخلوق سواه حياً كان أو ميتاً قبل أن يقضي نجه عام 935 / 1529، ونعني به الشيخ عبد الله الغزواني، كل ذلك تم دون قصد منه ولا سابق تدبير: وقد استقر الغزواني بفاس ما بين عامي 919 و 927 / 1513 و 1521، وخلال هذه الثماني سنين، التي درج فيها رضوان من طور الطفولة إلى طور المراهقة، تم اللقاء الأول بينهما، في لحظة غير معلومة من هذه المدة، وفي وقت كان الشيخ الغزواني يتروضا بزوايته الكائنة باب القليعة، فوجد أمامه رضوان الطفل أو المراهق، فرش به غرفة من ماء وضوته، فاقتصرت هذه الرشيشة - التي للشيخ رضوان فيها أمداح - أطواراً مديدة من أعمار رجالات التصوف، تنقضي في البحث عن الشيخ العمدة وتصرف في دروب الاهتداء إليه.

واتخذ الشيخ الغزواني داراً مراكش التي ستخضع قريباً من مقامه بها للسعديين في حدود عام 930 / 1524، الذي يؤرخ لاشتعال فتيل الحرب بينهم وبين الوطاسيين، الذين بادروا إلى حصارها دون أن يتمكنوا منها. ورغم ضلوع الشيخ الغزواني في فشل ربح الوطاسيين، الذين لم تعد جيوشهم تتعدى تادلا وأحوازها بعد ذلك، ولم يعد لهم وصول لمراكش ولا بلوغ لأرياضها، فإن رضوان وهو في إبان حداثة سيستخف ببطش حكام فاس، وسيدفعه تشوفه إلى زيارة الشيخ الغزواني وتطلعه إلى صحبته إلى أخذ السمات إلى مراكش في رفقة من زواره، وسيدخلها في غرة شعبان عام 935 / أبريل 1529، وقد نيف على العقدين من عمره.

وكان رضوان ألهم عندما لم يستطع على لقاء شيخه صبراً، ذلك أن الأجل لم يمتد بالشيخ الغزواني إلى ما بعد الشهر الرابع من تاريخ صحبته له، وقضى نجه يوم ثامن ذي الحجة عام 935 / 12 غشت 1529. ورغم قصر أمد هذه الصحبة، التي لم تعمر أكثر من الثلث الأخير من العام المذكور، فإن رضوان قد انجم خلالها بهمته على شيخه، ولازم طاعته وخدمته، واستغرق في مشاهدة طلعتة وأحواله، واستغنى بوجوده عن غيره، حتى إنه استعفى من زيارة ضريح الشيخ أبي العباس السبتي كبير صلحاء مراكش. ولم تخف على الشيخ الغزواني مواهبه، فلم يكلفه بشيء مما كان يأمر به أصحابه من أعمال الحرثاة والفلاحة والغرس، وتركه على حاله واشتغاله بالقراءة والنسخ، بل قدمه للصلاة به وأصحابه. ومكث رضوان بمراكش عام 936 / 29 - 1530 بتمامه، متسلماً عن وفاة شيخه بالقراءة

ببواب القليعة قد اجتمعوا عليه، وأقامه في الصحبة مقام شيخه زمناً طويلاً، وفي ملازمته كانت شدة مجاهدته وخدمته؛ وكان إذا ذكر شيخه الشطبي يعظم أمره ويجل قدره؛ وظل يكاتب شيخه الخروبي ويستفتيه في أمور التصوف وقد بلغ فيه ما بلغ، لكنه مع ذلك يرى أن نفعه إنما حصل من شيخين دون غيرهما، وهما الغزواني وعبد الرحمان سقين (ت. 1549 / 956)، اللذان يقول فيهما: من أعظم النعم معرفتي بالشيخين الغزواني وسقين، فإن الغزواني حرث وغرس وسقين سقى ونقى". وإذا كان نفع الشيخ الغزواني يتصل بالجانب العلمي منها، وما كانت رئاسة علم الحديث وإمامة المحدثين لتنتهيا إليه في وقته، ويستجيزه كبراء عصره وعلى رأسهم السلطان أحمد المنصور الذهبي (ت. 1603 / 1012)، لو لا ملازمته لشيخه سقين محدث المغرب وروايته في زمانه، واختصاصه به السنين الطويلة محصلاً ما عنده من علم ورواية وسند متصل بالحافظ أحمد بن حجر (ت. 1448 / 852)، عن إبراهيم القلقشندي (ت. 1516 / 922)، وزكريا الأنصاري (ت. 1519 / 925)، وعبد العزيز بن فهد (ت. 1516 / 922)، ومحمد السخاوي (ت. 1497.6 / 902)؛ وهو أعلى سند في علم الحديث وروايته في المغرب من تاريخه إلى هلم جراً.

ولا يتسع مقام هذه المادة لبسط السيرة الروحية للشيخ رضوان الجنوي، وإبراز أثرها البعيد والتميز في تاريخ التصوف المغربي خلال القرن العاشر (16 م) وهو أثر لا تنظر إليه المصادر خارج سياق تاريخ الطريقة الشاذلية العام، وترى أنه يؤرخ لطور نهوض بعد كيو وعتار، وإحياء رسوم مندرسة الآثار، وأشاع بعد خير أنوار. ومن الحق أن السند الصوفي للشيخ رضوان الجنوي شاذلي محض لا يتشعب إلى أية طريقة أخرى غير الطريقة الشاذلية، وأن التأسى بالامام الشاذلي واضح في سيرته كالتنهار لا يحتاج إلى دليل، وإنه اختص بزيارة ضريح شيخه عبد السلام بن مشيش (ت. 1225 / 622)، ودأب على التردد إليه شاباً وكهلاً وشيخاً، وتلك آيات على محبته في الشاذلي وشيخه ابن مشيش، وتعلقه بمزار جبل العلم القريب الذي يستحضر فيه نفحات مراز صحراء عيذاب البعيد.

ولما كانت الطريقة الشاذلية تقول بتنوع الطرق إلى الله، ويمبدأ الاستحسان الي يقر حق الصوفي في الاختصاص بالطريق الذي يتفق مع قدرته واستعداده الطبيعي، فلا عجب إذا ما اقتربت السيرة الروحية للشيخ رضوان الجنوي من صور الزهد الإسلامي في عهده الأولى، وشابهت سير كبار "الخائفين" و"البكائين" من أهل القرنين الأول والثاني للهجرة، والذين سلك مسلكهم في شدة الخشية والخشوع وكثرة البكاء. ومناسبة البكاء مسترسلة في يومه لا تكاد تنقطع، لارتباطها بسماع القرآن وانفعاله لمعانيه انفعالاً عظيماً، فيقف في أثناء القراءة يبكي، ولا يرتفع البكاء

عنه إلا بعد مدة، سواء كان يستمع إلى بعض طلبته في درس القراءات، أو كان يرتل في الصلاة والناس خلفه قيام، ومن ثم أطلق عليه شيخه سقين تسمية رضوان البكاء، كما كانت تصدر عنه في بعض الأوقات - إذا كان في القراءة أو غيرها - صيحة عظيمة لغلبة الوجد عليه.

وتجسد صورة رضوان البكاء عرامة شخصيته الصوفية، وتلخص أثرها المتميز والبعيد في تاريخ التصوف المغربي خلال القرن العاشر (16 م) ليس لاستلهاها من خصائص الحياة الروحية التي عرفتها العهود الإسلامية الأولى فحسب، بل ومن تعبيرها عن مشاعر وعواطف مغاربة هذا القرن، والتي سمتها الخوف الذي ترتب عن تمثل ذهني وانعكاس نفسي لأحداث العصر الجسيمة، من تفرق أمر المغرب أيادي سبأ، وتمكن حملة الصليب من أكنافه، وتواتر الطواعين والقحوط والمجاعات بأرضه، ودخول أهله القرن العاشر الذي استوى خاصتهم وعامتهم في الاعتقاد بانتهاء عامه الألف بفناء الدنيا وأقول دولة الاسلام. فاستقر في الأذهان والنفوس أن سوء الحال وتسلط الجور من الحكام وظهور أعداء الاسلام ما هو إلا بوء بغضب من الله، لفساد الزمان وأهله من الخاصة والعامة، وللتهاون في أمر العقيدة والدين. واتخذ واقع المغرب الحالك، على المستويين الذهني والنفسي، صورة عقاب الدنيا الذي يسبق ويمهد لعقاب الآخرة الأشد والأثقل، وما أقرب الآخرة من الدنيا في تصور واعتقاد مغاربة القرن العاشر! فتكون الصورة السائدة التي رسمها القائلون على الرئاسة الروحية لأتباعهم عن أنفسهم هي صورة العبد السوء الذي لا يحق له أن يقف من الخالق إلا موقف الوجل الخائف، والذي لا بد له أن يحقق في معاملته مع الله الخشية من عقاب الدنيا والرهبة من عقاب الآخرة، لبؤس يومه وغده، وكان الخوف الذي رتق على أذهان وأفئدة أهل هذا العصر السمة البارزة للعبادة التي كانوا يعبدون. وإذا كانت مدرسة "الخائفين" و"البكائين" قد أعقبتها مدرسة "المحبين" في تاريخ التصوف الإسلامي، فإن ظهور الشيخ رضوان الجنوي بالخوف والبكاء، قد تم في خضم تيار المحبين الذي عملت الطريقة الراشدية على إحيائه ونشره في المغرب منذ فجر المائة العاشرة للهجرة.

ولما كان الاستحسان أساس الصورة الروحية المتميزة والقوية التي اشتهر بها الشيخ رضوان الجنوي، وهو مبدأ مشروط في الطريقة الشاذلية بالتقيد بالشرعية، فإنه كان كله شرعية" كما قال الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1604 / 1013)، وما دام قد بني المعاملة بينه وبين الخالق على الخشية والمراقبة، فمدار العبادة عنده على الطاعة الكاملة والاتباع الشديد لأحكام الشرع وآداب السنة، وقد عبر عن درجة ترسمه بالشرعية بقوله "لو مثلت لي الشريعة بين يدي كأنها دار أو حصن، وقيل لي اختر لنفسك يا رضوان إما أن تهتك هذا الحصن وإما أن يجز

عنقك، لقلت يجز عنقي ولا أسقط منه مقدار ذرة من التراب"، فاتسمت أحواله كلها بالصدق قولاً وفعلاً، وما لم يظهر لأصحابه وجهه من ذلك سألوه فأخبرهم لعلمهم أنه لا يتحرك ولا يسكن إلا بوجه صحيح.

ومن ثم أقبل الشيخ رضوان الجنوي على الأعمال عبادات وطاعات، في يقظة وعدم غفلة أو فتور، مع مراعاة الأوقات، وشدة الورع في التصرفات، والابتعاد عن الرخص، والإقبال على الجهد. فباع نومه بالسهر، وعمر أوقاته بالصلاة والتلاوة والذكر، وحافظ على استعمال الأوراد والأذكار والأدعية المختلفة باختلاف الأحوال؛ وأفنى عمره في التدريس، فتأدب على يديه صبيان الحاضرة الفاسية، وقرأ عليه أعيان الدولة السعودية، واختص في علوم الحديث والتصوف والقراءات والفقه وقواعد اللغة؛ وعكف على المطالعة والتأليف والتقييد والنسخ؛ وتصدر في نفس الآن لتربية السالكين وتهذيب المريدين وكشف مشكلاتهم وتفصيل أحوالهم؛ ويأدر إلى رد المظالم؛ وغير ذلك مما لا يمكن حصره من أعمال حياة مليئة الأوقات بمختلف أنواع الطاعات والعبادات، وقد صور الشيخ رضوان الجنوي مقدار استغراقه في هذا الشأن بقوله "أوقاتنا والحمد لله معمورة ولو قيل لي غداً تموت لم أجد مستزاداً".

وظهور الشيخ رضوان الجنوي بالأعمال والطاعات إخلاصاً وصدقاً، لم يمنعه من إسقاط الشهرة بجميع مظاهرها والدعاوي بجميع أنواعها محوياً للرياء ومجاهدة للنفس؛ فاستعفى حين عرض عليه شيخه سقين أرضاً تحرث بخمسة أزواج، قصد تأسيس زاوية يجمع فيها المريدين ويطعم بها الواردين، ولو استجاب لألقى حجر عشرة في طريق بيت بني الجد، وذهب بحظوظ الزاوية الفاسية في الظهور والاشتهار. وتبرأ من دعوى الشيخوخة، ونهى أتباعه عن الاعتقاد في صلاحه، ودأب على مخاطبتهم بأصحاب ويا إخوان، وجعلهم أنداداً، ورأى أنه إنما يتعاون معهم على الدين وليس لهم بشيخ. ولم يترك أحداً يقبل يده، وكان يقول "ما يمد يده للتقبيل إلا أحد ثلاثة، مأذون أو مجنون أو طرمون، ولست بواحد منهم"، والظرمون في العامية المستهزئ بالناس. ولم يرم ربط الصلات مع كبار الصوفية والعلماء المشاركة الذين سمعوا به وتشوقوا إليه، مثل الشيخ محمد البكري (ت. 1586/994)، الذي بعث له بكتب من مصر، وشاركه مكاتبة في إجازة تلميذه الشهيرين السلطان أحمد المنصور والإمام محمد القصار. كما لم يوافق نفسه على حظ من الحظوظ الدنيوية من جاه أو مال، فانتحل أسباب معاشه من أجر التدريس ونساخته أمهات كتب الحديث بخطه الذي كان في غاية الجودة والرونق. وتورع عن أخذ المال الذي بيد الحكام سواء كان وقفاً أو هبة، بل تحمى أن يأخذ أجراً من الصبية الذين يترددون على مكتبه للتعلم والذين يعلم أن أباهم يتولون خططا مخزنية.

وإدبار الشيخ رضوان الجنوي عن الدنيا وأهلها هو الذي

يفسر ضمور الدور السياسي في سيرته، فرغم أنه عاش أكثر من نصف عمره في كنف الدولة الوطاسية، فإنه لم تعرف له مشايعة لأمرائها، ولا مشاركة في مجريات الصراع الذي دار بينهم وبين الشرفاء الزيدانيين، بل إنه هرع إلى مراكش وقد خضعت للسعديين، وهو في إبان أحداثه، تشوقاً إلى زيارة وصحبة الشيخ الغزواني خصيم الوطاسيين، ولم تمض خمسة شهور على مقامه بها حتى وقعت الهزيمة على الجموع الوطاسية بأغماي، وذلك في شهر ذي القعدة من عام 935 / 1529، شهراً واحداً بعد وفاة الشيخ الغزواني. وكذلك خرج الشيخ رضوان الجنوي بأهله إلى جبل ويلان وهاجر فاساً لما حاصرتها الجيوش السعودية عام 956 / 1549، معبراً بذلك عن اعتزاله للفريقين، وعدم اقتفائه لأثر شيخه الغزواني في تشييعه للسعديين.

وإذا كنا نجهد موقف الوطاسيين من الشيخ رضوان الجنوي، فإننا نعلم أن السعديين قابلوا إعراضه وزهده بالإقبال الشديد عليه والرعي الكبير لجانبه. وقد بذل السلطان محمد الشيخ (ت. 964 / 1557) ما في وسعه لاستمالاته والتقرب إليه؛ فمباشرة بعد ظفره بفاس أول مرة عام 956 / 1549، وافق علماءها على تولية الشيخ رضوان على العدول المنتصين بها للشهادة، وأن لا تصح البيعة إلا بموافقتة، وأنه هو الذي يقبل من أحب ويترك من أحب، وكتب له بذلك على جهة الجبر، وبعث له بكتابه مع الشيخ محمد اليسبتي (ت. 959 / 1551)، في رهط من أعوانه، فأنف؛ ووصله بقسط من الهبات التي وزعها على العلماء والطلبة، فامتنع من أخذها؛ بل إنه تشوف إلى مقابلته ورؤيته، وأرسل له في ذلك مع ابن شيخه محمد بن يحيى ابن بكار الغمدي (ت. 975 / 1567)، فلم يجبه إلى طلبه.

ولا نعلم مصدر البراءة الموجهة إلى الذي بيده مال المساكين، والأمره بصرف منحة شهرية للشيخ رضوان، هل صدرت عن السلطان محمد الشيخ أم عن نجله وخليفته السلطان عبد الله الغالب بالله (965. 982. 1557 / 1574). والذي سعى في استصدارها هو محمد بن بكار المذكور بطلب من أحد صحب الشيخ رضوان، وكان مآلها الرفض من قبله. ولم يقتصر تحبب الشرفاء الزيدانيين إلى الشيخ رضوان الجنوي على السلاطين وحدهم دون بقية أفراد البيت السعودي، وقد أهدته أخت السلطان عبد الله الغالب جمالاً محملة قمحاً.

وسار السلطان عبد المالك المعتمد (984. 986 / 1576. 1578) على سنن سلفه في وصل الشيخ رضوان الجنوي وإكرامه، وأوفد إليه رسوله بمال وبراءة، فرد متاعه إليه. وأخيراً جاءه الطلب الذي لا يسعه رده، وذلك من السلطان أحمد المنصور (986. 1012. 1578 / 1603)، واسطة عقد الدولة السعودية، الذي قصده في قراءة صحيح البخاري عليه، فأجابته إلى طلبه، وأجازته فيه، وكتب له بالإجازة

على النسخة الرائقة التي أنشأها هذا السلطان العالم من الكتاب المذكور، كما أخذ عنه أمهات أخرى في علم الحديث. وقبول الشيخ رضوان الجنوي بالسلطان أحمد المنصور تلميذاً لا يعني قبوله بنوالة وعطائه، وقد بعث له زرعاً لداره، فأفرغه حملته بها في غيابه، فلما جاء أمرهم بنقله، فرفعه وكنس موضعه، وتبع الثقب في الحائط يعود في يده يخرج ما فيها من الحبوب.

وإذا كان السلاطين السعديون يقصدون الشيخ رضوان الجنوي بهباتهم وعطاياهم، فلا يقبلها منهم ويردها تورعاً وزهداً، فإنه كان يقصدهم بدوره، بشخصه تارة وبمكاتبته تارة أخرى، في رد المظالم ورفع المناكر، فيعملون بما يأمر به من معروف، ويتحملون منه، لعلمهم بقيامه لله بحجته في عباده وبلاد، وقصده النصح للشريعة، وعدم خوفه في الله لومة لائم، وشدة شكيمته على الظلمة وعدم اكتراثه بهم. وقد طلب من السلطان مرة عزل حاكم فاس فعزله، لأنه مر به وهو يفصل بين الناس، فتقدم إليه وسأله: أيها الحاكم أتعرف ابن الحاجب؟ فقال له لا، فقال له: أتعرف خليلاً؟ فقال لا، فقال له "أتعرف الرسالة؟ فقال له لا إنما أنا حاكم، فقال له: بأي شيء تحكم بين الناس، لا والله لا يحل السكوت عن هذا. وكتب إلى السلطان عبد المالك المعتصم يصف له حال أرباب مخزنه، وما جروه على الرعية من ظلم وطغيان، وتقتصر من كتابه هذا على الفقرة التالية "كثر الفساد وأهله، وضعف الدين وأهله، من طغيان الرماة وخدام جانبكم، لأنهم كالذئاب الضارية والسباع العادية، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، بل ما تأمرهم به الشياطين والنفوس الامارة". وكان يتوجه في بعض المظالم إلى تلميذه السلطان أحمد المنصور مرفوقاً ببعض خواص أصحابه، فيجلس السلطان بين يديه، هو وقاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي (ت. 1003 / 1595)، ومفتي فاس وشيخ الجماعة يحيى السراج (ت. 1007 / 1598)، والقواد، ويستمعون في حسن أدب لنصائحه وأمره بالالتفات إلى الرعية. وكان الشيخ رضوان الجنوي قد ابتدر إلى حضور معركة وادي المخازن، وخرج إليها مع أهل فاس وقد نيف على السبعين، رغياً في الأجر وطمعا في الشهادة، وكان من جملة الأعيان الذين حضروا مشهدها العظيم. فلما تحقق النصر، وقت بيعة السلطان أحمد المنصور، سارع إلى مكاتبته مصرحاً بالرأي الذي اجتمعت عليه الرعية من المبادرة إلى تحرير الثغور المحتلة وانتهاز الفرصة السانحة، وعبر عن هذا الاتجاه في الفقرة التالية من كتابه "وإلى هذا قاله الله في الحزم وإمضاء العزم، وهو ما ظهر لرعبتكم من انتهاز هذه الفرصة الممكنة في هذا الوقت، من الحركة لمداين الكفار التي هي طنجة وأصيلا وسبتة، فإنهم في هذه الساعة في دهش وخزي وخذلان". ونبهه في كتاب آخر إلى واجب فداء الأسارى المسيحيين بالمجاهدين المغاربة الذين وقعوا في أسر الإيبيريين، وليس بالمال وإهمال افتكاك المسلمين.

وكما كانت للشيخ رضوان الجنوي دالة المشيخة على السلطان أحمد المنصور، كذلك كانت له على العديد من أعيان دولته، من أرباب الخطط الشرعية السامية من قضاء وقتيا وأمامة وخطابة، من أعلام الحياة الفكرية على عهد الدولة السعدية، ومنهم: مفتي فاس وخطيب القرويين محمد القصار (ت. 1012 / 1604) الذي انتهت إليه رئاسة الحديث من بعده، وشيخ الجماعة ومفتي حضرة الامامة مراکش عبد الواحد بن أحمد الحسيني السجلماسي (ت. 1003 / 1595)، وقاضي شفشاون أحمد بن الحسن بن عرضون الزجلبي (ت. 992 / 1584)، ومؤدب أبناء الشرفاء الزيدانيين وسراة دولتهم محمد بن يوسف الترغي (ت. 1009 / 1600 - 1601)، والعالم المعقولي الحسن الهادجي الدرعي المعروف بالدرراوي (ت. 1006 / 1598) المتصدر للتدريس بدرعة وفاس وزاوية الدلاء، والعالم أحمد بن محمد الأندلسي المعروف بحبيب نزيل فاس (ت. 1013 / 1604)، وغيرهم من العلماء الأعيان الذين تتلمذوا على الشيخ رضوان الجنوي وأخذوا عنه.

ويمتاز على عموم تلامذته وأتباعه كل من أبي القاسم ابن عبد الواحد المخلوفي (ت. 1002 / 1594)، وأحمد بن موسى المرابي (ت. 1034 / 1625). اللذين سرت فيهما نفحته الصوفية، وعرفا بشدة ملازمتها له. وقد قدم الشيخ أبو النعيم الأول على سائر أصحابه، وأوصاهم عليه، وقال لهم فيه "حضور سيدي أبي القاسم بهذا المجلس من نعم الله علينا، فهو والله نعم الصاحب"، وقدمه في الصلاة كما فعل معه شيخه الغزواني، وكان في مرض موته إذا سأله أحد يأمره بالجواب. أما المرابي الذي انتسب إلى الشيخ رضوان عام 977 / 1570 - 69، فقد قربه وخصه بتجميع البطائق التي كان يثبت فيها أقواله وأشعاره، ومكنه من مادة تحفة الاخوان، التي شرع في تأليفها عام 992 / 1584، وأخرجها في مجلدين.

ولم يكن للشيخ رضوان الجنوي من الأهل سوى زوجته التي لم يخلف منها ولداً ذكراً إلا ابنة واحدة، ومن ثم جاء لقباه أبو النعيم وأبو الرضى المنسوبان إلى اسمه لا إلى عقبه. وقد زوج ابنته الوحيدة هاته لتلميذه أبي القاسم المخلوفي، ولها عقب بفاس يعرفون بأولاد ابن المبارك، أما زوجته التي رضي بها بلاء وأذى له في حياته، فقد تزوجها تلميذه المرابي من بعده، وخلد شروها في التحفة.

وقد جمع المرابي ما تفرق من نظم الشيخ رضوان الجنوي في ديوان سماه المسك المختوم فيما للشيخ أبي النعيم من المنظوم، وجعله مسك ختام التحفة؛ وللشيخ رضوان أيضاً شعر حسن في الأمداح النبوية، وأمداح في رشيثة شيخه عبد الله الغزواني، ونظم رجال حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، وهي أرجوزة في ألف ونيف من الأبيات، ذكر في آخرها أنه انتهى منها عام 982 / 1574. أما تأليفه المنثورة فهي فهرسة، وتأليف في ذم الغيبة، جلب فيه أقوال

العلماء فيها، ومناسسته شدة تحزره من الغيبة، وحفظه
للسان بهيئت كان لا يذكر غائباً ولا يسمح بذكر من غاب
إلا بما اقتضاه العلم، وله تخريج أحاديث الشهاب للقاضي
القضاعي، وتأليف في الفقه يذكر له دون تحديد موضوعه
أو عنوانه، وتقييدات كثيرة.

وحدثت وفاة الشيخ رضوان الجنوي بمنزله في زنة
العنوز من عدوة الأندلس من فاس، وذلك ليلة رابع عشر
ربيع الأول عام واحد وتسعين وتسعمائة / 7 أبريل 1583،
وصلي عليه من الغد بعد صلاة ظهر يوم الخميس بجامع
الأندلس، كأنه لم يخلف موعده الذي دأب عليه في حياته
من تخصيص يوم الخميس للإشراف والقيام بنفسه على
تنظيف هذا الجامع. وصلى عليه إمام هذا الجامع وخطيبه
محمد المرابط نجل شيخه محمد بن جلال المغراوي
التلمساني (ت. 1008 / 1599)، ودفن بأعلى مطرح الجنة،
وحضر جنازته أهل فاس البالى والقديم، وعلى رأسهم أمير
الوقت وولي العهد محمد الشيخ المامون (ت. 1022 /
1613)، ولم يدفن إلا بعد صلاة العصر بعد مشقة عظيمة
من الازدحام، ولم يرجع الناس من جنازته إلى أن غاب
القرص. وعدت وفاته من الأحداث الجسام التي عرفها عام
1583 / 991، بل إن كتب التاريخ لا تذكر هذا العام إلا بهذا
الحدث الجلل. واتخذ الجنان الذي دفن به الشيخ رضوان
الجنوي مقبرة لدفن الأموات، وبني عليه بيت، جدد بناءه
بعد خرابه السلطان المولى الحسن (1290 - 1312 / 1873 -
1894).

ولم يترك الشيخ رضوان الجنوي من متخلفه بعد تجهيزه
إلا الخصيرة التي كان يصلي عليها والخيوط الذي كان يشمر
به أكمامه للوضوء، فبيع ذلك بثمن غال، ورفع ثمنه لابنته
التي لم يترك معها عاصياً، فامتنت من قبضه، فاشترى به
أصحابه موضعاً بجوار حمام الجياد من حومة البلدة وفندق
اليهودي من عدوة فاس القرويين، واتخذوه زاوية يتلون
فيها أوراده، واجتمعوا فيها على صاحبه وصهره أبي
القاسم المخلوفي، واشتهرت بزاوية سيدي رضوان.

أ. المرابي، تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي
رضوان، مخطوط خ ع، 154 ك؛ م. القصار، فهرس، مخطوط خ
ع، 1427 ك، ضمن مجمع : 207. 214؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 1؛
197؛ درة، 1؛ 274. 275؛ لقط، 319. 318؛ أ. المقرئ، روضة،
35؛ م. العربي الفاسي، مرآة، ط. حجرية، 69، 72، 138، 164،
209، 214، 233، 234؛ م. المهدي الفاسي، تحفة، مخطوط خ ع،
76 ج، 40؛ مجمع، تج. ع. العمراوي وع. مراد، 8، 45، 93. 94؛
م. ابن عيشون، الروض، تج. ز. النظام، د. د. ع، كلية الآداب
بالباط، 1؛ 210. 219؛ أ. ابن عطية، سلسلة الأنوار، مخطوط خ
ع، 2458 ك، 114. 115؛ م. الافراني، نزهة، نشر هوداس، 130.
131، 172، 238؛ صفوة، ط. حجرية، 8. 6، 9، 14، 16، 17، 42.
43، 61، 66، 79، 94، 98، 125؛ م. القادري، نشر، 1؛ 89؛ م.
الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومرغو، د. د. ع، كلية الآداب

بالباط، 34، 45، 65، 143، 149، 185، 186، 272، 368، 387،
393، 314، 316؛ أ. الناصري، الاستقصا، 5؛ 65؛ 191؛ م.
الكتاني، سلوة، ط. حجرية، 2؛ 257. 262؛ ع. ابن إبراهيم،
الإعلام، 3؛ 227. 236؛ ع. الكتاني، فهرس الفهارس، تج. إ.
عباس، 1؛ 233، 235، 245، 248، 265، 285، 353، 434. 436؛
2؛ 257، 628، 764، 765، 775، 966، 981، 987، 988؛ م.
مخلف، شجرة النور، 286، رقم 1092؛ ل. بروفنسال، مؤرخو
الشرفاء، تر. ع. الخلافي، 166، 179؛ خ. الزركلي، الأعلام، 3؛
27؛ ع. ابن سودة، دليل، 1؛ 117، 187، 195، 196؛ م. حجي،
الحركة الفكرية، 24، 121، 154، 274، 359.

عبد الله نجمي

الجنوي، سعيد السلوي القائد الذي تضيف إليه
الوثائق صفة "الأمين"، قائد سلا الشهير خلال فترة تبعيتها
للسلطة الدلائية. نصبه محمد الحاج الدلائي سنة 1051 /
1641 على رأس مدينة سلا القديمة، لوثوقه في ولائه أكثر
من العنصر والأندلسي، وسرعان ما أصبح أمين سر الحاكم
الفعلي لمدن مصب أبي رقرق عبد الله بن محمد الحاج
الدلائي الملقب في الوثائق الأوربية "بأمير سلا"، وأسندت
له النيابة والإشراف على قواد القصبية، وسلا الجديدة
(الرباط) وسلا القديمة منذ سنة 1062 / 1651، متحكماً
في إدارة المنطقة بنفوذ متعاظم بسبب الامتياز الذي كان
يحظى به من طرف الأمير، بالإضافة إلى إشرافه على
الأنشطة التجارية والدبلوماسية، وتسيير المفاوضات مع
ممثلي الدول الأوربية وخاصة الأقاليم المتحدة. وقد ظل رجل
الإمارة الدلائية القوي إلى أن توفي في ذي الحجة سنة
1065 / أكتوبر 1655.

م. حجي، الزاوية الدلائية، ص 172. 74.

De Castries, S.I.H.M., 1ère série, Pays Bas, T. V, p.

حسن أميلي

الجنوي، محمد بن الحسن العمراني الحسني
المدعو الكبير، من أئمة وأعلام القرن (18 م) الثاني عشر
الهجري وأشياخ كبار العلماء أمثال الفقيه المجتهد محمد
الرهنوي، الذي خصص حيزاً كبيراً من حاشيته على
الزرقاني للتعريف به، وأحمد الحضيكي السوسي، ومحمد
بن عجيبة التطواني وسليمان الحوات الشفشاوني ومحمد
بن عبد السلام الناصري الدرعي وغيرهم. أجمع تلامذته
وشيوخه على نعته "بالإمام العلامة" و"الفقيه" و"المفتي"
و"خاتمة المدققين والمحققين"، كما وسموه "بالصلاح"
و"المروءة التامة" و"الدين المتين" و"الزهد"، ووصفه شيخه
وشيخ الجماعة محمد بن قاسم جسوس "بوحيد زمانه وفريد
عصره وأوانه علماً وعملاً".

ولد محمد بن الحسن الجنوي (بفتح الجيم والنون)
بمدر أسجن قرب وزان في رجب من عام 1135 / أبريل -

بلسان جبلي"، وابن عجيبة أشار إلى "تحريره وتدقيقه للمسائل وعدم رضاه بالتقليد في شيء من علومه" مضيفاً أن دروسه كانت كلها ممزوجة بالعبادة". أما الرهوني الذي صاحب المترجم وخدمه مدة طويلة فقد وصف بدقة المنهج الذي كان يتبعه في محاضراته فهو "لم يكن يقتصر في دروسه على شرح معين بل يطالع ما أمكن من الشروح والحواشي ويراجع المسائل في أصولها ويعارض النقول بين المردود والمقبول هكذا في التفسير والحديث والكلام والفقه والأصول والنحو والبيان والمنطق والتصوف".

هذه الطريقة في تحقيق وتدقيق النصوص والإتقان في البحث جعلت الناس تلجأ إليه في حل المشكلات خصوصاً وأن فتاويه لم يكن يردها أو يخالفها قاض أو حاكم.

هذا فيما يخص محمد بن الحسن الجنوي العالم والمدرس والمفتي، أما الجنوي الإنسان فقد وصفه معاصروه بالتعفف والزهد في الدنيا "يجب الخمول ويفر من الشهرة ولا يرغب في ملاقاتة أولي الأمر"، وإذا اشتدت به الحاجة خرج يلازم عند شرفاء وزان للخطبة والصلاة وتدریس العلم، وفي السراء يعود إلى مجالس العلماء بفاس. كان هذا دأبه، حسب قول أحمد بن عجيبة، "إلى أن أخذته شبكة الأقدار" ودخل الخدمة المخزنية - إشارة إلى أنه لم يسع في ذلك لكنه لم يستطع مخالفة أمر الأمير. وكان السبب في ذلك أن الشيخ محمد التاودي ابن سودة أتى عليه وعلى سعة علمه وحسن خلقه بحضور السلطان سيدي محمد بن عبد الله فأمر هذا الأخير بإحضاره من وزان، وكان ذلك حوالي عام 1184 / 1770. وجيء بالجنوي لمكناس فأكرمه السلطان وكلفه بالتدریس والخطبة والصلاة في جامعها الكبير، ثم نقله بعد ذلك إلى طنجة وإلى تطوان وأخيراً إلى مراكش حيث وافاه الأجل. وكان في تنقله هذا بأمر من السلطان خير عميم حيث مكن عدداً كبيراً من الطلبة من الانتفاع به والأخذ عنه. وهذه جملة حسنات السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومساهماته في نشر العلم وتعميمه.

ولعل بعض معاصري محمد بن الحسن الجنوي قد عابوا عليه قبوله للخدمة السلطانية وللمال المخزني المشبوه، لذلك فإن تلميذه محمد الرهوني قد ارتأى في مقدمة حاشيته أن يرد على هذه الاتهامات ويؤكد على صلاح شيخه وورعه حيث "لم ير منه قط ما يوجب ثلماً وما يلحق به وصماً" سواء قبل الخدمة المخزنية أو بعدها.

ومما يؤكد صرامة الجنوي في دينه واستمراره في القيام بواجب الحسبة حتى بعد الخدمة السلطانية ما أورده عدد من مترجميه حول ظروف وفاته. فقد نقل محمد داوود عن أحد تلامذة الجنوي، وهو محمد سكيرج التطواني، أن السلطان طلب من مترجمنا "الموافقة على فتوى في جواز استخلاص بعض الأموال من الرعية فأجابه بأن أموال الناس حرام كعرضهم، فحصل سوء تفاهم مما دفع المترجم إلى

ماي 1723 في بيت علم وشرف، وقد تفرد محمد بن الصادق ابن ريسون، وهو نسابة الشرفاء العلميين على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، بنسبة مترجمنا إلى البيت العمراني الحسني. نشأ محمد الجنوي وحفظ القرآن في قريته ثم انتقل في طلب العلم إلى القصر الكبير ثم إلى الزاوية الريسونية بتازروت ثم إلى تطوان وأخيراً إلى فاس. تتلمذ محمد الجنوي في هذه المراكز العلمية الشمالية حيث لجأ عدد من كبار العلماء أيام الفترة الموالية لوفاة المولى إسماعيل ثم خلال مجاعة 1150. 1151 / 1739. 1737، على كبار أشياخ الوقت من العلماء العاملين المجتهدين أمثال أحمد الورزيزي الكبير ومحمد بن قاسم جسوس وعمر الفاسي ومحمد التاودي ابن سودة. ففي تطوان أخذ عن الشيخ أحمد الورزيزي الكبير الذي عرف بمواجهاته مع سلطان الوقت في إطار قيامه بواجب الحسبة والنصح، وبإشراقاته الصوفية التي دفعت بعض معاصريه إلى اتهامه بالاعتزال. أما بفاس فقد تتلمذ المترجم على شيخ الجماعة محمد بن قاسم جسوس الذي كان يعتبر "بحراً لا يجاري في شتى العلوم، معقولها ومنقولها"، ورجلاً دينياً زاهداً" بعيداً عن جميع الأسباب المخلة بالمروءة". وقد رأينا كيف أن هذا العالم الجليل بالغ في مدح محمد الجنوي الذي وصفه "بوحيد عصره معلماً وعملاً. كما أخذ المترجم عن عمر الفاسي علم الكلام والعقيدة الأشعرية، هذان المجالان اللذان لم يكن يشارك أباً حفص فيهما أخذ من علماء وقته. ومن أشياخ مترجمنا كذلك العالم المسن محمد التاودي ابن سودة الذي خلف محمد بن قاسم جسوس في مشيخة الجماعة والذي كان يكنى لمحمد الجنوي محبة وتقديراً كبيرين كانا السبب في لقاء هذا الأخير بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله.

أما شيخ الجنوي في التصوف والطريقة فهو، حسب ما أورده ابن عجيبة في أزهاره، الولي مولاي أحمد الصقلي. ومعلوم أن هذا الولي الصالح كان يحترف بيع العطور ويتعاطى قراءة كتب القوم وارتياح مجالسهم قبل أن يلتقي خلال رحلاته الحجازية الثلاث بالشيخ محمد بن سالم الحفناوي المصري ويتلقى منه الإذن بنشر الطريقة الخلوتية بالمغرب. وبالفعل، فقد كان مولاي أحمد الصقلي في آخر أيامه شيخ هذه الطريقة بفاس والقائم بالدعوة إليها. ساق الرهوني في ترجمة شيخه إجازة محمد بن سالم الحفناوي للجنوي واستدعاء هذا الأخير له بالإجازة، وهو ما يهمننا في هذا المقام لأن هذه الرسالة تؤكد انتماء مترجمنا للجماعة الخلوتية.

كل من ترجم للشيخ الجنوي يشير إلى عظيم اعتناؤه بطلب العلم وتلقيه، إلى حد أنه أصبح "إماماً في كل فن" (الرهوني) و"أروع مثقال لمدرسي وقته" (الحضبيكي). وكانت له طريقة متميزة في التدريس أشاد بها كل تلامذته. فسلیمان الحوات تعجب من "حفظه وحسن إملائه

الذهاب لروضة سيدي عبد الله الغزواني وطلب من الله ألا يلاقه بالسلطان بعدها، فقبضه الله إليه".

أما سليمان الخوات فذكر في أسباب ومواصفات وفاة الجنوي المفاجئة أن السلطان سيدي محمد كان قد استدعاه لحضرته بمراكش "للمباحثة معه والتمذهب بمذهب السلطان المذكور في أمر كان مصمما عليه في حق بعض الأئمة الصالحين" ويشير الخوات هنا إلى تبني السلطان للعقيدة الحنبلية ودعوته علماء وقته لتبني موقفه من بعض أهلام العقيدة الأشعرية أمثال الغزالي وعياض وابن السبكي... لكن الجنوي رفض أن يجاري السلطان في موقفه" إذ كان شديد الشكيمة في أمره صلبا في دينه، ولما قدم من بين يديه توسل إلى الله أن يقبض روحه قبل أن يلقاه ثانية"، وكان الأمر كذلك فقد مات الجنوي بعد ثلاثة أيام من لقائه بالسلطان سيدي محمد يوم 13 رمضان 1200 / يوليو 1786.

إذا كان محمد الجنوي لم يترك مؤلفات أو كتباً فإنه قد خلف بصماته على الحياة العلمية في القرن الثاني عشر (18 م) من خلال الأشياخ الذين تخرجوا على يديه وخلدوا سنده وطريقته في البحث على صفحات مؤلفاتهم. وعلى رأس هؤلاء آخر الفقهاء المجتهدين في المغرب بن أحمد الرهوني. فقد أورد صاحب الفكر السامي أن هذا الأخير اعتمد في حاشيته على "طرر شيخه أبي عبد الله محمد بن الحسن الجنوي"، التي كانت له على الزرقاني والحطاب والمواق والشيخ مصطفى الرماصي والشيخ بناني، كما اعتمد على طريقته في البحث والتحقيق والتدقيق، حيث "ينقل في حاشيته كلام المتقدمين بلفظه مما يفصح أغلطا كثيرة وقعت لمن قبله في الاختصارات والملخصات".

م. محمد داود، تاريخ تطوان، المجلد الثالث، القسم الأول، ص. 99 - 101. ع. بن إبراهيم المراكشي، الإعلام، 6 : 93-108. س. الخوات، ثمرة أنسي في التعريف بنفسه، مخطوط، رقم ك 1264 ؛ أحمد ابن عجيبة، أزهار البستان في طبقات الأعيان، مخطوط رقم ك 286، خ. ع. الرباط ؛ محمد بن الصادق ابن رسيون، فهرسة، مخطوطة رقم ج 71، خ. ع. الرباط ؛ م. الحضيكي، مناقب، مخطوط رقم د 1124، خ. ع. الرباط ؛ م. الرهوني، حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني، مصر، الجزء 1، 16، 25.

فاطمة الحراق

الجنوي، محمد بن محمد بن الحسن العمراني الحسن بن الحسن الجنوي (ابن الفقيه الجنوي الكبير) الفقيه العلامة النوازي المفتي المدرس المحصل الفهامة. حاز رئاسة الفقه في زمانه، ودارت عليه الفتوى بتطوان ونواحيها غير مَرَّاحِم.

أخذ عن أبيه ومشايخ عصره. وتولى مكان أبيه، وهو في قيد الحياة، الخطابة والتدريس بجامع العيون من تطوان. قال المؤرخ الرهوني التطواني : حدثني شيخنا الشريف

العلامة البركة سيدي محمد بن أحمد البقالي رحمه الله أن هذا الشيخ كان أعلم من أبيه بالنوازل والأحكام.

ومن أقواله المشهورة : "ان (دَرْقاوة) - يعني الطائفة الصوفية المشهورة بالمغرب المنسوبة إلى الشيخ العربي الدرقاوي - قاموا في هذا القطر، والنصارى الفرنسيس قاموا في قطرهم، يعني الثورة الفرنسية سنة 1203 / 1789، وكلهم ينشأ منهم فسادُ هذا العالم".

حكى عنه هذه القولة المؤرخ سكيرج التطواني. وعلق عليها الفقيه الرهوني المؤرخ بهامش نسخته من تاريخ السكيرج بقوله : انظر إلى هذه المقالة ما أبشعها !

أما سكيرج فعقب عليها بما يفيد الموافقة. وأما الأستاذ محمد داود فأسهب في التعقيب والتنظير بما يحسن الاطلاع عليه. والمهم أن خبر الثورة الفرنسية بلغ المغرب مشوها بفعل أعدائها مما جعل المترجم له يتوقع منها - ومن حركة التصوف الدرقاوي - فساد العالم. والجدير بالذكر أن المترجم له كان ضمن جمع العلماء الموشح لمناظرة الفقيه محمد بن محمد المكودي التازي الذي نكب مع الشيخ أحمد ابن عجيبة وأتباعه على يد عامل تطوان حُمان الصريري بالسجن، في حادثة الصوفية التي ألف فيها المكودي المذكور كتابه الإرشاد والتبيان وقد رأى المترجم له ما أحدثته الصوفية من فوضى في البلد بما عرف عنهم مما يسمونه التجريد وسلب الإدارة - وهو تخلي المرید عن العمل إقباله على إصلاح نفسه بمخالفتها بارتكاب ما لا يليق مما يخالف العقل والنقل - وهذا ملحظ المترجم له بقولته المذكورة.

توفي بتطوان عام 1214 / 99. 1800.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 6 : 9 ؛ م. داود، تاريخ تطوان، 6 : 195 ؛ ابن عجيبة، أزهار البستان، مخطوط، ص 205 ؛ م. المكودي التازي، الإرشاد والتبيان لمراد ما أحدثته الرؤساء من أهل تطوان، مخطوط، ص. 23.

الجنوي، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن

العمراني الحسن بن الحسن الجنوي (الحفيد) الفقيه العلامة المفتي النوازي المدرس القاضي، أخذ عن أبيه وأقرانه من علماء بلده.

اشتهر بالتحقيق والفتوى وإتقان خطة القضاء. ولأه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام العلوي قضاء مدينة وزان، ثم مسقط رأسه تطوان، ثم أعفاه منه، ثم ولاه مرة ثانية واستمر قاضياً بتطوان بها إلى أن توفي رحمه الله عام 1271 / 54. 1855.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 6 : 9.

محمد بوخيزة

الجنوي، مراد أو جنوة مراد، رايس بحري من العلوج الايطاليين العاملين في أسطول الجهاد بمصب أبي

رقراق خلال فترة حكم ديوان القصبة الأندلسي في منتصف القرن الحادي عشر (17 م). كان من ضمن المجاهدين النشيطين خلال موسم 1047/1637، لكن اضطرت الظروف الملاحية آنذاك إلى اللجوء إلى ميناء لاروشيل (La Rochelle) الفرنسي؛ حيث قامت السلطات الفرنسية بمصادرة سفينته. وقد أثار هذا الحدث حفيظة الديوان، ودفعهم إلى الاحتجاج، والقيام بردود فعل ضد القنصل الفرنسي بسلا الجديدة ومحاصرته والمطالبة بسجنه ومصادرة ممتلكاته، لولا تدخل الحاكم عبد الله القصري، ووعده الأندلسيين باستعادة ماضع منهم.

De Castrie, S.I.H.M., 1ère série, France, T. III, p. 536 - 37.

حسن أميلي

جَنِيَّارَة، منطقة خصبة بين فاس وطنجة ورد الكلام عنها عند أبي عبيد البكري هكذا: "جنيارة والنسبة إليها جنياري وجنيوري، ومن كرت إلى موضع يقال له جناوة، قال محمد: جنيارة ويعرف بالجبل الأشهب" (المغرب، ص 111)، وجاءت عند صاحب الاستبصار (188): "بلد جنيارة" وفي (البيان المغرب، 1: 235) "حصن جنيارة في الجبل الأشهب": أما كتاب الروض المعطار (ص. 176) فذكرها هكذا: "جنيارة مدينة بين فاس وطنجة قرى كثيرة جامعة عامرة وزرع وضرع في جبل سهل أبيض مثل الطيلسان يسمى الجبل الأشهب".

الواقع أن الحميري في الروض المعطار ومن هذا حذوه، من قداماء المؤلفين ومن الدارسين المحدثين وقعوا في خطأ يبين نتج عن قراءة غير متأنية للمصادر التي ورد فيها اسم جنيارة أول مرة؛ فأساليب كتاب العصر الوسيط ومنها أسلوب أبي عبيد البكري والإدرسي مثلاً تذكر المدن أحياناً باسماء جهاتها أو بما اشتهرت به مثل قولهم عن مدينة البصرة المغربية مدينة الألبان ومدينة الذبان لكثرة البانها، ومثل قولهم مدينة السوس أو مدينة درعة والمقصود عاصمة المنطقة والأمثلة كثيرة، فالمقصود إذن قاعدة المنطقة أو المدينة الرئيسية فيها أو باللغة الإدارية الحالية عاصمة الإقليم، فالبكري مثلاً تحدث عن أكبر مدينة في منطقة درعة بقوله: "وقاعدة درعة تيوميتين" (المغرب، ص 156) وتحدث غيره عن مدينة درعة ويقصد تيوميتين، على أن آخرين ساروا مع اللفظ فتحدثوا عن مدينة درعة! وقد تنبه بعض الكتاب الوسيطيين لذلك فقال مصححاً "وليست درعة مدينة وإنما قرى وعمائر متصلة..." وبنفس الأسلوب ذكرت مدينة جنيارة، ويقصد بها قاعدة المنطقة والمدينة الرئيسية فيها، وهي بجاجين أو اجاجن كما ورد عند البكري (المغرب، ص 114 و129).

وتعرف اليوم بـ أسجن أو أزجن، وهي مركز جماعة قروية على كلمترات قليلة شمال غرب مدينة وزان (خريطة المغرب العامة مقياس 1:4.000.000). لا يتعلق الأمر إذن بمدينة اسمها جنيارة لأن الحميري نفسه قد وقع له التباس

فهو يقول: "جنيارة مدينة بين فاس وطنجة، قرى كثيرة..."، وجنيارة هي المنطقة التي تقع فيها مدينة وزان وأزجن وقد اشتهرت بخصوبتها الشديدة تارة باسمها وتارة تحت اسم الجبل الأشهب وجبل صرصر، وعرفت منذ القديم نشاطاً فلاحياً مكثفاً نتج عنه انتشار التجمعات السكنية على المرتفعات والسفوح المطلة على الأودية: "... قرى كثيرة جامعة عامرة وزرع وضرع..." (الروض المعطار، 176)، ولشدة خصوبة أرض جنيارة ضرب بها المثل وشبهت بالدجاجة التي "إن أصابها ديك" أتت بالبيض وإن لم يصبها ديك أتت بالبيض، تحتك في الغبار وتلد" (الروض المعطار) وسيأت ذلك أن رجلاً أراد أن يقتني ضيعة ببلاد المغرب فسأل شيخاً من العارفين فقال له: عليه ببلد جنيارة فإنها مثل الدجاجة؛ وبلد جنيارة كلما تخلف لا في خصب ولا في جذب" أي أنها تخرج غلاتها وتعطي خيراتها الفلاحية سواء في السنوات الممطرة الخصبة أو في سنوات المحل والجذب (الروض المعطار، 176).

بعد مرور أزيد من خمسة قرون على وصف مصادر العصر الوسيط الأعلى للمنطقة، يأتي الحسن الوزان فيتحدث قائلاً عن أزجن: "مدينة بناها قداماء الأفارقة (المغاربة) على جبل بعيدة عن نهر (الكوس) بنحو عشرة أميال وهذه الأميال العشرة في شهل توجد به الحقول المحروثة، ويساتين هذه البلدة ومعظم الأراضي الفلاحية في الجبل (وصف أفريقيا، 1: 237). وتستمر أرض المنطقة تحت أسماء أخرى (اسم جنيارة اختفى منذ العصر الوسيط) في العطاء والخصب تيناً وزيتوناً وغللات أخرى.

أ. البكري، المغرب، الجزائر، 1911؛ مجهول، كتاب الاستبصار،

الاسكندرية، 1958؛ الحميري، الروض المعطار، بيروت، 1957؛

الحسن الوزان، وصف أفريقيا، الرباط، 1980.

Carte générale du Maroc, Echelle 1 : 100.000 : J. Martin (et al.), Géographie du Maroc, Paris, 1967.

محمد حجاج الطويل

الجنياري، أسرة فاسية مشهورة بالعلم والفقہ والتصوف. يعود أصلها إلى قبيلة أو منطقة جنيارة التي تحدد المصادر الجغرافية موقعها بين فاس وطنجة (انظر جنيارة). انتقل بنو الجنياري إلى مدينة فاس فاستوطنوها خلال فترة غير محددة من العصر الوسيط وتصدوا للعلم والعرفان بجامعة القرويين واتصلوا بكبار علمائه وفقهائه. وقد برز في هذه الأسرة مجموعة من العلماء والفقهاء والقضاة والخطباء، منهم القاضي الجنياري، لم تذكر المصادر اسمه كاملاً واكتفت فقط بالإشارة إلى أنه تقلد القضاء بمدينة فاس في القرن التاسع وعُزل عن القضاء في نفس اليوم الذي عزل فيه كل من الفقيه أحمد بن سعيد الحباك القيجميسي عن الخطبة والفقيه القوري عن الإفتاء.

وهناك جنياريان آخران لم يذكر مترجموهما غير كنيتهما، وهما أبو عمران الجنياري، من شيوخ وأولياء

مدينة فاس الصالحين المباركين. أدرك الشيخ الصوفي أبا مدين الغوث فسمع منه وأخذ عنه. عُمِّرَ طويلاً ومات عن سن تصل إلى مائة وثلاث. توفي سنة 642 / 1244 أو سنة 649 / 1251 ؛ وأبو مدين الجنيارى أحد صلحاء وصوفية المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع وبداية القرن الثامن. كان له اتصال بالفقيه المجتهد جمال الدين عثمان بن عمر ابن الحاجب (ت. 646 / 1248). يُذكر أن أبا مدين الجنيارى لقي ابن الحاجب سنة 644 هـ واستشاره في أمر أراد أن يصنعه، وطلب منه أن يدعوه له، فدعا له وأنشده هذين البيتين :

فوض الأمر إلى من دبَّره فسواه ما له من مقدرة
لا تُؤمَّل غير مولاك وسلُّ منه في كلِّ الأمور الخيرة

لا يعرف بالتحديد تاريخ وفاته، إلا أنه كان حيا في بداية القرن الثامن الهجري معاصرا لصاحب الذخيرة السنية. وقد انقرضت اليوم أسرة الجنيارى بفاس.

أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دوسلان، باريز، 1965، ص. 111، 114 ؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985، ص. 188 ؛ الحميري، الروض المعطار، تج. إحسان عباس، بيروت، ط. 1، 1984، ص. 176 ؛ ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 69 ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف، 1 : 314 ؛ أ. باب التنبكتي، نيل الابتهاج، بيسروت، د. ت، ص. 82 ؛ مجهول، الذخيرة السنية، الرباط، 1972، ص. 63، 74، 80 ؛ ع. الكبير الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

الجنيارى، عبد الله بن محمد، كان شيخاً صالحاً،

كثير الصوم وتلاوة القرآن. تقلد الخطبة بجامع القرويين أيام السلطان أبي الحسن المريني منذ سنة 748 / 1348 خلفاً للفقيه المحدث أبي الفضل محمد بن يحيى المزدغي. وبقي في خطته إلى أن توفي يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة 750 / 12 غشت 1349.

ع. الجزباني، جنى زهرة الآس، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 63 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ص. 64.

الجنيارى، محمد أحد فقهاء فاس وخطيب جامع

القرويين بها، ولا نعرف إن كان ابن من قبله وهل خلفه في الخطبة بالقرويين.

توفي سنة 778 / 1377.

إ. ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 69 ؛ أ. ابن القاضي، درة المجال، تج. محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، 1971، 2 : 274 ؛ جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ص. 236 ؛ م. حجي (محقق)، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976، ص. 128. رشيد السلامي

الجنيدى، سالم بن العربي الحمري الأسفي أبو حامد، ولد عام 1231 / 1815 وتكوّن تكويناً فقهياً متيناً، حلاًه الكانوني في جواهر الكمال "بالفقيه المعمر المقرئ الصالح الناسك. كان من العلماء العاملين، والأئمة المرضيين، دؤبياً على نشر العلم والقراءات السبع، دارت عليه الفتوى ببلده مع الثقة والأمانة والتقوى، غزير الدمعة رقيق القلب لا يرقأ له دمع إذا سمع قراءة القرآن حتى يسكت القارئ مهما طال الحال، وتلك عادته. تولى خطة العدالة ثم تخلّى عنها في آخر عمره".

قرأ في عبدة على أبي الطيب بن أبي مهدي الطواجيني وولده محمد وقد أجازاه في القراءات عن محمد بن عبد السلام الفاسي آخر القراء بالمغرب ومؤلف كتاب المحادي في علم القراءات بواسطة الشيخين عبد الله السكياطي الشيطمي، والتهامي الأويري الحمري.

رحل إلى فاس عام نيف وخمسين ومائتين وألف فأخذ عن بدر الدين الحمومي ومحمد بن عبد الرحمان الحجرتي، وأحمد المرينسي ومن في طبقتهم. ورجع من فاس عام واحد وستين ومائتين وألف فدخل مراكش وصحب الشيخ الصوفي أبا بكر الناصري واقتدى به وذهب معه إلى تامكروت، ثم صحب بعده ولده محمداً الناصري.

اشتغل بالتدريس في مسقط رأسه، وأخذ عنه جماعة، منهم ولده فضول الجنيدى آتى الترجمة، والفقهاء أولاد أبي شيخه الطيب الحمري، كما أخذ عنه الشيخ عبد المحي الكتاني حين لقيه ببلاد اخمر بعبدة، وأدركته الوفاة ببلده ليلة الثامن عشر من جمادى الأولى عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف / 14 أبريل 1914 وقد نيّف على المائة سنة من غير هرم ولا اختلال عقل.

م. الكانوني، جواهر الكمال، ج 2 مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 10 : 33-34 ؛ ع. الكتاني، فهرس الفهارس، 2 : 849.

الجنيدى، فضول بن سالم الحمري الأسفي، قال في

حقه الكانوني في جواهر الكمال : "الفقيه العلامة العدل البركة المدرس النفاع الناسك، من خيار أهل العلم، كانت له عناية بنشر العلم والقراءات".

درس العلم والقراءات بمسقط رأسه على والده الشيخ سالم الجنيدى سابق الترجمة، وعلى الفقيه أحمد بن أبي الطيب، ثم رحل إلى مراكش فأخذ عن الحاج محمد وزنيظ والحاج علي بن سليمان الدمناتي وغيرهما، وأخذ التصوف عن الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني وسلب إليه الإرادة.

تولى في آخر عمره خطة العدالة فكانت فيها محنته وسجن بعين علي مومن لأمر لم يفصح عنه مترجمه. وتوفي في السجن وهو ساجد بعد ظهر يوم الجمعة [25] ذي الحجة عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف / 17 يوليوز 1925.

نيون (Flavius Néon)، قائد كتيبة الاستوريين والغاليسيين على شرف "جنيسوس المكان" الذي قد يعني المعسكر لأن الأمر يتعلق ببناء مقر القائد (Praetorium) من طرف أفراد جنده. والأمثلة المتعلقة "بجنيسوس المعسكرات" عشر عليها في كل من معسكر "Bu Njem" بليبيا: (AE, 1976, 699) (700 ومعسكر Tisavar بولاية "بيزاصينا" (CIL, VIII, 22759) ومعسكر Zouï بنوميديا (CIL, VIII, 17625).

ولاننسى ذكر نقيشة كانت محط نقاش بين الباحثين، وهي التي عشر عليها بمعسكر سيدي موسى بوفري (موريطانيا الطنجية) (IAM, 2, 814). هذه النقيشة مكسرة وبالتالي كانت مجالاً للتاويلات والفرضيات. هل هو إهداء موجه إلى "جنيسوس المكان" (Genio ULPII) على اعتبار أن "أولبيوم" هو الاسم القديم لمعسكر سيدي موسى بوفري (انظر المعلمة 3، ص 914-915) أم أن الأمر يتعلق بجنيسوس الامبراطور تراجان "Genio ULPIO".

تبدو الفرضية الثانية أكثر قبولاً نظراً لكون مقدم الإهداء فاببيوس فلاكوسى هو قائد الكتيبة البارثية التي كانت أكثر التصاقاً بالامبراطور تراجان. وما يوضح ذلك النقيشة التي عشر عليها بسيدي موسى بوفري أو المقدمة إلى ربة مجهولة تحمل لقب أغسطس وتحمل إشارة لهذه الكتيبة البارثية (BAM, 16, 1985 - 86, p. 191).

وعشر في وليلي على نقيشة موجهة إلى جنيسوس الأماكن إلى جانب الحوريات (Nymphae)، هذا الجنيسوس يمكن أن يكون تعبيراً عن الثعبان خاصة وأتينا نعرف الدور الذي احتله في المعتقدات الإفريقية. فقد اعتبر كحامي المنزل والمغارات وكذا كروح للأماكن الباردة كالعيون وللحمامات ولعل النقيشة التي عشر عليها بحامة "Aquaе Flavianaе" بنوميديا والمقدمة إلى الحوريات والثعبان "Draco" تشير إلى الخصائص الطبية لهذا الجنيسوس (CIL, VIII, 17722).

إن ما يمكن استخلاصه هو كون العبادة الموجهة إلى "الجنيسوس" في مختلف مظاهره عرفت انتشاراً من حدود موريطانيا الطنجية إلى ليبيا الحالية، وهذا الانتشار له ارتباط بسياسة الرومنة رغم وجود جوهر محلي ان الأشكال المرتبطة بهذه العبادة كانت مزدهرة قبل مجيء الرومان واستمرت بعد مرحلة الغزو وحتى بعد سقوط الدولة الرومانية. ولعل ما يؤكد ذلك هو استمرارية العبادة في أشكال جديدة حيث تم تعويض "جنيسوس المنزل" مثلاً بـ "مولّ الدار" أو جنيسوس المياه "Genius Aquaе" بـ "مولّ العين" وعلى مستوى المدينة فإن هذه الاستمرارية تجدها في شكل "رجال البلاد" الذين عوضوا "جني" المستعمرات والمستلحقات.

Daremberg - Saglio, *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, S.V. *Genius* : G. Dumezil, *Encore Genius. Hommages à R. Shilling*, Paris 1983, p. 84 - 92 ; M. Leglay, *Le culte du serpent dans les cultes africaines. Hommages à W. Deonna*, 1957, p. 338 - 353

جِنْيُوس (Genius) عند الرومان عبارة عن قوة أو روح خفية تنشأ مع البشر وتقوم بحمايتهم حسب تعريف المؤرخ سرفيوس (Servius, *ad georg.* 1, 302). وقد حاول البعض أن يجعل من هذه القوة، قوة مرتبطة بمبدأ الخصوية، ويبدو أن الباحث G. Dumezil قد وضح بشكل قطعي بأن الأمر يتعلق بتأليه شخصية (Divinisation d'une personnalité) قد تكون شخصية إنسان أو شخصية مكان.

وأقدم شكل لهذه العبادة، هي عبادة جنيسوس الفرد : "Genius" بالنسبة للذكور، وجينو Juno بالنسبة للإناث، وكل شخص له قوة خفية تختلف عن قوة جاره، أما داخل محيط العائلة فالعبادة كانت توجه إلى رب العائلة (Pater Familias) ثم أصبحت بعد توجه إلى "جنيسوس المنزل" "Genius Domus" ولم تعرف عبادة هذا الأخير انتشاراً واسعاً في أفريقيا، فلا تتوفر إلا على نقائش قليلة عشر عليها في كل من مدن، لمبيز (Lambèse) وتيبيليس Thibilis بولاية نوميديا، ومدينة پورتوس ماكنوس "Portus Magnus" بموريطانيا القيصرية، أما في موريطانيا الطنجية فقد عشر بوليبي على نقيشة موجهة إلى جنيسوس المنزل من طرف شخص يدعى (T. FL (avius) IAM, 2, 351). Germanus.

إلى جانب جنيسوس الأفراد والعائلات، ارتبطت هذه القوة الخفية بالمدن سواء كانت مستعمرات (Colonies) أو مستلحقات (Municipes) وهذا ما يمكن أن نترجمه بـ "رجال البلاد" أن الجنيسوس يمثل المدينة التي يحميها وهو تشخيص لها، ويبدو أن العبادة المخصصة له عرفت انتشاراً في اسبانيا وأفريقيا، وكان يشرف عليها. في الغالب موظفو المستلحقات أو المستلحقات نفسها وقد عشر في وليلي على نقيشة مهداة إلى جنيسوس المستلحقة المقدسي "Genius sanctus municipi" من طرف حاكم الامبراطور (Procurateur) المدعو يوليوس أكريانوس (BAM, 16, 1985 - 86, p. 191).

ويمكن لهذا الجنيسوس أن يكون محدد الاسم كما هو الشأن بالنسبة لهرقل في مدينة لمطة الكبرى بليبيا (IRT, 296) وأبولون بمقاطعة Henchir el Abiod بولاية البرونقصلية (CIL, VIII, 20207).

لم تقتصر هذه العبادة على الأشخاص فقط بل تعدتها إلى الأماكن، والاسم الذي كان يطلق على هذه القوى هو "جنيسوس المكان" (Genius Loci) وقليلاً ما كان هذا المكان محدداً. إن أغلب الوثائق التي حملت ذكراً لهذه العبادة تجدها في نوميديا وموريطانيا، وكانت من اختصاص الموظفين والجنود السامين ولعل ما يؤكد ذلك هو الإهداء الذي عشر عليه "بعين الشقور" والمقدم من طرف فلاقيوس

Dermenghen. *Le culte des saints dans l'Islam Maghrebien*. Paris, 1954 ; *CIL*, VIII, *Corpus des inscriptions latines* ; *AE, Année épigraphique* ; *IAM, Inscriptions antiques du Maroc*. 2. *inscriptions latines*. Paris 1982 ; M. Lenoir, *BAM*, 16, 1985 - 86, p. 191 et suiv.

عبد العزيز بلقايدة

الجهاد البحري، من القرن التاسع إلى الثاني عشر

(18.15 م) من المعلوم أن احتلال عدد من الثغور المغربية خلال القرن التاسع (15 م) يعود إلى رغبة الإيبيريين في إبعاد المغاربة عن البحر، والحد من الجهاد البحري العثماني الذي نشط بالسواحل المتوسطية، خوفاً من سقوط الموانئ المغربية في أيدي العثمانيين. وقد اعتبر بعض الباحثين الأوربيين أن البرتغاليين والإسبان نجحوا في تلك المهمة، وحالوا بالاحتلال المذكور دون قيام المغاربة بأي نشاط بحري يضر بملاحتهم أو بأمن سواحلهم. إلا أن وثائق ومصادر إيبيرية كثيرة تنفي هذا الادعاء، وتؤكد أن المغاربة اعتمدوا، مبركاً، ورغم احتلال أهم وأنشط المرافئ، الجهاد البحري وسيلة من وسائل الصمود والمقاومة والرد على هجمات المسيحيين. وقد اتخذ المجاهدون من العرائش وتطوان وسلا وبادس منطلقاً لمطاردة السفن الإيبيرية وتخريب السواحل الإسبانية والبرتغالية.

تقف في المصادر البرتغالية على إشارات مفيدة إلى العمليات الجهادية التي نظمها المغاربة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. أشار الإخباري البرتغالي إيانس دي زورارا Eanes de Zurara إلى محاولات البرتغاليين بعد احتلالهم لسبتة القضاء على النشاط البحري المغربي والغرناطي، وإلى المعارك البحرية التي خاضوها ضد السفن الإسلامية بالمضيق والبحر المتوسط، وادعى أن الانتصار حالف فيها المسيحيين. يبدو أن تلك العمليات العسكرية والهجمات التي تعرضت لها بعض المرافئ الجهادية قد أضرت بالملاحه المغربية والغرناطية على السواء. إلا أن النشاط البحري سرعان ما انتعش وتقوى باستقرار الأندلسيين بعدد من المرافئ الشمالية المغربية، وبوصول الأتراك في مطلع القرن العاشر (16 م).

وخص الإخباري دو غويش (Damião de Gois) أربعة فصول لهجمات ناجحة نظمها مجاهدو العرائش وتطوان فيما بين 1516 و1521 استهدفت سفننا برتغالية. فخلال التاريخ الأول، استولى مجاهدو العرائش على "كرفيلا" برتغالية كانت تتأهب لدخول ميناء أصيلا، وكانت تحمل عدداً من البرتغاليين بعضهم من النبلاء. وفي نفس السنة، تمكن مجاهدو تطوان من أسر سفينة برتغالية أخرى. وذكر نفس المؤلف ضمن أحداث سنة 1520 ماحقته أخوان من تطوان سماهما خاكروس (Xaeros)، كان لكل واحد منهما مركب خاص، إذ "ألحقا لمدة أربع سنوات متتالية أضراراً بليغة بالمنطقة الممتدة بين سبتة والعرائش وجبل طارق

وBarbaçote". وقد اضطر نفس الإخباري، وهو يسرد تلك المنجزات، إلى الاعتراف بأن "المسلمين كانوا حاذقين في أمور البحر". وذكر دو غويش أن الهجمات التي كانت تنطلق من تطوان دفعت بالملك البرتغالي إلى التفكير في إغلاق مصب نهر مرتيل. وحث العاهل الإسباني من جهته جاره على إنجاز العمل المذكور في رسالة مؤرخة في 5 ماي 1520 أورد المؤلف محتواها : "ألح عليه بأن يشيد حصناً في أقرب الآجال للدفاع عن المسيحية وحماية ممالكها بذلك المصب، لجعل حد للأضرار والخسائر التي يتسبب منها مسلمو تلك الجهة بواسطة مراكبهم وسفنهم فيما بين الساحل (المغربي) والمضيق وغيرهما". وأشار الإخباري المذكور إلى أن الملك الإسباني طلب من العاهل البرتغالي السماح له، في حالة تعذر البناء عليه، بإنجازه وتحمل مصاريفه".

وتعرض الإخباري البرتغالي دو سوزا (de Sousa) لذكر حروب بحرية أخرى دارت بين مجاهدي تطوان والعرائش من جهة، وقطع من الأسطول المذكور بالمضيق حتمته المضايقات التي سببها النشاط الجهادي المغربي والتركي للبرتغاليين. فقد ذكر ضمن أحداث سنة 1529 معركة بحرية وقعت بين مركب تطواني وآخر برتغالي كان متوجها صوب أصيلاً. وتعرض نفس الإخباري إلى معركة أخرى دارت بين ثلاثة مراكب من بادس وقطعة من الأسطول البرتغالي المكلف بحماية المضيق.

وما لا شك فيه أن الإخباريين المذكورين لم يذكروا كل المعارك البحرية بين المغاربة والإيبيريين، وأنهما، كغيرهما من المسيحيين، اعتمدا التقليل من أهمية تلك الانتصارات المغربية.

ووقفنا بمحاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية على ما يضيف إلى ماسبق ذكره حقيقة بالغة الأهمية، إذ تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الجهاد البحري لم يقتصر على سكان المدن الساحلية وعلى ذوي العادات والنجبرات البحرية، بل شمل كذلك أشخاصاً ينتمون إلى مناطق داخلية كالقصر الكبير ومراكش وتارودانت وفاس. فقد كان من المغاربة الذين مثلوا أمام المحققين أشخاص أسروا بعد هجوم فاشل على السواحل أو السفن البرتغالية ينتمون إلى المدن المذكورة. وبذلك يكون المغاربة، من بدو وحضر، قد أسهموا في ذلك المجهود الوطني الذي صاحب وعزز الجهاد البري الذي كان الرأي العام الوطني، المؤطر من لدن الفقهاء والمنتصوفة، يوليه أهمية قصوى (راجع مادة جهاد بري).

وأطر الجهاد البحري وأشرف عليه قواد المدن التي لم تكن محتلة كتطوان وسلا وبادس قبل احتلالها (1508 ثم 1564). وأسهم قائد القصر الكبير بدوره في هذا النشاط انطلاقاً من ميناء العرائش الذي كان تحت نفوذه. واعتمد القواد المذكورون على بحارين مغاربة وأطر أتراك وعلوج. فقد ذكر دوسوزا de Sousa أن بحارا برتغالياً من أصيلا

توصلها بالأقوات والعتاد، كما لم تكن النتائج المحصل عليها في مستوى الضربات الموجعة التي ألحقتها مثلاً القرصنة الفرنسية بالأسطول التجاري البرتغالي. إلا أن تلك العمليات الجهادية شوشت على الإيبيريين وزادت من مشاكلهم العسكرية والمالية.

وتنبه الشرفاء السعديون مبكراً إلى ضرورة إنشاء أسطول لحماية السواحل المغربية، وإفشال المخططات التوسعية الإيبيرية والعثمانية. وحاولت الدولة، كما تؤكد ذلك محاكمة بعض البحارة الذين سقطوا في شباك محاكم التفتيش، الاستفادة من خبرات من كان يُقبل منهم على الموانئ المغربية، وإغراءهم للإقامة بها ولتأطير الجهاد البحري بها. ويبدو أن المحاولات المبذولة من لدن السلاطين الأوائل قد أتت أكلها إذ أصبح الأسطول المغربي يتكون في عهد عبد الله الغالب من ثلاثين قطعة، ومن أربعين في عهد أخيه عبد الملك المعتصم. ومعلوم أن المنصور أولى الأسطول عناية خاصة، إلا أن الأزمة التي عرفها المغرب بعد وفاته سنة 1603 عصفت بكل تلك الجهود.

وإذا كانت نواة الأسطول السعدي قد تلاشت مع اندلاع الحرب الأهلية التي تسبب فيها أبناء المنصور وحفدته، فإن هجرة الحرناشيين إلى القصبية الموحدية على الضفة الجنوبية لأبي رقرق (1017 / 1608)، واستقطابهم لعدد هام من مطرودي الأندلس، واستقرارهم في "سلا الجديدة"، بالجزء الغربي من رباط الفتح، فيما بين سنتي 1018 - 1023 / 1609 - 1612 أعطى المغرب قوة بحرية ضاربة، اتخذت من المبادرة الشعبية أسساً لإقامتها، ومن الجهاد المقدس أسلوباً لعملياتها، ومن مرسى سلا الجديد قاعدة لمواسمها، مما أكسب المنطقة شهرة عالمية ضاهت صيت قاعدة الجزائر، كأنشط مرفأ جهادي وأقصى قاعدة للملاحة الإسلامية.

وما كان لحركة الجهاد البحري السلاوي هذه أن تحقق ذلك النجاح لولا بروز مصب أبي رقرق كأقرب نقطة إلى مضيق جبل طارق المحتل من لدن الإيبيريين، ومتاخمته للخطوط الملاحية الأطلسية النشيطة، واستفادته من الصراع المحتدم بين الدول الأوروبية الذي تعدى مجاله القاري ليشمل المجال الحيوي الأطلسي، الأمر الذي سمح للبحرية السلاوية بلعب دور مؤثر في الملاحة التجارية العالمية في ساحة تمتد من الجزر الخالدات جنوباً إلى إسبانيا شمالاً، ومن بحر المانش شرقاً إلى سواحل كندا غرباً، متأثرة بالدوافع الدينية - النفسية العميقة، القائمة على الصراع التقليدي بين العالمين الإسلامي والمسيحي عامة، وعلى الرغبة في الانتقام من إسبانيا خاصة، مع ما كان يوفره ذلك من مردودية اقتصادية ومن تمجيد شعبي، إذ لم يكن "أحد يحظى في أوساط العامة بالتقدير والإعجاب قدر ما كان يحظى به أولئك المجاهدون" (الأب دان : ص 72).

إن ما شجع المستقرين الجدد بالضفة الجنوبية للمصب

التجأ إلى القصر الكبير حيث أسلم. وخصه القائد بمركب يحمل بحارة مغاربة وأتراكا لمهاجمة الجنوب البرتغالي ومنطقة الأندلس الإسبانية، حيث استطاع أن يغنم ويأسر الكثير. فقد هاجم يوماً مدينة "فارو" البرتغالية على رأس أسطول صغير يضم سفينتين جزائريتين وثلاث سفن من بادس وتطوان والعرائش. واستطاع أسر خمسين أو ستين من سكان تلك المدينة. وفي طريق العودة، استولى على سفينة برتغالية كانت راجعة من جزيرة الرأس الأخضر. محملة قطناً وعاجاً، وكانت تحمل عشرين بحاراً. وهاجم مرة أخرى مدينة "سان لوكار" الإسبانية ودخل الوادي الكبير في اتجاه إشبيلية، الأمر الذي "فرض على الملك يوحنا إرسال أسطول... لحماية "الغرب" [الجنوب البرتغالي] والمضيق وطرده هؤلاء القراصنة وإكراههم على الانسحاب إلى قواعدهم". وأشار نفس الإخباري إلى استيلاء مجاهدي سلا على سفينة برتغالية.

نشير إلى أن محاضر محاكم التفتيش الدينية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن نشاط سلا الجهادي لا يعود إلى استقرار الهرناشيين بها في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، بل يعود إلي العقود الأولى من القرن السابق. فقد كان في ملكية قائدها عدد من المراكب، كان جل رؤسائها من الأتراك والعلوج. فمن خلال محاكمة البحار الجنوبي الأصل المسمى فتشنتي جينوفيس Vicente Genives، الذي أسر سنة 1550 بعد هجوم فاشل على الجنوب البرتغالي، وحوكم بتهمة الردة واعتناق الإسلام ومحاربة المسيحيين، نعلم حقائق هامة وجديدة عن النشاط البحري بالمدينة المذكورة. فقد كان هذا البحار إيطالي الأصل، أسره الأتراك بالساحل الإسباني في سفينة جنوبية وحملوه إلى الجزائر حيث أسلم وعمره آنذاك ثمان عشرة سنة. وقد تمسك بإسلامه وأبلى البلاء الحسن في مطاردة السفن المسيحية ومهاجمة السواحل الإيبيرية، وأسر عشرات المسيحيين. وقد عمل بالجزائر وبادس والعرائش وتطوان وسلا. وكان حين أسره في خدمة قائد المدينة الأخيرة، ولم يكن سنه يتجاوز آنذاك الثلاثين سنة. وذكر أحد شهود عيان أمام المحكمة أنه لما كان أسيراً بسلا، شاهد المتهم عائداً إلى تلك المدينة بسفينتين برتغاليتين محملتين قمحا كان موجهها إلى ثغر مازيغن، وكان على متنها ستة عشر فرداً. كما ذكر أن العلج المذكور هاجم مرة قادس و "سان لوكار" وأسر سبع أو ثمان سفن. ومن خلال نفس المحضر، نعلم أن كلا من قائد سلا و "أمير بادس" كان يملك سفناً. وتخبرنا شهادة أخرى، بأن المتهم كان في خدمة قائد بادس سنة 1542، وأنه أسر مرة ثلاثة وثلاثين برتغاليا في مركب كان متوجهها إلى سبتة.

وبالطبع، لم تكن السفن الجهادية لتهدد، نظراً لعددها ونوعيتها، المكتسبات الإيبيرية بالمغرب العربي، ولم يكن بإمكانها ضرب حصار على الثغور المحتلة والحيلولة دون

سنة 1048 / 1638، إلى حين مقتله سنة 1051 / 1641، في أعقاب صراعه مع الدلائيين.

وسيطرة الدلائيين على مراكز سلا الثلاثة، تمتع الجهاد البحري بالاستقرار السياسي والاجتماعي الذي كان في أمس الحاجة إليه، مما فتح الباب أمام الانحراط الفعلي لسكان سلا القديمة فيه إلى جانب الأندلسيين، وأعطى دفعة جديدة للعمليات الجهادية، وانتظماً متواصلًا للمواسم، أصبح معها لقب "الرايس السلاوي" يشير الرعب في نفوس ربابنة وبحارة مختلف الأساطيل الأوربية وسكان السواحل، وصار معروفاً في أوساطهم باسم "وباء المسيحية"، ولم تتمكن أوربا من تأمين خطوطها الملاحية رغم دوريات الحفر والملاحقة والحصرات المتتالية على مرسى سلا، والضغط العسكري والدبلوماسي لإجبار الدلائيين والمجاهدين على توقيع معاهدات السلم وحرية التجارة واحترامها.

وأضرت الاضطرابات السياسية التي عرفتها المنطقة في ما بين سنتي 1071 - 1077 / 1660 - 1666 من جراء الصراع بين الدلائيين والخضر غيلان، والتي استمرت إلى حين سيطرة مولاي الرشيد العلوي على سلا، بالعمليات الجهادية السلاوية التي عرفت توقفاً واضحاً. وتبعاً لذلك، انتقلت المبادرة من يد السلاويين إلى مجاهدي الجزائر، ولم يعرف الوضع عودة إلى طبيعته الأصلية إلا خلال عهد السلطان المذكور. إلا أن تجريد الجهاد البحري من طابعه الشعبي ووضعه تحت الإشراف المباشر للسلطة المركزية كان مؤشراً على نهاية استقلالية الجهاد السلاوي.

وتعزز هذا التحول في عهد المولى إسماعيل، الذي جعل كافة سفن الجهاد ورجالاته تحت إمرته، وأخضع مردودية العمليات من مغانم وأسرى لمراقبة الدولة، وجعل الجهاد البحري ورقة ضغط في سياسته الخارجية، بتحريك السفن ضد هذه الدولة أو تلك، معتمداً في ذلك على عدد رياس مصب أبي رقرق، وعلى رأسهم المجاهد الشهير عبد الله ابن عائشة الذي تمكن خلال حياته الجهادية (1083 - 1110 / 1672 - 1698)، من تحقيق أكثر من ثلاثين عملية غنيمية في فترة تراجعت خلالها مقومات العمل الجهادي، بسبب إعراض الممولين والبحارة المحنكين عن الانحراط فيه لضعف مردودية الناتج عن احتكار الدولة لأدواته ونتائجه، إلى جانب تنامي قوة الردع الأوربية ومراقبتها الشديدة لتجارة التهريب، مما حرم الأسطول من الإمدادات التقنية المطلوبة، وأدى إلى تناقص كفاءته إلى أقل من عشر سفن سنوياً، رغم المجهودات المبذولة من قبل مولاي إسماعيل، الأمر الذي اضطر معه في الأخير إلى الرضوخ للضغوط الأوربية العنيفة، وخاصة ضغوط الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، إذ نقل في سنة 1110 / 1698، أمير بحريته ابن عائشة المذكور من مجال الجهاد إلى مجال الدبلوماسية ليقوم بسفاراته الشهيرة إلى باريس، وبذلك انتهت آخر مرحلة ناصعة من تاريخ البحرية المغربية.

على الانحراط في الجهاد البحري، هو التناظر الاجتماعي الحاصل بينهم وبين العناصر الأصلية المحيطة بهم، مما حال دون اندماجهم في وسطهم الجديد، ودفعهم للتحويل كلياً نحو المجال البحري الذي كان يشهد سنوياً مرور مائتي سفينة تجارية إسبانية، مستغلين نشوء نواة أسطول جهادي على يد اللاجئ الغرناطي الرايس الدغالي، وضعف القبضة السعدية في المنطقة، وثوراء الممولين الحرناشيين. وكان لسقوط المعمورة في يد الإسبان (1023 / 1614)، أثر فعال في الانطلاقة الفعلية للجهاد البحري، بلجوء عدد من العلوج والمغامرين إلى سلا لتتحد المجهودات في شن حرب استنزافية ضد مصالح إسبانيا خاصة، ودول أوروبا عامة، انتقل معها مسرح العمليات من المياه الإقليمية المغربية إلى الغزو المتكرر لبحار شمال أوربا، وسيطرة سفن الجهاد على بحر المانش وسواحل إنجلترا، تحت رئاسة العليج الهولندي الشهير موراطو رايس، الذي أسندت إليه إمارة البحر منذ سنة 1033 / 1622.

زودت هذه النجاحات العمليات الجهادية بالحوافز المطلوبة، ذلك أن الأعشار المفروضة على مداخيل موسم جهادي واحد في جمرک سلا تضاهي سنة ضريبية في المغرب على عهد أحمد المنصور، دون الآثار الاقتصادية الأخرى المتمثلة في إعادة بيع المغانم للتجار الأروبيين المتوافدين على المنطقة. وبذلك بدأ الجهاد البحري بمثابة صناعة حقيقية بكافة مواصفاتها، من تمويل يغذيه الأندلسيون والمداخيل السنوية، وأدوات عمل من سفن وتجهيزات، تساهم الأوراش القائمة عند قدم صومعة حسان في جزء منها، بينما وفرت المغانم الجزء الأعظم بعد إدخال تحسينات عليها تلائم طبيعة العمل، مما جعل الأسطول العامل يتراوح سنوياً بين ثلاثين وأربعين قطعة من مختلف الأنواع فيما بين سنتي 1031 - 1035 / 1622 - 1626.

وسيكون لهذا التحول أثر كبير في دفع رجال الجهاد البحري إلى تأسيس نظام جمهوري خاص بالصفة الجنوبية، معلنين الانفصال التام عن السلطة السعدية المتخاذلة فيما بين سنتي 1036 - 1051 / 1627 - 1641، لإتاحة المزيد من الاستقلالية للعمل الجهادي، وتحقيق أزهى فتراته، حيث عززت سفن المجاهدين - التي بلغت خمسين وحدة سنة 1047 / 1637، قبضتها على النواحي الشرقية للمحيط الأطلنطي، ووصلت عملياتها إلى جزيرة إيسلندة، وسواحل "الأرض الجديدة" (Terre Neuve) بشرق كندا، بل قد يكون بعضها بلغ شواطئ أمريكا الجنوبية (J. Montri : P 86) وبلغت مداخيل جمرک مرسى سلا من أعشار المغانم خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1039 - 1049 / 1629 - 1639 سبعة وعشرين مليون دوکا رغم توقف المواسم الجهادية جزئياً أو كلياً بعض السنوات من جراء الحرب الأهلية بين جرناشي القصبية وبين أندلسي سلا الجديدة (1033 / 1629)، وكذا فترات حصار العياشي المتكررة للصفة الجنوبية، وخاصة منذ

إن الشهرة الكبيرة التي حققها المجاهدون السلاويون، وذبوع صيتهم عالمياً تحت لقب "قراصنة سلا" تعود بالدرجة الأولى إلى تكتيكاتهم، إذ تجمع أغلب الوثائق والمؤلفات على أن أسطولهم كان دون مستوى أساطيل الجهاد الأخرى في الجزائر وتونس، سواء من الناحية العسكرية أو التقنية. كما أن الأسطول المذكور لم يكن في حجم النتائج المحققة طوال القرن الحادي عشر (17 م) التي تعود في الحقيقة إلى فعالية المجاهدين وحسن تنظيمهم، ومهارة تسييرهم، وحسن استغلالهم للخلافات الأوربية.

لم يكن رياس البحر السلاويون يعترفون - قبل العهد العلوي - بأية سلطة أخرى غير سلطة الموليين الأندلسيين، مما فتح أمامهم مجالاً أرحب لتنفيذ الارتجال العسكري والمبادرة الملاحية الحرة وفق ما تقتضيه العمليات الجهادية ومواسمها التي كانت في العادة تدوم من أبريل إلى نهاية شتنبر، منطلقين في مجموعات مكونة من سفينتين إلى ثلاث، تمتاز بالسرعة والقوة العسكرية الضاربة، وبسرعة المناورة المظهرية، وبخضوعها لإشراف رياس سلويين أو أندلسيين أو علوج مختارين بعناية فائقة من قبل الساهرين على مؤسسة الجهاد. وخولت لأولئك الرياس صلاحيات واسعة قبل وأثناء المواسم، من اختيار الطاقم والمتطوعين، إلى سلطتهم التامة على متن السفن وفق الأعراف والتقاليد الجاري بها العمل، إلى تحفيز المشاركين لإنجاز العمليات الجسورة التي من شأنها تحقيق مغنم هام يوفر تعويضات مرضية لكل فرد وفق نظام أسهم يراعي المراتب والوظائف. وقد كان الطاقم العادي للسفينة الجهادية يتراوح بين مائة ومائتي بحار حسب حجمها، يتفرع تنظيمياً إلى أربع وحدات متخصصة، تكلف كل منها بوظيفة معينة، وتتعاون جميعها خلال اللحظات الحاسمة وهي: قيادة السفينة والفريق التقني وطاقم السفينة وفريق الانقضاض.

شكل العنصر الأندلسي - ومعه المغربي والتركي - رأس هذه القوة، إذ من بين تسعة وأربعين أمدتنا وثنائق القرن الحادي عشر (17 م) بمعلومات عنهم، شكل هؤلاء ثمانية وثلاثين رايسا بحرياً، في حين كان دور العلوج من أصول مختلفة، وخاصة الأقاليم المتحدة، هاماً، سواء على مستوى القيادة أو في تسيير السفن. وكلف لأسرى المسيحيون، اعتباراً لأشتغالهم سلفاً على متن السفن التجارية الأوربية، بنفس المهام. وكان من لآخرة له منهم يكلف بمهمة التجديف.

واستمرت السفن الجهادية خلال القرن الثاني عشر (18 م) في القيام ببعض العمليات المتفرقة التي لم ترق إلى مستوى القرن السابق، أعقبها توقف شبه تام خلال فترة الأزمة التي تلت وفاة مولاي إسماعيل (1140 - 1171 - 1727). إلى حين تولية حفيده سيدي محمد بن عبد الله (1757)، الذي حاول استعادة مجد البحرية المغربية بالاعتماد على رياس مصب أبي رقرق، مدغماً كفاءتهم البشرية

باستفطاب رجال البحر من الجزائر وتونس، بغية تنشيط العمليات الجهادية. إلا أن محاولته هذه لم يكتب لها النجاح نظراً للفارق التقني الكبير الذي أصبح يفصل بين البحرية المغربية والبحريات الأوربية، إلى جانب ضعف الإمكانيات الملاحية، وافتقار المغرب إلى مواد وتجهيزات السفانة، وتضاؤل الإمدادات الأوربية بفعل المراقبة الشديدة لتجارة التهريب، والردع الأوربي القوي، مما جعل النتائج لا تتجاوز كثيراً مستوى الخسائر، مما جعل السلطان يكتفي باستغلال ورقة الجهاد لفرض الجزيات على بعض الدول مثل الدنمارك والسويد والبنديقية والنمسا، والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية، أو كورقة ضغط في سياسته الخارجية مع الدول الرئيسية مثل فرنسا وإنجلترا وإسبانيا.

ويفشل محاولة سيدي محمد بن عبد الله، دخل الأسطول الجهادي مرحلة نهايته الفعلية، وبداية اندثار الحضور الملاحى المغربي، والذي سيترسخ في عهد ولده مولاي سليمان بإعلانه التخلي النهائي عن الجهاد البحري سنة 1233 / 1817.

أ. بوشرب، *المغاربة والبحر*، مجلة بحوث، كلية الآداب المحمدية، ع. 4، 1991، ص. 53. 70: الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالبحر الشمالى المحتلة (1415: 1574)*، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، الرباط؛ ح. أميلي، *الجهاد البحري بمصب أبي رقرق خلال القرن 17 م*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب الرباط، 1989.

R. Ricard. *Les Portugais au Maroc de D. de Gois. extraits de la chronique du Roi Dom Manuel de Portugal*, Rabat. 1937 ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des "Annales de Jean III de Luis de Sousa", Paris. 1940. 208 p. ; R. Coindreau. *Les corsaires de Salé*, Paris. 1948 ; A. Timqule. *Le Maroc à travers les chroniques maritimes*. 2ème éd. Casablanca. 1989 ; H. de Castries (et al.). *Sources Inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère et 2ème série.

أحمد بوشرب وحسن أميلي

الجهاد البري (ضد الاحتلال البرتغالي) لم يكن

التعشر الذي عرفه الغزو البرتغالي بالمغرب وليد قلة الإمكانيات البشرية والمالية لدى البرتغاليين فحسب، بل ترتب كذلك عن معاكسة المغاربة العنيفة والمختلفة المظاهر له، كما تجلّى ذلك من خلال الفواجع التي مُني بها الغزاة بطنجة والمليحة والمعصورة. واختلفت مظاهر المقاومة المغربية: فزيادة على مقاطعة الثغور ومنع أي شيء من الدخول إليها، عرضها المغاربة لعمليات عسكرية اختلفت خطورتها. وكان من هذه العمليات ما تم على يد القبائل والمجاهدين، ومنها ما تم على يد حيوش الأنظمة القائمة آنذاك بالمغرب: الوطاسيين، والهنتاتين والشرفاء السعديين. لذا سنعرض لمختلف مظاهر المقاومة الشعبية، وماحقته من نتائج قبل الانتقال للمقاومة الرسمية. الجهاد الشعبي: كان رد فعل المغاربة على سقوط

بعض المدن الساحلية واحتلالها من طرف البرتغاليين عنيفا وفوريا، ذلك أن البرتغاليين عانوا من صمود وهجمات كل القبائل المغربية القريبة من تلك الثغور، كما تؤكد ذلك المصادر المغربية والبرتغالية. فقد وصف المستعرب البرتغالي D. Lopes أوضاع الثغور المحتلة بقوله: "كنا نبقى داخل الثغور كما لو كنا على ظهر سفننا، إلا أن السفن كانت تمخر البحار بحرية، ناشرة نفوذنا وملحقة الهزائم بالأعداء، في حين كانت الثغور في كل مكان جامدة ومعرصة باستمرار لأمواج المغاربة العنيفة".

وشمل رد فعل المغاربة كل المناطق وكل الفئسات الاجتماعية. فقد كان المجاهدون المرابطون أو المشاركون في الحركات لا ينتمون إلى القبائل المجاورة للثغور وحدها، بل كانت أعداد مهمة منهم تنحدر من مدن داخلية كفاس ومكناس، أو تنتمي إلى مناطق نائية كدرعة وتافالالت. وكان هؤلاء المجاهدون لا يكتفون بالمرابطة ومحاربة العدو، بل كانوا يتدخلون لدى الحكام المترددين أو المتقاعسين عن الجهاد لدفعهم إلى تحمل مسؤولياتهم. وهكذا اضطر بعض السلاطين إلى تنظيم "حركات" تحت ضغوط قام بها الفقهاء، وأصبح المغاربة يولون الجهاد أهمية قصوى، ويجعلون منه واجبا ضروريا على كل مغربي، حتى إن من الفقهاء والمتصوفة من امتنع عن الاتصال بالسلاطين الوطاسيين الذين تأكد تقاعسهم عن واجب الجهاد، وتفاوضهم مع النصارى، كما امتنعوا عن مجالستهم وأخذ هباتهم. وكان منهم من لم يخف عداؤه للدولة، وناهضا وحث الناس على عصيانها، وبذل مجهوداً سياسياً ضخماً للدعاية لأسرة الشرفاء السعديين الذين كان الأمل معقوداً عليهم في القيام بمهمة الجهاد. وكان على رأس هؤلاء المعارضين للدولة الوطاسية، المتصوفة المنتمون للطريقة الجزولية، كعبد الله العزواني الذي تعرض من جراء ذلك للسجن، وأبي الروابن، وعلي بن أحمد الدوار الذي كان يصيح بأعلى صوته وسط فاس: "أخرجوا يابني مرين، والله مانترككم ببلادنا..." (الدوحة، ص 81).

وتشدد بعض المجاهدين وجعلوا من القيام بمهمة الجهاد أحسن مقياس للرجولة، واعتبروا إمامة من تقاعس عنه باطلاً. فلقد عاد، إن صحت رواية ابن عسكر، الفقيه محمد بن يحيى البهلولي من إحدى الغارات التي نظمت ضد البرتغاليين بالهبط، فوجد الناس قد انتهوا من الصلاة على زوجته التي وافتها المنية، فأمر مرافقيه والحاضرين بإعادة الصلاة عليها. ولما لامه الناس على ذلك قال: "صلاتكم الأولى عليها فاسدة لكونها بغير إمام، فقالوا كيف ذلك يا سيدي؟ فقال إن من شروط الإمام الذكورية، وهي مفقودة في صاحبكم، لأن الذي لم يتقلد سيفاً قط في سبيل الله ولم يضرب به ولا يعرف الحرب... فكيف يعد إماماً ذكراً؟ بل إمامكم والله من جملة النساء..." (الدوحة، ص 60).

اتخذ الجهاد الشعبي عدة أشكال:

- مقاطعة الثغور المحتلة وتكفير من بقي بها وإباحتهم، ونعت الخاضعين للغزاة "بعبيد النصارى". فقد كفر المغاربة يحيى أو تعفوفت، ربما بعد صدور فتاوى في حقه، لعمالته مع البرتغاليين. وقد أخرج هذا الموقف كثيراً إذ اضطر إلى التأكيد في عدة مناسبات على تمسكه بدينه وغيرته عليه. وقد عبر عن هذا الإحراج في رسالة إلى أحد أصدقائه البرتغاليين: "يقول المسلمون: إني نصراني، ويقول النصارى إنني مسلم، أتأرجح هكذا دون أن أعرف أين أضع نفسي". (راجع مادة تعفوفت).

- اختطاف المحتلين والذين يفاجأون خارج أسوار الثغور من مسيحيين ويهود. واستطاع المغاربة نصب كمائن حرمت الغزاة من الراحة ومن إمكانية القيام بنشاط زراعي حول الثغور التي يحتلونها.

- ضرب حصار على الثغور المحتلة، وحرمانها مما كانت في حاجة إليه من مواد وحب وكلاً...
ونظراً لضعف السلطة المركزية، عرفت عمليات الجهاد الشعبي نوعين من التأطير:

1- كان المتصوفة والفقهاء في مقدمة المجاهدين والمشجعين على القيام بذلك الواجب. وقد تبين لهم أن النجاح في تلك المهمة يقتضي القيام بأعمال متكاملة: الجهاد والمرابطة والعمل على تحرير الثغور المحتلة والتضييق على حامياتها. وذكر ابن عسكر الشفشاوني أسماء اثني عشر فقيهاً مجاهداً كان منهم من استشهد أو أسر. وتزخر الوثائق والمصادر البرتغالية بالإشارات إلى الأدوار التي لعبتها هذه الفئة في حث عموم الناس والحكام على الجهاد، وإلى المحاولات التي بذلتها لإبعاد القبائل العملاء عن البرتغاليين.

- نشر التعليم: اعتبر الفقهاء هذا العمل مكماً للعمل الأول، فلقد ذكر ابن عسكر أن العالم عبد الله الوريغلي الذي كان يقيم بالقصر الكبير "... كان من عادته أن يشتغل بالتدريس في فصل الشتاء والربيع، ويخرج في الصيف والخريف يربط بثغور القبائل الهببية..." (دوحة، ص 31).

- الوعظ والإرشاد ومحاربة البدع، وحث الناس على التمسك بالدين وعلى الجهاد. وأخذت هذه المهمة وقتاً كبيراً من الفقيه عبد الله الهببي الذي كان يجوب البوادي الهببية صحبة عشرات المريدين للاتصال بالسكان ووعظهم وإبعادهم عن البدع التي استحدثوها، كما بعث بعدد كبير من الرسائل إلى القبائل لنفس الغاية. ونظم ألفية ذكر فيها كل البدع التي أبعدت الناس عن دينهم وحثهم على التخلي عنها، وعلى العودة إلى تعاليم الكتاب والسنة. كما حث المغاربة على حمل السلاح وتحرير الثغور (دوحة، ص 7). وألف محمد ابن يجيش التازي كتاباً في الجهاد ذكر فيه المغاربة بما تعاني منه سواحل المغرب، ونبه إلى خطورة ما يمكن أن يقع إذا لم يجمعوا كلمتهم ويوحدا صفوفهم. واستعمل في

ذلك النشر والنظم وكل الحجج الممكنة لإقناع المغاربة بضرورة حمل السلاح والرد على التحدي (التذكير بالجنة، وبما حل بالسكان بسبب الأسر والهزائم، التذكير بما حل بالمعاهد الدينية ...)

2 - فضلاً عن الفقهاء والمتصوفة انتصب بعض القواد، وخصوصاً بالهبط لتأطير الجهاد. وقد كان أشهرهم وأكثرهم نفوذاً قائد الشاون. ومعلوم أن شفشاون شُيدت أساساً لتأطير الجهاد والمرابطة بالهبط. وقد تنبه البرتغاليون إلى خطورة المشروع فحرضوا عملاءهم على قتل المؤسس، قبل أن يتم بناء المدينة. وخلفه أخوه علي بن راشد الذي اشتهر كثيراً بالجهاد، والذي أسر مرة لمدة قصيرة. وبعد وفاته سنة 1511/917، خلفه ابنه إبراهيم ابن راشد الذي أعطى للجهاد نفساً جديداً، مما جعل البرتغاليين يعانون من عملياته كثيراً لكونه أصبح قائد كل جيوش الهبط. كما أبلت مدينة تطوان البلاء الحسن تحت قيادة المنظري في الجهاد البري والبحري، فقد لاحظ الوزان أن مطامير المدينة كانت تضم ثلاثة آلاف أسير مسيحي. وساهم قائد القصر الكبير، عبد الواحد بن طلحة العروسي، بدوره في العمليات العسكرية. وما أعطى لعمليات هؤلاء القواد فعالية كبرى هو أنهم :

- كانوا أحراراً في التخطيط لعملياتهم العسكرية وفي اختيار أوقاتها وأهدافها.

- لم يكونوا يلتزمون باحترام الهدنة التي كان البرتغاليون يملكونها مع الوطاسيين، الشيء الذي كان يجعل الغزاة يعانون باستمرار من حالة الحرب.

- كانت عملياتهم العسكرية تخضع لتنسيق محكم، مما أعطاها خطورة كبرى، وسمح لها بتجنيد أعداد ضخمة من المحاربين.

واستطاع المجاهدون، المؤطرون من لدن المتصوفة ولفقهاء أو القواد، الحصول على نتائج مهمة، ذلك أن أهم سلاح اعتمدوا عليه، تمثل في عامل المفجأة الذي كانت العمليات العسكرية الرسمية تفتقر إليه.

ولهذا سقط عدد من البرتغاليين في الكمائن التي نصبها المجاهدون لهم، وأضحى مجرد ذكر اسم بعض المجاهدين يحدث الرعب في نفوس برتغاليي الثغور. فلقد نتج عن استشهاد أحد هؤلاء المجاهدين إقامة برتغاليي أصيلاً لحفلات كبرى لأنهم قالوا : "... كان دائماً في مقدمة الصفوف لمهاجمتها، وكان يعرضنا وحده لحروب أكثر مما كانت تعرضنا لها كل المنطقة المجاورة للقصر والشاون..." (L. de Sousa). وتزخر المصادر البرتغالية بالإشارات إلى الكمائن التي نصبها المجاهدون حول الثغور وإلى معاناة الغزاة من ذلك، وانحصارهم بسببها داخل الأسوار. وقد أورد الإخباري R. Rodrigues الذي أقام مدة طويلة بأصيلاً، تفاصيل معبرة في هذا الشأن.

كان من نتائج تلك العمليات العسكرية، حرمان

البرتغاليين من منطقة مسالمة تؤدي الضرائب وتزود الثغور بالمواد الغذائية، وحماية القبائل القريبة من الثغور والرد على الغارات البرتغالية بما هو أعنف منها (كما تم بالهبط سنتي 1511-1512)، والإلحاح بالغارات على كل من سولت له نفسه التعامل مع النصارى (1512). ولهذا لم يكن البرتغاليون يتحكمون بالهبط إلا في المدن الساحلية، وكان انعدام هؤلاء القواد بالسوس هو ما دفع بالفقهاء إلى مبايعة الشرفاء السعديين لجعل حد لسطوة برتغالي أكدير، كما تسبب انعدامهم بدكالة في الإشعاع السياسي المؤقت الذي عرفته كل من أسفي وأزمور. وحتى في هذه المنطقة، لم تظل سطوة البرتغاليين. فقد ضيق المجاهدون الخناق على أزمور وحرّموا المحتلين من استعمال النهر الذي أحرقت به عدة مراكب، وأسر به عدد من الصيادين، كما حُرّم البرتغاليون وحلفاؤهم من إمكانية استغلال البادية بكل اطمئنان. ، كان عدد من أولئك المجاهدين يفدون من منطقة "سلا"، وأصبح بعضهم معروفاً من لدن برتغاليي أزمور لكثرة نشاطهم هناك.

أما الجهاد الرسمي فقد امتاز بمجموعة من الخصائص رغم اختلاف الأنظمة :

- لم تكن مقاومة الغزو البرتغالي تحظى بكل اهتمام السلاطين المرينيين والوطاسيين والهنثانيين لقلّة إمكانياتهم المالية والعسكرية (كان الوطاسي ينتظر توصله بالزكوات قبل تنظيم بعض الحركات)، ولانشغالهم بالحروب الداخلية ضد الثائرين. وحداً افتتار تلك العمليات لعامل المفجأة من خطورتها، إذ كان خبر الاستعداد يصل إلى مسامع البرتغاليين قبل الغارة بمدة طويلة، مما كان يسمح لهم باتخاذ كل الترتيبات وطلب المساعدة من البرتغال وماديرا أو من الثغور الأخرى. لذلك كانت النتائج التي حصل عليها المسؤولون المغاربة جد هزيلة، ودون مستوى ما تطلبته عملياتهم العسكرية من جهود وضحايا. لقد كانت قوة الإيبيريين تكمن في مناعة تحصيناتهم وكثرة مدافعهم، ولهذا كانوا يتفادون الاصطدام مع جيوش سلاطين المغرب المتفوقة من ناحية الأعداد، وكانوا يكتفون بإغلاق أبواب مدنهم وانتظار مغادرة تلك الجيوش للمنطقة. وبما أن السلاطين كانوا يفتقرون إلى المدافع والأسلحة النارية وإلى وسائل الحصار ومصالح التموين، وبما أن غالبية الجنود كانت من المتطوعين، فإن حصارهم للثغور المحتلة كان يدوم مدة قصيرة.

وكان المغاربة يكتفون في هذه الغارات بنسف محاصيل البرتغاليين وأسر من فوجيهم منهم خارج أسوار المدينة. ولهذا كانت العمليات العسكرية عبارة عن حركات مؤقتة لا تدوم طويلاً، ولا تجعل البرتغاليين يعانون باستمرار من حالة الحرب والحصار. وكان افتتار المغاربة إلى أسطول يفقد العمليات البرية مفعولها، إذ كان المحاصرون يتوصلون بكل ما هم في حاجة إليه عن طريق البحر.

وكلفت هذه النتائج الهزيلة السلطان الوطاسي عدداً

كبيراً من الضحايا بسبب طلقات المدفعية البرتغالية المنصوبة على أبراج المدن. فحسب الوزان، وهو شاهد عيان، كانت كل حركة وطاسية بالهبط تفقد الوطاسي ما لا يقل عن خمسمائة من المحاريرين.

وتعود هذه النتائج السيئة بالإضافة إلى قلة الإمكانيات، إلى انعدام التنسيق بين جيوش الوطاسيين والهناتيين والسعديين، إذ لم تتم ولو عملية عسكرية مشتركة ضد البرتغاليين، وذلك رغم الجهود التي بذلها السلطان محمد البرتغالي، والتي كلف بها الحسن الوزان سنتي 1514 و1515. ومما قلل من فعالية الهجمات المنظمة من لدن الوطاسيين والشرفاء السعديين، محاصرة مدينة معينة والانتقال بعد ذلك لمحاصرة أخرى، كما فعل محمد البرتغالي الذي كان يهاجم أصيلاً قبل أن ينتقل إلى الهجوم على طنجة أو العكس. وكان أحمد الأعرج يحاصر أسفي دون أزموور أو أكدير، الأمر الذي كان يسمح للبرتغاليين بإرسال مساعدات عسكرية ضخمة للمدينة المحاصرة.

ونظراً لهذه النتائج الهزيلة، ولعجز المسؤولين المغاربة عن تحرير الثغور، أصبح كل ما يهدفون إليه من عملياتهم العسكرية هو الخيلولة دون تحكم البرتغاليين في المناطق الداخلية، وحرمانهم من المنتجات المحلية. ولهذا كانت جل الحركات تتم خلال فصل الصيف، لمنع القبائل الخاضعة من أداء الضرائب ومن بيع الحبوب للبرتغاليين. ولتحقيق هذه الغاية، كانوا يلجأون إلى إفقار القبائل الخاضعة، بالإلحاح عليها بالفارات، كما تم بدكالة خلال سنوات : 1514 - 1515 - 1517 - 1518، وقد ذاقت قبائل المنطقة الأمرين من تلك الحركات التي أسهمت في النقص الخطير في الحبوب الذي عانت منه المنطقة، بعد 1516، وخصوصاً خلال مجاعة 1521 الكبرى.

نتج هذا الموقف الذي اتخذته المسؤولين المغاربة عن تقويم سياسي خاطئ، إذ اعتقدوا أن سطوة البرتغاليين تعود إلى تعامل بعض القبائل معهم. لذا عملوا على إبعادها عنهم، دون توفير وسائل الصمود لها، ودون حمايتها من الفارات البرتغالية. وبما أن ذلك لم يتم لهم، فإنهم ألحوا على تلك القبائل بالفارات، وحالوا دون استفادتها من محاصيلها، مما جعلها بين نارين، تتعرض لهجوم البرتغاليين في حالة عصيانها، وللحركات الوطاسية في حالة الخضوع للنصارى.

وكان هذا التصور للجهاد بالسهول الغربية سبب نفور القبائل من الوطاسيين والتجانها إلى الشرفاء السعديين المستقرين منذ 1513 جنوب نهر تانسيفت.

صادف تأسيس الدولة الوطاسية سقوط مدينتي أصيلاً وطنجة في أيدي البرتغاليين، وسقوط غرناطة في أيدي الإسبان، الأمر الذي جعل المغاربة ينظرون لها نظرة شوم، ويحملونها مسؤولية ما حل بالبلاد والعباد من إهانات، خصوصاً وأن محمداً الشيخ الوطاسي (1472 - 1505) أعطى

الألوية لتأسيس دولته وإخضاع البلاد لسلطته، وكان تبعاً لذلك أميل إلى التفاوض وتقديم تنازلات للغزاة. فبعد احتلال أصيلاً، أمضى معهم هدنة لمدة عشرين سنة، وسمح لهم باحتلال ماشاؤوا من الحصون والثغور الهببية. وقد سمحت لم تلك الهدنة بدخول طنجة بدون حرب، واقتطاع العرائش لأحد النبلاء. ولم يحسن استغلال انتصاره بالجزيرة سنة 1489، واكتفى بتمديد الهدنة لعشر سنوات أخرى. ولم تخيرنا المصادر إلا بحملة واحدة نظمها ضد برتغاليي طنجة وأصيلاً سنة 1501. إلا أن ابنه محمد البرتغالي (1505 - 1526) كان أكثر اهتماماً بالجهاد، ونظم عمليات هدوت المكتسبات البرتغالية بالهبط ودكالة، كان بعضها خطيراً. فقد حاصر طنجة سنة 1511، وكاد أن يحررها، كما استطاعت جيوشه اقتحام أسوار أصيلاً ودخولها سنة 1508، وإن لم يحسن استغلال هذا الانتصار وتمكن البرتغاليون الذين احتموا بالقصبة من التوصل بمساعدات من ماديرا والبرتغال. وعرض السلطان ضواحي أصيلاً وطنجة لفارات خطيرة خلال سنتي 1511 - 1512. كما الحقت جيوشه التي كان يقودها أخوه الناصر بالبرتغاليين الذين حصنوا المعمورة (المهدية الحالية) هزيمة كبرى، اعتبرت أكبر هزيمة مني بها البرتغال إلى ذلك التاريخ، إذ مات منهم أربعة آلاف شخص، وتكبدوا خسائر مادية هامة. ونزولا عند رغبة الدكاليين الذين التجأوا إليه بعد احتلال أزموور في شتنبر 1513، اهتم السلطان الوطاسي بأوضاع دكالة التي تحركت جيوشه في اتجاهها سنوات 1514 - 1515 - 1517 - 1518. ورغم أن تلك الحركات لم تسمح بتحرير أي من الثغور، فإنها زعزعت المكتسبات البرتغالية، وحدت من سطوة حاميتي أزموور وأسفي اللتين كانتا تعيشان في المنطقة فساداً.

وبخلاف محمد البرتغالي، كان ابنه أحمد (1526 - 1548) أميل إلى التقاعس والتواطؤ مع البرتغاليين لخوفه من الشرفاء السعديين الذين سبق لأبيه أن حاصره بمراكش سنة 1523، خصوصاً وأن نفوذهم تزايد بالمنطقة، وأن إمكانياتهم العسكرية قد تضاعفت. لقد أصبح السلطان الوطاسي يجعل من القضاء على خصومه أول أولوياته، وللوصول إلى غايته قام بعملين متكاملين، فرضا عليه تناسي الجهاد والتواطؤ مع البرتغاليين.

تجسد العمل الأول في إعلان الحرب على السعديين : حصار مراكش (1527)، واقعة أنفاي (1530)، ومعركتا بوعقبة (1536)، وادي درنة (1545). أما العمل الثاني، فتمثل في محاولاته الرامية إلى الحصول على حلف وطاسي - برتغالي للقضاء على الشرفاء السعديين، والهادفة إلى الحصول على مساعدة عسكرية برتغالية لاحتلال ميناء تركوكو بحاحة الذي كان السعديون يتزودون فيه بالأسلحة والذخيرة. ولتحقيق الغايتين المذكورتين، كلف قائد الشاؤون بالتفاوض مع قبطان أصيلاً وقائده على تادلا باتصال مع

قبطان أزمور. إلا أن الملك البرتغالي الذي بدأ منذ 1529 يفكر في إخلاء بعض الثغور، لم يعر عروض الوطاسي أي اهتمام. وبذلك يكون الوطاسيون قد عجزوا عن تحرير الثغور، واقتصروا عملهم على تحرير المعمورة وزعزعة المكتسبات البرتغالية بدكالة.

ولم يكن للهناتيين بدورهم ما يكفي من الوسائل لمعاكسة التوسع البرتغالي بدكالة، ومنع احتلال ثغورها ومد النفوذ المسيحي في الداخل، رغم التجاء القبائل اليهم، ورغم وعد أمير مراكش لها بالمشاركة في الحصار الكبير الذي ضربته على أسفي في دجنبر 1510. وبعد أن أصبح التوسع البرتغالي بمنطقة دكالة يقترب من منطقة الحوز، اضطر الناصر الهنتاتي إلى التحرك سنة 1512. إلا أنه تكبد هزمتين على يد البرتغاليين، وأخرى على يد عميلهم يحيى أو تعفوفت. وتفاديا لاصطدام جديد مع برتغالي أسفي، التزم باتخاذ موقف الحياد خلال الهجوم الذي استهدف أزمور في شتنبر 1513. وأمام تزايد نفوذ البرتغاليين بالمنطقة، يقال إن الناصر ربما فكر في الدخول تحت حماية التاج البرتغالي، والسماح له بإرسال حامية برتغالية إلي مراكش. إلا أن المشروع لم يعرف النور. ولم يعجز الهنتاتيون عن منع نشر النفوذ البرتغالي بدكالة والحوز فحسب، بل عجزوا حتى عن منع الهجوم على عاصمة دولتهم التي تعرضت لهجومين، (1514، 1515). ووعيا منهم بضعفهم احتموا بالسعديين.

ومعلوم أن لمبايعة القائم بأمر الله علاقة بالغزو البرتغالي وبرغبة السوسيين في وضع حد لتعسفات النصراري، خصوصاً وأن الوطاسيين البعيدين عن المنطقة كانوا قليلي الإمكانيات، مشغولين بالجهاد في مناطق أخرى. ويمكن تقسيم جهاد الشرفاء السعديين إلى مرحلتين :

- قبمت المرحلة الأولى، التي امتدت من تاريخ المبايعة إلى دخول مراكش، بقيام الشرفاء بهذه المهمة باسم الوطاسيين الذين كانوا يدينون لهم بولاء اسمي. كَوْنُ القائم بأمر الله سنة 1511 نواة جيش رسمي يضم خمسمائة محارب، أصبحوا بعد ثلاث سنوات، ثلاثة آلاف، هذا فضلاً عن المتطوعين من جزولة وياقي بربر وعرب السوس. وبعد مضايقة عملاء البرتغاليين بالمنطقة، ضرب القائم بأمر الله سنة 1511 حصاراً على فونتي المحتلة منذ 1505 لكن هذا الحصار لم يهدد البرتغاليين لافتقاره لوسائل الحصار وللمدفعية.

لم يطل مقام القائم بأمر الله بالسوس، إذ انتقل سنة 1513 إلى الشياظمة بطلب ملح من سكانها الذين كان برتغاليو أسفي وعميلهم يحيى أو تعفوفت يضايقونهم. واستقر القائم بأمر الله بتدنيست (أفوغال في المصادر المغربية) قرب قبر الإمام الجزولي. وكان قبل ذلك قد تنازل عن السلطة لابنه الأكبر أحمد، وعين ابنه الآخر محمداً

خليفة بالسوس. وحاول السعديون الحصول على الأسلحة والذخيرة لمحاربة البرتغاليين بنفس السلاح. لذا فتحوا ميناءين صغيرين بحاحة، تظفنا وتركوكو، في وجه التجار الإسبان والفرنسيين والإيطاليين وحتى البرتغاليين، الذين تقاطروا عليهما لرغبتهم في تكسير الاحتكار الملكي للتجارة بالمغرب، وفي الاستفادة من الإعفاء الضريبي بالمرفأين.

ونجح برتغاليو أسفي، المساندون من لدن يحيى وقبائله، في جعل أحمد الأعرج في حالة دفاع، وذلك بالإلحاح عليه بالفارات خلال 1514 و1515، وطرده من المعقل التي التجأ إليها (راجع مادتي تدنيست، أگلاگل)، ويخلق عميل هناك لشغله في حروب داخل منطقة الشياظمة، حالت دون نقل عمليات السعديين إلى شمال نهر تانسيفت. ودون اتصاله بقبائل دكالة المرغمة على الرضوخ. وعلى الرغم من المشاكل المذكورة، استطاع أخوه أحمد في بداية العشرينات من القرن تحقيق مكتسبات مهمة. فقد استطاع محمد الشيخ ضرب حصار دائم على أگادير وقطع الطرق المؤدية إليها، ومنع أي شيء من الدخول إليها، واستطاع أخوه أحمد تهديد المكتسبات البرتغالية تهديداً خطيراً بعد 1518، أي بعد قتل أكبر قباطنة أسفي (1516)، واغتيال يحيى أو تعفوفت (1518). وألحق أحمد هزيمة لكراء بحامية أسفي وأسر قبطانها سنة 1522، وضرب حصاراً على الثغر وحال دون وصول أي شيء إليه، الأمر الذي أرغم القبطان الجديد على إمضاء هدنة معه اعتبرت مهينة للبرتغال، لكونه قبل يفتتها أن تؤدي ضواحي وأرياض أسفي الضرائب للسعدي. ومعلوم أن هذه الانتصارات كانت سبب استدعاء الهنتاتي لأحمد الأعرج وتخليه له عن السلطة.

أما المرحلة الثانية لجهاد السعديين فقد شغلتهم حروبهم ضد الوطاسيين عن تكريس مجهودهم للجهاد، وكان عليهم، لإفشال مخططات الوطاسيين والتفرغ لمحاربتهم، إمضاء هدنة مع المسيحيين. لذا لم ينزل الشرفاء بكل ثقلهم على الثغور إلا مرتين، واحدة بأگدير سنة 1533، والأخرى بأسفي في السنة التالية. وقد تبين للأخوين من الحصارين المذكورين ضرورة الاعتماد بشكل مكثف على المدفعية والأسلحة النارية. وهكذا أعطيا الأولوية لصنع المدافع (اعتماداً على نحاس السوس) واستيرادها، وإغراء الأتراك والعلوج برواتب مرتفعة. ومعلوم أن الانتصار الكبير المحقق بأگدير سنة 1541، الذي نتج عنه قتل أو أسر كل أفراد الحامية البرتغالية، يعود أولاً وقبل كل شيء لدور المدفعية الثقيلة في تحطيم أسوار الثغر. وكانت الهزيمة كبرى، أفزعت المسؤولين بلبشونة، وأكرهتهم على إخلاء أسفي وأزمور (1541) بدون حرب. وبعد دخول محمد الشيخ إلى فاس، وتوحيده للمغرب، خاف البرتغاليون من جديد وتخلوا عن أصيلا والقصر الصغير (1550). إلا أن محمداً

الشيخ وخلفاءه لم يعملوا على تحرير باقي الثغور المحتلة (راجع مادة ثغور) لأسباب كثيرة أهمها ثلاثة :

- الخلاف الذي نشب بين الأخوين محمد الشيخ وأحمد بعد تحرير أكادير حول توزيع الغنائم وحول ولاية العهد بعد أن أصبح الأعرج يفكر في تعيين ابنه. وتسبب الخلاف في معركتين كسبهما محمد الشيخ، وعزل أخاه أحمد.

- انشغال محمد الشيخ بمحاربة الوطاسيين.

- خوف السلاطين السعوديين من الأطماع التوسعية العثمانية بالمغرب، الأمر الذي جعلهم يميلون إلى التقرب من الإيبيريين، أو على الأقل جعل الأتراك يعتقدون ذلك. وهكذا بقيت ثغور محتلة هي، مازيغن وطنجة وملييلية وسبتة وحجرتا بادس.

أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور، البيضاء، 1984 : ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب، الرباط.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila, cronica do século XVI*, Publ. D. Lopes, Coimbra, t. 1. (1508 - 1525), 1915, LII + 498 p., t. 2. (1525 - 1535, supplemento : 1536 - 1550), 1919, XIX + 536 p. ; R. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Gois, extraits de la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat, 1937, 268 p. ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord, extraits des Annales de Jan III de Luis de Sousa*, Paris, 1940, 208 p. ; *Mazagan et le Maroc sous le règne du Sultan Moulay Zidane. (1608 - 1627) d'après le "Discurso de Gonçalo Coutinho", gouverneur de Mazagan (1629)*, Paris, 1956, 188 p. ; *Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVIIème siècle*, Paris, 1932, 72 p. ; "Notes sur la tactique militaire dans les places portugaises du Maroc", *Bulletin Hispanique*, XXXV, 1933, pp. 448 - 453, repris in *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1955, pp. 345 - 355 ; "Le problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord", *Annales, Economie, Société*, 1936 ; D. Lopes, "Os Portugueses em Marrocos", in : *Historia de Portugal*, dir. D. Pires, Barcelos, 1931, t. 3, pp. 385 - 544, t. 4, pp. 78 - 121 ; P. de Cénival, *Chronique de Santa Cruz do Cabo de Gué (Agadir)*, texte portugais du XVIe siècle, Paris, 1954, 170 p. ; J. Figanier, *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gué (Agadir)*, 1505 - 1541, Lisboa, 1945, 430 p.

أحمد بوشرب

الجهة، وحدة ترابية دستورية تجسد سياسة الأمر كترية، وتعتبر بهذه الصفة إطاراً إدارياً وتنموياً وكذا حلقة وصل بين السلطة المركزية والمستوى الإقليمي والمحلي. فهي جماعة محلية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية والاختصاصات التي يقرها مجلس منتخب.

لقد نشأت رسمياً، تحت اسم المنطقة الاقتصادية، بمقتضى ظهير 16 يونيو 1971، وفي ظرفية كانت تحتّم فيها البرامج والمخططات الاقتصادية والاجتماعية أخذ البعد الجهوي بالاعتبار. وهكذا تم تقسيم المغرب إلى سبع مناطق اقتصادية، وهي 1 - الجنوب (أكادير) 2 - تنسيقت

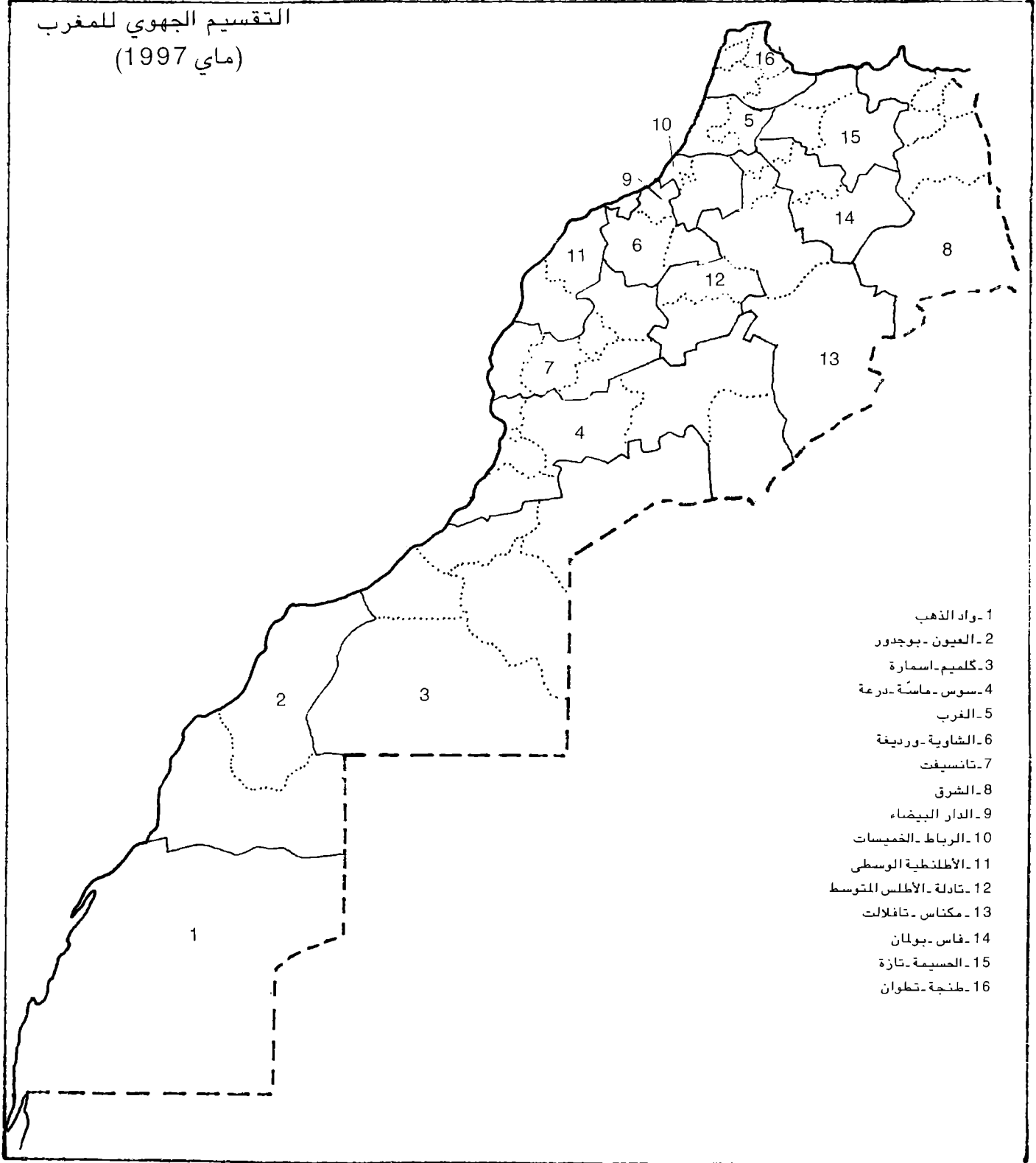
(مراكش) 3 - الوسط (الدار البيضاء) 4 - الشمال الغربي (الرباط) 5 - الوسط الشمالي (فاس) 6 - الشرق (وجدة) 7 - الوسط الجنوبي (مكناس).

تمكّن هذا التقطيع الجهوي من زرع روح الانتماء المجالي إلى وحدات أوسع من الأقاليم والعمالات، ومن خلق تقليد جهوي يتمثل في تكاثر وارتكاز الدراسات والأبحاث على تلك الوحدات الترابية. غير أن التجربة الأولى للجهوية لم تتسم بالفعالية المرجوة في ما يخصّ التوزيع المجالي للمناطق الاقتصادية، وما يتعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي، وكذلك الإطار القانوني والتنظيمي. ذلك أنه رغم طابعها التمثيلي والأهداف المسطرة لها والمهام المنوطة بها، كانت مجالس المناطق، المتكوّنة من ممثلي العمالات والأقاليم والغرف المهنية، تفتقد عموماً روح المبادرة ولا تتوفر على الوسائل المادية والمالية الكافية. فظل دورها منحصرأً بقوة القانون أو بفعل الواقع، في الاستشارة والإخبار حول التصورات والمنجزات. أما التوجهات التنموية والاختصاصات التقريرية والتنفيذية فكانت مسندة في غالب الأحيان إلى المصالح المركزية وإلى سلطة الوصاية.

لتصحيح النقص الحاصل في الوضع القانوني للمنطقة الاقتصادية نص الدستوران المراجعان لسنتي 1992 و1996 على ترقية الجهة إلى مستوى الجماعة المحلية، ثم صدر القانون الجديد المنظم للجهات في 2 أبريل 1997، ولحقه في 17 أغسطس 1997 المرسوم المحدد لعدد الجهات وأسمائها ومراكزها ودوائر نفوذها وعدد المستشارين الواجب انتخابهم حسب كل عمالة وإقليم وجماعة محلية وهيأة نخبية. وقد جاء هذا القانون ليس فقط لتدارك الهفوات والعيوب المتراكمة عبر سيرورة التجربة الجهوية السابقة، ولكن أيضاً قصد إبداع صيغ جديدة لإدارة وتدبير شؤون الجهة وللرفع من مستواها في شتى الميادين.

إن أول ما يسترعي الإنتباه في هذه المستجدات هو تقليص مساحة الجهات، وبالتالي الزيادة في عددها. ومن شأن ذلك مباشرة تكثيف استثمار مختلف الطاقات والوسائل الموجودة داخل الجهة، والتقليل من التباين واختلال التوازن، وأيضاً تعزيز الخصوصيات الجهوية، والتحكم الأفضل في مجموع تراب الجهة من حيث الجوانب التمثيلية والإدارية والتدبيرية والتجهيزية. أما من الناحية القطاعية والتسييرية، فقد أصبحت الجهة تتمتع باختصاصات تقريرية واسعة، كما أصبحت تتوفر على كفاءات حقيقية وإمكانات ذاتية أو نابعة من التعاون المشترك بين الجهات أو علاقات الشراكة مع الجماعات المحلية الأخرى والمؤسسات العمومية والخاصة. زد على ذلك أن الصلاحيات المخولة للجهة أصبحت ترتبط بميادين اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية أهم من تلك التي تتعلق بالجماعات المحلية الأخرى، وأن قضايا تنمية الجهة أصبحت تعالج في إطار مخططات جهوية للتنمية ولتهيء،

التقسيم الجهوي للمغرب
(ماي 1997)



التراب وللأحواض المائية (انظر مقال "الجهوية" أسفله).

إن التغييرات والممارسات والتصريحات المتعلقة بالجهة تعبر كلها على أن الجهوية تعد من الآن اختياراً استراتيجياً. حيث يمتاز الوضع القانوني والترابي الجديد عن سابقة بتبنيه مبادئ وغايات تقضي بجعل الجهة إطاراً تنموياً أكثر ملاءمة وأكثر قابلية لإعادة هيكلة المجال الوطني. كما يتميز بإرادة بلورة سياسة اللامركزية بمنح الجهة صفة الجماعة المحلية، وبالتالي الانتقال بها من إطار اقتصادي استشاري إلى كيان إداري واجتماعي واقتصادي. من ثمة، إذا كانت الأهداف والمقاييس المترتبة عن المبادئ والغايات المسطرة في تقسيم 1971 و1997 متشابهة شكلاً، فإنها تختلف جوهرياً في ما بينها من حيث إمكانية التطبيق والتنفيذ على أرض الواقع. وهكذا، فإن أهم الدوافع التي روعيت في التقطيع الجهوي الحالي ظلت تتمثل في الحث على استثمار مختلف الإمكانيات والفعاليات في أرجاء البلاد، والتركيز أيضاً على إيجاد التلازم بين الجهات وداخل الجهة الواحدة. قد يتحقق هذا التوازن بين الجهات نتيجة تكامل أو تضامن بعضها البعض، وقد يتم ذلك داخل الجهة بالبحث عن التجانس أو التكامل الوظيفي أو كذلك التضامن بين مناطقها الغنية والفقيرة. انطلاقاً من هذه الأهداف، فقد حددت عدة عوامل تعتبر بمثابة الأسس العامة التي ترسم المعالم الكبرى للشبكة الجهوية.

إذا كانت الجهوية تستهدف التنمية الشاملة بناءً على الأوضاع الحالية وكذا المستلزمات المستقبلية، فإن العامل التاريخي يمثل ركيزة كل التقسيمات الإدارية، ويعمل على ترسيخ هوية مختلف الأقاليم والجهات التي شكلتها طبيعة الموارد وبنيات المجموعات البشرية وأساليب العيش. ولتركيز الطابع العصري للدولة، يستوجب العامل السياسي ضرورة إعطاء الأهمية للاندماج الوطني لكل أجزاء البلاد. أما العامل الجيوستراتيجي فيأخذ بالاعتبار الموقع الخاص للمناطق الموجودة على التخوم المغربية، وكذلك مختلف أبعاد المجال الوطني (المتوسطي والأطلسي والجبلي والصحراوي).

أما المعايير الدقيقة للتقطيع الجهوي فهي تعكس إلى حد كبير تلك الاعتبارات السالفة. فعلاوة على ضرورة توفر الجهة على الحجم السكاني الكافي، يقتضي مقياس الاستقطاب الحضري وجود شبكة حضرية مترتبة وذات خصائص مميزة، وعلى مدينة كبيرة تكون عبارة عن قطب تنموي ووظيفي ييسر نفوذه على مجموع رقعة الجهة. ويتطلب مقياس الموارد الطبيعية مراعاة تنوع وأهمية المؤهلات الطبيعية عموماً، والموارد المعدنية والمائية على وجه الخصوص. كما يتعين على الجهة أن يكون لديها مستوى معين من كثافة التجهيزات الأساسية، ولا سيما فيما يتعلق بالنقل الطرقي والحديدي. وأخيراً، يقتضي

المقياس الاجتماعي - الاقتصادي نوعاً من التشابه في مستويات المؤشرات المتعلقة بهذه الميادين، مثل نوعية وحجم القيمة الانتاجية، وطبيعة وكثافة النسيج الصناعي والخدمات الحضرية وأهم النسب المرتبطة بالخدمات الاجتماعية.

لقد تم التعامل مع هذه الأسس بنوع من الموازنة في ما بينها، لكي تستجيب للدوافع والأهداف السياسية والإدارية والتنموية المتوخاة من التقسيم الترابي الجديد، وحتى لا يسفر هذا التقطيع الجهوي على عدم التوازن غير المرغوب فيه. من هذا المنطلق، قد تتجمع عدة مقاييس وعوامل بشكل متراتب لتفرز جهة متميزة بوضوح عن جاراتها، وقد تتحكم في ذلك معايير قليلة فقط، ولكنها حاسمة ولها وقع ملموس على جل المؤشرات الأخرى، كما هو الشأن بالنسبة للعامل الصحراوي أو الجبلي والحضري والفلاحي الخ ..

تبعاً لذلك، جاء المشروع الجديد لتقطيع التراب الوطني إلى ستة عشر جهة، يعتمد تحديد كل مجموعة منها على جملة من المقاييس الأساسية. تتصف الجهات الصحراوية الثلاثة بخصوصيات تاريخية وبيئية، وتشرط تنميتها ضرورة اندماجها الوطني. ويرتكز تحديد مجموعة أخرى من الجهات بناءً على تجانسها الحاصل عن الظروف التاريخية والاندماج الاقتصادي والاستقطاب الحضري (سوس - ماسة - درعة، والغرب - الشراردة - بني حسن، والشاوية - ورديفة، ومراكش - تنسيفت - الحوز، والجهة الشرقية). كما تم تمييز جهتي الدار البيضاء الكبرى، والرباط - سلا - زمور - زعير وفق معياري التكامل والاستقطاب الحضري. وأخيراً، تم الاعتماد على البعد المتوسطي فيما يتعلق بجهتي تازة - الحسيمة، وطنجة - تطوان، وعلى البعدين الأطلسي والجبلي وتكثيف استثمار مواردهما فيما يخص أربع جهات (دكالة - عبدة، وتادلة - أزال، ومكناس - تافيلالت، وفاس - بولمان).

رغم أن الحوار السياسي لم يول الهيكلة الجهوية نفس الإهتمام الذي أولاه للقانون المنظم للجهات فإن الاستجابة للمبادئ والأهداف الواردة فيه رهينة بنوعية التقسيم المجالي ويمدى ملاءمته لها. ويرجع هذا الفتور في إعطاء المكانة اللازمة للتقطيع الجهوي إلى كون السلطة التنفيذية هي التي تولت أمره، وإلى صعوبة تقييمه، والتجربة الجديدة لم تنطلق بعد. ذلك أن التقسيم الجهوي يتطلب استقراراً لمدة من الزمن لكي يسمح بتقديم حصيلة حوله، خلافاً للقانون الذي يكون قابلاً للتطوير في كل حين وكما دعت الضرورة إلى ذلك. ومع ذلك، هناك ملاحظات وأحياناً مؤاخذات من زوايا عديدة حول الشكل والمضمون، يمكن تسجيلها منذ الآن.

في الواقع، لا يختلف تخطيط الجهات الحالي كثيراً عن سابقه. إذ ما عدا جهة دكالة - عبدة التي انبثقت عن

وبلدان البنيولوكس الثلاث بأكثر من مرتين، وتتعدى مساحة الأردن والبرتغال وهنغاريا والنمسا واليونان، وتقترب من مساحة تونس. أما من الناحية السكانية، وتبعاً لمبدأ التناسب والموازنة، فالأمر عكس ذلك، إذ على العموم، كلما صغرت المساحة إلا وارتفعت الكثافة السكانية وكذا مختلف المؤشرات الأخرى. لذلك نجد الجهات الصحراوية وأخرى كبيرة تتوفر على أقل عدد من السكان، والجهات الصغرى على أكبر حجم منه، اللهم إذا تدخلت عناصر أخرى، تاريخية واقتصادية بالأساس، لتغيير تلك القاعدة، كما حصل بالنسبة لسوس - ماسة - درعة ومكناس - تافيلالت والشرق، حيث تعد هذه الأخيرة من الجهات الكبرى والأهلة معاً، ولو أن توزيع السكان بها يعرف تبايناً واضحاً بين مناطقها.

تتميز الخريطة الجهوية كذلك بتفاوت عدد الأقاليم والعمالات وتجزئتها كلما ظهرت الحاجة الإدارية إلى ذلك. ويرجع تاريخ إنشاء بعضها إلى عهد قريب (7 ماي 1997)، أي بين صدور مشروع التقسيم الجهوي في 17

منطقتي الوسط وتنسيقت في تجربة 1971، فإن منطقتين ظلتا كما كانتا عليه (الشرق ومكناس - تافيلالت)، وكل واحدة مما تبقى من المناطق تجزأت إلى جهتين على الأقل. وهكذا تفرعت عن منطقة الوسط الشمالي جهتان، وعن كل من الشمال الغربي والجنوب ثلاث جهات، وعن الوسط أربع جهات كاملة وجزء من واحدة أخرى. بالتالي وقع تكثيف الشبكة الجهوية، وبصفة خاصة على الواجهة الشمالية الغربية، إلى درجة أن محور القنيطرة - الجديدة، الذي كان ينتمي إلى منطقتين اقتصاديتين، أصبح مقسماً من طرف خمس جهات.

لقد أسفر ذلك أولاً عن خلق تفاوت كبير بين الجهات فيما يتعلق بالحجم المساحي والسكاني. حيث تقلصت كثيراً رقعة بعض الجهات، خصوصاً بالنسبة للدار البيضاء الكبرى والرباط - سلا... وطنجة - تطوان، وفي آن واحد تضخمت مساحة الجهات الجنوبية والشرقية. على سبيل المثال، فإن مساحة جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء تفوق مساحة لبنان بأكثر من 13 مرة والكويت بحوالي ثمان مرات

| الجهات | المساحة (1000 كلم ²) | الجماعات الحضرية | | الجماعات القروية | | مجموع عدد الجماعات | مجموع السكان |
|----------------|-------------------------------------|------------------|-----------------------|------------------|-----------------------|-----------------------|--------------|
| | | العدد | السكان (1000 نسمة) | العدد | السكان (1000 نسمة) | | |
| وادي الذهب... | 50.088 | 2 | 35.122 | 11 | 1.629 | 13 | 36751 |
| العيون... | 139.480 | 4 | 164.807 | 10 | 10.862 | 14 | 175669 |
| كلميم... | 133.730 | 11 | 217.954 | 49 | 168.121 | 60 | 386075 |
| سوس... | 70.880 | 27 | 896.140 | 212 | 1739.389 | 239 | 2635529 |
| الغرب... | 8.805 | 12 | 624.145 | 61 | 1000.937 | 73 | 1625082 |
| الشاوية... | 16.760 | 15 | 594.812 | 105 | 946.847 | 120 | 1541659 |
| مراكش... | 31.160 | 18 | 952.072 | 198 | 1772.132 | 216 | 2724204 |
| الشرق | 82.820 | 25 | 975.978 | 91 | 792.713 | 116 | 1768691 |
| البيضاء الكبرى | 1.615 | 29 | 2940.623 | 7 | 153.580 | 36 | 3094203 |
| الرباط... | 9.580 | 17 | 1560.846 | 40 | 424.756 | 57 | 1985602 |
| دكالة... | 13.285 | 12 | 616.106 | 77 | 1177.352 | 89 | 1793458 |
| تادلة... | 17.125 | 9 | 448.478 | 73 | 876.184 | 82 | 1324662 |
| مكناس... | 79.210 | 25 | 965.682 | 111 | 938.108 | 136 | 1903790 |
| فاس... | 19.795 | 14 | 913.888 | 48 | 408.585 | 62 | 1322473 |
| تازة... | 24.155 | 15 | 371.043 | 118 | 1348.794 | 133 | 1719837 |
| طنجة... | 11.570 | 13 | 1137.963 | 87 | 898.069 | 100 | 2036032 |
| المجموع | 710850 | 248 | 13415.659 | 1298 | 12658.058 | 1546 | 26073717 |

بعض الخصائص الجهوية حسب
مشروع التقسيم الجهوي، 17 أكتوبر 1996

أكتوبر 1996 ومرسومه النهائي في 17 غشت 1997.

يتعلق الأمر بإحداث إقليم زاكورة وتاوريرت وبانشطار إقليم طنجة إلى إقليمي طنجة - أصيلة والفحص - بني مكدادة. يضاف إلى هذا أن التقسيم الجديد يتضمن حالتين خاصتين في هذا الباب. حيث تتكون جهة وادي الذهب - الكوربة، وهي أقل الجهات سكاناً ومن أكبرها مساحة، من إقليم واحد فقط (الداخلة)، لاعتبارات بيئية وسكانية وسياسية وجيوستراتيجية، ونظراً لموقعها المتطرف في جنوب الصحراء. أما الدار البيضاء الكبرى التي تعتبر أصغر الجهات مساحة وأكثرها سكاناً، فتتألف من ثمان عمالات، مراعاة للمركز السكاني والاقتصادي بها، واعتباراً لكونها مدينة عملاقة يقتضي الهاجس الإداري تكثيف تقطيعها للتحكم الأفضل في ضبطها وتبدير شؤونها. ما عدا هذين الاستثنائين فإن تركيبة الجهات الأخرى من حيث عدد الأقاليم لا تخضع ظاهراً لمقاييس السكان والمساحة ومستوى الموارد والقطاعات الاقتصادية، أكثر مما تخضع لعوامل الجوار والتجانس والاستقطاب الحضري والعلاقات التاريخية. مثال ذلك جهة سوس - ماسة الواسعة التي تضم سبعة أقاليم، في حين أن جهة العيون المجاورة، والتي تعد أكبر جهة في المغرب، لا تحتوي على سوى إقليمين، مثلها مثل بعض الجهات الصغيرة (الغرب ... ودكالة ... وتادلة ...).

لقد قام التقسيم الجديد بمحاولة تصحيح التوجهات السابقة التي كانت ترجع مبدأ التوازن بين الجهات على التوازن داخل الجهة. فعمل على تقليص مساحتها والتركيز عموماً على أسس الجوار والتجانس والتكامل، حتى يتم الحصول على جهات تنسجم داخلها المكونات الترابية، ولا تكتفي كل واحدة منها، كما حدث في السابق، بالحصول على جزء من الجبال والسهول والهضاب والسواحل. هذا ما أفرز جهات تتسم بنوع من وحدة أوساطها، وعلى الخصوص فيما يتعلق بالجهات الصحراوية والغرب ... والشاوية ... والرباط ... ودكالة ... وتازة ... غير أن اعتماد التجانس يؤدي بالضرورة إلى التمايز بين الجهات من حيث نوعية وحجم المؤشرات الاجتماعية والموارد والتجهيزات والقيمة الانتاجية. وبالتالي، قد نجد جهات غنية وأخرى فقيرة أو ذات أجزاء متفاوتة الأهمية.

لكن رسم الحدود الجهوية يطابق الغلاف الإداري ويشمل الأقاليم برمته، ولا يحترم دائماً وحدة الأوساط الخاصة التي تتطلب تدخلات مناسبة، مثلما يحترمها العديد من المشاريع والبرامج والتنظيمات التنموية. صحيح أن احتمال انتماء أجزاء الإقليم الواحد إلى جهتين أو أكثر قد يطرح عدة مشاكل تسييرية وتقنية، لا سيما وأن الجهوية الحالية تستهدف كذلك ترسيخ الدور الإداري للجهات، ولكن ضم الجهات لأقاليم كاملة يترتب عنه في نصف الحالات تقريباً تباين نوعي وكمي بين المناطق المنتمية لنفس الجهة، والذي

يصعب معه تحقيق التكامل المرغوب. ويبلغ اختلال التوازن بين المناطق ذروته بالنسبة لثلاث جهات. وهي جهات مديدة ومتنافرة الأجزاء، تعمل على إدماج مجموعة من الأقاليم وطنياً واقتصادياً، وتتخذ أقطابها الحضرية وأكثر مناطقها حيوية مواقع منحرفة. هكذا تتراكم جهة مكناس - تافيلالت على البعدين الجبلي والصحراوي، كما تحتوي على سهل فلاحى غني، ولا تتوفر على منفذ بحري مثل جهتي فاس - بولمان وتادلة - أزالال. كما تمتد منطقة الشرق على قطاع فلاحى مسقي وعلى الأبعاد الثلاث، المتوسطي والجبلي والصحراوي. وتوفر جهة سوس ... بدورها على قطاع فلاحى مسقي وعلى ثلاثة أوساط (الصحراوي والجبلي والأطلنطي)، رغم نزع الأقاليم الصحراوية وبعض الأقاليم شبه الصحراوية منها في التقطيع الجديد.

على الرغم من النية المعلنة لخلق تنافس بين المناطق والجهات، وإتاحة إمكانية التضامن والتكامل بينها، فإن فقدان التوازن فيما بينها من شأنه الإنعكاس سلباً على السيرورة التنموية. ذلك أن نقص وسائل الإنعاش الاقتصادي والفرق الشاسع أحياناً بين المؤهلات المحلية يعرقلان التنمية الذاتية، وبالأحرى التنافس الحقيقي والتكافل الفعال. والحالة هذه، يخشى أن يعاد إنتاج نفس الظروف المادية التي كانت سائدة في التجربة السابقة، والتي أفضلتها برمتها، فتمت مركزة المبادرة الحرة والاستثمارات الانتاجية والتجهيزية في المناطق المحظوظة مسبقاً، وتعمق الهوة بين المدن والأرياف، وبين القطاعات المسقية والمناطق البعلية، وعموماً بين المناطق الفقيرة والغنية. يخشى أيضاً أن يمتد عدم التساوي في وتيرة النمو بين المناطق والجهات، فستتحول الرغبة في التكامل والتعاقد إلى سيطرة منطقة أو مدينة على كافة التراب الجهوي، علماً بأن التبعية والوصاية المجاليتين تتنافيان مع القانون التنظيمي ومع المهام الجديدة المنوطة بالجهة.

من زاوية أخرى، لا يخفى دور المدينة في هيكلة المجال وكذا أهمية الشبكة الحضرية في تشكيل دعامة أساسية لسياسة إعداد التراب وإقامة التجهيزات والأنشطة التنموية. في هذا الصدد، وباستثناء الدار البيضاء التي تشع على الصعيد الوطني، والداخلة التي تعتبر مدينة صغيرة شبه وحيدة في جهة واسعة جداً، فإن جل الجهات الأخرى تتوفر على أقطاب حضرية رئيسية، ولو أنها متفاوتة الحجم والأهمية، وأنها تتخذ مواقع متطرفة في الغالب عن الوسط، وأن بعضها يعرف تضخماً عمرانياً واحتكاراً وظيفياً يضيقان الحصار على المراكز الصغيرة، وحتى المتوسطة أحياناً. زد على ذلك أن توزيع مختلف أحجام المدن على الجهات لم يتم بنوع من التعادل والتناسب، وهو ما خلف شبكات حضرية غير مكتملة أو ضعيفة التراتب في بعض الحالات، وأنتج أخرى مقسمة بين جهتين أو أكثر. بالإضافة إلى ذلك، فقد أسفر الهاجس

47.96 المنظم للجهات (ظهير 2 أبريل 1997) : مرسوم 2.97.246
المحدد لعدد الجهات وأسامها ودوائر نفوذها وعدد المستشارين...
(17 غشت 1997) : الصحف الوطنية (1996. 1997).

J. Lajugie, P. Delfaud, C. Lacour, *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985 ; G. Vedel/Dir, *Edification d'un Etat moderne : le Maroc de Hassan II*, Paris, 1986 ; D. Basri, *L'administration territoriale : l'expérience marocaine*, Paris, 1990 ; *La décentralisation au Maroc de la commune à la région*, Paris, 1994 ; *Revue Marocaine d'Administration Locale et de Développement. Région, Régionalisation et Développement régional*, Rabat, 1996, N° 8, Série "Thèmes actuels".

الجهوية بالمغرب، مفهوم تنظيمي وتنموي يرتكز

على مبادئ التمثيلية واللامركزية في إطار الحفاظ على وحدة البلاد وهويتها. يتضمن جانباً تحليلياً تعمل فيه الدراسات الجهوية على تمييز وتحديد وحدات ترابية تتداخل فيما بينها وتتم بالتجانس أو التكامل. كما يتضمن هذا المفهوم جانباً عملياً تفضي إليه تلك الدراسات، ويقضي بوضع برامج قطاعية تستوطن في تلك الوحدات الإدارية. بذلك تكون الجهوية تدل في آن واحد على نوع من أنواع التقسيم المجالي للبلاد وعلى صيغة من صيغ تدبير الشؤون العامة في إطار جهات تتعدى رقعتها مساحة الوحدات الصغرى التي تهتم بشؤون التنمية المحلية.

بل أصبح يتسع هذا المفهوم لدى الدارسين والإداريين والتقنيين ليشمل شيئاً فشيئاً كل التدابير والإجراءات الخاصة بالجهة، بما في ذلك عمليات التنظيم الجهوي وإعداد التراب على المستوى الجهوي. والواقع أن الجهوية تعتبر مظهراً أساسياً في إعداد التراب الذي يمثل مفهوماً ذا خصائص أكثر شمولية واندماجاً، حيث يقوم على النظر من جديد في العلاقات والتوازنات القطاعية، وعلى إعادة هيكلة المجال الجهوي، وفق خطط تنمية تعدل الأنظمة الإنتاجية وتعيد توزيع المظاهر الاقتصادية والاجتماعية الرئيسية، مثل التجهيزات الأولية والمشتركة وطرق المواصلات والسكن ومراكز الأنشطة والشبكات الحضرية.

نظراً لاختلاف وتنوع المناطق المغربية، من حيث المكونات البيئية والمؤهلات البشرية والاقتصادية، فإن البعد الجهوي والمحلي كان دائماً حاضراً في تصور وإنجاز كل عملية تنظيمية أو استثمارية وتجهيزية وتعميرية. غير أن حضور الخلفية المجالية كان متفاوتاً في المكان والزمن، وكانت تمليه باستمرار ضغوط الطلب والظرفية وتلبية الحاجيات الأساسية للسكان والسير العادي للنظام الإداري والقطاعات الإنتاجية والاجتماعية، أكثر مما كان يخضع لسياسة طوعية شاملة ومندمجة تنبني في إطار جهوي مؤسسي ملائم وتقوم على تسخير كل الطاقات والإمكانات

الإداري، الذي يقضي باعتبار الأقاليم كاملة، عن جهات متعددة أوثنائية النفوذ الحضري، كما هو الشأن بالنسبة لطنجة - تطوان وأسفي - الجديدة... بل هناك جهتان تخضع لهما، من الناحية الإدارية، المدينة الأكبر للمدينة الأصغر (الحسيمة - تازة وسطا - خريبكة).

أخيراً، تجدر الإشارة إلى أن دور التقطيع الجهوي لا يقتصر فقط على إيجاد وحدات ترابية تتسم ما أمكن بالتوازنات التي تبحث عن الصيغة الملائمة لبناء الجهة وعن الحد من مختلف الفوارق، بل يسعى أيضاً إلى تحويل الجهة من الإطار الاقتصادي المحض، الذي كان سائداً في التجربة الجهوية السالفة، إلى الكيان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإداري الذي يعيشه السكان ويلجأون إليه في حياتهم اليومية. ولعل عامل الإحساس بالانتماء، الذي كان مفقوداً في السابق هو الذي خلف عقليات إدارية وسلوكات لدى مختلف الفاعلين المحليين كانت تعرقل بدرجات متفاوتة سيرورة الجهوية. بينما كلما تقلصت مساحة الانتساب المجالي وتم تكثيف الإرتباطات التاريخية والمبادلات والمعاملات والاستقطاب الحضري إلا وتوطد عامل الإحساس بالانتماء.

إن ترسيخ ذلك العامل يتطلب وقتاً كافياً لتكييف الذهنيات والسلوكات المحلية وجعلها تستأنس مع الإطار الجهوي الواسع. بذلك، يكون التقسيم الترابي السابق قد عمل على تتين الترابطات الموروثة بين المناطق، وعلى نسج علاقات جديدة بينها. لكنه بعد 26 سنة ولأسباب سيكوجغرافية أخرى مصححة ومنفعية لازالت بعض ردود الفعل تظهر هناك حول مسألة انضمام بعض المناطق إلى بعضها. كما هو الشأن بالنسبة لتفضيل انتماء إقليم الحسيمة إلى وحدة تشمل إقليم الناظور (شريطة أن ينزع هذا الأخير من الجهة الشرقية)، عن انتسابه إلى جهة تشمل إقليم تازة. كذلك، ظل إقليم تافيلالت إلى الآن منتبهاً إلى جهة مكناس، رغم الحجم الكبير والشكل المديد لهذه الجهة، ورغم التشابه والارتباطات القائمة بينه وبين إقليم ورزازات، الذي ظل منتسباً إلى جهة أكادير... بدل انتمائه إلى جهة مراكش... وقد تمكن التقسيم الجديد من تكريس بعض العلاقات السابقة (فاس مع شمال الأطلس المتوسط، والصويرة مع مراكش رغم انفتاحها المطرد على إقليمي أسفي وأكادير...). إلا أن عدم إغارة الاهتمام اللازم لبعض العوامل الجديدة ولبعض الأوساط الخاصة أدى إلى خلق كيانات ذات هيئة اصطناعية جزئياً أو كلياً، مثال ذلك عزل العاصمة الاقتصادية عن العاصمة السياسية بواسطة إقليم بنسليمان الذي أصبح ينتمي إلى جهة الشاوية... عوض انضمامه إلى جهة الدار البيضاء الكبرى أو جهة الرباط...

ظهير 16 يونيو 1971 المتعلق بإحداث المناطق الاقتصادية، مشروع التقسيم الجهوي، وزارة الداخلية، 17 أكتوبر 1996 : القانون

بسنّ قوانين مناسبة، تتميز بالابتكار في إيجاد المجال الأكثر ملائمة، والصلاحيات الأوسع، والتمثيلية الأمتن والأكثر نزاهة، والتي تسمح للهيئة الجهوية أيضاً أن تتمتع بالمقدار الكافي من الإمكانيات المادية، وأن تدبر شؤونها بنوع من التوازن بينها وبين سلطة الوصاية. وهكذا تضافرت عدة عوامل في مطلع التسعينات، نبعت عنها رغبة أكيدة وتوجهات جديدة لخوض تجربة أكثر نضجاً وقابلية للتحقيق.

كان من المنتظر في الحقيقة أن يعاد النظر في التنظيم الجهوي السابق على ضوء تراكم التجارب الجهوية، بأخطائها وإيجابياتها، لمدة أكثر من عقدين، وبصفة خاصة عندما أقبل المغرب على منحرج تاريخي بداية من سنة 1992. حيث أفضت الإصلاحات الدستورية إلى تغيير التوازنات القائمة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ثم أعقبتها تعديلات أخرى أتى بها الدستور المراجع لسنة 1996، الذي أريد له أن يكون دستور الديمقراطية المحلية واللامركزية الجهوية بامتياز. وأهم ما أسفرت عنه هذه المستجدات هو إنشاء مجلس المستشارين المنبثق عن الجهات وتدعيم مسلسل اللامركزية الجهوية وتعديلات خاصة ببعض المؤسسات الدستورية، أهمها مجلس الحسابات والمجلس الدستوري.

من ثمة أصبح الاختيار الجهوي بمثابة ركن لا محيد عنه من الأركان التي تتأسس عليها السياسة المغربية. ذلك أن من شأن تعزيز الخصوصيات والأصالة الجهوية ترسيخ وحدة البلاد وإغناء وتأكيد الهوية الوطنية. زد على ذلك أن الملك نفسه تولى في عدة مناسبات حث أحزاب الأغلبية الحاكمة وأحزاب المعارضة على السواء، على تبني سلوك سياسي جديد في المناقشات واتخاذ القرارات الجهوية. ويعتمد هذا السلوك على مبدئي الحوار والتراضي، خصوصاً فيما يتعلق بتهييء التناوب على الحكم على أحسن وجه والتعجيل بتفعيل المؤسسات الدستورية. في هذا المناخ النفسي حدث التوافق بين الحكومة ومجلس النواب وداخل الفرق البرلمانية، وتمت المناقشة والمصادقة على مشاريع القانون المنظم للجهات والجماعات المحلية الأخرى وغرفتي البرلمان ومدونة الانتخابات. وقد سبق أن وقعت الحكومة وجل الأحزاب يوم 28 فبراير 1997 على تصريح مشترك يعد بمثابة ميثاق شرف يحدد التزام الطرفين فيما يخص ضمان نزاهة الانتخابات وسلامة الأجهزة التمثيلية.

لعل أول ما يسترعى الانتباه في الحديث عن النهج الجديد للجهوية هو توفر الجهة الآن دستورياً وقانونياً على وضعية تخول لها صفة الجماعة المحلية، المتمتعة بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية، كسائر الجماعات الأخرى والعمالات والأقاليم والجماعات القروية والحضرية. رغم مختلف المؤاخذات على التقسيم الجهوي الجديد الواردة أعلاه (الجهة، معلمة المغرب)، من دون شك أن نقص حجم

إلى الأقاليم والعمالات بالنسبة لإنجاز مختلف البرامج، بل حتى الهياكل الإدارية نفسها لم تكن تسائر المتطلبات التنظيمية لسياسة الجهوية بما فيه الكفاية من احترام الديمقراطية المحلية وشروط العقلنة والحدثة، ولم يكن حتى مسؤوليها على قناعة تامة بمغازيها ومراميها، وعلى استعداد كامل لتنفيذ مضامينها.

لم تتمكن الجهوية التي انتهجت ابتداءً من 1971 من تحقيق الأهداف التي خلقت من أجلها، وأهمها نقل الإنتاجية داخل الجهة والتخفيف من التفاوتات في سائر المقومات الاقتصادية بين الجهات. بل تضاعف التمركز السكاني والحضري والتجهيزي والاستثماري والاجتماعي في الجهات وأجزاء الجهات التي كانت أصلاً أكثر حظاً، أي في جهتي الوسط والوسط الشمالي، وعلى الخصوص في المحور الرابط بين الفينطرة والجديدة وبعض الأقطاب الجهوية الكبرى. بينما كانت الأولوية قد أعطيت في التقطيع الترابي وتسطير الأهداف للتوازن بين الجهات، بدل التوازن داخل الجهة الواحدة.

لقد استأثرت الدوائر المسقية الغنية بجل جهود الدولة والقطاع الخاص، تمشياً مع سياسة الانفتاح والتصدير، وتعمقت الهوة بينها وبين المناطق الفلاحية الأخرى التي عانت، فضلاً عن ذلك، من ظرفية سيئة تتسم بتعاقب سنوات وفترات الجفاف، ولا سيما منذ بداية الثمانينات. كما أخذت تتجدد التفاوتات بين العالم الريفي والوسط الحضري الذي صار محط هجرة قوية تتفاقم مظهرتها باستمرار. كما أن الرأسمال الخاص بدوره تعامل في توطئ أنشطته ومنشأته بطابع من الانتقاء المجالي والتركيز في المدن والمناطق الأكثر دينامية، ولم يخضع لتوجهات الجهوية التي وفرت له عملياً تدابير تشجيعية لكي يتنمى ويستثمر في إطار جهوي مناسب وفي جميع أنحاء المغرب.

ترتبت عن كل هذه العوامل عواقب وخيمة على الميادين الاقتصادية والاجتماعية، وظهرت عوائق حالت دون تحقيق التوازن المطلوب داخل وبين المناطق، وبرزت اختلالات في معالم وأشكال ووظائف الشبكات الحضرية التي تعتبر بمثابة العمود الفقري لسياسة إعداد التراب الوطني. علاوة على ذلك، أخذت تشكو الهيكلة الحضرية للجهات على وجه الخصوص من عدم ترابعية بعض الشبكات الحضرية، وتقاسم بعض الشبكات بين جهات مختلفة وعدم المساواة في توزيع المدن الكبيرة والمتوسطة بين المناطق.

صحيح أن النتائج التي آلت إليها هذه التجربة كانت على العموم محدودة ومتفاوتة التأثير. لكنها خلّفت دراسات متنوعة على الصعيد الجهوي، وأفرزت تراكمات للخبرات، وللثغرات والهفوات كذلك، والتي من اللازم على التجربة اللاحقة أن تتجنبها. بل نجح الامتحان الأول هذا في خلق تقليد جهوي تدريجي يحفز على تدارك الأوضاع والبحث عن السبل الكفيلة بالنهوض بالجهة، وذلك بدءاً

| الجهات | المراكز | العمالات والأقاليم |
|--|------------------------------|---|
| 1 - وادي الذهب - الغوية | - الداخلة | - وادي الذهب. |
| 2 - العيون - بوجدور - الساقية الحمراء | - العيون | - العيون - بوجدور. |
| 3 - كلميم - السمارة | - كلميم | - كلميم، طاطا، أسا، الزاڭ، السمارة، طانطان. |
| 4 - سوس - ماسة - درعة | - أكادير | - أكادير إداوتانان، إنزكان - أيت ملول، شتوكة - أيت باها، تارودانت، تيزنيت، ورزازات، زاڭورة |
| 5 - الغرب - الشاردة - - بني حسن | - القنيطرة | - القنيطرة، سيدي قاسم |
| 6 - الشاوية - ورديفة | - سطات | - سطات، خريڭة، بنسليمان |
| 7 - تانسيفت | - مراكش - المنارة | - مراكش - المنارة، مراكش - المنارة، سيدي يوسف بن علي، الحوز، شيشاوة، قلعة السرراڭة، الصويرة. |
| 8 - الشرق | - وجدة - أنكاد | - وجدة - أنكاد، جرادة، بركان تاويرت، فڭيڭ، الناظور |
| 9 - الدار البيضاء الكبرى | - الدار البيضاء | - الدار البيضاء - أنفا، عين السيح - الحفي المحمدي، عين الشق - الحفي الحسني، بن مسيك - سيدي عثمان، الفدا درب السلطان، مشور الدار البيضاء، سيدي البرنوصي - زناتة، المحمدية. |
| 10 - الرباط - سلا - زمور - زعير | - الرباط | - الرباط، الصخيرات - تمارة، سلا، الخميسات |
| 11 - دكالة - عبدة | - أسفي | - أسفي، الجديدة. |
| 12 - تادلة - أزال | - بني ملال | - بني ملال، أزال |
| 13 - مكناس - تافيلالت | - مكناس - المنزه | - مكناس - المنزه، الإسماعيلية الحاجب، إفران، خنيفرة، الرشيدية. |
| 14 - فاس - بولمان | - فاس الجديد - دار الدبيڭ | - فاس الجديد - دار الدبيڭ، فاس المدينة، زواڭة - مولاي يعقوب، صفرو، بولمان. |
| 15 - تازة - الحسيمة | - الحسيمة | - الحسيمة، تازة، تاونات. |
| 16 - طنجة - تطوان | - طنجة - أصيلة | - تطوان، شفشاون، طنجة - أصيلا، الفحص - بني مڭادة، العرانش. |

مراكز وتركيبية الجهات - 17 أغسطس 1997

رقعتها، نتيجة رفع عددها من سبع إلى ست عشرة جهة، سيسمح بالتحكم أكثر في مكوناتها الترابية والقطاعية، كما ستيح إمكانية أكبر لإيجاد ذلك الانسجام وذلك التوازن المفقودين سابقاً داخل الجهة وبين مختلف وحداتها المتجاورة.

وبما أن إعادة تصور وهيكله الجهوية قد جعلت من الجهة مجالاً لإسقاط قرارات إجرائية وفي ميادين موسعة للإسهام في العلمية التنموية، فإنها تعززت كإطار للتنمية الشمولية. كما أن اعتبارها كجمال لإحدى صيغ التنظيم الإداري والتمثيلي، وتكليفها بمعالجة قضايا أهم من تلك التي تعالج على مستوى الجماعات الأخرى، لدليل على الرغبة في تحويلها من كيان اقتصادي صرف إلى كيان للحياة الإدارية والاجتماعية أيضاً، وعلى ارتقاء اللامركزية من نطاق الجماعة إلى نطاق الجهة.

أضف إلى ذلك أنه يجوز للجهة، وحسب أهداف وشروط معينة لإنجاز المشاريع الموحدة، أن تتعاون مع جهات أخرى محايدة لها في لجان مشتركة، وأن تربط علاقات شراكة مع مختلف الجماعات المحلية الأخرى أو مع المؤسسات العمومية والقطاع الخاص. وفي هذه الحالات ستمدد أو تنقلص دائرة نفوذها وحدودها التنموية. ومهما يكن من أمر كذلك، فإن البعد المجالي الوطني حاضر أيضاً لدى الجهة، ويحتم عليها أن تنخرط فيه سواءً عبر ممثليها في مجلس النواب ومجلس المستشارين، داخل البرلمان أو في جلسات المجلس الجهوي، أو عن طريق إبداء رأيها حول التصاميم الوطنية أو البت في القضايا التي تنقلها لها الدولة، وعند تهيئ التصاميم الجهوية.

تتجلى المظاهر التحديدية لمحتوى الجهوية في توسيع ميادين المشاركة والعمليات التنموية، التي يختزلها النص القانوني المنظم للجهة في عبارة "تناط بالجهات... مهمة المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجماعة الجهوية..."، ويقرر المجلس الجهوي "التدابير الواجب اتخاذها لضمان تنميتها". ويمكن تجميع هذه الوظائف وتصنيفها في أربعة أنواع.

النوع الأول من الاختصاصات التي يمارسها المجلس الجهوي تدخل في إطار مسؤولياته الذاتية. ويتعلق الأمر بمهام اقتصادية (القيام بأعمال لإنعاش الاستثمارات وتشجيع إنجازها على أرض الواقع، خصوصاً عن طريق إنشاء وتنظيم مناطق صناعية ومناطق الأنشطة الأخرى) وأخرى بيئية (القيام بكل الإجراءات التي تعمل على حماية البيئة، وعلى عقلنة وتدبير الموارد المائية، وكذلك ضمان المحافظة على الميزات المعمارية الجهوية وإنعاشها)، وأخيراً اجتماعية وثقافية (اتخاذ جميع التدابير الضرورية في ميدان التكوين المهني وذات الطابع الاجتماعي والثقافي، ومزاولة كل عمل لازم لإنعاش التشغيل.

والأنشطة الاجتماعية والثقافية، والقيام بأعمال في ميدان إنعاش الرياضة، واعتماد كل التدابير والسبل الرامية إلى إنعاش وتمتين أعمال التضامن الاجتماعي، وكذا الأعمال ذات الطابع الإحساني).

النوع الثاني من الأختصاصات يتمثل في تلك التي يمكن أن تفوتها الدولة إلى المجلس الجهوي، وأهمها القيام بالتجهيزات ذات الفائدة الجهوية، وإقامة وصيانة المستشفيات والثانويات والمؤسسات الجامعية وتوزيع المنح، وتكوين أعوان وأطر الجماعات المحلية.

أما النوع الثالث فيهم الاتفاقيات التي يتم السماح للمجلس بإبرامها حول كل عملية تنمية ضرورية مع الدولة أو أي شخص معنوي خاضع للقانون العام. ومن الأمثلة التي يعينها القانون المنظم لجان التعاون المشترك بين الجهات، والتي يمكن أن تتكون لإنجاز أعمال مشتركة أو إقامة تجهيزات ذات فائدة مشتركة أو تدبير أموال بكل جهة منها تكون موجهة لتمويل أشغال مشتركة وتغطية بعض نفقات التسيير المشتركة. تعد هذه اللجان مؤسسات عامة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، ويتكون أعضاؤها من ثلاثة مناديب لكل جهة ينتخبهم المجلس من بين أعضائه.

النوع الرابع والأخير من الاختصاصات يمارسها المجلس في حالة تجاوز ميدان اختصاصاته الخاصة به أو المسندة إليه أو المسموح له القيام بها من طرف الدولة، أو بسبب ضعف وسائله المادية والمالية. يقوم بمقتضاها بإبداء رأيه والإدلاء باقتراحات في الأعمال ذات المصلحة العامة التي تساعد على تنمية الجهة، وهي أعمال تتولاها الإدارة أو أي شخص معنوي من أشخاص القانون العام. يتعلق الأمر بجوانب ثلاث، اجتماعية (إقامة المؤسسات الجامعية والمستشفيات في الجهة) وبينية (الإسهام في ضبط السياسة المائية على الصعيد الوطني إذا طلبت الدولة وهيئاتها المختصة منه الإدلاء برأيه) واقتصادية على وجه الخصوص (محتوى المخطط الوطني للتنمية في الجوانب التي تهم الجهة، وإقامة المرافق العامة الجهوية وتقرير تنظيمها وتدبير شؤونها، وسياسة إعداد التراب الوطني والتعمير، وكل التدابير المتعلقة باختيار الاستثمارات التي يتم عزم توظيفها من طرف الدولة أو الأشخاص المعنويين الخاضعين للقانون العام داخل حدود الجهة).

يتبين إذن أن الجهة تساهم بالتفكير والمبادرة وإبداء الرأي في ميادين شتى، ولكنها مقيدة بأن تتبنى سلوكاً يتميز بطابع الاحترام الصارم للتشريعات والتنظيمات الجاري بها العمل. بل تكون مطالبة أحياناً بالامتناع الكلي عن الخوض في بعض المواضيع. من هذا الباب ينبغي للمجلس الجهوي أن يزاوَل مهامه مع وجوب مراعاة الاختصاصات المخولة للهيئات والجماعات الأخرى، وألا

يتداول طبعاً في قضايا يكون غير مؤهل لها، ولا سيما تلك التي تمس وحدة الأمة والبلاد. كما لا يجوز أن يسفر التعاون بين الجهات أو بين الجهة وسائر الجماعات المحلية الأخرى عن نوع من التبعية والوصاية فيما بينها. غير أن النص المنظم للجهة ينزع في كثير من الحالات إلى توظيف ظاهرة الغموض كإحدى مكونات المنهجية المتبعة في تداول بعض المفاهيم أو التعامل مع بعض المواضيع. حيث تارة تسمى الأشياء بصريح العبارة وتارة تترك مبهمه وقابلة للتأويل وتعدد المعاني. من هذه الأخيرة نجد عبارات "شؤون مصلحة الجهة" و"اختصاصات المجلس" و"كل التدابير والإجراءات" التي تهم ميداناً من الميادين، وخصوصاً الجانب الثقافي الذي ورد ملتبساً وغير مفصل، وبالتالي قابلاً لجميع احتمالات الفهم.

من زاوية أخرى، يستنتج من خلال تقنين العلاقة بين المجالس التمثيلية والسلطة التنفيذية أن حرية المبادرة الجهوية تكون محددة بمدى السماح بها من طرف سلطة الوصاية. وهكذا، تكون إمكانية قيام اتفاقيات فيما بين الجهات أو بينها وبين الجماعات المحلية الأخرى مرهونة بإمكانية إذن وزير الداخلية بذلك، وليس بمحض اختيار المجالس الجهوية النابع عن الحاجة الملحة والمصلحة الذاتية للجهة. زيادة على ذلك فإن مختلف العلاقات الخارجية للمجلس الجهوي لا تتم مباشرة، بالنظر إلى الاعتبارات التنظيمية التي يملكها الهاجس الإداري، ولا تتحقق إلا بطريقة الترابية الإدارية عن طريق العامل الجهوي. كما هو الشأن في جميع الاتصالات والاقتراحات التي يدلي بها المجلس إلى الإدارة ومختلف المؤسسات والمصالح المختصة على الصعيدين المركزي والجهوي لإنعاش الجهة. ومن المؤكد أن هذه القيود تحد من روح المبادرة وتقلل من فعالية التشاور.

إذا كان مضمون الجهوية يتميز بتنوع صلاحيات المجلس الجهوي وامتدادها على ميادين وحقول عديدة، فإن المنهجية الجديدة المعتمدة لممارسة الاختصاصات تركز على الدراسات والاستشارات والمخططات الإدارية المسبقة التي قد يطول أو يقصر مفعولها على المدى الزمني، وأيضاً على تحكيم مؤسسات تستهدف ضمان سلامة سيرورة الجهوية. هكذا يتكلف المجلس حسب اختصاصاته الذاتية بوضع نوعين من التصاميم التنموية: المخطط الجهوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والمخطط الجهوي لتهيء التراب. علاوة على ذلك يساهم المجلس في إعداد المخطط المديرى للتهيئة المتدمجة لمياه الحوض المائي، إذا كان يغطي كلياً أو جزئياً رقعة الجهة، وذلك لضمان عقلنة تدبير الموارد المائية للجهة. ومن المعلوم أن تحضير هذه المخططات مصحوب بثلاثة شروط قانونية رئيسية.

أولاً، يتعين عليها التوفيق بين أهدافها وأهداف المخططات الوطنية، ومراعاة مختلف التوجهات المعتمدة من

طرف الدولة على المستوى الوطني، ولا سيما بالنسبة للمخطط الجهوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والمخطط الجهوي لتبني التراب.

ثانياً، يلزم على المجلس الجهوي أن يحيل هذين المشروعين إلى مؤسستين مركبتين للموافقة عليهما، الأول إلى المجلس الأعلى للإنتاج الوطني والتخطيط، والثاني إلى اللجنة الوزارية لتبني التراب الوطني.

وأخيراً، يتم تخصيص المخطط الجهوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية "في حدود الوسائل الخاصة بالجهة وتلك الموضوعية رهن تصرفها"، أي أن إعداده يتم بناءً على واقعية صرفة تتحدد بحجم الوسائل المتوفرة، ولا يتم وفق مشروع مكتمل، والتخطيط إلى المستقبل بنظرة شمولية ومندمجة تستجيب لجميع التطلعات التي تطمح إليها الجهة.

إضافة إلى ذلك، يستعين رئيس المجلس الجهوي في ممارسة اختصاصاته بمكلفين مهمة ومكلفين بالدراسات. وهم موظفون تلحقهم الإدارة لديه أو يقوم بتوظيفهم مباشرة بعقده للاشتغال تحت سلطته ويتنسيق مع الكاتب العام للجهة. من ضمن أهم ما يتميز به سير أعمال المجلس الجهوي أيضاً، تكوين سبع لجان دائمة على الأقل لدراسة المسائل الواجب عرضها على المجلس الجهوي العام، يرأسها مندوبون يعينهم رئيس المجلس من بين أعضاء المكتب أو من بين أعضاء المجلس عند اللزوم. وتختص هذه اللجان في المسائل التالية: "المالية والميزانية، والتخطيط وإعداد التراب الوطني، والمسائل الاقتصادية والاجتماعية وإنتاج الشغل، والمسائل الفلاحية والتنمية القروية، والصحة والمحافظة على الصحة، والتعمير والبيئة، وأخيراً الثقافة والتعليم والتكوين المهني". ونظراً لأهمية اللجنة الخاصة بمسائل التخطيط وإعداد التراب الوطني، فقد يمكن لرئيس المجلس الجهوي نفسه أن يتولى رأستها.

رغم كل جهود تدعيم تأطير الجهوية واللامركزية، فإن التوجهات الجديدة غير متبوعة بتصوير واضح لطبيعة الطاقات والموارد البشرية التي ستباشر المسؤوليات الجهوية البالغة الأهمية. بل وقع إغفال تدقيق جانب الرأسمال البشري الذي يعد أحد أهم الركائز التي تنبني عليها السياسة الجهوية. والحال أنه يشترط أن تكون على رأس الجهة أطر مهياً ومكونة، تكون متحلية بالمصادقية اللازمة والكفاءة الضرورية والقدرات العالية التي تتلاءم مع المتطلبات والتحول المرتقبة.

لقد أبانت التجارب السابقة أن من شأن سوء تسيير أشغال وبرامج الجماعات المحلية سيادة سلطة الوصاية على التمثيلية الجماعية، وكذا خلق الكثير من العراقيل التي تعترض إرساء وتطوير مبدأ التنمية المحلية. لهذا الغرض يتكلف جهازان قضائيان على الخصوص بالسهر ما أمكن على ضمان السير العادي للحياة الجماعية والتحكيم في

حالة المنازعات داخل المجلس الجهوي وبينه وبين السلطة الوصية.

يعتبر المجلس الجهوي للحسابات مؤسسة جديدة أحدثت وفقاً لتغييرات دستور 1996، بهدف "مراقبة حسابات الجماعات المحلية وهيئاتها وكيفية قيامها بتدبير شؤونها". تراقب سلامة حسابات الموارد والنفقات التي يتكلف بها المحاسب العمومي للجهة، والأمر بالصرف وكل مسؤول فعلي على تسييرها. كما تمارس رقابة على ميزانية الجهة. في هذا الإطار ينص القانون المنظم للجهة بصفة خاصة على قضية حيوية تتعلق بالحساب الإداري، وهي مسألة حيوية قد تنتج أساساً عن رفض طريقة تدبير الحياة الجماعية. حيث يمكن أن يلجأ وزير الداخلية إلى إحالة الأمر على المجلس الجهوي للحسابات، إذا تم رفضه من طرف رئيس المجلس الجهوي للجهة بالتعليقات الضرورية، ثم امتنع بعد طلب الوزير عن القيام بدراسة جديدة لذلك الرفض، فتشبت به. وأخيراً تعهد إلى المجلس الجهوي للحسابات مهمة مراقبة التسيير في جميع أوجهه، للنظر في مدى مشروعية البرامج من حيث الأهداف والوسائل والتكاليف والنتائج المالية.

نسبة المقاعد المخصصة للجماعات المحلية والهيئات الناخبة في تكوين مجالس الجهات

| النسبة المتوسطة | المقاعد المخصصة لمجلس البلديات والجماعات القروية | | المقاعد المخصصة لمجلسات العائلات والأقاليم | | المقاعد المخصصة للغرف المهنية | | المقاعد المخصصة لمثلي الأجورين | |
|-----------------|--|---|--|-----|-------------------------------|----|--------------------------------|------|
| | أ | ب | أ | ب | أ | ب | أ | ب |
| 45,5 - | 14 | - | 31 | 9,5 | 14 | 12 | 3 | 5,5 |
| 37 11 | 6 | 1 | 43 | 11 | 43 | 11 | 1 | 14,5 |
| 53 3 | 18 | 9 | | | | | | |

أ - رقم الجهات : 1 - وادي الذهب - الكويرة. 3 - كلميم - السمارة.

9 - الدار البيضاء الكبرى. 11 - دكالة - عبدة.

12 - تادلا - أزال.

ب - النسبة المئوية.

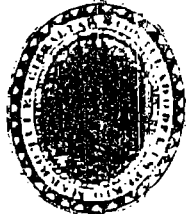
يلاحظ في هذا الصدد، ورغم وضوح مسطرة اللجوء إلى هذا الجهاز وتحديد الآجال لذلك، أن التدخل الفاصل يتم بطريقة بعدية، من دون التوفر على إجراءات توجيهية مقرر سلفاً، وتحول دون وقوع مشكلات قد تخل بالتنظيم الجهوي والديمقراطية المحلية، وبالعلاقات بين سلطة الوصاية والسلطة الجماعية. كما أن أمام المجلس الجهوي للحسابات مهام جسيمة، يصعب عليه إنجازها على الوجه الأكمل من دون تقديم مساعدة الجميع له للتصدي لكل التجاوزات والخروقات.

جواز السفر والتأشير القنصلي بالمغرب. كان لهما مدلول واستعمال متقاربان في القرن الثاني عشر (18 م) ولم يكن سفر المغاربة قبل ذلك إلى البلدان الإسلامية في آسيا وإفريقيا يتطلب جوازاً وتأشيراً، وكذلك سفر المسلمين من هذه البلدان إلى المغرب باعتبار أن المسلم لا يعدّ أجنبياً في ديار الإسلام. واستمر ذلك إلى أن تسلط الاستعمار الغربي على العالم الإسلامي وما تلاه من تجزئة وتقسيم فرسمت الحدود وبدأ تطبيق فرض الجواز في الموانئ أولاً، بينما ظلت التنقلات البرية عملياً بعيدة عن هذا التطبيق، خاصة في مناطق البدو. وكمثال على ذلك نشير إلى تنقل قبائل البدو المغاربة والجزائريين حتى بعد فرض معاهدة للامغنية سنة 1845 التي ترسم الحدود بين المغرب والجزائر الخاضعة للاستعمار الفرنسي.

يبقى أن مسألة التأشير القنصلي لم تكن تطرح إلا بمناسبة التنقل بين المغرب والدول المسيحية، بعدما بدأت بإقامة قناصل لها بالمغرب، تلك الممارسة التي تعممت لتشمل في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) أغلب دول أوروبا ثم الولايات المتحدة الأمريكية. وفي بعض هذه الدول أقام المغرب بدوره ممثلين قنصليين، وعقد معها معاهدات تضمن معظمها مقتضيات عن التأشير القنصلي. يعتبر التأشير من الاختصاصات الإدارية للقناصل، وهي اختصاصات اتسع نطاقها وتنظمت بالتدرج. وقد جرى العمل على أن التأشير القنصلي يشمل :
- إعطاء رعايا دولة القنصل جوازات وغيرها من أوراق السفر .

CONSULADO

GENERAL DEL



IMPERIO

MARROQUI

EN GIBRALTAR.

SEÑAS.

ABSLAM BUZIAN,

Consul General de S. M. Marroquí en esta Plaza

Concede pasaporte a

Firma del portador:

para que pase a

Por tanto pide y cumple a las Autoridades de los puertos por donde transitar, en lo pague impedimento alguno en su viaje, antes bien, le dispensen el auxilio necesario para conseguirlo, segun de que igual proteccion se dispensara por parte de S. M. el Emperador de Marroquí a todos los individuos en igual caso.

GIBRALTAR, de

de 189



أما المؤسسة القضائية الدستورية الثانية فتتمثل في المحاكم الإدارية التي يمكن اللجوء إليها من كلا الطرفين، أي سلطة الوصاية والمجلس الجهوي، وتستهدف المحكمة الإدارية من جهة الحد من سلطة الوصاية والتحكيم بينها وبين المجالس الجهوية، ومن جهة أخرى مراقبة سلامة عمليات تأسيس تلك المجالس وقانونية قراراته. بذلك تتولى البت في الطعون الخاصة بكل مراحل العمليات الانتخابية لمستشاري المجالس الجهوية أو لأعضاء المكاتب المسيرة لها. كما تعلن بطلب من العامل الجهوي أو أي طرف يعنيه الأمر، عن إلغاء قرارات المجلس الجهوي إذا كانت خارجة عن اختصاصاته أو كانت باطلة أصلاً من جراء تناقضها مع النصوص والتشريعات التنظيمية الجاري بها العمل أو عقب مساهمة مستشار جهوي في اتخاذ قرار يجني منه فائدة شخصية أو لصالح شخص ينوب عنه. كما يجوز إحالة الأمر على المحكمة الإدارية إذا تعرض العامل الجهوي على قرارات المجلس أو إذا توفرت فيها شروط البطلان السابقة الذكر، وطلب المجلس القيام بدراسة جديدة فلم يقدّم بها.

بالمقابل يمكن لرئيس المجلس الجهوي أن يرفع إلى المحكمة مسألة رفض وزير الداخلية أو العامل الجهوي تنفيذ قرارات المجلس المتعلقة بالميزانية ومجموعة من المسائل المالية والجبائية ومن المعاملات العقارية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ميزان القوى في حالة النزاع يعطي نوعاً من الامتياز إلى سلطة الوصاية، إذ يتوقف بحكم القانون تنفيذ كل قرارات المجلس الجهوي، إذا كانت هي المدعية، إلى أن تبت المحكمة في ذلك. ولا تطبق نفس المسطرة إذا كان رئيس المجلس الجهوي هو المشتكي. زد على ذلك أن العامل الجهوي هو ممثل الجهة لدى المحاكم، ولا يمكن له أن يقوم بعملية قضائية دون موافقة المجلس الجهوي، إلا أنه يجوز له ذلك من دون طلب الموافقة في حالة التقاضي المتعلقة بالحيازة أو المرفوعة إلى القضاء المستعجل. يضاف إلى هذا أن هناك الآن نقصاً في المحاكم الإدارية وأنها تشكو من صعوبة مساندة تكوين القضاة لتطبيق وتنفيذ النصوص القانونية الجديدة المعقدة.

ظهر 16 يونيو 1971 المتعلق بإحداث الجهات : القانون 47.96 المنظم للجهات (ظهر 2 أبريل 1997) : تصاميم التنمية الاقتصادية والاجتماعية : دساتير المملكة المغربية : الجريدة الرسمية : المهدي بنميسرة، الجماعات المحلية والممارسة المالية بالمغرب، مراكش، 1994 : المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، الجهة، الجهوية والتنمية المحلية، العدد 8 الرباط، 1996.

M. Philipponneau, *Décentralisation et régionalisation*, Paris, 1981 ; J. Lajugie, P. Delfaud, C. Lacour, *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985 ; D. Basri, *L'administration territoriale. L'expérience marocaine*, Paris, 1990 ; *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie*, N° spécial, *Décentralisation / déconcentration*, N° 8, Rabat, 1992.

مصطفى عياد

التأشير والمصادقة على العقود والوثائق الأخرى.
- منح تأشيرة للأجانب الراغبين في دخول إقليم دولة القنصل.

وبالرجوع للممارسة وللمعاهدات المغربية نلاحظ أن أهمية كبيرة أعطيت للجوازات والتأشيرات في مجال الملاحة البحرية. ذلك أن ضمان حرية الملاحة وأمن السفن وبالتالي حرية وأمن التجارة كان هو الدافع الأساسي لسعي الدول الغربية إلى عقد معاهدات سلم مع المغرب. وهكذا نصت المعاهدات على ضرورة توفر السفن المغربية والأجنبية على جوازات ووثائق عبرت عنها المعاهدات بتسميات مختلفة، سواء في نصها العربي أو الأجنبي، ومن ذلك : "مراكب تجار الدولتين يدخلون إلى أي مرسى شأوا من الجهتين، وتتوجه المراكب المذكورة بالكواغيد المعلومة ... (معاهدة المغرب مع اسبانيا سنة 1799، فصل 16). تفسر نفس المعاهدة في الفصل 17، جوازات سفن الإسبان يسلمها حاكم بلدهم في المرسى التي يسافرون منها، لكن جواز سفن التجار المغاربة يسلمها لهم قنصل اسبانيا بالمغرب. كيف يفسر هذا الوضع مع ملاحظة أن باقي المعاهدات الموقعة من طرف المغرب تقضي بأن الجواز يتسلمه المواطنون من سلطات دولتهم، فنقرأ مثلاً : "إذا التقت سفن سيدنا نصره الله الجهادية بقراصين الفرنسيس أو غيرها من سفنهم البارز كانية حاملة لسنجاف الفرنسيس وعندهم باسبورط من قبل سلطانهم على الوجه المصطلح عليه كما هو مرسوم آخر هذه الشروط فلا يتعرض لهم ... (معاهدة مع فرنسا سنة 1767، فصل 3).

والمغرب بدوره كان يعطى لسفن مواطنيه جوازات تثبت جنسيتها. وتوجد صورته لنموذج الجواز المغربي يحمل الطابع السلطاني الكبير لمولاي سليمان، مؤرخ في 25 جمادى الأولى عام 1228 / 26 ماي 1813 ونصه :
"يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعلى أمره أن البرقيتي المسمى ... له زوج اصواري وعدد مدافعه ... وعدد بحريته ... رأسه هو حامل سنجقها المنصور بالله، فلا يتعرض له أحد من الأجناس المصالحين مع جانبنا العلي بالله ... هذا الجواز يسمح للرايس بالحصول على تأشير قناصل الدول المثلثة في المغرب، بحيث نقرأ في نهاية نص الجواز المغربي " ... فعليه نامر كافة القونصوات الواقفين بإيالتنا المحروسة بالله بإعطائهم كتابتهم ... (Fumey, doc. XI). هذا التأشير القنصلي الذي يمنح للسفن المغربية تعبر عنه معاهدة 1767 مع فرنسا بـ : "خط يد القونصور"، وتورد نموذج "خط يد القنصور المصطلح عليه الذي يكون عند (سفن سيدنا نصره الله)" وهو : "كاتبه فلان قنصل الفرنسيس بإيالة سيدنا نصره الله بثغر كذا. نعلم كل من رأى هذه الأحرف أن المركب المسمى كذا، ورئيسه فلان، وفيه كذا، وهو من ثغر كذا، فإنه ومن معه من إيالة السلطان المنصور بالله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله

سلطان مراكش ومن انضاف إليه، رجاله كذا، مدافعه كذا.
أما قناصل إنجلترا في المغرب فيسلمون للسفن التجارية المغربية "شهادة" (معاهدة مع إنجلترا سنة 1801 و1824، فصل 16).

وإذا كانت التسميات التي أطلقت على التأشيرات القنصلية مختلفة وممازجها كذلك فإن الثابت هو ضرورة توفر السفن المغربية التجارية قبل الإبحار على كل الوثائق الجارية بها العمل مثل الجواز المغربي وتأشيرة القنصل الأجنبي. هذه التأشيرة تفيد في حالة ما إذا أرادت السفينة المغربية دخول أحد موانئ دولة القنصل المؤشر، وفي حالة تنظيم اللقاء في أعالي البحار بينها وبين سفينة حربية أجنبية، وذلك لأن السفن الحربية كان لها حق التأكد من أوراق وهوية السفن التجارية.

وتنص بعض المعاهدات على أن التأشيرة القنصلية تغنى عن الوثائق الأخرى، فالسفن الحربية الفرنسية إذا التقت بالسفن المغربية "لايطالبونهم بشيء إلا بإظهار خط يد القونصور الفرنسي المستوطن بإيالة سيدنا" (معاهدة مع فرنسا، سنة 1767، فصل 3). والسفن الإنجليزية إذا لقيت "مركباً من مراكب سلطان مراكش أو لأحد من رعيته فإنه يخلى سبيله إذا كانت عند رئيس المركب إجازة بخط يد العامل المسلم أو معه شهادة قونصوا الانجليز أو نائبه..." (معاهدة سنة 1801، فصل 16):

هذه المقتضيات التي نصت عليها المعاهدات لم تكن مجرد حبر على ورق، بل إن كثيراً من الوثائق المغربية والأجنبية تنص صراحة على حرص الرياس والمخزن على توفر السفن على الوثائق اللازمة، ومن ذلك رسالة من مولاي عبد الرحمان إلى محمد أشعاش مؤرخة في 19 جمادى الثانية 1257 / 8 غشت 1841 : "... وعليه فلتأمر رؤساء المراكب الحمارة وغيرهم بأن لا يسافر أحد منهم حتى تكون عنده فيتورة مركبه جامعة لجميع ما حمل فيه، ومعها كواغيد البحر المعلومة للسفر" (وثائق خ ح، عهد عبد الرحمان، مح 2 / 7). توضح نفس الرسالة سبب تأكيد السلطان على عدم قبول أي سفينة لا تتوفر على تلك الوثائق وذلك "... ليلاً يحمل شيئاً لتجار رعيتنا فيؤخذ في يده". هذا التحذير أتى بعدما كثر عدد السفن الحربية الإسبانية في مضيق جبل طارق، التي تعترض السفن التجارية وتصادر حمولة كل مركب أوراقه ناقصة. وقد سبق أن نصت معاهدة سنة 1799 في الفصل 38 على ضرورة توفر التجار الذين يصدون مواد من المغرب لإسبانيا على شهادة يمنحها لهم قناصل اسبانيا "... مبيناً فيه ماوسقه..."، وهذا طبعاً زيادة على ما يسمى الجواز القنصلي أو خط يد القونصور، أي التأشيرة.

وتتأثر مسألة جواز السفر والتأشير القنصلي بما يطرأ على العلاقات الدولية من توتر، ففي سنة 1801 مثلاً رفض القنصل الأمريكي بطنجة تسليم جوازات إبحار للسفن

المغربية التي كان مولاي سليمان يريد إرسالها إلى طرابلس، محملة بالقمح، لمساعدة أهلها على تجاوز الأزمة التي كانت تعاني منها ليبيا نظراً للقطط وللحصار البحري الذي فرضته عليها الولايات المتحدة الأمريكية (معلمة المغرب، 3 : 749).

ومن باب التأشير القنصلي: أيضاً تأشير القنصل المقيم في إحدى المراسي المغربية على أوراق سفن رعايا دولته التي تزور المغرب، وهذه التأشيرة يدلى بها قبطان السفينة إذا التقى في البحر مع سفينة حربية "... ولا يلزمون مراكيب صارض بإظهار كاغيط سوى ما أخذه من عند قونصهم الذي هو بالمرساة التي خرجوا منها ..". (معاهدة مع سردينيا سنة 1825، فصل 9).

وما تقدم نلاحظ أن بعض المعاهدات نصت على أن الوثائق، سواء كانت جوازاً أو تأشيرة، لها شكل محدد تتفق عليه الدولتان المتعاقدتان، ونصت معاهدات أخرى على أن ذلك الشكل يمكن تغييره، لكن لا يمكن إدخال أي تغيير إلا بعد إعلام الطرف الآخر (معاهدة مع إسبانيا سنة 1799، فصل 16؛ مع سردينيا سنة 1825، فصل 8). وهذه قاعدة كانت محترمة حتى في حال عدم النهي عليها. وتضيف معاهدة سنة 1799 مع إسبانيا (فصل 16) تفصيلاً مفاده أن جوازات السفن التجارية الإسبانية والمغربية تُحرر بكيفية خاصة، بحيث يكون فحصها ومراقبة صحتها غير متوقف على معرفة القراءة. وتستثنى المعاهدات الموقعة بين المغرب والدول الأوربية المراكب الصغيرة، مثل قوارب الصيد، من الزامية التوفر على الجواز والتأشيرة (معاهدة مع إسبانيا سنة 1799، فصل 16؛ مع سردينيا سنة 1825، فصل 8)، واستمر الأمر على هذه الحال رغم مطالبة بعض الدول الأوربية بإلزام قوارب أهل الريف بالجواز. فقد رفض مولاي عبد الرحمان طلباً في الموضوع قدمته فرنسا بعد احتلال الجزائر، ضمن سياستها الرامية إلى إضعاف المقاومة الجزائرية وسد كل المنافذ في وجه الدعم المغربي. وما جاء في جواب السلطان إلى دي لبرط خليفة قونصو الفرنسيين بتاريخ 4 صفر 1248 / 3 يوليوز 1332 : "... وما ذكرت في شأن فلاتك أهل الريف فإننا لا نحدث ما لم يكن في القديم ولا نبتدعه، كما لا نترك ما كان فيه ولا ندعه، ففلاتكم دائماً وإنما تسافر في سواحل البحر وتتردد فيما بين بلادهم ولا يتعدونها، ومن بلادهم إلى تطوان لا غير، ولا يخرجون من تحت رعايتنا، فلا يحتاجون إلى باسبورط لعدم احتياجهم إليه في الماضي ...". (Fumey, doc. XIV).

لكن بعد ذلك اشترطت معاهدة سنة 1861 مع إسبانيا، (فصل 25) على القوارب الريفية أن لا تسافر حتى تحصل على جواز من لدن حكام المواقع الإسبانية بالبحر المتوسط، أو من لدن القناصل الإسبان، إذا كان أصحاب هذه القوارب يسكنون ميناء مغربياً به قنصل إسباني. هكذا يظهر أن مسألة التأشير القنصلي قد سايرت

التطورات التي عرفها المغرب وتغير موازين القوى لصالح الأطراف الأوربية، خاصة بعد هزيمتي 1844 و1860. وهنا تجدر الإشارة إلى نوع آخر من التأشير القنصل في مجال الملاحة، ظهر بالمغرب بعد سنة 1840 م وهو تأشير الشهادات الصحية التي تسلم للسفن الواردة على المراسي المغربية أو المنطلقة منها، فرضه المجلس الصحي الدولي بطنجة، الذي شكلته هيئة القناصل المسيحيين الذين يمثلون الدول الأجنبية بالمغرب، (المجلس الصحي الدولي بالمغرب، 71).

في مجال تنقل الأشخاص، نلاحظ أن جل المعاهدات الموقعة بين المغرب والدول المسيحية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18-19 م). تنص على حق وحرية رعايا كل دولة متعاقدة في الذهاب إلى إقليم الدولة الأخرى (معاهدة مع فرنسا سنة 1767، فصل 2؛ مع إسبانيا سنة 1767، فصل 11؛ مع الولايات م. أ. سنة 1786 و1836، فصل 14؛ مع الصقليتين سنة 1834، فصل 1؛ ...).

لكن إذا أخذنا أمثلة وفحصناها نجد اختلافات بين مانصت عليه معاهدة مع دولة، ومانصت عليه أخرى مع دولة ثانية، وكذلك بالنسبة للدولة الواحدة بين معاهدتين وقعتهما مع المغرب في ظروف مختلفة. وكتوضيح للحالة الثانية نذكر بالنسبة لإسبانيا أن معاهدة سنة 1767، فصل 11، تقرر تمتع الإسبان بالحرية الكاملة للإقامة في المغرب، وللمغاربة في إسبانيا. لكن معاهدة سنة 1799، فصل 3، تضع شروطاً لهذه الهجرة : - "لا يدخل من إحدى الدولتين للأخرى إلا من كان من أهل المروءة والحياء ...".

- المغاربة والإسبان يجب أن يتوفروا على جوازات سفر، فالإسباني الراغب في السفر إلى المغرب يتسلم "البسبرط" من حاكم البلد التي خرج منها مبيناً فيه سبب قدومه"، وعند وصوله إلى المغرب يجب أن يتم فحص هذا الجواز من طرف قنصل إسبانيا العام أو نواب القناصل أو الوكلاء. أما المغربي الذي يريد الذهاب لإسبانيا "فلا يقبل إلا إذا أتى ببسبرط القنصو الكبير أو نائبه".

هذه المقتضيات قبل أن تسنها المعاهدة كانت قد قررتها ممارسة الدولة المغربية، فقد سبق للسلطان محمد بن عبد الله أن أصدر أمراً مؤرخاً في 15 ربيع الثاني 1202 / 24 يناير 1788، يمنع سفر المغاربة إلى "بر النصرى" إلا إذا توفرت شروط هي :

- أن يكون الشخص ذا مروءة وعقل ودين.
- أن يذهب إلى طنجة ويقدم للسلطات المختصة معلومات عن سفره : إلى أين يتجه، وكم ستدوم إقامته في الخارج. يكتب ذلك ويذبله بتوقيع يلزم باحترامه.
- عند توفر الشروط السابقة، يُمنح الشخص الذي يريد السفر تأشيرة من طرف القنصل الإسباني، يعبر عنها الأمر السلطاني، بقوله "... يكتب له قونصو الاصبنيول ليطرة لحاكم البلاد الذي هو متوجه إليها ببر النصرى كلها" (وثائق تطوان، مح 1677 / 58).

ويُبرر فرض الجواز على المسافرين المغاربة والإسبان برغبة البلدين في الحفاظ على استمرار علاقة السلم والصدقة بينهما، ومنع تنقل الأشخاص الذين يمكن أن يؤدي سلوكهم أو مواقفهم وآراؤهم إلى اضطراب تلك العلاقة الودية. هذا التبرير تم التنصيص عليه في الفصل الثالث من معاهدة سنة 1799. أما باقي المعاهدات التي وقعها المغرب فلا تنص على الجواز والتأشير، بل تقرر بصفة عامة حرية مجئ واستقرار رعايا دولة متعاقدة في إقليم الدولة الأخرى. فمعاهدة سنة 1801 مع إنجلترا مثلاً تنص صراحة على: "رعية سلطان الانجليز لهم الإتيان بمراكبهم وسلعهم وأنواع متاجرهم إلى كل ناحية من نواحي سلطان مراكش والدخول إليها والمقام بها والسكنى من غير أمد محدود..." (فصل 3). كذلك يمكن للانجليز مغادرة المغرب بكل حرية (فصل 27). أما رعايا سردينيا فيحتاجون عند مغادرة المغرب إلى تأشير قنصل دولتهم (معاهدة سنة 1825، فصل 4).

نعود إلى معاهدة سنة 1799 بين المغرب وإسبانيا، التي فرضت الجواز عند الدخول إلى أحد البلدين، فنجدها تقرر حرية الإسبان في مغادرة المغرب متى شاءوا، دون حاجة إلى إذن السلطات المغربية، لكنهم يحتاجون إلى موافقة القنصل الإسباني، وذلك بهدف البحث والتأكد من أن هؤلاء الإسبان لم تترتب عليهم ديون أو التزامات أخرى من الواجب عليهم الوفاء بها قبل رحيلهم. ويُعامل المغاربة بالمثل في إسبانيا "وكذلك المسلمون في أرض إصبانية، يسافرون منها متى شاءوا من غير توقف على إذن حاكم ولاغيره، إلا إذا كان على أحد حق حتى يؤديه..." (فصل 10).

ومرة أخرى، يتغير الوضع في مجال التنقل والهجرة بين المغرب وإسبانيا تبعاً لتغير الظروف العامة. فمعاهدة سنة 1861، فصل 4، تنص على "رعية حضرة سلطنة إسبانية لهم أن يسافروا ويستقروا ويسكنوا حيث شاءوا بإيالة حضرة سلطان مراكشة دون تعرض ولا منع من أحد..."، وهذا يعنى حرية دخول الإسبان للمغرب، مع عدم اشتراط

جواز وتأشير. هذا النص لم يكن مجرد إجراء شكلي، بل ترجم إلى الواقع، حيث وفد على المغرب بعد سنة 1868 كثير من الإسبان، وبلغت هجرتهم حداً قياسياً بعد مؤتمر مدريد حتى أصبح عدد المستوطنين الإسبان بالمغرب يقدر سنة 1897 بـ 8.000 شخص، أي ما يعادل حوالي 90٪ من مجموع الأوربيين الذين ارتفع عددهم في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) إلى حوالي عشرة آلاف شخص مقابل 250 شخصاً تقريباً سنة 1832 (الاستيطان والحماية بالمغرب، 1 : 148-153).

فيما يخص دور القناصل المغاربة، تفيدنا الوثائق أنه كان من مهام القنصل العام للمغرب بجبل طارق منح جوازات سفر للرعايا المغاربة (وثائق مديرية الوثائق الملكية، مع إسبانيا، رقم 2 ومع جبل طارق). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجوازات لم تكن تطلب فقط في حالة السفر لدولة أوربية بل صار المغاربة يحتاجون إليها حتى في حالة السفر إلى الجزائر بحراً والدخول إلى أحد موانئها خصوصاً منذ سنة 1844 (Schroeter, p. 84).

كذلك صار القنصل المغربي بجبل طارق يمنح "تسريح ركوب" للرعايا المتوجهين إلى العاصمة العثمانية (وثائق م. و. م، مع جبل طارق). وتوجد صورة لنموذج الجواز المغربي، صادر عن القنصلية العامة للمغرب بجبل طارق أيام ولاية عبد السلام بوزيان. (البحث العلمي، عدد 29 - 30، ص 194).

وثائق، خ ح، عهد م. عبد الرحمان، مع 2/7 : وثائق تطوان، مع 167 / 58 : وثائق مديرية الوثائق الملكية، مع جبل طارق ومع إسبانيا 2 : محمد المنصور، معلمة المغرب، 3 : 749 : محمد الأمين البراز، المجلس الصحي الدولي بالمغرب، 71 : مصطفى بوشعرا، الاستيطان والحماية بالمغرب، 1 : 148-153.

Fumey, *Choix de Correspondances Marocaines*, 1ère partie, p. 27 et 33 ; R. Guïllien et J. Vincent, *Lexique de termes juridiques*, Paris, 1981, p. 431 ; Schroeter, *Merchants and pedlars of Essaouira*, p. 84.

حياة الغراس

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في صفر عام 1419 / يونيو 1998



مطابع سلا

شارع عثمان ابن عفان

قسمة 14 - الحي الصناعي لتابريكت

ص.ب 596 - سلا

الهاتف : 86.27.02 / 85.06.92 (07) - فاكس : 85.06.93 (07)

عصور التاريخ الإِسْلامِيّ

وقائع سياسية واقتصادية

في المغرب

التقسيم الزمني

قحط شديد عم المغرب والأندلس وأفريقيا ومصر
ثم ما وراءها من بلاد الشرق العربي.

عام 253 - 260 / 867 - 873

قيام إمارة بني مدرار بجنوب المغرب.
انقراض إمارة بني مدرار.

عام 270 / 884 - 83

عام 297 / 910 - 9

هجوم مصالة بن حبوس قائد عبد الله الشيعي الفاطمي على
المغرب.

عام 305 / 918 - 17

استيلاء موسى بن أبي العافية على مملكة فاس وبلاد المغرب
بعد موت الحسن الحجام الإدريسي.

عام 310 / 923 - 22

تظاهر بني إدريس على قائد موسى بن أبي العافية.

عام 317 / 930 - 29

عام 323 / 935



عام 324 / 936

عام 358 / 969

عام 359 / 970

بناء مدينة وجدة على يد زيري بن عطية المغراوي.

عام 384 / 994

موت المنصور بن أبي عامر وقيام ملوك الطوائف بالأندلس.

عام 392 / 1002

اشتداد المنافسة بين أمراء بني يفرن وأمراء مغراوة.

عام 424 / 1037 - 36

خروج يحيى بن إبراهيم الكدالي إلى الشرق واتصاله بأبي
عمران الفاسي في القيروان.

عام 440 / 1049

| | |
|---------------------------------|---|
| المواقع الرئيسية | في بقية العالم الإسلامي |
| الغرب والشرق العربيان سجستان | قيام الدولة الصفدية. |
| تافيلالت | |
| المغرب | الفاطميون بالمغرب. |
| فاس | |
| مكة | استيلاء القرامطة على مكة. |
| مصر | قيام الدولة الأخشيدية بمصر. |
| مدينة الزهراء | بناء مدينة الزهراء بقرطبة. |
| القاهرة الأزهر | انتقال الفاطميون من تونس إلى مصر وبناء القاهرة. بناء جامع الأزهر. |
| وجدة | |
| الأندلس | |
| قرطبة | نهاية خلافة قرطبة بالأندلس. |
| الصحراء التيروان | |